

المنظمة العربية للترجمة

هيجل

# فنومينولوجيا الروح

ترجمة وتقديم :  
د. ناجي المونلي

فنومينولوجيا الرّوح

لجنة الفلسفة:

محمد محجوب (منسقاً)

إسماعيل المصدق

عبد العزيز لبيب

غانم هنا

مطاع الصفدي

موسى وهبة

المنظمة العربية للترجمة

غِيُورْغُ فِلْهَلْمُ فِرْدْرِيشْ هِيغل

فنومينولوجيا الرّوح

ترجمة وتقديم:

د. ناجي العونلي<sup>٤</sup>

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة  
هيغل، غيُورغ فلهلم فردريش  
فنومينولوجيا الروح / غيُورغ فلهلم فردريش هيغل؛  
ترجمة وتقديم ناجي العونلي.  
838 ص. - (فلسفة)  
ببليوغرافية: ص 799 - 815.  
يشتمل على فهرس.

ISBN 9953-0-0512-5

1. الروح. 2. الحقيقة (فلسفة). 3. الشعور. أ. العنوان.  
ب. العونلي، ناجي (مترجم). د. السلسلة.  
193

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة  
عن اتجاهات تبنها المنظمة العربية للترجمة»  
جميع حقوق الترجمة العربية والنشر محفوظة حصراً ل:

### المنظمة العربية للترجمة



بناية شاتيلا، شارع ليون، ص. ب: 5996-113  
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان

هاتف: 753031 (9611) / فاكس: 753032 (9611)  
e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

---

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص. ب: 6001 - 113  
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان  
تلفون: 869164 - 801582 - 801587  
برقياً: «مرعبي» - بيروت / فاكس: 865548 (9611)  
e-mail: info@caus.org.lb - http://www.caus.org.lb

---

الطبعة الأولى: بيروت، نيسان (أبريل) 2006

## المحتويات

9	تنبهات .....
11	مقدمة المترجم .....
13	I. فكرة «فنومينولوجيا الروح» وسابقتها النظرية .....
15	1. مفهوم «الفنومينولوجيا» قبل فنومينولوجيا الروح .....
21	2. تكوينية فكرة فنومينولوجيا الروح عند هيغل .....
32	3. نص فنومينولوجيا الروح .....
40	II. مبنى فنومينولوجيا الروح .....
40	1. مجرى التشكلات الفنومينولوجية ومنطقه الجواني .....
51	2. الفنومينولوجي في فنومينولوجيا الروح .....
58	III. منازل فنومينولوجيا الروح من النسق الهيغلي .....
	1. فنومينولوجيا الروح ونسق العلم: فاتحته .....
60	أم جزؤه الأول أم بيانه على جملته؟ .....
71	2. فنومينولوجيا الروح وعلم المنطق .....
77	3. فنومينولوجيا الروح وسؤال الفلسفة .....
99	IV. في هذه الترجمة .....

- 99 ..... 1. في الجملة الهيغليّة
- 104 ..... 2. في ترجمة بعض المفاهيم الهيغليّة

## غيورغ فلهلم فردريش هيغل فنومينولوجيا الرّوح

- 113 ..... فهرست
- 117 ..... استهلال
- 177 ..... مقدّمة
- 191 ..... I. الإيقان الحسيّ، أو الهذا والتظنُّن
- 205 ..... II. الإدراك الحسيّ، أو الشيء والوهم
- 223 ..... III. القوّة والذهن، الظاهرة وعالم ما فوق الحسّ
- 257 ..... IV. حقيقة الإيقان من الذات
- 267 ..... 1. القيمومة الذاتية التي للوعي - بالذات ولاقيمومته؛  
الرّياسة والخدمة
- 278 ..... 2. حرّيّة الوعي - بالذات؛ الرواقية، الرّبيّة، الوعي الشقيّ
- 305 ..... V. إيقان العقل وحقيقته
- 314 ..... I. العقل المعايين
- 316 ..... 1. معاينة الطبيعة
- 362 ..... 2. معاينة الوعي - بالذات في خلوصه وصلته  
بالحقيق البرانيّ؛ القوانين المنطقيّة والنفسيّة
- 369 ..... 3. معاينة الوعي - بالذات في صلته بحقيقه الذي  
في - الحال؛ فيزيونومينا وفرينولوجيا
- 405 ..... II. تحقّق الوعي - بالذات العقليّ بمعية ذاته

- 413 ..... 1. اللذة والضرورة
2. قانون الفؤاد، وجنون
- 419 ..... العُجْب (Der Wahnsinn des Eigendünkels)
- 428 ..... 3. الفضيلة ومجرى العالم
- 438 ..... III. الفردية التي تكون في نظر نفسها واقعية في ذاتها ولذاتها ...
- 440 ..... 1. مملكة الحيوان الروحية والمخاتلة، أو رأس الأمر ...
- 459 ..... 2. العقل المشرّع
- 465 ..... 3. العقل الممتحن للشرائع
- 473 ..... VI. الروح
- 477 ..... I. الروح الحقّ الإتيقّيّة
- أ. العالم الإتيقّي، القانون الإنسانيّ
- 478 ..... والقانون الإلهي، الرجل والمرأة
- ب. المراسم الإتيقّي، العلم الإنسانيّ والإلهي،
- 493 ..... الخطيئة والقدر
- 507 ..... ج. حالة الحقّ
- 513 ..... II. الروح المغترب ذاتياً؛ الثقافة
- 517 ..... 1. عالم الروح المغترب ذاتياً
- 517 ..... أ. الثقافة وملكوت الحقيق
- 548 ..... ب. الإيمان والتعقل المحض
- 557 ..... 2. الأنوار
- 558 ..... أ. صراع الأنوار للمعتقدات الجمهوريّة
- 585 ..... ب. حقيقة الأنوار
- 592 ..... 3. الحرّية المطلقة والرعب
- 603 ..... III. الروح الموقن من ذاته. الأخلاقية



605	..... أ. الرؤية الأخلاقية للعالم
616	..... ب. التستر [والنقأل]
629	..... ج. الإيقان الأخلاقي، النفس الجملاء، الشرّ وغفرانه
663	..... VII. الدين
672	..... I. الدين الطبيعي
674	..... أ. الماهية النورانية
676	..... ب. النبات والحيوان
678	..... ج. صانع الأثر
682	..... II. دين الفنّ
686	..... أ. الأثر الفنيّ المجرد
696	..... ب. الأثر الفنيّ الحيّ
701	..... ج. الأثر الفنيّ الرّوحيّ
718	..... III. الدين الظاهر
755	..... VIII. العلم المطلق

### ضمائم

777	..... I. تقديم هيغل لفنومولوجيا الرّوح
779	..... II. تلويح لمراجعة الطبعة الثانية لفنومولوجيا الرّوح
781	..... III. جدول تناظر الصفحات
789	..... ثبت المصطلحات
799	..... المراجع
817	..... الفهرس

## تنبيهات

- ينبغي التمييز بين «الفهرست العام» (ص 6) وهو يشمل خطة تقديم المترجم ثم الخطوط الكبرى لنص فنومينولوجيا الروح، أي الأشكال المرقمة بالروماني من I إلى VIII، ثم على الملحقات التي وضعها المترجم، وبين «الفهرست» (ص 113)، وهو من وضع هيغل نفسه، كما صاغه في نشرة 1807: وهو ينطوي على فهرستين؛ (انظر ص 37 من تقديم المترجم).
- جميع الهوامش الواردة في أسفل الصفحات هي من وضع المترجم ومشاراً إليها بأرقام تسلسلية.
- تسهياً للعودة إلى النص الألماني، أثبتنا ترقيم صفحاته (طبعة هامبورغ، 1988) على هامش النص العربي. وهو ما يتيح المقارنة بين النصين لمن أراد ذلك. وقد أضفنا، آخر الكتاب، «جدول تناظر الصفحات» لإتاحة المقارنة بطبعات أخرى (1807 و 1952 و 1970).
- جميع العناوين التي وردت بين معقّفين [] في غضون النص ليست من وضع هيغل، بل من وضع لاسون وهوفمايستر.



## مقدمة المترجم

فَنُومِينُولُوجِيَا الرُّوحِ نَصٌّ شَرَعَ غِيُورْغُ فِلِهْلِمُ فِرْدْرِيشُ هِيغل (1770-1831) في تأليفه أثناء سداسي الشتاء 1805-1806<sup>(1)</sup>، وفرغ منه في كانون الثاني/يناير 1807. بدأ طبعه في شباط/فبراير 1806 عند يُوَزيْفِ أَنْتُونِ غُوبِهَارْدْتْ، وصدر في بامبرغ وفورتسبورغ في أواخر شهر آذار/مارس 1807 بمناسبة معرض عيد الفصح، وأُخْرِجَ في سبعمائة وخمسين نسخة، تضمّنت كلَّ منها سبعمائة وخمسة وستين صفحة زائدة إلى نصِّ الاستهلال الذي يحتوي على إحدى وتسعين صفحة مرقّمة بالرومانيّ. وصدرت فنومينولوجيا الرُّوحِ (بعد ذلك) على الأقلّ في خمس عشرة طبعة<sup>(2)</sup>. أمّا

---

(1) على الرغم من أنّ كارل روزنكرانس (أحد أشهر مؤرّخي حياة هيغل وفلسفته) يؤكّد أنّ هيغل كان أقرّ العزم على نشر فنومينولوجيا في الرُّوحِ (*Phaenomenologia mentis*) منذ سنة 1804، فإنّ أوّل أثرٍ نسقيّ يلوح بفكرة فنومينولوجيا الرُّوحِ عند هيغل يتمثّل في جملة شذراتٍ في العلم المطلق، ترجع إلى صائفة (شهر آب - أغسطس) 1805. انظر: Karl Rosenkranz, *Georg Wilhelm Friedrich Hegel's Leben, Beschrieben durch Karl Rosenkranz Supplement zu Hegel's Werken, Mit Hegel's Bildniss, Gestochen von K. Barth* (Berlin: Duncker und Humblot, 1844);

وقد أعيد طبعه في: (Darmstadt: Wissenschaft. Buchges, 1977), pp. 202, 214 sqq. (2) نشرات: شولتسه، 1832، 1841؛ لاسون، 1907؛ بولأند، 1907؛ فايس، 1909؛ لاسون، 1921، 1927؛ غلوكنيز، 1927؛ هوفمايسير، 1937، 1949، 1952؛ ميشل/مولدنهاوز، 1970؛ أولشتاين، 1970؛ بونزيبن/هيد، 1980؛ فسيلس/كليرمون، 1988.

الطبعة التي أشتغلنا عليها في هذه الترجمة فهي التي صدرت ضمن سلسلة المكتبة الفلسفية في دار فيليكس ماينز بهامبورغ سنة 1988<sup>(3)</sup>، نشرها من جديد هانس - فردريش فسلس وهائيرش كلرْمونْت اللذان أستاذنا النشرة النقدية والعلمية التي قام بها فولفغانغ بونزيبين وراينهارد هيدِه في إطار نشر ديوان هيغل، الجزء التاسع، تحت إشراف أكاديمية دوسلدورف للعلوم، التي صدرت سنة 1980<sup>(4)</sup>.

إنَّ الغرضَ من هذا التقديم في طوره الأول هو تقييدُ فكرة «فنومينولوجيا الرّوح» من حيث تعيّن مفهوم «الفنومينولوجيا» في الأدبيات الفلسفية التي تتقدّم فلسفة هيغل (I. 1)، ثمّ من حيث تكوين عين الفكرة عند هيغل أثناء طور إيينا (1800-1807)، وستقف بخاصّة على وجه صياغة الهيغليّة لحروف سؤال البدء في الفلسفة وما آلت إليه معضلة اتصال المنطق بالمتافيزيقا من جهة ما هي منبت فكرة فنومينولوجيا الرّوح نفسها (I. 2)، وسنولي النظر في الطبيعة المتحيّرة لهذا النصّ التي تجعل منه نصّاً متقلّباً حتّى في صلب عنوانه وفهرسته (I. 3). ثمّ سنعرض في الطور الثاني المبني العام لفنومينولوجيا الرّوح من جهة مجرى التّشكلات الفنومينولوجية للوعي وصورته (II. 1)، كما من جهة أسّتشكال العنصر الفنومينولوجي نفسه الذي سيبين على أنّه يتركّب من سرعّين أو نفسين متباينين ألزما فنومينولوجيا الرّوح بالمرور من

---

(3) انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Phänomenologie des Geistes*, Neu Hrsg. von Hans Friedrich Wessels und Heinrich Clairmont; Mit einer Einleitung von Wolfgang Bonsiepen, Philosophische Bibliothek; Bd. 414 (Hamburg: F. Meiner, 1988).

Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Gesammelte werke*, 21 vols. Hrsg. In (4) Auftrag der Forschungsgemeinschaft (Hamburg: F. Meiner, [1968]-2001), vol. 9: *Phänomenologie des Geistes*, Hrsg. von Wolfgang Bonsiepen und Reinhard Heede; Mit Genehmigung der Rheinisch-Westfälischen Akademie der Wissenschaften Düsseldorf (Hamburg: F. Meiner, 1980).

علم تجربة الوعي إلى علم أظهر الروح (II. 2). أما في الطور الثالث فسنقيد المنازل المختلفة لفنومينولوجيا الروح من النسق الهيجليّ بالجملة، وسنفسر اقتران ثلاث دلالات نسقيّة لهذا الأثر: فنومينولوجيا الروح من جهة ما هي فاتحة النسق، والجزء الأوّل من نسق العلم، بل وبيان نسق الفلسفة في جملته (III. 1)، وسنشدد بخاصّة على ما يصل فنومينولوجيا الروح بعلم المنطق، نعني كونها التبرير النسقيّ لمفهوم العلم نفسه (III. 2). لكنّ رأس الأمر في ما سيذهب فيه هذا التقديم هو الوقوف على ما يختصّ به هذا المصنّف النسقيّ الأوّل لهيغل من يفاع نظريّ ونضارة فلسفيّة يجعلان منه استثناءً فلسفيّاً يخرج على ما سيؤول إليه النسق الهيجليّ في طوريّ هايدلبرغ وبرلين من أنغلاق صوريّ حين ستمسي الفلسفة شأنًا تعليميّاً صرفاً. إنّ فنومينولوجيا الروح عبارةٌ تفلسفِ قلقٍ ومتحيرٍ حدّ النكول، لكنّه نكولٌ لا يتنافى مع لطافة المفهوم وجادة العلم، بل يجعل المفهوم على سيلانيّة (Die Flüssigkeit) والعلم على مرانّة (Die Plastizität) ندر أن يكون لهما نظيرٌ في ما سيلحق من أطوارٍ في ربوّ فلسفة هيغل، حتّى إنّ تردّد هيغل نفسه مع أكتمال النسق في الاحتفاظ بفكرة فنومينولوجيا الروح كما تعيّنّت في نصّ 1807، فجنح إلى إخراجِه من سياق النسق لكأنّه نصّ مفردٌ ما زال هيغل يمترسّ في غضونه الشأن التأمليّ من دون أن يستقرّ فيه إلى تملكٍ منطقيّ مانعٍ كالذي سيحصل له في علم المنطق.

## I. فكرة «فنومينولوجيا الروح» وسابقتها النظرية

إنّ مقالة هيغل في فنومينولوجيا الروح نجمت عن عزم فلسفيّ بعينه، ألا وهو وجوب وضع نسقٍ جمليّ (Ein Gesamtsystem) في الفلسفة يرتفع بالعنصر الفلسفيّ إلى مصافّ العلميّة. وهذا هو المطلوب العلميّ الذي ما أنفك هيغل

يتعقب تحقيقه مذ أن نزل بإيينا، فهو يؤكّد لصاحبه شلنغ في رسالة<sup>(5)</sup> كتبها في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1800:

«لقد كنت خلال تكويني العلمي الذي ابتدأ بحاجات الإنسان الأكثر أولانيّة، مدفوعاً بالضرورة نحو العلم، وكان لا بد أن يتصير مثلُ طور الشباب على صورة التفكّر، فيستحيل نسقاً..»

تحقيقُ الأمثل الفلسفيّ (Das Ideal) يعني إذاً عند هيغل الانتهاء بمباحث طور الشباب إلى نسق فلسفة يكون بالجوهر على صورة التفكّر (Die Reflexion). ذلك هو جنوحُ الفيلسوف إلى العلميّة، وهو جنوحٌ لم يطرأ فجأةً في طور إيينا وحسب، بل كان كابده هيغل منذ محنة فرانكفورت، أيّانَ تعنى «النكتة الليلية لضيق الكيان»<sup>(6)</sup> حيث أضطدم المثل الأعلى للتفكير المجرد بمعاندة

---

(5) انظر الرسالة رقم (29) في: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, «In meiner Wissenschaftlichen Bildung, die von untergeordneten Bedürfnissen der Menschen anfang, mußte ich zur Wissenschaft vorgetrieben werden, und das Ideal des Jünglingsalters mußte sich zur Reflexionsform, in ein System verwandeln,» in: *Briefe Von und an Hegel*, 4 vols., Hrsg. von Johannes Hoffmeister, Philosophische Bibliothek; 235, 238 a/b, 3. Durchges. Aufl. (Hamburg: F. Meiner, 1969-1981), vol. 1, p. 59.

(6) رسالة هيغل لفيندشمان في 27 أيار/ مايو 1810. التفكير في محض الحياة، ذلك هو عزم النظر الذي تقيد به هيغل الشاب. لكن التفكير في حد ذاته منافٍ للحياة من جهة ما هي بالجوهر وحدة المتناهي واللامتناهي، أي من جهة ما هي تهويّ الفروق. فما دام التفكير يفصم ويحلّ فإنما هو تفكّر مجرد يقصم ظهر الحياة ويقطع أوصالها. فلذلك كان لا بد من استئناف النظر في طبيعة التفكير بالجملة وفي مقام التفكّر بخاصة: بدل أن يظلّ التفكّر مجرد مباحكة أو تفكير برانيّ في (über) المضمون، كان لا بد أن يتصير التفكّر من شأن المضمون نفسه. فالتفكير (Das Denken) ليس آخر الحياة الذي يقبع خارجها، وينظر فيها من عل، بل التفكير نفسه من وضع الحياة لنفسها وضعاً ذاتياً. إذاً نقد صورية التفكّر في طور فرانكفورت هو عينه الوقوف على وجوب نسخ المثل المجرد في الفكر الذي لهيغل الشاب، وهو مثال يعجز - إذ يظلّ على صورانيته - عن الإلمام بحقيق الحياة. إن =

الحقيق الشواشي للظواهر. إن أنتساخ مثالية التفكير المجرد ضمن وجوب الاضطلاع بجملة الكينونة الحاقّة وإرساء ذلك الانتساخ على صورة التفكّر الفلسفيّ يحدّدان العزم الفلسفيّ الذي يمثل على التدقيق المنبّت النظريّ لفكرة «فنومينولوجيا الرّوح». لكنّ ذلك يعني أيضاً أنّ هذه الفكرة تنتمي إلى سياقٍ بعينه، نعني صيرورة هيغل نفسه فيلسوفاً.

## 1. مفهوم «الفنومينولوجيا» قبل فنومينولوجيا الرّوح

لا بدّ لنا أولاً - حتّى نقف على ما تختصّ به مقالة هيغل في فنومينولوجيّة الرّوح - أن نتعقّب مفهوم «الفنومينولوجيا» من حيث تكوّنه وربوّه المنطقيّ حدّ أستقراره ضمن الاستعمال الفلسفيّ نحو سنة 1800. لا نعلم الكثير في ما يتعلّق بهلّ عبارة «فنومينولوجيا» في حدّ ذاتها، لكنّ نعلم أنّ نحتّ المصدر «الفنومينولوجي» (Das Phänomenologische) من نعت أو صفة «فنومينولوجي» (phänomenologisch) قد تمّ في سياقٍ صوفيّ إشراقيّ، وكان يدلّ على طريقةٍ بعينها في تحريّ وأعتبار ظواهر الكون من حيث دلالتها على العلة الأولى. على هذا المعنى استعمل «المتصوّف» الألمانيّ ف. ش. أوتنبغر نعت «فنومينولوجي» في 1762<sup>(7)</sup>. في

---

محنة التفلسف كان تعانها هيغل منذ طور فرانكفورت عبر نقدٍ جذريّ لمثالية المثال أو المثل كما لمثالية التفكّر الفلسفيّ؛ قارن في هذا الصدد إلهيات الشباب، ثمّ بخاصّة شلرة نسق 1800 حيث يبين رسوخ الحياة في التقابل والتضادّ من جهة ما هي «وصل الوصل والفضل» ووجوب طرح التفكّر المجرد للوقوف على ما يحمله التفلسف على التفكير، نعني الترقّي العقليّ إلى الحياة اللامتناهية، انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel: *Theologische Jugendschriften nach den Handschriften der Kgl. Bibliothek in Berlin*, Hrsg. von Herman Nohl (Tübingen: J. C. B. Mohr, 1907), pp. 343-351, and *Werke in Zwanzig Bänden*, 20 vols., Auf der Grundlage der Werke von 1832-1845 neu edierte Ausg. Red. Eva Moldenhauer und Karl Markus Michel, Theorie Werkausgabe (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1969-1971), vol. 1, pp. 419-427.

(7) انظر: Karl Schuhmann, «Phänomenologie. Eine begriffsgeschichtliche Reflexion,» *Husserl-Studies*, vol. 1, no. 1 (1984), pp. 34sq.



الآن نفسه<sup>(8)</sup> تقريباً كان يوهان هاينرش لامبِرْتْ يشتغل على مقالة في «الفنومينولوجيا أو البصريّات الترنسندناليّة» (Phaenomenologia oder optica transcendentalis)، وجعل من الفنومينولوجيا فقه الظاهر (Die Lehre des Scheins)، رأس الأمر فيه تمييز الحقّ من الظاهر الذي يكون حسّيّاً ونفسيّاً وأخلاقياً. وغرض الفنومينولوجيا من جهة ما هي أورغانون جديدٌ إنّما هو نقل «لغة الظاهر» إلى لغة فيزيقيّة صادقة تستمدّ مفاهيمها الرئيسيّة من عالم الجسميّة<sup>(9)</sup>. مقالة لامبِرْتْ في فقه الظاهر، ووجوب تمييز الحقّ من الظاهر، بل الظاهر من الزلل، هي التي ستمثّل على الحقيقة قدحاً فلسفيّاً هامّاً سيّطال صلب إشكال الميتافيزيقا نفسه، نعني إشكال علاقة الحاسة بالعقل المحض. فالفنومينولوجيا على معنى فقه الظاهر ستترسخ بما هي المبحث التمهيدّي الذي يتقدّم فقه المبادئ، لتستحيل «الفنومينولوجيا العامّة» صدر الميتافيزيقا. ذلك ما يذهب فيه كانط الأوّل<sup>(10)</sup> الذي يكتب للامبِرْتْ في 2 أيلول/ سبتمبر 1770 ما يلي:

«إنّ قوانين الحاسة الأكثر كليّة تؤدّي دوراً مغلّطاً في الميتافيزيقا، مع أنّ

(8) في 1762-1763.

(9) انظر: Johann Heinrich Lambert, *Neues Organon oder Gedanken über die Erforschung und Bezeichnung des Wahren und dessen Unterscheidung vom Irrthum und Schein*, 2 vols. (Leipzig: J. Wandler, 1764), vol. 2, pp. 220 sqq., 231, and 236.

(10) نعني كانط قبل الطور النقديّ الذي بدأ بنشر *Kritik der reinen Vernunft* في 1781، والذي ستحلّ فيه الإستيطيقا الترنسندنالية (بما هي علم أوائل الحاسة القبليّة) محلّ هذه الفنومينولوجيا العامّة (من جهة ما هي فقه الظاهر). لكنّ الأمر المهمّ في نظرنا هو أنّ الوقع النظريّ لمقالة لامبِرْتْ في المباينة بين الظاهر والزلل عند كانط إنّما يتعدّى مقام الإستيطيقا الترنسندنالية ليطال مقام الديالكطيقا نفسها من جهة ما هي «منطق الظاهر» (Eine Logik des Scheins)، انظر: Immanuel Kant, *Werke*. 9 vols. Akademie Textausgabe, Unveränderter photomechanischer Abdruck des Textes der von der Preussischen Akademie der Wissenschaften 1902 begonnenen Ausgabe (Berlin: Walter de Gruyter, 1968), vol. 4: *Kritik der reinen Vernunft*, pp. 188-189.

دوراً هاماً يعود ببساطة إلى المفاهيم والمبادئ التي للعقل المحض. إنه يبدو لي دقيقاً جداً أن تتقدّم فنومينولوجيا عامّة (phenomenologia generalis)، وإن كانت علماً سلبياً بإطلاق، الميتافيزيقا، حيث تُقيّد لمبادئ الحاسّة صلاحيتها وحدودها، فلا تغالط بذلك الأحكام في أغراض العقل المحض، وهو الأمر الذي ما انفك يحدث أبداً (...). ويبدو لي أيضاً (...). أنه من اليسير لهذا المبحث التمهيدي الذي يدفع عن الميتافيزيقا الأصلية كلّ ذلك الإختلاط بالمحسوس، أن يصير من غير عناء مبحثاً مفصلاً وبديهيّاً يمكن استخدامه<sup>(11)</sup>.

مقالة لامبرت في فقه الظاهر بدت إذا لكانت على أهمية بالغة من جهة أنها تهب الميتافيزيقا فاتحةً نقديّة تمهيدية هي الفنومينولوجيا العامة التي تربأ بالعنصر الميتافيزيقي عن كل وجه من وجوه المغالطة الناجمة عن أختلاط مبادئ الحاسّة بمفاهيم العقل المحض وأغراضه. فليكن منا على بال هذا المعنى النقديّ والتمهيديّ الذي تختصّ به الفنومينولوجيا العامة عند كلّ من لامبرت وكانط، لأنّه سيناظر على التدقيق الوجه الذي سيستوضع

(11) انظر: Immanuel Kant, *Briefwechsel*, Auswahl und Anmerkungen von Otto Shöndörffer, Mit einer Einleitung von Rudolf Malter und Joachim Kopper und einem Nachtrag, Philosophische Bibliothek; Bd. 52 a/b, 2 erw. Aufl. (Hamburg: F. Meiner, 1972), p. 71.

ومن المرجح بحسب ما يذهب إليه فولغانغ بونزيين أن يكون هيجل على علم بمراسلة كانط للامبرث، لأنّ مصنّف تراسل لامبرت مع رموز عصره كان صدر منذ 1781، قارن: Johann Heinrich Lambert, *Joh. Heinrich Lamberts Deutscher Gelehrter Briefwechsel*, 4 vols., Hrsg. von John Bernoulli (Berlin: Bey dem Herausgeber, [1781]-1784).

هيغل على نحوه سؤال البدء في نسق الفلسفة (وإن كانت حروف السؤال عند هيغل مغايرةً تماماً للإشكال الذي تختص به النقدية الترنسندننتالية، فذاك إنما هو إشكال تفلسف، أما هذا فبالجملة مشكلة معرفة). لكن نقد العقل المحض هو الذي سيحلّ في النقدية الترنسندننتالية محلّ خطّة فنومينولوجيا عامة.

إنّ الحاصل من ذلك هو أنّ مفهوم «الفنومينولوجيا» يبدو أنّه قد استقرّ ضمن العبارة الفلسفية وصار مفهوماً دارجاً نحو سنة 1800<sup>(12)</sup>. في عام 1802 يصدر كارل ليونهارد رايْنهولْد مقالةً في «عناصر الفنومينولوجيا أو إيضاح الواقعية العقلانية من خلال تطبيقها على الظواهر» (Elemente der Phänomenologie oder Erläuterung des Rationalen Realismus durch seine Anwendung auf die Erscheinungen)<sup>(13)</sup>. وزائداً إلى أنّ رايْنهولْد يستأنف فكرة مبحث فنومينولوجي يتقدّم فقه المبادئ والأوائل ويميّز الظاهرة من الظاهر، فإنّه يشدّد على أنّ عماد هذا المبحث الفنومينولوجي إنّما

---

(12) انظر: Schuhmann, «Phänomenologie. Eine begriffsgeschichtliche Reflexion,» p. 37sq.,

وقارن مقدّمة نص الطبعة الأصلية، ص XI وما بعدها من: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Phänomenologie des Geistes*, Hrsg. Johannes Hoffmeister, Philosophische Bibliothek; Bd. 114 (Hamburg: F. Meiner, 1952).

(13) هذه المقالة تمثّل الكراس الرابع من كتاب بعنوان مساهمات في رسم لحال الفلسفة في بداية القرن التاسع عشر، انظر: Karl Leonhard Reinhold, *Beyträge zur leichtern Uebersicht des Zustandes der Philosophie beym Anfange des 19 Jahrhunderts* (Hamburg: [n. pb.], 1802),

والكراس الأوّل من هذا الكتاب لرايْنهولْد هو الذي قام هيغل لمعارضته في كتاب: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Differenz des Fichteschen und Schellingschen Systems der Philosophie in Beziehung auf Reinhold's Beyträge zur leichtern Übersicht des Zustands der Philosophie zu Anfang des Neunzehnten Jahrhunderts* (Jena: Akad. Buchhandlung, 1801),

قارن أيضاً الهامش رقم (10) ص 13 والهامش رقم (14) ص 17-18 من: Rüdiger Bubner, «Problemggeschichte und systematischer Sinn der «Phänomenologie» Hegels,» in: *Dialektik und Wissenschaft* (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1973).

هو التجربة (Die Erfahrung) من جهة ما هي تجربة صادقة تتميز من التجربة الظاهرة أو المتخيّلة أو المعطاة. ويذهب رايهولد في هذا المعنى حدّ أعتبار الفنومينولوجيا «فلسفةً خالصةً في الطبيعة» (reine Naturphilosophie)<sup>(14)</sup>. الجذّة المفهوميّة هاهنا ترجع إلى اقتران مفهوم «الفنومينولوجيا» بالتجربة، لتصير الفنومينولوجيا فقه التجربة. هذا الاقتران المفهوميّ بين الفنومينولوجيّ والتجربة أمرٌ حاسمٌ كما سيبين من مقدّمة فنومينولوجيا الرّوح، وإنّ كان رايهولد ذهب به مذهب الطبيعيات، وهو منحىٌ سيخرج عليه هيغل تماماً، بل ستجدد مقالةً هيغل في فنومينولوجيّة الوعي ذلك التقييد الطبيعيّ للتجربة، ما دامت الطبيعة تعدّم بالجواهر كلّ وجهٍ من وجوه الزمانيّة وكلّ تاريخيّة، وما دام الرّوح يفوت الطبيعة على الإطلاق.

لكنّ المهمّ عندنا هو استقرار مفهوم «الفنومينولوجيا» في السجلّ الفلسفيّ مع رايهولد. هذا الاستقرار المفهوميّ تعزّر مع فيشته لما سمّى الباب الثّاني من مقالته في فقه العلم (Die Wissenschaftslehre) فنومينولوجيا على معنى «فقه الظاهرة والظاهر» (eine Phänomenologie, bzw. Erscheinungs - und Scheinlehre)<sup>(15)</sup> هي التي يخلصُ بمعيتها فقه العلم إلى فنومينولوجيا في المطلق تقطع مع فلسفة الأنا، أو بالأحرى

Reinhold, Ibid., pp. 104 sqq., and 110.

(14)

(15) انظر: Johann Gottlieb Fichte, *Johann Gottlieb Fichte's Nachgelassene Werke*, 3 vols., Hrsg. von Immanuel Hermann Fichte (Bonn: A. Marcus, 1834-35), vol. 2, p. 195.

وهو الجزء الذي يوافق الجزء العاشر من: Johann Gottlieb Fichte, *Johann Gottlieb Fichte's Sämtliche Werke* (Berlin: [n. pb.], 1971), p. 273:

في الدرس XIII يحدّد فيشته هذا التوبيع لفقه العلم (Die Wissenschaftslehre): باب أوّل من الدرس I إلى الدرس XIV غرضه فقه العقل أو فقه الحقيقة، وباب ثان هو باب الفنومينولوجيا من الدرس XV إلى الدرس XXVIII، ويذهب فيشته في هذا الباب الثّاني حدّ إرساء مقالة في «فنومينولوجيا المطلق»، من الدرس XXVI إلى الدرس XXVIII، نعتي الفهم المطلق للواقعة الأنطولوجيّة للمطلق.

تنسخها لترتفع بها إلى مقام «إشراقي» هو مقام التفكير من جهة ما هي «الرؤية المطلقة التي للعقل» التي تنجم عن موضوعية خاصة بها ومن دون أيّ توسيط، وحيث تبين الظاهرة نفسها بما هي «اعتمالٌ ذاتي» (Ein Sichmachen) للعقل المطلق<sup>(16)</sup>. لكن ما دام عرض 1804 لفقه العلم لم يُنشر في مدة فيشته (لم يصدر إلا في 1834)، فإن هيجل لم يكن على الأرجح على علم<sup>(17)</sup> بهذا المنحى الديالكطيق<sup>(\*)</sup> الفارد الذي اتبعته مثاليته فيشته، مع أنه منحى كان يكون من وجوه كثيرة النظر الفلسفي لمقالته في فنومينولوجية المطلق، إذا ما أستثنينا المآل الإشراقيّ البيّن الذي تنتهي إليه فنومينولوجيا المطلق عند فيشته والذي يتنافى مع وجوب توسيط المطلق توسيطات شتى تجعل منه بالجواهر شأن اظهار عند هيجل.

تلك هي بالجملة السابقات النظرية لفكرة «فنومينولوجيا الروح»، وذلك هو تاريخ ربو مفهوم «الفنومينولوجيا» حتى رسوخه عند راينهولد وفيشته. وينبغي أن يكون منا على بال الحاصلان التاليان حتى نقف على معاني فنومينولوجية الوعي والروح عند هيجل. أولهما هو النسخ الفنومينولوجي للمباينة الداريجة والراسخة ما بين الحق والكذب؛ ثمة حرف - هو الظاهر - يتشابك عنده الحق والكذب تشابكاً ديكالكتيقياً من جرّاءه يصير الزلل والوهم عنصر تجربة مكوّنة للوعي أيّما تكوينين. أما الحاصل الثاني فهو المقام المنهجى الذي ينزل عنده المبحث الفنومينولوجي نفسه؛

(16) انظر: المصدر نفسه، ص 380، قارن أيضاً ص 389 وما بعدها.

(17) انظر في هذا الصدد: Rüdiger Bubner, «Problemggeschichte und Systematischer Sinn einer Phänomenologie.» *Hegel-Studien*, vol. 5 (1969), pp. 157 sqq.

(\*) تمت المحافظة على هذه الطريقة في كتابة هذه الكلمة، خلافاً لما هو شائع، تلبيةً لرغبة المترجم الذي رأى ضرورة كتابة «ديالكطيقاً» على منوال «هرمينوطيقاً» أو «طوبيقاً» وما شاكلها، ورأى أنها ترجع كلها إلى اللسان اليوناني حيث تُنقل τ على أنها «ط» (المنظمة).

فالفنومينولوجيا هي بالجواهر شأن طريقة، وذلك ما جعل منها عند المتقدمين على هيغل مبحثاً نقدياً تمهيدياً. وسنرى أنّ فكرة فنومينولوجيا الرّوح لم تنفك تساوق عند هيغل سؤال الطريقة من جهة ما هو في طور ما صنو سؤال البدء في الفلسفة<sup>(18)</sup>، وأنها تقوم - في أحد معانيها - مقام الصدر من نسق العلم نفسه. لكن لا بدّ لنا الآن أن نتعقّب تاريخ تكوّن فكرة فنومينولوجيا الرّوح عند هيغل نفسه حتّى نتحرّى ما به تخرّج على مجرد مقالة في فقه الظاهر.

## 2. تكوينيّة فكرة فنومينولوجيا الرّوح عند هيغل

ثمّة شاغل فلسفيّ بعينه ما أنفك يُشغِب فكرَ هيغل مذ أوّل سنوات تدريسه بإينا، ألا وهو ضرورة وضع نسق جمليّ في الفلسفة، ووجوب أن تتقدّم ذلك النسق فاتحةً محكمةً. أمّا رسم ذلك النسق فيرجع إلى وضع مصنّف يتضمّن المنطق والميتافيزيقا ثمّ فلسفة الطبيعة وفلسفة الرّوح، ويحلّ المنطق و/ أو الميتافيزيقا منه محلّ الفاتحة. لكنّ تدريس هيغل منذ سداسي صيف 1802 للمنطق والميتافيزيقا جعله يسهب في هذه الفاتحة المرسومة حتى صارت باباً مستفيضاً قائماً برأسه. في صائفة 1802 يُعلم هيغل دار كوتا

---

(18) الأكّد أنّ سؤال البدء يتقدّم من حيث هلّه سؤال الطريقة عند هيغل، بل يبدو أنّه السؤال الأعوض لا في طور إينا وحسب، بل في ما سيعقبه من مصنّفات نسقيّة، وبخاصّة *Wissenschaft der Logik* (الجزء الأوّل، الكتاب الأوّل، حيث يصدّره هيغل بالسؤال التالي: *Womit muß der Anfang der Wissenschaft gemacht werden* أي «من أين ينبغي أن يُبدأ العلم؟»)، انظر: Hegel, *Gesammelte Werke*, vol. 11: *Wissenschaft der Logik. Das Sein (1812)*, Neu Hrsg. von Hans Jürgen Gawoll; Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann und Walter Jaeschke, Philosophische Bibliothek; Bd. 375, *Wissenschaft der Logik*; Bd. 1 (Hamburg: F. Meiner, 1986), pp. 35-44.

لكنّ سؤال البدء ليس بالجملة إلّا أحد وجوه سؤال الطريقة نفسه بما هو سؤال الأسئلة في قوام التعيّن الذاتي والحركان الجوّانيّ لتعيّنات المفهوم. في هذا الشأن انظر بخاصّة ص 11 وما بعدها (البدء والحراك الذاتي)، ص 184 وما بعدها (الطريقة بما هي صورة الحراك الذاتي للمضمون) من: Heinz Röttges, *Der Begriff der Methode in der Philosophie Hegels*, Monographien zur philosophischen Forschung; Bd. 148 (Meisenheim am Glan: Hain, 1976).

للنشر<sup>(19)</sup> عزمه على نشر مصنف في المنطق والميتافيزيقا محيلاً إلى  
الدرس الذي كان سيقوم به في السداسي الثاني من العام نفسه<sup>(20)</sup>.  
لكنّ خطة وضع مصنف في جملة علم الفلسفة أو الفلسفة التأمليّة  
«totam philosophiae scientiam, i.e. philosophiam speculativam»  
ستظلّ ساريةً حتى صائفة 1806. والبيّن من ذلك أنّ عزم هيغل على  
نشر مصنف في الفلسفة لم يستقرّ إلى تصوّر بعينه، فبقي على مراوحة  
بين وضع مصنف في المنطق و/أو الميتافيزيقا كان يكون فاتحةً نسق  
الفلسفة وبين مصنف في جميع علم الفلسفة من جهة ما هي نسق  
يتضمّن فلسفة في الطبيعة وفلسفة في الرّوح. إذًا تقالّب هاتين الخطتين  
في النظر عند هيغل إنّما العلة فيه ازدواجُ حرفيّ سؤال البدء في  
الفلسفة في حدّ ذاته، نعني الحرف النقديّ والحرف النسقيّ.

إنّ هيغل في أشغاله بسؤال البدء عقب نشره كتاب الفرق  
(1801)<sup>(21)</sup> كان يقصد إلى معنيين لم يتمكّن في بادئ الأمر من  
أسباب الجمع بينهما ضمنّ خطة نظرٍ موحّدة، نعني النقد والنسق.  
فأختلط المنحى النقديّ بالمنحى التنسيقيّ، بل تقدّم النقديّ على  
النسقيّ في طورٍ أوّل، هو الذي جعل خطة النظر عند هيغل  
تتقالّب بين فكرة بيانٍ (Eine Darstellung) علميّ محايتٍ ونسقيّ  
للفلسفة وبين فكرة بيان تمهيديّ ونقديّ للفلسفة. ورأس الأمر في  
تقالّب هذين المنحيين تفحصُ هيغل لصلة النظر  
التأملي (Die Spekulation) بالتفكّر (Die Reflexion) من جهة كونها

(19) رسالة هيغل بتاريخ 24 حزيران/ يونيو 1802 إلى Cotta-Verlag، انظر  
Hegel, *Briefe Von und an Hegel*, vol. 4, T. 1: من: 86  
*Dokumente und Materialien zur Biographie*, Hrsg. von Friedhelm Nicolin, 1977.  
(20) مخطّط الدرس المقرّر لصائفة 1802: «Logicam et metaphysicam sive  
systema reflexionis et rationis secundum librum sub eodem titulo proditurum...».  
(21) انظر: George Wilhelm Friedrich Hegel, *Jenaer Kritische Schriften*,  
III vols., Neu Hrsg. von Hans Brockard und Hartmut Buchner, Philosophische  
Bibliothek; Bd. 319 (Hamburg: F. Meiner, 1979-1986) vol. I: *Differenz des  
Fichteschen und Schellingschen Systems der Philosophie...*

على الحقيقة صلة الفلسفة نفسها بنفسها التي يجب عنها ضرب بعينه في تدبير التفلسف للكيان الروحي الذي للعصر أو «ثقافة العصر»<sup>(22)</sup>. هذا التدبير الفلسفي لثقافة العصر من جهة ما هي بالجوهر ثقافة تفكير، لا يستقيم للفلسفة إلا إذا تصيرت نقداً يقوِّض ما رسخته عين تلك الثقافة من مقابلات ومتضادات صورية تكاد تعلق - من جراء توطينها - إمكان التفلسف نفسه. لذلك يسعى هيغل في مناظرته للريبيّة المحدثّة إلى تخليص معنى فلسفيّ تليد للريبيّة به يترسخ ذلك المنحى النقديّ للفلسفة، فالريبيّة الحق (أي الريبيّة القديمة من جهة ما هي أغوغية (ἀγωγή)) إنّما تمثل السبيل إلى التفلسف، بل «الدرجة الأولى إلى الفلسفة»<sup>(23)</sup>، أي فاتحها النقديّة. والنقد هاهنا إنّما غرضه الوقوف على نقائض كلّ متناهٍ حتى ينكشف تهافتُه.

«فلا بدّ للبدء في الفلسفة أن يعلو بالفعل الحقيقة التي يتعطاها الوعي المشترك، فيتحمس حقيقة أعلى»<sup>(24)</sup>.

إنّ كشف الريبيّة للنقائض (Das Antinomische) بما هو آية على التغاير متناهيات الوعي الطبيعيّ يجعلها ذات فضيلة منهجية تليد بها تصدر الفلسفة وتقوم منها مقام الفاتحة النقديّة التي تخرج بالوعي على زُيغ تلك المتناهيات عسى يرتفع إلى زاوية النظر التي للعلم.

لكنّ النقد بدلالتيه - دلالة نقد ثقافة العصر ودلالة النقد الريبيّ -

(22) انظر: المصدر نفسه، ص 10-11، الأسطر 23-25.

(23) انظر: Hegel, *Jenaer Kritische Schriften*, vol. II: Verhältnis des

Skeptizismus und Philosophie, Darstellung seiner verschiedenen Modifikationen, und Vergleichung des neuesten mit dem alten, 1983, p. 59, 17.

(24) انظر: المصدر نفسه، ص 59، 18-20: في منزلة الريبيّة من جهة ما هي

فاتحة الفلسفة، انظر أيضاً: Hans Friedrich Fulda, *Das Problem einer Einleitung in Hegels Wissenschaft der Logik*, Philosophische Abhandlungen; Bd. 27 (Frankfurt am Main: Klostermann, 1965), pp. 25-45.



ليس صنو الفلسفة الحقّ، بل هو طريقةٌ يعتمدُها التفلسف لتخليص السبيل إلى التفلسف من حيث يُزيلُ الانفصام الذي يوطئه التفكير بين ظاهرة المطلق وبين جملة التقييدات التي يُظنّ فيها أنّها قائمةٌ برأسها خارج عين تلك الظاهرة<sup>(25)</sup>. إنّ النقدَ منحى يندرج ضمن الفلسفة ما دامت الفلسفة تناظر ثقافة زمانها بما هي ثقافة تفكرٍ صوريّ، فلذلك يُنتج النقد لا محالة وعياً فلسفياً بالعصر، بل يهيئ للتفلسف أسباب قيامه من حيث تتمكّن الفلسفة من مناظرة اللافلسفة<sup>(26)</sup>، لكنّ النقد يظلّ دون النظر التأمليّ من حيث يسوس الظاهر من وجهٍ سلبيّ ونافيّ وحسب، أي من دون أن يطال مقامَ التفلسف نفسه من جهة ما هو مقام النظر التأمليّ، أي مقام النسق.

إنّ البين ممّا تقدّم أنّ اختلاط المنحى النقديّ بالمنحى النسقيّ في أضطلاع هيغل بسؤال البدء في الفلسفة إنّما يرجع في واقع الأمر إلى مفهوم مرگّب، بل مستشكّل للفلسفة نفسها يتغالب فيه اقتضاء الارتفاع والترقيّ إلى مقام التفكير المحض وأقتضاء

(25) انظر: Hegel, *Jenaer Kritische Schriften*, vol. I, pp. 10-11, 2-32:

«لقد انفرد في الثقافة ما هو ظاهرة المطلق وانعزل عن المطلق فترسخ كقائم برأسه. لكنّ الظاهرة لا يمكنها في الوقت ذاته أن تلغي مصدرها، فلا بدّ لها أن تنتزّع إلى إرساء تنوع تقييداتها كلّ...».

Hegel, *Jenaer Kritische Schriften*, vol. II: *Über das Wesen der philosophischen Kritik überhaupt, und ihr Verhältnis zum gegenwärtigen Zustand der Philosophie insbesondere*, 1983.

في هذا المقال (الذي نشره هيغل أولاً في *Kritische Journal der Philosophie*, Band 1, Heft 1, 1802)،

يشدّد هيغل على صلة النقد بفكرة الفلسفة، «فحيثما تمثّل فكرة الفلسفة على نحوٍ حاقٍ، يكون الغرض من النقد أن يوضح النحو والدرجة اللذين تهلّ فيهما فكرة الفلسفة حرّةً جليّةً، وإلى أيّ حدّ تكونت فصارت نسقاً علمياً في الفلسفة» (ص 4، الأسطر 3-7). لكنّ ذلك لا يستقيم للنقد الفلسفيّ ما لم «يضرّب أولاً للظاهر المشوَّش للفلسفة - an der getrübeten Schein der Philosophie vorzüglich zu wenden - فيجثته اجتثاثاً» (ص 4، الأسطر 28-30). وبالجملة فإنّ غرض النقد الفلسفيّ هو تمكّن الفلسفيّ من ظاهرة اللافلسفيّ بما هو ظاهرٌ فلسفيّ (قارن: ص 15، الأسطر 12-39).

إتاء المفهوم المنطقي لعين التفكير وتبريره الموضوعي والنسقي. وسرى (I. 3 و III. 1) أن استشكال مفهوم الفلسفة هذا يطال نسقيّة نصّ فنومينولوجيا الرّوح، ليكونَ أحد أهمّ وجوه تحييره ونكوله. لكنّ غرضنا الآن هو أن نتحرّى هذا التشابك بين النقديّ والنسقيّ من جهة ما هو المنبثُ النظريّ لفكرة فنومينولوجيا الرّوح عند هيغل.

لقد لاح لنا إلى الآن تردّد هيغل (في السنوات الثلاث الأولى من طور إيننا: 1801-1803) بين خطّتي نظريّ متنافرتين، غرضُ الأولى تخليص فكرة الفلسفة من شائبات ثقافة العصر وتوطيد المنحى الريبيّ بما هو أوّل إدراك التفلسف، وهو غرضُ نقديّ تمهيديّ يوظفُ لقيام التفلسف؛ أمّا غرض الثانية فيبان نسقيّ لعين الفكرة. وبان أيضاً أنّ ذلك التردّد بين النقد والنسق صادر عن استشكال فكرة الفلسفة نفسها الذي يلزم عنه تحريّ صلة النظر التأمليّ بالتفكّر. لكنّ الأقطع من هذه المباينة بين المنحى النقديّ والمنحى النسقيّ<sup>(27)</sup> في تقييد سؤال البدء في الفلسفة، إنّما هو خلوصُ هيغل أثناء معالجته لعين السؤال إلى فكرة وجوب وضع مفهوم العلم في حدّ ذاته ضمنَ الخطة المرسومة لدرس المنطق والميتافيزيقا في عام 1801-1802 أو 1802-1803<sup>(28)</sup>. فالمنطق في هذا الطور يناظر شديداً<sup>(29)</sup> ما كان هيغل أفرده في كتاب الفرق من مقامٍ خاصّ بالتفكّر الفلسفيّ. والغرض من المنطق في

(27) وهي مباينة ذات شأن سببياً وقعها متى يكون غرض القول (II. 1) الفنومينولوجيّ المزدوج، نعني فنومينولوجيّ الوعي في تمييزه من فنومينولوجيّ الرّوح.

(28) انظر في شأن تأريخ وتحقيب كتابات إيننا: Heinz Kimmerle: «Dokumente zu Hegels Jenaer Dozententätigkeit (1801-1807),» and «Zur Chronologie von Hegels Jenaer Schriften,» *Hegel-Studien*, vol. 4 (1967).

(29) انظر في ذلك: Wolfgang Bonsiepen, *Der Begriff der Negativität in den Jenaer Schriften Hegels*, *Hegel-Studien*; Beiheft 16 (Bonn: Bouvier, 1977), pp. 32-37, 181 sqq., and Johann Heinrich Trede, «Hegels frühe Logik (1801-1803-04). Versuch einer systematischen Rekonstruktion,» *Hegel-Studien*, vol. 7 (1972), pp. 123-168.

هذا الطور إنما هو - مثله مثل التفكير الفلسفي - أن يجاوز متصادات التفكير المجرد ويوظف للفلسفة الحق من حيث يبسط السبيل الموصلة إلى زاوية النظر التأملي. لكن علينا هاهنا ألا نسمع هذه التوطئة المنطقية للعلم على معنى نقدي - تمهيدي، لأن المنطق في هذا الطور صار توطئة للعلم تكون في حد ذاتها علمية وتأملية من جهة أنها ترفع الفكر المتناهي إلى الفكر اللامتناهي، فتسخره وتسوقه إلى مقام العلمية الصرفة. في هذا الموضوع على التدقيق تتقيد صلة المنحى النقدي بالمنحى النسقي في صياغة هيغل لفكرة فاتحة لنسق الفلسفة غرضها بيان الفلسفة من جهة ما هي علم، فينتسخ تقديم النقدي على النسقي العلمي ويرتفع في ذات الآن إعضال اختلاط المنطق بالميتافيزيقا. لقد أمسى المنحى في جملته منحى فلسفياً أولانياً، رأس الأمر فيه هو الوقوف على الأول (Das Erste) في التفلسف ذاته، أي البيان العلمي للفلسفة من جهة ما هي علم أو نظر تأملي. فالفاتحة لم تعد مجرد مدخل نقدي سالب، بل لا تكون فاتحة نسق العلم ما لم تك على عين العلمية التي لهذا النسق. على هذا المعنى ستسمى فنومينولوجيا الروح الفاتحة العلمية لنسق العلم أو جزءه الأول. بالتالي حروف سؤال البدء في الفلسفة تتعين حينئذ من جهة وجوب تحصيل زاوية النظر الفلسفية والعلمية، أي من جهة تحري كون العلم علماً<sup>(30)</sup>.

---

(30) هذه الزاوية الجديدة من النظر (زاوية تحصيل (Das Gewinn) العلم من جهة كونه علماً، لا من جهة رسمه المجرد) ستسمح لهيغل بتكرير التعاطي مع ظاهر التفلسف، لا من جهة وجوب نقضه أو إجتائه، بل من حيث إن ذلك الظاهر يمثل الإمكان الجواني للتفلسف نفسه. فظاهر التفلسف ليس آخر الفلسفة الذي كان يكون قائماً برأسه خارجها، وإنما هو تصير الفلسفة نفسها ظاهرة علم. ما تتعقبه الفلسفة في ظاهر التفلسف (الذي سيكون في فنومينولوجيا الروح ممثلاً في الوعي غير العلمي) ليس تقويض ذلك الظاهر أو حملته على العلم، بل إمكانها الخاص من جهة ما هي علم. *قارن: Bubner: Dialektik und Wissenschaft, and «Problemgeschichte und systematischer Sinn der Phänomenologie Hegels,» pp. 9-43.*

إنّ الممايزة بين المنطق والميتافيزيقا، وانتساخ تقديم النقد على النسق، ورسوخ المنحى الفلسفي، تمثل مجتمعةً السياق النظريّ الذي ستنتجم ضمنه فكرة فنومينولوجيا الرّوح عند هيغل. أمّا اللّحظة الحاسمة في ذلك المساق الفلسفيّ فهي تلك التي أستوضع فيها هيغل فكرة الرّوح. إنّ أحد أ جذر التحوّلات النظرية في طور إيننا كلّهُ هو ذلك الذي يتعلّق بإرساء فلسفة الرّوح من جهة ما هي فلسفة الوعي. في سداسي شتاء 1803-1804 يشتغل هيغل على إنجاز بيان تامّ لنسق الفلسفة التأمليّة: *Philosophiae speculativae systema, complectens a) Logicam et b) Metaphysicam sive Idealismum transscendentalem c) philosophiam naturae et c) mentis* (31). ما يلوح من مخطوط هذا الدرس هو أنّ الرّوح (Der Geist) قد صار بالفعل المقولة الأمّ لجملة نسق الفلسفة من جهة أنّ الجوهر - الطبيعة قد انتسخ تماماً ضمن الجوهر - الرّوح، فالمطلق لم يعدّ وحدةً جوهريةً سيّانيةً، بل أمسى بالجوهر روحيّةً مظهرّةً. إذاً نسق الفلسفة في هذا المنقلّب النظريّ لطور إيننا أمسى نسق الرّوح: فأما المنطق / الميتافيزيقا فتشتغل على الرّوح بما هو جوهر مطلق تعدّل كينونته صيرورته، أي الرّوح بما هو فكرة. وأمّا الطبيعيات فتقف على كون ذلك الجوهر المطلق غير نفسه، أي الرّوح من حيث لم يتصيّر بعدُ الرّوح أو كونه واحداً

(31) انظر: Kimmerle «Dokumente zu Hegels Jenaer Dozententätigkeit (1801-1807)», pp. 54 sqq.

هذا البيان لنسق الفلسفة التأمليّة لم تصلنا منه إلا جملة مخطوطات مخرومة تتعلّق بالجزئين الثاني والثالث من النسق، أمّا النصوص الخاصّة بالجزء الأوّل فقد فقدت. وهذا النسق هو الذي نشره أولاً هوفمايستر من وجه الخطأ على أنّه نسق فلسفة الحقيق (*Jenaer Realphilosophie*) ثم صدر في نشرة نقدية تحت عنوان: *Jenaer Hegel, Gesammelte Werke, vol. 6: Jenaer Systementwürfe I Systementwürfe I. Das System der spekulativen Philosophie*, Neu Hrsg. von Klaus Düsing und Heinz Kimmerle, Philosophische Bibliothek; 331 (Hamburg: F. Meiner, [1975]).

بإطلاق. وأما فلسفة الرّوح فغرضها الرّوح من جهة ما هو وعي أو جوهرٌ حاقٌ يصير من الوعي الفرديّ إلى الوعي المطلق بما هو جملةٌ تعيّنات ذاتيّة متمفصلة<sup>(32)</sup>. لكنّ تشديد هيغل على تقييد المنطق الجوّانيّ لتلك الصيرورة ووجوب الوقوف على وجوه الفعل التي للرّوح من حيث لا يستوضع نفسه إلّا في فعّاله وتفعّلاته، هو ما يجيز لنا القول إنّ هذه «الرّوحيات» تمثّل السابقة الفلسفيّة الرئيسيّة لما ستذهب فيه فنومينولوجيا الرّوح من تقييد علميّ لأظهارات الرّوح أظهاراً أظهاراً. إنّ فلسفة الرّوح التي صنّفها هيغل في 1803-1804 تمثّل لحظة هيلٌ فكرة فنومينولوجيا الرّوح نفسها. ولعلّ ذلك هو العلة في تأكيد كارل روزنكرانس أنّ هيغل كان عقد العزم منذ 1804 على إصدار فنومينولوجيا في الرّوح<sup>(33)</sup>. ويتعرّز ذلك الهلُّ في مخطوط درس سداسي شتاء 1804-1805 في المنطق والميتافيزيقا والطبيعيّات. فهيجل يباين في ذلك المخطوط لأوّل مرّة بين زاوية نظر العلم وبين زاوية نظر الوعي، بل يلوّح<sup>(34)</sup> بما سيصير من بعد ذلك خيطاً ناظماً لتجارب الوعي، نعني الفرق بين ما هو بالنسبة إلى الوعي (Für es) وبين ما هو بالنسبة إلينا (الفيلسوف) (Für uns). وعليه فأوّل إحالة إلى مقالة في الوعي - وإنّ كانت لم تنفصلُ بعد عن غرض المنطق/ الميتافيزيقا بالجملة - ترجع على التدقيق إلى تاريخ

Hegel, *Jenaer Systementwürfe I*, pp. 280, 267.

(32)

(33) انظر الهامش رقم (1)، ص 11 من هذا الكتاب.

(34) انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Gesammelte Werke. Band. 7. Jenaer Systementwürfe II*, Hrsg. von Rolf-Peter Horstmann und Johann Heinrich Trede (Hamburg: F. Meiner, 1971), p. 111, 24-25:

هيغل يشدّد في هذين السطرين على أنّ تمارّ المفهوم في تصيّره مغايراً إمّا هو من تفكرنا نحن (الفيلسوف) (unsere Reflexion)، بالتالي فالمعالجة الديالكتيقيّة (die dialektische Behandlung) ترجع إلى النحن/ الفيلسوف وليس إلى المضمون الموضوع. وهذا المضمون لن يكتسب تفكّره في نفسه إلا عند منتهى المنطق. قارن: المصدر المذكور، ص 112، الأسطر 21-22؛ ص 120، الأسطر 15-21؛ ص 123، الأسطر 23-30؛ وبخاصّة: ص 126، الأسطر 2-19.

هذا المخطوط (1803-1804). في السنة نفسها نجد في  
ضميمة لمخطوط في المنطق والميتافيزيقا والطبيعيّات تلويحيّين  
(Fragment zweier Anmerkungen) في فاتحة النسق الفلسفيّ،  
التلويح الثاني يتحدّث فيه هيغل عن التجربة وموضوعها، والأرجح  
أنّه يحيل في هذا الموضوع إلى مقالة في الوعي الذي يتعلّق تجربة  
نفسه بنفسه<sup>(35)</sup>.

لكنّ عنوان فنومينولوجيا الرّوح لن يظهر إلّا في سداسي  
شتاء 1806 حيث يقيّد هيغل رسم الكتاب الذي سيصدره على  
النحو التالي: «Logica et metaphysica sive philosophia =  
speculativa, praemissa Phaenomenologia mentis ex libri sui =  
System der Wissenschaft, proxime proditura parte prima..» في  
هذه الخطة يترسّخ الرّبط بين المنطق والميتافيزيقا من حيث  
إدراجهما في الفلسفة التأمليّة بما هي نسق العلم، ويُشهر هيغل  
لأوّل مرّة بفكرة فنومينولوجيا الرّوح بما هي الجزء الأوّل من عين  
النسق.

وفي الجملة فإنّ تكوّن فكرة فنومينولوجيا الرّوح عند هيغل  
يمتدّ طيلة الطور الذي يفصل الكتابات النقديّة وبداية كتابة هذا  
الأثر في تشرين الأوّل/ أكتوبر 1805. لكنّه - كما هو بيّن بنفسه  
مما تقدّم - تكوّن مرّكبٌ تتشابك فيه أوضاعٌ نظريّةٌ متنافرة. إنّ  
تكوينيّة فكرة فنومينولوجيا الرّوح تساوق أولاً نشاط التدريس الذي  
كان يقوم به هيغل في جامعة إيينا، بل إنّها تجد منبتاً نظريّاً في  
المنزلة النسقيّة التي كان يحتلّها المنطق (في أختلاطه بالميتافيزيقا

---

(35) نصّ الضميّة الثانية ضمن: Hegel, *Jenaer Systementwürfe II*, pp. 343-347.

أما الموضوع الذي يشغلنا من هذه الضميّة فهو: إضافة هيغل على هامش السطر  
22، من الصفحة 346، الجزء الثاني (ب) من التلويح الثاني حيث ينتهي هيغل إلى  
تمييز التجربة الخالصة التي في - الحال من التجربة المفهومة.

أولاً، ثم في ارتباطه بها ثانياً داخل الفلسفة التأملية) ضمن النسق: فنومينولوجيا الروح من حيث أنتجائها إنما هي انتساح نسقي مفاجئ (لم يكن في الحسبان) للمنطق بما هو التوطئة العلمية لنسق الفلسفة برمته. لكن فكرة هذا الانتاج ترتبط ثانياً بالأفق النظري الذي استوضعه الكتابات النقدية في السنتين الأوليين من طور إينا، نعني التقييد النقدي لفكرة الفلسفة. فمقالة هيغل في فنومينولوجية الوعي غير العلمي ما كانت لتتوحد إلا عبر المباينة بين النقد والنسق ثم نسخ تقديم المنحى النقدي على المنحى النسقي، بل تبطن النسق للنحو النقدي نفسه. أما معقد هذه السيرورة النظرية لتكون فكرة فنومينولوجيا الروح فإنما هو تشديد هيغل على إعادة صياغة حروف سؤال البدء في الفلسفة على معنى وجوب أن تبدأ الفلسفة من نفسها، وألا ترى في ظاهرها طرفاً مغايراً لها كان يكون خارجاً عليها بإطلاق، بل أن تتدبر اللافلسفي من جهة ما هو ظاهرتها التاريخية الأخص حيث يستقيم لها إمكان تحققها. إن منقلب التفلسف الذي تعينت بفضلها الفكرة التي نتفحص يرجع إلى نسخ لزوم مناظرة الفلسفة لثقافة زمانها ضمن لزوم تدبير الفلسفة تديراً منطقياً لحروف سؤالها عن عنصرها حتى لا تبتدئ إلا من فكرة الفلسفة نفسها<sup>(36)</sup>. وعليه فالمنبت المنطقي الحق لفكرة فنومينولوجيا الروح إنما هو ذلك الضرب الذي خلص إليه هيغل في معالجة مفهوم الفلسفة نفسه، حيث يتصير منحى النظر فلسفياً بالجوهر، فتمسي الفاتحة المرتقبة لنسق العلم في حد ذاتها علماً. وتلك هي العلة في العنوان المزدوج لأثر 1807: «علم تجربة الوعي» و«علم فنومينولوجيا

(36) على هذا المعنى بالضبط يُشيد هيغل «ببراء سينوزا الذي يبدأ الفلسفة من

الفلسفة نفسها»: «Jene Einfalt Spinozas, welche die Philosophie mit der Philosophie selbst anfängt Hegel, Jenaer und Schellingschen Systems der Philosophie... انظر: (ص 23)، Kritische Schriften I, p. 26, 27-28.

الروح»، لأن رأس الأمر في هذا وذاك إنما هو الفلسفي من حيث يسكن الوعي غير العلمي كما من حيث يمتحن أوساعه المنطقية في قراءة تشكلات الروح وعوالمه. إن أقطع ما يلوح من تكوينية فكرة فنومينولوجيا الروح صورة تفلسف ما انفك يمترس أسطقسه ويتعنى الإلمام بأسبابه ويجاهد في الوقوف على شرائطه الجوانية، أي تفلسف ما انفك يصير إلى الفلسفة ويتنزع إلى قضائها. فلذلك يُؤاينُ تكوينُ أثر 1807 تكوينِ العنصرِ الديالكتيقيِّ نفسه<sup>(37)</sup>. كلاهما اقتضى من الهيجلية أن تخبر نازلة التفكير وتتكد صروفه من مناظرة وتكرير وتقلب وتحيير، لكن بذلك أيضاً انقلبت الهيجلية

(37) إن منقلب التفلسف الذي يعاصره نجم فكرة فنومينولوجيا الروح عند هيغل هو على التدقيق إنقلاب نظري في التدبير الفلسفي للسلبى برأسه (Das Negative als solche). فهيجل في أول طور إينا لم يكن يمتلك ناصية الديالكتيقا، بل تملكها قليلاً قليلاً. لذلك بدأ تدبير السلبى من وجهين متساوقين، التشديد أولاً على الفضائل المنهجية للرببية الفلسفية القديمة وتخليصها مما آلت إليه من شناعات مع شولتسه وكروغ، حتى يكون التدبير الرببي للنقائضي توطئة نقدية للتفلسف، وترسيخ وجوب مناظرة ثقافة العصر - ثانياً - مناظرة نقدية تقف على زئغ الذهن وفساد تنهياته النظرانية، بل تذهب حد تبطن اللافلسفي نفسه. إذا زاوية نظر الديالكتيقا وإبالة السلبى من جهة ما هو سيرورة وضع موجبة قوامها النسخ الجواني والمحايت بإطلاق وحفظ المنسوخ ضمن الناسخ أو المنتسخ، لم تتولدا على الحقيقة إلا في دروس 1804-1805 كما يبين من «الجريدة المدرسية لأكاديمية إينا 1741-1814» *Catalogi scholarum in Academia Jenensi 1741-1814*.

انظر في هذا الشأن ص 106 وما بعدها: في الديالكتيقا بما هي توطئة تنتمي إلى المنطق، ص 179-182 في النفي المتعين ونفي النفي من حيث هما عصب الديالكتيقا في: Klaus Düsing, *Das Problem der Subjektivität in Hegels Logik: Systematische und entwicklungsgeschichtliche Untersuchungen zum Prinzip des Idealismus und zur Dialektik*, Hegel-Studien; Beiheft 15 (Bonn: Bouvier, 1976). رأس الأمر في ما يذهب إليه دوزنغ هو ارتباط تطور فكرة الديالكتيقا بتطور مقالات هيغل في المنطق في طور إينا؛ قارن: Rolf-Peter Horstmann, ed., *Seminar, Dialektik in der Philosophie Hegels*, Suhrkamp Taschenbücher Wissenschaft; 234 (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1978).

وبخاصة: Hans Friedrich Fulda: «Unzulängliche Bemerkungen zur Dialektik», pp. 33-69 and «Hegels Dialektik als Begriffsbewegung und Darstellungsweise», in: Horstman, Ibid., pp. 124-174.



في التكوينين منقلب تفسلف مُفرد، هو في فنومينولوجيا الروح انقلاب عين، خاتمة طورٍ وفاتحة أطوار.

### 3. نصّ فنومينولوجيا الروح

إنّ نصّ 1807 نصّ متحيرّ بالجوهر؛ إنه متحيرّ حدّ تقلّبه في تقييد عنوانه وغرضه وفهرسته. والعلّة في ذلك أنه نصّ أطوار، بل نصّ متصيرّ في حدّ ذاته (صيرورة غرضه نفسها)، وليس البتّة نصّاً موقوفاً على خطّة مرسومة قبلياً بدقائقها لم يكن لهيغل إلا أن يحكم نجزها خطياً. فنصّ فنومينولوجيا الروح لم يكتب ولم يطبع دفعة ولا في مدّة متجانسة. ربّ نصّ هو حصيدٌ صيرورةٍ وغمارٌ كتابية.

في رأس شهر أيار/ مايو من سنة 1807 يكتب هيغل رسالةً إلى شلنغ يُخبره فيها بأنه سيرسل له في زمنٍ قريبٍ نصّه الذي نشر للتوّ:

«لقد فرغت للتوّ من كتابي؛ لكنّ في توزيع النسخ على أصدقائي يتجلّى عينُ الاختلال الذي استبدّ بالطبع والنشر، بل طال في شطرِ التأليف نفسه. (...). إني أتطّلع إلى ماذا ستقولُه في هذا الجزء الأوّل الذي يمثل في الأصل الفاتحة، - لأنّي لم أتعدّ بعدُ الفاتحة، فلم أنفذُ بعدُ في الأمر برأسه (in mediam rem). إني أعني بأنّ الاشتغال على الجزئيات قد أضرّ بالنظر العامّ في الكلّ، لكنّ هذا الكلّ نفسه هو من حيث طبيعته حركانٌ شديدٌ لأفكار تتشابك شديداً، حتّى لو كان أخرج من وجهٍ أحسن لاقتضى ذلك مزيداً من الوقت ليصير أوضح وأكمل».

ويقرّ هيغل لصاحبه بأنّ الكثير من أبواب المصنّف في حاجةٍ ماسّة إلى إعادة النظر فيها والاشتغال عليها، ويطلبه بأن يكون حليماً

إذا ما لاح له شيء من الفساد في كتابة الفصول الأخيرة، مبرراً ذلك بقوله إنه قد فرغ من وضع نصّه قبيل اندلاع معركة إيننا<sup>(38)</sup>.

إنّ البين بنفسه من هذه الرسالة أنّ هيغل ذاته قد وقف بُعِيدَ نشر أثر 1807 على وجوه الاختلال (unselige Verwirrung) التي طالت طبعه ونشره وإخراجه، بل حتّى تأليفه. وعليه فنصّ 1807 هو على الحقيقة نصّ محنة فلسفية لا قرار له إلاّ بعض حركاتٍ شديد لأفكارٍ متصالبةٍ شديداً يزمّلها التوسّع في الجزئيات والاستغراق في الاستتبعات حدّ الغاية. لكنّ هذا الوضع «الهرمينوطيقيّ» لنصّ فنومينولوجيا الروح إنّما يلزم عنه السؤال التالي: هل كان هيغل يمتلك تماماً ناصية مصنّفه النسقيّ؟ بل ما هي على التدقيق فكرة فنومينولوجيا التي كان هيغل يُقصدُ إليها؟ ولا عجب أن تكون المباحث الهيجليّة قد استأنفت النظر منذ 1807 لا من وجه تكرير مقالاته، بل على سبيل النظر في اتّساق قوامه المنطقيّ ووثاقه فكرته من النسق الهيجليّ نفسه<sup>(39)</sup>. والتحرير في الإلمام بمعنى نصّ 1807 لم يطرأ متأخراً في الدراسات

---

Hegel, *Briefe Von und an Hegel*, vol. 1, 1785-1812, pp. 160-161., (38)

(39) انظر في هذا الغرض: Rüdiger Bubner: *Dialektik und Wissenschaft*, and «Problemggeschichte und systematischer Sinn der Phänomenologie Hegels,» pp. 9-43; Hans Friedrich Fulda, «Zur Logik der Phänomenologie,» in: *Materialen zu Hegels «Phänomenologie des Geistes»*, Hrsg. Dieter Henrich, Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 9 (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1973), pp. 391-425; pp. 7-41; Jean-Pierre Labarrière, *La Phénoménologie de l'esprit de Hegel: Introduction à une lecture*, collection analyse et raisons (Paris: Aubier - Montaigne, 1979); Pierre Livet, «La Dynamique de la «phénoménologie de l'esprit,»» *Archives de philosophie*, vol. 44 (octobre-décembre 1981) pp. 611-635; Otto Pöggeler: «Zur Deutung der Phänomenologie des Geistes,» *Hegel-Studien*, vol. 1 (1961), pp. 255-294, and «Die Komposition der Phänomenologie des Geistes,» *Hegel-Studien*, vol. 3 (1966), pp. 27-74; Bruno L. Puntel, «Hegel Heute. Zur «Phänomenologie des Geistes,»» *Philosophisches Jahrbuch*, vol. 80 (1973), pp. 133-160, and Robert Stern, *G. W. F. Hegel: Critical Assessments III*, 4 vols. (London; New York: Routledge, 1993), pp. 17-217.

الهيغليّة، بل أصاب أصحاب هيغل ومعاصريه ومؤرخيه الأولين، ومثاله ما يذهب فيه كارل روزنكرانس من القول إنّ هذا النصّ الجليل - من حيث لم يعلم هيغل في طورَي هايدلبرغ وبرلين كيف ينزله من النسق الموسوعي للفلسفة - إنّما هو آية على «أزمة فنومينولوجيّة» ألّمت بالنسق الهيغليّ نفسه إلى حدود 1807<sup>(40)</sup>. ونعلم ما آل إليه الأمر في تحيّر شراح هيغل في المؤتمر الهيغليّ الثالث بروما لما أشهر تيودور هيرنغ بأنّ نصّ 1807 هو نتاج «قرار مفاجئ جدّاً» وأنّ إخراجَه على الصورة التي نعرف هو حاصل تقلّبات وتبدّلات طالت المضمونَ نفسه، وأنّ ذلك كلّه يجعل منه نصّاً على نصّ (Ein Palimpsest)، بل نصّاً ينسخُ نصّاً<sup>(41)</sup>.

(40) انظر ص 201، 202، 204، و 206 من: Rosenkranz, Georg Wilhelm *Friedrich Hegel's Leben Beschrieben Durch Karl Rosenkranz Supplement zu Hegel's Werken, Mit Hegel's Bildniss, Gestochen von K. Barth.*

Theodor Haering, «Die Entstehungsgeschichte der Phänomenologie (41) des Geistes,» in: B. Wigersma, ed., *Verhandlungen des dritten Hegelkongresses in Rom.* (Tübingen: Haarlem, 1934), pp. 118-138.

ص 119 وما يليها يكتب هيرنغ ما يلي: «لم تتكوّن الفنومينولوجيا على نحو عضويّ وحسب خطةً مفترّقة بإحكام أعتمِدت طويلاً وانطلاقاً من التطوّر الفائق لهيغل، بل هي نتاج قرار مفاجئ جدّاً اتّخذ من جرّاء ظروف جوائيه وبرائيه وفي وقت قصير جدّاً، فكتبت مقطعاً بعد مقطع بحسب ما كان يُرسل به إلى الطبع أولاً، فلم يظَلّ مقصّدها دائماً هو هو. والآكد أنّ تلك هي الحال حتّى إنّ ليس العنوان وحسب، بل المضمون نفسه وامتداد الأثر لم تصرّ كلّها إلى ما نعرفه اليوم إلاّ أثناء الطبع». وإذا كان هيرنغ يرى، في نصّ 1807 نصّين متناسخين، فالعلّة في ذلك أنّه على يقين من أنّ نصّ هيغل كان في البدء مجرد فاتحة لنسق العلم، وصار فجأة جزءه الأوّل. لكنّه لم يقف على استشكال نصّ 1807 في حدّ ذاته من جهة أنّه يحتمل في ذات الآن كونه فاتحة نسق العلم وجزءه الأوّل، بل البيان العلميّ لجملة نسق الفلسفة كما يتأكد من نصّ الاستهلال. فلا ضير في أن يكون نصّ 1807 نصّين أو نصوصاً مركّبة تتصالب شديداً، ما كان ممّا على بال أنّه بالجواهر نصّ صيرورة تفكير لا تتناهى فيه الصيرورة مع جادة المفهوم ولطافة السيرورة. قارن معارضة أ. بوغّيلر لمقالة هيرنغ، وبخاصّة بيان فسادها من وجه فلولوجي، في: O. Pöggeler, «Zur Deutung der Phänomenologie des Geistes,» II, §§ 2-11.

لكنّ الغرضَ الرئيس في هذا الموضوع هو أن نقف على الطبيعة الفلسفية التي لنصّ 1807. فالتحير هاهنا ليس صفةً لاحقةً تحلّ بالقراءة فتذهب بها كلّ مذهب، بل هو حال النصّ في حدّ ذاته. وليس ذلك طعنًا في وحدته المتصيرة ولا جحوداً لصورته الصارمة. إنّما الإقرار بتحير نصّ فنومينولوجيا الرّوح سعياً إلى النفاذ في منطقهِ الجوّانيّ الذي يختصّ به من دون بقية المصنّفات الهيجلية. وسنقف على ثلاثة وجوه لهذا التحير: العنوان والفهرست والمضمون.

لنصّ 1807 عنوانان: «I. علم تجربة الوعي (I. Die Wissenschaft der Erfahrung des Bewußtseins)» و«الجزء الأوّل: علم فنومينولوجيا الرّوح (Erster Teil: Wissenschaft der Phänomenologie des Geistes)». لذلك نجد مجموعةً من النسخ لا تحمل إلّا العنوان الأوّل، ومجموعةً أخرى تحمل العنوانين، ومجموعةً ثالثةً لا تحمل إلّا العنوان الثاني، فبعد أن أمر هيجل بطبع العنوان الأوّل، فسّخه من بعض النسخ المطبوعة وأستبدله بالعنوان الثاني. ولكنّ العنوان الأوّل لم يُفسخ من جميع النسخ، فلم يُستبدل تماماً بالثاني. هل العلة في ذلك أنّ الناشر لم يأتزم بما طالبه به هيجل أم أنّ الأمر يتعدّى هذا المُعطى الدكسغرافي؟ الأكّد أنّ مساوقة العنوانين تلوّح بصيرورةٍ تتعلّق بفكرة فنومينولوجيا الرّوح نفسها: لقد صارت تلك الفكرة من فنومينولوجية الوعي إلى فنومينولوجية الرّوح صيرورةً ألزمت هيجل بتغيير العنوان أثناء الكتابة والطبع. وعليه فرأس السؤال عندنا ليس من قبيل تبرير هذا الوضع الملتبس بظروف الكتابة والطبع (تبريراً بيوغرافياً)، بل الوقوف على الضرورة المنطقية التي جعلت فكرة فنومينولوجيا الرّوح تربو وفق ذلك التمارّ من مقام الوعي إلى مقام الرّوح، ولن يتيسّر لنا ذلك ما لم نقف على المبنى المنطقيّ لنصّ 1807 ثمّ على علاقة فنومينولوجية الوعي بفنومينولوجية الرّوح حتّى ندرك

معنى تقالبهما ووجوب انتساخ الأولى في الثانية (II. 1. 2). إذا تحيّر عنوان نصّ 1807 وتقلّبه بين عنوانين ينضويان رغم تقالبهما ضمنَ عنوان رئيس: «نسق العلم» (*System der Wissenschaft*) إنّما هو بالجواهر من شأن صيرورة النصّ نفسه، وهذا أمر لا يُدرَك من وجه تقطع مراحل الطباعة التي دامت أكثر من عام، بل سئى أنّه لا يتنافى البتّة مع نسقيّة مسارات التعيّن الفنومينولوجي للوعي والروح. وليس العنوان في ما يتعلّق بفنومينولوجيا الروح مجردَ علامة برّانية تلحق المضمون أو تلوّح به على سبيل الإشارة الصوريّة إليه. إنّما العنوان نكتة نصّ ومعقّد عبارته، بل حرف كيانه الشكيلي<sup>(42)</sup>. ثمة إذاً في حالة فنومينولوجيا الروح تصادٍ جوهريّ بين عنوان النصّ وغرضه، بل العنوان في نصّ 1807 على شركةٍ منطقيّةٍ بالغرض الفنومينولوجي نفسه، يدوّل بدوّله ويتفصّد بأنفصاده<sup>(43)</sup>. فلذلك يتعدّى التحيّر العنوان ليطل المضمون الفلسفيّ نفسه في تنظّمه وفهرسته.

(42) الأكّد أنّه قلّمَا تطرّح مسألة العنوان في الفلسفة: على أيّ معنى يُسمَع العنوان في نصوص الفلسفة؟ وكيف يعثّر النصّ في هذا الذي به يعنّ يظهر من ناحيته ويعترضنا من قبل اجتياب النصّ نفسه؟ ما حيلة العنوان من جهة ما هو اسم النصّ أو وجهه الأخصّ في أن يستغرق هيولانيته؟ كيف يتمّ تصريف عنوان ما ضمن أنفاسٍ عنونةٍ متراكبةٍ تُنهكُه فقرة فقرةً وفصلاً فصلاً وباباً باباً...؟

إنّ نصّ فنومينولوجيا الروح مثلاً فاردّ على سؤال العنوان: عنوان مضاف علم تجربة الوعي ينتسخ داخل عنوان مضاف علم فنومينولوجيا الروح ضمن عنوان رئيسٍ نسق العلم يحتمل مطلوبين منفصّمين. ربّ عنوان طالع ماهية فلقيةٍ وجوهريّ متحيّر.

(43) إنّ انفصامَ عنوان *Die Titelverschiebung* نصّ 1807 ليس مجرد إبدال عنوان *Eine Titeländerung* كما يذهب في ذلك هايدغر في: Martin Heidegger, «Erläuterung der «Einleitung» zur Hegels Phänomenologie des Geistes,» in: *Hegel, Gesamtausgabe III; Bd. 68* (Frankfurt am Main: V. Klostermann, 1993), pp. 65-66,

ولا مجرد ازدواج حادث، بل هو تفصّم أو تفصّد (Ein Zwiesel) مثله مثل الشجرة ذات الجذعين اللذين يتغذيان من المعرق نفسه. قارن: Pöggeler, «Die Komposition der Phänomenologie des Geistes,» p. 395.

إنَّ نصَّ فنومينولوجيا الرُّوح منضدٌ من حيث مضمونه بحسب فهرسين متنافذين يتساوقان في الصفحات التي تلي صفحة العنوان (2أ، ب، ج، د)، لكنَّ التقديم الجوانبي لفصول النصِّ يلوح بفهرست دون الآخر. أمَّا الأوَّل فقد جاء بحسب تبويب يتَّبَع الحروف الأبجدية: أ. الوعي، ب. الوعي - بالذات، ج. أ. أ. العقل، ب. ب. الرُّوح، ج. ج. الدين، د. د. العلم المطلق، أي بالجملة ستة أطوار. وأمَّا الفهرست الثاني فمُدْرَج تحت الأوَّل وجاء بحسب الترقيم الروماني: I. الإيقان الحسيّ، II. الإدراك الحسيّ، III. القوَّة والذهن، IV. حقيقة الإيقان من الذات، V. إيقان العقل وحقيقته، VI. الرُّوح، VII. الدين، VIII. العلم المطلق، أي بالجملة ثمانية أطوار. ما حيلة نصِّ في أن يسوس فحواه بحسب خطّتين متباينتين، خطّة في ستة أطوار وثانية في ثمانية أطوار؟

إنَّ البين من ذلك أنَّ نصَّ فنومينولوجيا الرُّوح يتراوح من حيث نظامه الداخلي بين فهرستين رئيسيتين، فهرسة يلوِّح بها هيغل ضمن النصِّ<sup>(44)</sup> وتعتمد التشكّلات (Die Gestaltungen) الستة العامة لمسار النموِّ الفنومينولوجيِّ للوعي، وفهرسة تشرحُ بعض اللحظات التي تنضوي تحت تلك التشكّلات، نعني على التدقيق اللحظات الثلاث الأولى التي تنتمي إلى تشكّل الوعي. إذاً الفرق بين الفهرستين هو أنَّ هيغل يعتمد في الأولى أصل التشاكل الجوانبيِّ بين أشكال واظهارات جزئية للوعي تجتمع على بنية فنومينولوجية واحدة (ومثال ذلك تشكّل الوعي الذي ينطوي على

(44) انظر فاتحة طور الدين: «... التشكّلات التي تباينت إلى الآن كوعي ووعي - بالذات وعقل وروح...» (ص 663 من هذا الكتاب)؛ قارن مع الصفحات التي توطىء لطور الرُّوح (ص 469 من هذا الكتاب). فالنصِّ في داخله لا يعتمدُ إلاّ الفهرسة الثانية، تلك التي تتبّع الترقيم الرومانيِّ لأطوار ثمانية. أمَّا الفهرسة الأولى فلا تظهر إلاّ في الفهرست، بأستثناء الموضوعين اللذين قيّدنا أعلاه.

الإيقان الحسي والإدراك الحسي والذهن والقوة)، في حين يبسط في الفهرسة الثانية إنباءً تباينياً يشدد من خلاله على أن اللحظات الفنومينولوجية الخمس الأولى هي الأصل من جهة أن رأس الأمر يكمن في ما يدول بين الوعي وبين الوعي - بالذات، أي على التدقيق في تصير الوعي موضوع نفسه وأشكال ذلك التصير. وعليه فالفهرستان تقدّمان إمكاني قراءة متصلبين لصيرورة الوعي: قراءة أولى (سرعان ما باتت دارجة)<sup>(45)</sup> ترى في طور العقل المنقلب الفنومينولوجي الرئيس لتلك الصيرورة، وقراءة ثانية تقف على أصل عين الصيرورة من حيث هو تمارّ الوعي في الوعي - بالذات.

لكنّ رأس الأمر في الفهرستين كليهما هو أن الإلمام بصيرورة أشكال الوعي لا يتيسر البتة من جهة اتّباع تلاحقها شكلاً من بعد شكلي، فليس الربو الخطّي للوعي هو وحدّه الذي يفيدنا المنطق الجواني لمضمون نصّ 1807. الفهرستان إنّما تلوّحان

---

(45) لهذه العلة كان من الدارج أن يُقطع نفس النماء الفنومينولوجي للوعي عند الفاصل بين العقل والروح: (ج) (أ. العقل) / (ب ب. الروح)، فإذا تتبنا الفهرسة الأولى للنصّ بان أنّ طور (ج) لا عنوان له (لذلك عنوانه لا سون في البدء بالذات المطلقة (Das absolute Subjekt))، وأقحم هوفمايستر من وجه فاسد عنوان «العقل». ولذلك أيضا يرى هيرنغ أنّ خطّة نصّ 1807 من حيث هي بالجواهر علم تجربة الوعي إنّما لا تتعدى طور العقل، وفصدّ جون إيبوليث ترجمته لفنومينولوجيا الروح إلى جزءين. انظر: (II, §§ : «Zur Deutung der Phänomenologie des Geistes», Pöggeler, 2-3), and Hegel, *Werke in Zwanzig Bänden*, vol. 3: *Phänomenologie des Geistes*, 1970, pp. 596-597.

لكنّ إذا تحرّينا الفهرسة على علاقتها لا تضح أنّه ليس العقل وحدّه الذي ينظوي تحت (ج)، بل العقل والروح والدين والعلم المطلق كلّها تنتسب إلى (ج): (ج) (أ. العقل)، (ج) (ب ب. الروح)، (ج) (ج ج. الدين)، (ج) (د د. العلم المطلق)، (هيغل بعد انتهائه من وضع مصنّفه قيد على النحو التالي: ج (أ)، (ب ب)، (ج ج)، (د د))؛ ومعناه بالجملة إنّ الفهرسة الثانية لنصّ *Phänomenologie des Geistes* إنّما تساوق الفهرسة الأولى لتجعل من (أ) (ب) (ج) الأصول الثلاثة من وجه سواء لصيرورة الوعي.

بوجه انتظام فارِد لإظهارات الوعي، نعني على التدقيق كون كلّ طورٍ دَوْرٍ إظهارٍ ذا مركزٍ قائم بنفسه، على نحو أنّ الكلّ يعرّض كأنه تباطُنٌ أدوارٍ أو دوائرٌ متراصّةٌ يشتدُّ ضمنها شيئاً فشيئاً حتى تعدل جملة العلم المظهِر. ولهذه العلة يقف هيغل في تقديمه لصدور نصّه (Hegels Selbstanzeige) على المجرى الفنومينولوجي من الوجه التالي:

«إنّها [فنومينولوجيا الرّوح] تتفحص التوطئة للعلم انطلاقاً من زاوية نظر بعينها، وبذلك تكون علماً حادثاً ومهماً، بل علم الفلسفة الأوّل. فهي تنطوي على الأشكال المختلفة التي للرّوح من جهة ما هي محطاتٌ سبيلٍ يتصير الرّوح عبرها علماً محضاً أو روحاً مطلقاً. ولذلك ما يُتحرى في الأبواب الرئيسيّة (in den Hauptabtheilungen) لهذا العلم - التي تنقسم بدورها تقسيمات أخرى - إنّما هو الوعي والوعي - بالذات والعقل المعايُن والمتمرسُ والرّوح نفسه من جهة ما هو إتيقيّ ومثقفٌ وأخلاقيّ، وبما هو في الختام روحٌ دينيٌّ في أشكاله المتباينة»<sup>(46)</sup>.

تقديم هيغل لنظام نصّ فنومينولوجيا الرّوح يشدّد على مرانة الفهرسة من جهة أنّ التبويب العامّ يحتمل تقسيمات أخرى، أي إنّ الفهرسة العامة لا تكون إلّا مفتوحةً على ضروب فهرسة أخرى شريطة أن تتقيّد بالأصل التالي، ألا وهو أنّ كلّ أشكال الرّوح محطاتٌ سبيلٍ تصير الرّوح علماً محضاً. ولذلك يقف هيغل على بعض دقائق محطة العقل (من جهة ما هو معايُن ومتمرسٌ) كما يبسط إظهارات الرّوح بما هو إتيقيّ ومثقفٌ ودينيّ، وبعض هذه لا يطالعنا في العناوين الرئيسيّة للفهرسين المذكورين أعلاه.

(46) الضميمة III لطبعة *Phänomenologie des Geistes* التي اعتمدها في هذه الترجمة. أمّا التقديم الذي كتبه هيغل نفسه فقد صدر في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر في: *Allgemeine Literatur-Zeitung*, no. 94 (1807).  
انظر الضميمة الأولى، ص 777 من هذا الكتاب.



وفي الجملة فإنَّ ضروبَ فهرسة نصِّ فنومينولوجيا الرّوح إنّما تتعلّق كلّها بضروب متراكبةٍ للانتظام الجوّاني لهذا النصّ الغرضُ منها إدراجُ الشواشي لإظهارات الرّوح ضمن مجرى بيانٍ لا يثلمُ تحيّر المضمون في شيءٍ، بل يعكسه على سبيلته القلقَة وأنفاسه المتشابكة. إنّ تلكَ إلّا وجوه قراءةٍ ما تنفكُ تُستأنف. وذلك أمرٌ لا يتوضّح إلّا بالوقوف على مبنى فنومينولوجيا الرّوح.

## II. مبنى فنومينولوجيا الرّوح

ليس الأصلُ في أنبئاء نصِّ 1807 عرض مضمونه فصلاً فصلاً أو طوراً طوراً، لأنّ مثل هذا العرض سيُعوزه الوقوف على تشابك أدوار التعيّن الفنومينولوجيِّ للوعي وتناظراتها الجوّانية (من حيث صورةُ التعيّن كما من حيث مضمونه)، فيعدم إذاً الضرورة المنطقية التي تحكّم تراكبَ طبقاتِ المسرى الفنومينولوجيِّ تراكباً غير خطّيِّ. إنّما الأصل هاهنا الإلمامُ بالأمرين التاليين على مساوئتهما: صورةُ التعيّن الذاتيِّ للمضمون أو مبدأ حركانه المحايث له ومواضع تفعيل وتديير التّحن الفلسفيّة لحصائل تجارب الوعي، أي بعبارة أوجز: المبنى وأوصالُ المعجى.

### 1. مجرى التشكّلات الفنومينولوجية ومنطقه الجوّاني

إنّ للوعي تاريخية حاقّة هي على الحقيقة سبيلُ تكوينٍ ذاتيِّ، وذلك أصلٌ<sup>(47)</sup>. وما دام هذا التقديم لا يتسع لعرض لحظات تلك

(47) إنّ القول إنّ للوعي تاريخاً تكوينيّاً مقالة حاسمة في ذهن فكرة فنومينولوجيا الرّوح، فبيغل يلتبس نسخ المقالة البراغماتي في تاريخية الفكر الإنساني (فيشته) وتاريخية الربو الخطي للوعي الذاتي (شلنغ) ضمن تاريخ تكوين الوعي تكويناتٍ ذاتية، هو على الحصر سبيلٌ أو ثنية الثقافة. قارن قول فيشته: «ينبغي لفقه العلم أن يكون تاريخاً براغماتياً للفكر الإنساني»، انظر ص 222 في: = Johann Gottlieb Fichte, *Grundlage der gesamten Wissenschaftslehre* (1794), in:

السبيل لحظةً لحظةً، فإننا سنقف بالجملة على أهمّ الحصائل والمقولات الفنومينولوجيّة التي ترأس مجرى تعيّن الوعي. فنومينولوجيا الرّوح لا تبدأ من عند تقييد فكرٍ مجردٍ، بل من عند كينونة الإيقان الحسّيّ التي بلا توسيط: في هذا البدء يلتمس الوعي قولَ هذا بعينه والآن والهنا. هل بوسع الوعي أن يقول كينونةً حسّيّة ما يتظنّها؟ وليست الكينونة التي يلتمسُ الوعي عبارتها محض كينونة إلا من وجه كونها وجوداً خبرياً بعينه: هذا المقيد (شجرةً أو بيتٌ...<sup>(48)</sup>). وما دام من المحال أن يقول الوعي كينونةً حسّيّة يتظنّها، فإنّ الكينونة تصير متعيّنة كالكلّيّ المحض، وذلك من أفاعيل اللّغة. إذا تجربة الإيقان الحسّيّ تنتهي إلى مقولة الكلّيّ المجرد: «فحقيقةُ هذا الحسّيّ ينبغي أن تكون بالنسبة إلى الوعي تجربةً كليّةً؛ لكنّ العكس هو الذي يكون في الأكثر تجربةً كليّةً؛ فكلّ وعيٍ إنّما ينسخ بنفسه من جديدٍ مثل هذه الحقيقة...» (ص 201).

*Fichtes Werke*, Hrsg. von Immanuel Hermann Fichte (Berlin: Walter de Gruyter = 1971), vol. 1: *Zur theoretischen Philosophie*,

والقول في اتصالية أقسام الفلسفة جميعاً على نحو أن «سار الفلسفة تكون ما به هي، لاسيّما تاريخاً رابياً للوعي الذاتي»، ص 3 من: Friedrich Wilhelm Joseph Schelling, *System des transzendentalen Idealismus* (1800), Hrsg. von Ruth-Eva Schulz. Mit einer Eileitung von Walter Schulz, Philosophische Bibliothek; Bd. 254 (Hamburg: F. Meiner, 1962).

أما في ما يتعلّق بمقالة هيغل في تاريخيّة الوعي من جهة ما هي سبيلُ تكوين وثقافة، انظر: نصّ المقدّمة، ص 181 من هذا الكتاب.

(48) لذلك تخالف بداية *Phänomenologie des Geistes* بداية *Wissenschaft der Logik* وإنّ تعلّقنا كلتاهما بالكينونة: في فاتحة *Phänomenologie des Geistes*: الكينونة المحض لا تكون ماهية الإيقان الحسّيّ إلا لأنّ «الشيء يكون وحسب» (ص 192 من هذا الكتاب)، فالكينونة المحض تعدلّ الحاليّة المحض بإطلاق (ص 192 من هذا الكتاب)، فهي إذا وجودٌ خبريّ، انظر في هذا الشأن: Klaus Düsing, «Die Bedeutung des antiken Skeptizismus für Hegels Kritik der sinnlichen Gewißheit.» *Hegel-Studien*, vol. 8 (1973), pp. 119-130;

أما في *Wissenschaft der Logik*، فالكينونة المحض مفتتحٌ من جهة أنّها فاتحة مقالات الميتافيزيقا، أي من جهة أنّها البدء على الإطلاق (الأيّس عند بارمنيدس).

ذلك ما سِيلُزم الوعي بالتمارّ إلى الإدراك الحسيّ، لأنّ الوعي يعترف بأنّه ثمة جملة متكرّرة من هذا يحيل فيها كلّ هذا إلى غيره. فالهذا يتصرّف حينئذٍ من جهة أنّه يتغيّر كلياً مجرداً يُتصوّر كخاصية فرديةٍ لشيء ما. لقد صار الكلّي المحسوس «كالشيء ذي الخاصيات المتكرّرة». أما الوعي فيسعى إلى ذلك وحدة تلك الخاصيات على نحو «الأيضاً (Das Auch)» بما هي الكلّي المحض، أي الشئيّة التي تجمع كلّ الخاصيات، فإنّ ذهب في ذلك مذهباً واقعياً كانت وحدة الشيء في نظره معطاةً وحسب، وإنّ أنتحى منحى مثاليّاً كان هو من يستوضع تلك الوحدة. لكن في المنحيين لا يحصل الوعي وحدة الموضوع من جهة ما هي وحدة خاصياته المتكرّرة، بل يلبث عند تعديدها خاصيةً خاصةً، فيقحم «ألّمن جهة ما هو (Das Insofern)» التي «يثبت بها الخاصيات بعضها خارج بعض» (ص 214). فإذا الموضوع نفسه يصير جملة الحركة التي كان يتقاسمها الوعي وإياه، فيبين الموضوع نفسه على أنّه منعكس في ذاته، لذاته ولآخر، ولا يسع الوعي عندئذٍ إلّا أن يعتمد زاوية نظر الذهن السليم من حيث يباين بين زوايا نظر متنوّعة يُدرج ضمنها تنوّع خاصيات الشيء. لكنّ ما يكسبه الوعي في تجربة الدرك الحسيّ إنّما هو الوقوف على وحدة الموضوع من حيث إنّ شيئاً ما يكون في ذات الآن هو وضدّ نفسه.

بالتالي قد صار الموضوع دواماً في ذاته (Ein Insichbleiben) وأختراجاً (Eine Entäußerung)، من حيث يكون داخل ذاته كما يكون لمغاير، أي إنّه قوّة. لكنّ القوّة الفردية لا تدوم إلّا ضمن تقابل القوى، وعلاقة القوى تلك لا تُدرك بالحسّ، وإنّما تُدْهَن. في هذا الموضوع (القوّة والذهن) تناظر فنومينولوجيا الرّوح مسلك الطبيعيات الحديثة من حيث تضع فوق العالم الحاقّ للقوى مملكة ساكنة من القوانين الرّاسخة، وتنبه على سبيل فساد المنحى

الصورانيّ للعلم: لا بدّ للوعي أن يعترف في لعبة القوى ماهية الحياة نفسها، فيحتمل التفكير في التناقض نفسه من دون التلّف عنه والتحصّن بشروح هي تحاصيل حاصل (ص 244). تضادّ الموضوع هو إذاً من قبيل «الماهية البسيطة للحياة... الدم الكليّ الذي (...). يكون هو ذاته كلّ الفروق، كما هو كونها المنسوخ» (ص 251). مقارعة الوعي للامتناهي من جهة ما هو «التحير المطلق» للحياة نفسها هو أقطع تجربة فنومينولوجية يأتيها في هذا الدّور الأوّل (نعني دور (أ) الوعي)، فهي التي ستكشف له أنّ الموضوع يكون على سبيل ما يكونه هو، وأنّ تدبيره لضروب الموضوعية إنّما هو عين تدبيره لذاته. مذكّ يتصير الوعي وعياً - بالذات (أو وعياً ذاتياً). إنّ صورة التعيّن الفنومينولوجي التي ترأس هذا الدّور الأوّل ترجع إلى وجوه اتّصال الوعي بالموضوع، فكّلها (I. الإيقان الحسيّ، II. الإدراك الحسيّ، III. القوّة والذهن) إنّما تفترض برائيّة الموضوع في نظر الوعي، فلا تعدلّ حركة تعيّن الوعي حركة تقييد الموضوع. لذا لا يبلغ الوعي في ذلك كلّه سوى تصيره لذاته، فلا يحصل البتّة كوحدة قائمة برأسها (ص 258)، لأنّ الحقّ يكون في نظره شيئاً مغايراً له (بل هو الموضوع في - الحال، والشيء المتعيّن والقوّة).

مع الوعي - بالذات نلج للتوّ «مهدّ الحقيقة وملكوّتها» (ص 258). لقد أنتسخ التقابل مع الموضوع الأوّل، وأستقرّ ضرب بعينه من التطابق بين الذات والموضوع (أو بين المفهوم والموضوع)، وتهوى الكون في الذات والكون لمغاير: «الأنا هو مضمون الصلة، وهو فعل الوصل ذاته» (ص 258). كذلك يتصل الأنا بالحياة من جهة ما هو رغبة، لكنّه يتعنى أنّ إشباعها لا يكون إلّا في وعي ذاتي مغاير. إته وعي - بالذات لوعي - بالذات (ص 266). هاهنا يهلّ مفهوم الرّوح هلاًّ يستقدم تجربة الوعي الذاتي نفسها، فالرّوح إنّما هو بالجواهر بينية تقوم على شركة

«الوعيّات الذاتيّة» (Eine Intersubjektivität)، رأس الأمر فيها منازل الوعيّ الذاتيّ من الحياة بما هي الموضوع بإطلاق. وأشكال هذا الوعيّ - بالذات إنّما تتقيّد وفق اتّصاله ومنزلته من الحياة. تلك هي دياكطيقا الرياسة والخدمة والرّواقية والرّبيّة والوعيّ الشقيّ، تختلف باختلاف دنوّ الوعيّ - بالذات من الحياة أو قُصوّه عنها. فالخادم إنّما تخلّف عن معركة الحياة والموت، فخضع للوعيّ - بالذات المغاير (الرئيس)، فبات يعمل من أجله. لكنّ العمل سيرورة تكوينيّ يحصل الخادم من خلالها قيمومةً حاقةً ما توسّط قُصوّه من الحياة. هذا القُصاء من الحياة يكون أكثر جذريّة في الرّواقية من حيث يصير تلفتاً مقصوداً عنها، لتُستغرق ماهيّة الوعيّ - بالذات في التفكير وحسب. إنّ البرء التام من الحياة الذي يتحصّن بالأيسيّة البسيطة التي للفكر. لكنّ هذا النفي المجرد للموضوع (الحياة) في الفكر المجرد لا بدّ أن يتصير - كما بان من نفي الخادم للموضوع - نفيّاً متعيّناً. ذلك ما تخالّه الرّبيّة في البدء، لكنّها في واقع الأمر تقصو كثيراً عن الموضوع مثلها مثل الوعيّ - بالذات الرّواقية والرئيس في دياكطيقا الرياسة والخدمة، بقدر ما تدنو منه كثيراً، مثلها مثل الخادم. ومعناه أنّها تجمع بين وضعيّ الرئيس والخادم في وعي واحد. كذلك هو الوعيّ الشقيّ، مساوقةً في وعي منفصم للوضع المزدوج للموضوع. لكنّه يتميّز من الرّبيّة من حيث يعسر عليه الحسم في الخليتين (إما وإما)، فكلتاها حقيقةً تعدل الأخرى: «فهذا الوعيّ الشقيّ والمنفصم في حدّ ذاته إنّما يلزمه - لما كان هذا التناقض الذي لماهيته في نظره وعي واحد - أن يكون له دوماً في أحد الوعيّين الوعيّ المغاير أيضاً، على نحو أنّه ما ينفك يُطرّد في - الحال من كليهما، ما إن يخال أنّه قد بلغ النصرَ وسكنَ إلى الوحدة» (ص 288). وعليه فالرغبة والعمل والتمتّع لا تكفي الوعيّ حتّى يبرأ من شقاوته. فلا بدّ له أن «يخترج عن الأنا الذي له» (ص 302)، ويتخلّى عن

ذاته فيضع الإرادة «لا كشيء فردي، بل ككُلّي» (ص 303). ذلك هو وضوع الوعي - بالذات الذي يقرب الاتصال النافي بالموضوع اتصالاً موجّباً به. فيستقيم للوعي إيقانه من كونه في ذاته على الإطلاق، أي كونه كلّ واقع.

إنّ الوعي - بالذات من حيث أمسى عقلاً يعلم أنّه الحقيقي نفسه. بذلك يبلغ المسرى الفنومينولوجي الطبقة الثانية من تهوي الموضوع والمفهوم على نحو تماثل الوعي والوعي - بالذات. ولذلك تستأنف الفنومينولوجيا مناظرة الطبيعيات وفلسفات الوعي المعاصرة لها، حتّى يستقرّ المفهوم الحقّ للحياة والوعي الذاتي. كذا يستأنف الوعي من جهة ما هو عقل معاين - لكن من زاوية نظرٍ تفكر أكثر تكويناً - تعيين اللحظات الثلاث الأولى للوعي. أما مناظرة طبيعيات العصر فتقف على مسألة مبادئ تصنيف الموضوعات، فيستعمل نقد المباينة بين زوايا نظر متكررة (كما بان من طور الإدراك الحسيّ) في بيان تهافت المسلك العلميّ في الكيمياء والبيولوجيا (ومثاله نقد منحى الوصف، ص 316-321؛ وكذلك منحى التجريب، ص 323-325). لذلك تشدّد فنومينولوجيا الروح على الدلالة الغائية للحياة: لا بدّ أن يفهم العضويّ وفق الغائية المحايثة له (ص 329-332). ومثلما أستأنف طور «العقل المعاين» التعيين الفنومينولوجي للوعي، يستأنف طور «تحقق الوعي - بالذات العقليّ بمعية ذاته» التعيين الفنومينولوجي للوعي - بالذات، فيتمّ تكرير مقولتي الرغبة والعمل (ص 405) من حيث يهّلان كتعيين كليّ للفردية الكائنة لذاتها في مصارعة القدر والضرورة، فيتعنّى الفرد «المعنى المضاعف في ما كان يفعل، أعني كونه قد أقتصف حياته؛ فالفرد كان أمسك بالحياة، لكنّه - إذ فعل - إنّما حصل الموت» (ص 418). لذلك يكفّ الموضوع مذاك عن كونه مجرد سلبّي الوعي الذاتي، كما عن كونه شيء الإدراك الحسيّ. إنّما الموضوع قد صار شأنًا (Eine Sache):

إنّ الشيء الذي للإيقان والإدراك الحسيّين لا تكون له الآن من دلالة في نظر الوعي - بالذات إلاّ عبره؛ والفرق بين الشيء والشأن إنّما يقوم على ذلك. وسيجتاب الوعي في هذا الصدد حركة تناظر الإيقان والإدراك الحسيّين» (ص 451). فلا بدّ للوعي الذاتيّ إذاً أن يلتصم الأمر برأسه (Die Sache selbst)، فيخبر الجمع الحاقّ بين فعل الفرد وفعل الجميع (ص 456-457)، فلا يكون الفعل شأنًا إلاّ بما هو فعل الجميع وكلّ واحدٍ، أي بما هو جوهرٌ إتيقيّ (ص 457). ومن جهة أن الوعي بهذا الجوهر ووعيّ إتيقيّ، فالوعي الذاتيّ لن يتخلّص من التباسه في تدبيره للموضوع ما لم يستوضع نفسه في جملة حاوية هي الجوهر، ومعناه أن الذاتية الحقّ - التي من شأنها أن تخرج على الذاتية المتهافته للوعي الشقيّ كما على الموضوعيّة الغليظة - إنّما لا تنجم إلاّ عن الجوهر «من جهة ما هي الماهيّة الروحيّة الكائنة في - ذاتها ولذاتها» (ص 474).

لذلك لا بدّ للوعي من أن يناظر في مقارنته للعالم الإتيقيّ لحظات تعينه الفنومينولوجيّة الفاتية. كذا يبدأ الإيقان الإتيقيّ - مثله مثل الإدراك الحسيّ إذ يقف على تكثّر خاصّيات الشيء - بإدراك الحقيق من جهة ما هو ذو «روابط إتيقيّة متكثّرة» (ص 479) هي كتلات الجوهر الإتيقيّ (القانون الإنسانيّ والقانون الإلهيّ). وكذلك يتكرّر تدبير الرواقية للموضوعيّة في حالة الحقّ أو الشريعة الرومانيّة فتخرجُ الشخصيّة على الجوهر الإتيقيّ (ص 509)، وتعاودُ الربيبة الظهور ضمن صورانيّة عين الشريعة (ص 510). أمّا تهوُّشها فيناظر الوعي الشقيّ (ص 513). لهذه العلة يتعيّن عالم الثقافة بعين الانفصام الذي يتقيّد به الوعي الشقيّ، نعني الفصم بين الدنيويّ والأخرويّ، فيكون عالم الاغتراب بإطلاق، «فلا شيء له في حدّ ذاته روحٌ متأسّس ومحايثٌ، بل كلّ شيء يكون خارج ذاته في غريب» (ص 515). وذلك التمرُّق إنّما يطال الوعي نفسه (الذي

يأتي لآخر مرّة تكريرَ تعيّن الوعي الشقيّ (ص 549-550) ويستقدم في الوقت ذاته هِلّ الدين (ص 549-550)، فيظهر على وجهين: الإيمان من ناحيةٍ والتعقل المحض الذي للأنوار من ناحيةٍ أخرى. فإذا هو مرّةً أخرى وعيٌّ مضاعفٌ (ص 549-550). فأما الإيمان فيُدبرُ - مثله مثل الوعي - بالذات الرواقِيّ - من أمام الحقيقِيّ ليتعيّن كوعي خالص بالماهية البسيطة التي تسقط في التصوّر فلا يفهمها مفهوميّاً. وأما التعقل المحض فيهلّ كذلك كوعي خالص، لكنّه من جهة ما هو لحظة ربيّة إنّما يجحدُ الإيمان. لكنهما جميعاً إنّما يولدان من صُلب الجوهر (ص 552-556)، ويتقايدان من حيث إنّ «الماهية بالنسبة إلى الإيمان تكون كفكرة لا كمفهوم، فتكون إذاً مقابلةً مطلقاً للوعي - بالذات في حين أنّ الماهية بالنسبة إلى التعقل المحض إنّما هي الّهوّ» (ص 559). إذاً التعقل المحض والإيمان إنّما يتقابلان ضمن عين الأسطقس، نعني خلوص الوعي بالماهية، لكنّ ذلك وعيٌّ - بالذات، أمّا هذا فوعيٌّ وحسب. أمّا تجاحدهما وتصارعهما فينتهيان إلى حاصلٍ سلبيّ: فلا الإيمان يجاوز مقام الإدراك الحسيّ، ولا التعقل يتعدّى مقامَ الذهن (ص 583-584)، حتّى إنّهما يكادان لا يتمايزان: «فالإيمان في واقع الأمر قد صار عندئذٍ عينَ ما هي الأنوار، ولاسيّما وعيّ اتّصال المتناهي الكائن - في - ذاته بالمطلق العريّ من المحمولات واللامعروف والعصيّ المعرفة..» (ص 584). إنّ المضمون الصادق للإيمان لن يظهر على حقيقته إلّا في طور الدين، أمّا نقد الأنوار فيرمي إلى تبين أنّ الذي لم يبلغه التعقل المحض لن يستوضعه إلّا التفكير الفلسفيّ.

لكنّ فنومينولوجيا الرّوح تتمادى في تقييد الحصائل التاريخيّة لخسران الأنوار: فالأنوار في صراعها للمعتقدات الجمهوريّة إنّما ترتدّ إلى الإيقان الحسيّ، «فتدخل في صراع مع نفسها» (ص 586)، ولا تطال فيه سوى مبدأ المنفعة بما هو وجهٌ من



وجوه الجمع بين الكون - في - ذاته والكون لمغاير (ص 589).  
 فما يعوزُ هذا الجنس من الميتافيزيقا إنما هو الفاصلُ من  
 الموضوع والحياة: «ما زالت المنفعةُ محمولاً على الموضوع،  
 وليست الحاملَ نفسَه، أو حقيقَه الذي في - الحال والأوحد»  
 (ص 592). إنَّ ما يبلغُه الوعي هاهنا ظاهرٌ خاوٍ من الموضوعية.  
 ولا حيلةَ له في نقضه إلا عبر الانغمار في الحقيق السياسي حيث  
 «تساق السماء إلى الأرض لتُغرسَ فيها». إنه غمار سلبية طور  
 الثورة الفرنسية الذي يُشعر الأفراد بالفرق الشديد من رئيسهم  
 المطلق، أي الموت «الأكثر سطحية وبرودةً الذي لا تكون له من  
 دلالة أبلغ من قطع رأس الكرب أو جرعة ماء» (ص 598). لكنَّ  
 ما يرأس هذا الطورَ على الحقيقة إنما هو سلبية مجردة، وليست  
 سلبية المفهوم التي كانت قد لاحت في مجاهدة الأنوار  
 للمعتقدات الجمهورية من جهة ما هي سلبية الوعي - بالذات<sup>(49)</sup>.  
 فالسلبية هاهنا إنما هي محض «هيجان الزوال» (ص 597). فلا  
 تجد دوامها من جهة ما هي سلبية صرفٌ إلا في الإرادة الكلية  
 والحرية المطلقة، فيمرّ الروح الموقن من نفسه إلى موطنٍ آخر  
 يسكن فيه إلى فكرته، ويظلّ فكرةً. إنه موطنُ الذاتية الرومنطيقية  
 والأخلاق الذاتية، حيث تنجرّ كلّ موضوعية وعالم إلى الإرادة  
 التي تعلم (ص 603-604). لكنَّ هذا الموطن الروحي لا يتعدى  
 في واقع الأمر الحاصل السلبي للأنوار، فالماهية البسيطة إنما  
 تتصير مرةً أخرى عريّة من كلّ مضمونٍ لا يتصل بها الوعي إلا من  
 وجه التنزّع والشوق، فالوعي وإن كان ينسلُّ هو ذاته موضوعه «هو  
 الذي يضع موضوعه خارجَه كمتعالٍ عليه» (ص 617). وهو إذ  
 يتحصّن بالإيقان الأخلاقي إنما يسقط في النقال والرياء، ثم يغور

(49) «لأنّ الوعي - بالذات إنما هو سلبية المفهوم التي لا تكون لأجل ذاتها  
 وحسب، بل تطال ضدها وتغلبه..» (ص 577 من هذا الكتاب): إنَّ تعقّب السلبية  
 الصادقة من قبيل تعقّب الماهية الصادقة التي للوعي الذاتي.

في أعماق ما في جَوَائِيهِ: إنه «الوعي» - بالذات المطلق الذي يغور فيه «الوعي» (ص 650). وهذا الغور في الذاتيّة المجردة إنّما يرجع إلى انعدام قوّة التخارج والاستشياء، بل العجز التام عن احتمال الكينونة. إنّها النفسُ الجملاءُ التي تحيا على خيفةٍ من تدنيس باطنها السنيّ بالفعل والكيان، فتولي عن كلّ اتّصالٍ بالحقيق وتستميّت على عوزها الدائب متحصّنةً بهواها المجرد، فلا تملأ موضوعها إلّا وعياً خاوياً (ص 651). هاهنا يبلغ المجرى الفنومينولوجيّ لأظهارات الوعي حرفاً من اللاتعين لا حرف بعده، هو البخار الذي لا وجه ولا مغزى له، اللهمّ إلّا بعض تحلّل في الهواء.

كذا يخبر الوعي خسران تمسّكه الغليظ بكونه المجرد لذاته، فينصاع لوجوب تخارج ألهو الذي له حتّى الكينونة، عسى أن ينقلب حقيقاً. لا بدّ للوعي إذاً أن ينسخ جانب الفردية، فلا يكون إلّا «لحظةً من الكلّ» (ص 660): «إنّه عمقُ الرّوح الموقن من نفسه الذي لا يجيز للمبدإ الفرديّ أن ينعزل فيقوم في ذاته مقام الكلّ» (ص 669). لقد بلغ الوعي مقام الماهية المطلقة الواعية بنفسها أو الرّوح المطلق من حيث وعيه بذاته. ومعناه أنّ ائتلاف الوعي والوعي الذاتيّ الذي رأيناه يحصل في طور الوعي - بالذات، إنّما يتدبّر فنومينولوجياً من وجهين متضافرين، فيتعزّز هاهنا في طور الرّوح الدينيّ، لكنّه في ذلك الطور ائتلاف وفق الكون - في - ذاته، وأمّا في هذا الطور فأئتلاف وفق الكون - لذاته. لكنّ الرّوح الذي يبلغ في الدين وعيه الذاتيّ إنّما ينحسب «في وعيه - بالذات الخالص» (ص 671)، فلا يزال يميّز كيانه من وعيه بذاته من جرّاء فعل تصوّر الماهية المطلقة، فهو «الوعي - بالذات الرّوحيّ الذي لا يكون موضوعاً لذاته بما هو كذلك، أو لا يفتح على الوعي بذاته» (ص 751)، أي إنّ وعيه - بالذات الحاقّ ليس الموضوع الذي لوعيه.

والأكّد أنّ هذا التباين في الرّوح الدينيّ بين فعل التّصور

وصورة الموضوعية لن ينتسخ إلا من وجه تصرّم جوهريته العنيدة ضمن الفعل الذي يفهم مفهوميّاً (Das Begreifen)، وذلك هو قصارى تذوّت الجواهر (Das subjektwerden der Substanz) من جهة أنّ الرّوح الذي يحقّق مفهومه الصادق (ص 767) إنّما هو «تحويل ألفي - ذاته إلى الذي - ذاته، والجواهر إلى الذات، وموضوع الوعي إلى موضوع الوعي - بالذات، ... أي إلى المفهوم» (ص 768). لكنّ هذا الرّوح العالم بنفسه علماً صادقاً ليس حاصلًا راسخاً ولا خاتمةً مغلقةً، بل هو بالجواهر صيرورةً مرسلّةً يتنجّز عبرها تاريخاً حاقاً (ص 768)، هو تعاقب أرواح مظهرية يخلف فيه الرّوح الرّوح، فيستلم كلّ واحدٍ من الفئات ملكوت العالم. إنّما الرّوح إذاً محنةٌ حقّ (ص 774) لا حيلة للوعي في الإلمام بها ما لم يخرج على ذاتيته المجردة ويخض غمار الحقيق الجوهرية عسى أن يتملكه مفهوميّاً (وليس من وجه الحدس والشعور والتصور): «فالعلم بحرف الذات إنّما يعني العلم بالضحية بها»، وتضحية الرّوح بهواه إنّما هي تخرّجه إلى الزمان وسالبيته التي ترتدّ على نفسها، فإذا هو (Das Selbst) كالزمان يقوم خارجه. إنّ حاصل الربو الفنومينولوجي للوعي تقول الرّوح لجوانيته من جهة ما هي مطلق أظهر بالنسبة إلى الوعي:

«هذا الشكل الأخير للرّوح، الرّوح الذي يعطي لمضمونه التام والصادق الصورة التي للهو فيحققّ بذلك مفهومه مثلما يلبث في هذا التحقّق لدن مفهومه، إنّما هو العلم المطلق؛ فهذا العلم إنّما هو الرّوح العالم بنفسه في شكل روح، أو العلم الذي يفهم مفهوميّاً» (ص 763).

أما إطلاقية هذا الحاصل فلا تُسمعنّ هاهنا على معاني الانغلاق وأستتباب السكون والتّمَام، بل إطلاقية هذا الرّوح من

جهة ما هو العلم إنما تقوم على فعل توحيد هو بالجواهر حركاً (لا مبتدأ له ولا منتهى) يوسّط كلياً الوعي والوعي - بالذات. وعليه فالمطلق إنما هو بالجواهر تطلّق وأنبساط يعدلّ فيهما التهوّي الانفراق. لذلك تغلب على المطلق الفنومينولوجي آيات الانفتاح على تحقّقه المرسل. وبالجملة فالمطلق من جهة ما هو الفهم على سبيلته ليس هو ممّا يخرج على الصيرورة أو يصدّ العرضي والنسبي، ولا هو بمجرد الجملة الجامعة لما فات من لحظات الصيرورة. إنّما المطلق إطلاق صيرورة وسيرورة، رأس الأمر فيها قسارى بيانٍ وتفصّح ذاتيين لهذا الذي يتطلّق أبداً.

تلك هي أهمّ أطوار مجرى العلم الذي يظّهّر، حركاتٍ دورٍ لا مركزَ له، وهو دورٌ ما ينفكّ يؤوب إلى نفسه، لا يرسخ المبتدأ فيه إلّا من حيث يستأنف تعيّنّه عند المنتهى، ولا يتعيّن الطرف فيه إلّا من حيث يختلف من ذاته. لكنّه على الحقيقة مجرى أدوار (Ein Kreislauf) لا قرار له سوى الحدّان الحرّ والحركان الشديد. إنّ هو إلّا سلسلان المفهوم من حيث ينفصم من ذاته، ويخرج عليها فيتصير آخر، فإذا هو شدّة حياة وكثاثة كينونية وسبيلهُ زمان. إنّ فنومينولوجيا الرّوح تُفصّح وفق منطقتها الخاصّ عن نثر المفهوم بما هو أسطقس الفلسفة نفسها.

## 2. الفنومينولوجي في فنومينولوجيا الرّوح

ثمة سرعان فنومينولوجيان يرأسان مجرى أشكال الوعي: فنومينولوجي الوعي الطبيعي الذي يسلك سبيل الترقّي إلى العلم ويخوض تجربة معرفته كما موضوعه فلا يزال يتعنّى خسران حقيقته، وفنومينولوجي الرّوح الذي يبنسط من حيث حضوره لنفسه وإيقانه بها كمعرفةٍ شكيّلةٍ ما تفكّ تصرّف تهويّ الذات والموضوع (= المفهوم والكينونة) تصريفاتٍ شتى هي على الحقيقة وجوه العبارة الصادقة والمتجسّدة للرّوح. إنّ تباين هذين الوجهين

الفنومينولوجيين هو عين التباين الذي يتميز من جرّائه نصّ المقدمة من نصّ الاستهلال، وهو نفس ما كنّا رأيناه يعتمل في صلب فكرة فنومينولوجيا الرّوح كتحتيرٍ جوهريٍّ جعلها تصير قليلاً قليلاً من علمٍ في تجارب الوعي إلى علم في أظهارات الرّوح.

فمقدّمة فنومينولوجيا الرّوح تقدّم لمسار تعيّن فنومينولوجيّ الفاعل المباشر فيه هو الوعي من حيث يخبر ويجربُ:

«إنّ هذه الحركة الديالكطيقيّة التي يتعاطاها الوعي في حدّ ذاته، فيأتيها في معرفته كما في موضوعه، ومن جهة أنّ الموضوع الجديد والصادق ينجم للوعي عن ذلك، إنّما هي التي تمثّل بخاصّةٍ ما يُسمّى تجربة» (ص 188).

حركة تعيّن الوعي تقوم إذاً على التقابل الذي ينطوي عليه في حدّ ذاته بين كينونة الموضوع وبين المعرفة التي تحصل له عنه. فسارُ فنومينولوجيّة الوعي إنّما ترجع إلى تعنيّ خيبة مخالفة تشكّلات الموضوع بما هو كينونة بالنسبة إلى الوعي لحقيقة الموضوع من جهة ما هو ألّفي - ذاته (Das Ansich) الذي ما ينفك الوعيّ يلتمسُ الإحاطة به إحاطةً تظهر له في كلّ تشكّل للموضوعيّة على أنّها الإحاطة الصادقة والشافية. تنزُع الوعي من ليسيّة موضوع فائتٍ ولاحقيقة إلاميه به، ومن ثمة انتجامُ موضوع جديدٍ بالنسبة إليه، تلك هي حركةُ أظهار الوعي الديالكطيقيّة التي تسمّيها المقدّمة تجربة الوعي. وعليه فإنّ فنومينولوجيّ الوعي هو بالجواهر فنومينولوجيّ تجربة وجوه موضوعيّة الموضوع بما هي وجوه المعرفة به وجهاً من بعد وجهه، وشكلاً ينتسخ في شكلٍ. فلذلك تعني التجربة للوعي سبيلَ «خسران ذاته» التي لا يجري الأمر فيها مجرى زعزعة الحقيقة المظنون فيها والتشكك فيها، ثمّ الأوبة من جديدٍ إلى عين الحقيقة الأولى، بل التجربة سبيلَ

القنوط (Der Weg der Verzweiflung) من المعرفة التي تظَهَّرُ (ص 181) على أنها الحق، ثم الانقلاب إلى شكل معرفة جديد.

لكن ذلك لا يجعل من فنومينولوجية الوعي مجرد مقالة أو نظرية في المعرفة، بل فنومينولوجيا الروح نفسها من جهة ما هي علم تجربة الوعي إنما تنسخُ شديداً إمكان الخوض في شرائط المعرفة وتقييد أوائلها من وجهٍ قبليٍّ كما ذهب في ذلك المثاليات الفائتة (نعني المثالية النقدية التي لكانط، والمثالية الذاتية التي لفيشته والمثالية الترنسندنالية التي لشلنغ الأول). إنَّ علم تجربة الوعي مجاوزةٌ حاققةٌ لزاوية النظر الترنسندنالية بجميع تصريفاتها الممكنة (وبخاصة تلك التي تنضوي تحت مشروع نقد العقل). لهذه العلة تشدد المقدمة على أولانية الوعي من حيث يتعاطى موضوعاته بنفسه، أي من حيث إنَّ لحظتي المفهوم والموضوع إنما تقعان جميعاً ضمن الوعي نفسه وإحاطته بالموضوع. والتشديد على جادة التجربة إنما يعني هاهنا أنَّ فنومينولوجيا الروح ليست مجرد معرفة بمعرفة الوعي، هي التي كانت يكون من شأنها أن تنتج قسطاس المعرفة بالموضوع ومقارنته بمعرفة الوعي به. فتقديم الوعي لا ينتهي البتة إلى إلغاء الموضوعي وطغيان الذاتي.

إنَّ «الجوهريّ في كامل المبحث هو أن نحافظ شديداً على كون هاتين اللّحظتين نفسيهما - أعني المفهوم والموضوع، الكينونة لآخر والكينونة في ذاتها نفسها - تقعان في المعرفة التي نتعقب، فلن نكون عندئذ في حاجة إلى أن نحمل معنا القساطيس ونعمل بخواطرننا وأفكارنا في هذا المبحث؛ فنفلح ما تركنا تلك الأشياء، في تعقب الفحص عن رأس الأمر كما يكون في ذاته ولذاته» (ص 186).

إذاً لا طائل في علم تجربة الوعي من أن نضيف إليه أيّ

شيء من عندنا (ومثاله القول في شرائط إمكان المعرفة من وجه قبلي)، فقسطاسُ المعرفة والموضوعُ ماثلان في الوعي ذاته من حيث يتمحّصُ ذاته بذاته، فهو في الوقت ذاته وعيٌ بالموضوع وبمعرفته له. وبالجملة فإنّ جادة تجربة الوعي من جادة المفهوم نفسه التي تقتضي بالأحرى «أن تفيء إلى حياة الموضوع أو تنازل ضرورته الجوانبيّة، فتقوم لعبارتها» (ص 157). لذلك لا بدّ للفيلسوف أن يمتنع عن النظر من عل في تجربة الوعي، وإن كان نظراً ترنسندنالياً يرمي إلى علم العلم حيث «يعكّر الفكرُ أنعدام الفكر»، بل لا بدّ أن «تؤخذ تعيينات المعرفة التي تظهر مثلما تعرض في - الحال» (ص 185)<sup>(50)</sup>، فيوافق ضربُ الإحاطة بها الوجه الذي تعرض به، ولا يتبقّى لنا إلّا «محض المشاهدة» (Reines Zusehen)، مشاهدة الوعي وهو يعدل قسطاسَ تمحيصه للموضوع، فينقلب هو ذاته من ليسيّة معرفة تفوت إلى نجم موضوع جديد (ص 187-188). لكنّ على ما تقوم الضرورة التي تشدّ تصير هذه المعرفة التي تظهر إلى العلم فتربطه بجادة المفهوم؟ أي ما الذي تأتي بفضل عين هذه المعرفة التمار من شكل إلى شكل ومن وجه محايث لها؟

---

(50) قارن فاتحة طور الإيقان الحسيّ، ص 191 من هذا الكتاب: «إنّ المعرفة التي هي في الأوّل أو في - الحال غرضنا لا يمكن أن تكون سوى التي هي ذاتها معرفة في - الحال ومعرفة بالذي - في - الحال أو بالكائن. فينبغي أن نسلك على نحو يكون أيضاً في - الحال، أو على نحو الإمام، وآلا نغيّر إذا شيئاً من هذه المعرفة فنتلقاها مثلما تعرض، وأن نترك الفهم بعيداً عن الإحاطة».

وعليه فنازلة التفكير في *Phänomenologie des Geistes* لم تعد نقد معرفة (Eine kritische Erkenntnistheorie) كان ليجري مجرى تمهيد أو توطئة للمعرفة التي تحصل الحق. فالمعرفة نفسها ليست آلة تمكّن من حيابة المطلق، ولا وسطاً شفيفاً ينعكس عليه ومن خلاله (ص 179 من هذا الكتاب). فكلّ ذلك إنّما يوقع الريبة في العلم من حيث يُفترض فيه أنّ المطلق يكون خارج المعرفة أي خارج التجربة، وهو افتراض يرجع في واقع الأمر إلى ما تسمه المقدمة بالفرق من الزلل بما هو على التدقيق الفرق من الحقيقة والتجربة نفسها.

إنَّ حروف هذا السؤال تلوح بمقام فنومينولوجي يتعدى فنومينولوجية الوعي نفسه من حيث لا يفرغ دفعةً من التقابل بين إيقانه وبين ألفي ذاته بما هو الحقيقة، فلا تزال الظاهرة في تجاربه تتضاد مع الماهية حتى يحصل زاوية نظر العلم. وتلك هي معضلة تراكم الحاليتي (Die Unmittelbarkeit) التي تكاد تعطل في كل موقف مسرى التكوين الفنومينولوجي للوعي، فالوعي لا يفرغ دفعةً من تعين ما، بل نراه يستأنف تجريبه عند مقاماتٍ أرفع، فيأتي تكريره الفنومينولوجي، أو نراه يرتد إلى ما دون الذي يكون عليه من تقييد فيرجع القهقري إلى منزلة كان قد نسخها، فيكاد يترسخ فيها، أو نراه يستغرق على عجل لحظة تعين ما، فيستبق طورها ليقدف بنفسه في طور ما زال لم يهل. وهذه كلها إنما هي أسراع متشابكة وأنفاس تعين متراكبة تختص بها فنومينولوجية الوعي من دون غيره، هي له من تلقاء حياته وصورته اللتين تحتلان الخيبة والفشل كما الفلاح وإصابة المرمى، وتنطويان على الإسراع كما الإبطاء والاستقدام كما الاستئثار. ولعل ذلك مما يجعل نص فنومينولوجيا الروح نصاً حياً شديداً، لا تستقيم له الهوية إلا من حيث يجب الفرقان والتضاد والتفصم.

لكن ثمة لحظة تساوق سلسلة تجارب الوعي، هي لحظة «الكون في ذاته، أو الكون بالنسبة إلينا» (ص 190) التي لا تحصل عند الوعي ما دام لا يعلم كيف يحدث له وجوب نجم الشكل الجديد. هذا الوجوب هو الذي يترسخ على التدقيق لا كموضوع يكون بالنسبة إلى الوعي، بل كنكتة حركة وصورورة دورية ما تفك الظاهرة فيها تعدل الماهية. إنها نكتة الروح بما هي نكتة صورورة العلم نفسه (ص 133).

إن نص الاستهلال - على العكس من نص المقدمة - يشدد على هذا المقام الفنومينولوجي الذي يختص به الروح في حد ذاته، لكأنه يلوح من حيث يمثل استهلال نسق العلم، لا استهلال



علم تجربة الوعي وحسب، بوجوب أن تنتسَخ فنومينولوجية الوعي ضمن فنومينولوجية أغلظ هي «أن ينسل الروح من نفسه صيرورته وتفكره في ذاته» (ص 137)، فيجعل من كيانه كفاء ماهيته المتحيرة.

«فالأمر لم يعد يجري مجرى قلب الكيان إلى الكون - في - ذاته، بل يتعلّق فقط بقلب ألفي - ذاته إلى الصورة التي للكون - ذاته» (ص 138)،

والآكد أن فنومينولوجية الجوهر الروحي ليست موقوفة البتة على تقابل الكينونة والمعرفة، بل رأس الصيرورة فيها هو انقلاب ألفي - ذاته منقلب الذي لذاته؛ فشأن الروح ليس شأن وعي ولا كيان (Das Dasein) أو إتيّة، وإن كان الوعي الكيان الذي في - الحال للروح (ص 142)، بل هو شأن أستذكار ألفي - ذاته وتبطنه (Die Erinnerung)، أي أن يكون الروح لذاته موضوعاً موسوفاً، فينتزع المضمون من برانيتها الغليظة، ويعترف نفسه في الكون المغاير بإطلاق. وليس يعني ذلك البتة أن الجوهر الروحي بري من الاختراج والاعتراب والتمزق أو أنه كان يكون عرياً من التضاد والانقسام، بل قوته ووجوب تدوئه إنما يعظمان بقدر خراجه وحسب، وعمقه إنما يعمق بقدر ما يأتي الوشوع والتهيان في أنبساطه» (ص 124). إنما إظهار الروح أن تتوسط الذات ذاتها بالاستحالة آخر نفسها، ففي ذلك يكمن حقيقتها وتجزؤها الذاتي، فلا تخشى على نفسها من أفاعيل السالبة المقيدة، لكنّها مع ذلك كلّه يكون بوسعها أن تتفكر نفسها وتؤوب إليها كأنها لا تستقرّ أبداً على تقييد أو شكل، إن هو إلا «تنصّب الصيرورة ضمن مضمونها» (ص 136). كذا تقتضي فنومينولوجية الروح - على العكس من فنومينولوجية الوعي العري من الذاكرة - ضرباً من مثول وحضور الماهية الروحية بإزاء ذاتها بما هي غير ذاتها، أو تكون موضوع ألهو الذي لها، فتعلم موضوعها كأنه نفسها.

«فلحظات الرّوح لم تعدّ تتناثر في تقابل الكينونة والمعرفة، بل تظلّ على بساطة المعرفة؛ فإنّما هي الحقّ الذي في صورة الحقّ، وما تنوعها إلاّ من تنوع المضمون. أمّا حركتها التي تترتّب في ذلك الأسطقس إلى كلّ، فإنّما هي المنطق أو الفلسفة التأمليّة» (ص 144).

وعليه، فالذي به تميّز فنومينولوجيّة الرّوح من فنومينولوجيّة الوعي ويوجب أنتساح هذه في تلك هو أنّ الرّوح صيرورة كلّ يُخرج من نفسه صورة علمه بذاته. فإذا كانت معرفة الوعي لا تتشكّل وتظهر إلاّ وفق ما يكون ألفي ذاته بالنسبة إلى الوعي، فإنّ أشكال الرّوح من جهة ما هي أشكال عالم لا تتعيّن إلاّ من جهة تساوي ألفي ذاته لذاته، أي من حيث يعدلّ ألهو صورته، فلا يزال الرّوح في سار أظهاراته «ضهّيّ ذاته في تخارجه» (ص 771). فالرّوح في كلّ شكل من أشكاله إنّما يُفصح وفق المضمون الذي يأتيه ولحظة الصيرورة التي يسكن إليها عن تحقّق تاريخيّ تعدلّ فيه ماهيته ظاهريته. هذا التهوّي المتصير هو على التدقيق ما يخرج بفنومينولوجيّة الرّوح عن مجرد الظهور، ليجعل منها تبادياً ذاتياً (Ein Sichoffenbaren) وعروضاً مرسلأ (Ein Sichauslegen).

لهذه العلة يجوز القول إنّ تحيّر نصّ فنومينولوجيا الرّوح إنّما يرجع بالجملة إلى تصالب هذين النفسين الفنومينولوجيين تصالبا يتوطد مذ أنّ يتعنى الوعي (في آخر الطور الأوّل: القوّة والذهن) الماهية البسيطة التي للحياة من جهة ما هي اللاتناهي البسيط أو المفهوم المطلق، فمذّاك يهلّ الجوهر الرّوحيّ من جهة ما هو المتساوي وذاته، أو المنفرق والمتحيّر بإطلاق («الصيرورة المساوية لنفسها التي هي أيضا انفصام» ص 252).

«عندئذٍ يُمَثَلُ بالنسبة إلينا مفهومُ الرّوح. فالذي يحدثُ للوعي من بعد ذلك إنّما هو تجربة ما هو الرّوح، هذا الجوهر المطلق الذي يكون في حرّيته التامة والقيومة الذاتية التي لتقابله، لاسيّما للوعيات - بالذات المتنوّعة والكائنة لذاتها، ائتلافَ عين الوعيات - بالذات؛ فإنّما هو أنا الذي هو النحن، والنحن الذي هو أنا» (ص 266).

ومعناه أنّ فنومينولوجيّة الوعي تشرع في الانتساخ ضمن هَلْ الجوهر الرّوحيّ مذٌ أنّ يخبر الوعي أنّ موضوعه الذي يتعقّب الإلمام به ليس إلّا ذاته نفسّها، يتهوّى فيه الكون للذات والكون لمغايرٍ، فيستحيل «الحركة الصّرفَ ضمنَ الذات» (ص 261).

لكنّ أنتساخَ علم تجربة الوعي ضمن علم فنومينولوجيا الرّوح كما يبين من مقارنة نصّ المقدّمة بنصّ الاستهلال ونصّ العلم المطلق، لا يعني مجرد انتفاء ذلك في هذا أو التغاءه فيه، ولا يُسمَع كذلك على أنّه أنفصاؤٌ جوهريٌّ في بِنانِ فنومينولوجيا الرّوح كان ليُجعل من العلم الثاني تتمةً انضافتٌ على عجلٍ للجزء الأوّل، أو توسّعاً لاحقاً أوجبته ملابسات الكتابة والطبع. إنّما ذلك الانتساخ يندرج ضمنَ حَيَرانٍ مباطنٍ لنصّ فنومينولوجيا الرّوح نفسه هو له من تحيّر غرضه، لا من قلق واضعه وصرّوف زمانه وما إليه. إنّ تلك الصيرورة من الوعي إلى الرّوح إلّا حَيَرٌ أسطقس الفلسفة نفسه لا يلبثُ على شكلٍ أو تعيينٍ وإن كان تعيين العلم المطلق كما رأينا أعلاه.

### III. منازل فنومينولوجيا الرّوح من النسق الهيجليّ

لا عجب في أن تكون لفنومينولوجيا الرّوح منازلٌ متباينةٌ

ضمن النسق الهيجلي، بل أن يتحير هذا النسق نفسه في تنزيلها المنزلة الشافية المانعة. وأتى للنسق أن يقيدَها على الغاية وهي في ذات الآن رأسه وجزؤه الأوّل وبيانه على جملمته. لكن لا بدّ لنا أولاً حتّى نبيّن هذه الدلالات ثلاثتها لنصّ 1807 في صلته بنسق الفلسفة عند هيغل أن نخرج على تصوّر فاسدٍ لوظيفة هذا النصّ. ليست فنومينولوجيا الرّوح مجرد تمهيد (Eine Propädeutik) يتقدّم العلم ويوظئ من وجهٍ برانيّ لزاوية النظر الخاصّة به من حيث يترقى بالوعي الطبيعيّ (وعليه غير العلميّ) إلى مصافّ العلم، فتنتفي صلاحيتّه مذ أن يبلغ ذلك الوعيّ مقامَ العلم. بالتالي فنومينولوجيا الرّوح لا تتحيّز خارج النسق، لأنّها ليست مجرد آلة تُستوَسَل على نحوٍ عريّ من العلميّة في حياة العلميّ. ولا طائل في هذا الموضوع من المباينة بين «تمهيد ذاتيّ» وآخرٍ «موضوعيّ» ونقديّ» للعلم، كما ذهب إلى ذلك بعض أصحاب هيغل<sup>(51)</sup> في

---

(51) الآكد أنّ الكثير من أصحاب هيغل الأوائل تلقّفوا عن *Phänomenologie des Geistes* من حيث يعسرُ تنزيلها ضمن النسق الهيجلي، كما من حيث إنّ العبارة الموسوعيّة لعين النسق كانت قد انتهت بنسخ كلّ امتداد نسقيّ ممكن لنصّ 1807. فبعضهم (وبخاصّة ك. ل. ميشيلث، وك. روزنكرانس) ينزّل نصّ 1807 ضمن مسار نماء فلسفة هيغل (لا ضمن النسق نفسه)، بل انتقدت هذه الطائفة الهيجليين الذين لا يقفون إلا عند زاوية النظر الفنومينولوجيّة من جهة ما هي زاوية نظريّ غير نسقيّة. والبعض الآخر (ومنهم غ. أ. غابيلر وه. ف. هيريشس) ذهب إلى القول إنّ نصّ 1807 لا يتنزّل إلا ضمن تمهيد أو توطئة ذاتيّة للفلسفة مغايرة للتمهيد العلميّ الذي هو المنطق، لذلك رأت هذه الطائفة في نصّ 1807 نصّاً حسيراً من حيث مَقُولِيَّتُهُ المنطقيّة، أي من جهة تفعيله للآسيات المنطقيّة (*Die logische Wesenheiten*) التي يكاد يعرى منها.

والحقّ هو أنّ نصّ *Phänomenologie des Geistes* نصّ مستشكلٌ في حدّ ذاته؛ فإذا كان روزنكرانس يرى فيه نصّ أزمةٍ أو يعتبره هايّم نصّ فصدٍ، أو يعدّه ميشيلث نصّاً «قبل فلسفيّ»، فذلك إنّما يتعدى مسألة تلقّي النصّ، ويرجع إلى طبيعته: فهو في ظاهره نصّ فاتحة نسقيّة في ديبالكطيقا الوعي طالما تعقبت الهيجليّة الإمام بمفهومها في السنوات الأولى من طور إيينا (مثلما رأينا في I. 2، ص 21 من هذا الكتاب)، =

تدبير منزلة نصّ 1807 من جملة فلسفة هيغل من جرّاء تحيّر هيغل نفسه في تقييد الدلالة النسقيّة التي يختصّ بها هذا النصّ، بل تبدّل مفهوم الفنومينولوجيا نفسه الذي أمسى في موسوعة العلوم الفلسفيّة من دون مفهوم «فلسفة الرّوح»<sup>(52)</sup>. إنّ فنومينولوجيا الرّوح فاتحة علميّة لنسق العلم في جملته، وذلك ما يجعل منها في عين الآن رأسه وجزءه الأوّل وبيانه على تمامه.

## 1. فنومينولوجيا الرّوح ونسق العلم: فاتحته أم جزؤه الأوّل أم بيانه على جملته؟

كثيراً ما يقرنُ هيغل في تقديمه لنصّ 1807 صفةً فاتحة النسق بصفة جزئه الأوّل. ولقد رأينا هيغل في تقديمه لفنومينولوجيا الرّوح الذي نشره في الجريدة العامّة للأداب سنة 1807 يعتبر هذا

---

= لكتّه على الحقيقة نصّ نسقيّ يناظرُ تماماً جملة النسق من حيث ينتهي إلى مقام المطلق، أي عين المقام أو الدرج الذي تؤول إليه جميع النصوص النسقيّة لهيغل من *Wissenschaft der Logik* إلى *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften*. فما نصّ 1807 بمجرد جزء أو فاتحة، بل هو نظيرٌ مفردٌ لسار نسق العلم.

(52) في *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften* يستوسل هيغل مفهوم «الفنومينولوجيا» لتقييد وجهة نظر المثاليات المتقدّمة عليه (وبخاصّة المثالية النقديّة لكانط) تقييداً نقديّاً، على معنى أنّ زاوية النظر الخاصّة بها لا تتعدّى النظر في الرّوح من جهة ما هو وعي، فلا تنطوي إلّا على تعيينات الفنومينولوجيا، بل تعري من تعيينات فلسفة الرّوح، انظر ضميمة الفقرة 415 من نشرة 1830:

Hegel, *Werke in zwanzig Bänden*, vol. 10: *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften im Grundrisse* (1830), 1970, pp. 202-203.

وعليه فمفهوم الفنومينولوجيا قد صار في هذا الموضع مفهوماً نقديّاً (سجاليّاً) يسمح لهيغل بتقييد ما تبقى دونه فلسفات العصر، نعني مقام فلسفة الرّوح التي تباين بين الوجه الذاتي للرّوح (وهو الوجه الذي أنحسبت داخله معظم المثاليات كذلك التي لكانط وراينهولد وفيشته) والوجه الموضوعي الذي يخرج تماماً على مقام الفنومينولوجيا. مقابلة الفنومينولوجيا بفلسفة الرّوح هي التي تلوّح عند هيغل نفسه بكثير من التحيّر في تنزيل نصّ 1807 من النسق، والحال أنّه كان قد عقد العزم منذ 1829 على إعادة نشر هذا النصّ مع ما يقتضيه من ترميم ومراجعة.

النص في الوقت نفسه توطئة (Die Vorbereitung) للعلم وجزءاً أولاً سيتلوه جزءاً ثانٍ «سيشتمل على نسق المنطق بما هو فلسفة تأملية، والقسمين الباقيين للفلسفة، أي علمي الطبيعة والروح»<sup>(53)</sup>. ولقد رأينا هيغل يجمع بين الصفتين نفسيهما في رسالته إلى صديقه شلنغ (بتاريخ أول أيار/ مايو 1807) التي يخبره فيها بصدور نصه:

«إني أتطلع إلى ماذا ستقوله في هذا الجزء الأول الذي يمثل في الأصل الفاتحة، - لأنني لم أتعُدُّ بعدُ الفاتحة، فلم أنفذُ في الأمر برأسه...»<sup>(54)</sup>.

والبيّن من ذلك أنّ ما يغلب على تنزيل هيغل لفنومينولوجيا الروح هو اقتران كونها فاتحةً بكونها جزءاً أولاً لنسق العلم، مع أنّه يشدّد في هذا الموضوع على أنّ التوسّع في هذه الفاتحة منعه من النفاذ إلى الأمر برأسه، أي صلب نسق العلم، أو نواته التي هي المنطق. لكنّ هيغل سيغيّر من هذا التنزيل لنص 1807 ضمن نسق الفلسفة في طور نورنبرغ (1808-1816). فإذا كان نصّ علم المنطق (1812-1816) يوطد منزلة فنومينولوجيا الروح بما هي الجزء الأول الذي يتقدّم علم المنطق، فإنّ نصّ التوطئة الفلسفية (1809-1811) يجعل من نسق 1807 الحدّ الأوسط لجملة نسق الفلسفة.

في الكتاب الأول من علم المنطق، أي كتاب الكينونة (1812) نجدُ بالجملة خمسَ إحالاتٍ بيّنةٍ لنصّ 1807، واحدةٌ جاءت في الاستهلال، وثلاثاً في المقدمة وواحدةٌ في صدرِ كتاب

(53) قارن الهامش رقم (46)، ص 39 من هذا الكتاب. في هذا المقال يبدأ هيغل بتقديم فنومينولوجيا الروح من جهة ما هي جزء: «Dieser Band stellt das werdende Wissen dar، ثمّ يتحدّث في خاتمة المقال عن جزء ثانٍ: «Ein zweyter Band wird...»، انظر الطبعة التي اعتمدها في هذه الترجمة، الضميمة III، ص 549، السطر 8 و 550، السطر 36 من: Hegel, *Phänomenologie des Geistes*.

(54) قارن الهامش رقم (38)، ص 33 من هذا الكتاب.

الكينونة نفسه<sup>(55)</sup>. وزائداً إلى أنّ هذه الإحالات تكشف لنا طبيعة غرض فنومينولوجيا الرّوح وتوضّح لنا مبتدأها وحاصلها والمنطق العامّ الذي يحكم المجري الفنومينولوجي للوعي، فهي تشدّد بعامة على تنزيل أثر 1807 منزلة الجزء الأوّل الذي يتقدّم باب المنطق كما باب الطبيعيات وفلسفة الرّوح:

«على هذا الوجه تعقّبت بيان الوعي ضمن فنومينولوجيا الرّوح. فالوعي إنّما هو الرّوح بما هو موضوع متجسّد؛ لكنّ حركته الرأبئية إنّما تقوم فقط - مثلها مثل نموّ كلّ حياة طبيعّية وروحّية - على طبيعّة الأسيات الخالصة التي تمثّل مضمون المنطق...»

عندئذٍ تحصل صلة العلم الذي سمّيته فنومينولوجيا الرّوح بالمنطق. - أمّا في ما يتعلّق بالرّابطة البرآئية فكان ينبغي أن يتبع هذا الجزء الأوّل من نسق العلم (بامبرغ وفورتسبورغ، 1807) الذي يحتوي على الفنومينولوجيا، جزءً ثانٍ يضمّ المنطق والعلمين الحاقّين للفلسفة، أعني فلسفة الطبيعة وفلسفة الرّوح، وهو الذي كان ليختّم نسق العلم».

إذاً هيغل لا يتردّد إلى حدود نشر علم المنطق (1812-1816) في اعتبار أثر 1807 الجزء الأوّل من نسق العلم الذي يتقدّم الجزء الثاني الذي كان ليضمّ بقية أبواب عين النسق

---

(55) انظر: ص 7، الأسطر 2-29؛ ص 15، الأسطر 16-27؛ ص 16، الأسطر 17-25؛ ص 21، الأسطر 2-36؛ وص 35، الأسطر 1-4  
في: Hegel, *Gesammelte Werke*, vol. 11: *Wissenschaft der Logik, Das Sein* (1812).

(أي المنطق والطبيعيّات وفلسفة الرّوح)، لو لم يشهد الباب الأوّل التابع للجزء الأوّل، أي المنطق، امتداداً ضرورياً اقتضى نشره على حدة في جزءين ضمّ الأوّل منهما مقالتي الكينونة (1812) والماهية (1813) اللّتين تكوّنان «المنطق الموضوعي»، والثاني مقالة المفهوم (1816) الذي يمثل المنطق الذاتيّ. أما العلمان الحاقان للفلسفة (Die beiden realen Wissenschaften)، أي فلسفة الطبيعة وفلسفة الرّوح، فلم يتمّ نشرهما في إطار هذه الصياغة لنسق العلم، ولن يُنشر إلا ضمن صياغته الموسوعيّة في طوري هايدلبرغ (1817) وبرلين (1827 و 1830)، أي في النشرات الثلاث لموسوعة العلوم الفلسفيّة التي ضمّت كلّ منها علم المنطق وفلسفة الطبيعة وفلسفة الرّوح.

إنّ التشديد الهيجليّ على الجمع في تنزيل فنومينولوجيا الرّوح ضمن نسق الفلسفة بين صفتيّ الفاتحة العلميّة والجزء الأوّل من نسق العلم سار من 1807 إلى 1816؛ لكنّ صلاحية هذه المنزلة النسقيّة لنصّ 1807 موقوفة في طوري إينا ونورنبرغ على أمرين، أولهما أنّ هيجل لم يهتد بعدُ إلى استشكال المباينة في الرّوح بين وجهه الذاتيّ ووجهه الموضوعيّ: الرّوح الذاتيّ والرّوح الموضوعيّ، وهي مباينة لن تصير حاقةً إلا ضمن البيان الموسوعيّ لنسق العلم. أمّا ثاني الأمرين فهو أنّ هيجل في أوّل طور نورنبرغ كان قد نزل فنومينولوجيا الرّوح منزلةً نسقيّة مفردة سنقف عليها من بعد حين. إنّ عدم إنهاء مشروع نسق العلم في الجزء الثاني منه (الذي لم يتضمّن سوى علم المنطق)، وعليه بقاء بيان النسق مخروماً إلى حدود 1816، هو الذي دفع عن نصّ 1807 الطعن في منزلته النسقيّة من جهة ما هو في الآن ذاته رأس نسق العلم وجزؤه الأوّل، بل وبيانه على جملته.

فإذا كان نصّ 1807 كما وضّحنا أعلاه قد صار من علم في تجربة الوعي إلى علم في أظهر الرّوح، فالحاصل الرئيس عن



ذلك هو أنّ فنومينولوجيا الرّوح تمثّل في حدّ ذاتها نسقاً مكتملاً وقائماً برأسيه. فليست هي بفاتحة نسقيّة أو جزء من النسق وحسب، بل هي كذلك عرضٌ أو بالأحرى بيانٌ للنسق على جملته يبدأ ممّا هو في الحال لينتهي وفق حركةٍ تعيّن تخصّص غرضه إلى العلم المطلق. وحسبنا في إقرار ذلك الوقوف على آخر أطوار الربوّ الفنومينولوجيّ للوعي، نعني «العلم المطلق»، ثمّ مقارنته بجميع حصائل النصوص النسقيّة اللاحقة: «الفكرة المطلقة» في علم المنطق و«الرّوح المطلق» في موسوعة العلوم الفلسفيّة، حتّى نبيّن أنّ منتهى فنومينولوجيا الرّوح يناظر من وجه نسقيّ ما تنتهي إليه العبارة المنطقيّة والعبارة الموسوعيّة لنسق العلم. إذ أنّ نصّ 1807 نظير نسقيّ لجملة نسق العلم. وهو لا يناظر سار النسق من حيث الحاصل وحسب، بل يعدّله كذلك من حيث الطريقتيّة ومجراها. لذلك ستكون فنومينولوجيا الرّوح الشاهد الفلسفيّ على الطريقة عندما يتغيهي هيغل في علم المنطق أن يضرب مثلاً على الطريقة الفلسفيّة، من بعد أن أقرّ أنّ «الفلسفة ما زالت لم تجد الطريقة التي لها»<sup>(56)</sup>:

«لقد وضعتُ في فنومينولوجيا الرّوح مثلاً على هذه الطريقة يتعلّق بغرض بعينه، أي بالوعي».

ومعناه أنّ فنومينولوجيا الرّوح تكافئ نسق الفلسفة من حيث صورة مجرى تعيّن الوعي أو طريقتيّه الديالكطيقيّة، حتّى إنّها شاهدٌ على الطريقة الملائمة للفلسفة والتي لا زالت الفلسفة نفسها تتعقّب مفهومها الذي لن يرسخَ إلّا في خاتمة علم المنطق (الطريقة

«Bisher hat die Philosophie ihre Methode noch nicht gefunden» (56)

انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Wissenschaft der Logik. Das Sein* (1812), Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll, Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann und Walter Jaeschke, Philosophische Bibliothek; Bd. 375, Wissenschaft der Logik; Bd. 1 (Hamburg: F. Meiner, 1986), p. 21, 11.

المطلقة). إذا نصَّ 1807 مثل (Ein Beispiel) على طريقة نسق الفلسفة، والمثل هاهنا يعني أنّ نصَّ 1807 نصُّ مرجعٍ يُشهد به من حيث تمثُّله على طريقة الفلسفة<sup>(57)</sup>. لذلك تُبرز مواضع إحالة هيغل لنصِّ 1807 في صلب علم المنطق مفهوم المعالجة العلميّة الذي يختصّ به، فيقف هيغل في أكثر من موضع على صورة المجرى الفنومينولوجي من جهة ما هي صورة مجرى نسق العلم نفسها. من ذلك أنّ هيغل في الموضوع الذي ذكرنا للتوّ يوظد مبدأ كانت مقدّمة فنومينولوجيا الرّوح قد شدّت على فضائله المنهجية، ألا وهو أنّ حاصل النفي ليس تلييس المنفيّ والتّغاءه حدّ الغاية، وأنّ النفي لا يؤول إلى «الليس المجرد»، بل هو نفيّ لمضمونٍ مقيدٍ؛ وعليه فحاصل النفي إنّما يحتوي بالجوهر على المنفيّ مقيداً؛ فالنفي لا يكون صورياً، بل كلّ نفي حاصله نتاج بعينه، هو مضمونه المتعين من تلقاء أنّفائه الذاتي. وتلك هي العلة في تحصيل أيّ مضمون لصورة التعيين العلميّ (أي الديالكطيقّي): النفيّ نفيّ ذاتي حاصله واجب وإيجاب في آنٍ.

ف«الليس لا يكون بالفعل النتاج الحقّ إلّا من حيث يؤخذ بما هو ليس الذي يتأتى منه، فإنّما هو ذاته عندئذ ليس مقيداً وذو مضمون ما (...). ولما يُدرّك النتاج كما يكون على الحقيقة، أي كنفي مقيد، فإنّ صورة جديدة تكون نجمت مع ذلك في - الحال، فيكون قد تمّ في النفي التمار الذي من خلاله تحضّل

(57) الأصل في المثل (Ein Beispiel) أنّه تمثيل على ولما يدول عند... Spielen bei، فالمثل تلويح بالمثال الذي تتلعب عنده وحذوه ويضرب به المثل في مثاليته. كذا تكون *Phänomenologie des Geistes* مثلاً على طريقة الفلسفة، أي شاهداً نسقياً عليها، بل مرجعاً لها. قارن في ما يتعلّق بلفظ «المثل/ المثال»: فاتحة طور الإيقان الحسيّ، الهامش رقم (1) ص 192 من هذا الكتاب.

السيرورة من تلقاء نفسها بمعية السلسلة  
الشاملة للأشكال» (المقدمة، ص 183).

إن القوة اللامتناهية التي للطريقة تقوم على مسار «المنهجية»  
(Die Methodesierung) التي يأتيها التليُس أو الانتفاء المقيّد، من  
حيث هو نفِي أو لَيْسُ الذي يَنْتُجُ عنه. ولا يتسنى لهذا الجنس من  
النفِي أن يُنتِجَ صورةً التعيين بالجملة (أيًا كان مضمونها) ما لم يكُ  
نفياً منعكساً، أو نفِي نفِي نتاجه موجب<sup>(58)</sup>. وذلك هو على  
التدقيق ما به تُكتسب زاوية نظر العلم: أن المتناقض لا ينتهي إلى  
عدم، بل يتليُس ويتنفى على معنى نسخه لمضمونٍ ضمن مضمونٍ  
أثرى وأقيد. تلك هي جادة السليبي وعمله، وذلك هو حزم  
المفهوم ومصابرته على التليُس<sup>(59)</sup>.

وبالجملة فإن علم فنومينولوجيا الروح يناظر نسق العلم  
بجملته، لا من حيث حاصله وحسب، بل من حيث طريقته  
الديالكطيقية أيضاً. ولعل ذلك ما جعل فنومينولوجيا الروح تحلّ  
محلّ الحدّ الأوسط في نصّ نسق الفلسفة الذي يُعرف بنصّ توطئة  
نورنبرغ، وهو الذي مثل متن تدريس هيغل لتلامذة معهد نورنبرغ  
من 1809 إلى 1811، ولم يُنشر إلا بعد وفاته.

لكنّ المنزلة التي تحتلّها فنومينولوجيا الروح، في نسق  
نورنبرغ، هي بالجوهر منزلةً ملتبسة؛ فالنومينولوجيا تمثل فحوى

Hegel, Ibid., p. 21, 26-34.

(58) انظر:

(59) قارن: ص 130 من هذا الكتاب (في عمل السليبي)، ص 141 (في  
قدرة السليبي)، ص 141 (في القوة السحرية للسليبي التي تقلب إلى الكينونة)،  
ص 143-144 (في السليبي من جهة ما هو المحرّك وهو الذي للمضمون). أمّا في  
ما يتعلّق بالفضائل المنهجية للسليبي فانظر بخاصة أعمال دييتر هينرش:  
Dieter Henrich: «Formen der Negation in Hegels Logik.» *Hegel-Jahrbuch*  
(1974), pp. 245-256; «Hegels Grundoperation,» in: Ute Guzzoni, Bernhard Rang  
und Ludwig Siep, eds., *Der Idealismus und seine Gegenwart. Festschrift für  
Werner Marx Zum 65. Geburtstag* (Hamburg: F. Meiner, 1976), pp. 208-230.

الدرس المخصّص للأقسام الوسطى، ويتقدّمها درس الأقسام الأولى الذي غرضه فلسفة الحق والأخلاق والدين، ويتلوها درس الأقسام العليا أو النهائية الذي يتمثل في موسوعة فلسفيّة. وعلى الرغم من أنّ فنومينولوجيا الرّوح تمثّل حلقة الوصل بين الباب الأوّل والباب الثالث من التوطئة الفلسفيّة، وتؤدّي بالتالي دور الحدّ الأوسط ضمن البنية القياسية للنسق، فإنّها لا تكون ذلك إلّا بشرطين: أولهما أنّها تعرى من أطوار الرّوح والدين والعلم المطلق، وتقف عند طور العقل؛ وثانيهما أنّها لا تكون الحدّ الأوسط لنسق الفلسفة إلّا جنب المنطق. ومعناه أنّ فنومينولوجيا الرّوح قد انحسرت في هذا النسق لتصير مجرد علم في الوعي يمهد لمنطق الكينونة والماهية والمفهوم. لكنّ الأقطع من ذلك هو أنّ ما عدا علم الوعي في فنومينولوجيا الرّوح صار راجعاً إلى الجزء الثالث من موسوعة الفلسفة، نعني فلسفة الرّوح من جهة ما هو روح عمليّ وروح متحقّق.

فإذا كانت منزلة فنومينولوجيا الرّوح قد بدأت تلتبس في نسق طور نورنبرغ، فالعلة في ذلك هي انتساح علم فنومينولوجيا الرّوح ضمن فلسفة الرّوح، والإبقاء على علم الوعي بما هو توطئة لزواية نظر علم المنطق. إفراذ فلسفة في الرّوح تقوم برأسها هو الذي أسقط من فنومينولوجيا الرّوح علم أظهار الرّوح وأرجعها إلى مجرد علم تجربة الوعي. وهذا الإسقاط هو الذي سيترسخ في طور هايدلبرغ مع نشر موسوعة العلوم الفلسفيّة (1817)، وبخاصّة مع وضع التمثيل النهائي لفلسفة الرّوح (في جزئها الثالث بعد المنطق والطبيعيّات) التي سيتميّز الرّوح وفقها كروح ذاتي وموضوعي ومطلق. عندئذ تصير فنومينولوجيا الرّوح من جهة ما هي علم الوعي وحسب، الطور الذي يتوسّط في ربو الرّوح الذاتيّ الأنثروبولوجيا (التي غرضها النفس) والبسيكولوجيا (التي غرضها الرّوح). أمّا التقييدات الموضوعيّة للرّوح وإطلاقه كفنّ ودين وفلسفة فإنّما تخرج تماماً على المقام الفنومينولوجيّ الصرف.

وبالجملة فإنّ العبارة الفنومينولوجيّة لنسق الفلسفة تبدو منذ 1817 على أنّها قد أنتسخت تماماً ضمن العبارة الموسوعيّة لنسق العلم، فتكفّت فنومينولوجيا الرّوح عن كونها الكفء أو النّظير المنطقيّ لجملة نسق العلم. ولكنّ ذلك الانتساح لا يستقيم إلّا من حيث تحلُّ فلسفة الرّوح محلّ علم فنومينولوجيا الرّوح، فلا يبقى من نسق 1807 سوى علم تجربة الوعي الذي يصير في البيان الموسوعيّ للفلسفة الطور الأوسط للرّوح الذاتيّ من حيث يصلُّ طور الأنثروبولوجيا بطور النولوجيا. لكنّ تنزيل هيغل لنصّ 1807 ما ينفكّ ينمّ عن تحيّر شديد حتّى في هذا الطور الأخير الذي رسخت فيه وثاقه فلسفة الرّوح من النسق.

في المفهوم الاستهلاكيّ (Vorbegriff) لموسوعة العلوم الفلسفيّة (في طبعة 1817 كما في طبعتي 1827 و1830) يكتب هيغل ما يلي:

«لقد عالجتُ في السابق فنومينولوجيا الرّوح، [أي] التاريخ العلميّ للوعي، بما هي الجزء الأوّل للفلسفة من حيث كان ينبغي أن تتقدّم العلم المحض، ما دامت نجم مفهوميّه. لكن في الوقت نفسه الوعي وتاريخه، مثله مثل أيّ علم فلسفيّ آخر، ليسا مبتدأً مطلقاً، بل حلقة عضويّة (Ein Glied) في دائرة الفلسفة».<sup>(60)</sup>

لم يعد هيغل يجمع في تقديم أثر 1807 بين صفتي الفاتحة العلميّة والجزء الأوّل من نسق العلم. إنّما تتقدّم فنومينولوجيا الرّوح العلم المحض، لا من جهة كونها الباب الأوّل من نسق العلم، بل من حيث تمثّل نجم (Die Erzeugung) مفهوم العلم. وعليه تكفّت عن كونها بدءاً مطلقاً للعلم، لتسمي طرفاً أو حلقة

Hegel, *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften* (1817), § 36. (60)

عضويةً في دور الفلسفة. التباس هذا التنزيل للفنومينولوجيا يرجع  
إذاً إلى الجمع بين صفة التقديم من دون أن تكون الفنومينولوجيا  
مبتدأً للعلم بإطلاق وصفة الإدراج ضمن دائرة الفلسفة (طرف أو  
حلقة من بين حلقات متشاذةٍ تقيم كلها جملةً النسق الموسوعي  
للفلسفة). ولكن هذا الإدراج يستتب ما لم تتعدّ الفنومينولوجيا  
تاريخ تكوين الوعي، أي ما دامت تتقدّم العلم المحض (الذي  
بيانه هو المنطق) كأنها علمٌ سلبيّ (Als negative Wissenschaft).  
لذلك يذهب هيغل في عين الموضوع إلى مقارنة خفية بين منزلة  
الفنومينولوجيا ومنزلة الربيّة من العلم<sup>(61)</sup>: كلتاها علم سالبٌ من  
حيث يتعقّب نسخ صور المعرفة المتناهية وبخاصّة مفترضات  
الذهن والتصور، فيوظف للمعرفة العلمية من دون أن يكون في حدّ  
ذاته علماً موجباً.

في طبعتي 1827 و 1830 للموسوعة يذهب هيغل حدّ  
التلويح بوجوب استعاضة فنومينولوجيا الروح بفاتحةٍ أو توطئةٍ  
«أكثرَ قرباً أو ملاءمة (Als nähere Einleitung)» لزاوية نظر العلم  
المحض، ألا وهي التي تتمثل في عرض مواقف الفكر بالنظر إلى  
الموضوعيّة، والعلّة في ذلك هي أنّ النسق الفنومينولوجي كانت  
قد اختلطت فيه ناحيتا نظريّ متباينتان: ناحية الصوريّ  
(Das Formelle) التي تخصّ ربو الوعي من جهة لاتساوي إيقانه  
مع ألفي - ذاته، وناحية الفحوى (Der Gehalt) التي ترجع إلى  
أغراض أبواب خاصّة بالفلسفة (ومثاله الأخلاق والإتيقا والفن  
والدين)،

«لقد أصبح العرض أكثرَ تركباً (verwickelter)،

(61) المصدر نفسه، الفقرة نفسها: «يمكن للربيّة بما هي علم سالبٌ ومن  
حيث تُعتمدُ عبر جميع الأشكال التي للمعرفة المتناهية، أن تتقدّم كذلك كمقدّمة من  
هذا القبيل».

وما ينتمي إلى أبواب الأغراض الحاقّة إنّما  
يقع في شطرٍ في تلك الفاتحة<sup>(62)</sup>.

وما يلوح من ذلك هو أنّ هيغل باتّ يقوم نصّ 1807  
انطلاقاً من تعارضه مع زاوية النظر الموسوعيّة لنسق الفلسفة.  
فالتشديد على تشابك الربوّ الجوانيّ للوعي بالأشكال الحاقّة للروح  
وتصالب ديكالطيقا المضمون الباطن للروح مع ديكالطيقا صور  
أظهار عين الروح إنّما ينتهي إلى الإقرار بوجود تقيّد نسق العلم  
من جهة ما هو موسوعة<sup>(63)</sup> «بأوائل العلوم ومفاهيمها الأساسيّة» من  
دون التوسّع في ربوّها الجزئيّ<sup>(63)</sup>.

لكنّ الآكد من ذلك كلّهُ أنّ تنزيل نسق 1807 ضمن البيان  
الموسوعيّ للفلسفة باتّ موقوفاً عند هيغل على أرّتباطه بعلم  
المنطق؛ فاستبدال علم تجربة الوعي بعرض مواقف الفكر من  
الموضوعيّة كتوطئة لمفهوم العلم المحض إنّما يرجع إلى أنّ النسق  
أمسى يتعقّب فاتحة ملائمة الغرض منها ليس بيان تاريخ تكوين  
الوعي الطبيعي وحسب، بل بخاصّة كتابة جنس من التاريخ «قبل -  
العلمي» أو «قبل - التأملّي» الذي تنتقض فيه جميع نتاجات التصرّ  
والذهن، حتّى يخلّص مقام العلم بما هو مقام تعيّن تقيّدات الفكر  
(Die Denkbestimmungen) تعيّن ذاتياً/ موضوعياً، وذلك هو  
الأصل في علم المنطق، لكن من دون أن يجب عن ذلك التاريخ  
إلغاء نسق 1807 أو الطعن في لزومه.

---

Hegel, *Werke in Zwanzig Bänden*, vol. 8: *Enzyklopädie der* (62)  
*philosophischen Wissenschaften im Grundrisse* (1830) I, p. 92, § 25.

(63) المصدر نفسه، الفقرة 16: «إنّ العلم بما هو موسوعة لا يُعرض على  
النموّ المفصّل لجزئياته، بل لا بدّ أن يتقيّد بأوائل العلوم الجزئيّة  
ومفاهيمها الأساسيّة». وذلك هو على التديق ما يجعل فنومينولوجيا  
الروح (Phänomenologie des Geistes) تنتسخ ضمن فلسفة الروح، فتعري من الأشكال  
الحاقّة للروح الأخلاقيّ والإتيقيّ والدينيّ، فهذه كلّها تنتمي إلى الروح الموضوعي  
والمطلق، لا الروح الذاتي.

## 2. فنومينولوجيا الرّوح وعلم المنطق

لقد رأينا في الشاهد قبل الأخير أنّ فنومينولوجيا 1807 تلزّم نسق الفلسفة من حيث تنطوي على نجم مفهوم العلم المحض نفسه. ولا يسع الفنومينولوجيا أن تنتج عينَ المفهوم ما لم تتصيّر في حدّ ذاتها من علم تجربة الوعي إلى علم أظهر الرّوح، أي ما لم ينته ربو الوعي والرّوح إلى طور العلم المطلق. تلك هي على التدقيق العلة في تحيّر النسق بإزاء تنزيل نصّ 1807 منزلةً محكمةً: فما حيلته في الإحكام بنصّ يكاد يستغرق وحده مفهوم التفلسف نفسه، فلا تنفك وثاقته من نسق الفلسفة تشتدّ؟

إنّ فنومينولوجيا الرّوح تمثّل في حدّ ذاتها البيّنة الفلسفيّة على العلم. لذلك لا بدّ أن تكون هي نفسها من جنس مفهوم العلم الذي ينتجُم (Erzeugen) في ثناياها. ولذلك أيضاً شدّدنا على وجوب أن تخرج فكرة الفنومينولوجيا عند هيغل على مقام نقد أو نظرية المعرفة الذي سكنث إليه جُلّ المثاليّات المتقدّمة على نصّ 1807، بل لا يكون بوسع الفنومينولوجيا أن تنتج البيّنة على مفهوم العلم إلا إذا ما نسخت سؤال المعرفة في السؤال عن قوام العلم نفسه، أي ما عدلّ الفنومينولوجيّ الديالكتيقيّ من جهة ما هو أسطقس العلم بإطلاق. ولو كان الفنومينولوجيّ دون الديالكتيقيّ أو خارجها لأرتفع وجوبُ الفاتحة العلميّة للعلم، بل يكون من المحال استنباط مفهوم العلم نفسه. وعليه فإنّ فنومينولوجيا الرّوح ليست مجرد توطئة (Eine Anleitung)، وإنّما هي فاتحة (Eine Einleitung) علميّة تضاهي علميّة النسق نفسه، بل تكاد تكون في حدّ ذاتها نسقاً برأسه، ما دامت تنتج هي نفسها مفهوم العلم.

ذلك ما يبيّن من الرابطة الوثيقة بين فنومينولوجيا الرّوح وعلم المنطق التي ما انفكت تتوطد من 1812 إلى 1830، على



الرغم من تحيّر هيغل في تنزيل نسق 1807 ضمن جملة الفلسفة من جرّاء انتساح فنومينولوجيا الرّوح ضمن فلسفة الرّوح. ثمّة تكاينٌ (Ein Koextensivität) جوهريّ يقرنُ الفنومينولوجيّ عند هيغل بالعنصر المنطقيّ (Das Logische)، وهو ما يجعل من علم فنومينولوجيا الرّوح طرفاً أو حلقةً عضويّةً لا قيام لعلم المنطق من دون تقديم ذاك على هذا. في مقدّمة الكتاب الأوّل (كتاب الكينونة 1812) من علم المنطق يؤكّد هيغل ما يلي:

«لقد عرضتُ في فنومينولوجيا الرّوح (بامبرغ وفورتسبورغ 1807) الوعي على حركته الرّابية من التقابل الأوّل الذي في - الحال بينه وبين الموضوع حدّ العلم المطلق. هذه الثبينة تمرّ عبر جميع أشكال علاقة الوعي بالموضوع، وتنتهي إلى مفهوم العلم بما هو نتاجها. وعليه فهذا المفهوم (بغض النظر عن كونه يهملُ ضمنَ المنطق) لا يقتضي البتّة تبريراً هاهنا لأنّه قد أُستفاده ههناك؛ ولا يحتمل أيّ تبرير مغايرٍ لتنتججه عبر الوعي من جهة أنّ أشكاله تحللت في عين المفهوم كأن في الحقيقة. - وكلّ ما يقود إليه نحوّ مباحك في تأسيس وتفسير مفهوم العلم هو أن يساق هذا المفهومُ أمام التصرّور وتُنجز في شأنه معرفةً تاريخيّةً؛ أمّا حدّ العلم أو على التدقيق حدّ المنطق فلا بيّنة عليه إلّا في تلك الضرورة لهله»<sup>(64)</sup>.

هذا الشاهد مبنيّ على تقييد الحاصل العلميّ عن فنومينولوجيا

Hegel, *Wissenschaft der Logik. Das Sein* (1812), p. 15, 15-32.

(64)

الرّوح، فهذه إنّما تمثّل هِلَّ (Die Hervorbringung) مفهوم العلم أو انتجامة وتأسيسه (Die Begründung) وفسره (Die Erläuterung) بل حدّه بما هو كذلك. إنّ حلّ جميع أشكال التقابل بين إيقان الوعي وبين الموضوع وانتسآخها ضمن العلم الذي يعدل فيه الإيقان الحقّ، هما اللذان يقيمان البيّنة الفنومينولوجيّة على مفهوم العلم. وبالتالي حاصل الرّبوّ الفنومينولوجيّ للوعي إنّما هو مفهوم العلم نفسه بما هو تواسطُ أُلْفِي - ذاته والماهية، أو ائتلاف الوعي والوعي - بالذات، أو تعايُن المضمون وألّهو. كذا تكون فنومينولوجيا الرّوح استنباط مفهوم العلم الذي به تتقدّم بالضرورة علم المنطق، حتّى إنّ تلك تمثّل التبرير المفترض لهذا، من حيث إنّها تكون نسختُ بالفعل الاختلاف بين المعرفة والحقيقة، فيكون المضمون إذاً قد آبَ إلى ألّهو وتوثق من تَعْيِينِة المفهوم الذي يسمي في حلّ من ظاهرته<sup>(65)</sup>. وعليه فحركة تقييدات المنطقيّ (من تعيينات الكينونة ثمّ تعيينات الماهية إلى تعيينات المفهوم) إنّما تفترضُ الصورة التي تحكم مجرى الفنومينولوجيّ كأنّها عمادها وفسرُها اللذان يستغرقانها من قبل أن تبدأ.

لكنّ هذه الرابطة الشديدة بين الفنومينولوجيّ والمنطقيّ تشتمل على جانبٍ مشكِلٍ يطال جملة النسق، وهو ذلك الذي يُظنُّ فيه أنّه تناظرٌ مطلقٌ بين أشكال الوعي وبين لحظات التعيّن

---

(65) انظر خاتمة طور العلم المطلق (ص 772 من هذا الكتاب): «إذا كانت كلّ لحظة في فنومينولوجيا الرّوح الاختلاف ما بين المعرفة والحقيقة، والحركة التي ينتسخ فيها هذا الاختلاف، فإنّ العلم لا يشتمل - على العكس - على هذا الاختلاف ونسخه، بل يجمع - من حيث إنّّ للحظة صورة المفهوم - في وحدة هي في - الحال ما بين الصورة الموضوعيّة التي للحقيقة والصورة التي للهِو العالم. فاللحظة لا تهلُّ كمثل الحركة المتراوحة من الوعي أو التصوّر إلى الوعي - بالذات أو العكس، بل شكل اللّحظة الخالص الذي يكون في حلّ من ظاهرته في الوعي، أي المفهوم الخالص وربّوه، لا يرتبط إلاّ بالتعيّنة الخالصة التي لهذا المفهوم».

المنطقيّ للمفهوم؛ فأخر صفحات فنومينولوجيا الرّوح تلوّح بذلك الجنس من التناظر حيث:

«يُنَظَرُ بِالْجُمْلَةِ كُلٌّ لِحِظَةٍ مَجْرَدَةٍ مِنَ الْعِلْمِ  
شَكْلٌ لِلرُّوحِ الْمَظْهَرِ. فَكَمَا أَنَّ الرُّوحَ الْكَائِنَ  
لَيْسَ أَثْرَى مِنَ الْعِلْمِ، فَلَيْسَ هُوَ فِي مَضْمُونِهِ  
بِأَحْسَرٍ [مِنْهُ]»<sup>(66)</sup>.

صحيحٌ أنّ مبتدأ مجرى تشكّلات الوعي يماثل قليلاً مبتدأ مجرى التعيينات المنطقية، نعني على التدقيق الإيقان الحسيّ من حيث يتعاطى الكينونة التي في - الحال وأولى لحظات التقييدات الأنطية بما هي أيضاً الكينونة المجردة والتي في - الحال. لكن أن يُظنّ في ذلك التماثل النسبيّ أنّه ينقلب شيئاً فشيئاً تناظراً محكماً بين ذلك المجرى وهذا، فذلك ممّا لا يمكن البتّ فيه، لأنّ زاوية النظر الفنومينولوجية غيرُ زاوية النظر المنطقية، أو بالأحرى المنطق الذي يحكم مسرى أشكال الوعي غير المنطق الذي يسند مسرى التعيينات الأنطية والماهوية والمفهومية. فهذا على العكس من ذلك في حلّ تامّ من قيدٍ أظهر المعرفة بالموضوع أو من تقابلات الوعي، إنّ هذا المسرى المنطقيّ إلّا ملكوت تعيينات الفكر المجردة شديداً حيث يتوطد تهويّ الجوانيّ والبرانيّ. لذلك تصف مقدّمة علم المنطق «المجری المحض» لتعيينات الفكر من جهة ما هو «ملكوت الظلال» (*Das Reich der Schatten*)، يستتبّ فيه للفكر قيامه برأسه الذي يجعله في حلّ ممّا هو متجسّدٌ عينيّ جزئيّ، فلا قوامَ له إلّا توسيطات الصيرورة المحض<sup>(67)</sup> بما هي حركانُ الأيسيات البسيطة.

(66) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(67) انظر ص 26-27، الأسطر: 1-26 من: Hegel, *Wissenschaft der Logik, Das Sein* (1812).

لكن ذلك الفرق الجوهرى بين الفنومينولوجى والمنطقى لا يلغى التشابك المركب بين العنصرين<sup>(68)</sup>. فإذا كان المنطقى في حاجة إلى التبرير بل الاستنباط الفنومينولوجى لمفهوم العلم، فإن الفنومينولوجى بدوره ينطوي في حد ذاته على تفاعلات للمنطقى محايدة لصيرورة الوعي نفسها. لذلك ينبه هيغل على سبيل أن تكون متا على بال الأفاعيل المصوّرة والمشكّلة التي للأسيات المنطقية<sup>(69)</sup> في صلب صيرورة الوعي، من مثل «ألفى - ذاته» و«الكون - ذاته» و«الكون في - ذاته ولذاته»، وما شاكلها. وحركة هذه الأسيات الروحانية الخالصة هي التي تمثل بالجملة «قوام طبيعة العلمية» من جهة ما هي العلة في أنبساط المضمون «إلى كل عضوي» حي (ص 142).

فبقدر ما يلوح الفنومينولوجى بمفهوم المنطقى، بقدر ما تترسخ وثاقه المنطقى من مجرى الفنومينولوجى، من دون أن يخل ذلك بالفرق الجوهرى بينهما. لذلك لما عقد هيغل العزم على إعادة نشر فنومينولوجيا الروح في 1830 وشرع في مراجعة النص، كتب على هامش مراجعته لنص الاستهلال تلويحاً يثبت فيه ما يلي:

---

(68) في معنى اقتران الفنومينولوجى والمنطقى انظر ص 12 وما بعدها (في معنى فاتحة العلم بالجملة)، الهامش رقم (26) ص 41 (في منزلة الديالكطيقا ضمن فنومينولوجيا الروح)، وبخاصة ص 55 وما يتلوها (في علاقة الفنومينولوجى بالمنطقى)، ص 111 وما يتلوها (مبتدأ المنطق بما هو حاصل نص 1807) في: Fulda, *Das Problem einer Einleitung in Hegels Wissenschaft der Logik*.

لكن فولدا يشدد على تنزيل نسق 1807 ضمن *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften* أكثر من تشديده على اقتران المنطقى والفنومينولوجى (المصدر المذكور، ص 12).

(69) الاستهلال، ص 161-162 من هذا الكتاب: «لهذا فرأس الأمر في دراسة العلم إنما هو تحمّل المجاهدة في المفهوم. وهذه المجاهدة إنما تقتضى التلفت إلى المفهوم بما هو كذلك وإلى التعيينات البسيطة، من مثل تعيينات الكون - في - ذاته والكون - ذاته والتساوي - الذاتى وما إليه، فهذه إنما هي من جنس الحركات الذاتية التي يمكن تسميتها بالأنفس ما لم يلوّح مفهومها بما هو أرفع منها».

«الفنومينولوجيا

الجزء الأول على الأصل (Eigentlich)

أ) تتقدّم العلم

سوقّ الوعي إلى هذه الزاوية من النظر

ب) [ينبغي] تقييد الموضوع لذاته قدماً

المنطق، من خلف الوعي (...).<sup>(70)</sup>

البيّن من هذا التلويح أمران، أولهما أنّ نسق 1807 ما زال يتقدّم من جهة ما هو فاتحة علمية العلم المحض؛ وثانيهما وهو الأهم، هو تشديد هيغل على منزلة المنطق من علم فنومينولوجيا الروح، فإذا كان لا بدّ للمنطق أن يعتمل «من خلف الوعي»، فذلك معناه أنّ صورة مجرى أشكال الوعي موقوفة في جملتها على الأيسيات المنطقية. بل ما يشكو منه نصّ 1807 في تقدير هيغل هو عدم كفاية بيان هذا التصالب البنيويّ بين المنطقيّ والفنومينولوجي: لذلك لا يتيسّر تقييد الموضوع لذاته قدماً ما لم يتمّ التشديد على إبانة أفاعيل المنطقيّ ضمن كلّ تشكّل من تشكّلات الوعي، وبخاصّة في أطوار الوصل والتمارّ من تشكّل إلى آخر كما في صور انتساخ كلّ منها في التشكّل اللاحق.

---

(70) هذا التلويح يمثّل غرض الضميمة الرابعة المنشورة ضمن الطبعة التي اشتغلنا عليها في هذه الترجمة: انظر ص 550-552، أما الشاهد فجاء في ص 552، الأسطر 3-9 في: Hegel, *Phänomenologie des Geistes*.

وقد تمّ اكتشافه ضمن مخطوط لدرس هيغل في البرهنة على وجود الله يعود إلى سداسي صيف 1829، والأكيد أنّ هذا التلويح يرجع إلى طور مراجعة هيغل لنصّ 1807 (ولم تتعدّ المراجعة الصفحة XXXVII من نصّ الطبعة الأصلية للإستهلال)، قصد إعادة نشر *Phänomenologie des Geistes*، وهي مراجعة بدأت في أواخر عام 1830.

### 3. فنومينولوجيا الرّوح وسؤال الفلسفة

إنّ نصّ 1807 يمثل على الحقيقة استثناءً فلسفيّاً مفرداً ضمنّ النسق الهيجليّ نفسه. فزائداً إلى كونه أوّل النصوص النسقيّة لهيغل، ونظير النصوص التي ستتلوه، نعني علم المنطق (1812-1816) وموسوعة العلوم الفلسفيّة (1817؛ 1827؛ 1830) وأوائل فلسفة الحقّ (1821)، فإنّه على الحقيقة ليس كجميع أركان النسق الهيجليّ من جهة أنّه أوّل نصّ يستوضع فيه هيغل مقاماً محدثاً للتفلسف لا عهد للمثاليات الألمانيّة به. من هذا الوجه تختم فنومينولوجيا الرّوح وتوطّد ما كان قد شرع هيغل في الاشتغال به مذ أوّل طور إيبنا، نعني صياغة سؤال الفلسفة في حدّ ذاتها لا من حيث وجوب العلميّة فيها وحسب، بل كذلك من حيث الخروج بها على جملة ما آل إليه تاريخ الميتافيزيقا، حتّى تستقرّ إلى حرفها الأخصّ الذي هو التأمليّ (Das Spekulative). وهو ما ستعقب الفحص عنه بالوقوف على نصّ الاستهلال.

إنّ نصّ استهلال فنومينولوجيا الرّوح من أكثر النصوص الهيجليّة كثاتة، ومن أحكمها نظماً ووقعاً وأشدّها عواصةً في الوقت ذاته، فهو استهلالٌ لنسق العلم بالجملة، وليس استهلالاً لنصّ 1807 وحسب. ولكنّه من جهة ما هو استهلالٌ لا يتعدّى - مثله مثل كلّ الاستهلالات - مجرد التلويح الذي يستقدم المضمون الحاقّ لعلم فنومينولوجيا الرّوح: كلّ استهلال - وإن كان استهلال نسق العلم - يظلّ مقيداً ومشوباً بضرب من الصوريّة تجعله دون الانبساط الحاقّ الذي للمضمون الملوّح به. كذا يعمد هيغل مذ فاتحة الاستهلال إلى الطعن في الصلاحيّة الفلسفيّة لكلّما استهلال<sup>(71)</sup>، فمن المحال أن يفى الاستهلال كفاية عبارة الفلسفيّ وبيانه بياناً

(71) «إنّ ما جرت العادة على تقديمه في ما يُكتب من استهلال أنّه تبيانٌ للمقصد الذي يندب إليه الكاتب وللبواعث والصلة التي تربط الكتاب بما سبقه أو عاصره ممّا =

نسقيًا، لأنه محال أن يحلّ الاستهلال محلّ قيل التفلسف الصادق. إنّما التفلسف إنقاذٌ في الأمر ذاته وأحتمالٌ للزومياته من دون استهلال أو توطئة<sup>(72)</sup>. حسب الاستهلال إذاً أن يلوّح ويشير من وجهٍ صوريٍّ غيرٍ حاقٍّ إلى وجوبِ الفلسفة كنسق علم، من دون أن يزعم في ذلك أنه يأتي البيّنة على ذلك الوجوب، فما بيّنة هذا الوجوب إلا مسرى النسق نفسه.

تلك هي العواصة الأمّ في قراءة استهلال فنومينولوجيا الرّوح: استهلالٌ يُقصد رأساً إلى إلغاء وظيفة كلّ استهلال حتّى ترسخ لذاتها حروف السؤال في الفلسفة من حيث تتقيّد وفق ضرورة استحالة الفلسفة نسق علم. لكن قد يتيسّر لنا الإلمام بما جاء في هذا النصّ إذا ما أرجعنا أبوآبه<sup>(73)</sup> إلى القضايا الخمس التالية:

= كُتب في عين الغرض، إنّما يبدو في حال الكتاب الفلسفيّ أمراً سطحيّاً، بل هو إن اعتبرنا الأمر برأسه، منافٍ للمقام وضدّ الغاية» (ص 117 من هذا الكتاب).

(72) كذلك توّلدت مقالة هيغل في جنس الاشتغال بالفلسفة الواجب في العلم منذ كتاب الفرق (1801) *Differenz des Fichteschen und Schellingschen Systems...* ص 9، الأسطر 24-27: «إنّما ماهية الفلسفة أن تبرأ تماماً من الخاصيات، فإذا ألتمس المرء أن يبلّغها وأعتبرنا أنّ الجرم ينمّ عن مجموع الخاصيات، لا بدّ له من أن يلقيّ بنفسه فيها من دون أن يقبض جسمه عنها (à corps perdu)».

(73) لقد جرت العادة بتبويب نصّ الاستهلال على نحو المبينة بين أربعة أو خمسة أجزاء (هي ليست من وضع هيغل، بل من وضع مؤرّخي وشرّاح الفلسفة الهيغليّة من مثل لاسون وهيوليت): 1. تقييد هيغل للغرض الرئيس الذي هو وجوب أن تنصّر الفلسفة علماً، ما دامت العلميّة الشكل الحقّ الذي للحقيقة (الفقرات 1-6)؛ 2. نقد فلسفات العصر ومناظرة الحال التي آلت إليه الفلسفة من جهة استعلان آيات حلول عهدٍ جديدٍ للفكر (الفقرات 7-16)؛ 3. تقييد مقالة المطلق من جهة ما هو ذاتٌ بما هي آيةٌ ذلك الطور الجديد للرّوح: إنّما الرّوح ذاتٌ (الفقرات 17-26)؛ 4. ضرورة فنومينولوجيا في الرّوح من جهة ما هي فاتحة علميّة لنسق العلم (الفقرات 27-38)؛ 5. وضع مفهوم الطريقة التأمليّة التي تختصّ بها الفلسفة، وتمييزها من المنهج التاريخيّ ومنهج التعاليم (الفقرات 39-70)؛ ثمّ خاتمة في أجناس تلقّي الفلسفة ودور الجمهور فيها (الفقرات 71-72).

\* إنما الحق نسقٌ - «إنَّ الشكل الحق الذي تكون فيه الحقيقة إنما هو النسق العلمي الذي لها» (ص 121). ومعناه أنَّ الحق نفسه قد بات في الفلسفة من شأن الصيرورة؛ فالحق لا يحصل دفعةً ولا في - الحال، ولم يعد مجرد نكتة راسخة أو حاصل ثابت<sup>(74)</sup>؛ بل قوام الحق أنه بالجواهر يصير إلى الحق، أي إنه بالطبع حركةٌ تعيّن دوريةً تنجم من نفسها وتربو ذاتياً، لكن ينبغي ألا تُسمَع الذاتية هاهنا على المعنى المجرد الذي يرجع لتقديم الأنا أو أيّ وجهٍ من وجوه الكوجيتو (وإن كان وجه الـ «أنا أفكر (Ich denke)» الذي يساوق في مثالية كانط كلَّ التصورات أو التمثلات)<sup>(75)</sup> على المضمون وحركانه المعايث: إنما ذاتية حركة

(74) «يجب التشديد على أنَّ الحقيقة ليست عملةً مسكوكةً يمكن المرء أن يسلّمها جاهزةً وكذلك يقتضها» ص 144 من هذا الكتاب.

(75) إنَّ اعتماد كانط للأنا أفكر مبدأً بإطلاق في اشتباط مفاهيم الذهن (المقولات) هو الذي جعل من تقديم الأنا بما هو «الوحدة الترنسندنالية للوعي الذاتي» الإمكان القبلي للمعرفة من جهة أنَّ تلك الوحدة تمثل الرّبط المحض لـ «الإدراك الباطن» (Die Apperzeption). وهذا هو المبدأ الأقصى في استعمال الذهن من حيث هو قوة المعرفة بالمفاهيم. لكنَّ هذا المعنى في التفكير، أي المعرفة بالمفاهيم (Denken ist das Erkenntnis durch Begriffe)، نتيجةً تجبّ عمّا سناه كانط منذ الاستهلال الثاني «ثورة كوبرنيكية» رأس الأمر فيها تقديم الذات على الموضوع تقديم تأسيس.

مقالة كانط في هذا الجنس الأعلى من الرّبط والتوليف الذي يحايث الوعي الذاتي هي التي مثلت على التدقيق غرض مناظرات فلسفية شتى، انتهت بالجملة إلى اعتبار الأنا عماداً بإطلاق لنسق العلم. وذلك ما يذهب فيه فيشته الأول وشلنغ الأول، فكلاهما يرسخ الأنا مبتدأً وأساساً بإطلاق.

في ما يتعلّق بكانط، انظر ص 136-138: في الأنا أفكر من جهة ما هو وحدة توليفية قبلية؛ ص 110: في حدّ التفكير بما هو معرفة عبر المفاهيم؛ ص 24-26: في معنى الثورة الكوبرنيكية من جهة ما هي انقلابٌ في الطريقة المتبّعة ضمن الميتافيزيقا في: Immanuel Kant, *Werkausgabe*, 12 vols., Hrsg. von Wilhelm Weischedel, Suhrkamp Taschenbücher Wissenschaft; 55 (Frankfurt am Main: Suhrkamp, [1974]), vols. 3-4: *Kritik der reinen Vernunft*.

أما في ما يتعلّق بمناظرة فيشته وشلنغ - كلٌّ من زاوية النظر التي تخصّه - لمقالة =



الحقّ تعني هاهنا - كما سيبين من بعد حين - انتساح تقديم الذاتيّ على الموضوعيّ، وتَهَوُّيَهُمَا من حيث لا يزالان يتضادّان ويختلفان كذات - موضوع في آنٍ، أي من حيث يتعاینان في وحدةٍ لا تتجرّد من الفرق الجوهريّ، والتناقض الحيّ اللذین یقرناهما.

والبیّن من مقالة هيغل في نسقيّة الحقّ أنّها ترمي بالأساس إلى معنى العلميّة. وإذا كانت الحقيقة لا تكون إلا حركة انتساقٍ

= كانظ في الأنا أفكر، انظر ص 94 وما بعدها (الفقرة الأولى من الباب الأول): في أنا هو أنا من جهة ما هو الأسّ المطلق الذي بلا قيد في: Fichte, *Grundlage der gesamten Wissenschaftslehre* (1794), in: *Fichtes Werke*, vol. I.

وص 29-44: قول شلنغ في الأنا بما هو تفكّر ذاتيّ وحدثٌ عقليّ، ثمّ بما هو تطابق الوجود والحدوث، وإن كان شلنغ يرمي في هذا الطور من النسق إلى نسخ فلسفة الأنا وقرنها بفلسفة الطبيعة ضمن ما يسمّى منذ 1801 بفلسفة الهوية المطلقة أو العقل المطلق، من: Schelling, *System des transzendentalen Idealismus* (1800).

هذا المعنى في رسوخ الذاتيّ هو ما سيجمده هيغل في الكتابات النقدية (في أول طور إيننا) وينقّضه بما هو قصارى ما تذهب فيه فلسفات التفكّر الذاتيّ في الذاتية من جهة ما هي اكتمال ميتافيزيقا الكوجيتو الديكارتية، وهو ما يوجب نسخ هذه الميتافيزيقا في الذاتية ضمن مقالة أنّ التفكّر زمان وتاريخيّة التي تنتهي إليها فنومينولوجيا الروح. قارن ص 11-12، 23-22 في فلسفات الذاتية من جهة ما هي ظاهرة ثقافية ترفع الذهن المشترك إلى مصافّ المطلق؛ وبما هي تقيّد مطلقاً بصورة المتناهي، في: Hegel, *Jenaer Kritische Schriften*, vol. III: *Glauben und Wissen oder die Reflexionsphilosophie der Subjektivität, in der Vollständigkeit ihrer Formen, als Kantische, Jacobische und Fichtesche Philosophie*.

أمّا في توطئة كتاب الفرق... *Differenz des Fichteschen und Schellingschen* فيتّم نقض تقديم الذاتيّ على الموضوعيّ من حيث الوقوف على الذات - الموضوع الذاتيّ الذي تقيّدت به جميع المثاليات الترنسندناليّة (من كانظ إلى فيشته)، وتبريز الذات - الموضوع الموضوعيّ الذي يذهب إليه شلنغ. لكنّ الخروج على تقابل تهويّ الذات والموضوع والكيونة (الذي يرجع إلى المقابلة الأمّ بين الفكر والكيونة) إنّما يقتضي تعاین ذات - موضوع لا ذاتيّ ولا موضوعيّ، بل ذات - موضوع مطلق، ص 5 وما يليها من ترجمتنا لكتاب الفرق (مخطوط).

أو تنسَق ذاتيًّا، فالعلة في ذلك أن العلم كلُّ وجماعة متشادة من التعيينات والتقييدات التي تكون جميعاً على سيرورة ذاتية تتنظم من تلقاء عنصرها أو أسطقسها الجواني. والحق «ليس إلا الحركة الديالكطيقيّة، أي هذا المجرى الناجم من نفسه والربّي بنفسه والآيب إلى نفسه» (ص 168). ومعناه أن الحق لا يكون حقاً إذا دام برياً من الكذب والنفي، بل الحق يتصير حقاً ما أنفتح على الكذب والنفي والوهم<sup>(76)</sup>، أي أن تصير الحق حقاً موقوفً بالجوهر على كونه يشتمل على تصيره آخر وكونه غير نفسه. والعلة في كون الحق حركةً دياالكطيقيّة هي أنه يختلف ويتضاد، بل ينفرق (Sich unterscheiden) من حيث يتعيّن تعيينات مختلفة، كلّ تعين منها إنّما هو تميّز من صورته البسيطة وتعزيز لتعينيته الجمليّة الحيّة من جهة ما هي استحالتة في المفهوم بسيطاً متساوياً، لكن من دون أن يُلقى بلحظات اللاتساوي جانباً كمثل «تخليص المعدن الصافي بإلقاء الخبيث» (ص 145)، بل هو الحق من جهة ما هو الكلُّ (ص 130). لذلك ينطوي الحق بالطبع على السلبّي، إن هو إلا ذات.

\* إنّما الجوهر ذاتٌ - إن «الحق يدرك ويقال لا كجوهر بل كذلك كذات» (ص 129). على هذا النحو يعرض الاستهلال زاوية النظر الفلسفيّة التي سيتعاطاها نسق العلم كأنها ركنه الأوحد. والقول بتذوّت الجوهر إنّما يُسمع على معنيين. معنى تاريخي يشدّد على اكتمال طور ميتافيزيقا الجوهر كما ميتافيزيقا الذاتية وأنتساخهما ضمن طور ميتافيزيقيّ محدث هو طور هِلُّ المطلق من جهة ما هو ذات. لهذه العلة يلوّح نص الاستهلال في عدّة مواضع بفكرة المرور إلى طور جديد وأنّ الزمان المعاصر «زمان ميلاد» (ص 124) ينذر بحلول ما لا عهد للفلسفة به، هو

(76) «وبحق ما يعرف المرء بكذب»: ص 145 من هذا الكتاب.

على التدقيق عهدُ المطلق من جهة ما هو ذاتٌ، لا جوهرٌ وحسب. أما المعنى الثاني لتذوّت الجوهر فنسقيُّ صرفٌ. فكون المطلق ليس جوهرًا وحسب بل كذلك ذاتًا، لا يُقصد البتّة إلى التشديد على دلالة الذاتويّة في تضادّها مع الموضوعي. ميتافيزيقا الذات كما ترسّخت في المثاليّات الألمانيّة من كانط إلى شلنغ الأوّل لا تخرج على أحد إمكانيّين: إمّا ذاتٌ - موضوعٌ ذاتيٌّ يقوم على تقديم الوعي الذاتيِّ وإمّا ذاتٌ - موضوعٌ موضوعيٌّ يرجع إلى التقيّد بسيّانيّة الوعي واللاوعي ضمن فلسفة في الطبيعة.

إنّ مقالة هيجل في المطلق كذاتٍ تنقض الإمكانين جميعاً وتنسخ المفترَض الميتافيزيقيّ الذي يقرون بينهما، لتتبيّن إطلاقيّة الجوهر من حيث ينطوي في حدّ ذاته على «محض السالبيّة البسيطة» (ص 129)؛ فالذات في هذه المقالة إنّما تتقيّد على التدقيق من جهة ما هي أوساعٌ انفصام وتضادٌّ، هي أوساع نفي بل أنتفاءٍ، رأس الأمر فيها القدرة على التّفكّر في الذات ضمن الكون المغاير والتصيرِ آخر. فإذا كان لا بدّ للمطلق أن يتذوّت أيّان يتجوهر، فذلك إنّما يرجع إلى أستحالته نفسِها التي تجعل منه بالجوهر نتاجاً أو حاصلًا، فلا يكون حاقًا إلّا من جهة الاستحالة الذاتيّة (Das sich selbst Werden)، أي من حيث يتصير لنفسه موضوعاً نفسه، فلا يستوضع نفسه إلّا من حيث يتوسّط نفسه بنفسه.

لكنّ المعنى الأقطع من ذلك كلّهُ، هو أنّ هذه الحركة التي للاستيضاع الذاتيِّ وتوسّط الذات نفسها بالاستحالة غيرِ نفسها، إنّما ترمي إلى أستغراق جميع وجوه ذاتيّة الوعي - بالذات، ونسخها ضمن حركان الجوهر الرّوحيّ. والقول إنّ المطلق ليس جوهرًا وحسب بل كذلك ذاتٌ إنّما يؤول إلى القول إنّ المطلق رُوْحٌ ما دام بوسعه أن يظلّ بذاته في ذاته في كونه خارج ذاته (ص 134). والرّوْح إنّما هو قدرة الذات على أن تعترف نفسها وتؤوب إليها في الكون المغاير المطلق؛ فذاتيّة الرّوْح ما دامت

ذاتاً - موضوعاً بإطلاق ليست سوى تهوي الكينونة من جهة ما هي  
حاليّة غليظة، والمعنى أو الفكر بما هو توسيط سيّال، تهويّاً  
مرسلاً ومتصيراً.

وعليه فعدم الاكتفاء في الحقّ بجوهريّته، ووجوب سماعه من  
جهة ما هو ذاتٌ (أي تذبّوث الجوهري)، يمثّل على الحقيقة مقالة  
المقالات الهيجليّة؛ إنّها عبارة الهيجليّة كافّة: فالجوهري إذ يكون حيّاً  
لا يكون إلّا ذاتاً؛ وهذه الذات ليست ذات الفيلسوف العين التي  
كانت في المثاليات المتقدّمة على هيغل هي وحدها التي تسلك  
مسلك المطابق لنفسه بإطلاق، بل الذات عند هيغل كينونة تلتبس  
الفاعل والتحقّق، وتهو ذاتي لا يستقيم ما لم يكن موسوطة بالفرق،  
بل بالنفي، أي ما لم تك الذات حاصل تفعّلها وتنتجها. وبالتالي  
فالذات على هذا المعنى (أي بما هي ألهو) هي التي تحتل  
الجوهريّة والكلّيّة، لا العكس: لقد بادئ بذلك كلّ أشكال العطالة  
الجوهريّة (الأنا أفكر عند كانط، أو الأنا الأصلانيّ عند فيشته  
الأول أو المطابقة الذاتيّة الصمّاء عند شلّنج الأول) ما دام الجوهري  
نفسه قد بات حِمْل الذات (وحملها) على مرّ الزمان<sup>(77)</sup>.

\* إنّما الفكر زمانٌ - «أمّا الزمان (...). فهو المفهوم الكائن

---

(77) إنّ استغراق الهيجليّة لميتافيزيقا الجوهري يساوق استغراقها لمثاليات الذاتيّة  
من جهة أنّ فلسفات الذات لم تُفلح جميعاً إلّا في حمل الذات على ضرب باطن من  
الجوهريّة الخفيّة. لذلك بوسعنا أن نتمثّل نسخ ميتافيزيقا الجوهري في مساقته لنسخ  
مثاليات الذات عند هيغل على سبيل تحقيق الثورة الكوبرنيكيّة التي أشهرت بها المثالية  
التقدّية من دون أن تفي بلزوميّاتها: الثورة الكوبرنيكيّة الحقّ تقوم - من جهة ما هي ثورة  
تأمليّة - على إحياء أو ترويح الجوهري/ الموضوع/ الحامل من الداخل، بدل الاكتفاء  
بإضافته إلى ذاتيّة مجردة لا تتعدّى مقام الأنا العارفة أو الذاهنة، ومعناه أنّ الذات هي  
التي تسمي حيلى بالكلّي والمعنى، فتسغرق - من حيث يكون بوسعها أن تتميز من  
نفسها وتهوي وإن بانفراق وأنفصا - كلّ جوهريّة غليظة. ذلك هو قوام العلم المطلق،  
لا من جهة كونه مجرد علم بالمطلق، بل بما هو المطلق نفسه، أي تطلّق تامّ وأنبساط  
لا نهاية فيه يقرن الكينونة المعلومة والعلم بالكينونة، أو الموضوعيّ والذاتيّ...

نفسه» (ص 150). إنَّ أحد أهمّ استتبعات نسخ ميتافيزيقا الذاتيّة ونتائج تدوّن المطلق هو الخروجُ في فهم وحدة الكينونة والتفكير (أو ألهو والماهية) على مجرد تصوّرها وفق الامتداد (Als Ausdehnung) كما ذهبت في غاية ذلك ميتافيزيقا الجوهر. ولم يعد الأمر يجري في الفلسفة مجرى بسط التفكير ومدّه من جهة ما هو اتّصالٌ ما ينفكُ يعدلُ نفسه، فلا يكون إلاّ ضمنَ نفسه (Als Insichsein، أي لا يكون إلاّ «مشلولاً» (ص 150، آخر الفقرة 46) عربياً من الحركان الحاقّ وموقوفاً على التكرير والسيانّة. فإذا كان لا بدّ للفكر أن يتزَمَّنَ (بدل أن يتمكّن وحسب)، فالعلّة في ذلك أنّ التفكير ينطوي في حدّ ذاته على السلبيّ، بل لا يكون إلاّ سلبيّ نفسه، أي لا يحقّ إلاّ من وجه انتفائه، فإذا هو عينه آخر نفسه.

إنّ قول هيغل إنّ المفهوم زمانٌ (أو إنّ الرّوح زمانٌ)<sup>(78)</sup> إنّما يقصدُ إلى معنى فلسفيّ جليل في التدبير المتيافيزيقيّ لصلّة الكينونة بالفكر بالجملة، ولطبيعة الفكر بخاصّة. والفكر هاهنا لا يستقيم إلاّ من حيث هو حياةٌ، أي تناقضٌ كائنٌ وحاقٌّ لا يفوت ولا يزول. إنّما الفكر إذا انفراقٌ كائنٌ، أي ماهيّة متحيّرةٌ بإطلاقٍ لا قرار لها سوى سيلة الحركة النافية التي هي السالبة المطلقة أو ألهو المحض من حيث يظلّ على قلقٍ خالصٍ (Die reine Unruhe) (كأنّ الرّيح

---

(78) إنّ إقرار زمانيّة الفكر والمفهوم هو عند هيغل من أرسخ مقالات طور إينا في أشتغاله بسؤال الفلسفيّ (Das Philosophische)؛ فالاستهلال لما يثبت أنّ المفهوم في حدّ ذاته زمانٌ إنّما يرسخ مقالةً توطدت منذ دروس 1805-1806 في فلسفة الحقيق (Die Realphilosophie)، حيث يشدّد هيغل على أنّ الزمان فرقٌ كائنٌ، «الكينونة الكائنة التي لا تكون في - الحال، والليس الكائن الذي يكون في - الحال؛ فالزمان إنّما هو التناقض المحض الكائن». وعلى هامش هذا الموضوع من فلسفة الطبيعة يضيف هيغل أنّ الزمان على هذا المعنى هو «الأول في الرّوح» (im Geiste das Erste)؛ انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Jenaer Systementwürfe III. Naturphilosophie und Philosophie des Geistes (1805-1806)*, Neu Hrsg. von Rolf-Peter Horstmann, Philosophische Bibliothek; Bd. 333 (Hamburg: F. Meiner, 1987), p. 11, 4-13.

تحتَه)، لا ديمَة له إلا الحركان و«الارتحال». لذلك يطعن الاستهلال في قدرة التعاليم على سبر وفهم هذا الجنس من الحياة اللامتناهية. والتعاليم الخالصة ما دامت تعتمد مبدأ العِظَم، لا حيلة لها في الإلمام بهذا «التحير الخالص الذي للحياة والانفراق المطلق» (ص 150)، ولا وسع لها بدرك طبيعة هذا الحركان ما دامت تختفضُ به إلى المادّة اللاجوهريّة بدل أن تنزل به الأثير الجوهريّ حيث يكون الحركانُ بالفعل «ألّهو، أو الذات بما هي ذات... الديمَة والزوال» (das Bleiben eben des Verschwindens) (79).

وبالجملة حركة الصيرورة التي شدّنا عليها أعلاه إنّما تجب عن هذه المعاني من تزمن الفكر نفسه، نعني التحيرَ والتمزّق والتهيان والانفراق والتناقض؛ بل إنّ علم فنومينولوجيا الرّوح يجد عمادَه في تلك المعاني من الزمانيّة، إذ ما كان الجوهر الرّوحيّ ليظَهَر في أشكال عالم لو لم يكن بالطبع على زمانيّة شديدة هي العلة في كونه بالضرورة ينكشف ويتبدّى على مرّ الزمان. والزمان «يكشف كلّ شيء»، من حيث يلوح بكلّ كائنٍ كلحظةٍ متزائلةٍ، فلا يدوم ولا يخلدُ إلا الزمانُ نفسه من جهة ما هو حركان المتناقض، فهو إذاً النّفسُ البسيطة للصيرورة<sup>(80)</sup>. لكنّ هذه النّفسُ المحايثة للكائن إنّما هي المفهوم.

(79) المصدر نفسه، ص 18، 11-12. أما الاستهلال فيقول في هذا الشأن: «هذا التحير إنّما هو ألّهو (Das Selbst)»، ص 132 (الفقرة 22) من هذا الكتاب؛ «الرّوح لا يحصل حقيقته ما لم يدرك نفسه بنفسه في التمزّق المطلق. ولا يكون الرّوح هذه القدرة كالموجب الذي يتلقّت عن السليبي (...). بل الرّوح هو تلك القدرة ما تملئ السليبيّ ودام مقامه فيه»، ص 140 (الفقرة 32) من هذا الكتاب؛ «فالظهور إنّما هو الكون والفساد الذي هو نفسه لا يكون ولا يفسد، بل إنّما يكون في ذاته، إنّ هو قوام الحقيق وحركة الحياة التي للحقيقة» (ص 151 (الفقرة 47) من هذا الكتاب).

(80) لذلك يؤكّد هيغل في: المصدر نفسه، ص 13، 15-17، أنّ «ضرب المعالجة الصادقة لكلّ كائن تتمثل في اعتباره على زمانه، أي على مفهومه، حيث لا =

\* الفلسفة تُفهمُ مفهوميّاً - .. ينبغي في المطلق أن يفهم مفهوميّاً» (ص 122). إنّ الفلسفة لا تتصير إلى العلميّة ما لم تسكن إلى المفهوم بما هو أسطقسها الأوحد. وهي لا تنتظم علماً «إلا عبر الحياة الخاصّة التي للمفهوم» (ص 156). فالفهم المفهوميّ (Das Begreifen) هو ما به تربأ الفلسفة عن فسادات ثقافة فكر العصر من حيث تتلقت عن جادة المفهوم لتتحصن بالشعور والحدس، فتخال أنه بوسعها أن تأتي على المطلق إذا ما أدرجته ضمن المضمون المتأجج الخاصّ بذاتيّة متهيّية (ص 121، الفقرة 6) تهّم في - الحال بالمعرفة المطلقة لكأنها «طلقة مسدّس» (ص 136، الفقرة 27). ولكنّ ثقافة الشعور والحدس الباطن لا يسعها إلا أن تنفتّ من تلقاء ربوّ تاريخ الفكر نفسه الذي بدأ يلوّح بوجود أن يستقرّ التفلسف إلى عنصره الأخصّ الذي هو المفهوم: لقد باتت صورة المفهوم - من وجه عين الضرورة التاريخيّة - لازمة في بيان الفلسفة، ما دامت الحقيقة تثبت «بمعنى أنها تجد في المفهوم وحده أسطقس وجودها» (ص 121). المفهوم إذا يلزم الفلسفة لا من حيث طبعها أو عنصرها الخاصّ، بل بتقصيه كذلك الطور الذي آل إليه الربوّ التاريخيّ لثقافة العصر: كذا يرسخ المفهوم في الفلسفة وفق ضرورة جوائيّة تتعلّق بمنطق التفلسف نفسه وحسب ضرورة برائيّة ترجع إلى قضاء تاريخيّ بعينه هو قضاء أن تصير الفلسفة إلى العلم.

إنّما المفهوم وحدة الكينونة والفكر، أو بالأحرى الفكر الذي يعتمل ضمن الكينونة نفساً محايدة لكلّ كائن يتعيّن في حدّ ذاته من تلقاء انبساطه. ورأس الأمر في المفهوم هو هذا التصالب السيّال بين الماهيّة والكينونة (الفكر والكيان) الذي يتحقّق

= يكون كلّ شيء سوى لحظة متزائلة، ثمّ يضمّ لها مش هذا الموضوع الإشارة التالية: «الزمان يكشف كلّ شيء».

كمضمونٍ ما ينفك يتفكر نفسه، فإذا هو كينونةٌ مفكّرةٌ ينقلب فيها ألفي - ذاته إلى كينونةٍ لذاتها. على هذا المعنى تسمى الكينونةُ «المضمون الجوهريّ، الهُوَويّ (Das Selbstisch)، أو المفهوم» (ص 143)، لكنّ على عين المعنى أيضاً يكون المفهوم على موضوعيّة أنطولوجيّة غليظةٍ محالٌّ أن يُرجعَ بفضلها إلى تجريدات الذهن وصورانيته الجوفاء، فليس المفهوم هاهنا ملكةً معرفيّةً أو قوّةً نفسيّةً ونولوجيّةً حسبُ المرء أن يتملّكها لتنتقشَ عليها المعقولات. إنّما المفهوم رَحِمٌ تعالين الكينونة والمعرفة وتصلب الموضوعي والذاتي، أي إنّهُ على التدقيق نكتةُ العلم، لذا «فأُس الأمر في العلم إنّما هو تحمّل المجاهدة في المفهوم. وهذه المجاهدة إنّما تقتضي التلفت إلى المفهوم بما هو كذلك (...).» و[أن] يترك المرء الوتيرة المحايثة التي للمفاهيم وشأنها، فلا يتدخّل في هذه الوتيرة بأعْتباطٍ وبحكمةٍ مستعارةٍ، فهذا الامتناع نفسه إنّما هو لحظةٌ جوهريةٌ في التلفت قبل المفهوم والتنبيه على سبيله» (ص 161-162، الفقرة 58). فالأولى في التفلسف أن يحتكم المرء لسبيلِ التعيّنات الجوانية للمفهوم وبفِيءٍ لحركة مكوّناته المحايثة وإنّ تضادّت وتضاربت، فليس التفكيرُ نفسه إلّا من أسراع المفاهيم وحيواتها القاطعة والحرّة إلى ما لا نهاية فيه.

\* إنّما المفهوم بيانٌ تأمليّ - لكنّ المفهوم هو أيضاً شأنٌ عبارةً وبيانٍ خاصّين بالفلسفة من دون غيرها. لذلك يسعى هيغل في وسط الاستهلال إلى تقييد الطريقة التأملية (الفقرات 48-57) من حيث تميّز من التأملية الفاسدة التي لفلسفة العصر، ثمّ من حيث تقييدها الجوانية بالمفهوم، لينتهي في آخر الاستهلال (الفقرات 60-66) إلى مقارعة القضية التأملية بما هي ركنُ العبارة العلمية للفلسفة بالقضية الإسنادية المألوفة التي هي حكمُ الذهن، وبذلك يخلص الاستهلال إلى ديكطيقا العبارة التأملية في حدّ ذاتها من جهة ما هي نثر المفهوم أو القصّ التأمليّ للمفهوم.



أما الطريقة في الفلسفة فليست إلا «بنيان (Der Bau) الكلّ إذ يتقوّم في أيسّيته الخالصة» (ص 152، الفقرة 48). ومعناه أنّ الطريقة التأمليّة ليست تشييداً مصطنعاً، ولا تأسيساً<sup>(81)</sup> أو تنزيهاً ينضاف من وجه برّانيّ إلى المضمون، بل الطريقة انقلاب المضمون نفسه وتصيّره إلى صورة تعيّن ذاتيّه تحايثه فلا تنقطع عنه. الطريقة إذاً ليست إلا الصورة التي تتوطن المضمون، فتحدّد «وتيرتها بمعية نفسها» (ص 161، الفقرة 57). والهيغليّة بهذا المعنى التأمليّ للطريقة إنّما تقطع مع جملة التصورات المألوفة للمنهج في الفلسفة، بل تخرج على فكرة المنهج نفسها من حيث يُبقي المنهج على تقديم صوريّ لأننا المتفلسفة حيال المضمون، أي من حيث يظلّ حبيس وجه من وجوه مقابلة الذاتيّ والموضوعيّ (وإنّ كانت مقابلة ترنسندناليّة). وعليه فالطريقة التأمليّة غير مجرد المنهج ما دام المنهج صنيعاً برّانيّاً يخرج عن الأمر، أي ما ظلّ مجرد آلة تُستوسل في تنزيد تحديّدات الغرض تنزيهاً صوريّاً لا يطال ما هو الموضوع.

لهذه العلة يبسط الاستهلال مفهوم الطريقة التأمليّة من حيث تمييزها من فكرة الطريقة التي طغت على فلسفات العصر: «أما في ما شاع حدّ الآن في ما يتعلّق بهذا الأمر [أي الطريقة] فواجب أن يكون منّا على بال أنّ نسق التصورات الذي في الطريقة الفلسفية إنّما ينتمي إلى ثقافة قد أنصرفت» (ص 152، الفقرة 48). وهذا النسق يرجع على التدقيق إلى تصوّرين فاسدين للطريقة في الفلسفة؛ أمّا الأوّل فهو الذي يعتمد استعارة طريقة الرياضيات وتطبيقها على

(81) في الفرق بين الطريقة والتأسيس، انظر: ص 136 (الفقرة 27)، وص 142 (الفقرة 34) من هذا الكتاب: في التفلسف الذي يتعقّب تأسيس الحقّ فيخط خط عشواً انطلاقاً من أفكار محدّدة، ص 154 (الفقرة 50) من هذا الكتاب: في فساد التشييد وصورانيّته؛ أمّا الفقرة التاسعة، ص 123 من هذا الكتاب فتشدّد على «أنّ تحترس الفلسفة من إرادة التشييد».

علّاتها في الفلسفة، والحال أنّ الفلسفيّ مغايّر بإطلاقٍ للتعالميم<sup>(82)</sup>، فهذه إنّما تظلّ «معرفةً برآنيّةً وغربيّةً» (ص 152) عن الغرض (لا عن غرض الفلسفة وحسب، بل عن غرضها الخاصّ بها كما بان من نقد الحقائق الرياضيّة: (الفقرات 42-46). أمّا تصوّر الثاني فيرجع إلى ما يسودُ فلسفةَ العصر من تأمليّةٍ زائفةٍ يشخصها هيغل بوصفها التفكيرَ المماحك (Das rasonnierende Denken)، الذي

(82) إنّ مقالة هيغل في البين الذي لا نهاية فيه بين الفلسفيّ والرياضيّ من أشدّ المقالات النسقيّة رسوخاً منذ طور إيبنا. وتجد في الاستهلال أولى عباراتها النسقيّة. والأصل في ذلك البين أنّ العقل لم يعدّ يجري البتّة عند هيغل مجرى الحساب أو الحسابان (ratio). فالعظمُ بالجملة (والعددُ بخاصّة) قاصرٌ في حدّ ذاته عن الإفصاح عمّا هو حيّ ومتحرّكٌ بإطلاق، أي المفهوم. وتعدد التعيينات التي للفكر إنّما يظلّ تمثيلاً عريّاً من المفهوم «لا حيلة له في ذلك هذا التحير الخالص الذي للحياة والانفراق المطلق» (ص 150 من هذا الكتاب). رأس الفساد في التعالميم أنّ البرهنة تظلّ صنيعاً برآنيّاً غريباً عن الغرض، فتكون عريّةً من كلّ وجوه الضرورة التي كانت تكون محايشة للغرض، فإنّما هي تُفرض قهراً، وما على المرء إلا أن يتبع سياق البرهنة صاغراً (ص 148 من هذا الكتاب). وبالجملة فالفلسفيّ هو بالجوهر شأن اتّصالٍ وأزبابطٍ ذاتيّ (Ein Sichbeziehen) هو منبث الانفراق والتضادّ والتناقض، أي منبثّ التعيّن الحيّ والمرسل. أمّا العظم وبخاصّة العدد فلا وسع له بالتغيّر (Das Anderswerden).

لهذه العلة تؤكّد خاتمة *Wissenschaft der Logik* (التي غرضها الطريقة التأمليّة) أنّ كونَ صورةِ الطريقة من جهة ما هي وحدة ما هو في - الحال والموسوط ثلاثيّة أو رباعيّة، إنّما هو «الجانب السطحيّ والبرآنيّ» لنحو المعرفة، ما دامت الصورة العددية (Die Zahlform) المجردة من دون المفهوم، بل منافيةً له بإطلاق، أي ما دام التعديد مجرد تنضيد برآنيّ (Eine äußerliches Ordnen) عريّ من الرباط الجوّانيّ يذهب حدّ التمثيل بالفكر من حيث يجعله آلياً. انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Wissenschaft der Logik. Die Lehre vom Begriff (1816)*, Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll; Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann, Philosophische Bibliothek; Bd. 377, Wissenschaft der Logik; Bd.2 (Hamburg: F. Meiner, 1994), pp. 297-298, 29-34;

أمّا في ما يتعلّق بالتمثيل بالفكر وجعله مكنةً (ص 154، الأسطر 11-12)، حيث يحيلُ لفظ التمثيل (Die Folter) إلى البيتين 1912-1913 من *Goethe - Faust*: «فلتبدأ يا صبحي به [بالمنطق]، وسيشُدُّ فيه فكرك، فيتمثّل وينكّل به تنكلاً...»، ويقصد قوالب التفكير الصوريّ ورسومه التي يُخضع لها الفكر قهراً حدّ التمثيل به، بل مسخه شديداً.

يمثل على الحقيقة جنساً بعينه من الميتافيزيقا (ص 154). ويمكن تقييد هذا الجنس من التفكير من وجهيه الرئيسيين، نعني كونه بالجملة تفكيراً راسماً (Ein Schematisieren) يختفض بنظام العلم إلى مجرد خطاطية أو لوحٍ من التقييدات المجردة، ثم تمثيه بما هو تشييدٌ صورانيٌّ.

إنّ التفكير المماحك يتحدّد أولاً من حيث يسكنُ إلى صورته المجردة بدل أن يشتغل بذات الأمر ويحلّ فيه. أما تلك الصورة فهي محض رسم (أو خطاطية) ما تنفك المماحكة تعاشرها أيّاً كان الموضوع والغرض. فالأول عند هذا الجنس من التفكير هو تطبيق تعيين من الرسم وحمله على الموضوع «سواء كان تعيين الذاتية أو الموضوعية، أو أيضاً المغناطيسية أو الكهربائية، أو قدماً الإنكماش أو الامتداد، الشرق أو الغرب وما شابه ذلك ممّا يمكن مضاعفته إلى ما لا نهاية فيه» (ص 153-154). هذا التطبيق للرسم المجرد يمثل في واقع الأمر تعييناً برانياً للغرض ينتهي إلى استعمال آليٍّ ورتيبٍ لتعييناتٍ فكرٍ محتظةٍ كمثّل استخدام عين التعيينات في الحياة المشتركة. كذا يكون الفكر المماحك عبثاً بالمضمون لا يعمل إلا بالتصورات التي يفتدها بكثيرٍ من الاعتبار و«الذهن الميت». وكذا يصير أيضاً عين التفكير تشييداً صورانياً لنسقٍ من التعيينات العريّة من المفهوم؛ إنّ هذا التفكير إلا الأنا الخاوي الذي ينتج معرفةً تملغم التصور بالفكر، فلا ينضاف إليه المضمون إلا كمحمولٍ عرضيٍّ.

لكنّ تقييد وجهي هذا الفكر المماحك، نعني الخطاطية المجردة والتشييد الصورانيّ، لا يدفع البتة الخلط بين الوجه التأمليّ والوجه المماحك وما ينجم عنه من تهويشٍ للبيان الفلسفيّ للمفهوم (ص 167، الفقرة 64). والعلّة في ذلك أنّ المماحكة ليست إلا غاية نحو تفلسفٍ أصلائيّ، هو نحو التفلسف الذي للذهن؛ فمناظرة الاستهلال لفلسفات العصر تنتهي إلى تقييدها بما

هي بالجوهر فلسفات عقلانيةِ الذهن، وهذه إنما تمثل سنام نتاجات ثقافة الأنوار كما تجسّدت في المثالية النقدية لكانط والمثالية الذاتية لفيشته. أما المنحى المماحك فليس إلا ردةً فلسفيةً نجمت عن تلقّ فاسدٍ ومناظرةٍ زائفةٍ لمثالية كانط بخاصة. لذلك يعارض الاستهلال ما ذهب فيه هذا التلقّي المماحك من استخدامات فاسدةٍ للثلاثية الكانطية مسخّتها فجعلت منها «خطاظة عرية من الحياة» ومجرّد «شبح» نظريّ خاوٍ (ص 153، الفقرة 50)<sup>(83)</sup>. لكنّ رأس الأمر في معارضة المنحى المماحك هو التنبيه على سبيل لازمةٍ نظريةٍ بعينها، هي لازمة الارتفاع بعقلانية الذهن إلى مصاف العلم التأمليّ، فلا حيلة للذهن إلا أن ينتسخ ضمن العقل، كما أنّه لا فكاك لثقافة الذهن من أن تنتهي إلى غاية ظهورها بما هي عقلانيةِ الذهن التي تختم طورَ تفلسفٍ بأكمله، ثم تنفّت وفق عين الضرورة التاريخية إلى طور جديد، «فالاستخفاف والملل اللذان يجتاحان ما ظلّ قائماً وتوجّس المجهول، أماراتٌ تنذر بحلول ما لا عهد لنا به. وهذا التفتت المتعظم الذي لا يغيّر

---

(83) هذا المسخ النظريّ للثلاثية الكانطية (كما ترسّخت في أستنباط مفاهيم الذهن، حيث تكون المقولة الثالثة وحدة الأولى/ الههو والثانية/ الإختلاف) ساد بخاصة الطبيعيات التي طغت على عقلانية الفلسفة الحديثة زمن هيغل. وعليه فنقد صورانية الفكر المماحك إنّما يقصد رأساً إلى نقد المنحى اللاتأمليّ لطبيعيات شلنغ بين 1799 و1802 حيث يطغى استعمال عقلانية ذهنية رأس الفساد فيها تدبير برانيّ لتحديدات مجردة أو مقولات خاوية من مثل المغناطيسية والانتثار والأزوط والكهربائية وما إليه. لكنّ نقد الفكر المماحك يطال أيضاً مناظرات العصر لفلسفة كانط كما حصلت عند راينهولد وياكوبي وشلايرماخر، فهؤلاء جميعهم إمّا جنحوا إلى معقولة الذاهنة التي تفصم فترسخ المفصومات على علاقتها، وإمّا سكنوا إلى معرفة في - الحال تتلقّت عن نتاجات الذاهنة لتتحصن بالنور الإلهي أو الشعور الباطن. لكنّ هذه المقالات جميعها منافية لشرائط التفلسف الحاقّ من حيث يقتضي التفكير تصالب الصورة والمضمون، بل تعين المضمون نفسه وأنقلابه إلى مسرى تشكّل ذاتي يخرج على تقابل الذات العارفة والذات الموضوعية. انظر في نقد إيقان العصر: الاستهلال، خاتمة الفقرتين 6 و7 من هذا الكتاب.

من وجه الكلّ شيئاً، إنّما ينقطع بفجر فلقٍ يلوّح فجأةً بوضع وجهه عالم جديد» (ص 125) لا بدّ فيه للذهن أن يتصير عقلاً، أي أن ينطوي في حدّ ذاته على قوّة السلبّي التي تقلب المفصوم الراسخ تعيّنًا دياكطيقياً حياً ينفرد من تلقاء حركانه الجوّاني<sup>(84)</sup>.

إنّ وجوب انتساخ معقولية الذهن ضمن الطريقة التأمليّة هو الذي يدفع على التدقيق عن التفلسف فساد الخلط بين الوجه المماحك والوجه التأمليّ، وهو أيضاً ما يوجب في العلم «الذهانة الكليّة» من جهة ما هي السبيل إلى العلم (ص 126، الفقرة 13)، أي ما به يحصل الوعي غير العلميّ المعرفة العقليّة. الذهن إذاً واجبٌ في التأمليّة الفلسفيّة ما لم يرسخ على حدوده المفصومة وأنصاع لسيلانيّة المفهوم. لكنّ ذلك لا يحصل إلّا ضمن القضية التأمليّة من جهة ما هي ركّن العبارة التأمليّة للمفهوم. فالقضيّة التي للفكر تصوّريّ أو بالجملة الحكم، إنّما يتقوّض ضمن القضية التأمليّة نفسها كما ينتسخ عين الفكر داخل الوحدة الديالكطيقية التي للمفهوم (ص 165، الفقرة 61).

الفكر المماحك يظنّ أنّ له في الذات/ الحامل قاعدةً راسخةً (هي المسند إليه) يكفيه أن يحمل عليها ما شاء من المحمولات كأنّها أعراضٌ تعلق بالمضمون، فلا تحضّل الحركة إلّا في الإضافة البرانيّة للمحمولات التي تتحرّك وتتدافع على سطح تلك القاعدة الساكنة. والإضافة هاهنا برانيّةٌ وحسب لأنّ

---

(84) ذلك هو ما سيسميه إستهلال (1812) *Wissenschaft der Logik. Das Sein* (ص 6، الأسطر 24-25) عقلاً ذهنيّاً أو ذهنياً عقليّاً (Die verständige Vernunft oder vernünftiger Vertsand)، دلالةً على فساد مجرد الفصل بين الذهن والعقل والمقابلة بينهما بإطلاق. فالعقل الذهنيّ أو الذهن العقليّ إنّما هو تصالب التقييد (الأوروس) ونفي النفي، أي إنّ العقل الديالكطيقيّ الذي لا يستقرّ على تقييد راسخ، بل يترسّل على التعيّن من حيث ما ينفكّ التعيّن ينتفي، فيتزيّد توسيطاً حتى يصير التعيّن الأثرى والأغنى.

الذات العارفة (والمماحكة) هي التي تهلّ في واقع الأمر عند كلّ إسنادٍ لتكون وصلَ المحمولات والذات التي تمسك بعنانها (ص 164). كذا يتصوّر الفكر المماحك حقيقة الإسناد. ولكنّه سرعان ما يقف على فساد هذا التصوّر السكونيّ للحمل، فما كان يخالُه أَرْضِيَّةً صلبةً للحمل، نعني الذات/ الحامل إنّما يتخلخل على الحقيقة، فيبين أنّه المتحرّك بنفسه «الذي يتغوّر في هذه الحركة وُستَغْرَقُ» فـ «يلج الفروق والمضمون»، وبدل أن ينتصب «قبالة التعينيّة فإنّه يكونها وقيّمها» (ص 163). ومعناه أنّ ذلك الفكر عند مروره من الذات/ الحامل إلى المحمول إنّما يكابدُ انصداماً (Ein Gegenstoß) شديداً من جرّاء تمارّ الذات/ الحامل نفسها إلى المحمول، وهو عين الإنصدام الذي تتكبّده ميتافيزيقا الجوهر لما يقتضي التفلسف فيها تعيّن المطلق لا كجوهر وحسب بل كذاتٍ. إنّ نقد الاستهلال لصورة الحكم إنّما يتنزّل ضمن نقده لميتافيزيقا الجوهر بالجملة، فالحكم عبارةً فاسدةً للتفلسف من حيث تسلّم ميتافيزيقا الذهن المماحك بمفترضات جوهرانيّة تتبّعها من دون أن تتحرّى أو حتّى تعلم استتباعاتها الأنطولوجيّة<sup>(85)</sup>.

البين إذاً هو أنّ وجوب انتساخ صورة الحكم ضمن القضية التأملية (انتساخاً يلزم فيه إنصدام الفكر المماحك بحركان أجزاء الحكم) مساوقٌ لوجوب انتساخ ميتافيزيقا الجوهر ضمن تصير

(85) ذلك هو ما سيستخّضه المفهوم الاستهلاكي لـ *Enzyklopädie der*

*philosophischen Wissenschaften* (1827-1830) بما هو موقف بعينه للفكر من الموضوعيّة (الفقرات 27-36): «هذه الميتافيزيقا تفترض بالجملة أنّه يمكن بلوغ معرفة المطلق من حيث تُحمل عليه محمولاتٌ، ولم تكن تتحرّى لا تعيّنات الذهن وفقاً لمضمونها وقيمتها الخاصّة، ولا هذا الشكل الذي يتمثل في تعيّن المطلق من وجه إسناد محمولاتٍ» (الفقرة 28)؛ وتبيّن الفقرات التالية فساد هذا التقييد من جهة أنّ الموضوعيّة المعيّنة إنّما هي بالجوهر موضوعيّة متصوّرةً، فلا تكون المحمولات إلا ذاتيّة من حيث تتقابل أبداً مع ما هو موضوعيّ حاقٌ. فلا المحمولات تُتحرّى هل هي ذاتها ولذاتها حقٌ، ولا صورة الحكم تُفحص هل هي صورة الحقّ.

الجوهر ذاتاً. فكما يستحيل الجوهر بالضرورة صيرورةً ذاتيةً، كذا تتخلخل صورة الحكم من حيث لا يلبث الفرق بين الحامل والمحمول فرقاً صورياً، بل يتصير حركةً تضاداً جوائني تكبح جماح الفكر ليجد الحامل في المحمول؛ «عندئذ عوض أن يكون التفكير قد حصل الوضع الحرّ الذي للمحاكاة بعد أن مضى في ذاته داخل الحامل، فإنّه إنّما يغورُ أكثر في المضمون» (ص 166، الفقرة 62)، وذلك الكبح الباطن هو قوام القضية التأملية الذي تخرجُ به على الرابطة الدارجة بين الحامل والمحمول والمسلك المألوف للمعرفة.

إنّ وجوب التعبير عن تلك الحركة المتضادة الذي يتم فيه بيان عود الحامل إلى نفسه في المحمول، هو الذي يمثل ركن العبارة الديالكطيقية. وهذه العبارة إنّما تنم عن حياة المفهوم بما تحتمله من أسراع تعين مختلف، بل حتى متضادة، لأن الأصل في هذا الجنس من العبارة الذي يحلّ في الفلسفة محلّ ما كان يوصف بالبرهنة إنّما هو كون مضمون هذه العبارة «من طرف إلى طرف ذاتاً في حدّ ذاتها» (ص 168، الفقرة 66)، فالذي يسميه الاستهلال «بياناً تأملياً» (Die spekulative Darstellung) إنّما يقوم على انبساط الحركة الديالكطيقية المحايثة للقضية التأملية إلى حركة قيل الفيلسوف بعامّة من جهة ما هو نسيج قضايا هي أجزاءه أو عناصره. ولا بدّ للمحمول التأملي الذي ينجم ضمن القضية الفرد أن يتحقّق ضمن السلسلأن الديالكطيقية للقضايا، أي ضمن ديالكطيقا البيان الجملي للمفهوم: العبارة الديالكطيقية للتأملي ليست تستقيم إلا عبر ديالكطيقا البيان الفلسفي. وعليه فالتأملي الحاق لا يُوتى بيانه الحاق إلا في عبارة ديالكطيقية، رأس الأمر فيها أن تنتفي القضايا وتتسخ الواحدة ضمن الأخرى، إذ تلك هي الحركة السيالة للمضمون الذي هو في حدّ ذاته ذات؛ لكن تلك هي أيضاً مرانة البيان التأملي للعنصر الفلسفي، بل

«بلازيسيتها»<sup>(86)</sup> (Ihre Plastizität) التي بها يلتغي كلّ وضع للمعنى كأنه مجرد ذات/ حامل أو مجرد محمول، بل ينتفي مجرد قول المعنى على علّاته، حتّى يستغرق المعنى التأملّي قبله نفسه، إنّ هو إلّا سيلُ النفي والتوسيط شديداً لا يذر أيّما طرف وإنّ قصا.

تلك هي إذا سنّة البيان الذي قوامه تعقل الطبيعة الديالكطيقية للتأملّي: عبارة سيّارة هي ترجمان حركان يضرب في المضمون كافّة. لكن تلك هي أيضاً وثاقّة التفلسف من اللّغة التي ترسخت لاقحة تفكير بإطلاق تدفع عنه متقابلات الشكل والمضمون أو الصورة والمادّة. فالتأملّي من جهة ما هو شأنُ عبارة وبيان لا يستقيم للفلسفة إلّا إذا ما رسخت قدماها من اللّغة، فتستعلن روحها بدل الوقوف على رسمها المجرد، وتستغرق هيولانيّتها المتقلّبة عوض الاكتفاء فيها بتطويع الآلة أو استحداث أخرى. إنّما اللّغة في هذا الموضوع التأملّي من التفلسف تدبيرٌ بعينه لمقامات الكينونة. لذلك ما تنفك اللّغة تلوّح للوعي طيلة مسراه الفنومينولوجيّ بما يفوته من تجربة الذات كما الموضوع، فكلّما تحصّن الوعي بإيقانه المجرد وكانت موضوعيّة الكينونة التي يبلغها مخرومة، لاذ الفيلسوف (أو النحن الفنومينولوجيّة) باللّغة حتّى يتسنّى إخراج تقييد الموضوعيّة الأنطولوجيّة بحسب ما يناظر لحظة أظّهار الوعي نفسه<sup>(87)</sup>.

(86) قارن الهامش رقم (14) ص 167 من هذا الكتاب في مادّة: - بلاسو -

. Πλάσσω

(87) ليست اللّغة هاهنا مجرد لاحقةٍ صوريّة، بل هي على الحقيقة لاقحة فنومينولوجيّة متأكّدة لتجارب الوعي: فمنذ فاتحة تشكّلات الوعي، نعني الإيقان الحسيّ تهلّ اللّغة بما هي قسطاس الإحاطة الصادقة بالموضوعيّة الأنطولوجيّة. اللّغة إذا وجه بعينه من وجوه تدبير المعنى حيث يتهوّى المفهوم والكيان، فهي «لا تتكلّم إلّا هذا ألّهو» الذي يستوضع الكينونة ككيان (Als Dasein)، فاللّغة ليست مجرد «موطن للكينونة»، ولا هي مجرد الأصل من جهة أنّ الرّوح هو في البدء كلمة. إنّما اللّغوية أو اللّوغوسيّة (Die Sprachlichkeit) التي نعني من شأن زمانيّة التأملّي نفسه: حدنان التأملّي وبيانه الديالكطيقيّ إنّما هما بالجواهر شأنان لغويّان، ما دام من قوام التأملّي =



وبالجملة إنَّ بيانَ التأمليِّ يقتضي تقويض صورة الحكم  
ونسخها ضمن نسقٍ من القضايا التأملية هو مجرى عبارة

= أن يُقال ديالكطيقياً؛ انظر: اللَّحظة المتعلقة بالإيقان الأخلاقي (II. 2. لغة الاقتناع،  
ص 645 من هذا الكتاب: «إنَّا لنرى من جديد كيف أنَّ اللَّغة كيانُ الرّوح... فاللّغة  
إنّما هي الهو المنفصل عن ذاته الذي يصير لنفسه موضوعاً كمحض أنا = أنا، ويحفظ  
نفسه في هذه الموضوعية كهذا الهو مثلما يختلط في - الحال بالآخرين، فيكون  
الوعي - بالذات الذي لهم؛ إنّه يسمع ذاته ويدركها مثلما يسمعه الآخرون ويدركونه،  
والسماع (Das Vernehmen) إنّما هو الكيان الذي صار إلى الهو».

وعليه فرأس الإشكال لم يعد يجري مع هيغل مجرى السؤال كيف تفصح اللّغة  
عن الكينونة، بل يتعلّق باللّغويّ من جهة ما هو بالجواهر شأن تجربة وتعمّن ما كان  
التأمليّ علم تجربة المطلق وبيانها في آن. ومعناه أنّه طالما يظّهر المطلق فإنّ اللّغويّ  
يظلّ ركن الإحاطة الصادقة بذلك الأظهار. لذلك تعدلّ اللّغة من حيث أفاعيلها أفاعيل  
السلبّي في سلسلة تجريب الوعي للموضوعية الأنطولوجية. لقد باتت اللّغة  
منذ *Phänomenologie des Geistes* النكتة التي يتصير عندها المطلق في حدّ ذاته شأن  
غمارٍ وتجربة. على هذا المعنى يشدّد كتاب الفرق (وكذلك نصّ الاستهلال) على فساد  
الابتداء في الفلسفة بقضية مفردة كانت تكون عماد النسق: التأمليّ لا يُقال في قضية  
مفردة، بل يقتضي بيانه لغويّة مرسلّة تحاith نسقاً من القضايا ينسخ بعضها بعضاً حتّى  
تستقرّ عبارة المفهوم لا على سبيل رسوخ ذات/ حامل لاثية في الأسس ومحمولٍ هو  
حاصلها فذلك من فساد الحكم، ولا على سبيل التحصّن بالذات/ الحامل مطلقاً  
متوطّداً وإسقاط جميع المحمولات، فذلك انصياغٌ لما لا يُقال، بل من وجه الحركان  
الدوريّ (*als in sich kreisendes Bewegen*) الذي يجعل الذات/ الحامل تؤوب إلى  
تعينيّتها ضمن المحمول نفسه، وذلك هو الأصل في اقتران البيان الديالكطيقّي للمفهوم  
باللّوغوس.

في منزلة اللّغة من الهيغليّة بعامة، *Phänomenologie des Geistes* بخاصة، انظر:  
ص 56 وما يليها: في اللّغة بما هي تجسديّة الفهم؛ ص 59 وما يليها: في اللّغويّ  
بما هو توظّن (Als Sich-Einhausen) في: Hans-Georg Gadamer and Jürgen  
Habermas, «Das Erbe Hegels,» in: *Das Erbe Hegels I: Zwei Reden aus Anlaß  
des Hegel-Preis*, Taschenbuch Wissenschaft; 596 (Frankfurt am Main:  
Suhrkamp, 1979), and Jürgen Habermas, *Wahrheit und Rechtfertigung:  
Philosophische Aufsätze* (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1999),

(الفصل الثاني في البيداتية والموضوعية ووجوه إلغاء الترנסندننتالية)؛ و  
Alexandre Koyré, *Etudes d'histoire de la pensée philosophique* (Paris: Gallimard, 1971),

ص 191-224: في لغة هيغل ومصطلحه؛ ولا بدّ في هذا الموضوع أن نشيد بفضل  
كويري في التنبيه منذ 1931 على سبيل المقام الجليل الذي تحتله اللّغة ضمن =

ديالكطيقية مركبة رأس الأمر في صورتها مشاكلة أنفاس تعين المفهوم؛ وكما ينطوي المفهوم في حد ذاته على المتضاد والسلب، لا بد أيضاً أن تكون عبارة التفلسف على عين السالبة والتضاد، إن هي إلا نجم المفهوم نفسه بياناً ذاتياً (Als Selbstdarstellung) قوامه المرانة القاطعة والسيلانية النسقية<sup>(88)</sup>. ولكن تلك العبارة هي رأساً نثر المفهوم بما هو

= التفلسف الهيجلي. فكوري قد حدس باكراً وجوب تبرز فضل اللغة في تكوين الروح نفسه، كما في قيل التفلسف الهيجلي: تصير اللغوي لا يغير البتة تكون الروح، بل هما سيورة واحدة مركبة يكون فيها اللغوي الحاقّة الحاقّة التي للروح، أي كونه هاهنا بالفعل، لا بالتصور؛ انظر: في لغوية الوعي: ص 20-35؛ في اللغة والنسق: ص 155-175؛ في اللغة والتفكير: ص 175-204 من: Josef Simon, *Das Problem der Sprache bei Hegel* (Stuttgart; Berlin; Köln: W. Kohlhammer, 1966);

وتمثل هذه الدراسة (بالإضافة إلى المباحث الجزئية التي قام بها ه. لاونر منذ 1962) فاتحة الدراسات الهيجلية في ألمانيا التي استشكلت المنزلة النسقية للأسطقس اللغوي في *Phänomenologie des Geistes* كما في *Wissenschaft der Logik*، فخرجت باللغة على مجرد كونها وسطاً أو آلة عبارة، لتقديها من جهة ما هي بالجملة المفترض الرئيس في بيان نسق الفلسفة: اللغة عند هيجل ظاهرة تجريبية، رأس الأمر فيها تحايت فكرة الفلسفة وماهية اللغة؛ انظر ص 67-99: في المنزلة النسقية للغة؛ ص 225-256: في البيان اللغوي للتأمل في: Günter Wohlfart, *Der Spekulative Satz. Bemerkungen zum Begriff der Spekulation bei Hegel* (Berlin; New York: Walter de Gruyter, 1981),

وص 11-18: في التصور الهيجلي للغة؛ ص 229-268: في النحو المتصير والصائر (Werdende und Gewordene Syntax)؛ وفي اللغة بما هي حدثان التفكير (Ereignis des Denkens) في: Manfred Züfle, *Prosa der Welt. Die Sprache Hegels* (Einsiedeln: Johannes Verlag, 1968).

(88) لهذه العلة على التدقيق ستثبت ضميمة الفقرة 82، ص 178 من:

*Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften... (1830)*,

أن المضمون التأملّي «لا يمكن أن يُقال في قضية واحدة» ولنفس العلة يناظر هيجل في *Wissenschaft der Logik, Die Lehre vom Begriff (1816)* أثناء بيان السيورة الكيميائية بين فعل الماء في الجرميات وبين فعل العلامة بالجملة واللغة بخاصّة في الروحاني من جهة ما هو اتصال بنفسه: اللغة من جهة ما هي سيلانية المفهوم نفسه؛ انظر ص 177، 3-11 من: Hegel, *Wissenschaft der Logik. Die Lehre vom Begriff (1816)*.

على هذا المعنى يبرز ج. ر. ج. مور فعل اللغة في التفكير المفهومي من حيث =

«لاترائيه المرئي»<sup>(89)</sup>؛ إنه حرف المفهوم حيث تكون «الجوانية برانية كما تكون فيه البرانية جوانية»؛ إنما النثر هاهنا مطلق بيان، لغة ليست كلغة التصور والتمثيل، وإنما هي اللغة وحسب إذ تتلق فكراً فتنفذ المعنى أو يتنفذها حيث يقترن التفكير بالحس<sup>(90)</sup> فينبسطا اعتماداً ليلياً أو «حبكاً أصم» للهو (Das Selbst) بما هو حركان اتصال الذات بنفسها ما أنفك يقلب الذات عينها آخر.

هذه بعامة بعض آيات الفريدة الفلسفية التي تسم نص الاستهلال كما نص فنومينولوجيا الروح بجملته، فإذا كنا قد قلنا أعلاه إن نص 1807 يمثل في حد ذاته استثناءً فلسفياً فالعلة في

= يضع التفكير اللغة بما هي تفكره وعبارته مع أن اللغة تتقدم التفكير: «Thinking posits language as its reflection and expression, but language is logically prior to thinking and is therefore posited as presupposed».

انظر ص 96، الهامش رقم (2) من: G. R. G. Mure, *A Study of Hegel's Logic* (Oxford: The Clarendon Press, 1950).

وعليه فالتأمل من جهة ما هو الموجب (Das Affirmative) الذي تهوى ضمنه كل المتضادات تهوياً حاقاً (وليس صورياً) ليس البتة متعالياً على اللغة كآته شأن بري من اللغوية، بل هو على التدقيق ما بعد لغوي يُقال (Ein sprachliches Übersprachliches) بحسب العبارة السيدة لغوتنر فولفارت، انظر ص 96 من: Wohlfart, *Der Spekulative Satz. Bemerkungen zum Begriff der Spekulation bei Hegel*.

(89) «اللاترائي المرئي لماهيته» (Die sichtbare Unsichtbarkeit seines Wesens)، عبارة يستخدمها هيغل في تقييد صلة اللغة بالروح؛ انظر اللحظة الثالثة من طور العقل المعين، الخاصة بالفينولوجيا، ص 382-383 من هذا الكتاب.

(90) «وبحق ما يكون الروح العالم بنفسه من جهة أنه على التدقيق يلتم بمفهومه، التساوي مع الذات الذي في - الحال، وهذا التساوي إنما هو في اختلافه الإيقان مما في - الحال، أو الوعي الحسي، - البدء الذي كنا ابتدأنا به..»، ص 772 من هذا الكتاب؛ ذلك هو اختراع المعنى من نفيه اقتراناً روحي وحسي. وذلك هو أيضاً ما تشدد عليه ضميمه الفقرة 401 من *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften* (1830) لما ثبت أن «التفكير يكون أيضاً من جهة ما هو زمانياً ما محسوساً، لاسيما في الرأس والدماغ، وبالجملة في جهاز الحاسة، [أي] في الكون ضمن الذات البسيط الكلي الذي للذات الحاسة»، انظر ص 113 من: Hegel, *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften im Grundrisse* (1830).

ذلك هي كونه بالجوهر نصاً سياراً متحيراً شكيلاً، لا تتنافى فيه جادة المفهوم والطبع القاطع للتفكير مع مرانة الفهم المفهومي و«بلازيستي» المضمون إذ ينقلب من تلقاء حركانه صورة تعينية تحتمل التعيين إلى ما لا نهاية فيه من التضاد. وإذا كان هذا النص ليس كبقية النصوص الهيجلية فذلك لأنه نصٌ حيٌّ نضورٌ على يفاع فلسفيٍّ شديدٍ ما زال النحو الديالكطقي يتصالب فيه والنحو التأملي من دون أن يجعل النسق من هذا تاج ذاك كما سيحدث في موسوعة العلوم الفلسفية مذ طور هايدلبرغ<sup>(91)</sup>.

## IV. في هذه الترجمة

### 1. في الجملة الهيجلية

لقد آثرنا في هذه الترجمة ألا نقطع أوصال الجملة الهيجلية وإن تشعبت، وألا نمسك أنفاسها مهما طالت مدتها (وإن بدا من ذلك أنه يطعن في إيجاز لساننا). وليس يجدي في هذا الموضوع أن نبسط القول في عوامة الجملة الهيجلية وعسر امتلاك ناصيتها، فذلك أمسى من المواضع النافلة. ولكن الأولى أن نتحرى جنس تدبير الهيجلية للغة الفلسفة بالجملة هل هي لغة تختص

---

(91) إن العلة الأم في كون نص 1807 ليس كبقية النصوص الهيجلية التالية، هي في تقديرنا انعدام الفصم فيه بين الديالكطقي والتأملي، فالمقام الذي أفردته الهيجلية في هذا النص مقام التفلسف خاصة إنما يحيا من تصالب النحو العقلي السالب (Die negative-vernünftige Seite) الذي هو الديالكطقي الذي يحرك ما ترسخ من التعيينات والنحو العقلي الموجب (Die positiv-vernünftige Seite) الذي هو التأملي (الذي سيقال في الموسوعة إنه هو وحده الفلسفي الحق: الفقرات 79-82). إذ ما زال الديالكطقي في نص 1807 لم يبرز تحت عبء لزوميات التأملي من حيث تنفت فيه المتضادات وتفوت حتى يكون الواجب بنفسه. إن مثل الديالكطقي في تعايه بالتأملي في نص 1807 كمثل «الإيقاع بين الوزن والنبرة.. ينتج عن الوسط العالق في المراوحة بينهما كما عن جمعهما» (الاستهلال، الفقرة 61، ص 165 من هذا الكتاب).

بأصطلاحات بعينها تتميز من الاستعمال المشترك للألفاظ، وما هي العلة في عواصتها.

إنّ ما أنتهينا إليه أعلاه في ما يخصّ وجوب أنتساخ الرابطة المألوفة بين الحامل والمحمول ضمن حركة تعيين ديكالطيقية تتصير بها الذات/ الحامل غير نفسها في المحمول لتؤوب منه إلى نفسها وقد ترسّخت تضاداً، قد ييسر علينا تقييد مطلوبنا، فالذي يظهر على أنّه انغلاق في العبارة الهيغلية ليست العلة فيه استحداث اصطلاحات لا عهد للسان بها، وإنّما يرجع على الحقيقة إلى نحو بعينه (Eine besondere Syntax): لقد حمل هيغل محمل الجذّ وجوب أن تتكلّم الفلسفة لغة التأمليّ خاصّة، ومعناه أنّ هيغل في تقديرنا لم يعدلّ البتّة في كتابته عن ضرورة أن ينتسخ الحكم في كلّما موضع ضمن القضية التأمليّة.

في الاستهلال الثاني لمقالة الكينونة من علم المنطق (1832) يشدّد هيغل على أنّ «الفلسفة لا تقتضي البتّة مصطلحات [أو حدوداً] بعينها»، بل لا بدّ للفلسفة أن تستخدم ما درج من المقولات في اللسان وما أستقرّ فيه من ألفاظ، وتحترس إذاً من اختلاق الصيغ المجردة التي تظلّ أبداً من دون عبارة الفكر المتجسّد<sup>(92)</sup>. ومهما كانت هذه المقالة الهيغلية مظنوناً فيها في نظر الذين ما أنفكوا

---

(92) انظر ص 10-11، الأسطر 1-39، «Die Philosophie bedarf daher überhaupt keiner besonderen Terminologie».

في: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Wissenschaft der Logik, 1. Teil. 1. Band, Die objective Logik. Die Lehre vom Sein (1832)*, Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll, Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann und Walter Jaeschke, Philosophische Bibliothek; 385 (Hamburg: F. Meiner, 1990).

في الأسطر 6-14 من الصفحة 11 يؤكد هيغل أنّ تطوّر الثقافة وبخاصّة العلوم إذ يتحقّق ضمن المقولات الدارجة (in den gewöhnlichen Kategorien)، إنّما ييسر من هذا الوجه تكوين مقولات أرفع أو على الأقلّ يهب المقولات السارية كليّة أعظم وينبّه على سبيلها.

مقالة هيغل هذه في عدم اختصاص الفلسفة بلغة بعينها ووجوب أن تدفع عنها =

يستصعبون لغة هيغل، فإنها تلوح مع ذلك بعزم نظريّ بعينه يخرج على مجرد الإشهار بغلق الكتابة الهيجلية. ثمّة في اللسان، في كلّ لسان، حكمة حيّة حسب المرء أن يقف على حروفها حتى ينقاد له اللسان في كلّما غرض. ذلك كان على الحقيقة إيقانٌ عصر هيغل كلّه، وليس يقين هيغل وحده. تدبير الرومنطيقية الألمانية لهذه «الثمة اللسانية» كان من وجه فيلولوجيّ إشراقيّ، أما تدبير هيغل لها فمن وجه تأمليّ بالجواهر.

أن تقف الفلسفة على الروح التأمليّ الذي يسكن المقولات الدارجة التي للغة السارية، فتستكلم أصولها وأثيلها، ذلك هو في تقديرنا وجه العواصة الرئيس في تملك لغة هيغل. وكلّ العواصة في سماع هذه اللغة إنّما يرجع إلى كوننا بصدد كتابة ما تنفك تفعل وتؤيّن ما يهبها اللسان الساري من إمكانات قيل لا نهاية فيها. ولا علاقة البتة لهذا الأمر بأيّ وجه من وجوه البدعة في القول لأنّ حدوث الألفاظ إنّما يتقدّم الفلسفة بإطلاق<sup>(93)</sup>؛ فنصّ

---

= استخدام لغة مجردة تقف على رسم اللسان بدل أن تنفذ روحه التأمليّ إنّما هي مقالة راسخة منذ أوّل عهده بالتدريس بجامعة إينا، ففي 1801 يبنه هيغل طلابه على سبيل الاحتراس شديداً من الميل الفاسد إلى استعمال ألفاظ مجردة في التعبير عن غرض فلسفيّ متعيّن بغية إيهام الغير بضرب مزعوم من العمق: «إني أبلغكم أنّه لا يوجد في النسق الفلسفيّ الذي أدرسه شيءٌ من ذلك الوابل من الصيغ الصوريّة»، انظر: Rosenkranz, *Georg Wilhelm Friedrich Hegel's Leben, Beschrieben Durch Karl Rosenkranz Supplement zu Hegel's Werken, Mit Hegel's Bildniss, Gestochen von K. Barth*, p. 554.

إنّ إختلاق عبارة بدل الاكتفاء بما يتخه اللسان من مقولات حيّة، كما اللجوء إلى العبارات الأعجمية يمتلان منزعاً صوريّاً يشخصه نصّ الاستهلال بما هو لاحقة للنزعة التأسيسية الفاسدة في الفلسفة، التي حاصلها غطّ المفهوم في ضبابية تضيق أنفاسه وتذهب بحياته الجوانية؛ الاستهلال، الفقرة 55، ص 159 من هذا الكتاب.

(93) ولقد أتى أبو نصر الفارابي البيّنة على تقدّم العوام والجمهور في حدوث حروف الأمة وألفاظها، فأولئك أسبق في الزمان من الخاصة، انظر ص 134 وما يليها في: أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي (بيروت: دار المشرق، [1986]).

فنومينولوجيا الرّوح هو من أحسر النصوص إن نظرنا فيه من حيث استحداث اللفظ أو انتحات العبارة؛ ولسنا نعني بذلك أنّه نصّ بريّ من الابتداع في التركيب المفهوميّ يُدعن للسان مجرد إذعان، فهو قد أصاب في الغرض مواجداً مفهوميّة ترسّخت مذاك في تاريخ الفلسفة كرسوخ الفلسفة منه، فشتان بين اختلاق اللفظ وبدعة المفهوم، فهذه أقطع من ذلك. ولكن حتّى بدعة المفهوم هذه إنّما ترجع على التدقيق إلى ثقافة سماع تأمليّ للسان هو في الفلسفة سماع المعنى على علّاته. وعليه فألحواصة في تلقّي لغة هيغل ترجع إلى تدبير للمعنى يتميّز شديداً بضرب من المخيال اللغويّ الفارديّ هو عُدّة الكتابة للنفاذ في روح اللّغة، حتّى تقف على أثيل الألفاظ وتشابك، بل تضادّ دلالاتها ضمن وحدة متنفّسة، هي تعينّ التأمليّ نفسه في لغة ما :

«فالكثير من ألفاظ [اللّغة الألمانية] تتميّز من حيث إنّ لها دلالات لا تختلف وحسب، بل تتضادّ، وإنّ في ذلك لعمرى آيةً على الرّوح التأمليّ الذي للّغة: فكم يسعد الفكر متى يلقى مثل تلك الألفاظ التي تلوح بوحدة المتضادات»<sup>(94)</sup>.

إذا رأس العسر في سماع اللّغة التأملية للفلسفة (التي هي من تأمليّ اللسان نفسه) هو ألاّ يناظر سماعتنا نحوها، فيظلّ دونه أو يعوق حتّى تلقّيه. إنّ الفرق الشديد من التناقض والتضادّ - الذي كمثل فرق الطبيعة من الخواء - هو الذي قد يعسر علينا سماع تلك اللّغة التأملية فنخال أنّها عصيّة الفهم والنقل، والحال أنّها على الحقيقة اشتغالٌ واعٍ على مُتاح المعنى في تناقض مكوّناته

(94) انظر ص 10، الأسطر 30-34 من: Hegel, *Wissenschaft der Logik. 1*: Teil. 1. Band, *Die objective Logik. Die Lehre vom Sein* (1832).

وحياة أسطقسه. وكما ينبه الاستهلال على وجوب الاحتراس من خلط الوجه المماحك بالوجه التأملّي، كذلك ينبغي في سماع اللّغة التأمليّة دفع الاختفاض بها إلى مجرد الذهانة، فالذهن من حيث يضع الاختلافات راسخة، لا حيلة له في الإلمام بما هو حركة تضادّ جوانية هي حياة المعنى برأسه. وإذا تحصّن المرء بمجرد السماع الذهنيّ ووقف على الحاقة التي تميّز أبدأ الأبيض من الأسود، لفاته أنّ نثر المفهوم إنّما هو بالجواهر «رماديّ على رماديّ»، أي هويّة متحيّرة لا قرار لها سوى تهويّ الهوهو والفرق من حيث يتضادّان بالفعل.

لذلك جاءت الجملة الهيجليّة سيّارة، دوّارة، تارة تتوّب، وطوراً تتباطأ، تستقدم وتستأخر أجلها بحسب اللحظة ووفق صورة التعيّن، لكنّ كمثّل سيلة الماء لا تقف على حرف؛ وكثيراً ما تكون متقلّبة متوتّرة متحيّرة كأنّها تقول أبدأ، فلا تهجع إلّا لتشتدّ، لأنّ لانبساطها «ثقلاً يُعيي». وقد يتصالب فيها النّفْس الديالكطيقيّ النسقيّ بالنّفْس الجداليّ السجاليّ، فإذا هي جملة غضوب تشير من دون أن تُفصح، أو تقبض من دون أن تنبسط. والأكّد أنّها تُفزع من يقرأها لحينّ حتّى إذا أمسى من بني لسانها، فتضرب به في كلّ جهة، تنأى عنه حيناً، وتقبل عليه حيناً آخر. ولكنها في ذلك كلّ جملة مدرار من حيث توجع وتُعيي. تلك هي بعامة صروف الجملة الهيجليّة، وهي عين صروف الفلسفة ما أنقلبت منقلب تفلسف حاقّ.

وعليه، فالجملة الهيجلية إنّما الأصل فيها أن تفيء إلى شرائط البيان العلميّ للمضمون، نعي أنّها جملة تجاهد في أن تأتي كفاية ما يقتضيه ذلك البيان من حياة سيّالة محايدة للمضمون. لكنّ هذا الجنس من البيان يقتضي جنساً بعينه من التلقّي يناظر ذلك البيان. إنّ المرء قد يجحد أصول الهيجلية كافة، وقد يسلم بها جميعاً؛ لكنّ ذلك وهذا، أي التفكير مع هيغل وضدّ هيغل،



إنّما يقتضيان تناولاً أو بالأحرى تعاطياً لا بدّ أن يناظر الطبيعة  
الديالكطيقية للأمر ذاته :

«فالبیان البلازيسي (Ein plastischer Vortrag)  
يقتضي عندئذٍ حسّاً بلازيسياً للتعاطي  
والسمع»<sup>(95)</sup>،

لكأنّ الجوهريّ في بيان الفلسفة من شأن حسّ بعينه هو  
الأصل في سماع المعنى وتعاطي حركان تعيناته. لقد رأينا أعلاه  
أنّ للفلسفيّ هيولانيةً محسوسةً، وأنّ المفهوم هو أيضاً من شأن  
الحسّ أو أنّه على الأحرى يحسّ ويُتَحَسَّسُ. وذلك هو قضاء  
اقتران الفيزيقيّ بالميتافيزيقيّ في السماع الفلسفيّ للمفهوم كما  
للجملة الهيغليّة.

## 2. في ترجمة بعض المفاهيم الهيغليّة

لكن لا أحد يزعم بأنّ مناظرة نصّ هيغل تغني قاره وناقله

---

(95) المصدر نفسه، ص 20، الأسطر 29-30: «Ein plastischer Vortrag erfordert dann auch einen plastischen Sinn des Aufnehmens und Verstehen».)  
وال Verstehen هاهنا لا تعني فعل الدّهْن، أو الإدراك الذهنيّ، بل تُقصد إلى جنس  
السمع الميتافيزيقيّ الواجب في الإحاطة بالبيان البلازيسيّ للفلسفة. لكنّ هيغل يشكّك  
شديداً في قدرة المحاورّة الحديثة على إنتاج هذا الجنس من السامعين الذين يكونون  
على نضارة بلازيسيّة تعدل بلازيسيّة العنصر الفلسفيّ نفسه (المصدر المذكور، ص  
20-21، الأسطر 2-30). والعلة في ذلك ما كان قاله الاستهلال نفسه: «إنّ أيسر  
الأمر الحكم في ما هو ذو قوام وكثائيّة، وأعسر من ذلك تحصيله، وأمّا الأعسر  
الذي يجمع بينهما فإن يأتيّ المرء ببيانه» (ص 119-120) (الفقرة 3) من هذا  
الكتاب). العواصّة إذاً متناصبةً أو مركّبة، لأنّ طبيعة البيان في الفلسفة تقتضي جنس  
مناظرة (Eine Auseinandersetzung) تقترن فيها الكتابة بالقراءة، أي تنتج فيها الكتابة  
جنس سامعيها وقرّائها. لذلك يلوّح هيغل في الموضوع المذكور أعلاه بوجود أن  
يكون بوسع المناظرة الحديثة أن تنسل من نفسها جنساً بعينه من السامعين والقارئين  
يجتمعون على جنس من الحسّ (أو الانحساس) ليس هو من قبيل الاستفعال الطيع  
الذي يكرّر ما تقوله الفلسفة، بل مجاهدة مفردة في فعل ما تفعل. وإنّا لنجد في محنة  
الترجمة بعض تلك المناظرة المطلوبة!

وشارحه من عناء تدبير ما يحتمله هو نفسه من غموض كثيراً ما ينقلب لبساً. وأول اللبس في نص فنومينولوجيا الروح إنما يقع من جرّاء استخدامها المطرد للضمائر التي تحيل في الغالب إلى أفعال «مصدرية». إن تقييد النسبة أو الإضافة يظلّ في قراءة هذا النص كما نقله شأنًا مستصعباً إلى الغاية، وكثيراً ما يغطّ حركانُ الجملة وأنبساطها إمكانَ التقييد البيّن المانع للإضافة، فيجب عن ذلك أن يحسّم الناقلُ القارئ أمره بما أوتى من أسباب التأويل بحسب طبيعة الجملة والموضع والسياق.

أمّا في ما يتعلّق ببعض المقولات التي ترأس مجرى تعيّن المضمون الفنومينولوجي، فقد أثرنا نقلها من حيث الدلالة التي تختصّ بها في حدّ ذاتها. لذلك نقلنا (Das Selbstbewußtsein) على نحو نحت عبارة «الوعي - بالذات»، وإن كانت تُنقل على الوجه الأمثل في رأينا على نحو عبارة «الوعي الذاتي»، لكننا رجّحنا الإمكانَ الأوّل لعلّتين: 1. دفعاً للتثقيل والتركيب اللذين يلزمان في نقل الصفات، كمثّل قولنا: «الوعي الذاتي الخالص» لكأنّ الخلوّ والذاتية صفتان تلحقان الوعي، والحال أنّ الوعي - بالذات واقعة فنومينولوجية مغايرة لمجرد الوعي. 2. تمييز واقعة الوعي - بالذات من مساقات وعي تتوسّط الوعي والوعي - بالذات، نعني على التدقيق: «(Das Bewußtsein seiner) الوعي بذاته» في طور حقيقة الإيقان من الذات، أو في طور الدين الظاهر حيث يميّز في الروح وعيه بذاته من كونه وعياً - بالذات بسيطاً يقبع داخل ذاته<sup>(96)</sup>.

أمّا العبارة العصيّة «Das Aufheben» وتصريفاتها في النصّ الهيجليّ فقد نقلناها على نحو الاشتقاقات الممكنة من مادة «نسخ»، فكانت النسخ متى تعلّق الأمر بمصدر «Die Aufhebung»

(96) قارن ضمن طور الدين الهامش رقم (28)، ص 720 من هذا الكتاب.

والانتساح متى تعلّق بالفعل المنعكس على الذات «Das Sichaufheben». ونحن إذ تخيّرنا مادّة «نسخ» نعلم أنّها لا تفي نقلَ هذه العبارة الهيجليّة التي التقطها - كما جرت العادة عنده - من الاستخدام الدارج للسان الألمانيّ. فهي تجمع في الوقت ذاته بين دلالات النفي والإلغاء، ودلالات الاحتفاظ والإبقاء على شيءٍ ممّا يُنفي، وتشدّد على هذه أو تلك بحسب الموضوع والسياق. ولهذه العلة فهي في حدّ ذاتها عبارة عصيّة على النقل إلى جميع اللّغات. أمّا السيّد مصطفى صفوان فقد نقلها تارةً بحسب مادّة «رفع» وطوراً بحسب مادّة «عطل» و«أبطل»، وفي ذلك دلالة على عواصية تقوّل معاني هذه العبارة الهيجليّة مجتمعةً على تضادّها. وأمّا ما دفعنا إلى تقوّلها بحسب «النسخ» فلأنّ النسخ والتناسخ والانتساح والمناسخة تلوح كلّها بمعنى التصيّر والتداول والتبدّل الجوّانيّ، وهذا ما يحتملُ في تقديرنا بعضَ التضادّ بين زوال شيءٍ في المنسوخ وبقاء شيءٍ منه.

أمّا مفهوم «Die Selbständigkeit» فيلوح بالجملة بمعاني استتباب القوام وأسباب القيام الذاتيّ، ولذلك نقلناه على نحو عبارة «القيومية الذاتية»، وتحاشينا ما ذهب فيه السيّد مصطفى صفوان لما اختار نقلها على نحو «الاستقلال»، لأنّ هذه ترادف عند هيغل لفظ «Die Unabhängigkeit»، وتظّل دون المعنى الواجب في القيام أو القيمومة الذاتية، ما دامت تحيل من وجهٍ سلبيّ صرفٍ (Un..) إلى رابطة برانيّة أو قسطاس خارجيّ بالنسبة إليه يكون طرفٌ ما مستقلاً «Unabhängig» أو مجرد تابعة «Abhängig».

أمّا مقولة «Das Selbst» التي يُكثر هيغل من استخدامها فنقلناها على أنّها «الهُو»، وكذلك تقوّلنا «Die Selbstheit» بما هي «الهُوويّة». فالهُو في فنومينولوجيا الرّوح ليس مجرد ذاتٍ (Das Subjekt)، بل هو على التدقيق الهُو هو الذي يجب فيه تهويّ

الذاتي والموضوعي تهويًا متقلّبًا. ومعناه أنّ الهو ليس ماهيةً عاطلةً أو ساكنةً كانت تكون مُنزَل الأنا أو الشخص، بل الهو حرفٌ تحيّر إلى غير النهاية. على هذا المعنى يكون للمضمون هُوَاه، وللأمة هُوَاهَا ...

وبالجملة فإنّ فنومينولوجيا الرّوح بقدر ما توسّعت في المضمون وبسطت تعيّناته تعيّنًا تعيّنًا وإنّ دقّ، بقدر ما اقتصدت في نحت المفاهيم وعفّت عن استحداثها؛ فالمقولات الرئيسة فيها معدودةٌ يمكن إحصاؤها مقولةً مقولةً. ولكنّ رأس الأمر في نقلها إنّما يقف على تدبير ما تحتمله من دلالات ليست بالضرورة من قبيل ما درج في المصطلح الفلسفي المدرسانيّ، بل كثيراً ما تلوّح تلك المقولات إمّا بدلالاتها الأثيلة وإمّا بما استقرت عليه في استعمال الأمة للّسان، لكنّ الجوهرية في هذا وذاك هو أن يوقظ الفيلسوف اللّسان نفسه فيجعله يفصح قليلاً قليلاً عن مخيئه المفهوميّ اللابث فيه.

### \* في ترجمة مصطفى صفوان لبعض أبواب فنومينولوجيا الرّوح

لا بدّ لنا قبل أن نختم هذا التقديم أن نقف على فضيلة هذه الترجمة<sup>(97)</sup>. وعلى الرغم من مخالفتنا لها في معظم ما تحيّرته من نقل للمقولات والمفاهيم الرئيسة، ابتداءً بالعنوان نفسه ثمّ مروراً بالمقولات المبسوطة أعلاه، فإنّه لا يسعنا إلّا أن نقرّ لها أولاً بفضيلة البدء، وإنّها لعمري كلّ الفضيلة. ولقد قام السيّد مصطفى صفوان إلى ترجمة نصّ في طورٍ دقيقٍ ما كان فيه من البديهيّ أن يُناظر أصلاً، لأنّ النسق الهيجليّ نفسه كان في تلك الحقبة مزمللاً بأستقبالاتٍ ماركسيّة كانت تحجب عن المتفلسفة عندنا وثاقه نصّ فنومينولوجيا الرّوح من طور إيّنا وما يختصّ به من تدبيرٍ فارديّ

(97) انظر: غيورغ فلهلم فردريش هيغل، علم ظهور العقل، ترجمة مصطفى

صفوان (بيروت: دار الطليعة، 1981).

لسؤال الفلسفة. لقد كان المُقْبَل من هيغل حينها يُنظَر فيه ببصيرة ماركسيّة مستقرّة لم تُشَدُّ إلّا بالفضائل التكوينيّة للعمل ضمن دياكطيقا الخدمة والرياسة. لكنّ السيّد مصطفى صفوان جاهد في مناظرة النصّ الهيجليّ وأقبل عليه على علّاته، فأستعان في ذلك بنشرة هوفمايستير الصادرة في 1952 من دون أن يُسقط الإحالة إلى نشرة لاسون، بل اهتدى بالترجمات الفرنسية والإيطالية والإنجليزية. وكم كنت أتمنى إذ كنت أقرأ لأول مرّة ترجمة السيّد صفوان لو أغنى من جهد إتمام ما شرع فيه بقدم راسخة من اللسان ورويّة متنفّذة من المعنى، ولكنّ حسبّه - كما يقول في تقديم ترجمته - أنه نقل نصّ الاستهلال، وهو من أعوص أمهات النصوص الهيجليّة.

إنّ الترجمة التي نقدّمها اليوم إلى القارئ العربيّ استئناف لعين العزم الذي به قام السيّد صفوان إلى ترجمة نصّ 1807. لكنّه استئناف يحتكم إلى مناظرة وضع هرمينوطوقّي مغاير لما آل إليه نصّ فنومينولوجيا الرّوح في ترجمة جون هيبوليت<sup>(98)</sup>. لقد استقرّ التحقيق العلميّ لنصّ هيغل في اللسان الألمانيّ منذ نشرة أكاديميّة العلوم بدوسلدورف التي صدرت ضمن سلسلة المكتبة الفلسفيّة بدار فليكس ماينر بين 1980 و1988<sup>(99)</sup>. ووقفت

---

(98) انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *La Phénoménologie de l'esprit*, 2 vols., traduction de Jean Hyppolite, philosophie de l'esprit. Collection dirigée par L. Lavelle et R. le Senne (Paris: Aubier-Montaigne, 1939-1941).

لقد اختار هيبولت أن يكون إخراج ترجمته لنصّ 1807 في جزئين وفي ذلك بعض مغالطة فيلولوجيّة كما تبين من أعمال أوتو بوغليز، كما عمد أيضاً إلى تخفيف وتلطيف انبساط الجملة الهيجليّة فقطع أنفاسها وحبس وتيرتها والسيّد مصطفى صفوان يحذو في ذلك حذوه، مغلباً في ذلك المقصد التعليميّ وشرائط التلقّي.

(99) راجع الهامشين رقمي (3) و(4) ص 12 من هذا الكتاب، لكنّا آثرنا في هذه الترجمة أن نعتد العناوين الصغرى الموضوعية بين معقّفين وإنّ لم تكن من وضع هيغل نفسه، بل من وضع لاسون، حتّى يتيسّر للقارئ أن يلمّ بمفاصل النصّ من حيث النماء الصوريّ للغرض وحسب.

الدراسات الهيجليّة على الفساد الفيلولوجي لفرضيّة تيودور هيرنغ في ما يتعلّق بتكوينيّة فكرة فنومينولوجيا الرّوح<sup>(100)</sup>، كما على الطبيعة الفلسفيّة التي يختصّ بها نصّ 1807. وذلك هو ما ييسّر على المترجم اليوم شرائط المناظرة الفلسفيّة، وأهمّها وجوب احتمال أنفاس النصّ الهيجليّ على عواصتها وتحيرها، وإنْ أثقلَ ذلك كاهل لغة الضاد أو أعياء القارئ؛ ربّ مناظرة تنجم من أوساع اللّسان نفسه.

د. ناجي العونلي،

سوسة - تونس، 29 أيار (مايو) 2004

---

(100) راجع الهامشين رقمي (39) و(41) ص 33 و 34 من هذا الكتاب، ثمّ قارن الهامش رقم (1) ص 5 من ترجمة مصطفى صفوان في: هيغل، علم ظهور العقل.

**System**  
der  
**Wissenschaft**

von

**Ge. Wilh. Fr. Hegel**

D. u. Professor der Philosophie zu Jena,  
der Herzogl. Mineralog. Societät daselbst Assessor  
und anderer gelehrten Gesellschaften Mitglied.

---

**Erster Theil,**

die

**Phänomenologie des Geistes.**

---

Bamberg und Würzburg,  
bey Joseph Anton Goebhardt,  
1807.

# نسق العلم

وضعه

غِيُورْغُ فِلْهَلْمُ فِرْدْرِيشْ هِيغل

دكتور وأستاذ الفلسفة بإينا  
وعضو ومساعد الجمعية الدوقية الكبرى  
لعلم المعادن وبجمعيات مشهورة أخرى

الجزء الأول

فنومينولوجيا الروح

بامبرغ وفورتسبورغ

عند يوزيف أنتون غوئهازدت

1807





## الفهرست

استهلال: في علمية المعرفة، ص 117-174؛ في أن المفهوم أسطقس الحق وأن النسق العلمي شكله الحق، ص 121؛ في زاوية النظر الراهنة للروح، ص 122؛ في أن المبدأ ليس الكمال، ضد الصورية، ص 125؛ في المطلق إنما هو ذات، ص 129؛ في الذات ما هي، ص 129؛ في أسطقس العلم، ص 134؛ في أن الترقّي في عين ذلك الأسطقس إنما هو فنومينولوجيا الروح، ص 136؛ في تحوّل المتصوّر والمعروف داخل الفكر، ص 138؛ وفي تحوّل الفكر إلى المفهوم، ص 141؛ في وجه سلبية فنومينولوجيا الروح أو كيف تحتوي الكذب، ص 144؛ في الحقيقة التاريخية والرياضية، ص 146؛ في طبيعة الحقيقة الفلسفية والطريقة التي لها، ص 151؛ في معارضة الصورانية الراسمة، ص 153؛ في اقتضاء الإشتغال بالفلسفة، ص 161؛ التفكير المماحك في مسلكه السلبي، ص 162؛ في مسلكه الإيجابي، وفي غرضه، ص 163؛ في التفلسف الطبيعي بما هو رأيٌ سديدٌ وعبقريّة، ص 170؛ خاتمة في صلة الكاتب بالجمهور، ص 172.

مقدمة، ص 177-190.

(أ) الوعي - ص 191-256.

I. الإيقان الحسي، أو الهذا والتظنن. ص 191-203.

- II. الإدراك الحسّي، أو الشيء والوهم. ص 205-221.
- III. القوّة والذهن، الظاهرة وعالم ما فوق الحسّ. ص 223-256.
- (ب) الوعي - بالذات - ص 257-304.
- IV. حقيقة الإيقان من الذات. ص 257.
1. القيمومة الذاتيّة التي للوعي - بالذات ولاقيوموتّه؛  
الرّئاسة والخدمة. ص 267-278.
2. حرّيّة الوعي - بالذات، ص 278-304؛ الرواقية،  
ص 280، والرّئيبة ص 283؛ والوعي الشقيّ، ص 288.
- (ج) (أأ) العقل - ص 305-472.
- V. إيقان العقل وحقيقته. ص 305.
- I. العقل المعايين. ص 314-405.
1. معاينة الطبيعة، ص 316-362.
- الوصف بعامة، ص 316. الأمارات المميّزة،  
ص 318. القوانين، ص 320. معاينة العضويّ، ص  
326.
- (أ) صلة عين العضويّ باللاعضويّ، ص 326. (ب)  
الغائيّة، ص 329. (ج) الجوّانيّ والبرانيّ، ص  
332. (أأ) الجوّانيّ، ص 334. قوانين لحظاته  
المحض، قوانين الإحساسية وما إليها، ص  
337. الجوّانيّ وبرانيّه، ص 342. (ب ب)  
الجوّانيّ والبرانيّ بما هما شكل، ص 346. ج  
(ج) البرانيّ نفسه بما هو جوّانيّ وبرانيّ، أو  
الفكرة العضويةّ محمولةً على اللاعضويّ، ص  
349. العضويّ من هذه الجهة؛ جنسه ونوعه  
وفرديته، ص 356.

2. معاينة الوعي - بالذات في خلوصه وصلته بالحقيق  
البراني؛ القوانين المنطقية والنفسية. ص 362-369.
3. معاينة الوعي - بالذات في صلته بحقيقه الذي في -  
الحال؛ فيزيونومينا وفرينولوجيا. ص 369-405.
- II. تحقّق الوعي - بالذات العقليّ بمعيّة ذاته. ص 405.
1. اللذة والضرورة. ص 413-419.
2. قانون الفؤاد، وحنون العُجب (Der Wahnsinn des  
Eigendünkels). ص 419-428.
3. الفضيلة ومجرى العالم. ص 428-437.
- III. الفردية التي تكون في نظر نفسها واقعية في ذاتها ولذاتها.  
ص 438.
1. مملكة الحيوان الروحية والمخاتلة، أو رأس الأمر.  
ص 440-459.
2. العقل المشرّع. ص 459-465.
3. العقل الممتحن للشرائع. ص 465-472.
- (ب ب) الروح - ص 473-662.
- VI. الروح. ص 473.
- I. الروح الحق، الإتيقيّة. ص 477.
- أ. العالم الإتيقي، القانون الإنسانيّ والقانون الإلهي، الرجل  
والمرأة. ص 478-493.
- ب. المراسم الإتيقيّة، العلم الإنسانيّ والإلهي، الخطيئة  
والقدر. ص 493-507.
- ج. حالة الحق. ص 507-513.
- II. الروح المغترب ذاتياً؛ الثقافة. ص 513.
1. عالم الروح المغترب ذاتياً. ص 517.

- أ. الثقافة وملكوت الحقيق. ص 517-548.
- ب. الإيمان والتعقل المحض. ص 548-557.
2. الأنوار. ص 557.
- أ. صراعُ الأنوار للمعتقدات الجمهوريّة. ص 558-584.
- ب. حقيقة الأنوار. ص 585-592.
3. الحرّية المطلقة والرّعب. ص 592-603.
- III. الرّوح الموقن من ذاته. الأخلاقيّة. ص 603.
- أ. الرّؤية الأخلاقيّة للعالم. ص 605-616.
- ب. التستّر [والنقال]. ص 616-629.
- ج. الإيقان الأخلاقيّ، النفس الجملاء، الشرّ وغفرانه. ص 629-662.
- (ج ج) الدين - ص 663-753.
- VII. الدين. ص 663.
- I. الدين الطبيعيّ. ص 672.
- أ. الماهيّة التورانيّة. ص 674-676.
- ب. النبات والحيوان. ص 676-678.
- ج. صانع الأثر. ص 678-682.
- II. دينُ الفنّ. ص 682.
- أ. الأثر الفنيّ المجرد. ص 686-696.
- ب. الأثر الفنيّ الحيّ. ص 696-701.
- ج. الأثر الفنيّ الرّوحيّ. ص 701-718.
- III. الدينُ الظاهرُ. ص 718-753.
- (د د) العلم المطلق - ص 755-774.
- VIII. العلم المطلق. ص 755.

## استهلال

[3] إنّ ما جرت العادة على تقديمه في ما يُكْتَب من استهلال أنّه تبيانٌ للمقصد الذي يندب إليه الكاتب، وللبواعث والصلة التي تربط الكتابَ بما سبقه أو عاصره ممّا كُتِب في عين الغرض، إنّما يبدو في حال الكتاب الفلسفيّ أمراً سطحياً، بل هو إنّ اعتبرنا طبيعة الأمر برأسه<sup>(1)</sup>، مُنافٍ للمقام وضدّ الغاية. فمهما كان من قول في الفلسفة من وجه الاستهلال - من مثل التنبيه التاريخي على المنزِع وزاوية النظر والمضمون العام والحصائل والجُمع من القضايا والآراء المبتوثة التي تُقال في الحقّ خبط عشواء -، فإنّه لا شأن لكلّ ذلك بالوجه والطريقة التي تبين فيهما الحقيقة الفلسفية. - ولما كانت الفلسفة أيضاً بالجواهر من صُلب الكلّي الذي يتضمّن في حدّ ذاته الجزئيّ، فإنّه يقع

---

(1) Um der Natur der Sache، ليس رأس الأمر (Die Sache selbst) شأن غرض أو مضمون موضوعي كان يكون خاصاً بالمعرفة، وإنّما يُقصدُ إلى مقام النظر الذي لا بدّ للفلسفة أن تعتصم به، نعني مقام المفهوم: إنّ «رأس الأمر في دراسة العلم إنّما هو تحمّل المجاهدة في المفهوم. وهذه المجاهدة إنّما تقتضي التلّفّ إلى المفهوم بما هو كذلك وإلى التعيينات البسيطة»، ص 161 من هذا الكتاب؛ قارن: V. إيقان العقل وحقيقته، III. الفردية التي تكون في نظر نفسها واقعية في ذاتها ولذاتها، 1. مملكة الحيوان الروحية والمخاتلة، أو رأس الأمر، ص 440 من هذا الكتاب، - حيث يرسخ الفرق بين رأس الأمر وبين الشيء والموضوع، فيتعيّن الأمر برأسه من جهة ما هو شأنُ فكرٍ أو أيسيةٌ روحيةٌ.

فيها، أكثر من وقوعه في بقية العلوم الأخرى، ظاهرٌ أن رأس الأمر كأنه يُفصح عنه في الغاية أو في الحاصل الأواخر، بل حتى في ماهيته التامة أيضاً، حدّ أن الإنجازَ المفصلَ يصير بإزاء هذه الماهية على الحضر ممّا لا شأن له (Das Unwesentliche). وعلى العكس من ذلك يكون المرء على يقين في التصوّر العام لما هو التشريحُ مثلاً - وهو معرفة أجزاء الجسم بحسب وجودها غير الحيّ - أنه لا يملك بعدُ رأس الأمر ومضمونَ هذا العلم مع أنه يتوجّب عليه تعقّب الجزئيّ. - وزائداً إلى ذلك أنه لا فرق في هذا الرّكام من المعارف الذي لا يخلق به أن يحمل أسم العلم بين الحديث في الغاية وما شابه من العموميات وبين الوجه التّاريخي والعريّ من المفهوم الذي على نحوه يتكلّم المرء في المضمون ذاته، من مثل هذه الأعصاب والعضلات وما إليه. أمّا في الفلسفة فقد ينجم اللاتساوي من حيث إنه قد يُستعمل مثل هذا النهج، والحال أنه قد بان منه بنفسه أنه لا وسع له بتحصيل الحقيقة.

كذا يُفصح بمعية تقييد العلاقة التي يُظنّ في الأثر الفلسفيّ أنّها تصله بالمساعي الأخرى في تعقّب عين الغرض شاغل هجين، فيتعتّم ما به تقوم معرفته الحقيقة. وكلّما رسخت في الرأي المقابلة بين الحقّ والكذب تعود أيضاً حيال نسق فلسفيّ يكون بين يديه ألا ينتظر إلا تهليلاً أو جحوداً، وألا يرى في تبيانه إلا هذا أو ذاك، فالرأي لا يدرك من تنوع الأنساق الفلسفية أنه الربو المتدرّج الذي للحقيقة ما دام لا يرى في التنوع غير التناقض. إنّ البرعم يزول في نجم الزهرة، ويمكن القول إنّ ذاك قد نقضه هذا، تماماً كما الزهرة بمعية الثمرة تبيّن ككيانٍ كاذبٍ للنبته، فتحلّ هذه محلّ تلك على أنها حقيقتها. وهذه الصور لا تتباين فيما بينها وحسب، بل تتدافع كالتّي لا يحتمل بعضها بعضاً. لكنّ طبيعتها المرسلّة تجعل منها في عين الوقت لحظاتٍ

للوحة العضوية حيث لا تتعارض وحسب، بل يجب الواحد كما الآخر، وعلى سوا هذه الضرورة إنما تقوم الحياة التي للكُل. ولكن مناقضة نسق فلسفيّ مّا، لا قبَل لها - من جهة أولى - بأن تدرك من نفسها هذا النحو من النظر، ومن جهة أخرى فإنّ الوعي الذي يحيط بتلك المناقضة لا يعلم كيف يحرّرها من أحاديثها أو أنّ يحفظها حرّة، فيرى في الشكل الذي ظاهره صراعيّ ومتضادّ لحظاتيّ واجبة بعضها لبعض.

[5] لعلّ قضاء مثل تلك البيانات كما الإيفاء بكفائتها بيدوان ممّا هو ذو شأن. إذ أين يمكن مغزى (Das Innere) كتاب فلسفيّ أن يُقال قُدماً إنّ لم يكن في الغايات والحصائل، وما حيلته في أن يُعرف بأكثر تقييد إنّ لم يكن باختلافه عمّا ينتجه العصر في المجال نفسه؟ لكنّ لو كان لمثل هذا الفعل أن يفضل البدء في المعرفة ويؤخذ مأخذ المعرفة الحاقّة لعدّ بالفعل من حيل العدول عن رأس الأمر والجمع بين الأمرين التالين: ظاهر الحزم والعزم في تعاطي رأس الأمر والعزوف الحاقّ عنه. - فالأمر لا يُستغرق في غايته بل في إنجازها، والحاصل بدوره ليس الكلّ الحاقّ، بل هو مُؤتلفٌ وأستحالته، والغاية لذاتها إنّما هي الكلّي غير الحيّ، كما النزوع بما هو طُفُورٌ لا يزال يعدم الحقيق الذي له، والحاصل العاري إنّما هو الجثّة التي تركها النزوع عقبه. - كذا التنوع إنّما هو في الأكثر حرف الأمر (Die Grenze der Sache) يكون حيث يرتفع الأمر أو هو ما ليس هو الأمر. ومثل تلك المساعي في الغاية والحصائل كما في المتنوعات والأحكام التي لهذا وذاك من المواقف، إنّما هي عمل قد يكون لذلك أيسر ممّا يبدو عليه. فبدل أن يشتغل مثل هذا الفعل بالأمر يكون دوماً في حلّ منه، وعوض أن تسكن مثل هذه المعرفة إلى الأمر فتنسى نفسها فيه، تقوم دوماً إلى آخر، فتسكن في الأكثر إلى نفسها عوض أن تكون حذاء الأمر وتحلّ فيه. - إنّ أيسر الأمور الحكم



في ما هو ذو قوام وكثافة، وأعسرُ من ذلك تحصيله، وأمّا الأعسر الذي يجمع بينهما فإن يأتي المرءُ بيانه<sup>(2)</sup>.

أمّا بداية الثقافة والخروج على حالة<sup>(3)</sup> الحياة الجوهرية فإنما يجب فيهما تحصيلُ الأوائل والأنظار الكلية، ومجاهدة الذات وحدها في الارتفاع إلى فكرة الأمر بالجملة، فلا يقلل المرءُ في ترسيخها أو نقضها بالبيّنة، ويتعقب الفيض المتعين والثريّ بحسب التقييدات، فيعلم كيف يأتي فيه قولاً فصلاً وحكماً حاسماً. ولكن سرعان ما سيحلّ الحسمُ الذي لفيض الحياة محلّ بداية الثقافة تلك، وهو الحسم الذي يفتح على المرء تجربة الأمر

(2) Seine Darstellung، والبيان أشدّ من العرض والفسر والشّرح، وهو ليس مجردّ تبيين برّاني، لأنّه البيّنة الجوّانية التي يأتيها رأس الأمر استبياناً لتعيّناته ذاتية ومُرسلّة هي أنفاسُ تقيّد المفهوم من تلقاء حركته. وعليه فليس البيان هاهنا شأنًا لغويًا صرفاً، بل البيان ما ينسله المفهومُ صورةً ولغةً خاصّتين برأس الأمر في التفلسف. ولذلك سيقيد هيجل في آخر نصّ سيكتبه (تشرين الثاني/ نوفمبر 1831) شريطي هذا الجنس من البيان من حيث هما المحايثة والبلازيسية (Die Plastizität): «Die Darstellung keines Gegestandes wäre an und für sich fähig, gar streng immanent plastisch zu sein, als die der Entwicklung des Denkens in seiner Notwendigkeit».

انظر الاستهلال الثاني، ص 19، 36-38 من: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Wissenschaft Der Logik, 1. Teil. 1. Band, Die Objective Logik. Die Lehre vom Sein (1832)*, Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll, Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann und Walter Jaeschke, Philosophische Bibliothek; 385 (Hamburg: F. Meiner, 1990).

قارن الهامش رقم (14) من نصّ هذا الاستهلال.

(3) لا حيلة لنا في نقول هذا المقام الغليظ من الكينونة والموضوعية العرية من كلّ حرف وتقييد وهذا الذي يسبق أنطولوجياً تعني التوسيط والتفكّر، أعني (Die Unmittelbarkeit) مقاماً ونحو إدراك ومعرفة، إلّا على نحو نحت مصدر من مادة «في - الحال»: الحالّيّة. وأبقينا على مادة «باشر، مباشرة» لترجمة Gerade. ومهما يكن من أمر فإنّ «المباشريّة» تبقى دون ما تتسم به «الحالّيّة» من معاندة للمفهوم بل ملاسبة للوعي، فهي تهذده في كلّ إظهار من أظهاراته حتى تكاد تحبس أنفاس ربّوه وتذهب بما يسعى فيه من تعين راجعةً به القهقري إلى أحسر أدراج الكينونة، وذاك هو إعضال الحالّيات المتراكمة والمتصالبة في مفهوم نماء الفونمينولوجي عند هيجل وهو إعضال سيطال الصورة التي لربّو المنطقيّ نفسه.

برأسه، وعندما يلحق ذلك أيضاً أن يتغلغل حسم المفهوم في عمق رأس الأمر، فإن مثل هذه المعرفة والحكم سيحتلان من الحديث المنزلة الخليفة بهما.

إن الشكل الحق الذي تكون فيه الحقيقة إنما هو النسق العلمي الذي لها. وما يشغلني إنما هو المساهمة في أن تتزايد الفلسفة دناوة من صورة العلم ومن الغاية التي تطرح بها اسم حب المعرفة حتى تكون العلم الحاق (Wirkliches Wissen zu sein). والضرورة الباطنة التي بها تكون المعرفة علماً إنما هي من طبيعتها، وما كفاية تبيان ذلك إلا بيان الفلسفة نفسها. أما الضرورة البرانية فما دامت تُدرَك على الوجه الكلي - بقطع النظر عن عرضية الشخص والدوافع الفردية - في الشكل الذي يتمثل على نحوه الزمان كيان (Das Dasein) لحظاته، فإنما هي والضرورة الباطنة سياتن. أما كون ارتفاع الفلسفة إلى مصاف العلم من صرف ذا الزمان، فإن وجوب فسره هو إذا وحده التبرير الحق الوحيد للمساعي التي تتعقب تلك الغاية، لأنه يُثبت وجوب عين الغاية ويأتي كفاية تحقيقها في الآن عينه.

[في أن المفهوم أسطقس الحق وفي أن النسق العلمي شكله الحق]

ما دام الشكل الحق الذي للحقيقة قد وُضع في العلمية، - أو وهو الشيء نفسه، ما دامت الحقيقة تُثبت بمعنى أنها تجد في المفهوم وحده أسطقس وجودها -، فإنني أعلم أن ذلك يبدو في تناقض مع تصوّر ما والتبعات التي له، وهو التصور الذي له كثير من الزعم قدر ما له من الشيوخ في إيقان ذا العصر. وعليه فليس نافلاً أن نعرض لذلك التناقض، وإن لم يكن في ذلك غير إقرار [7] شبيه في هذا الموضوع بالذي يعارضه. وإن كان الحق بخاصة لا يوجد إلا في، أو بالأحرى إلا على أنه هذا الذي يُسمى تارةً حدساً وطوراً معرفة في - الحال بالمطلق أو ديناً أو كينونة - لا

بمعنى ما في مركز الحبّ الإلهي بل الكينونة التي لعين المركز ذاته -، فإنّ في ذلك أيضاً لزوماً لصدّ صورة المفهوم في بيان الفلسفة، فلا ينبغي في المطلق أن يُفهم مفهوماً، بل أن يُحسّ ويُحدس، وليس مفهومه، بل الإحساس به وحدثه هما ما يرأس القولَ ويجب في العبارة.

[في زاوية النظر الراهنة للروح]

فلتُدرَك ظاهرةٌ مثل ذلك اللزوم بحسب اتساقها الأكثر كَلِيّةً، ولتُنظَر فيها حيث الدرّجة التي يسكن إليها الآن الرّوح الذي يعي ذاته، فإنّ الرّوح قد فات الحياة الجوهريّة التي كان يسوقها في عنصر الفكرة، - وفات الحاليّة التي لعقيدته وتلبيةً وأمنّ اليقين الذي كان للوعي في وفاقه مع الماهيّة وحاضريها الكلّي الجواني كما البرانيّ. والرّوح لم يجاوز ذلك وحسب إلى الأقصى الآخر الذي لتفكّر ذاته في ذاته العريّ من الجوهر، بل قد جاوز هذا أيضاً. وليست حياته الجوهريّة هي وحدها ما تصرّم منه، فهو يعي أيضاً هذا الفوات وهذه النهائيّة التي هي فحواه. والرّوح إذ تَلَفَت عن ثمر الخروب وأعترف وحنق ممّا دال فيه من فاقة، لا يسأل الفلسفة العلمَ بمن هو، بقدر ما يسأل رأساً الانتهاء بمعيتها إلى استرداد تلك الجوهريّة كما غلظة الكينونة. ولكي تُقضى هذه الحاجة لا يجب على الفلسفة أن تحلّ غلقَ الجوهر فترتفع به إلى الوعي - بالذات، ولا أن ترجع بالوعي الشواشيّ الذي له إلى النظام المُفكّر وبساطة المفهوم، بقدر ما يجب عليها أن تُملِغَ تعينات التفكير وتكتب المفهومَ الفيصل وتقيم الشعور بالماهية وألا تتعهد بالفهم بقدر تعهدها بالثشيد. إنّما الجميل والمقدّس والأزليّ والدين والحبّ طعمٌ واجبٌ حتّى تتأجج الرغبة في العَضّ، فليس المفهوم بل الفتنة، وليست الضرورة التي تصدر بأناة عن الأمر بل الحماسة المستشيطة، ما يجب أن يكون الموقفَ والمذيعَ قدماً لثراء الجوهر.

تناظر ذلك القضاء المجاهدة المتصلة - التي تكاد تبدو متحمسة ومتأججة - في انتزاع البشر من الانغراس في الحسيّ والمشترك والفرديّ، وتصويب أبصارهم قبل النجوم، وكأنّهم إذ تناسوا الإلهيّ، على وشك التنعّم مثلهم مثل ديدان الأرض بالغبار والماء. لقد أقاموا قديماً سماء ذات فيض وافر من الأفكار والضّور. وكانت دلالة كلّ ما هو موجود تكمن في خيط النور الذي كان يصله بالسماء، وباتباعه بدل القبوع في هذا الحاضر كان البصر ينسلّ إلى ما فوق هذا الحاضر صوب الماهية الإلهية وقبّل ما يمكن تقوله بالحاضر الماورائيّ. ولقد وجب على عين الرّوح العناء حتّى تؤوب إلى الأرضيّ وتشدّ إليه، وأنقضى زمن طويل حتّى تولج هذا الوضوح - الذي كان لما فوق الأرضيّ وحسب - في الضيق والالتباس اللذين كان فيهما معنى الماورائيات، وحتّى يصير التنبه على سبيل الحاضر بما هو كذلك - وهو ما سُمّي تجربة - ذا شأن وصلاحية. - أمّا الآن فما يبدو بين أيدينا إنّما هو لزوم الضدّ، فالمعنى منغرس على قدر كبير في الأرضيّ، حتّى إنّهُ يلزم عينُ القدر من العنف لكي يرتفع إلى فوق. ويظهر الرّوح على قدر من الفاقة حتّى إنّهُ على ما يبدو لا يتوق بغية أرتوائه - مثله مثل الضارب في الصحراء يتوق إلى قطرة ماء - إلا إلى الشعور الخافت بالإلهيّ بعامة، فحيثما تيسّر كفاية الرّوح يُقدّر عظم ضياعه.

لكنّ هذا الكفاف في التلقّي أو الاقتصاد في العطاء

(Diese Genügsamkeit des Empfangens oder Sparsamkeit des

Gebens) أمرٌ غيرُ خليق بالعلم، فمن يتعقّب التشييد وحسب، ومن يرم [9] موارد التنوّع الأرضيّ الذي لكيانه وللتفكير في الغيوم، ويلتمس التمتع غير المتعين الذي لذلك الإلهيّ غير المتعين، له أن يرى أين يجد ذلك، وسيكون من اليسير أن يجد من نفسه الآلة لكي يتحمس لأيّما أمرٍ ويعتدّ به. أمّا الفلسفة فعليها أن تحترس من إرادة التشييد.

وأقلّ ما يجب في ذلك الكفاف الذي يزهد في العلم ألا يزعم أنّ في مثل تلك الحماسة وتلك الخلبطة أمراً أرفع من العلم. ويظنّ هذا الخطاب التنبؤي أنه يحتلّ حقاً الوسط والعمق، فينظر بأزدراء إلى التقيديّة (الأوروس)، ويبقى في حلّ من المفهوم والضرورة كما من التفكير الذي لا منزل له إلا النهائيّة. ولكنّ مثلما أنه ثمة سعة فارغة، ثمة أيضاً عمق فارغ، وكذا يوجد امتداد للجوهر ينتشر في تكثّر متناه دونما قوّة تشدّه، - فإنّ مثل ذلك كمثّل الاشتداد الذي بلا قوام يسلك كالقوّة الخالصة التي لا تمدّد لها، فهو والسطحية سيّان. والقوّة التي للروح إنّما تعظم بقدر خُراجه وحسب، وعمقه إنّما يعمق بقدر ما يأتي الوشوع والتبّهان في أنبساطه. - وفي الآن نفسه لما تزعم هذه المعرفة الجوهرية العريّة من المفهوم أنّها غطت خصيصة الذات في الماهية، وأتت الفيلسوف على نحو حقّ ومقدّس، فهي إنّما تستحجب أنّها بدل أن تذرّ نفسها إلى الله فإنّها بأزدرائها القسطاس والتقييد قد أوجبت في نفسها تارة مصادفة المضمون، وطوراً الاعتبار الخاصّ. - ولما يخال أولئك الذين ينهملون في شواش التخمر الذي للجوهر أنّهم - بحجبهم للوعي - بالذات وتلفتهم عن الذهن - من المقرّبين الذين يؤتّهم الله الحكمة في المنام، فإنّ ما يُدركون وما ينجبون بالفعل في المنام إنّما هو لذلك أضغاث أحلام.

ومع ذلك فإنّه ليس عسيراً أن يُدرك المرء أنّ زماننا زمان ميلاد ومرورٍ إلى طور جديد؛ فالروح قد قطع مع ما دام إلى الآن [10] من عالم كيانه وتصوّره، ويضع في المفهوم (Steht im Begriffe) أن يعطّ كلّ ذلك في الكان وفي العمل على تكرير إخراج تشكّله. والأكّد أنّ الرّوح لا يُحصّل قطّ في سكون، بل في حركة رابية أبداً. ولكنّ الحال هاهنا كالتّي في الطفل بعد تغذية طويلة وصامتة، يقطع أوّل نفس فجأة هذا الاتّصال الذي لمسار النماء، وهو ليس إلاّ مساراً تزيّد - وتلك نقلة نوعيّة -، فهي إنّ الطفل قد

وُلد؛ كذلك الرّوح المتكوّن يشتدّ عوده ببطءٍ وبصمتٍ قَبْلَ الشّكل الجديد، ويفتُ بُنيانَ عالمه الفاتت قسطاً بعد قسط، فلا يُستغلنُ تهافتُ هذا العالم إلا بحسب بعض الآيات المفردات، فالاستخفاف كما الملل اللذان يجتاحان ما ظلّ قائماً وتوجّسُ المجهول، أماراتٌ تُنذر بحلول ما لا عهد لنا به. وذلك التفتت المتعاطم الذي لا يغيّر من وجه الكلّ شيئاً، إنّما ينقطع بفجرٍ فلقي يلوّح فجأةً بوضع وجهِ عالمٍ جديدٍ.

لكن هذا الجديد لا حقيق تاماً له إلا بالقدر اليسير الذي للطفل المولود للتوّ، وهذا أمرٌ مهمّ لا يجب غضّ النظر فيه؛ فأوّل الهلّ (Das erste Auftreten) إنّما هو قبل كلّ شيءٍ حالّيته أو مفهومه. ويقدر ما لا يكون البنيان تاماً عندما يكون أسه قد وُضع، بقدر ما لا يحصل مفهوم الكلّ الكلّ نفسه. وإنه لا يرضينا أن نُقدّم لنا شرابةً بلوط، والحال أنا نرغب رؤية شجرة بلوط في قوّة جذعها وسروح غصنتها وكثاث ورقها. كذا العلم، تاج العالم الذي للرّوح، لا يكون تاماً في مبتدئه؛ فمبتدأ الرّوح الجديد إنّما هو نتاج تبدلٍ متّصل لصور من الثقافة متنوّعة، وهو ثمن سبيل ذاتٍ تداخلات معقدة وصراطٍ ومجاهدةٍ ليسا أقلّ من تلك تعقداً. وهذا المبتدأ إنّما هو الكلّ الذي يؤوبُ إلى نفسه من بعد التعاقب كما من سروحه؛ إنه المفهوم البسيط والمتصير الذي لعين الكلّ. لكنّ حقيق هذا الكلّ البسيط قوامه أنّ هذه التشكّلات التي أسطحها لحظاتٍ إنّما تتنامى من جديد وتتشكّل، لكن في [11] أسطقسها الجديد وفي المعنى الذي قد استحال.

[في أنّ المبدأ ليس الكمال، ضدّ الصوريّة]

بما أنّ الظاهرة الأولى للعالم الجديد ليست من ناحية أولى إلاّ الكلّ المزمّل (Verhüllte) في بساطته، أو عماده الكليّ، فإنّ ثراء الكيان الفاتت - على العكس من ذلك - حاضرٌ بالنسبة إلى

الوعي في الذكر. وما يفتقده (Vermissen an) الوعي في هذا الشكل المظهر للتوّ إنّما هو اتّساع المضمون وتعيّنه، لكن ما يفتقده أكثر هو تكوين الصورة الذي من خلاله تُقيّد الاختلافات بيقين وتُنظّم في علاقاتها الرّاسخة. والعلم من دون هذا التكوّن يعدّ الذّهانة الكلّية (Die allgemeine Verständlichkeit)، ويكون له ظاهر أنّ ملك خاصّة (Ein esoterisches Besizum) لبضعة أعيان، - فأما أنّ العلم ملك خاصّة: فلاّته ليس حاضراً بعد إلاّ في مفهومه، أو لم يمثل منه إلاّ باطنه، وأما لبضعة أعيان: فلاّ أنّ ظاهرته المطوية تجعل من كيانه فارداً؛ فوّحده التأمّ تقييده يكون في الآن نفسه علنيّاً ومفهوماً، وبوّسعه أنّ يتعلّم، فيكون ملكاً للجميع. والصورة الذهنية التي للعلم إنّما هي السبيل إليه، وهي المسخرة للجميع، وهي للجميع سواء؛ فأنّ يحصل المرء المعرفة العقلية بمعّية الذهن، فذلك هو القضاء السديد للوعي الذي يهّم بالعلم؛ فالذهن إنّما هو التفكير، الأنا الخالص بعامة، والذهنيّ إنّما هو بحقّ ما عُرف بعد وما هو مشترك بين العلم وبين الوعي غير العلميّ، والذي به يكون بوسع هذا الوعي أنّ يلجّ في - الحال العلم.

إنّ العلم الذي يبدأ للتوّ فلم يبلغ بعد لا تمام الجزء ولا كمال الصورة قابل في ذلك للملازمة. ولكن إنّ طالت الملازمة ماهية العلم، فإنّه من الحيف بقدر ما هو من غير الخلق ألاّ يبغى المرء الاعتراف بقضاء ذلك التكوّن. وهذا التعارض يبدو أنّه معقّد المعايّد الذي تشتغل به الثقافة العلميّة في الحاضر من دون أنّ تفهم منه بعد الشيء الكثير. وأحد الأطراف يشدّد على ثراء المادّة كما على الذّهانة، أمّا الطرف الآخر فيستخفّ على الأقلّ بتلك الذّهانة، فيشدّد على المعقولية التي في - الحال كما على الألوهية. وما دام ذلك الطرف الأوّل قد أكره على الصمت، إنّ بقوة الحقيقة وحدها أو بعلوّاء الطرف الآخر، وشعر بأنّه قد غلب في ما يخصّ عماد الأمر، فإنّه لذلك لم يقض حاجته في ما

يخصّ هذه اللزوميات، لأنّها حقٌّ، لكنّها لم تُقَضَّ. ولا يُحمَلُ صمْتُ هذا الطرف إلّا في شطر منه وحسب على الغلّبة، أمّا في الشطر الآخر فيُحمَلُ على الملل والسيّانية اللّذين يحصّلان عادةً عن رُقى تتأجج بلا أنقطاع وعهودٍ لم تُوفَّ.

أمّا في ما يخصّ المضمون فإنّه يحلو في أعين الآخرين<sup>(4)</sup> أن يُصيبوا أمتداداً عظيماً؛ فهم يستجلبون على أرضهم قدراً عظيماً من الموادّ، أعني ما كان معروفاً ومنضوذاً؛ وما داموا منشغلين أساساً بالهجين والعجيب، فإنّهم يبدون أكثر تملّكاً لما بقي، وهو ما كان العلم به قد فرغَ منه بعدُ من الوجه الذي له، ويبدون أيضاً في رياسة على ما لم يتمّ بعدُ، فيُخضعون كلّ شيءٍ للفكرة المطلقة، فتبدو بذلك معروفةً في كلّ شيءٍ ومتّصلةً بالعلم الممتدّ. وإنّ تعقّبنا الفحص عن ذلك الامتداد، لم يبيّن أنّه قد استقرّ من حيث إنّ واحداً وهو هو (Das Dasselbe) كان قد تشكّل تشكّلات مختلفة، بل ذلك الامتداد إنّما هو التكرير العريّ من الشكل للواحد وألّهو هو الذي أنجزّ من وجه برانيّ في مادّة متنوّعة، فأستفادَ ظاهراً مُملأً من التنوع. والفكرة التي هي بلا ريب حقٌّ لذاتها إنّما تلبث في واقع الأمر دوماً على بدايتها، ما لم يكن التّماء إلّا في مثل ذلك التكرير للصيغة نفسها. أمّا الصورة الواحدة وغير المتحرّكة إذ تشيعها الذات العارفة في ما بين يديها، والمادّة المغموسة من الخارج في هذا العنصر الساكن، فذلك هو القليل الذي لا يفي - مثله مثل الآراء الاعتباريّة المُسقطّة على المضمون - كفاية المطلوب، أعني ثراء الأشكال الذي ينجم من ذاته وأختلافها المتعيّن بذاته. إنّهُ بالأحرى صورانيّة رتيبة لا تنتهي إلّا إلى أختلاف الموادّ، فلا تؤوب إليه إلّا من حيث أنّ هذه مُعدّة بعدُ ومعروفة.

(4) الطرف الثاني الذي يشدّد على المعقوليّة التي - في - الحال.



وزائداً إلى ذلك تزعم هذه الصوريّية أنّ تلك الرتبة والكلّيّة المجرّدة هما من قبيلِ المطلق؛ إنّها تجزم أنّ عدم الإيفاء بهذه الكلّيّة، إنّما هو عجز عن حيازة زاوية النظر المطلقة كما عن الرسوخِ فيها. وإذا كان في السابق الإمكانُ الأجوف في تصوّر شيء ما على نحوٍ مختلف كافياً لنقض تصوّر ما، وكانت أيضاً لهذا الإمكان البسيط نفسه، الفكرة الكلّيّة، القيمة الموجبة التي للمعرفة الحاقّة، فإنّنا نرى كذلك في هذا الموضع أنّ كلّ القيمة تُسندُ إلى الفكرة الكلّيّة في هذه الصورة من اللاحقيق، ونشاهد أنّ اتّحلال المختلِف والمقيّد، أو في الأكثر إلقاءه في هوة الخلاء، وهو الإلقاء الذي لم ينمّ قُدماً ولم يُبرّر من ذاته، إنّما يُظنُّ فيه أنّه جنسُ الاعتبار التأمليّ. واعتبارُ أيّ كيان كما يكون في المطلق، إنّما لا يرجع هاهنا إلّا إلى القول فيه إنّه لا محالة قد تمّ الآن القولُ فيه كأَيّما شيء؛ أمّا في المطلق وفي أ = أ، فلا شيء يكون من هذا القبيل، بل كلّ الأشياء فيه واحدة. إنّ مقابلة هذا العلم الواحد بأنّ كلّ شيء في المطلق متساوٍ، للمعرفة التي باختلافٍ وتمام، أو للمعرفة التي تتعقّب التمام وتقتضيه -، أو أنّ يهب المرء مُطلقه للليل الذي من العادة القول فيه إنّ كلّ الأبقار فيه سوداء -، إنّما هو سداجة الخلاء في المعرفة. - فالصوريّية التي تتهمها فلسفة العصر الجديد وتزديريها، والتي أُنبعثت فيها بنفسها من جديد، لن ترتفع عن العلم وإنّ عُرف فسادها وأدرك، ما لم تكّ المعرفة بالحقيق المطلق قد أَسْتعلنت وأَسْتُوضحت تماماً طبيعتها. - فإنّ أَعْتَبَرْنَا أنّ التصرُّور الكلّي إذا ما تقدّم محاولة إنجازها إنّما ييسّر إدراك معنى هذه المحاولة، فإنّه من الصّالح الإشارةُ في هذا الموضع إلى ما هو على سبيل التّقريب الذي لعين التصرُّور حتّى نُقصد بالمناسبة إلى أجتنب بعض الصور التي عادتُها أنّ تحوّل دون المعرفة الفلسفية.

[في المطلق إنّما هو ذات]

[14] إنّ رأس الأمر في ما أرى - وهو ما يجب تبريره في بيان النسق نفسه - أنّ الحقّ يُدرَك ويُقال لا كجواهر بل كذلك كذات. وينبغي التنبيه في الوقت نفسه على أنّ الجوهرية تنطوي في حدّ ذاتها على الكلّيّ أو حالّيّة المعرفة، مثلما تنطوي في ذاتها على الحالّيّة التي هي كينونة أو حالّيّة بالنسبة إلى المعرفة. - وإذا ما كان إدراك الله كالجوهر الواحد قد أثار استنكار العصر الذي صيغ فيه هذا التقييد، فالعلة في ذلك ترجع في شطر إلى غريزة أنّ الوعي - بالذات قد فات في ذلك فلم يُحفظ، لكن في الشطر الآخر إنّما هو العكس الذي يثبت التفكير كتفكير والكلّيّة وعين البساطة أو الجوهرية التي لا اختلاف ولا حركة لها، وثالثاً إذا ما وُحِد التفكير بين نفسه وبين الكينونة التي للجوهر بما هو كذلك، وأدرِك الحالّيّة أو الحدس كتفكير، فحريّ بنا أيضاً أن نولي النظر في ما إذا لم يسقط ذلك الحدس العقليّ مرّة أخرى في البساطة العاطلة، ولم يُبَيّن الحقيق نفسه من وجهٍ غير حاقّ.

[في الذات ما هي]

وزائداً إلى ذلك أنّ الجوهر الحيّ لا يكون الكينونة التي هي على الحقيقة ذات أو - وهو الشيء نفسه - التي هي على الحقيقة حاقّة، إلّا من حيث أنّه حركة استيضاع ذاتيّ، أو توسّط الذات نفسها بالاستحالة آخر (Die Vermittlung des sich anders Werdens) وهذا الجوهر كذات إنّما هو محض السالبيّة البسيطة، وبذلك فهو انفصام بسيط أو التضاعف المتضادّ الذي هو بدوره سلب لهذا التنوع السيانيّ كما لضده، إذ وحده هذا التساوي المُستعادّ، أو التفكر في الذات ضمن الكون المغاير (Das Anderssein) هو الحقّ؛ لا وحدة أصلائيّة بما هي كذلك، أو وحدة في - الحال بما هي كذلك. فالحقّ إنّما هو استحالته نفسها، الدّور (Der Kreis) الذي يفترض أنّ نهايته غايته، فتكون له مبتدأ، فلا يكون حاقّاً إلّا بمعية النّجز المفصّل (Die Ausführung) والنهاية التي له.

من الممكن إذاً أن تكون عبارة حياة الله والمعرفة الإلهية كلعبة الحب مع نفسه، فتسقط هذه الفكرة في التشييد وحتى في التفاهة متى يرتفع عنها الحزم والوجع والمصابرة وعمل السلبي. [15] والآكد أن تلك الحياة في ذاتها إنما هي المساواة المطمئنة والوحدة مع الذات نفسها التي لا تأخذ بجِدِّ الكون المغاير والاعتراب ولا مجاوزة هذا الاعتراب. لكن هذا الفي - ذاته إنما هو الكلية المجردة التي لا يُنظر فيها إلى طبيعتها كيف كونها لذاتها، وبذلك لا يُنظر بالجملة إلى الحركة الذاتية التي للصورة. وإذا ما قيل إنَّ الصورة تعدلُ الماهية، فإنه لذلك من سوء الفهم أن يُظنَّ أنه حسبُ المعرفة أُلْفِي - ذاته أو الماهية، وأنه كان يكون بوسعها أن تزهد في الصورة، - وأنَّ المبدأ المطلق أو الحدسَ المطلق قد يُغني من عَرَضِ الأولى [أي الماهية] ورُبُّو الأخرى [أي الصورة]. ولما كانت الصورة رأساً جوهريةً للماهية، مثلما هي الماهية لنفسها، فإنه ينبغي ألا تُدرَك الماهية وتُقَال ببساطة كماهية، أي كجوهر في - الحال، أو كحدس - ذاتي خالص للإلهي، بل ينبغي أن تُدرَك وتُقَال كذلك كصورة، وفي الشراء التام الذي للصورة الرابية، وإنه لبذلك تُدرَك وتُقَال رأساً كحاق.

والحقُّ إنما هو الكلُّ، لكنَّ الكلَّ ليس إلا الماهية المُستكملة ذاتها بربِّوها. وينبغي في المطلق القولُ إنه بالجوهر حاصلٌ، فهو ليس هو على الحقيقة إلا في النهاية؛ وفي ذلك بالدقة قوام طبيعته، أي كونه حاقاً، أو ذاتاً أو استحالةً ذاتيةً (Ein sichselbst Werden). ومهما بدا متناقضاً فهمُ المطلق أنه بالجوهر حاصلٌ، فإنَّ بعض النظر يأتي على هذا الظاهر من التناقض. وليس المبتدأ أو المبدأ أو المطلق - كما يُقالُ أولاً وفي - الحال - إلا الكلي. وكما أنه من النادر لما أقول: «كلَّ الحيوانات» أن يصلح هذا اللفظ كعلم حيوانات، فإنه من السياق نفسه كذلك أن أُلْفِظ

الإلهي والمطلق والأزلي وما إليه، لا تعبر عما هو متضمن فيها، - فوحدها هذه الألفاظ التي من ذلك الجنس تقولُ الحدس فعلاً كالذي - في - الحال. وما هو أكثر من مثل هذا اللفظ، أي المرور أيضاً إلى مجرد جملة، إنما هو التصيرُ آخرَ الذي تجب استعادته، وهو توسيط. لكنّ هذا التوسيط هو ما ندفعه عتاً دفعا، 16] كأنه بصنيعنا به، إضافةً إلى كونه ليس بمطلق ولا من المطلق في شيء، كانت تكون المعرفة المطلقة أهملت.

لكنّ مردّ ذلك الدفع إنما هو عدم المؤالفة مع طبيعة التوسيط والمعرفة المطلقة نفسها. فالتوسيط ليس إلا التساوي الذاتي المتحرك بنفسه، أو هو التفكير في الذات نفسها، لحظة الأنا الكائن - لذاته، السالبيّة الخالصة أو الصيرورة البسيطة. والأنا أو الصيرورة بعامة أو هذا التوسيط، إنما هو بفضل بساطته الحالّيّة المتصيّرة والذي - في - الحال نفسه (Das Unmittelbare selbst). - وعليه فإنّه من الجهل بالعقل أن يقضى التفكير من الحقّ، وآلا يدرك كلحظة موجبة للمطلق؛ فالتفكير هو ما يجعل الحقّ حاصلًا، لكنّه ينسخ كذلك هذا التقابل مع الصيرورة التي له، وهذه الصيرورة إنما هي لذلك بسيطة، ولا تختلف إذاً عن الصورة التي للحقّ الذي يتبدى في الحاصل كبسيط، بل هي بالأحرى الكون الذي أبّ ضمن البساطة. - وإذا ما كان الجنين فعلاً في ذاته إنساناً، فهو مع ذلك ليس كذلك لذاته، فليس هو لذاته كذلك إلا كعقل متكوّن قد أتى بذاته ما هو في ذاته. وذلك هو رأساً حقيقة. لكنّ هذا الحاصل إنما هو نفسه حالّيّة بسيطة، فهو الحرّية التي تعي نفسها وتسكن إلى نفسها، فلم تجتنب التقابل لتضعه على حدة، بل ائلفت وإياه.

يمكن أيضاً أن تكون عبارة ما قيل على نحو أن العقل إنما هو الفعل الموافق لغاية ما؛ فالارتفاع بالطبيعة المظنون فيها على التفكير غير المألوف، ومن قبل ذلك إقصاء الغائيّة البرانية قد

أبطلا بالجملة صورة الغاية. والغاية كما ذهب في ذلك تحديد أرسطو للطبيعة من حيث هي فعل غائي، إنما هي ما هو - في - الحال، والساكن الذي هو ذاته محرّك، أو الذات. وقوتها المجردة [17] للتحريك إنما هي الكون - لذاته أو السالبة الخالصة. وليس الحاصل سيّ ما هو الابتداء إلا لأن الابتداء غاية، - أو ليس الحاق سيّ ما هو مفهومه إلا لأن ما هو - في - الحال كغاية ينطوي في حدّ ذاته على الهو (Das Selbst)، أو على الحقيق الخالص. والغاية المنجزّة، أو الحاق الكائن إنما هو الحركة أو الصيرورة المبسوطة، لكن هذا التحير إنما هو الهو، وإن ضاهت هذه الحاليّة والبساطة التي للابتداء الهو فلاّته الحاصل والآيب إلى نفسه (Das in sich Zurückgekehrte)، - أما الآيب إلى نفسه فإنما هو على الحصر الهو، والهو إنما هو التساوي والبساطة إذ يتصلان بذاتيهما.

إن الحاجة إلى تصوّر المطلق من جهة ما هو ذات قد استعملت في قضائها قضايا من جنس أن: الله هو الأزلي، أو هو النظام الأخلاقي للعالم، أو هو المحبّة وما إليه. وفي مثل هذه القضايا إنما وُضع الحق مباشرة (Geradezu) كذات / حامل وحسب، لكن لم يتمّ بيانه كالحركة التي للمتفكّر في نفسه بنفسه (Das sich in sich selbst Reflektieren)؛ فيكون الابتداء في قضية من هذا القبيل بلفظ: الله. وهذا لذاته صوت عارٍ من المعنى، ومجرد اسم؛ فوحدّه المحمول يقول ما هو، وهو ملاؤه ودلالته، ولا يستحيل الابتداء الفارغ معرفة بالفعل إلا في هذه النهاية. وعلى هذا النحو لا يمكن أن نغض الطرف عن سؤال لماذا لا يأتي المرء قولاً في الأزلي والنظام الأخلاقي للعالم وما إليه وحسب أو، كما ذهب في ذلك القدامى، في المفاهيم الخالصة، في الكينونة والواحد وما إليه، وفي ما هو الدلالة من دون إضافة الصوت العاري من المعنى. لكنّ بهذا اللفظ تتمّ الإشارة إلى أن ما قد وُضع ليس كينونة أو ماهيّة أو بالجملة كلياً، بل متفكّر في

نفسه، أو ذاتٌ. غير أنّ ذلك لا يكون في الآن نفسه مُعَجَّلًا به، فالذات/ الحامل إنّما أخذت كنيحة ثابتة تُشَدُّ إليها المحمولاتُ شُدَّها إلى حاملِها، وبمعنى حركةٍ هي لِمَنْ يعلم بها، وهي حركةٌ لا يُنظر فيها على أنّها تنتسبُ إلى النيحة ذاتها؛ لكن بهذه الحركة وحدها كان يكون المضمون قد بانَ كذاتٍ. ولا يمكن هذه الحركة أن تنتسب إلى الذات بحسب ما لها من هيئة، لكن وفق افتراض [18] تلك النيحة لا يمكن أن تكون لهذه الحركة هيئة من وجهٍ مغاير، فلا تكون إلّا برآئته. وعليه فهذا الاستباق، وهو أنّ المطلق ذاتٌ، ليس فقط ما لا يكون الحقيق الذي لهذا المفهوم، بل هو ما يجعل منه مُحالاً؛ فالاستباق إنّما يفترض أنّ الحقيق نيحةٌ ساكنةٌ، لكن الحقيق إنّما هو التحركُ الذاتيُّ.

من شتى النتائج التي تحصل عما قيل يمكن تخلص التالية، وهي أنّ المعرفة لا تكون حاقةً ولا يتمّ بيانها إلّا كعلم أو نسق. وأنّ ما يُسمّى قضيةً أولى، أو مبدأً الفلسفة إنّ كان صادقاً، فإنّما هو أيضاً كاذبٌ، لأنّه قضيةٌ أولى أو مبدأ. - ولهذه العلة فإنّه من اليسير نقضه. وقوامُ النقض أنّ يبين فسادَ المبدأ ونقضه، لكنّه فاسدٌ لأنّه فقط الكلّي أو المبدأ، المبتدأ وحسب؛ فإن كان النقض ذا عمادٍ، فإنّه قد حُصِّلَ وأبين من المبدأ، - ولم يُقدَّ من الخارج بواسطة آراء وتخمينات متضاربة. وبحقّ ما كان يكون النقض ربو المبدأ وتيمّةً لنقصه ما لم يك غلط في اعتبار وجهه السالب وحسب، وفي ألا يعي كذلك بتقدمه وحاصله من حيث الوجه الموجب الذي لهما. - وعلى العكس من ذلك، يكون النجاز الخاصّ والموجب للابتداء أيضاً سلوكاً سالباً حياله، أعني حيال صورته الأحادية المتمثلة في كونه أولاً ما هو - في - الحال أو غايةً. فلذلك كثيراً ما يؤخذ ذلك النجاز مأخذ نقض ما هو من النسق عماده، بل يؤخذ أكثر من ذلك مأخذ تبيان أنّ العماد، أو المبدأ الذي للنسق إنّما هو بالفعل مبتدؤه وحسب.

أَنَّ الحَقَّ لا يَكُونُ حَاقًا إِلَّا كَنَسَقَ، أو أَنَّ الجَوْهَرَ بِالجَوْهَرِ ذاتٌ، فَذَلِكَ عِبَارَتُهُ فِي تَصَوُّرِ أَنَّ المَطْلُقَ رُوحٌ، - إِنَّهُ المَفْهُومَ الجَلِيلِ، وَالَّذِي يَنْتَمِي إِلَى العَصْرِ الحَدِيثِ وَدِينِهِ؛ فَالرُّوحِيُّ وَحْدَهُ إِنَّمَا هُوَ الحَاقُ؛ إِنَّهُ المَاهِيَّةُ أو الكَائِنُ فِي ذَاتِهِ، - المَتَّصِلُ بِذَاتِهِ أو المَتَعَيَّنُ، الكُونُ آخَرَ وَالكُونُ لذَاتِهِ، - وَالبَاقِي بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ فِي هَذِهِ التَّعَيُّنِ أو فِي كَوْنِهِ خَارِجَ ذَاتِهِ، - أو هُوَ فِي ذَاتِهِ وَلذَاتِهِ. - لَكِنَّ هَذَا الكُونُ لذَاتِهِ وَفِي ذَاتِهِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي أَوَّلِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا أو فِي ذَاتِهِ، أو هُوَ الجَوْهَرُ الرُّوحِيُّ. وَلا بَدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ أَيْضًا لذَاتِهِ خَاصَّةً، - لا بَدَّ أَنْ يَكُونَ العِلْمَ بِالرُّوحِيِّ أو العِلْمَ بِذَاتِهِ كَالعِلْمِ بِالرُّوحِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لذَاتِهِ مَوْضوعًا؛ لَكِنَّ يَكُونُ فِي - الحَالِ مَوْضوعًا مُوسُوطًا، أي مَوْضوعًا مَنْتَسَخًا وَمَتَفَكِّرًا فِي ذَاتِهِ. فَهَذَا المَوْضوعُ يَكُونُ لذَاتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا وَحَسَبَ لَمَّا يَكُونُ مَضمونُهُ الرُّوحِيُّ قَدْ نَجَمَ مِنْهُ بِذَاتِهِ؛ لَكِنَّ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ أَيْضًا لذَاتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَاتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الانْتِجَامَ (Das Selbsterzeugen)، أي المَفْهُومَ الخَالِصَ، إِنَّمَا يَكُونُ فِي ذَاتِ الوَقْتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ الأَسْطَقْسَ المَوْضوعِيَّ حَيْثُ يَسْتَقِيمُ لَهُ كَيَانُهُ؛ وَعَلَى هَذَا النِّحْوِ يَكُونُ ذَلِكَ المَوْضوعُ - فِي كَيَانِهِ لذَاتِهِ نَفْسِهَا - مَوْضوعًا مَتَفَكِّرًا فِي ذَاتِهِ. - فَالرُّوحُ الَّذِي يَعْلَمُ نَفْسَهُ كَرُوحٍ إِنَّمَا هُوَ العِلْمُ. وَالعِلْمُ إِنَّمَا هُوَ حَقِيقَةُ وَالمَلَكُوتُ الَّذِي يُقِيمُهُ فِي أُسْطَقْسِهِ الخَاصِّ.

[فِي أُسْطَقْسِ العِلْمِ]

إِنَّ أَعْتِرَافَ الذَّاتِ نَفْسِهَا<sup>(5)</sup> الخَالِصَ فِي الكُونِ المَغَايِرِ المَطْلُقِ، هَذَا الأَثِيرُ بِمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ العِمَادُ وَالمَتَرَبُّ اللِّذَانِ لِلعِلْمِ، أو هُوَ مِنْ وَجْهِ كَلْبِيِّ المَعْرِفَةِ. وَالابْتِدَاءُ فِي الفَلَسَفَةِ إِنَّمَا هُوَ افْتِرَاضُ أو اقْتِضَاءُ أَنْ يَجِدَ الوَعْيُ نَفْسَهُ فِي هَذَا

(5) Das Selbsterkennen، على معنى تعرفها على نفسها: إعترفت نفسه.

الأسطقس. لكن هذا الأسطقس لا يكون له تمامه وشفافيته إلا في الحركة التي لصيرورته. فإنما هو الروحية الخالصة، أو الكلّي الذي له وجهه الحالّية البسيطة. ولما كان هذا الأسطقس الحالّية التي للروح، وكان الجوهر بالجملة الروح، فالجوهر إنما هو [20] الأيسية المبعوثة (Die verklärte Wesenheit)، والتفكر الذي هو ببساطة نفسه، أو هو الحالّية، الكينونة التي هي في ذاتها التفكير. أما العلم من جهته فيقتضي من الوعي - بالذات أن يكون قد ترقى في ذلك الأثير، حتى يقدر على الحياة مع العلم وفيه، فيحيا. وبالعكس فإنه من حق الفرد أن يطلب من العلم أن يمدّه بالدرج على الأقل إلى أن يبلغ هذه الزاوية من النظر. وحق الفرد إنما ينبي على قيامه برأسه قياماً مطلقاً يعلم الفرد كيف يتملكه في كلما شكل من أشكال معرفته؛ فالفرد - في كل شكل سواء أقر به العلم أم لم يقر، وأياً كان مضمونه -، إنما يكون في الآن نفسه الصورة المطلقة، أو يمتلك الإيقان من ذاته الذي في - الحال؛ وإن فصلت هذه العبارة، نقول إنه الكينونة اللامقيدة. وإذا ما جرت زاوية النظر التي للوعي - وهي أن يعرف عن الأشياء الموضوعية في تضاد مع ذاته، وعن ذاته نفسها في تضاد مع تلك الأشياء - مجرى الآخر بالنسبة إلى العلم، - وفي ذلك إنما يكون الوعي قُرب نفسه أكثر من أنه تيه الروح -، فإن أسطقس العلم يكون مع ذلك بالنسبة إلى الوعي متعالياً متقاصياً أين لا يملك الوعي من أمر نفسه شيئاً. وكل من هذين الطرفين يظهر للآخر أنه عكس الحقيقة. أما أن يودع الوعي الطبيعي نفسه في - الحال للعلم فتلك محاولة يأتيها الوعي - من حيث لا يدري ما يجره إليها - لكي يمشي مرةً أخرى على رأسه؛ واللزوم في اتخاذ هذه الوضعية المهجورة والتحرك فيها هو عنف لا إعداد فيه بقدر ما يكون ظاهره غير مُجدٍ يُستحث الوعي على أن يأتيه بنفسه. - فليكن العلم في حد ذاته ما شاء، فإنه في صلته بالوعي - بالذات الذي [21]



في - الحال لِيَتَبَيَّنُ كعكسِهِ المقابل له، أو: لَمَا كَانَ الواعي - بالذات الذي في - الحال مبدأً الحقيقِ، فَإِنَّ العِلْمَ، من حيث إِنَّ هذا الواعي - بالذات خارجٌ لذاته على العلم، يَحْمِلُ صورةَ اللَّاحِقيقِ. ولذلك ينبغي على العلم أن يَتَّحِدَ وذلك الأَسْطَقْس، أو ينبغي في الأكثر أن يُبَيَّنَ أَنَّ ذلك الأَسْطَقْس ذاته سليلُهُ وكيف هو ذلك؛ فلَمَّا يرتفع الحقيقُ عن العلم، فليس هو إِلَّا أَلْفِي ذاته، والغاية التي ما انفكت مجرد باطنٍ؛ فلا يكون من جهة ما هو روحٌ، بل لا يزال جوهرًا روحياً وحسب. وينبغي للعلم أن يَخْتَرِجَ بنفسه، فيتصيرُ لذاته خاصَّةً، ولا يعني هذا شيئاً غير أنه ينبغي عليه أن يستوضَع الواعي - بالذات واحداً مع ذاته (Als eins mit sich zu setzen)

[في أن الترقى في عين ذلك الأَسْطَقْس إنما هو فنومينولوجيا  
[الروح]

إن هذه الصيرورة التي للعلم بعامة، أو التي للمعرفة إنما هي ما تُبَيِّنُهُ فنومينولوجيا الروح هذه كجزء أول من نسق العلم عينه. والمعرفة، كما هي في بادئ الأمر، أو الروح الذي في - الحال، إنما هي العاري من الروح، أو هي الوعي الحسِّي. وينبغي لهذا الروح الذي في - الحال أن يجاهد في اتباع سبيل طويلة ومتوَعِّرة ويشغل عليها حتى يصير معرفةً بحق، أو يأتي أسطقس العلم، وذلك هو مفهومه المحض. - وكما تنتصب تلك الصيرورة ضمن مضمونها والأشكال التي تبدى فيها، فهي تظَهَّرُ كشيء مغاير لتدريب الوعي غير العلمي على العلم، ومغاير أيضاً لتأسيس العلم؛ - ومهما يكن من أمر، فهي غير الحماسة التي تبدى في - الحال مثلها مثل طلبة المسدس، بالمعرفة المطلقة، فتفرغ للتو من وجهات النظر الأخرى [22] من حيث تعلق أنها لن تولي النظر في أمرها.

أما مهمة سوق الفرد من زاوية نظره الفظة إلى المعرفة فإنها

كانت تُدرِّكُ على معناها الكلِّي، فكان يجب اعتبار الفرد الكلِّي، أي روحُ العالم (Der Weltgeist) من حيث تكوينه وثقافته. - أمّا ما يخصّ الصلّة التي بينهما فإنّ كل لحظة في الفرد الكلّي تظهر كيفما يكسب الصورة العينيّة والتشكّل الخاصّ. أمّا الفرد الجزئيّ فإنّما هو الروح غير المكتمل، وهو شكلٌ عينيّ سارٌ كيانه موقوفٌ على تعينيّة واحدة، وحيث لا تمثّل التعيّنات الأخرى إلّا في ملامح ممسوحة. والكيان العينيّ الأسفل إنّما أختفّض في الروح الذي يقوم كالأرفع ممّا سواه إلى لحظة لا تظهر، وما كان من قبل هذا رأس الأمر إنّما أضحي بعد أثرًا وحسب؛ لقد حُجِبَ وجهه، وصار مجرد ظلّول. وهذه الكائيّة (Die Vergangenheit) إنّما يجوبها الفرد الذي جوهره الروح القائم والأرفع، ويكون ذلك على طريقة من يهّم بعلم رفيع، فيخوض المعارف الاستهلاكيّة التي له في سريره منذ عهد بعيد حتّى يستحضر مضمونها؛ إنّه يسترجع ذكراها من دون أن يكون له منها شاغلٌ ولا فيها مقامٌ. كذلك يجتاب كلُّ فردٍ عين أدراج التكوين التي للروح الكلّي، لكن كأشكالٍ كان الروح قد هجرها، وكأدراج سبيلٍ كان قد خيَضَ فيها فسَطَحَتْ؛ مثلما سنرى في ما يتعلّق بالمعارف أنّ ما كان يشغل في الأزمنة الأولى الروح البالغ الذي للبشر قد أختفض إلى معلومات وتمارين بل إلى ألعاب الصبيان، وسنعلّم أنّ في التقدّم البيداغوجيّ قد أرتسم تاريخُ الثقافة التي للعالم كما ترسم الظلال. [23] وهذا الكيان المتصرّم إنّما هو بحقُّ مُلكٌ حاصلٌ للروح الكلّي الذي يكونُ جوهر الفرد أو طبيعته غير العضويّة. - وثقافة الفرد إنّما تتمثّل وفق هذا المنظور - وبحسب زاوية النظر التي تخصّه - في أنّ يحصل ما بين يديه ويستهلك في دخيلته طبيعته غير العضويّة فيتملّكها لذاته. ولكن ذلك لا يعني كذلك سوى أنّ يتعطّى (Sich geben) الروح الكلّي أو الجوهر الواعي - بالذات الذي له، أو أنّ ينسل من نفسه صيرورته وتفكره في ذاته.

والعلم إنما يُبين هذه الحركة المكوّنة على سنايتها كما على وجوبها، مثلما يُبين ما قد أختفض بعدُ إلى لحظةٍ وملكيّة للروح في التشكل الذي له. والمقصد إنّما هو تعقلُ الروح في ما هو معرفة. أما التعجّل وعدم الصبر فيطلبان المحال، أعني تحصيل المقصد من دون الوسيلة؛ فمن ناحية يجب تحمّل طول هذه الثنية، إذ كلُّ لحظةٍ واجبةٌ، - ومن ناحية أخرى ينبغي النزول بكلِّ منها، إذ كلُّ لحظةٍ إنّما هي جملةٌ شكل مُفردٍ لا يُعتبر على الإطلاق إلّا متى أُعتبرت تعيّنُهُ ككلُّ أو كمتعيّن، أو أُعتبر الكلُّ في الخصيصية التي لهذا التعيّن. - ولما كان لجوهر الفرد، بل لروح العالم الصبر على الوشوع في تلك الصور على ما طال من مرّ الزمان، والجلادة في الاضطلاع بما جلّ من عمل تاريخ العالم، فلم يكن بوسعِه أن يحصل الوعي عن ذاته بأقلّ من ذلك، فإنّ الفرد أيضاً لن يفهم جوهره بحقّ بأقلّ من ذلك. وفي الوقت نفسه فإنّ الفرد لا يتحمّل مذاك إلّا أقلّ الجهد وأيسره، لأنّ هذا الأمر قد تمّ وقُضي في ذاته، - فالمضمون إنّما هو الحقيق المُلغى بعدُ حدّ الإمكان، وهو الحالّيّة المفهورة. وما دام مفتكراً فهو ملكيّة الفردية، فالأمر لم يعدّ يجري مجرى قلب الكيان إلى الكون - في - ذاته، بل يتعلّق فقط بقلب ألفي - ذاته إلى الصورة التي للكون - لذاته، وذلك ما ينبغي تقييدُ نحوه عن كتب.

[في تحوّل المتصوّر والمعروف داخل الفكر]

فأما الذي يُدفع عن الفرد ضمن تلك الحركة، فإنّما هو نسخُ الكيان؛ وأما الباقي فهو التصوّر ومعاشرته (Die Bekanntschaft) الصّور. والكيان المسترّد في الجوهر لا يُنقلُ أوّل أمره - بواسطة ذلك السلب الأوّل - إلى الأسطقس الذي للهو إلّا في - الحال؛ وعليه فما زال ذلك الكيان يمتلك نفس طبيعة الحالّيّة اللامفهومة أو السيانيّة اللامتحرّكة، مثله مثل الكيان ذاته، أو هو لم يتماصّ إلّا في التصوّر. - وبذلك فهو في الوقت نفسه مألوفٌ، شيءٌ ما

كان الرّوح قد فرغ منه، فلم يعد له فيه نشاطه ولا شاغله. وإذا مثل النشاط الذي فرغ من الكيان التوسيط الذي في - الحال، أو التوسيط الكائن، ولم تك الحركة عندئذٍ إلا الرّوح الجزئيّ غير الفاهم لنفسه، فإنّ المعرفة التي تُقصد إلى ضدّ ما أُستقرّ إليه [25] التصرّو وتلك الكينونة المألوفة إنّما هي على العكس من ذلك صنعُ ألهو الكلّيّ والشاغل الذي للتفكير.

إنّ المألوفَ بالجملة لا يكون معلوماً، لأنّه على الحصر مألوف. وأكثر ما درج في الاستيهام كما في إيهام الغير في شأن المعرفة، إنّما هو افتراضُ الشيء مألوفاً والاكتفاء فيه بذلك؛ وأياً كان القول والتقوّل الذي لمثل تلك المعرفة فهي لا تتقدّم - من دون أن تعلم كيف يلمّ بها ذلك - قيد أنملة. فالذات والموضوع وما إليه، الله والطبيعة والذهن والحسّ إلخ... إنّما تُنصبُ في العماد من دون أيّما احتراس كمألوفة وصالحة، فتكوّن نكتاً راسخةً للابتداء كما للإياب. والحركة إنّما ترسل، مجيئاً وذهاباً، بين تلك النكت التي ما تنفك غير متحرّكة، فلا تكون بذلك إلا حركةً على سطوحها. فلذلك إنّما قوامُ الإحاطة والتمحيص أن يُنظر في ما إذا كان كلّ أمرئ يدرك أيضاً في تصوّره ما كان قد قيل في تلك الأمور، وما إذا كان هذا يظهر له على هذا النحو، وهل هو مألوفٌ أم لا.

إنّ حلّ (Das Analysieren) تصوّر مّا، كما كان يُعمل به سابقاً، لم يكن يمثّل سوى نسخ الصورة التي لكوّنه مألوفاً. وتفكيك تصوّر ما إلى عناصره الأصليّة إنّما هو الرجوع إلى لحظاته التي ليست لها على أيّ حال صورة التصرّو الحاصل بعد، بل تمثّل مُلك ألهو الذي في - الحال. وذلك الحلّ لا ينتهي إلا إلى أفكارٍ هي نفسها تعيينات مألوفةٍ وراسخةٍ وساكنة. أمّا هذا المَفصوّل، والآحاق ذاته، فإنّما هو لحظةٌ جوهريةٌ؛ فليس المتعيّن المتحرّك بذاته إلا لأنّه ينفصلُ ويجعل من نفسه الآحاق. ونشاط

الفضل إنّما هو قوّة الذهن وعمله، وهو القدرةُ الخارقةُ والأعظمُ، بل بالأحرى القدرةُ المطلقةُ. والدَّورُ (Der Kreis) الذي يسكن منغلقاً إلى ذاته، فيشدُّ وثاق لحظاته كأنّه جوهرٌ، إنّما هو الصلّةُ الحالّيّةُ، إذاً غيرُ الخارقة. أمّا كَوْنُ العَرَضِ المنفصلِ بما هو كذلك عن مساقه، أو كَوْنُ الموصولِ الذي لا يكون حاقاً إلا في ترابطه مع آخر، يحصّلان كياناً خاصّاً وحرّيّةً مُفردّةً، فتلك إنّما هي القدرةُ الجليّةُ التي للسليبيّ؛ إنّها الفعلُ<sup>(6)</sup> الذي للتفكير وللأنا الخالص. والموت، إنّ شئنا تسمية ذلك اللاحقيق هكذا، إنّما هو أشدُّ ما يُخشى؛ أمّا الإبقاء على ما مات وحفظه فهو ما يقتضي القوّة الأعظم. والجمالُ العريُّ من القوّة إنّما يكرهُ الذهن، لأنّ الذهن يبتغي منه ما لا حول له به. أمّا الحياةُ التي للروح فليست بالحياة التي تنفّر من الموت، فتقي نفسها خالصةً من الخراب، بل هي الحياةُ التي تحمّلُ الموت، فتحفظ نفسها فيه؛ فالروحُ لا يحصلُ حقيقته ما لم يدرك نفسه بنفسه في التمرّق المطلق. ولا يكون الروحُ هذه القدرةُ كالموجب الذي يتلقّت عن السليبيّ، ومثاله قولنا في شيء أنّه ليس أو كذب، فنمّرُ منه متى نكون فرغنا من أمره إلى أيّما شيء آخر، بل الروحُ هو تلك القدرة ما تملّى السليبيّ ودام مقامه فيه. وهذا المُقام إنّما هو القوّة السّحريةُ التي تقلب السليبيّ إلى كينونة. - وهي سيّ ما سُمّي الذات في ما سبق أعلاه، فهذه الذات من حيث إنّها تهب - ضمن أسطقسها - التعيّنيّة كياناً، إنّما هي التي تنسخُ الحالّيّةَ المجرّدة، أعني بالجملة الحالّيّةَ الكائنةَ وحسب، فتكونُ بذلك الجوهرَ الحقّ، الكينونةُ أو الحالّيّةُ، لا الحالّيّةُ التي يكون لها التوسيطُ برّانياً، بل الحالّيّةُ التي كونها التوسيطُ نفسه.

.Ενέργεια بمعنى Die Energie (6)

أما أنّ المتصوّر يصير ملكاً للوعي - بالذات المحض، فهذا الترقّي إلى الكلّية بعامة إنّما هو وجه واحد، وليس بعدُ التكوين التام. - وجنسُ النظر الذي للعصر القديم مغايرٌ للنظر الذي للعصر الحديث من حيث إنّهُ كان يمثلُ جملةً تكوين الوعي الطبيعي. فهذا الوعي إذ كان يتعقّب كيانه جزءاً جزءاً وإنْ دقّ، ويتفلسف في كلّ حادثة وطارئة، إنّما كان أبتعث من نفسه كلّية سارها نشاطاً. أما في العصر الحديث فإنّ الفرد يجد، على العكس من ذلك، الصورة المجردة معدّة؛ والمجاهدة في دركها وأستملاكها إنّما هي منازعة في - الحال للباطن وأنبعث مفصومٌ للكلّي أكثر من أن تكون أنتجامٌ الكلّي من العينيّ ومن تكثّر وجوه الكيان. ولهذا فالعمل الآن لا يتمثل في تخليص الفرد من الطريقة الحسيّة التي في - الحال كما في جعله جوهرًا مفكراً ومفكراً، بقدر ما يتمثل في تحقيق الكلّي وبعث الرّوح فيه (Begeisten) وسط التضادّ وعبر نسخ الأفكار المتعيّنة والرّاسخة. أما إيتاء الأفكار الرّاسخة على سيلائيّة فأشدّ وأعسر بكثير من إيتاء الكيان الحسي. والعلّة في ذلك ما قدّمناه أعلاه، فهذه التحديدات يكون لها الأنا، أي قدرة السلبّي أو الحقيقيّ الخالص، جوهرًا وأسطقساً لكيانها؛ أما التحديدات الحسيّة فلا تكون لها، بالعكس، إلاّ الحالّيّة المجردة التي لا حوّل لها، أو الكينونة بما هي كذلك. والأفكار إنّما تستحيلُ سيّالة من حيث يعترف التفكيرُ المحضُ نفسه، أي هذه الحالّيّة الباطنة، من جهة ما هي لحظة، أو من حيث يتجرّد الإيقانُ الخالصُ من الذات عن ذاته، - لا أن يُهمَل ذاته فيتنتحى جانباً، بل يتخلّى عن الرّاسخ الذي في أستيضاعه ذاته، عن الرّاسخ الذي للعينيّ المحض الذي هو الأنا ذاته في تقابل مع المضمون المختلف، كما عن الرّاسخ الذي للمختلّفات التي وُضعت في عنصر التفكير المحض والتي لها نصيبٌ من تلك

اللاتقيديّة التي لنا؛ فالأفكار الخالصة إنّما تتصير عبر تلك الحركة مفاهيم، فتكون رأساً هي ما هي بحق، أي حركات ذاتية وأدواراً وأسياتٍ روحية، فإنّما ذلك جوهرها.

إنّ تلك الحركة التي للأسيات الخالصة هي بالجملة قوام طبيعة العلميّة، فإذا ما نُظر فيها من وجه اتّساق مضمونها، فإنّما هي الضرورة وأنّبساط عين المضمون إلى كلّ عُضويّ. وبتلك الحركة أيضاً تصير السبيل التي عليها يُحصّل مفهوم المعرفة صيرورةً واجبةً وتامةً، على نحو أنّ هذا الإعداد يكفّ عن كونه تفلّساً عرضياً يتعلّق بهذه الموضوعات وبتلك وبروابط وأفكار الوعي غير التام كيفما تذهب بها العرضيّة، أو تفلّساً يتعقّب تأسيس الحقّ بمعيرة أستدلال وتحصيل وأستخلاص تخبط كلّها خبط عشواء انطلاقاً من أفكارٍ محدّدة، بل إنّ تلك السبيل ستحيط عبر الحركة التي للمفهوم بالعالمية (Die Weltlichkeit) التامة التي للوعي من حيث وجوبها.

إنّ مثل هذا التبيين هو أيضاً الجزء الأوّل من العلم لعلّة أخرى، ألا وهي أنّ كيان الرّوح من حيث هو الأوّل ليس إلّا ما هو - في - الحال أو البدء، لكنّه البدء الذي ليس هو بعداً أوبةً إلى ذاته. [28] لذلك عنصر الكيان الذي في - الحال إنّما هو التعيّنية التي بواسطتها يختلف هذا الجزء الأوّل من العلم عمّا سواه من الأجزاء. - والتنبيه على سبيل هذا الاختلاف يقود إلى تفحص بعض الأفكار الرّاسخة التي عادةً ما تعرض في هذا الغرض.

إنّ كيان الرّوح الذي في - الحال، أي الوعي، يمتلك اللحظتين كليهما، أعني لحظة المعرفة ولحظة الموضوعيّة السالبة للمعرفة. وما دام الرّوح يتنامى في هذا الأسطقس ويبيّن فيه لحظاته، فهذا التضادّ إنّما يحصل لهذه اللحظات، فتهلّ كلّها كأشكال للوعي. وعلم هذه السبيل إنّما هو علم التجربة التي يخوضها الوعي؛ فالجوهر إنّما يُعتَبَرُ كيف يكون هو وحركته

موضوعاً للوعي. والوعي لا يعلم ولا يفهم شيئاً ما لم يك في تجربته، لأنّ الذي يكون في هذه التجربة إنّما هو الجوهر الرّوحي، وإنّه كذلك من جهة ما هو موضوع للهو الذي له. أمّا كون الرّوح يتصير موضوعاً فلأنّه يكون هذه الحركة التي هي أن يستحيل غير نفسه، أي موضوعاً للهو الذي له، وأن ينسخ هذا الكون المغاير. وما يُسمى على التدقيق تجربة إنّما هو هذه الحركة أين يتغارب ما هو في - الحال واللامجرّب أي المجرّد، إن كان الكينونة الحسيّة أو البسيط المفتكّر وحسب، ثمّ يؤوب إلى ذاته من ذلك الاغتراب، فيبين حينها وحسب على حقيقه وحقيقته، مثلما يمسي أيضاً مُلك الوعي.

إنّ اللاتساوي الذي يحصل في الوعي بين الأنا وبين الجوهر الذي هو موضوعه إنّما هو اختلافهما، أو هو بالجملة السلبي. ويمكن أن يُعتبر عوّز كليهما، لكنّه نفسهما أو المحرّك لهما، ولهذا فهم بعض القدامى الخلاء أنّه المحرّك، فأدركوا المحرّك بحقّ كالسليبي، لكن لم يكونوا أدركوا بعد هذا السلبي من جهة ما هو الهو. - وإذا كان هذا السلبي يظهر حينئذ في مبتدئ الأمر كلاتساوي الأنا مع موضوعه، فإنّه كذلك لاتساوي الجوهر مع ذاته. والذي ظاهره أنّه حادث خارج الجوهر وأنّه نشاط ضده، إنّما هو صنيعه الخاص، فهو يتضح أنّه بالجوهر ذات. ومتى يكون الجوهر قد أتمّ إظهار ذلك، فإنّ الرّوح يكون قد جعل من كيانه كُفءً ماهيته؛ فالرّوح إنّما يكون لنفسه بما هو كذلك موضوعاً، أمّا العنصر المجرّد الذي للحاليّة ولانفصال المعرفة والحقيقة فإنّما [29] قد وقعت مجاوزته. والكينونة إنّما قد تُوسّطت على الإطلاق، - إنّها المضمون الجوهرية الذي هو في - الحال مُلك الأنا، والهوّي<sup>(7)</sup>، أو هو المفهوم. وإنّه لهذا تُختّم فنومينولوجيا الرّوح.

(7) Selbstisch، على معنى الذي من شأن الهو.



أما ما يُعدّ له الرّوح في هذه الفينومينولوجيا فهو أسطقس المعرفة؛ ففيه أولاً تنبسط لحظات الرّوح على صورة البساطة التي تعلم موضوعها كأنه نفسها. ولحظات الرّوح لم تعد تتناثر في تقابل الكينونة والمعرفة، بل تظلّ على بساطة المعرفة؛ فإنّما هي الحقّ الذي في صورة الحقّ، وما تنوعها إلّا من تنوع المضمون. أما حركتها التي تترتب في ذلك الأسطقس إلى كلّ، فإنّما هي المنطق أو الفلسفة التأمليّة.

[في وجه سلبية فنومينولوجيا الرّوح أو كيف تحتوي الكذب]

لكنّ لما كان هذا النسق الذي لتجربة الرّوح لا يحصل إلّا إظهار الرّوح، فالسيرورة (Der Fortgang) التي تبتدئ من هذا النسق لتؤدّي إلى علم الحقّ الذي هو في شكل الحقّ، إنّما تبدو ببساطة كأنها سلبية، وللمرء أن يتّغى اتقاء السلبي كما الكذب، فيطالب بأن يُقاد للتوّ إلى الحقيقة؛ فلماذا الانشغال بالكذب؟ - إنّ ما كان أعلاه غرض القول، وهو القول إنّ كان ينبغي البدء مباشرة بالعلم، تكون الإجابة عليه في هذا الموضوع من وجه صفة التعاطي مع السلبي كأنه بالجملة كذب؛ فالتصورات التي في هذا الغرض إنّما تعطل بخاصة السبيل إلى الحقيقة. وفي هذا مناسبة للقول في المعرفة الرياضيّة التي ترى فيها المعرفة غير الفلسفيّة مثلاً على الفلسفة أن تنزع إلى تحصيله، وإنّ كانت إلى الآن قد نزعت إليه عبثاً.

الحقّ والكذب إنّما ينتميان إلى الأفكار المقيّدة التي تصلح من حيث ألا حركة لها كماهيات خاصّة تنأى الواحدة منها هناك والأخرى هنا، فتقوم معزولة وراسخة من دون شركة مع الأخرى. وعلى العكس من ذلك يجب التشديد على أنّ الحقيقة ليست عملة مسكوكة يمكن لمرء أن يسلمها جاهزة وكذلك يقتبضها. فليس ثمة كذب أكثر من أنّ ثمة شرّاً. ولا ريب أنّ الشرّ والكذب ليسا

30] قِيحِينَ مثلما الشيطان، وَإِنْ أُعْتَبِرَا مثل هذا وَجُعِلَ مِنْهُمَا أَغْرَاضاً  
مفردة، فهما ككذب وكشر ليسا إلا كَلِيَّاتٍ، لَكِنْ لِكُلِّ مِنْهُمَا أَيْسِيَّةٌ  
خاصةً تكون للواحد تجاه الآخر. - فالكذب، وليس القول الآن  
إلا فيه، كان يكون الآخر، أي سلبِيَّ الجوهر الذي يكون من جهة  
ما هو مضمون المعرفة الحق. ولكنَّ الجوهر ذاته إنما هو بالجوهر  
السلبِيَّ، وذلك من جهة كَانْفِرَاقٍ وتحديدٍ للمضمون، ومن جهة  
أخرى كَانْفِرَاقٍ بَسِيْطٍ، أي كهو ومعرفة بالجملة. وبحق ما يعرف  
المرء بكذب. وكونُ شيءٍ يُعْرَفُ من وجهٍ كاذبٍ إنما معناه أن  
المعرفة لا تعدل جوهرها؛ إلا أن هذا اللاتساوي إنما هو على  
التدقيق فعل الانفراق بالجملة الذي هو لحظةٌ جوهريةٌ؛ فتساوي  
المعرفة والجوهر إنما يتأتى حقاً عن ذلك الشقاق، وهذا الذي  
أستحال تساويًا إنما هو الحقيقة. ولكنه ليس الحقيقة كأنَّ  
اللاتساوي كان قد أُلْقِيَ مثلما يكون تخليصُ المعدن الخالص  
بإلقاء الخبيث، وأيضاً ليس كما تُبْقَى على الأداة خارج الوعاء  
المُنَجِّزِ، بل اللاتساوي إنما هو كالسلبِيَّ، كَالْهُو، وهو نفسه  
الحاضر بعدُ في - الحال في الحق بما هو كذلك. ومع ذلك فلا  
يمكن القول إنَّ الكذب لحظةٌ أو حتى إنه عنصرٌ من الحق. أمَّا في  
العبارة القائلة إنه ثمة في كلِّ كذب شيءٌ من الحق، فكلاهما  
يصلح كالزيت والماء اللذين لا يختلطان ولا يترابطان إلا من وجهٍ  
براني. وباعتبار دلالة الإشارة إلى لحظة الكون المغاير التام يجب  
الانتهاء عن استعمال عبارتهما حيث يُنْسَخُ كونهما المغاير. كذلك  
العبارة التي لوحدة الذات والموضوع، والمتناهي واللامتناهي،  
والكينونة والتفكير وما إليه، فإنَّ فيها فساداً، وهو أنَّ الموضوع  
والذات وما إليه، إنما تدلُّ على ما هو خارجٌ وحدتهما، وما  
تُقصد إليه الوحدة ليس هو إذاً ما في عبارتهما، فكذا الكذب لم  
يعد، بما هو كذب، لحظةً من الحقيقة.

ليست الوثوقية التي لنحو التفكير في المعرفة وفي دراسة

الفلسفة شيئاً آخر غير الرأي القائل إنَّ الحقَّ يقوم ضمنَ قضية هي حاصلٌ ثابت، أو إنَّه يُعرَف في - الحال. وما يجب في مثل الأسئلة: متى وُلد سيزار، كم قدماً يبلغ ملعبٌ وأي ملعب هو وما إليه، هو أن تُقدِّم إجابةً بيّنةً تماماً، مثلما أنَّه حقٌّ بلا ريب أن مثنى الضلع المقابل للزاوية القائمة في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع المربعين القائمين على الضلعين المتبقيين. [31] لكنَّ طبيعة الحقيقة التي من هذا الجنس مغايرةٌ لطبيعة الحقائق الفلسفية.

### [في الحقيقة التاريخية والرياضية]

فأما في ما يخصَّ الحقائق التاريخية وحتى نقول فيها بإيجاز من حيث أعتبار التاريخي الخالص الذي لها بخاصة، فيمكن التسليم بأنها تختصَّ بالكيان العيني وبمضمونٍ ما من ناحية عرضيته وأعتباطيته وبتعييناته التي لا تكون واجبةً. - ولكن حتى تلك الحقائق العارية نفسها كالتى قُدِّمت كمثال ليست براء من حركة الوعي - بالذات. ولكي يعرف المرءُ واحدةً منها يلزمُ الكثير من المقارنة والرجوع إلى الكتب أيضاً، أو كيفما كان الأمر، ينبغي تعقُّب البحث فيها؛ وكذلك الشأن عندما يجرى الأمر مجرى معايَنة<sup>(8)</sup> في - الحال، إذ وحدها الإحاطة بهذه المعايَنة في أرتباط بعللها ما يُعدُّ ذا قيمة حقيقيَّة، وإنَّ كان الحاصلُ العاري بخاصة هو الغرضُ الرئيسُ.

وأما في ما يخصَّ الحقائق الرياضية، فإنَّه من غير الخلق أن يُعتبر من أصحاب التعاليم مَنْ يحفظ عن ظهر قلب (Auswendig) قضايا إقليدس من دون براهينها، أي إنَّ رمنا عبارة

(8) Bei einer unmittelbaren Anschauung. لا يتعلَّق الأمر هاهنا بالحدس

رأساً، بل بمعنى المعايَنة والمشاهدة التي - في - الحال، ولعلَّ في ذلك إستذكراً تأثلياً لمعاني ἱστορία.

ذلك بحسب الضدّ، من دون أن يأخذ بباطنها (Inwendig). كذا المعرفة الحاصلة عن قيس الكثير من المثلاث القائمة الزوايا بأن لأصلها فيما بينها العلاقة المعروفة، إنّما تُعدُّ غيرَ شافية. وبحقّ ما تعدم بعدُ ماهية البرهنة (Die Wesentlichkeit des Beweises) في المعرفة الرياضية أيضاً دلالة وطبيعة أنّها لحظة من الحاصل نفسه، بل هي في الأكثر ما يفوت في الحاصل ويزول. ولا ريب أنّ المبرهنة من حيث هي حاصلٌ إنّما يُنظر فيها كأنّها حقّ. ولكن ذلك ظرفٌ زائدٌ لا يطال مضمونها، بل لا يمسُّ إلاّ العلاقة بالذات؛ فالحركة التي للبرهنة الرياضية لا تنتمي إلى ما هو الموضوع، وإنّما هي صنيعٌ برّانيٌّ خارجٌ عن الأمر. كذا طبيعة المثلث القائم الزاوية لا تتحلّل بنفسها بحسب ما يبين في بناء الشكل الذي هو واجبٌ في البرهنة على القضية التي تعبّر عن علاقته؛ فسارُ إنتاج الحاصل إنّما هو تمشُّ ووسيلة آليّة للمعرفة. - كذلك في المعرفة الفلسفيّة تكون صيرورة الكيان ككيان مغايرةً لصيرورة الماهية أو للطبيعة الباطنة<sup>12</sup> التي للأمر. ولكن المعرفة الفلسفيّة تشتمل - من ناحية أولى - على كليهما، في حين أنّ المعرفة الرياضية - على العكس من ذلك - لا تعرض في المعرفة بما هي كذلك إلاّ صيرورة الكيان، أعني الصيرورة التي لكيونة طبيعة الأمر. والمعرفة الفلسفيّة من ناحية أخرى إنّما تجمع أيضاً بين هاتيك الحركتين الجزئيتين. فالنجم الباطن، أو صيرورة الجوهر، إنّما هو بلا انفصال المرور في البرّاني أو في الكيان، في الكينونة لأجل آخر؛ وبالعكس تمثل صيرورة الكيان الإرتجاع الذاتي (Das sich Zurücknehmen) في الماهية. كذا تكون الحركة المسرى المزدوج وصيرورة الكلّ حتّى إنّ كلّ واحدٍ إنّما يضع في ذات الوقت الآخر، ولهذه العلة ينطوي في حدّ ذاته على كلا الطرفين من جهة ما هما زاويتا نظر؛ فكلاهما مجتمعان ما يقيم الكلّ من حيث إنّهما يتحلّلان من نفسيهما، فيغدوان لحظتين من لحظاته.

إنَّ التعلُّلَ في المعرفة الرياضيّة إنّما يكون بالنسبة إلى الغرض صنيعاً برّانيّاً؛ ويجب عن ذلك أنّ الغرضَ الحقَّ إنّما يكون في ذلك قد تبدّل. لذلك فالوسيلةُ والبناءُ والبرهانُ تتضمّن حقّاً قضايا صادقة، لكن يجب مع ذلك كُفُوُ القولِ إنّ المضمون كاذبٌ؛ فالمثلث في المثال الذي سقناه أعلاه سيفككُ، وأجزاؤه تُسَقَطُ على أشكالٍ أخرى يبعثها فيه البناء. وليس يعادُ تقويم المثلث إلا في المنتهى، فالذي يمثّل رأس الغرض إنّما يكون قد غاب أثناء المسار عن الأنظار، فلا يُصادفُ إلا في الأقساط التي تنتمي إلى مجاميع مغايرة. - وهاهنا نرى إذاً سالبية المضمون ماثلة، وهي التي لعلها كان يكون من الواجب تسميتها كذب عين المضمون، مثلما قد تجب هذه التسمية في زوال الأفكار المترسّخة بالرأي داخل حركة المفهوم.

أما الفسادُ الذي تنفرُ به تلك المعرفة فإنّما يخصّ المعرفة نفسها كما مادّتها بالجملة. - وأما في ما يتعلّق بالمعرفة، فالمرء لا يرى أولاً ضرورةَ البناء؛ فهي لا تصدرُ عن مفهوم المبرهنة، بل تكون مفروضةً قهراً، وعلى المرء أن يتّبع صاغراً هذا الحدّ في سطر هذه الخطوط عينها التي يمكن أن يسطر منها ما لا نهاية فيه من خطوط أخرى، من دون أن يكون مع ذلك على علم بشيء غير بعض الاعتقاد الحسن أنّ ذلك سيكون مطابقاً لسياق البرهنة. وإنه لمن بعد كلّ شيء تبيّن هذه المطابقة للغاية، فهي ليست إلا برّانيةً، ما دامت لا تبيّن إلا من بعد، فجأةً خلال البرهنة. - [33] كذلك تتّبع هذه البرهنة سبيلاً يبدأ من أيّ نقطة اتّفقت، من دون أن يعلم المرء بعدُ وفق أيّ علاقة بالحاصل الذي يجب أن ينتج عنها. ومسرى البرهنة إنّما يحتمل هذه التقييدات والعلاقات بعينها، فيُهملُ ما عداها، من غير أن يرى المرء في - الحال حسب أيّ ضرورة يكون ذلك، إنّ هي إلا غايةً برّانيةً تحكم هذه الحركة.

إنّ بداهة هذه المعرفة المتهاففة التي تعتزّ بها الرياضيات وتباهى بها أيضاً ضدّ الفلسفة إنّما ترجع إلى حُسران غايتها وفساد

مادتها؛ وعليه فإنما هي من جنس لا بد للفلسفة أن تتلقت عنه. -  
فغاية الرياضيات، أو مفهومها إنما هو العِظْمُ. وهذا إنما يمثل  
مباشرةً الرابطة غير الجوهرية والعريّة من المفهوم. ولذلك، فحركة  
المعرفة إنما تحدث على السطح، فلا تطال رأس الأمر ولا  
الماهية أو المفهوم، ولهذه العلة ليست تلك الحركة من جنس  
الفهم المفهومي. - أما المادة التي تحتق (Gewährt) في صدها  
الرياضيات الكثر السعيد من الحقائق فهي المكان والواحد. فأما  
المكان فهو الكيان الذي يخط فيه المفهوم فروقه كأن في أسطقس  
خاو وميت، وأين تكون هذه الفروق غير متحركة وغير حية؛  
فالحاق ليس شأنًا مكانيًا كما يُعتَبَرُ في الرياضيات، فلا الفلسفة  
ولا الحدس الحسيّ يستبان مع هذا الجنس من اللاحقيق كما هي  
حال الأشياء التي للرياضيات. ولا وجود أيضاً في هذا العنصر  
غير الحاقٍ إلا للحق غير الحاق، أي إلا للقضايا الراسخة  
والميتة؛ ويمكن الوقوف على كل واحدة منها والاكتفاء بها؛  
فالقضية التابعة تبدأ لذاتها من جديد، من دون أن تتحرك القضية  
الأولى قُدماً ومن نفسها إلى الأخرى، ومن دون أن ينجم على  
هذا النحو تناسقٌ ضروريٌّ بمعية طبيعة ذات الأمر. - والمعرفة إنما  
تتقدم أيضاً من جراء ذلك المبدئ والعنصر على خط التساوي،  
وذلك هو مردّ الوجه الصوري الذي للبداهة الرياضية. وما مات  
من حيث إنه لا يتحرك بنفسه، لا يؤول إلى فروق الماهية،  
ولا إلى التضاد الماهوي أو اللاتساوي، وعليه لا ينتهي إلى  
مجاوزه المتضاد في المتضاد، ولا إلى التحرك الذاتي الكيفي  
والمحايث. ذلك أنّ العِظْمَ، أي الاختلاف غير الجوهرية، هو  
وحده ما تنظر فيه الرياضيات. أما كون المفهوم ما يفصم المكان [34]  
إلى أبعاده ويقيد روابط عين الأبعاد وما بينها، فذلك ما تتجرد منه  
الرياضيات؛ فهي لا تعتبر على سبيل المثال صلة الخط  
بالمستوي، وحيث تقارن قطر الدائرة بالمحيط، فإنها تصطدم

بلاقياسية عين هذا الأخير، أي بصلة مفهوم وبلامتناه يخرج على  
تقيدها.

أما الرياضيات المحايثة والتي تُسمى محضاً فلا تضع الزمان  
من حيث هو الزمان قبالة المكان كمادة ثانية لاعتبارها. ولا ريب  
أن الرياضيات التطبيقية تشتغل بالزمان كما بالحركة وبأشياء أخرى  
حاقّة، لكنّها تلتقط القضايا التأليفية، أعني قضايا علاقاتها التي  
تكون مقيدة بحسب مفهومها، من التجربة، فلا تطبق على هذه  
المفترّضات إلا الصيغ الخاصة بها<sup>(9)</sup>. والأخذ بالبراهين الشائعة  
على مثل تلك القضايا التي كثيراً ما تأتيها الرياضيات التطبيقية،  
كالتى في توازن الرافعة وفي علاقة المكان بالزمان في حركة  
السقوط إلخ...، مأخذ البراهين، وتقديمها على أنها براهين،  
فذلك نفسه ليس إلا برهاناً على شدة الحاجة إلى البرهنة بالنسبة  
إلى المعرفة، لأنه حيث يرتفع البرهان عن المعرفة، تتلقت هذه  
إلى ظاهر من البرهنة، فتحصل بواسطته كفايتها. وقد يكون نقد  
هذه البراهين ذا بال بقدر ما يكون مفيداً من ناحية لتخليص  
الرياضيات من ذلك الروثق الفاسد، ومن ناحية أخرى لتبيين  
حدّها، ومن ثمة تبين وجوب معرفة أخرى. - أما في ما يخص  
الزمان الذي قد يُظنُّ به وهو يقابل المكان أنه يمثل مادة القسم  
الأخر للرياضيات المحض، فإنّما هو المفهوم الكائن نفسه. ولا  
حيلة لمبدأ العظم، أي الفرق العاري من المفهوم ومبدأ التساوي،  
أي الوحدة المجردة وغير الحية، في ذلك التحير الخالص  
الذي للحياة والانفراق المطلق. ولذلك لا تصير هذه السالبة إلا  
مشلولة، أعني كالواحد، إلى المادة الثانية لهذه المعرفة التي  
تختفض من حيث هي صنيغ براني، بالمتحرك بنفسه إلى المادة،  
ليكون لها فيه مضمون سياني وبراني وغير حي.

(9) الخاصة بهذه الرياضيات التطبيقية.

[في طبيعة الحقيقة الفلسفية والطريقة التي لها]

أما الفلسفة فلا تعتدّ بالثقيد اللّاهوريّ، بل تتفحصُ الثقيدَ ما دام جوهرياً؛ فليس المجرّدُ أو اللاحاقُ أسطقسها [35] ومضمونها، بل هو الحاق، والواضع لذاته بذاته، والحيّ في ذاته، والكيانُ في مفهومه. والسيرورةُ هي التي تخرُجُ بنفسها لحظاتها وتجتأبها، وسارُ هذه الحركة إنّما هو قوامُ الموجب وحقيقته. وهذه الحقيقة إنّما تتضمّن في ذاتها كذلك السالبيّ، وهذا الذي كان يكون سُمّي الكذب، إنّ جاز أعتباره كالذي يجب التجرّدُ منه. فالمتزائل (Das Verschwindende) إنّما هو نفسه ما ينبغي بالأحرى أعتباره جوهرياً، لا في تقييد راسخ يُترك في أنقطاع عن الحقّ وخارجاً عنه لسنا ندرى في أيّ موضع هو، مثلما لا ينبغي أعتبارُ الحقّ كالموجب الميّت الذي يسكن إلى الجهة المقابلة. والظهورُ إنّما هو الكونُ والفسادُ الذي هو نفسه لا يكون ولا يفسدُ، بل إنّما يكون في ذاته، إنّ هو قوامُ التحقيق وحركة الحياة التي للحقيقة. كذا يكون الحقُّ السُّكرَ الباخوسيّ الذي لا يذرُ أيّما طرف فيه، فلمّا كان كلُّ طرفٍ من جهة أنّه يقصو بنفسه، ينفثُ أيضاً في - الحال، يكون ذلك السُّكرَ الباخوسيّ أيضاً السكونَ الشفيفَ والبسيط. وبحقّ ما لا تستتبُّ في حكم هذه الحركة الأشكال الفاردة التي للروح كما الأفكار المتعيّنة فلا تدوم، لكنّها لحظات واجبةٌ وموجبةٌ بقدر ما هي سالبةٌ ومتزيلةٌ. - والطرف الذي يتباينُ ضمن تلك الحركة فيأتي كياناً جزئياً إنّما يُحفظُ - في الكلّ الذي لعين الحركة إذا ما أدركناه من جهة ما هو سكونٌ - كأنه الذي يذكّرُ نفسه، فذلك الطرفُ هو ما كيانُه العلمُ بالذات، مثلما أنّ هذا العلم هو كذلك في - الحال كياناً.

وقد يبدو أنّه من الواجب أن نبيّن على سبيل الابتداء الطريقة التي لهذه الحركة أو الطريقة التي للعلم. لكنّ مفهومها إنّما يكمنُ بالفعل في ما قد قيل، أمّا بيانها الخاصُّ فإنّما هو من غرض



المنطق، أو هو بالأحرى المنطق برأسه. والطريقة ليست إلا بُيانَ الكُلِّ إذ يتقوّم في أيسّيته الخالصة. أمّا في ما شاع إلى الآن في ما يتعلّق بهذا الأمر فواجبٌ أن يكون ممّا على بال أن نسق التصورات الذي في الطريقة الفلسفيّة إنّما ينتمي إلى ثقافة قد أنصرفت. - وإذا كان في هذا القول ممّا قد يُسمع على أنّه بدعةٌ أو ثوريٌّ، وهو سماعٌ نحنُ في جِلِّ منه، فليكنْ في الحساب أن النظام العلميّ الذي أورثتنا إياه الرياضيات - في التفسيرات [36] والتقسيمات والأوليات وسلاسل المُبرهنات وبراهينها والمبادئ والاستنباط والاستنتاج انطلاقاً منها - قد بات على الأقلّ في نظر الرأي نفسه نظاماً هَرِمًا. وحتى إن لم يلخ للمرء من وجهٍ جليّ عدمٌ وُفق نظام الرياضيات، فإنّه لم يعدّ يُستعمل كثيراً، أو هو قليلٌ استعماله، وإن لم يُستفَبَحْ بعدُ في ذاته، فإنّه مع ذلك غير محبذ. ولا بدّ أن نظرنَ خيراً في كلِّ ما هو رفيعٌ من حيث يرُسَخُ أَسْتعماله ويُسمي مستحباً. ولكن ليس من العسير أن يرى المرءُ أنّ النحو الذي في وضع قضيةٍ ما وتقديم الحجج عليها، وكذلك في نقض المقابلة بحجج، ليس هو الصورة التي للحقيقة أن تهلّ ضمنها؛ فالحقيقة إنّما هي حركةٌ ذاتها في حدّ ذاتها، أمّا تلك الطريقة فهي المعرفة التي تظلّ برائيّةً وغريبةً عن المادّة. ولهذا كانت تلك الطريقة الطريقة التي تختصُّ بها الرياضيات التي تتخذ، كما أشرنا إلى ذلك، من العلاقة العريّة من المفهوم التي هي للعِظم مبدأً، ومن المكان الميّت كما الواحد الذي هو كذلك ميّت مادّةً، وهذه إنّما يجب أن تُتركُ وشأنها للرياضيات. وقد تشاء تلك الطريقة أن تلبثَ على نحوٍ أشدّ سيوياً، أعني ذلك النحو المختلط أكثر بالاعتباط والعارضية في الحياة المشتركة أو في محادثة أو إشارة تاريخية التي غرضها الاطلاع أكثر منه المعرفة، كمثّل الاستهلال على سبيل التقريب؛ فالوعي تكون له في الحياة المشتركة معلوماً وتجارُبٌ وتعيّناتٌ حسيّةٌ، وله كذلك أفكارٌ

ومبادئ هي مضمونه، وبالجملة فإنّ له شيئاً ما يجري مجرى المائل بين يديه أو كونه أو ماهية راسخين وساكنين. تارةً يجب الوعي كلّ ذلك، وطوراً يقطعُ عنه التناسق فيتعاطى مثل ذلك المضمون من وجه الاعتباط السائب، فيسلك فيه كفعل تعيين وإيالة برآئيين. ثم يرجع به إلى أيّما شيء يكون يقيناً، وإن كان انطباعاً آن، فيأتي الاقتناعُ كفايته متى ينتهي إلى نكتة راسخة معروفة لديه.

لكن إذا كانت ضرورة المفهوم تتلقت عن التمشي الأسبب الذي للمحادثة المُماحكة كما تنصرف عن التمشي الأكثر تصلباً الذي للأبهة العلمية، فإنّا قد ذكرنا آنفاً بأنّه لا مجال لاستبدال تلك الضرورة باللاطريقة التي للضعينة والحماسة، ولا بالإعتباط الذي للقول التنبئيّ، فهو قولٌ لا يحتقر هذه العلميّة وحسب، بل 71 يزدري العلميّة بعامة.

### [في معارضة الصورانيّة الرّاسمة]

إنّه لمن غير الخلق كذلك من بعد أن كانت الثلاثيّة الكانطيّة - وهي التي عُثر عليها بعدُ بالغريزة وحسب، وما زالت ميّنة وعريّة من المفهوم - رُفعت إلى دلالتها المطلقة، فكانت بذلك في الآن نفسه الصورة الصادقة قامت ضمن مضمونها الصادق وكان مفهوم العلم قد نجم، أن يُحسب مثلُ هذا الاستعمال لهذه الصورة من قبيل العلميّ، فهو استعمالٌ يراها المرء فيه قد خُفضت إلى خُطاطة عريّة من الحياة وإلى شبح بالفعل، ويرى التنظيم العلميّ فيه قد خُفض إلى لوح. - إن تلك الصورانيّة التي أتينا القول فيها أعلاه بالجملة، ونبغي في هذا الموضوع الإشارة بأكثر دقة إلى نهجها، إنّما تظنُّ أنّها فهمت طبيعةً وحياءً شكل ما، وأتت عبارته، متى تكون قالت فيه تقييداً من الخطاطة كمحمول، سواء كان الذاتيّة أو الموضوعيّة، أو أيضاً المغناطيسيّة أو الكهربائيّة، أو قدماً

الانكماش أو الامتداد، الشرق أو الغرب وما شابه ذلك ممّا يمكن مضاعفته إلى ما لا نهاية فيه، لأنّ كلّ تقييد أو شكل وفق هذه الطريقة قد يُستعمل من جديد كصورة أو لحظة من الخطاطة عند الآخرين، ويؤدّي الخدمة نفسها مشكوراً للآخرين، - دورٌ من المبادلة لا يخبر (Erfährt) المرء فيه ما هو رأس الأمر، فلا يدرك لا هذا ولا ذلك. وفي ذلك إنّما تُتزعّج - من ناحية - تعييناتٍ حسيةً من الحدس المشترك، وهي تعيينات ينبغي طبعاً أن تعني غير ما تقول؛ ومن ناحية أخرى يُستعمل ما هو دالٌّ في ذاته، أي تعيينات الفكر الخالصة كمثّل الذات والموضوع والجوهر والعلّة وما إليه، مباشرةً بقدر من الآليّة وأنعدام النقد كما في الحياة المشتركة، مثلما تُستعمل الشدّة والضعف والامتداد والانكماش، حتّى إنّ هذا الجنس من الميتافيزيقا يكون غير علميٍّ بقدر ما تكوّن تلك التمثّلات الحسية.

إنّ مثل هذه التعيينيّة البسيطة القائمة على الحدس، أعني في هذا الموضوع، على المعرفة الحسية، إنّما تُقالُ مذاك وفق تناسبٍ سطحيٍّ، عوض أن تُقال وفق الحياة الجوانية والتحرّك الذاتي اللذين لكيانها، وهذا التطبيق البرانيّ والفارغ للصيغة إنّما يسمّى [38] تشييداً. - والحال مع هذه الصورانية هي هي في كلّ صورانية. وكم يجب أن تكون كليلّة الرأس التي لا تستطيع أن تُلقن في ربع ساعة النظرية القائلة بوجود أمراض الوهن العصبيّ والحيوية المفرطة والضعف اللامباشر وخطط علاج بالقدر نفسه، والتي لا تستطيع أن تتحوّل في هذا الوقت القصير، ما دام مثل هذا التلقين كان يكفي إلى وقت غير بعيد، من روتيني إلى طبيب منظر. وإذا كانت الصورانية التي لفلسفة الطبيعة تلقن كيفما اتفق أنّ الذهن كهرباء، أو أنّ الحيوان أزوط، أو أنّه كذلك مساوٍ للجنوب أو للشمال وما إليه، أو تقدّمه عارياً بقدر ما هي عبارته هنا، أو أيضاً تعتجّنه بمزيد من المصطلحات، فإنّه من الممكن إزاء مثل

تلك القوّة التي تدرك مجمّعا ما يبدو كثيرَ الشتات، وإزاء العنف الذي يتكبّده الحسيّ الساكنُ في هذه الرابطة ويعطيه ظاهر مفهوم، والحال أنه يتحقّق في قول الأساسيّ أي المفهوم ذاته أو دلالة التمثّل الحسيّ، - من الممكن للأخبرة في هذا الشأن أن تندهش منبهرةً، وأن تخرّ أمام هذه العبقريّة العميقة، فتنثشي بالمرح الرصين الذي لمثل تلك التعيينات التي تستبدلُ المفهوم المجردَ بالمحدوس، وتجعله أكثر بهجّةً، فتهنأ للأخبرة بالقرابة الروحيّة التي تشعر بها إزاء هذا الفعل الرياسيّ. إنّ حيلة مثل هذه الحكمة تُتعلّم ما إنّ يتيسّر تنفيذها، ويكون تكريرها - أيان تُعرّف - غير محتملٍ كمثّل تكرير خدعةٍ ساحرٍ كُشف سرّها. وليس التمكّن من الآلة التي لهذه الصوريّة الرتيبة أعسرَ من التمكّن من مَلوَنَةِ الرسّام حيث يوجد لوانان وحسب، هبّ الأحمر والأخضر، فُيستعمل ذلك في تلوين مساحة إذا ما طُلب منه رسمُ فصلٍ تاريخيّ، وهذا إذا ما كان المطلوب مشهداً. - وإنّه لمن العسير الفصل هاهنا في أيّهما يكون أعظم شأنًا، أن تقرّ العينُ بهذا الخليط من الرسم الذي قد يصبُغُ كلّ ما في السماء وما على الأرض وتحت الأرض، أم أنّ يتعلّق الخيال بنعمة هذه الوسيلة الكونيّة؛ إذ كلّ من هذين الأمرين يعضد الآخر. وما تنتجّه هذه الطريقة التي قوامها أن تُلصق بكلّ ما هو سماويّ وأرضيّ وعلى كلّ الأشكال الطبيعيّة والروحيّة زوجَ التعيينات التي للخطاطة العامّة، فتتصدّ من هذا الوجه كلّ شيء، إنّما هو ليس أقلّ من [39] رباط نورانيّ<sup>(10)</sup> غرضه جهاز الكون، أعني لوحاً يشبه هيكلًا عظيمًا تناثرت عليه جذاذات لاصقة، أو يشبه صفوفًا من العُلب

(10) تلويعٌ بعنوان كتاب لفيشته: Johann Gottlieb Fichte, *Sonnenklarer*

*Bericht an das Größere Publikum über das Eigentliche Wesen der neuesten Philosophie. Ein Versuch, die Leser zum Verstehen zu zwingen* (Berlin: [In der Realschulbuchlandlung], 1801).

المغلقة ببطاقتها المتضاربة في دكان عقاقيري، وهو لوح واضح كما وضوح ذلك وهذه، فكما يكون اللحم والدم في ذلك الهيكل قد أرتفع عن العظام، والشيء<sup>(11)</sup> - الذي لا يزيد حياة - قد حُبئ في العلب، كذلك اللوح ترتفع عنه الماهية الحية، أو تكون مخبأة فيه. - أما كون هذا التهج ينتهي في الوقت نفسه إلى رسم ترتيب اللون على الإطلاق من حيث إنه يغمس اختلافات الخطاطة، وقد أصابه منها الخجل، في فراغ المطلق كأنها اختلافات عالقة بالتفكير حتى يستعيد التطابق الخالص، الأبيض العاري من الصورة، فذلك كله ما قد أشرنا إليه أعلاه. إن تلك الرتبة التي للخطاطة ولتقيدياتها العرية من الحياة وهذه المطابقة المطلقة والمرور من الواحدة إلى الأخرى تلك وهذه إنما هما عين الذهن الميت، وعين المعرفة البرانية.

أما عظام الأمور (Das Vortreffliche) فلا يسعها فقط ألا تخرج على قضاء أستهايتها بهذا الشكل عديمة الحياة والروح فيرى جلدها، وقد سلخت بعد، لباساً لمناكب المعرفة العرية من الحياة وللتفاهة التي تسكنها. بل ما ينبغي في الأكثر أن يُعترف في ذلك القضاء نفسه إنما هو العنف الذي تستوسله عظام الأمور في السطوة على القلوب، إن لم تكن سطوة على الألباب، كما يُعترف كذلك التكوين الذي ينزع إلى الكلية وتعيين الصورة حيث يكون تمامه، وهذا وحده ما يجعل ممكناً استعمال الكلية لأجل السطحية.

إنما العلم ألا ينتظم إلا عبر الحياة الخاصة التي للمفهوم؛ والتعيين التي تُلصق في العلم من وجه براني بالكيان انطلاقاً من الخطاطة إنما هي النفس المتحركة بنفسها التي للمضمون التام. وحركة الكائن إنما هي من ناحية أن يتصير إلى نفسه آخر، وكذا

(11) Die Sache، على معنى الأمر المطلوب.

يصيرُ إلى مضمونٍ محايتٍ؛ ومن ناحيةٍ أخرى أن يستردَّ في نفسه هذا الانبساط، أو هذا الكيانَ الذي هو كيانُه، أي أن يجعل من نفسه لحظةً، ثم يتبسَّط (Sich vereinfacht) في التعيينية. والسالبيَّة في هذه الحركة إنما هي الانفراقُ والوضعُ اللذان للكيان، وهي في هذه الأوبة إلى ذاتها إنما هي صيرورةُ البساطة المتعينة. كذا يُبينُ المضمونُ تعيُّنته لا من حيث هي مستفادَةٌ ومُستعارَةٌ، بل من حيث 01 يهبُّها لنفسه بنفسه، فيتحيَّزُ بنفسه في لحظة بعينها وموضع بعينه من الكلِّ. أمَّا الذهن اللُّوحيُّ (Der tabellarische Verstand) فيستأثرُ لنفسه بضرورة المضمون ومفهومه، أي ما يقومُ به العينيُّ والحقيُّ والحركةُ الحيَّة للغرض، فينضِّدها، أو هو في الأكثر لا يستأثرُ لنفسه بهذا، بل لا يعرفه؛ فلو كان يمتلك هذا التعقُّلَ لأظهره بالفعل. إنَّه لا يعلم حتَّى الحاجة إلى هذا التعقُّل، وإلا لترك حُطاطيَّته (Sein Schematisieren)؛ أو على الأقلِّ لم يعلم بواسطتها أكثر مما يعطيه إياه الفهرست؛ فهو لا يعطي إلا الفهرست، أمَّا المضمون نفسه فلا يقدِّمه. - ومتى تكون التعيينية أيضاً تعيُّنية متجسِّدة أو حاقة في ذاتها، كما هي المغناطيسيَّة على سبيل المثال، فإنها مع ذلك تُخفِّضُ إلى ما هو ميَّت، ما دامت إلا محمولةً على كيان مغاير، وليست تُعلِّمُ كحياة محاثة لهذا الكيان، أو لا تُعلِّمُ من حيث إنَّ لها فيه انبثاقها المخصوصَ والمتوطنَ (Einheimische) وبيانها. أمَّا الإيفاء برأس الأمر هذا، فذلك شأنٌ يتركه الذهن الصوريُّ للآخرين. - فبدل أن ينفذَ الذهنُ في المضمون المحايت الذي للأمر، تراه ينظرُ دوماً من علِّ إلى الكلِّ، فيتنصَّب فوق الكيان الفارد الذي يتكلَّم عنه، أي إنَّه في واقع الأمر لا يرى منه شيئاً. ولكنَّ المعرفة العلميَّة تقتضي بالأحرى أن تفيء إلى حياة الموضوع أو، وذاك الشيء نفسه، أن تنازل ضرورته الجوانبيَّة، فتقومَ لعبارتها؛ فإذا غاصت هذه المعرفة بهذا النحو في موضوعها نسيت ذلك النظرَ من علِّ، إنَّ هو إلا

التفكر في الذات الذي للمعرفة انطلاقاً من المضمون. ولكنها إذ تبخر في المادة وترسل في حركتها إنما تؤوب إلى ذاتها، لكن ليس قبل أن يرتد الملاء أو المضمون إلى نفسه، فيتبسط تعيّن، ويختفض إلى جهة واحدة من الكيان، ثم يمر في حقيقته الأرفع. وبذلك ينبثق الكل البسيط نفسه الناظر بنفسه من علي، فينتجم من الثراء أين كان تفكره ظهر على أنه قد ضلّ.

ما دام الجوهر، كما كانت عبارته أعلاه، في حد ذاته ذاتاً، فكل مضمون إنما هو تفكره الخاص في ذاته. فالقوام<sup>(12)</sup> أو الجوهر الذي لكيان ما إنما هو تساويه الذاتي مع ذاته (Die Sichselbstgleichheit) [41]، ذلك أن لاتساويه مع ذاته كان يكون انحلاله. أما التساوي الذاتي مع الذات فهو التجريد المحض، لكن هذا التجريد إنما هو التفكير. فلما أقول الكيف فإنما أقول تعيّن بسيطة، وعبر الكيف يكون كياناً مختلفاً عن آخر، أو هو كياناً ما؛ فهو لذاته وحدها، أو هو إنما يتداوم وذاته عبر هذه البساطة. ولكنه في ذلك إنما هو الفكر بالجوهر. - في ذلك إنما تفهم الكينونة أنها تفكير؛ وفي هذا الموضع يحلّ التعقل الذي يتعنى في التلقّ عن القول الشائع والعماري من المفهوم الذي في تطابق التفكير والكينونة. - أما من حيث إن قوام الكيان التساوي الذاتي مع الذات أو التجريد المحض، فذلك القوام إنما هو تجريد الذات من ذاتها، أو هو نفسه لاتساويه مع ذاته وتحلله، - باطنه الخاص وأزدياده في ذاته -، والاستحالة التي له. - ومن خلال هذه الطبيعة التي للكائن، وما دام الكائن في نظر المعرفة يمتلك تلك الطبيعة، فليست هذه المعرفة بنشاط يسوس المضمون كآته غريب، ولا هي بالتفكر في الذات انطلاقاً من المضمون وخروجاً عليه؛ فالعلم ليس هذه المثالية التي أحتلت موقع الوثوقية

(12) Das Bestehen، الديمة على معنى القوام.

الإقرارية في شكل وثوقية التوكيد أو وثوقية الإيقان من الذات، - بل نشاط العلم، من حيث إنّ المعرفة ترى المضمون إذ يؤوب إلى باطنه الخاص، إنّما هو مستغرق وغائر في ذلك المضمون، - لأن ذلك النشاط إنّما هو ألهو المحايث الذي للمضمون -، بقدر ما يؤوب في عين الآن إلى نفسه، لأته التساوي مع الذات الخالص في الكون المغاير؛ كذا يكون نشاط العلم الحيلة التي ظاهرها الانتهاء عن النشاط، والحال أنّها تتمعن كيف أنّ التعينية وحياتها العينية، - من حيث إنّ هذه الحياة، على التدقيق، تخال أنّها تنزع إلى الإبقاء على نفسها كما على شاغلها الخاص، - تكونان عكس ذلك، أعني الفعل المتحلل بنفسه والذي يجعل من نفسه لحظة للكل.

إذا كانت الدلالة التي للذهن قد قُدمت أعلاه من وجه الوعي - بالذات الذي للجوهر، فإنّ الحاصل عمّا قيل للتوّ تتضح دلالته من وجه التعيين الذي لعين الجوهر من جهة ما هو جوهر كائن. - فالكيان إنّما هو كيف، تعينية تعدل نفسها، أو بساطة متعينة، فكرة متعينة؛ فذاك هو ذهن الكيان. وبذلك فهو نوس [Nóus] الذي على نحوه كان أناغساغورس عرف في الأول الماهية. أما الذين جاؤوا من بعده فقد فهموا طبيعة الكيان بأكثر تعيين من جهة ما هو إندوس [Eídos] أو إيليا [Idēa]، أي كلية [42] متعينة، ونوع. والظاهر من عبارة «نوع» أنّها مشتركة شديداً وأحسر دلالة بالنسبة إلى الأفكار والجميل والمقدس والأزلي التي ذاع صيتها أيامنا هذه. ولكنّ الفكرة لا تقول في واقع الأمر لا أقل ولا أكثر من النوع؛ إلاّ أنّه كثيراً ما نرى اليوم عبارة تعني مفهوماً بعينه تُحتقر لتفضّلها عبارة أخرى، حتّى وإن لم يك ذلك إلاّ لأنّها من لغة أعجمية، فتغطي المفهوم بضباية وتسمع على أنّها أكثر تأسيسية. - إنّ الكيان من حيث هو متعین على التدقيق كنوع إنّما هو فكرة بسيطة؛ والنوس، البساطة، إنّما هو الجوهر. والجوهر



بفضل بساطته، أو تساويه مع ذاته، إنّما يظْهر كثابتٍ ودائم. ولكنّ هذا التساوي مع الذات إنّما هو كذلك ساليبةً، ومثلُ هذا الكيان الثابت إنّما يمضي بذلك في انحلاله. والتعينية تظهر في أول الأمر على أنّها لا تكون إلا من حيث إنّها تتصل بآخر، وإنّ حركتها مفعولةٌ فيها بمعينة عنفٍ برّانيّ؛ أما أنّها تنطوي في حدّ ذاتها على كونها المغاير نفسه، فتكون تحرّكاً ذاتياً، فذلك على التدقيق ما هو متضمّنٌ في هذه البساطة التي للتفكير ذاته؛ فهذه البساطة إنّما هي الفكرُ المحرّكُ لنفسه بنفسه والمتباين بنفسه، وهي الجوانبيةُ الخاصّةُ، والمفهوم المحض. كذا تكون الذاهنيةُ إذا صيرورةً، وتكون من حيث هي هذه الصيرورة المعقوليّة.

إنّ الضرورة المنطقية تقوم بالجملة على تلك الطبيعة التي لما يكون، أعني كونه في كينونته مفهومه؛ وهذه الضرورة هي وحدها العقليّ والوتيرة التي للكلّ العضوي، وهي على التدقيق العلمُ بالمضمون بقدر ما يكون المضمون المفهوم والماهية، - أو إنّما هي وحدها التأملية<sup>(13)</sup>. - أما الشكل العينيّ والمتحرّك بنفسه فيجعل من نفسه تعينية بسيطةً، وبذلك إنّما يرتفع إلى الصورة المنطقية فيكون في أيسرته؛ وليس كيانه العينيّ إلا هذه الحركة، وهو في - الحال كيانٌ منطقيّ. وعليه فليس من اللازم أن يُكره المضمون العينيّ من الخارج على الصورانية؛ فذلك المضمون إنّما هو في حدّ ذاته تماراً في هذه الصورانية، لكنّ هذه تكفّت عندئذٍ

(13) ذلك هو اسمُ الفلسفة، بل أسطقسها على الإطلاق؛ فالتأملية إنّما هو صنوُ الفلسفيّ (Das Philosophische) أو كفوهُ المنطقيّ. وليس التأملية شأن مشاهدة أو تملّ، ولا شأن حدسٍ أو خاطر، وإنّما هو على التدقيق جنس النظر الذي يفهم مفهوماً وفق حركات التعيين الذاتي التي للمفهوم نفسه. فلذلك التأملية من شأن الصورة المنطقية التي تختصّ بها الفلسفة والتي تعدلّ فيها الصورة الماهية والمضمون، فلا تكون إلاّ ألهو بما هو صيرورة المضمون نفسه ووتيرة تقيده من تلقاء اختلافه وتضاده.

عن كونها صورانيةً برآنيةً، لأن الصورة إنما هي الصيرورة المتوطنة التي للمضمون العيني.

[43] أما هذه الطبيعة التي للطريقة العلمية من حيث كونها من ناحية ليست منقطعة عن المضمون، وأنها من ناحية أخرى تُحدّد وتيرتها بمعية نفسها، فإنما يتمّ بيانها الخاصّ - كما ذكرنا به آنفاً - ضمن الفلسفة التأملية. - ولا ريب أنّ ما قيل في هذا الموضوع هو عبارة المفهوم، لكنّه لا يمكن أن يجري أكثر من مجرى تأكيدٍ مُستفدَم. وحقيقته لا تستقيم في هذا العرض الذي هو في جزء منه سرديّ، ولذلك لا يتيسّر أيضاً دحضها متى يقرّ أحدهم جازماً - على العكس من ذلك - أن الأمر غير ذلك، بل يجرى على هذا النحو أو ذاك، ومتى يذكر بتصوّرات مألوفة فيعدها على أنها حقائق ناجزة وشائعة، أو يُولمّ لنا جديداً ويوصينا بجدة قد خرجت للتوّ من خزائن الحدس الإلهيّ الباطن. - ولقد جرت العادة بأن يكون هذا الجنس من التلقّي ما تلجأ إليه في أوّل ردّ المعرفة التي تجهل أمراً ما، فتردّ بأنها ضدّ ذلك، حتّى تنجو بالحرية والإدراك الخاصّ والنفوذ الخاصّ ضدّ الغريب، ذلك أنّه في هذا الشكل يتبدّى ما يُستفاد لأول مرّة، - وحتّى تصرف عنها أيضاً ظاهر وضرب الحجاجة التي تكمن في الإلمام بشيء ما، مثلما أنّ الردّ المماثل في التلقّي الذي يهملّ للامعروف يكمن في ما كان مثل، في دائرة أخرى، القول والفعل المفترطين في الثورية.

[في اقتضاء الإشتغال بالفلسفة]

لهذا فرأس الأمر في دراسة العلم إنّما هو تحمّل المجاهدة في المفهوم. وهذه المجاهدة إنّما تقتضي التلقّي إلى المفهوم بما هو كذلك وإلى التعيينات البسيطة، من مثل تعيينات الكون - في - ذاته والكون - لذاته والتساوي - الذاتيّ وما إليه، فهذه إنّما هي

من جنس الحركات الذاتية التي يمكن تسميتها بالأنفس ما لم يُلوَّحَ مفهومها بما هو أرفع منها. إنَّ انْقِطَاعَ عادة اتِّبَاعِ التَّصَوُّراتِ بمعِيةِ المفهومِ لعسيرٍ عِسرِهِ على التَّفكيرِ الصَّوريِّ الَّذِي يَمَحِّكُ خِبطَ عِشْوَاءِ فِي أَفْكَارٍ غَيْرِ حَاقَّةٍ؛ فَلنَسَمِّ هذه العادةَ تَفْكِيراً مَادِيّاً، أَوْ عِيّاً عَرَضِيّاً اسْتِغَارَ فِي المَحْتَوَى وَحَسْبِ، فَبَاتَ عَلَيْهِ مُرّاً أَن يَخْلَصَ فِي الوَقْتِ نَفْسَهُ أَلهُو الَّذِي لَهُ مِنَ المَادَّةِ وَيَكُونُ لَدُنْ ذَاتِهِ. أَمَّا الأَخرُ، أَي الفِكرُ المُمَاحِكُ (Das Rasonnieren)، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى العَكْسِ مِنَ ذَلِكَ الحَرِيَّةِ وَالجِلُّ مِنَ المَضمونِ والعَبْثُ فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي يُؤَمَّرُ بِالمُجَاهِدَةِ فِي تَرْكِ هَذِهِ الحَرِيَّةِ، بَدَلُ أَنْ يَكُونَ المَبْدَأُ المَحْرُكُ مِنَ وَجْهِ اعْتِبَاطِيٍّ لِلْمَضمونِ وَيَغْمَرُ فِيهِ [فِي المَضمونِ] [44] تِلْكَ الحَرِيَّةِ، وَيَتْرَكُهُ يَتَحَرَّكُ بِمعِيةِ طَبِيعَتِهِ الخَاصَّةِ، أَي بِمعِيةِ أَلهُو الَّذِي لَهُ خَاصّاً، وَيُولِي النَظَرَ فِي هَذِهِ الحَرَكَةِ؛ فَإِنَّ يَتْرَكَ المَرَّةَ الوَتِيرَةَ المَحَايِثَةَ الَّتِي لِلْمَفَاهِيمِ وَشَأْنِهَا، فَلَا يَتَدَخَّلُ فِي هَذِهِ الوَتِيرَةِ بِاعْتِبَاطٍ وَبِحِكْمَةٍ مُسْتَعَارَةٍ مِنَ الخَارِجِ، هَذَا الِامْتِنَاعُ نَفْسُهُ إِنَّمَا هُوَ لِحِظَةً جَوْهَرِيَّةً فِي التَلَفُّتِ قَبْلَ المَفْهُومِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى سَبِيلِهِ.

### [التفكير المُمَاحِكُ فِي مَسْلَكِهِ السَّلْبِيِّ]

وأولى بنا التشديدُ في المسلك المُمَاحِكِ عَلَى الجَانِبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى نَحْوِهِمَا يِقَابِلُهُ التَّفْكِيرُ المَفْهُومِيُّ. - فَمِنْ نَاحِيَةِ يَتَعَامَلُ المَسْلَكُ المُمَاحِكُ ضِدَّ المَضمونِ المُدْرَكِ بِشَكْلِ نَافٍ، فَهُوَ إِنَّمَا يَعْلَمُ دَخْضَ هَذَا المَضمونِ وَكَيْفَ يَجْعَلُهُ لِأَشْيَاءٍ. أَمَّا القَوْلُ إِنَّ الأَمْرَ غَيْرُ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي المَضمونِ، هَذَا الجِنْسُ مِنَ النَظَرِ، إِنَّمَا هُوَ النَّافِي وَحَسْبِ، وَهُوَ الأَخِيرُ الَّذِي لَا يَجَاوِزُ نَفْسَهُ إِلَى مَضمونِ جَدِيدٍ، لَكِنْ لَكِنِّي يَكُونُ مَضموناً مِنْ جَدِيدٍ يَجِبُ أَيُّ شَيْءٍ آخِرٍ مُقْتَضِيٍّ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ اتَّفَقَتْ. إِنَّهُ التَّفَكُّرُ الَّذِي فِي الأَنَا الخَاوِي وَعَبْثُ المَعْرِفَةِ الَّتِي لَهُ. - لَكِنَّ هَذَا العَبْثُ لَا يَنْمُ فَقَطْ عَنِ كَوْنِ ذَلِكَ المَضمونِ عَبْثاً، بَلْ يَنْمُ أَيْضاً عَنِ كَوْنِ هَذَا الجِنْسِ مِنَ النَظَرِ

نفسه عبثاً؛ فهو السَّالِبُ الذي لا يبصر الموجبَ الذي فيه. ومن حيث إنَّ هذا التَّفَكُّرَ لا يحصُلُ سالبِيته نفسَهَا مضموناً له، فهو بالجملة لا يكمنُ في ذات الأمر، بل يقع من فوقه دوماً؛ فلذلك يخيلُ له أنه بالتشديد على الخلاء يكون أثقَبَ من النَّظَرِ الغنيِّ بالمضمون. أمَّا السَّالِبُ فإنَّما ينتمي في التفكير المفهوميِّ - كما بان ذلك في ما سبق - إلى المضمون ذاته، ومن حيث هو حرَّكته وتعيُّنه المحايثان كما من حيث هو الكلُّ الذي لهما، فإنَّما هو الموجبُ. فإنَّ أدرك كحاصل، فهو السَّالِبُ الباقى من هذه الحركة، والسَّالِبُ المتعيَّن، وبذلك فهو أيضاً مضمونٌ موجبٌ.

[في مسلكه الإيجابيِّ، وفي غرضه]

أمَّا إذا نظرنا في ذلك الجنس من التفكير من حيث إنَّ له مضموناً سواء كان التَّصوُّرات أو الأفكار أو مزيجاً بينهما، بانَّ أنَّ له جانباً مغايراً يعسِّرُ عليه فعل الفهم (Das Begreifen). وللطبيعة العجيبة التي لهذا الجانب صلةً وثيقةً بالماهية التي قُدِّمت أعلاه للفكرة، أو هي بالأحرى إنَّما تعبَّر عنها من حيث تظَهَّر كالحركة التي هي الإدراكُ الفكريُّ. - فكما أنَّ التفكير المُماجِك - كما قيل فيه أعلاه - إنَّما هو في مسلكه السَلبيِّ أَلهُو نفسُه الذي يؤوِّب فيه المضمون، كذلك هو بالعكس في معرفته الموجبة أَلهُو الذي [45] لذات متصوِّرةً يضاف إليها المضمونُ كعرضٍ ومحمولٍ؛ فتمثِّل هذه الذات/ الحامل القاعدة التي يُعَلَّقُ بها المضمون، والتي تجرى عليها الحركة من حينٍ إلى آخر. أمَّا التفكير المفهوميُّ فمسلكه غير ذلك؛ فما دام المفهومُ أَلهُو الخاصُّ الذي للموضوع الذي يبيِّنُ كالأستحالة التي له، فهو ليس بذات/ حامل ساكنة تحمل بلا حَرَائِكِ الأعراض، وإنَّما هو المفهومُ المتحرِّكُ بنفسه والمستردُّ في نفسه تعيَّناته. وهذه الذات/ الحامل نفسها إنَّما تتغوَّرُ (Zu Grunde geht) في هذه الحركة وتُسْتَعْرَقُ؛ فهي تلجُ الفروق والمضمون، وعوَضَ أن تنتصب قُبالة التعيُّنية، فإنَّها تكونُها

وَتَقِيمُهَا، أعني أنها تُقِيمُ المضمونَ المنفرد كما الحركة التي له. وعليه فالأرضية الصلبة التي كانت للمماحكة من الذات/ الحامل الساكنة إنما تتخلخل، ووحدها هذه الحركة نفسها تصير الموضوع. أما الذات/ الحامل التي أفعمت مضمونها فإنما تكف عن مجاوزته، فلم يعد بوسعها أن تكون لها محمولات أو أعراض أخرى. وعكس ذلك يكون شتات المضمون قد شُدَّ وثاقه تحت ألهو؛ فالمضمون ليس بالكلّي الذي هو في حلٍّ من الذات/ الحامل حتى يتسنى للكثيرين. وبحقٍّ ما لم يعد المضمون محمولاً لذاتٍ/ حامل، بل هو الجوهر، وهو ماهية ومفهوم ما هو غرض القول. أما الفكر التصوريُّ، ما دامت طبيعته أن ينساق في الأعراض والمحمولات، فيحقُّ له أن يجاوزها لأنها ليست أكثر من أعراض ومحمولات، فإنما يُكَبَّحُ جماحُ أنساقه، بما أن الذي يتخذ صورة حامل في القضية إنما هو الجوهر ذاته. وهذا الفكر من حيث هو يتصور الأمر كذلك إنما يكابدُ أنصداماً (Der Gegenstoß). فهو إذ يتدنى بالذات/ الحامل كما لو أنها باقية في الأساس، إنما يجدها من حيث إن المحمول هو بالأحرى الجوهر، قد مرّت إلى المحمول، فتكون بذلك قد نُسِخَتْ؛ أما من حيث إن ما بدا أنه محمولٌ صار كتلةً جامعةً وقائمةً برأسها، فليس بوسع التفكير أن يضرب في الأرض كيفما اتفق، بل ينحس من خلال هذا الثقل. - فما جرت به العادة هو أن الذات/ الحامل من حيث هي ألهو الثابت والموضوعي هي ما يقوم رأساً مقام الأساس، وعن هذا تصدر الحركة الواجبة صوب التنوع الذي للتعينيات أو المحمولات؛ وفي هذا الموضوع يهملُ الأنا العارف نفسه ليحلَّ محلَّ تلك الذات/ الحامل، فهو وضلَّ المحمولات والذاتُ الماسكةُ بعنانها. ولكن ما دامت تلك الذاتُ/ الحاملُ [46] الأولى تخوض غمارَ التعينيات، ومن حيث إنها روحٌ هذه التعينيات، فإن الذاتَ الثانيةَ، لاسيما العارفة، تجد بعدُ في

المحمول تلك الذات/ الحامل الأولى، والعارفة تخال بأنها قد فرغت من أمر تلك الأولى، فتلتبس من بعدها الرجوع إلى نفسها، وبدل أن تكون من حيث هي مما حَكَه الفاعل في تحريك المحمول، فتختار هذا أو ذاك ليحمل على الأولى، فإنها لا تزال في الأكثر عالقةً بالهؤ الذي للمضمون، فلا ينبغي أن تكون لذاتها، بل تكون مجتمعةً بالهؤ الذي للمضمون.

يمكن أن تكون عبارةً ما قيل بشكل صوريّ على نحو أن الطبيعة التي للحكم أو للقضية بعامة، - وهي التي تتضمن الفرق بين الذات/ الحامل والمحمول - قد قوّضتها القضية التأملية؛ أمّا القضية المطابقة التي تؤول إليها تلك القضية الأولى فإنما تنطوي على الانصدام بصدده هذه الرابطة بين الذات/ الحامل والمحمول. - وهذا التنازع بين الصورة التي لقضية ما بعامة وبين وحدة المفهوم المقوّضة لتلك الصورة إنّما يشبه الذي في الإيقاع بين الوزن والنبرة، فالإيقاع ينتج عن الوسط العالق في المراحة بينهما كما عن جمعهما. كذلك ينبغي أيضاً في القضية الفلسفية ألا تلغى المطابقة بين الحامل والمحمول الفرق بينهما، وهو ما عبارته في صورة القضية، بل ينبغي أن تنشق وحدتهما كتناغم. إنّما الصورة التي للقضية أظهر المعنى المتعين، أو هي النبرة التي يتميز بها ملاؤه؛ أمّا كون المحمول يعبر عن الجوهر وكون الحامل نفسه إنّما يقع في الكلّي، فتلك هي الوحدة حيث يفوت رنين النبرة.

لكي نضرب على ما قيل أمثلة، هب القضية: الله هو الكينونة، المحمول فيها هو الكينونة، وله دلالة جوهرية فيها يسوح (Zerfließt) الحامل. والكينونة لا ينبغي هاهنا أن تكون المحمول وإنّما ماهية، وبذلك يبدو أن الله لم يعد هو ما هو في نظام القضية، أعني كونه الذات/ الحامل الثابتة. - فالتفكير عوض أن يتقدم في التمار من الحامل إلى المحمول، وما دام الحامل قد

فات، إنّما يشعر في الأكثر أنّ جماحه قد كُبح، وأنّه يُقذف به إلى فكرة الحامل من حيث إنّهُ يفتقده؛ أو إنّ التفكير إنّما يجد في - الحال الحامل في المحمول من جهة أنّ المحمول نفسه قد قيل كحامل، أي قيل كأنّه ألكينونة وألماهية وهو ما يستغرق طبيعة الحامل؛ عندئذٍ عوض أنّ يكون التفكير قد حصل الوضع الحرّ الذي للمماحكة بعد أنّ مضى في ذاته داخل الحامل، فهو إنّما يغور أكثر في المضمون، أو على الأقلّ ينبغي اقتضاء أنّ يكون غار فيه قصارى الغور (Vertieft zu sein). - كذلك الشأن لما يُقال: إنّ الحاقّ هو الكلّي، فالحاقّ بما هو الحامل يفوت في محمولاته؛ فلا ينبغي في الكلّي أن تكون له دلالة المحمول وحسب على معنى أنّ القضية كانت لتقول إنّ الحاقّ هو الكلّي، بل ينبغي أن ينمّ الكلّي عن الماهية التي للحاقّ. - إذا يفقد التفكير الأرضيّة الثابتة والموضوعيّة التي كانت له في الحامل بقدر ما يُقذف به فيها في المحمول، فلا يرجع في ذلك إلى نفسه، بل يؤوبُ إلى الحامل الذي للمضمون.

في ذلك الضبط والكبح (Auf diesem Hemmen) غير العاديّ تكمن، في قسط كبير منها، الشكاوى من عدم فهم المصنّفات الفلسفية عندما تجتمع في الفرد، من ناحية أخرى، شروط الثقافة الأخرى حتّى يفهما. وأنا نرى في ما قيل علّة العيبة بعينها التي كثيراً ما تُعاب على تلك المصنّفات، وهي وجوب أنّ يقرأ المرء أغلبها مراراً وتكراراً من قبل أن يتمكن من فهمها؛ - وهي عيبة ينبغي أن تتضمن شيئاً وأمرأ لا رادّ له، حتّى إنّها إذا كانت ذات أساس لا تترك المجال إلى جحود ذلك. - ويبين ممّا سبق أيّ مجرى هو للأمر؛ فالقضية الفلسفية لما كانت قضية، إنّما تثير عند المرء الظنّ أنّه حيال الرابطة المعهودة بين الحامل والمحمول والمسلك المألوف الذي للمعرفة. هذا المسلك والرأي الذي له إنّما هو ما يقوّضه مضمونه الفلسفي؛ فالرأي يخبر أنّ المقصود

غير ما كان يظن هو، وهذا التعديل لرأيه يُوجب في المعرفة العودة إلى القضية حتى يتسنى للإمام من وجهٍ مغاير.

أما الخلط بين الوجه التأملّي والوجه المماحِك فتحصلُ عنه صعوبةٌ ينبغي الاحتراس منها ودفعُها، وذلك لما تكون لما قيل في الحامل دلالةٌ مفهومة مرّةً، لكن تكون له دلالةٌ محمولة أو عرَضه مرّةً أخرى. - فكلُّ واحد من هذين الوجهين يُهوِّسُ الآخر، والبيانُ الفلسفيُّ الوحيد الذي كان يكون على مرانَةٍ تشكُّليّة<sup>(14)</sup> إنّما هو ذاك الذي يخرج على الوجه الذي للرابطة المألوفة بين أجزاء القضية.

[48] إنّ للتفكير اللاتأمليّ أحيّةً وصلاحاً فعليّين، لكنّه لا يُعتدُّ به في النحو الذي للقضية التأملية. وكوْنُ الصورة التي للقضية تُسخ، فذلك يجب ألا يحدث على نحو في - الحال، فنسخها لا ينجمُ عبر المضمون البسيط للقضية. فهذه الحركة المتضادّة إنّما يجب

---

Plastisch zu sein (14). إنّ رجعنا إلى مادة Πλάσσω وهو الفعل، Πλάσση وهو اسم الفاعل بان لنا أنّ أوّل ما يُقصد إليه هذا المصطلح هي معاني التشكيل والتصوير والتقويم، فكلّها إنّما تجتمع في الدلالة على الاشتغال بالأشكال والصور. وأمّا Πλάσς، المصدر فيضيف إلى كلّ ذلك دلالةُ الخلق والإنشاء والإحياء. وبالجملة فإنّ وجوب «البلازيس» في البيان الفلسفيّ إنّما يشير إلى طبيعة هذا البيان نفسها من حيث هو بيانٌ تجب فيه مشاكلةُ حركات التشكّل الذاتي التي للمفهوم من تلقاء ذاته. وعليه فإنّ مقالة هيغل في بلازيسية التفلسف بعامة والقضية التأملية بخاصة إنّما تُقصد إلى طبيعة العبارة في التفلسف، فهذه ليست شأن لغة وحسب - إنّ فهمنا اللّغة على أنّها اعتبار الكلم من حيث تكاونه وتراكيبه - بل شأنُ أبتداع لغةٍ غير اللّغة التي يُحرصُ فيها على سداد العبارة وإفادتها. وذاك هو مرّد العسر في ذلك المعاني التي تُقصد إليها التصانيف الفلسفيّة كما أشار إليه هيغل في الفقرتين السابقتين. إنّ رأس الأمر في هذا البيان الفلسفيّ التشكُّليّ هو المجاهدة في مطابقة عين المرانة والسيلانية اللتين لأنفاس ووتيرة ربو المفهوم ربواً منطقيّاً مُرسلاً؛ إنّ هو إذاً إلّا إفتضاء أسلبة فلسفية خاصة بالتأمليّ. وذلك هو رأس البدعة في العبارة الفلسفية: أنّ ينجم البيان من تشكّل الفكر تشكلاً ذاتياً وجوانياً، بدل أن يكون مجرد تطابق برآني بين الفكر واللّغة.



التعبير عنها، فيجب ألا تكون الحركة ذلك الكبح الباطن وحسب، بل لا بد أن يتم بيان ذلك العود إلى ذاته الذي للمفهوم؛ فهذه الحركة التي كان ينبغي أن تمثل سابقاً فعل البرهنة إنما هي الحركة الديالكتيكية التي للقضية نفسها. وهي وحدها التأملية الحاق، وعبارتها هي وحدها البيان التأملي، فالتأمل كقضية إنما هو الكبح الجواني وحسب، والرجوع غير الكائن للماهية إلى ذاتها. ولذلك كثيراً ما نرى أنفسنا راجعين في العروض الفلسفية إلى هذا الحدس الباطن، فنعفي أنفسنا من بيان الحركة الديالكتيكية التي للقضية وإن كان ذلك مطلوبنا. - وينبغي أن تقول القضية ما هو الحق، لكن الحق هو بالجواهر ذات؛ ولما كان الحق ذاتاً، فهو ليس إلا الحركة الديالكتيكية، أي هذا المجرى (Dieser Gang) الناجم من نفسه والربّي بنفسه والآيب إلى نفسه. - أما البرهان في ما جرت به العادة من المعرفة فإنما يمثل هذا الجانب من الباطنية المُفصّح عنها، لكن من بعد أن فُصلت الديالكتيكا عن البرهان ارتفع بالفعل مفهوم البرهنة الفلسفية.

يمكن التذكير في هذا الشأن أن للحركة الديالكتيكية أيضاً قضايا هي أجزاؤها أو عناصرها، ولذلك فالصعوبة التي فُسرَتْ تبدو أنها ترتدّ على الداوم لتكون صعوبة خاصة برأس الأمر. - وهذا ممّا يشبه ما يحصل في البرهان الجمهوري، من حيث إنّ الأوائل التي يستعملها تقتضي هي نفسها تأسيساً من جديد، وذلك إلى ما لا نهاية فيه؛ لكن تلك الصورة من التأسيس والتقييد تنتمي إلى ذلك البرهان الذي تختلف عنه الحركة الديالكتيكية، فتلك الصورة إنما تنتمي إذاً إلى المعرفة البرّانية. أما في ما يتعلّق بهذه الحركة الديالكتيكية نفسها، فإنّ أسطقسها إنما هو المفهوم المحض، ويكون لها عندئذ مضمون هو من طرف إلى طرف ذات في حدّ ذاتها؛ فلا نجد إذاً أيّ مضمون كان يكون جرى الأمر فيه مجرى حامل يقوم مقام الأسّ فتأتيه الدلالة كأنها محمول؛

فالقضية هي في - الحال صورةً بسيطةً خاويةً. - وزائداً إلى الهو  
 المحدوس حسياً أو المتمثل، فإن الاسم بما هو اسم هو ما يشير [49]  
 بالأخص إلى الحامل والواحد الخاوي والعري من المفهوم. ولهذه  
 العلة فإنه يمكن أن يكون من الصالح على سبيل المثال أن نجنب  
 اسم: الله، فهذا اللفظ ليس في - الحال وفي الآن نفسه مفهوماً،  
 بل هو الاسم بخاصة الذي هو السكون الراسخ للحامل القائم  
 مقام الأساس. وعلى العكس من ذلك فالكينونة مثلاً أو الواحد أو  
 العينية أو الذات وما إليه، إنما تدلّ بنفسها وفي - الحال على  
 مفاهيم. - وحتى إن قيلت في ذلك الحامل حقائق تأملية، فإن  
 مضمونها يعرى بحق من المفهوم، لأنه لا يمثل إلا كحامل  
 ساكن، ويسهل أن تكون لتلك الحقائق في هذه الحال صورةً  
 التشييد البسيط. - ومن هذه الناحية فإن المانع الذي يقوم على  
 العادة في إدراك المحمول التأملي بحسب صورة القضية،  
 لا كمفهوم وماهية، قد يتوطد أو يتضاءل أيضاً بسبب الإثم الذي  
 يأتيه العرَضُ الفلسفي؛ وإنما الواجب في البيان الذي سنته تعقل  
 الطبيعة التي للتأملي أن يحفظ الصورة الديالكطيقية وألا يدخل  
 عليها شيئاً ما لم يك مفهوماً أو يك المفهوم.

بقدر ما يعوق المسلك المماحك دراسة الفلسفة بقدر ما  
 يعوقها أيضاً الخيال اللامماحك الذي يتعلق بحقائق ناجزة والتي  
 يظن صاحبها أن لا لزوم في الرجوع إليها، بل يضعها في  
 الأساس والمبتدئ، فيعتقد أنه بوسعها قولها كما الحل والعقد  
 بواسطتها. من هذه الناحية ثمة حاجة بعينها تقتضي أن يصير  
 التفلسف من جديد شاغلاً جدياً؛ ففي كل العلوم والفنون  
 والمهارات والمهن تسري القناعة بأنه تلزم في تحصيلها مجاهدة  
 متنوعة الأشكال في تعلمها وممارستها. أما في ما يخص الفلسفة  
 فيبدو على العكس من ذلك أن رأياً يسود الآن، وهو القائل إنه  
 إذا كان بلا ريب كل امرئ يملك عينين وأصابع، ومتى أعطي

جلداً وآلة فلا يكون بمقدوره مع ذلك صنع حذائه، - فإنّ له في - الحال وسعاً بفهم التفلسف وبالحكم في الفلسفة، لأنّه يملك قسطاس ذلك في عقله الطبيعيّ، - وكأنّه لا يملك كذلك قسطاس حذاء في ساقه. - والظاهر أنّ تملك الفلسفة قد وُضع مباشرة في نقص المعارف والدراسة، وأنّ الفلسفة ترتفع حيث تبدأ تلك المعارف. وكثيراً ما أُعْتُبرت الفلسفة معرفة صوريّة عارية من المضمون، وما يعوزُ شديداً هذا الجنس من النّظر هو أنّ ما هو حقيقة، وإنّ بحسب المضمون، غير خليق به هذا الاسم في أيّما معرفة وعلم ما لم يكنّ ناجماً عن الفلسفة؛ وأنّ العلوم الأخرى مهما أُبتُغت بواسطة المباحكة تعقّب المطلوبات من دون الفلسفة، فلا وسع لها بتحصيل الحياة والروح والحقيقة.

[في التفلسف الطبيعيّ بما هو رأيٌ سديدٌ وعبريّةٌ]

أما في ما يخصّ الفلسفة بحقّ فإنّا نرى الكشف الإلهيّ الذي في - الحال والرأي المشترك، وهما اللذان ما تكوّنا قطّ وما أجتهدا لا في الاشتغال بمعرفة أخرى ولا بالتفلسف بحقّ، يخالان نفسيهما في - الحال الكفء التامّ والدواء البديل للسبيل الطويلة التي للثقافة كما للحركة التي هي ثريّة بقدر ما هي عميقة، والتي فيها يحصل الروح العلم، تقريباً مثلما نمدح في الهنّباء (الشيكوريا) بديلاً للقهوة. وإنّه لمن المُحزّن أن نلاحظ أنّ الجهالة والفضاظة نفسها العريّة من الصورة كما من الذوق تزعم - وهي التي تعجز عن أن تثبت فكرها في قضية مجردة، بل تعجز أكثر في ترابط العديد منها - أنّها تارة حريّة وتسامح التفكير، وطوراً حتى أنّها عبقرية. وهذه الأخيرة كانت لها في الشعر، مثلما هي الحال الآن في الفلسفة، صولاتٌ وجولاتٌ؛ لكنّ الإنشاء الذي لهذه العبقرية لما كان له معنى أنتج بدل الشعر نثراً فاسداً، أو أتى، إنّ جاوزه، قولاً تُرّها. كذلك الأمر الآن لما يعرض في السوق تفلسفٌ طبيعيّ - يظنّ بنفسه خيراً من المفهوم، فيخال

بارتفاعه أنه تفكير حدسيّ وشعريّ -، تركيباتٍ اعتباطيّةٍ من وحي الخيال المضطرب بالفكر وحسب، إن هي إلاّ متصوراتٌ لا هي بسمكٍ ولا بلحمٍ، وما هي بشعرٍ ولا بفلسفةٍ.

حيال ذلك لا يأتي التفلسف الطبيعيّ في أحسن الأحوال إذ يهَجع إلى الفراش الهادئ الذي للرأي السديد، إلاّ خطابةً في الحقائق المتهافئة؛ فإنّ عيبَ عليه أنّها حقائقٌ عريّةٌ من الدلالة أكّد، بإزاء ذلك، أنّ المعنى والملاة حاضران في قلبه، وأنهما ينبغي أن يكونا كذلك عند الآخرين، ما دام يظنُّ أنّه قد أتى قولاً<sup>51]</sup> فضلاً بعامةٍ لما يقول ببراءة القلب وصفاء الطويّة وما شابه ذلك، وذلك ممّا لا يقابل بمعارضة القول وما لا يسمح بمطلوب مغاير. ولكن ما كان أولى أن يُفعل هو ألاّ يقبّع الأحسنُ في الباطن، وإنّما أن يخرج من هذا الغور إلى النور. أمّا أن ينتج المرء حقائق قصيّةً من هذا الجنس فذلك ما يمكن أن يُقتصد في مشقته كثيراً، إذ هي موجودة في التعاليم الدينيّة منذ أمد بعيد وفي الأقوال السائرة عند الشعب وما إليه. - وليس من العسير إدراك مثل هذه الحقائق من حيث لاتعيّنها أو أنحرافها، وأن يُظهر المرء في أحيان كثيرة للوعي المدرك لها وفيه في حدّ ذاته الحقائق المقابلة لها مباشرةً. وهذا الوعي من حيث إنّه يسعى إلى التنصّل من الارتباك الحادث فيه، إنّما يقع في ارتباكٍ آخر، وسيؤول حقاً إلى القول إنّ الأمر لا محالة على هذا النحو وذاك، لكنّ هذه كلّها سفسطةٌ، - شعارُ الرأي المشترك ضدّ العقل المتكوّن مثلما هي الحال في عبارة: «أضغاث أحلام» ألصقتها بالفلسفة نهائياً الجهل بالفلسفة. - وما دام هذا الرأي المشترك يستلهم الشعور ومعبده الداخليّ، فإنّه يكون حيال من لم يتفق معه أمراً مقضياً، وهو يُضطرّ لفسر أنّه لم يبق له ما يقول لمن لم يجد ويشعر من نفسه بعين الشيء، - أي أنّه بعبارة أخرى يدوس معرق الإنسانية بالأقدام؛ فطبيعة الإنسانية إنّما تستقيم في الانتهاء إلى الاتّفاق مع

الآخرين، ووجودها إنما في أستيضاع الشركة في الوعي.  
واللإنساني، الحيواني، إنما قوامه السكون إلى الإحساس وألا  
يكون تواصل إلا بواسطته.

ومتى يُسأل في سبيل ملكية للعلم فإنه ما من سبيل يُشار بها  
أيسر من أن يسكن المرء إلى الرأي السديد فينقاد له، وأن يقرأ -  
لكي يتقدم أيضاً في مجارة الزمان والفلسفة - مراجعات لمؤلفات  
فلسفية، هب كذلك أستهلالاتها وفقراتها الأولى، لأن هذه تعطي  
المبادئ الكلية التي كل شيء موقوف عليها، وأما تلك فتعطي إلى  
جانب الملحمة التاريخية الحكم أيضاً الذي هو من حيث هو حكم  
أرفع مما حكم فيه. وهذه السبيل المشتركة إنما تُسلك بلباس التوهم  
في حين أن الإحساس الجليل بالأزلي والمقدس واللامتناهي يتقدم  
في زي باباوي، - سبيل تمثل هي نفسها في الأكثر كون المرء في - [52]  
الحال في المركز، وعبقريّة الأفكار العميقة والأصيلة والبارقات  
العقلية السنية. وكما أن هذا الجنس من العمق لا يظهر بعد مصدر  
الماهية، كذلك تلك الصواعق ليست بعد مهجع الآلهة. إن الأفكار  
الحق والتعقل العلمي لا تحصل إلا في عمل المفهوم. فوحده  
المفهوم بوسعه أن يُنتج كلية العلم التي هي لا باللاتعينية  
المشتركة، وإنما معرفة متكونة وتامة، - ولا هي بالكلية اللامشتركة  
التي لهيئة العقل الفاسدة بالكسل ومزعم العبقريّة، وإنما هي  
الحقيقة التي آلت إلى صورتها المتوطنة والتي بوسعها أن تكون  
ملك كل عقل ذي وعي - بذاته.

[خاتمة في صلة الكاتب بالجمهور]

ما دمت أضع ما به يوجد العلم في التحرك الذاتي الذي  
للمفهوم، فإن ما يبدو من النظر في الجوانب التي عرضت  
والأخرى الخارجة أيضاً التي لتصورات زماننا في طبيعة الحقائق  
وشكلها، وهي تصورات تجانب هذا الأمر كله، بل تقابل تماماً

مسعى بيان نسق العلم في مثل هذا التعيين، هو أنه لن يصادف  
 تقبلاً إيجابياً. وبوسعي في الأثناء أن أتفكر في أنه على سبيل  
 المثال إذا كان ما هو عظيم في فلسفة أفلاطون قد وُضع أحياناً  
 في أساطيره العارية من القيمة العلمية، كانت هناك أيضاً أزمة من  
 الممكن تسميتها حتى بأزمة الحماسيات (Zeiten der Schwärmerei)  
 حيث أُجِلَّت الفلسفة الأرسطية من أجل عمقها  
 النظريِّ واطُّرِبَ بارمينيدس أفلاطون - الذي هو بحق أعظم أثر في  
 الديالكطيقا القديمة - المكاشفة الحقِّ والعبارة الموجبة للحياة  
 الإلهية، وحيث لم يلزم في هذا الافتتان الذي أدرك بفساد أن  
 يكون بالفعل - على الرِّغم من الخلط الغليظ الذي أحدثه - شيئاً  
 آخر غير المفهوم الخالص، - وأن أتفكر أيضاً في أن العظيم في  
 فلسفة زماننا إنما يضع قيمته نفسها في العلمية، وأنه لا شأن ولا  
 صلاح له بالفعل إلا بواسطتها حتى إن ذهب الآخرون في غير  
 ذلك. ومع كلِّ هذا يمكنني أن أمل أيضاً أن هذا السعي في  
 تحصيل العلم الذي للمفهوم وبيانه في هذا الأسطقس الخاص به  
 سيفلح المدخل بمعية الحقيقة الجوانية التي للأمر. ولا بد أن<sup>13]</sup>  
 نكون على يقين أن للحق طبيعة أن ينفذ آيات يحين ميقاته، وألا  
 يظهر إلا وقتها، فلا يظهر مبكراً أبداً ولا يلقي جمهوراً غير  
 ناضج؛ وأن الفرد في حاجة إلى هذا الأثر حتى يتحقق ممّا هو  
 بعد أمره المتوحد، فيتعتى القناعة التي تنتمي في أول عهدها إلى  
 العينية تعنيه لشأن كليّ. ولكن تجب غالباً في هذا الصدد المباينة  
 بين الجمهور وبين من يسلك كمثليه والمتكلمين بأسمه،  
 فالجمهور إنما يتصرف في اعتبارات شتى بشكل مغاير لهؤلاء، بل  
 بطريقة مقابلة. وإذا كان الجمهور في الأكثر يتحمل على عاتقه بكلِّ  
 سذاجة وسماحة الإثم المتمثل في أن مصنفاً فلسفياً لا يفيد شيئاً،  
 فإن هؤلاء - على عكس ذلك - يُلقون كلَّ الإثم، وهم على يقين  
 من كفاءتهم، على عاتق المؤلف. والفعاليّة عند الجمهور إنما هي

أهدأ من فعل أولئك الموتى عندما يدفنون موتاهم. وإذا كان التعقلُ الكلِّيُّ بعامة تحدّد الآن بشكل أكثر تكويناً، وتطلّعه بشكل أكثر تيقظاً، وحكمه بشكل أسرع على نحو أن أقدام الذين سيحملونك خارجاً تقف للتوّ قدام الباب، فإنّه ينبغي لماماً تمييز الفاعليّة الأبطأ عمّا سبق، وهي التي تقيم الانتباه الذي فرض بإقرارات مُلزِمة كما اللومَ الرافضَ، فلا تعطي لطائفة عالمّاً راهناً إلا من بعد زمن، في حين أنّه لا يكون للطائفة الأخرى بعد ذلك الزمن عالمٌ خَلَفَ.

بالإضافة إلى هذا كلّه لَمّا كان النصيبُ الذي يرجع لنشاط الفرد من الأثر الكامل الذي للروح لا يكون إلاّ حسيراً في زمن توطدت فيه كليّةُ الروح شديداً فصارت الفرديّةُ منه - وذلك هو الأولى بها - إلى أكثر سيّانِيّة، ورسخت تلك الكلّيّة في أنبساطها التام وثرائها المتكوّن وطالبت بهما، فإنّه لا بدّ للفرد في الأكثر - كما يلزم ذلك فعلاً عن طبيعة العلم - أن ينسى نفسه ويصير ويفعل لا محالة ما يستطيع، غير أنّه لا بدّ كذلك أن يُطلَب منه أقلّ ممّا ينبغي أن يرتقب هو نفسه من نفسه ويطلبه لنفسه.

# I

## علم ظاهريّات الرّوح (\*)

---

(\*) هذا العنوان الذي يتوسّط نصّ الاستهلال ونصّ العرض النسقيّ إنّما هو في الوقت ذاته رديفٌ ونسخٌ لعنوان سابق: علم تجربة الوعي.





## مقدمة

177

إنه لتصورٌ طبيعيٌّ أن يظنَّ المرءُ أنه يلزم في الفلسفة - من قبل أن يُتناوَلَ الأمرُ برأسه، لاسيَّما المعرفة الحاقَّة بالذي هو على الحقيقة - الاتِّفاقُ أولاً على المعرفة التي تُعدُّ كمثل الآلة التي يُحتَازُ بها المطلقُ، أو كمثل الوسيلة التي يُلمَحُ من خلالها. وقد يبدو الاحتِراسُ صائباً، في شطرٍ من جهة أنه قد توجدُ أجناسٌ متنوِّعةٌ من المعرفة ومن بينها جنسٌ معرفةٌ كان يكون أنسبَ من غيره لتحصيل هذه الغاية القصوى، فكان يكون المرءُ إذاً عندئذٍ قد اختارَ بأختيارٍ فاسدٍ فيما بينها، - وفي شطرٍ آخرٍ أيضاً من جهة أنه ما دامت المعرفةُ قدرةً من جنسٍ وامتدادٍ مقيدين فقد يحصل - من دون تقييد أدقٍ لطبيعتها وحدودها - أن يصادف المرءُ غيومَ الزلل بدل سماء الحقِّ. بل لا بدَّ أيضاً أن يتحوَّل ذلك الاحتِراسُ إلى الاقتناع بأنَّ كلَّ المسعى إلى إفادة الوعي بمعيَّة المعرفة ما هو في - ذاته، إنما يكون باطلاً في مفهومه، وبأنه ثمة حرفٌ فاصلٌ على الإطلاق ما بين المعرفة وبين المطلق. فإذا كانت المعرفة الآلة في حيازة الماهية المطلقة، فإنه سرعان ما يكون في البال أن أَسْتعمال الآلة في شيء لا يتركه في الأكثر كما يكون لذاته، بل يقصِدُ إلى تصويرٍ وتبديلٍ فيه. أو: إذا لم تكن المعرفة آلةً لنشاطنا، بل كانت من وجهٍ ما وسطاً طبعاً من خلاله يصل إلينا نور الحقيقة، فإننا لا نستفيدُ أيضاً هذه الحقيقة كما هي في حدِّ ذاتها، بل كما تكون من خلال ذلك الوسط وفيه. فنحن نستعمل في الحالتين وسيلةً

تنتج في - الحال عكس غايتها، أو الباطل إنما هو على الأرجح في أنا بالجملة نستعمل وسيلة. ويبدو فعلاً أنه يمكن تحاشي هذا الفساد بمعرفة كيفية فعل الآلة، فهي تسمح بأن يطرح المرء من الحاصل القسط الذي يرجع إلى الآلة في التصور الذي نحصله بواسطتها عن المطلق، وتسمح إذاً بتحصيل الحق؛ إلا أن هذا التجويد لا يأتي في واقع الأمر سوى الرجوع بنا إلى حيث كنا من قبل. وإذا ما أسترددنا من جديد من شيء مصور ما فعلت به الآلة، فلا بد أن يكون الشيء عندنا - وهو هاهنا المطلق - مطابقاً لما كان عليه من قبل هذا الجهد الذي يكون بهذا الوجه عبثاً لا طائل منه؛ فإن وجب بالجملة ألا يكون المطلق عبر الآلة إلا قريباً منا من دون أن تغير منه الآلة شيئاً، كمثل ما يفعل الدبق للطير، فالمطلق إنما قد يهزأ حقاً من هذه الحيلة ما لم يك ولم يشأ أن يكون فعلاً في ذاته ولذاته بيننا؛ فالمعرفة في هذه الحال كانت لا تكون إلا حيلة، ما دامت تأتي بجهدا المتكثّر مظهر أنها تتعقب شيئاً مغايراً تماماً لإنتاج الصلة اليسيرة والتي في - الحال وحسب. أو: إذا ما علمنا تمحيض المعرفة التي تمثلها وسطاً القانون الذي لانكسارها<sup>(1)</sup>، فلا طائل من طرح هذا الانكسار من الحاصل، فليس أنكسار الشعاع بالمعرفة، بل الشعاع نفسه الذي فيه تتصل الحقيقة بنا هو المعرفة، فإن طرحت المعرفة ما كان ليُشارَ لنا إلا بالوجهة المحض أو المكان الخاوي.

فإذا كانت الحيطه من السقوط في الزلل توقع - في الأثناء - ريبه في العلم الذي ينهض إلى الأثر ذاته من دون مثل تلك الاحتراسات فيعرف من وجه حاق، فإننا لا نرى ما يدفع - على العكس - لزوم إيقاع ريبه في تلك الريبه، فينبغي أن يكون منا على بال أن هذا الفرق من الزلل هو حقاً الزلل ذاته. وتلك الحيطه إنما

(1) Das Gesetz seiner Strahlenbrechung، يقصد قانون انكسار الأشعة أو

انحرافها في علم المناظر.

تفترض شيئاً ما، بل أشياء شتى كأنها حقيقة، فتعتمد إليها ترسيخاً لا احتراساتها وتبعاتها، وهذا في حد ذاته ما ينبغي التحري منه أولاً حتى يُنظرَ فيه إن كان حقيقةً. وذلك التحوُّط إنما يفترض تصوّراتٍ للمعرفة بما هي آلةٌ ووسطٌ، ويفترض كذلك اختلافنا نحن أنفسنا عن هذه المعرفة، بل أشدّ ما يفترض أنّ المطلق يقع على جهة وأنّ المعرفة على جهة أخرى لذاتها ومفصولةً عن المطلق إنّما تكون واقعاً، أو يفترض عندئذٍ أنّ المعرفة صادقةٌ مع أنّها من جهة كونها مفصولةً عن المطلق إنّما تكون أيضاً خارج الحقيقة فعلاً، وهو افتراضٌ يُعرف من خلاله ما يسمّى فرقاً من الزلل على أنّه بالأحرى فرقٌ من الحقيقة.

[59]

هذا الحاصل إنّما يبيّن من جهة أنّ المطلق وحده حقٌّ، أو أنّ الحقّ وحده مطلقٌ. ويمكن أن يُجحدَ هذا الحاصل من وجه هذا الاختلاف الذي على سبيله تكون معرفة ما - وإن لم تعرف المطلق مثلاً يشاء العلم - صادقةٌ أيضاً، ويكون بوسع المعرفة بالجملة أن تأتي حقيقةً أخرى، وإن لم يك بوسعها أن تحصل عينَ المطلق. ولكننا نرى في ذلك أنّ مثل هذا الحجاج (Solches Hin - und Herrede) إنّما ينتهي إلى اختلافٍ مُعتكِرٍ ما بين حقّ مطلقٍ وبين حقّ من جنسٍ مغايرٍ، وأنّ المطلق والمعرفة وما إليه إنّما هي ألفاظٌ تفترض دلالةً ينبغي أولاً تحصيلها.

وبدّل الانشغال بمثل هذه التصوّرات وأجناس القول المتهافّة في المعرفة من جهة ما هي آلةٌ لحيازة المطلق، أو بما هي وسطٌ نلمح من خلاله الحقيقة وما إليه، - إنّ هي إلّا روابطٌ تنتهي إليها كلّ هذه التصوّرات لمعرفةٍ منفصلةٍ عن المطلق ولمطلقٍ منفصلٍ عن المعرفة -، وبدل التشغيب بالمعاذير التي يغترفها عجزُ العلم من افتراض مثل تلك الروابط حتى يكون في ذات الحين في حل من جادة العلم ويستعطي مظهرَ المجاهدة الصارمة والمتحمّسة، - وكذلك بدل اشغال البال في أجوبة عن كلّ هذه [الأموّر]، فإنّه

يمكن المرء أن يطرَحها مباشرة كتصوّرات عرضيّة وأعتباطيّة، أمّا الاستعمال المرتبط بها لألفاظ كمثل 'المطلق' و'المعرفة' وكذلك 'الموضوعي' و'الذاتي' وما إليه من ألفاظ أخرى لا تُحصى يفترَضُ في دلالتها أنّها مشهورة بوجهٍ كليّ، فيمكن النظر إليها حتّى على أنّها مخاتلة. والزعم من ناحية بأنّ دلالتها مشهورة من وجه كليّ، ومن ناحية أخرى أنّ المرء نفسه يملك مفهومها، إنّما يبدو بالأحرى أنّه يوجب فقط الاقتصاد في الشيء الأساسي، ولاسيما تقديم هذا المفهوم. وبحقّ ما يكون الأصوب أن يتمكّن المرء - على العكس - من اقتصاد الجهد في اعتبار تلك التصوّرات وأجناس القولِ بعامة التي يلزم عنها أطراحُ العلم ذاته، لأنّها لا تمثّل سوى ظاهرة خاوية للمعرفة تضمحل في - الحال أمام العلم الذي يهمل. ولكنّ العلم من حيث يهمل إنّما هو نفسه ظاهرة، وهلّ العلم (Ihr Auftreten) ليس بعدّ العلم نفسه مُنجزاً ومبسوطاً على حقيقته. وسيان في ذلك أن يُتصوّر أنّه الظاهرة لأنّه يهملُ إلى جانب شيءٍ آخر، أو أن تُسمّى أظهاره هذه المعرفة الأخرى غيرُ الصادقة؛ لكن لا بدّ للعلم أن يتحرّر من ذلك الظاهر، ولا وسع له بذلك إلّا من حيث ينقلب ضده؛ لأنّ العلم إزاء معرفة تكون غير صادقة لا يقدر لا على أطراحها من جهة ما هي رؤية جمهوريّة للأشياء، فيثبت أنّه معرفة مغايرة تماماً وأنّ تلك المعرفة ليست شيئاً البتّة بالنسبة إليه، ولا أن يسكنَ إلى خطور<sup>(2)</sup> معرفة أجود تكمن في تلك المعرفة ذاتها. والعلم بهذا الإثبات إنّما يشرحُ كينونته كالقوة التي له؛ لكنّ المعرفة غير

(2) Die Ahnung، بمعنى الإحطار والخطور والحدس. وقد كُتبت لمرّتين «Ahnung» في الصفحة 60 من نصّ *Phänomenologie des Geistes* الذي نشغل عليه، وهو على الأرجح غلطٌ (فهذه إنّما تعني العقاب والانتقام وما أشبه ذلك).

انظر: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Phänomenologie des Geistes*, Neu Hrsg. von Hans Friedrich Wessels und Heinrich Clairmont, Mit einer Einleitung von Wolfgang Bonsiepen, Philosophische Bibliothek; 414 (Hamburg: F. Meiner, 1988).

الصادقة إنّما تسكن أيضاً إلى أنّها كائنة، فتثبت أنّ العلم ليس شيئاً بالنسبة إليها؛ لكنّ إثباتاً جفيفاً ما إنّما يجري تماماً مجرى أيّ إثبات جفيفٍ آخر. وأقلُّ من ذلك أنّ يقدر العلم على السكون إلى خطورٍ أحسن كان يكون ماثلاً في المعرفة غير الصادقة، لكنّ ذلك الخطور كان يكون ضمن هذه المعرفة آيةً عليه (Die Hinweisung auf sie)؛ فالعلم من جهة، إنّما يستند مرّة أخرى إلى كينونة ما، وأمّا من جهة أخرى فيرجع إلى ذاته كما إلى الوجه الذي به يكون في المعرفة غير الصادقة، أي إلى وجهٍ فاسدٍ لكنونته وظاهرته أكثر من رجوعه إلى ما هو في ذاته ولذاته. ولهذه العلة ينبغي في هذا الموضوع أن نعلم إلى بيان المعرفة التي تظهر.

ولكن بما أنّ هذا البيان لا موضوع له سوى المعرفة التي تظهر، فإنّه لا يظهر على أنّه ذاته العلم الحر الذي يتحرك في شكله الأصليّ، بل يمكن أن يُعدّ من هذه الزاوية السبيل التي للوعي الطبيعيّ الذي يترسّل حتّى العلم الحقّ، أو سبيل النفس التي تجتأب سلسلة تشكّلاتها من حيث هي محطّات مرسومة من قبل الطبيعة التي لها، حتّى تخلّص إلى الروح من جهة أنّها تبلغ من خلال التجريب التام لذاتها المعرفة بما هي في حدّ ذاتها.

إنّ الوعي الطبيعيّ سببٌ أنّه ليس إلّا مفهوم المعرفة، أو أنّه معرفة غير حاقّة. أمّا من جهة أنّه في الأكثر يعتبر نفسه في - الحال المعرفة الحاقّة، فتلك السبيل إنّما تكون لها عنده [61] دلالةً سالبةً، وما يكون تحقّق المفهوم إنّما يجري عند هذا الوعي بالأحرى مجرى خسران ذاته، لأنّه إنّما يخسر على تلك السبيل الحقيقة التي له. ولذلك يمكن أن يُنظر إلى تلك السبيل على أنّها سبيل الشكّ، أو بوجه أخصّ على أنّها سبيل القنوط؛ وبالفعل فالذي يحدث في مجرى تلك السبيل ليس ممّا عهدنا سماعه أنّه الشكّ، أي زعزعة هذه الحقيقة المظنون فيها أو تلك، وما يعقبها مرّة أخرى من زوال منشودٍ للشكّ ورجوع إلى الحقيقة الأولى على

نحو أن الأمر يُؤخَذُ في الختام عينَ المأخذِ الفائتِ؛ بل تلك السبيل إنما هي الفهمُ الواعي والنافذُ (Die Einsicht) في لاهقية المعرفة التي تظهَرُ والتي لا يكون الأشد واقعيةً (Das Reellste) عندها - في الأكثر وعلى الحقيقة - إلا المفهوم غير المتحقق. ولذلك ليست هذه الريبة التي بصدد الحصول مما تخاله الحماسة الصارمة للحقيقة والعلم أنها أعدت به العدة للعلم، لاسيما العزم على عدم الانصياع في العلم ومن وجه السطوة إلى أفكار الغير، بل على وجوب تفحص كل شيء بأنفسنا وأتباع الاعتقاد الخاص وحسب، بل أكثر من ذلك العزم على أن نتج كل شيء بأنفسنا وألا نعتبر من الحق إلا ما أتينا بأنفسنا. وسلسلة تشكلات الوعي التي يجتأبها على تلك السبيل إنما هي بالأحرى التاريخ المفصل لتكوين الوعي نفسه وثقافته حد العلم. وذلك العزم إنما يتمثل الثقافة من الوجه البسيط الذي للعزم كمقضية وحادثة في - الحال؛ أما تلك السبيل فإتاما هي بالنظر إلى هذه اللاحقية الإنجاز المقضي<sup>(3)</sup> الحاق. وأتباع الاعتقاد الخاص إنما هو بلا ريب أبلغ من الانصياع إلى السطوة، لكن لا يؤمن بواسطة قلب الرأي المتمسك بالسطوة رأياً متمسكاً بالاعتقاد الخاص أن يُغير المضمون الذي لهذا الأخير ويؤتى بالحقيقة بدل الغلط؛ فلا فرق في أن ينغمس المرء في نسق الرأي والابتسار بين الوجه الذي من سطوة الغير وبين الابتداء من اعتقاد خاص، إلا على سبيل الباطل الذي يسكن هذا النحو الأخير. وعلى العكس من ذلك فالريبة التي تنبسط على كامل امتداد الوعي المظهر إنما هي أول ما يجعل من الروح ذا وسع بأختبار الحقيقة ما هي، من جهة أنها تبعث على القنوط مما يُظن فيه أنه تصورات وأفكار وآراء طبيعية سيان فيها تسميتها بالخاصة أو تسميتها بالغيرية، وهي التي ما زال

[62]

(3) Die Ausführung، بمعنى نجز الشيء وتحقيقه مفصلاً.

الوعي - الذي يهّم مباشرةً بالاختبار - مفعماً ومشوباً بها، فيكون مع ذلك عاجزاً بالفعل عما ينشدُ القيامَ له.

إنّ جملةَ الصور التي للوعي غير الحاقّ ستحصلُ بمعيةِ الوجوب نفسه الذي في الربوّ والارتباط. ويمكن الإشارة بشكل مسبقٍ وعامّ - حتّى يكونَ هذا مدركاً من وجه المفهوم - إلى أنّ بيانَ الوعي غير الصادق على لاهقيقته ليس مجردَ حركةٍ سالبةٍ. ومثل هذه النظرة الأحادية بصدد هذه الحركة إنّما تكون للوعي الطبيعيّ؛ والمعرفة التي تجعل من هذه الأحادية ماهيتها إنّما هي شكلٌ من الأشكال التي للوعي غير التامّ، وهو شكلٌ يقع في معجى السبيل ذاتها وسيعرض فيه، فهذا الشكل إنّما هو حقاً الربيبة التي لا ترى في النتاج إلاّ اللّيس المحض، فتجرّد من ذلك كونَ هذا اللّيس إنّما هو على وجه التحديد لئس الذي ينتج عنه. ولكنّ اللّيس لا يكون بالفعل النتاج الحقّ إلاّ من حيث يؤخذ بما هو لئس الذي يتأتى منه، فإنّما هو ذاته عندئذٍ لئس مقيدٌ وذو مضمونٍ ما. والربيبة التي تختم بتجريد اللّيس أو بالخلاء لا تقدر على المضيّ قدماً انطلاقاً منه، بل يجب أن تترقّب إنّ عرض لها جديدٌ وما هو، حتّى تلقي به في عين الغور الخالي. ولما يُدرك النتاج - بالعكس - كما يكون على الحقيقة، أي كنفى مقيدٍ، فإنّ صورةً جديدةً تكون نجمت مع ذلك في - الحال، فيكون قد تمّ في النفي التمارُ الذي من خلاله تحصلُ السيورة من تلقاء نفسها بمعية السلسلة الشاملة للأشكال.

أما الهدف فمرسومٌ للمعرفة بوجه من الضرورة هو نفسه الذي في سلسلة السيورة؛ فإنّما يكون الهدف حيث لم يعد يلزمه أن يجاوز ذاته، وأين يجد ذاته، وأين يطابق المفهوم الموضوع. والموضوع المفهوم. ولذلك لا مغالبة للسيورة التي نحو هذا الهدف، فلا تؤتى كفايتها في أيما محطة متقدّمة. وما يكون مقيداً بحياة طبيعيّة لا وسع له من ذاته بأنّ يجاوز كيانه الذي في -



الحال، لكنّه يُدفع به إلى ما بعد هذا الكيان بمعيّة شيءٍ مغاير، وأُستحالته منتزَعاً (Dies Hinausgerissenwerden) إنّما هي موته. أمّا الوعي فيكون لذاته مفهومه، وبذلك يكون في - الحال مجاوزة المقيّد ومجاوزة ذاته نفسها من جهة أنّ ما هو مقيّد بهذا النحو إنّما ينتمي إليه؛ وما يوضع للوعي إضافةً إلى الفرديّ، إنّما هو في الوقت ذاته المتعالي، وإنّ كان - كما في الحدس المكانيّ - حذاء المقيّد. وعليه فالوعي إنّما يتحمّل من ذاته هذا العنف المتمثّل في إفساده بنفسه الطمأنينة المقيّدة. وعند الشعور بهذا العنف يمكن الخوف أن يدبر فعلاً من أمام الحقيقة، فينزِع إلى الإحتفاظ بما يتهدّده الخسران. ولكن لا يمكنه أن يجد السكون، فإمّا أن ينشد البقاء على عطالة عريّة من الفكر، فإذا الفكرُ يعكّرُ أنعدام الفكر ويكدر تحيُّره العطالة، وإمّا أن يرسخ كإحساسيّة (Als Empfindsamkeit) تؤكّد أنّ كلّ شيء إنّما يوجد حسناً في نوعه. وهذا التأكيد إنّما يشكو كذلك عنفاً من قبل العقل الذي لا يجد الشيء حسناً ما دام على التدقيق نوعاً، أو يمكن الفرق من الحقيقة أن يتحجّب عن نفسه وعن الغير وراء ظاهر أنّ الحماسة المتأججة من أجل الحقيقة ذاتها كانت تكون على التدقيق ما يجعل عسيراً عليه، بل محالاً، أن يجد حقيقةً أخرى سوى الحقيقة الوحيدة التي للباطل المتمثّل في كون المرء دوماً أكثر ألمعيّة من كلّ فكرة تكون له من نفسه أو من غيره؛ وهذا الباطل الذي يذهن نفسه على نحو إبطال كلّ حقيقة والرجوع منه إلى نفسه، فيتعرّز عندئذ الذهن الخاصّ الذي يحذق حلّ الأفكار جميعها فلا يجد بدل كلّ مضمون إلاّ الأنا الجافت، إنّما هو الطمأنينة التي ينبغي تركها لنفسها لأنّها تدبر من الكلّيّ فلا تتعب إلاّ الكون - لذاته.

ولعلّه يكون من المجدي أن نذكر أيضاً ببعض ما يخصّ الطريقة التي للإنجاز من مثل القول الذي مهّدنا به على نحو مسبق

وعام في الوجه والضرورة اللذين للضرورة. وهذا البيان متمثلاً كمسلك للعلم إزاء المعرفة التي تظهر وكتعقب وتمحيص لتحقيق المعرفة يظهر أنه لا يمكن أن يتم من دون أي افتراض يوضع موضع العماد كقسطاس. والتمحيص إنما يقوم على العمل بقسطاس مستوضع، والحسم في أن ما يتمحص صحيح أو غير صحيح إنما يكمن في التساوي أو اللاتساوي الحاصل بين ما يتمحص وبين ذلك القسطاس؛ وبالجملة فالقسطاس، وكذلك 54] العلم إن كان هو القسطاس، إنما يؤخذ في ذلك مأخذ الماهية أو الذي في ذاته. ولكن هاهنا أين يهمل العلم للتو، لا العلم ذاته ولا أي شيء اتفق، إتضح كالماهية أو كالذي في ذاته؛ ويظهر أن التمحيص محال أن يتيسر من دون هذا الأمر.

هذا التناقض وطرحه سيوضحان على نحو أدق إذا ما ذكرنا أولاً بالتحديدات المجردة التي للمعرفة والحقيقة مثلما تحصل عند الوعي؛ فهذا الوعي إنما يميز من ذاته شيئاً ويتصل به في الوقت نفسه، أو كما عبرنا عن ذلك: إنما يكون شيء بالنسبة إلى عين الوعي؛ أما الوجه المتعين الذي لهذا الوصل (Das Beziehen)، أو الكينونة التي لشيء ما بالإضافة إلى وعي ما، فإنما هو المعرفة. ولكننا نميز من هذه الكينونة لأجل مغاير الكينونة التي في ذاتها؛ فالموصول بالمعرفة إنما هو أيضاً مبين لها، ويوضع كذلك ككائن خارج هذه الصلة؛ أما ضرب هذا الذي في ذاته فإنما يسمى الحقيقة. وأما في ما يخص هذه التعيينات على التدقيق فليس يهتما في هذا الموضوع أكثر من هذا الذي قلناه؛ فما دامت المعرفة التي تظهر غرضنا، فتعييناتها إنما تؤخذ رأساً مثلما تعرض في - الحال؛ وبحق ما يوافق ضرب الإحاطة بهذه التعيينات الوجه الذي تعرض به.

فإن تعقبنا الفحص الآن عن الحقيقة التي للمعرفة، بان أننا نتعقب ما هو في ذاته؛ إلا أن هذا الذي في ذاته يمثل في هذا

التعقّب غرضنا، فهو إمّا يكون بالنسبة إلينا؛ فالذي في ذاته الذي لهذه المعرفة - وهو الذي كان يكون قد تبيّن منها - إمّا كان يكون في الأكثر كينونته بالنسبة إلينا؛ فما نحسبه ماهيةً له كان لا يكون في الأكثر حقيقته، بل يكون معرفتنا نحن به وحسب؛ فالماهية أو القسطاسُ إمّا كانا وقعا فينا، وهذا الذي ينبغي أن نقرّنه بالقسطاس، فننتهي إلى الحسم فيه من وجه هذه المقارنة، ما كان ليكون من اللازم فيه بالضرورة أن يعترف بهذا القسطاس.

ولكن الطبيعة التي للغرض الذي نتعقّب إمّا تأبى هذا الفصل أو هذا الظاهر من الفصل والافتراض؛ فالوعي إمّا يتعطى قسطاسه في حدّ ذاته، والتفحص إمّا يصير بذلك مقارنة لذات الوعي بذاته نفسها؛ فالتمييز الذي أوتيت للتوّ إمّا يقع فيه. وثمة في الوعي شيءٌ لمغاير ما، أو الوعي بالجملة إمّا ينطوي في حدّ ذاته على التعينية التي للحظة المعرفة؛ وفي الوقت ذاته هذا المغاير ليس فقط بالنسبة إلى الوعي، بل هو كذلك خارج هذه الصلة، أو هو في ذاته؛ وتلك هي لحظة الحقيقة. وعليه فإننا نمتلك في ما يوضّحه الوعي في جوانبه على أنه الذي في ذاته أو الحق، القسطاس الذي يستوضعه بنفسه حتى يقدر معرفته؛ فإذا سمينا المفهوم المعرفة، وسمينا الماهية أو الحق، الكائن أو الموضوع، فإن التمحيص يتمثل في أن ننظر في ما إذا كان المفهوم يوافق الموضوع. أمّا إذا سمينا المفهوم الماهية أو الذي في - ذاته الذي للموضوع، وفهمنا الموضوع - على العكس - على أنه غرض، ولاسيما كما يكون بالنسبة لمغاير، فإن التمحيص يتمثل في أن ننظر في ما إذا كان الموضوع يوافق مفهومه. وإنّا نرى فعلاً أن الأمرين هما الشيء نفسه؛ لكن الجوهرية في كامل المبحث هو أن نحافظ شديداً على كون هاتين اللحظتين نفسيهما - أعني المفهوم والموضوع، الكينونة لآخر والكينونة في ذاتها نفسها - تقعان في المعرفة التي نتعقّب، فلن نكون عندئذ في حاجة إلى

أن نحمل معنا القساطيس ونعمل بخواطرنا وأفكارنا في هذا المبحث؛ فنفلح ما تركنا تلك الأشياء، في تعقب الفحص عن رأس الأمر كما يكون في ذاته ولذاته.

إنَّ أيَّ إضافة منَّا تصير بلا طائل ليس فقط من وجه أن المفهوم والموضوع، والقسطاس والمتمحص إنما تكون ماثلة في الوعي ذاته، بل سنكون أيضاً في غنى عن جهد المقارنة بين الطرفين وجهد التمحيص بخاصة، على نحو أنه من جهة ما يتمحص الوعي ذاته بذاته لن يتبقى لنا من هذا الوجه إلا محض المشاهدة (Das reine Zusehen). والوعي إنما هو من ناحية وعي بالموضوع، وهو من ناحية أخرى وعي بذاته؛ وعي بما هو عنده الحق، ووعي بمعرفته بعين الحق. وما دام الطرفان كلاهما كائنين لعين الوعي، فإنه هو نفسه الذي يكون المقارنة بينهما؛ ذلك أنه يحصل لعين الوعي أو لا يحصل أن توافق معرفته بالموضوع هذا الموضوع. والموضوع إنما يظهر بالفعل للوعي أنه لا يكون إلا مثلما يعرفه هو؛ والوعي يظهر لكأنه لا يقدر على أن يأتي من خلف الموضوع حتى يتمحص كيف هو لا بالنسبة إليه، بل كيف هو في ذاته، فلا يقدر أيضاً على تمحيص معرفته لذات الموضوع (An ihm). أما من ناحية أن الوعي - على التدقيق - يعرف [66] بالجملة شيئاً عن موضوع ما، فإن الاختلاف يكون بالفعل حاضراً على سبيل أنه ثمة عند الوعي شيء يقوم مقام الذي في ذاته، وأنه ثمة لحظة أخرى تمثل المعرفة، أو كينونة الموضوع بالنسبة إلى الوعي. والتمحيص إنما يقوم على ذلك الاختلاف الذي يكون حاضراً؛ فإن لم يتوافق الطرفان في هذه المقارنة ظهر أنه لا بد للوعي أن يبدل معرفته حتى يجعلها على شاكلة الموضوع، لكن في تبديل المعرفة إنما يتبدل للوعي بالفعل الموضوع ذاته أيضاً؛ فالمعرفة الحاضرة إنما كانت بالجوهر معرفة بالموضوع؛ والموضوع إنما يتصير هو أيضاً مع المعرفة آخر، لأنه كان ينتمي

بالجوهر إلى هذه المعرفة. عندئذٍ ما يحصل للوعي إنّما هو أنّ ما كان يقوم عنده من قبلُ مقامَ الذي في ذاته ليس في ذاته، أو أنّه لم يكن في ذاته إلاّ بالنسبة إليه. وعليه فما دام الوعي يجد عند موضوعه معرفته غيرَ موافقة لهذا الموضوع، فهذا الموضوع بدوره لا يدوم، أو: قسطاس التمحيص يتبدّل لمّا لا يدوم هذا الذي كان ينبغي أن يكون قسطاسه؛ فليس التمحيصُ تمحيصاً للمعرفة وحسب، بل هو كذلك تمحيصٌ لقسطاسه هو.

إنّ هذه الحركة الديالكطيقيّة التي يتعاطاها الوعي في حدّ ذاته، فيأتيها في معرفته كما في موضوعه، ومن جهة أنّ الموضوع الجديد والصادق ينجم للوعي عن ذلك، إنّما هي التي تمثّل بخاصّة ما يُسمّى تجربة. وينبغي في هذه العلاقة بالمجرى الذي أشير إليه للتوّ تبرز لحظة بعينها، بها سيشتع ضوءٌ جديدٌ في وجه العلميّة الذي للعرض التالي؛ فالوعي يعرف شيئاً ما، وهذا الموضوع إنّما هو الماهيّة، أو هو الذي في ذاته، لكنّه أيضاً الذي في - ذاته بالنسبة إلى الوعي، وبهذا يمثّل الالتباسُ (Die Zweideutigkeit) الذي لهذا الحقّ. وإنّا نرى أنّ للوعي الآن موضوعين، فواحدٌ هو الذي في ذاته الأوّل، والثاني هو كونه هذا الذي في ذاته بالنسبة إلى الوعي (Das für es Sein dieses an sich). وهذا الأخير يبدو في بادئ أمره أنّه ليس إلاّ تفكّر الوعي في ذاته، تصوّر لا لموضوع، بل لمعرفته بذلك الأوّل وحسب. غير أنّ الموضوع الأوّل - كما بيّنا أعلاه - إنّما يتبدّل في ذلك عند الوعي؛ فهو يكفّ عن كونه الذي في ذاته، فيصير للوعي إلى الذي لا يكون في ذاته إلاّ بالنسبة إلى الوعي؛ لكن عندئذٍ هذا الأخير، أي كونه هذا الذي في ذاته بالنسبة إلى الوعي، إنّما هو الحقّ، ومعناه كذلك أنّ هذا إنّما هو الماهيّة أو الموضوع الذي للوعي. وهذا الموضوع الجديد إنّما ينطوي على لئسيّة الموضوع الأوّل؛ فإنّما هو التجربة التي أوتيت فيه.

[67]

هنالك لحظة في هذا العرض لمجرى التجربة، تبدو التجربة من خلالها غير موافقة لما يُفهم عادة من التجربة؛ فالمرور من الموضوع الأول ومعرفته إلى الموضوع الآخر الذي نقول بصدده إن التجربة قد أوتيت، إنما قُدِّمَ له من قِبَلِ أَنَّهُ ينبغي للمعرفة بالموضوع الأول، أو لما يكون بالنسبة إلى الوعي من الذي في ذاته الأول (Das für das Bewußtsein des ersten an sich)، أن يصير الموضوع الثاني ذاته. غير أَنَّهُ يبدو بالعكس أَنَّا أَتينا تجربة لا حقيقة مفهومنا الأول في موضوع آخر نجدُه كيفما اتفق ومن وجهٍ عرضيٍّ وبرآنيٍّ، على نحو أَنَّهُ لَا يقع عندنا بالجملة إِلَّا الإلمام المحض بما هو في ذاته ولذاته. ولكنَّ الموضوع الجديد في هذا الجنس من النظر إنما يبيِّنُ كحادثٍ عن انْقِلَابٍ للوعي ذاته. وهذا الضرب من أَعْتَبَارِ الأمرِ إِنَّمَا هو إِضافتنا التي تترقى بمعيتها سلسلة التجارب التي للوعي إلى التمشي العلمي، وهي إِضافة لا تكون بالنسبة إلى الوعي الذي نتفحصُه؛ لكن هذا إِنَّمَا هو بالفعل عينُ السياق<sup>(4)</sup> الذي كان القول فيها أعلاه في ما يخصّ علاقة هذا العرض بالريبيّة، لاسيما عندما قيلَ إِنَّ النَّتَاجَ المحصّلَ في كلِّ مرّةٍ والذي يحصلُ عند معرفة غير صادقة لا ينبغي له أن ينتهي إلى لَيْسَ خَاوٍ، بل يجب أن يُدْرَكَ من وجه أَنَّهُ لَيْسَ الذي هو ناتجٌ عنه؛ إنَّ هو إِلَّا نتاجٌ ينطوي على ما يكون الحقُّ عند المعرفة الفائتة. وهذا إِنَّمَا يعرض على النحو التالي: ما دام الذي كان أَظْهَرَ أَوْلَى كالموضوع ينخفض عند الوعي إلى معرفة به، والذي في ذاته يصير إلى الذي يكون في ذاته بالنسبة إلى الوعي، فهذا عينُه هو الموضوع الجديد الذي يهملُ معه أيضاً شكلاً جديداً للوعي، تغايرٌ عنده الماهية الماهية التي عند الشكلِ الفائت. وهذا المساقُ إِنَّمَا هو الذي يسوقُ سارَ سلسلة أشكالِ الوعي على

(4) Derselbe Umstand، بمعنى الوضع أو الحال.

الضرورة التي لها. ووحدها هذه الضرورة نفسها - أو نجم الموضوع الجديد - التي تحصل للوعي من دون أن يعلم كيف يحدث له ذلك، هي ما يجري بالنسبة إلينا كأنه من وراء ظهر الوعي. وتحدث بذلك في الحركة التي للوعي لحظة الكون في ذاته، أو الكون بالنسبة إلينا التي لا تعرض للوعي، فهو ذاته مفهوم في التجربة ومتضمن فيها؛ أما المضمون الذي لما يحدث لنا، فإنما يكون بالنسبة إلى الوعي، ولسنا نفهم إلا الصوري الذي لعين المضمون، أو نجمه الخالص؛ فالناجم ليس بالنسبة إلى الوعي إلا كموضوع، أما بالنسبة إلينا فيكون في ذات الحين كحركة وصيرورة.

هذه السبيل إلى العلم إنما تقوم بالفعل هي ذاتها وعبر هذه الضرورة مقام العلم، وتمثل عندئذ من وجه المضمون الذي لها علم التجربة التي للوعي.

إن التجربة التي يأتيها الوعي على نفسه لا يمكن أن تتضمن وفق مفهومها أقل من النسق التام الذي لعين الوعي، أو الملكوت التام الذي لحقيقة الروح، على نحو أن اللحظات التي لهذه الحقيقة إنما تتبين في هذه التعيينة المخصوصة لا من وجه كونها لحظات خالصة ومجردة، بل كما تكون هذه اللحظات بالنسبة إلى الوعي، أو مثلما يهمل هذا الوعي في اتصاله بها، حيث تكون اللحظات التي للكل الأشكال التي للوعي. والوعي من جهة أنه يترسل إلى وجوده الحق، إنما سيبلغ نكتة يطرخ عندها ظاهر كونه مشوباً بشيء من جنس غريب لا يكون إلا بالنسبة إليه، أو يكون كآخر، أو سينتهي إلى نكتة أين تصير الظاهرة ضهي الماهية، فيتطابق عندئذ بيان الوعي مع هذه النكتة التي هي نكتة العلم الأصلي الذي للروح، وسيبين الوعي - في الختام - إذ يلم هو نفسه بهذه الماهية التي له، الطبيعة التي للعلم المطلق ذاته.

## I. الإيقان الحسي،

### أو هذا والتظنُّ

69]

إنَّ المعرفة التي هي في الأوَّل أو في - الحال غرضنا لا يمكن أن تكون سوى التي هي ذاتها معرفةً في - الحال ومعرفة بالذي - في - الحال أو بالكائن. فينبغي أن نسلِّك على نحو يكون أيضاً في - الحال، أو على نحو الإمام، إذاً ألا نغيِّر من هذه المعرفة شيئاً فتلقاها مثلما تعرض، وأن نتركَّ الفهم بعيداً عن الإحاطة.

إنَّ المضمون المتعيَّن الذي للإيقان الحسيَّ يجعله يظَّهر (Erscheinen) في - الحال كالمعرفة الأثرى، بل وكمعرفة ذات ثراء لامتناهٍ ليس لها من حدٍّ يوجَدُ عندما نخرجُ إلى المكان والزمان أين تنبسط، - كما عندما نقتطعُ قسطاً من هذا الامتلاء ثم ننفذ فيه بالتجزئة. وزائداً إلى ذلك أنها معرفة تظَّهر كالأصدق، لأنَّها ما زالت لم تُسقط شيئاً من الموضوع، بل يكون لها الموضوعُ قدَّامها على تمامه كلِّه. ولكن هذا الإيقان إنما يجعلُ من نفسه (Sich ausgeben für) بالفعل الحقيقة الأكثر تجريداً وأنحساراً؛ فهو لا يقول في الذي يعرفه إلا هذا: إنَّه كائنٌ؛ وحقيقته لا تنطوي إلا على كينونة الشيء؛ والوعي من جهته إنما يكون في هذا الإيقان



كمحض أنا وحسب؛ أو أنا أكون في ذلك كأل هذا المحض وحسب، والموضوع يكون كذلك كأل هذا المحض وحسب. أنا، هذا، أكون في إيقانٍ من هذا الشيء، لا لعلّة أني كنت أكون ربوْتُ عند ذلك كوعي، فأكون حرَكْتُ في ذلك الفكرَ وفق أنحاء شتى. وليس أيضاً لعلّة أنّ الشيء الذي أنا في إيقانٍ منه وفق جملةٍ من الصفات المختلفة كان يكون في حدّ ذاته إضافةً ثريّةً، أو صلةً متكرّرةً بأخرى؛ فالعلّتان جميعاً لا تتعلّقان في شيءٍ بالحقيقة التي للإيقان الحسيّ؛ فلا الأنا ولا الشيء تكون لهما في ذلك دلالةٌ توسيطٌ متكرّرٌ الوجوه؛ لا الأنا تكون له دلالةٌ تصوّرٌ أو تفكيرٌ متكرّرٌ الوجوه، ولا الشيء تكون له دلالةٌ الصفات المتكرّرة الوجوه؛ بل الشيء يكون، ويكون لأنّه يكون وحسب إنّه يكون، ذلك هو الجوهريّ بالنسبة إلى المعرفة الحسيّة، وهذه الكينونة المحض أو هذه الحالّيّة البسيطة تمثّل حقيقةً الشيء. كذا الإيقان [70] بما هو إضافةً إنّما يكون على التدقيق إضافةً محضاً وفي - الحال؛ فالوعي إنّما هو أنا، ولا شيء غير ذلك؛ إنّه محضٌ هذا؛ أمّا الفردُ فإنّما يعرف محض هذا، أو الفرديّ.

لكنّ إذا ما تحرّينا الأمر بان أنّ ما هو أكثرٌ من ذلك يتلعبُ ويدولُ (Beiherspielen) أيضاً عند الكينونة المحض التي تمثّل الماهيّة التي لهذا الإيقان والتي يقولها كحقيقته؛ إيقانٌ حسيّ حاقٌ بعينه ليس هو هذه الحالّيّة المحض وحسب، بل هو مثالٌ يدولُ<sup>(1)</sup> على عين الحالّيّة. وإنّا لنجدُ في كلّ موضع (Allenthalten) من بين ما يحصل في ذلك من أختلافات لا تُحصى المباينة الرئيس، أعني التي مفادها أنّ الهذين المذكورين كليهما إنّما يقعان أولاً متباعدين -

(1) Ein Beispiel، يقصد هيجل هاهنا إلى ما في المثال من تمثيلٍ على و...،

بل عند الممثل عليه وفيه: Spielen bei. تعني في الأصل اللّعبُ حذو وعند وذلّذُ الممثل عليه أو الذي يضرب فيه المثلّ.

في هذا الإيقان - خارج الكينونة، هذا كأنا وهذا كموضوع. وإذا تفكرنا في هذا الاختلاف بأنَّه لا الأوّل ولا الآخر يكونان في الإيقان الحسّي في - الحال وحسب، بل يكونان كلاهما في الوقت ذاته بتوسيط؛ فأنا يكون لي الإيقان من خلال آخر، ولاسيّما الشيء؛ وهذا الشيء يكون كذلك في الإيقان من خلال آخر، ولاسيّما من خلال [ي] أنا.

[.I] - هذا الاختلاف بين الماهية وبين المثال الذي يدول، وبين الحاليّة وبين التوسيط لسنا نحن فقط من نأتيه، بل إنّنا نجدّه عند الإيقان الحسّي ذاته؛ وينبغي تحصيله وفق الصوورة التي يكون عليها في الإيقان لا كما كنا قيّدناه للتوّ. وثمّة في الإيقان شيء يوضّع كالكائن البسيط الذي في - الحال، أو كالماهية، الموضوع؛ أمّا الآخر فيوضّع كاللاماهويّ أو المَوْسُوط الذي لا يكون في ذلك في ذاته، بل يكون من خلال آخر، أنا، أو معرفة لا تعرف الموضوع إلاّ لعلّة أنّه يكون، وأمّا هي فيمكن أن تكون أو ألاّ تكون. ولكنّ الموضوع كائنٌ، فهو الحقّ والماهية؛ فالموضوع كائنٌ، وسيان عنده - على العكس - أن يُعرّف أو ألاّ يُعرّف؛ أمّا المعرفة فلا تكون عندما لا يكون الموضوع.

ينبغي إذاً أن يُتفحص الموضوع هل يكون بالفعل في الإيقان الحسّي ذاته كمثّل هذه الماهية التي يعتبر هذا الإيقان على سبيلها الموضوع، وهل هذا المفهوم الذي للموضوع، أعني كونه ماهيةً، يوافق وجه مثوله في هذا الإيقان. ولا ينبغي لنا في الختام أن نتفكر في الموضوع ونوليّ النظر في ماذا قد يكون على الحقيقة، بل ينبغي أن نتفحصه فقط من الوجه الذي يكون للإيقان الحسّي [71] في داخله.

وعليه فالإيقان الحسّي وحده هو الذي يُسأل: ما هو الهذا؟ فإذا أخذنا به على الشكل المضاعف الذي لكينونته، أي كالآن

والهنا، فإنّ الديالكطيقيّة التي تكون له في حدّ ذاته ستستفيدُ صورةً مذهبونّةً بقدر ما يكون هو ذاته مذهبوناً. إذاً عن سؤال: ما الآن؟ نجيب على سبيل المثال: الآن هو اللّيل. وحسبنا أختبارٌ بسيطٌ حتّى نمتحنَ الحقيقةَ التي لهذا الإيقان الحسّي. نكتبُ هذه الحقيقة، فحقيقةً ما لا يمكن أن نخسر شيئاً بمعية التدوين، وقلّما تفقد من حيث نكونُ حفظناها. وإذا نظرنا من جديد الآن، في هذه الظهيرة، في الحقيقة المدوّنة، فلا بدّ أن نقول إنّها صارت تَفهَةً.

إنّ الآن الذي هو ليلٌ قد حُفظ، أي إنّ الآن يُعتَبَرُ كالذي على سبيله قد ظُنَّ أنّه الآن، ككائن؛ لكنّه إنّما ينكشف في الأكثر كغير كائن؛ فالآن نفسه إنّما يدومُ ويبقى، لكن كأنّ ليس هو ليلٌ؛ وكذا يبقى حيال النهار الذي هو الآن كأنّ ليس هو أيضاً بنهار، أو بالجملة كسلبّي. ولذلك هذا الآن الذي يبقى ليس في - الحال، بل هو أنّ بتوسيط، لأنّه مقيدٌ كباقي ودائم من جهة أنّ شيئاً آخر، أعني النهار والليل، لا يكون. وهو في ذلك إنّما يكون بسيطاً بقدر ما كان من قبل بسيطاً، أي أنّاً، ويكون في هذه البساطة على سيانّةٍ بالنظر إلى الذي ما انفكّ يدوُلُ قربّه، فبقدر ما يخالف الليلُ والنهارُ الكينونةَ التي له، بقدر ما يكون الليلُ والنهارُ؛ فهو لا يفعل البتّة بكونه من هذا الوجه مغايراً. ولنسمّ كليّاً هذا الضربَ من البسيط الذي يكون بمعية السلب، إذ ما هو بهذا ولا بذاك، [فيكون] اللاهَذَا الذي سيانَ عنده أيضاً أن يكون هذا أو ذاك؛ وعليه فالكليّ إنّما هو بالفعل الحقُّ الذي للإيقان الحسّي.

إنّا نقول الحسّي أيضاً من جهة ما هو كليّ، فالذي نقول إنّما هو: هذا، أي الهَذَا الكليّ، أو: إنّه كائنٌ، أي الكينونة بعامة. لكننا (Freilich) لسنا نتصوّر في ذلك الهَذَا الكليّ أو الكينونة بعامة؛ بل نقول الكليّ، أو لسنا نقول على الإطلاق كيف نَظُنُّ في هذا الإيقان الحسّي، لكن اللّغة - كما نرى - إنّما هي

الأصدق؛ إذ فيها إنَّما نناقض بأنفسنا وفي - الحال ظننا، فلمَّا كان الكلِّيُّ الحقُّ الذي للإيقان الحسِّيِّ وكانت اللِّغة وحدها ما يقول هذا الحقُّ، فإنَّه محالٌّ أن يكون بوسعنا قولُ كينونة حسِّيَّة نظراً فيها.

سيكون الحال هو هو مع الصورة الأخرى التي لهذا، أي مع الهنا، فألهنا هو على سبيل المثال الشجرة، فإذا تلفتْ زالتْ هذه الحقيقة، وأنقلبَتْ إلى الحقيقة المضادَّة: الهنا ليس الشجرة، بل هو بالأحرى بيتٌ. أمَّا الهنا نفسه فلا يزول؛ بل هو باقٍ في زوال الشجرة والبيت وما إليه، وسيان عنده أن يكون بيتاً أو شجرة؛ فألهذا إذاً إنَّما يظهرُ مرَّةً أخرى كبساطةٍ موسوطةٍ، أو ككلِّيَّة.

وعليه فالكينونة المحضُ إنَّما تظلُّ لهذا الإيقان الحسِّيِّ - من جهة أنه يُظهرُ في حدِّ ذاته الكلِّيَّ كالحقيقة التي لموضوعه - كالمهية التي له؛ لكن لا كالذي في - الحال، بل كشيءٍ يكون له السلبُ والتوسيطُ جوهريّين؛ وعندئذٍ لا كالذي تنظنته الكينونة، بل الكينونة مع تعيّنِ أنها التجريدُ أو الكلِّيُّ المحضُ، وأمَّا تظنُّنا الذي لا يمثل عنده حقُّ الإيقان الحسِّيِّ الكلِّيِّ، فإنَّما يظلُّ بعدُ وحده مهملاً حيالَ هذين الآن والهنا الخاويين والسيانين.

وإذا قارنا الرابطة التي تمثلُ فيها أولاً المعرفة والموضوعُ بالرابطة التي بين عين المعرفة وعين الموضوع على النحو الذي حصلنا به في تلك النتيجة، لبأنَّ الرابطة قد عُكست. والموضوع الذي ينبغي أن يكون الماهويُّ يكون الآن اللاماهويُّ الذي للإيقان الحسِّيِّ، لأنَّ الكلِّيَّ الذي صار إليه الموضوعُ لم يعد من جنسِ الذي كان ينبغي أن يكون فيه الموضوعُ بالجواهر بالنسبة إلى هذا الإيقان، بل هذا الإيقانُ يحضرُ الآن في المتضادِّ، لاسيما في المعرفة التي كانت من قبلُ اللاماهويِّ. وحقيقته إنَّما تكون في الموضوع من جهة ما هو الموضوع الذي لي، أو من جهة أنه في

التظنن الذي لي<sup>(2)</sup>، فالموضوع كائن لأنني أعرف عنه شيئاً ما. وعليه فالإيقان الحسيّ إنّما قد أُطردَ فعلاً من الموضوع، لكنّه بذلك ما زال لم يُنسخ، بل رُدَّ في الأنا وحسب؛ وينبغي أن نرى ما تُظهر لنا التجربة في ما يخصُّ هذه الواقعة التي للإيقان الحسيّ.

[.II] - إنَّ القوّة التي لحقيقة هذا الإيقان تكمنُ الآن في

[73] الأنا، في الحاليّة التي لبصري وسمعيّ وما إليه؛ وزوالُ الآن والهنا الفرديّين الذي نتظننُ، إنّما يُدفع من جهة أنّي أمسك بهما وأرسخهما؛ فالآن هو نهارٌ لأنّي أراه، والهنا هو شجرةٌ للعلّة نفسها. ولكنّ الإيقان الحسيّ إنّما يتعنى داخله في هذه الرابطة عينَ الديالكطيقية التي تعناها في الرابطة الفائتة. أنا، هذا، أرى الشجرة، وأثبت الشجرة كالهنا؛ في حين أنّ أنا مغايراً يرى البيت، ويثبت أنّ الهنا ليس شجرة، بل هو على الأخرى بيت. والحقيقتان جميعاً لهما عين الصدقية، لاسيّما حالية الرؤية وثقة كليتهما كما تأكدهما من معرفتيهما؛ لكن الواحدة إنّما تزول في الأخرى.

أما الذي لا يزول في ذلك فإنّما هو أنا من جهة ما هو كليّ ليست رؤيته رؤية الشجرة ولا رؤية هذا البيت، بل هي رؤية بسيطة تكون مُوسوطةً بمعية نفي هذا البيت وما إليه، وفي ذلك تكون رؤية بسيطةً بقدر ما تكون سيّانيةً حيال الذي ما انفكّ يعتمل ويدول عندها، أعني حيال الذي هو البيت والشجرة؛ فأنا هو كليّ وحسب، كمثّل [ال] آن والهنا أو الهذا بالجملة؛ إنّي أتظننُ حقاً أنا فرديّاً، لكن بقدر ما لا أستطيع قول ما أتظننُ به (Meinen bei) أنّه الآن والهنا، بقدر ما أعجز عن قول ما أتظننُ به أنّه أنا. ولما

(2) Im Meinen، واللفظ يُقصد في الوقت ذاته إلى فعل التظنن وإعمال الظنّ

في .. كما إلى كون الظنّ ظنيّ أنا، وإذا يقرن بين التظنن بالشيء والمُلك أي تملكه على سبيل الظنّ.

أقول هذا الهنا، هذا الآن، أو أقول فردياً، فإنما أقول كل هذا وكلّ هنا وكلّ الآن وكلّ فرديّ؛ وكذا الأمر لما أقول أنا، هذا الأنا الفرديّ، فإنما أقول بعامة كلّ أنا، فكلّ واحد هو ما أقول، أنا، هذا الأنا الفرديّ. وحين يُعرضُ على العلم مثل هذا المطلوب - كأنه حجر الزاوية الذي له - الذي لا طاقة له بأختماله، وهو مطلوب أن يستنبط ويركب ويجد قبلياً - أو قل الأمر كيفما شئت - هذا المسمّى شيئاً أو هذا المسمّى رجلاً، فإنّه من العدل أن يقول المطلوب ما يظنّه هذا الشيء أو هذا الرجل؛ لكنّ قول ذلك محال<sup>(3)</sup>.

والإيقان الحسّي إنّما يتعنّى إذا أنّ ماهيّته لا تكون لا في الموضوع ولا في الأنا، وأنّ الحالّية ليست بحالّية هذا ولا ذلك، لأنّ ما أتظنّنه في الإثنين جميعاً إنّما هو في الأكثر لاماھويّ، والموضوع وأنا إنّما هما كليّان لا قيام ولا بقاء فيهما لذلك الآن والهنا والأنا التي أتظنّ بها، أو هذه لا تكون فيهما. وإنّا ننتهي عبر ذلك إلى وضع الكلّ الذي للإيقان الحسّي نفسه [74] كالماهية التي له، فلم تعد لحظة واحدة من هذا الإيقان تمثّل واقعيتّه، كما حدث في الحالّيتين جميعاً، حيث كان الموضوع المتضادّ مع الأنا أولاً هذه الواقعيّة، ثمّ كانها الأنا. إذاً وحدّه

(3) يشير هيغل هاهنا إلى المطلوب الذي كان فلهمم ترؤغث كروغ قد صاعه ضدّ الفلسفة المثالية لما طالب الفلسفة باستنباط تصوّر شيء ما (ومثاله القلم الذي يكتب به!)، انظر: Wilhelm Traugott Krug, *Briefe über den neusten Idealismus*. Eine Fortsetzung der Briefe über die Wissenschaftslehre, Aetas Kantiana; 153 (Leipzig: In der H. Müller'schen Buchhandlung, 1801), pp. 31 sqq.

Georg Wilhelm Friedrich Hegel: «Wie der gemeine Menschverstand die Philosophie nehme, dargestellt an den Werken des Herrn Krug,» *Kritisches Journal der Philosophie*: vol. 1, Stück 1 (1802), and *Werke in Zwanzig Bänden*, 20 vols., Auf der Grundlage der Werke von 1832-1845 neu edierte Ausg. Red. Eva Moldenhauer und Karl Markus Michel, Theorie Werkausgabe (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1969-1971), vol. 2, 1970, pp. 188-207.

الإيقان الحسِّي ذاته في جملته الذي يرسخُ في داخله كحاليَّة يصدُّ عنه. بذلك كلُّ تضادٍّ كان وقع في ما فات.

هذه الحاليَّة لم تعدْ تخصُّ إذاً في شيء الكينونة المغايرة التي للهنا، كشجرة تمرّ في هنا هو لاشجرة، ولا الكينونة المغايرة التي للآن كنهار الذي يمرّ في آن هو ليل، أو لم تعدْ تخصُّ أنا مغايراً يكون له شيء آخر موضوعاً. وحقيقتهُ هذا الإيقان إنّما تثبّت كرابطةً متساوية مع نفسها لا تأتي فرقاً في الماهويّة واللاماهويّة بين الأنا وبين الموضوع، فلا يمكن أيّ فرق بعامة أن ينفذَ فيها؛ فأنا، هذا الأنا، أثبتُ إذاً الهنا كشجرة ولا أتلفتُ حتّى يصير لي الهنا لاشجرة، ولا أدوّن أيضاً كونَ أنا آخر يرى الهنا كلاشجرة، أو أتّي أنا نفسي أحسب ذات مرةً أخرى الهنا كلاشجرة والآن كلانهار، بل إتي أكون محضّ مشاهدة؛ فأنا إنّما أظّل بالنسبة إليّ في ذلك عند كون الآن نهاراً، أو عند كون الهنا شجرة، ولا أقرنُ أيضاً الهنا والآن ذاتيهما بالمغاير، بل أرسخ على رابطةٍ واحدةٍ تكون في - الحال: الآن نهاراً.

لما كان ذلك الإيقان عندئذٍ لا يبتغي بعدُ الخروجَ إلينا عندما ننبههُ على سبيل آن يكون ليلاً، أو أنا يكون عنده ليل، فإنّا نحن من يخرج إليه ويقترّب منه، فنُظهر لأنفسنا الآن الذي أثبت. نحن الذين يجب أن نُظهره لأنفسنا، لأنّ الحقيقة التي لهذه الرابطة التي في - الحال إنّما هي حقيقة هذا الأنا الذي يتقيّد بأنّ أو بهنا. وأمّا كوننا كئنا قد حُرنا من بعد ذلك هذه الحقيقة أو بقينا بعيداً عنها، فلن تكون لتلك الحقيقة أيُّ دلالة، لأنّا نكون قد نسخنا الحاليّة التي تكون لها بالجوهر. ولذلك ينبغي لنا أن نلجّ عين النقطة من الزمان أو المكان، فنُظهر الحقيقة لأنفسنا، أي نجعل من أنفسنا عين الأنا الذي يكون العارف بإيقان (Das Gewißwissende)؛ فلننظرُ على أيّ صفةٍ يكون الحاليّ الذي أُظهر لنا.

[75] إنه يُشارُ إلى الآن، هذا الآن. أما الآن فقد كُفَّ فعلاً عن كونه الآن من جهة أنه أشير إليه؛ فالآن الذي يكون إنَّما هو آن مغايرٌ للذي أشير إليه؛ ونحن نرى أن الآن إنَّما هو على الحصر هذا: لم يعد الآن من حيث هو يكون. فالآن كما أظهرَ لنا إنَّما هو الذي قد كان، وتلك هي حقيقته؛ فليست له الحقيقةُ التي للكينونة. ومع ذلك فإنَّما هو حقُّ كونه قد كان. لكنَّ ما كان ليس بالفعل ماهيةً، فهو لا يكون، والحال أن الأمر كان يجري مجرى الكينونة.

وعليه فإنَّنا لا نرى في هذه الإشارة إلا حركةً والمجرى التالي الذي لعين الحركة: (1) أنا أشيرُ إلى الآن، وهو يُثبت كالحقِّ، لكن أشير إليه كالذي كان، أو كمنسوخ، فأنسخ الحقيقة الأولى، (2) الآن أثبتُّ كحقيقة ثانية أنه قد كان، وأنه نُسِخ. (3) لكنَّ الذي كان لا يكون، فأنا أنسخ الكينونة التي كانت أو الكينونة المنسوخة، أي الحقيقة الثانية، فأنفي عندئذٍ نفي الآن؛ كذا يؤوب إلى الحقيقة الأولى، وهي أن أنا يكون؛ فالآن والإشارة إلى الآن إنَّما يكونان إذاً على صفة أنه لا الآن ولا الإشارة إلى الآن ببسطين في - الحال، بل هما حركةٌ تشتمل في حد ذاتها على لحظات متباينة؛ ثمَّة هذا يوضع، لكن يوضع في الأكثر هذا مغايرٌ، أو أن هذا يُنسخ: وهذه الكينونة المغايرة، أو نسخ الأول إنَّما هما ذاتهما يُنسخان مرةً أخرى، فيؤويان إذاً إلى الأول. إلا أن هذا الأول المتفكّر في ذاته لا يكون تماماً هوهو مثلما كان في مبتدأ أمره، أعني الذي - في - الحال؛ بل يكون على الحصر متفكراً في ذاته، أو بسيطاً يظلّ ما هو في الكينونة المغايرة، أن هو على الإطلاق آناً متكرّرة؛ وهذا إنَّما هو الآن الصادق، الآن كنهان بسيط تكون له آناً متكرّرة، أي ساعات، ومثل هذا الآن، ساعةً، يكون كذلك دقائق متكرّرة، وهذه الآنات تكون كذلك آناً متكرّرة وهكذا دواليك. - وعليه فالإشارة ذاتها إنَّما هي الحركة التي تقول ما هو الآن على الحقيقة، لاسيما [أنه]



حاصل، أو كثرة آتاتٍ مجمعة؛ فالإشارة إنما هي تجريبٌ أن الآن إنما هو كليّ.

كذلك الهنا المشار إليه الذي أثبتته إنما هو هذا الهنا الذي ليس هو بالفعل هذا الهنا، بل هو قدام وخلف، أعلى وأسفل، يمين وشمال. والأعلى ذاته إنما هو هذا الكون المغاير في الأعلى [76] والأسفل وما إليه؛ فالهنا الذي كان ينبغي أن يظهر إنما يزول في هناتٍ مغايرة، وأما هذه فتزول كذلك؛ والمشار إليه، بما هو المثبت والباقي، إنما هو هذا سالب لا يكون إلا من حيث تؤخذ الهنات كما ينبغي، لكنها في ذلك إنما تنتسخ؛ فهو إنما هو مرگبٌ بسيطٌ من الهنات. والهنا الذي تُظنُّ به إنما كان يكون نقطة، لكن النقطة لا تكون؛ بل من جهة أنه يشار إلى النقطة ككائنة إنما تظهر الإشارة أنها ليست معرفة في - الحال، بل هي حركة تكون من الهنا المتظنُّ به وعبر هناتٍ متكررة وفي الهنا الكليّ الذي يكون - مثله مثل النهار يكون كثرة بسيطة من الآتات - كثرة بسيطة من الهنات.

ما يتضح هو أن الديالكطيقية التي للإيقان الحسي ليست سوى التاريخ البسيط الذي لحركته، أو لتجربته، وأن الإيقان الحسي ذاته ليس هو إلا هذا التاريخ وحسب. ولهذه العلة أيضاً يربو الوعي الطبيعي ذاته دائماً إلى هذه النتيجة، وإلى ما هو الحق في الإيقان الحسي، فيأتي تجربته؛ لكنه سرعان ما ينسى ذلك مرة أخرى، فيبتدئ الحركة من الأول. ولذلك يحقّ التعجب عندما يؤكّد بعضهم ضدّ هذه التجربة تجربةً كليّة، ويأتي أيضاً بمقالة فلسفية، بل يقول بخاصة كأنه نتاج للربيبية، إن لواقع أو كون الأشياء الخارجية من حيث هي هذه الأشياء، أو من جهة ما هي حسيّة، حقيقة مطلقة بالنسبة إلى الوعي الطبيعي<sup>(4)</sup>؛ فمثل هذه

(4) يلوخ هيغل في هذا الموضع بمقالة ياكوبي في وجود الموضوعات الحسية =

المقالة لا تعرف في ذات الحين ما تقول، ولا تعرف أنها تقول عكس ما تريد قوله. وحقيقة هذا الحسّي ينبغي أن تكون بالنسبة إلى الوعي تجربةً كليّةً؛ لكنّ العكس هو الذي يكون في الأكثر تجربةً كليّةً؛ فكلّ وعي إنّما ينسخ بنفسه من جديدٍ مثل هذه الحقيقة، ومثاله: أنّ الهنا شجرةً، أو أنّ الآن نهارٌ، فيقول الضدّ: الهنا ليس شجرةً، بل بيتٌ، وما يكون من جديد في هذا الإقرار الناسخ للأول إقراراً من عين الجنس بهذا حسّي سرعان ما ينسخه الوعي مرّة أخرى، فلا يُجرّب على الحقيقة في كلّ إيقان حسّي إلا ما كنّا رأينا، لاسيّما هذا من جهة ما هو كليّ، أي ضدّ ما يؤكّد ذلك الإقرار أنّه تجربةً كليّةً. - أمّا في ما يخصّ هذا [77] الرجوع إلى التجربة الكلية فإنّه قد يجوز استباق النظر في العمليّ؛ فيمكن أن يُقال في هذا الشأن للذين يقرّون بهذه الحقيقة وبهذا الإيقان بواقع الأشياء الحسيّة إنّهم يحسن بهم أن يرجعوا إلى المدرسة الأوّلية للحكمة، لاسيّما إلى الأسرار الإليسيّة القديمة التي لسيريس وباخوس، وأن يتعلّموا أولاً سرّ أكل الخبز وشرب الخمر؛ لأنّ المظّلع على هذه الأسرار إنّما لا ينتهي فقط إلى التشكّك في كينونة الأشياء الحسيّة، بل إلى القنوط منها؛ ففي شطرٍ إنّما يأتي فيها بنفسه تليسيّها، وفي شطرٍ آخرٍ إنّما يراها تُتمّ تليسيّها بنفسها. والحيواناتُ نفسُها ليست مقصيّةً من هذه الحكمة، وإنّما تظهر في الأكثر على خبرةٍ بها تنجم من الأعماق، لأنّها لا تظنّ حيال الأشياء الحسيّة كأنّ هذه كائنةٌ في ذاتها، بل تنقضّ عليها من دون هوادهٍ، إذ تقنط من هذه الواقعيّة وتكون على إيقان

= البرّانية (وهو تكرير لمقالة د. هيوم في هذا الغرض)، كما بالمقالة الربّية التي لشولتسيّة؛ انظر: Friedrich Heinrich Jacobi, *David Hume über den Glauben, oder Idealismus und Realismus* (Breslau: [n. pb.], 1787), pp. 19-22, and Gottlob Ernst Schulze, *Kritik der Theoretischen Philosophie*, 2 vols. (Hamburg: [n. pb.], 1801), vol. 1, p. 62.

تأم من ليسيّة هذه الأشياء فتلتهمّها؛ والطبيعة برمتها إنّما تحفل -  
 مثل الحيوانات - بهذه الأسرار المنكشّفة التي تعلّم ما هي الأشياء  
 الحسيّة على الحقيقة.

لكن أولئك الذين يضعون مثل ذلك الإقرار إنّما يقولون  
 بأنفسهم - مسايقةً للملاحظات الفائتة - وفي - الحال ضدّ ما  
 يتظنّون. وعسى تكون هذه الظاهرة الأقدَر على إثارة إشغال الفكر  
 في طبيعة الإيقان الحسيّ، فهم يتكلّمون عن الكيان الذي  
 للموضوعات البرانيّة التي يمكن أن تقيّد على التدقيق كأشياء حاقة  
 ومفردة على الإطلاق وشخصيّة تماماً وفردية، والتي لا نظير لأيّ  
 منها، وهذا الكيان كان يكون له إيقانٌ وحقيقةٌ مطلقان. إنهم  
 يتظنّون هذا القرطاس الذي أكتب عليه هذا، أو في الأكثر الذي  
 كتبته عليه؛ لكنهم لا يقولون ما يتظنّون. وإذا كانوا يشاؤون  
 بالفعل قول هذا القرطاس الذي يتظنّون، وهم يشاؤون قول  
 [ذلك]، فذلك محالٌ؛ لأنّ هذا الحسيّ الذي تُظنّ إنّما لا تطالُه  
 اللعنة التي تنتمي إلى الوعي والكلّي في ذاته. ولذلك هذا القرطاس  
 إنّما قد يفتتّ ضمن المحاولة الحاقة لقوله؛ وأولئك الذين شرعوا  
 في وصفه لن يقدروا على أستكمالِه، بل قد ينبغي لهم أن يتركوا  
 هذا الوصف لغيرهم الذي سيقروا بأنفسهم في نهاية المطاف  
 بأنهم يتكلّمون عن شيء لا يكون. وعليه فهم إنّما يتظنّون حقاً [78]  
 بهذا القرطاس الذي يكون هاهنا مغايراً تماماً للقرطاس الفائت،  
 لكنهم يتكلّمون أشياء حاقة، وموضوعاتٍ برانيّة أو حسيّة،  
 وماهيّات مفردة على الإطلاق وما إليه، أي إنّهم يقولون فيها  
 الكلّي وحسب؛ فلذلك ما يُسمّى الذي لا ينقالُ  
 (Das Unaussprechliche) ليس سوى اللاحق واللامعقول والمظنون  
 فيه وحسب. - فإنّ لم يقل المرء في شيء ما أكثر من قوله إنّ  
 شيء حاقٌ، وموضوعٌ برانيّ، فهذا الشيء لم يُقلْ إلّا كالكلّي  
 شديداً (Das Allerallgemeinste)، وعندئذ إنّما تقالُ مضاهاته لكلّ

شيء أكثر من أن تُقال مباينته. فإذا قلت شيئاً مفرداً فإنّي قد قلتة كذلك وفي الأكثر من جهة ما هو كليّ تماماً، لأنّ كلّ شيء هو شيء مفرد؛ وكذلك هذا الشيء يكون كلّ ما نشاء؛ فإذا أشرنا إلى ذلك على التدقيق كهذا القرطاس، لكان أيُّ قرطاس وكلّ قرطاس هذا القرطاس؛ فلا أكون قلت إلاّ الكليّ. ولكن إذا شئتُ أن أعضدّ الكلام - الذي تكون له الطبيعة الإلهية المتمثلة في قلب الرأي في - الحال وجعله شيئاً مغايراً فلا تسمح له من هذا الوجه بالانتهاء إلى النطق - من حيث إنّي أشير إلى هذا القرطاس، فإنّما أفعل على هذا النحو تجربة ما هي حقيقة الإيقان الحسيّ بالفعل؛ فأنا أشير إليه كهنا هو الهنا الذي لهنّات مغايرة، أو هنا يكون في حدّ ذاته جمعاً بسيطاً من الهنّات المتكثّرة، أي يكون كليّاً؛ وعلى هذا النحو فإنّي أخذه كيفما يكون على الحقيقة، وبدل معرفة الذي - في - الحال، فإنّي أدرك<sup>(5)</sup>.

---

(5) Nehme ich wahr، وتعني لفظياً: أخذ الشيء على الحقيقة، إدراكه على الحقيقة، أي في هذا السياق: إدراك الهذا الحسيّ من جهة ما هو كليّ.



## II. الإدراك الحسّي،

### أو الشيء والوهم

إنّ الإيقان الذي في - الحال لا يفوز لنفسه بالحق، لأنّ حقيقته إنّما هي الكلّي في حين أنّه يبتغي تحصيل هذا. أمّا الإدراك الحسّي فيأخذ - على العكس - ما يكون عنده الكائن مأخذ ما هو كلّي. وما دامت الكلّيّة بالجملة مبدأ ذلك الإدراك فإنّ لحظاته التي تتباين فيه في - الحال إنّما تكون أيضاً كلّيّة، فالأنا أنا كلّي والموضوع موضوع كلّي. وهذا المبدأ إنّما نجم لنا، فلذلك لم يعد تناوّلنا للإدراك الحسّي تناوّلماً لما يظهر كما كان تناول الإيقان الحسّي، بل يكون تناوّلماً ضرورياً. وفي نجم المبدأ حدث في الوقت ذاته اللّحظتان اللتان لا تقع الواحدة منهما خارج الأخرى إلّا في ظاهرتيها؛ أعني بالواحدة منهما حركة الإشارة، وبالأخرى عين الحركة ولكن من جهة ما هي بسيط؛ فأما تلك فهي الدرّك الحسّي، وأمّا هذه فهي الموضوع. والموضوع إنّما هو من حيث الماهيّة عين ما هي الحركة، فالحركة إنّما هي انبساط اللّحظات وتباينها، وأمّا الموضوع فهو كون عين اللّحظات تحصّل مجمّعة (Das Zusammengefaßtsein). والكلّي بما هو مبدأ إنّما هو بالنسبة إلينا أو في ذاته الماهيّة التي للإدراك الحسّي؛ والطرفان المتباينان، أي المدرّك والمدرّك حسّيّاً، إنّما هما حيال هذا التجريد اللاماهويّ. لكن في واقع الأمر كلاهما

ماهوريان<sup>(1)</sup> بما أنّهما ذاتهما الكلّي أو الماهيّة، أمّا من جهة أنّهما يرتبطان الواحد منهما بالآخر كمتضادّين، فلا يمكن أن يكون الجوهريّ في الرابطة إلاّ واحد منهما، فلا بدّ للفرق بين الماهويّ وبين اللاماهويّ أن يتوزّع بينهما؛ فأحدهما إذ يتقيّد بما هو البسيط والموضوع إنّما هو الماهيّة، وسيان عنده أن يدرك أو لا يدرك؛ وأمّا فعل الإدراك من جهة ما هو حركة فإنّما هو المتقلّب الذي كان يكون وكان لا يكون، وهو اللاماهويّ.

ينبغي أن يُقيّد هذا الموضوع الآن على التدقيق، وأن يُبسّط هذا التقيّد انطلاقاً من النتيجة التي بانّت بسطاً موجزاً، فليس هذا بموضع التوسّع في البسط ما دام المبدأ الذي لهذا الموضوع، الكلّي، [80] موسوطاً في بسطاته، فلا بدّ له أن يعبر في داخله عن ذلك تعبيره عن طبيعته؛ فيظهر من خلال ذلك كالشيء ذي الخاصّيات المتكرّرة. وثناء المعرفة الحسيّة إنّما ينتمي إلى الإدراك الحسيّ، لا إلى الإيقان الذي في - الحال حيث لم يكن هذا الشراء سوى الذي يدوّل حذاء الممثل عليه<sup>(2)</sup>، لأنّ الإدراك الحسيّ وحده ينطوي في ماهيته على النفي والاختلاف أو التتوّع.

[I. المفهوم البسيط للشيء] - إنّ هذا يوضّع إذاً كلا هذا، أو كمنسوخ؛ فلا يكون عندئذ لئساً بعامة، بل هو ليس معيّن، أو ليس مضمون ما، ولا سيّما ليس هذا. والمحسوس ذاته ما زال من هذا الوجه حاضراً، لكن لا كما كان ينبغي أن يكون في الإيقان الذي في - الحال، أي كمفرد يتظنّن به، بل ككلّي، أو كالذي سيتعيّن كخاصيّة. وفعل النسخ إنّما يعرض دلّته الصادقة المضاعفة التي كُنّا رأيناها في ما يخصّ السالب<sup>(3)</sup>؛ فهو في

(1) على معنى جوهريان أيضاً.

(2) Das Beiherspielende، انظر: الإيقان الحسيّ، الهامش رقم (1) ص 192

من هذا الكتاب.

(3) فارن: المقدّمة، صُدّر ص 179 وص 185-186 من هذا الكتاب.

الوقت ذاته نفياً وحفظاً؛ فالليس من جهة ما هو ليس الهدا، إنما يحفظ الحالّيّة ويكون هو نفسه محسوساً، لكنّها حالّيّة كليّة. - لكن الكينونة كليّة من حيث ينطوي على التوسيط أو السالب، فإذا ما عبرت الكينونة عن ذلك في حالتها، كانت خاصيّة متعيّنة ومختلفة. وحينئذ توضع في الوقت ذاته خاصّيات كثيرة من هذا الجنس، تكون الواحدة منها السالبة للأخرى. وما دامت عبارة هذه التعيّنيّات - التي لا تكون على الحصر خاصّياتٍ إلّا بمعّية تعيين لاحقٍ ينضاف إليها - تكون في البساطة التي للكليّة، فهذه التعيّنيّات إنّما ترتبط بذاتها رأساً، فتكون الواحدة منها سيّانيّة حيال الأخرى، وتكون كلّ منها لذاتها، وفي حلّ من (Frei von) الأخرى. ولكنّ الحالّيّة البسيطة والمساوية لذاتها نفسها إنّما تختلف، وتكون من جديد في حلّ من هذه التعيّنيّات التي لها؛ فإنّما هي فعل الارتباط بالذات المحض، أو الوسط حيث تكون هذه التعيّنيّات جميعاً، وتتنافذ فيها إذاً كأن في وحدة بسيطة، لكن من دون أن تتماس، لأنّها تكون على التدقيق بمعّية الشركة في هذه الكليّة سيّانيّة لذاتها. - وهذا الوسط الكليّ المجرد الذي يمكن أن نسمّيه الشئيّة بالجملة أو الماهيّة المحض، ليس سوى الهنا والآن كما بانا، لاسيّما كجمع بسيط لمتكثّرات، لكنّ المتكثّرات نفسها إنّما تكون في تعينيّتها كليّات بسيطة؛ فهذا الملح هو [81] هنا بسيط، وهو في الوقت ذاته متكثّر الوجوه؛ فهو أبيض، وهو أيضاً ذو طعم قاطع، وهو أيضاً ذو شكل مكعب، وهو أيضاً ذو وزنٍ محدّد، إلخ... وكلّ هذه الخاصّيات إنّما تكون في هنا بسيط واحدٍ حيث تتنافذ إذاً؛ فما من خاصيّة منها يكون لها هنا مغايرٌ للأخرى، بل كلّ واحدة إنّما تكون من كلّ النواحي في عين الهنا حيث تكون الأخرى؛ وهي في الوقت ذاته لا يتأثر بعضها ببعض في هذا التنافذ من غير أن تكون مفصولةً بهنّاتٍ مختلفة؛ فلا الأبيض يؤثّر أو يغيّر المكعب، ولا كلاهما يؤثّران أو يغيّران



الطعم، وهلمّ جرّاً؛ لكن ما دامت كلّ خاصية فعلَ أرْتباطِ بسيطٍ بنفسِها، فهي إنّما تترك الأخرى وشأنها فلا ترتبط بها إلا عبر «الأيضاً» السيّانية. وعليه فهذه «الأيضاً» إنّما هي الكلّيّ المحض نفسه، أو هي الوسط، الشبثيّة التي تجمع بهذا الوجه كلّ الخاصيات.

لم يُشاهد ويُشرحُ أولاً في هذه العلاقة التي حصلت سوى الطابع الذي للكلّيّة الموجبة؛ ومع ذلك ثمة وجهٌ ما انفكّ يعرض لا بدّ أيضاً من احتسابه، لاسيّما أنّه إذا كانت الخاصيات المتكثّرة والمُتعيّنة سيّانيةً على الإطلاق فلا ترتبط كلّ منها إلا بنفسِها، فهي ما كانت لتكون متعيّنة؛ لأنّها ليست متعيّنة إلا من حيث تباين، فترتبط بغيرها من الخاصيات من جهة ما هي متضادّة. ولكن لا يمكنها وفقّ هذا التضادّ أن تكون مجتمعةً في الوحدة البسيطة التي لوسطها، وهي الوحدة التي تكون لها جوهرية بقدر ما يكون لها النفيّ جوهرياً؛ وعليه فالمباينة بين عين الخاصيات ما دامت ليست مباينةً سيّانيةً، بل مباينةً طرّح تنفيّ مغايراً، إنّما تقع خارج هذا الوسط البسيط؛ فلذلك ليس هذا الوسط «أيضاً» وحسب، أو وحدةً سيّانيةً، بل هو كذلك واحدٌ، وحدةً طارحةً. - فالواحد إنّما هو اللحظة التي للنفي كما يرتبط هو ذاته بنفسه على نحو بسيطٍ فيطرّح المغاير؛ والشبثيّة في ذلك إنّما تقيّد من جهة ما هي شيءٌ. ذلك أنّه في الخاصية يكون النفيّ كتعيّنة تكون في - الحال واحداً والحاليّة التي للكينونة، وهذه الحاليّة إنّما تكون الكلّيّة بمعية هذه الوحدة مع النفي؛ لكنّ النفيّ كواحدٍ إنّما يكون كما هو متحرّراً من هذه الوحدة مع الضدّ، أي كما هو في ذاته ولذاته.

إنّ الشيء من جهة ما هو الحقّ الذي للإدراك الحسيّ - وإذا كان لا بدّ من شرح ذلك في هذا الموضع - إنّما يُستكمل في هذه اللحظات مجتمعةً؛ فالشيء إنّما هو أ) الكلّيّة الطيعيّة السيّانية، «الأيضاً» التي لخاصيات متكثّرة، أو في الأكثر التي لموادّ

[82]

متكثرة، ب) والنفي من جهة ما هو كذلك بسيط، أو الواحد، فعل طرَح الخاصيات المتضادة، ج) والخاصيات المتكثرة نفسها، العلاقة ما بين اللَّحظتين الأوليين، والنفي من الوجه الذي يرتبط على نحوه بالعنصر السيَّاني، فينبسط في ذلك ككثرة من الفروق، النقطة التي للتفرُّد المشعة كثرة في الوسط الذي للقوام. وأما من الوجه الذي تنتمي وفقه هذه الفروق إلى الوسط السيَّاني، فإنما هي نفسها كليَّة، لا ترتبط إلا بنفسها، فلا يؤثر بعضها في بعض؛ وأما من الوجه الذي تنتمي وفقه إلى الوحدة السالبة، فإنما هي في الحين ذاته طارحة؛ لكن تكون لها هذه الرابطة المتضادة بالضرورة في الخاصيات التي تكون متنائية عن الأيض التي لها؛ فالكليَّة المحسوسة، أو الوحدة التي في - الحال بين الكينونة وبين السلبِي إنما تكون أولاً خاصية من حيث ينمو الواحد والكليَّة المحض ابتداءً منها فيتمايزان، ومن حيث تقرن تلك الكليَّة بين هذين فتقايس<sup>(4)</sup> الواحد منها بالآخر؛ فهذا الارتباط الذي لعين الكليَّة المحسوسة باللحظات الماهوية الخالصة هو الذي يستوفي أولاً الشيء.

[II. الإدراك المتناقض للشيء] - كذا تكون الآن صفة الشيء الذي للإدراك الحسي؛ والوعي إنما يُعيَّن كالذي يُدرك من حيث إن هذا الشيء موضوعه؛ فليس له إلا أن يلتقطه، ويسلك مسلك الإحاطة المحض (Als reines Auffassen)؛ والذي يحصل له أثناء ذلك إنما هو الحق. ولو كان الوعي نفسه يفعل شيئاً عند هذا الالتقاط لكان بدل الحقيقة بمثل هذه الإضافة أو هذا الإسقاط. وما دام الموضوع هو الحق والكلي والمساوي لنفسه، في حين أن الوعي هو المتبدل واللاماهوي، فإنه قد يحصل له أن

(4) Miteinander zusammenschließen، قارن الطرفين، ولكن على معنى

مقايستهما أيضاً.

يُحِيطُ بِالمَوْضُوعِ مِنْ وَجْهِ الغَلَطِ فَيَتَوَهَّمُ مِنْ نَفْسِهِ. وَالمُدْرِكُ إِنَّمَا يَكُونُ لَهُ الوَعْيُ بِإِمْكَانِ الوَهْمِ؛ لِأَنَّ الكَيِّنُونَ المَغَايِرَةَ ذَاتَهَا إِنَّمَا تَكُونُ لَهُ فِي - الحَالِ فِي الكَلِّيَّةِ الَّتِي هِيَ المَبْدَأُ، لَكِنْ تَكُونُ لَهُ كَالْمَتَلَيِّسِ وَالمَنْسُوخِ؛ فَلِذَلِكَ مَعْيَارُ الحَقِيقَةِ الَّتِي لِهَذَا المُدْرِكِ إِنَّمَا هُوَ التَّسَاوِي الذَّاتِي (Die Sichselbstgleichheit)، وَمَسْلُكُهُ إِنَّمَا هُوَ أَنْ يُحِيطَ مِنْ جِهَةٍ مَا هُوَ مَعَادِلٌ لِنَفْسِهِ. وَلَمَّا كَانَ هَذَا المُدْرِكُ يَحْصُلُ فِي الوَقْتِ نَفْسَهُ المَتَنَوِّعَ، فَإِنَّمَا هُوَ رِبْطُ اللَّحْظَاتِ المَتَنَوِّعَةِ الَّتِي لِإِحْاطَتِهِ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ؛ أَمَّا إِذَا نَجْمَ فِي هَذِهِ المَقَارِنَةِ تَفَاوُتٌ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِلِاحْقِيقَةِ المَوْضُوعِ، لِأَنَّ المَوْضُوعَ إِنَّمَا هُوَ المَسَاوِي لِنَفْسِهِ، بَلْ ذَلِكَ هُوَ لِاحْقِيقَةُ الدَّرْكِ الحَسِّيِّ<sup>(5)</sup>.

فَلِنَنْظُرِ الآنَ أَيَّ تَجْرِبَةٍ يَأْتِيهَا الوَعْيُ فِي الدَّرْكِ الحَسِّيِّ الحَاقِ الَّذِي لَهُ. وَهَذِهِ التَّجْرِبَةُ إِنَّمَا هِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا مَتَضَمِّنَةٌ بَعْدُ فِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ رِبْوٍ لِمَوْضُوعٍ وَمَسْلِكِ الوَعْيِ حَيَالَهُ؛ وَلَنْ تَكُونَ إِلَّا إِرْبَاءً لِلتَّنَاقُضَاتِ المَائِثَةِ هَاهُنَا. - فَالمَوْضُوعُ الَّذِي أَلْتَقَطَهُ إِنَّمَا يَعْضُرُ كَوَاحِدٍ صَرَفٍ؛ وَزَائِدًا إِلَى ذَلِكَ أَلِاحِظُ فِيهِ الخَاصِيَّةَ الَّتِي تَكُونُ كَلِّيَّةً وَتَجَاوِزُ بِذَلِكَ التَّفَرُّدَ. وَعَلَيْهِ فَالْكَيِّنُونَ الأُولَى الَّتِي لِلْمَاهِيَّةِ المَوْضُوعِيَّةِ بِمَا هِيَ وَاحِدٌ لَمْ تَكُنْ كَيِّنُونَتَهَا الحَقِّ؛ وَمَا دَامَ المَوْضُوعُ هُوَ الحَقِّ، فَإِنَّ اللِّاحْقِيقَةَ إِنَّمَا تَقَعُ عِنْدِي؛ فَالإِحْاطَةُ لَمْ تَكُنْ صَائِبَةً. وَيَتَحْتَمُّ عَلَيَّ بِسَبَبِ الكَلِّيَّةِ الَّتِي لِلخَاصِيَّةِ أَنْ أَلْتَقِطَ المَاهِيَّةَ المَوْضُوعِيَّةَ فِي الأَكْثَرِ كَشْرِكَةٍ بِالجَمْلَةِ. وَهَا أَنَا الآنَ أَدْرِكُ بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، الخَاصِيَّةَ كَمَتَعِينَةٍ وَمَتَضَادَّةً مَعَ خَاصِيَّاتِ مَغَايِرَةِ وَطَارِحَةٍ لَهَا. وَعَلَيْهِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِيطُ بِالفِعْلِ بِالمَاهِيَّةِ المَوْضُوعِيَّةِ عَلَى نَحْوِ صَائِبٍ لَمَّا كُنْتُ أَعْيِنُهَا كَشْرِكَةٍ مَعَ أُخْرَى أَوْ مِنْ جِهَةٍ مَا هِيَ الِاتِّصَالُ؛ وَيَلْزَمُنِي فِي الأَكْثَرِ، بِسَبَبِ التَّعْيِينِيَّةِ الَّتِي لِلخَاصِيَّةِ، أَنْ أَفْصَمَ الِاتِّصَالَ، فَأَضَعُ هَذِهِ المَاهِيَّةَ عَلَى أَنَّهَا وَاحِدٌ طَارِحٌ.

(5) Des Wahrnehmens، أي فعل الإدراك الحسي خاصة.

وإني أجدُ في الواحد المنفصل كثيراً من مثل هذه الخاصيات التي لا يؤثر بعضها في بعض، بل تكون سيّانتيّةً بعضها حيال بعض؛ إذ لم أكن أدرك الموضوع إدراكاً صائباً، لما كنت أحيط به من جهة ما هو طارحٌ، فإنّما هو الآن - كما كان من قبل اتّصلاً بالجملة وحسب - وسطُ شركةٍ كليّ، أين تكون خاصياتٌ متكرّرة ككلياتٍ محسوسة، فتكون كلّ خاصيّةٍ لنفسها، فتطرُحُ من جهة ما هي متعيّنة الخاصيات المغايرة. إلا أنّ البسيط والحق اللذين أدرك لهما أيضاً وسطاً كليّاً، بل هما الخاصيّة الفردية لذاتها التي ليست من هذا الوجه لا خاصيّة ولا كينونة متعيّنة، لأنّها الآن ليست لا في واحدٍ ولا في الصلة بمغاير. ولكنّها ليست بخاصيّةٍ إلا عند الواحد، ولا بمتعيّنةٍ إلا في الصلة بمغاير؛ فهي إنّما تظلُّ من جهة ما هي هذا التعلّق المحض بنفسها مجردة كينونة محسوسة بعامةٍ، ما دام قد أرتفع عنها طابع السالبة؛ والوعي [84] الذي تكون عنده الآن كينونة محسوسة إنّما هو التظنُّ، أي إنّه يكون خارج الدرك تماماً فيؤوبُ إلى نفسه. غير أنّ الكينونة المحسوسة والتظنُّ إنّما يمرّان إلى الدرك؛ إنّهُ يُلقي بي إلى نقطة الابتداء، فأقحم من جديد في عين الدور الذي ينتسخ من نفسه في كلّ لحظةٍ وكلّ.

إنّ الوعي يجتابُ إذا بالضرورة هذا الدور من جديد، لكنّ في ذات الحين ليس على النحو الذي للمرّة الأولى؛ ولاسيّما أنّه قد أتى في الدرك الحسيّ تجربة أنّ الحاصل والحق اللذين لعين الدرك إنّما هما تحلّله، أو تفكّره] في نفسه انطلاقاً من الحق. عندئذ يكون تعيّن للوعي بأيّ صفةٍ يكون دركُه الحسيّ بالجوهر، أعني أنّه ليس إحاطةً بسيطةً وصرفاً، بل كونه - في الوقت ذاته - في دركه متفكراً في نفسه انطلاقاً من الحق وخارجة. وهذه الأوبة التي للوعي إلى نفسه والتي تختلطُ في - الحال بالإحاطة الصرفة - ذلك أنّه بان أنّها تكون للدرك الحسيّ بالجوهر - إنّما تبدّل الحق.

فالوعي إنّما يعترف هذا الوجه كآته في الوقت ذاته وجهه، فيأخذ به، إذ سيحفظ بواسطته الموضوع الصادق خالصاً. - حينئذ يمثّل في الدّرك الحسيّ - كما كان حدث عند الإيقان الحسيّ - الوجه الذي يكون الوعي وفقه مكبوتاً في جوفه، لكن في أوّل الأمر لا على معنى الحال الذي كان عند الإيقان الحسيّ، كأنّ حقيقة الدّرك كانت تقع فيه، بل الوعي إنّما يقرُّ بأنّ اللاحقيقة التي تحصل تقع فيه. غير أنّ الوعي يكون قادراً عبر هذه المعرفة على نسخ تلك اللاحقيقة؛ فهو يمايز بين إحاطته بالحقّ وبين للاحقيقة دركّه الحسيّ، ويصوّب هذه اللاحقيقة؛ وما دام الوعي ذاته يتحمّل هذا التصويب، فإنّ الحقيقة من جهة ما هي حقيقة الدّرك إنّما تقع بلا ريب ضمنّ عين الوعي. وعليه فمسلك الوعي الذي ينبغي تفحصه مذاك إنّما يكون على هيئة أنّ الوعي لم يعد يدرك مجرد إدراك حسيّ، بل هو أيضاً واع بتفكره في ذاته، فيفصل هذا التفكر عن إحاطته البسيطة نفسها.

إني أتحقّق إذا الشيء (Werde des Dings gewahr) أولاً من جهة أنّه واحد، وينبغي أن أرسّحه في هذا التعيّن الحقّ؛ ومتى صادف في الحركة التي للدّرك الحسيّ شيء ما مناقض [85] لذلك، ينبغي أن يُعرف ذلك أنّه تفكّري. وما يحدث حينئذ في الإدراك الحسيّ إنّما هو أيضاً خاصّيات متنوّعة تظهر على أنّها خاصّيات الشيء؛ إلا أنّ الشيء واحد، ونحن واعون بصدد هذا التنوّع الذي يكفّ فيه الشيء عن كونه واحداً أنّه<sup>(6)</sup> إنّما يقع فينا. وعليه فهذا الشيء ليس أبيض بالفعل إلاّ بالإضافة إلى أعيننا، وكذلك كونه ذا طعم قاطع بالإضافة إلى لساننا، وأيضاً كونه مكعباً بالإضافة إلى ملمسنا، وهلمّ جرّاً. وكلّ التنوّع الذي لهذه الجوانب لا نلتقطه من الشيء، بل نلتقطه منا؛ وهذه الجوانب إنّما

(6) يعني التنوّع.

تقع لنا منفصلة بعضها عن بعض، فتقع في العين متباينة عن وقوعها في اللسان، إلخ. ونحن بذلك إنما نكون الوسط الكلّي أين تفرّد مثل تلك اللحظات، فتكون كلّ لحظة لذاتها. ونحن من جهة آتاً نعتبر التعيّن الممتلئة في كوننا وسطاً كلياً كالتفكر الذي لنا، إنما نحفظ إذاً التساوي الذاتي والحقيقة اللذين للشيء، أي نحفظ كونه واحداً.

لكن هذه الجوانب المتنوعة التي يأخذها الوعي على عاتقه إنما تكون - إذا ما أُعْتَبِرَ كلُّ جانب لذاته كموجودٍ في الوسط الكلّي - متعيّنة؛ فالأبيض إنما لا يكون إلا في التضادّ مع الأسود، وهكذا دواليك، والشيء إنما هو واحدٌ مباشرةً من حيث إنّه يتضادّ مع أشياء مغايرة. ولكنّ الشيء مع ذلك لا يطرحُ الأشياء المغايرة من جهة ما هو واحدٌ؛ لأنّ الكونَ واحداً إنما هو الارتباط الكلّي بالذات، والشيء من حيث هو واحدٌ إنما هو في الأكثر مساوٍ للأشياء جميعها؛ لكنّه إنما يطرحُها بمعيّة التعيّن. وعليه فالأشياء ذاتها إنما تكون متعيّنة في ذاتها ولذاتها، فتكون لها خاصيّاتٌ تتباينُ بها عن غيرها. وما دامت الخاصيّة خصيصاً الشيء، أو ما دامت تعيّنٌ عند الشيء نفسه، فإنّ الشيء تكون له خاصيّاتٌ عديدة؛ فأولاً لأنّ الشيء إنما هو الحقُّ، فهو الذي برأيه؛ والذي يكون فيه إنما يكون فيه كماهيته الخاصّة، فلا يكون فيه بسبب غيره من الأشياء؛ إذاً - ثانياً - لا تكون الخاصيّاتُ المتعيّنة بسبب الأشياء المغايرة، ولأجل الأشياء المغايرة، بل تكون فيه في حدّ ذاته؛ لكنّها تكون خاصيّاتٍ متعيّنة في الشيء في حدّ ذاته ما كانت متعدّدة يخالف بعضها بعضاً؛ وما دامت - ثالثاً - كذلك في الشئيّة، فإنّما تكون في ذاتها ولذاتها، وسياتيّ بعضها حيال بعض. وعليه فالشيء نفسه هو الذي يكون على الحقيقة أبيضٌ وأيضاً مكعباً، وأيضاً ذا طعم <sup>36]</sup> قاطعٍ وما إليه؛ أو الشيء إنما هو الأيضاً، أو هو الوسط الكلّي

أين تلبث الخاصيات المتكثرة بعضها خارج بعض، من دون أن تماسّ وتنتسخ؛ فإذا ما أخذ الشيء من هذا الوجه سيؤخذ مأخذ الحق.

إلا أن الوعي في هذا الدرك الحسي يكون في الوقت نفسه واعياً بأنه أيضاً يتفكر في ذاته، وبأنه في الدرك الحسي إنما تحصل اللحظة المتضادة مع الأيضاً. أما هذه اللحظة فهي وحدة الشيء مع نفسه التي تطرح عنها الاختلاف. وعليه فإنما هي ما ينبغي للوعي أن يأخذه على عاتقه، لأن الشيء نفسه إنما هو دوام الخاصيات القائمة برأسها والمتباينة والمتنوعة. فيقال إذاً في الشيء إنه أبيض، وإنه أيضاً مكعب، وإنه أيضاً ذو طعم قاطع وهلم جراً. ولكنه من جهة ما هو أبيض، لا يكون مكعباً، ومن جهة ما هو مكعب وأبيض أيضاً لا يكون ذا طعم قاطع، وهكذا دواليك. هذا الوضع في واحدٍ لهذه الخاصيات إنما يرجع إلى الوعي وحسب؛ فلذلك ينبغي للوعي ألا يترك الخاصيات تقع في واحد في الشيء. والوعي إنما يقحم في الختام «المن جهة ما هو (Das Insofern)» التي بها يثبت الخاصيات بعضها خارج بعض والشيء كالأيضاً. وإنه لمن الحق بخاصية أن يأخذ الوعي على عاتقه الكون واحداً (Das Einssein) أولاً على نحو أن ما كان سمي خاصيةً يتصور كماءة حرّة. والشيء إنما يُرفع على هذا النحو إلى الأيضاً الصادق من حيث هو<sup>(7)</sup> مجموعة مواد، وبدل أن يكون الشيء واحداً، فإنه يصير إلى سطح بسيط محيط.

فإذا رجعنا بالنظر إلى الذي كان الوعي أخذه على عاتقه من قبل والذي يأخذه الآن على عاتقه، كما إلى ما كان أسنده إلى الشيء وإلى ما يُسند إليه الآن، لبأن أن الوعي يجعل على نحو التعاقب من نفسه كما من الشيء أيضاً هذين الأمرين جميعاً:

(7) يقصد الشيء.

أعني الواحد المحض العري من التكثر، كما الأيضاً المتحلل في مواد قائمة برأسها. وعليه فالوعي إنما يكتشف بواسطة هذه المقارنة أن تناوله للحق ليس هو فقط الذي ينطوي في حد ذاته على تنوع الإحاطة كما الإياب إلى الذات، بل إن الحق نفسه، الشيء، هو الذي يظهر في الأكثر على نحو مضاعف. عندئذ تمثل التجربة التي يعرض الشيء وفتحها للوعي الملم به عرضاً يكون على نحو مقيّد، لكن الشيء في الوقت ذاته وانطلاقاً من النحو الذي يعرض وفقه إنما يكون منعكساً إلى الخارج ومنعكساً في ذاته، أو تكون له في حد ذاته حقيقة متضادة.

[III. الحركة قبل الكليّة اللامشروطة وملكوتِ الذهن] - إذا

الوعي ذاته إنما قد خرج أيضاً على هذا النحو الثاني من المسلك في الدّرك الحسيّ، لاسيّما خروجه عن أخذ الشيء مأخذ المتساوي الحق مع ذاته، وأخذ الذات مأخذ اللامتساوي، ومأخذ الآيب إلى ذاته من التساوي وخارجة؛ فالموضوع إنما يكون الآن بالنسبة إلى الوعي هذه الحركة الكاملة التي كانت من قبل متقاسمة بين الموضوع وبين الوعي. إن الشيء واحد، ومنعكس في ذاته؛ إنه لذاته، لكنه يكون أيضاً لآخر؛ وبحق ما يكون الشيء لذاته آخر غير كونه لآخر (Zwar ist es ein anderes für sich, als es für anderes ist).

فالشئ بهذا النحو إنما يكون لذاته، ويكون أيضاً لآخر، فهو كينونة متنوّعة مضاعفة؛ لكنه أيضاً واحد؛ إلا أن الكون واحداً يناقض هذا التنوّع الذي للشئ؛ وبذلك لم يكن بدّ من أن يأخذ الوعي من جديد على عاتقه هذا الوضع في واحد (Ineinssetzen) ويثبته بعيداً عن الشيء؛ فوجب عليه إذاً أن يقول إن الشيء من جهة ما هو لذاته لا يكون لآخر. غير أن الكون واحداً إنما يرجع إلى الشيء ذاته، كما تعنى الوعي ذلك؛ فالشيء إنما يكون بالجواهر منعكساً في ذاته. وعليه فالأيضاً، أو الاختلاف السياني، إنما يقع فعلاً في الشيء مثلما يقع فيه الكون واحداً؛ لكن لما



كان هذا وذاك<sup>(8)</sup> متنوعين، فإنّ ذلك<sup>(9)</sup> لا يقع في عين الشيء، بل يقع في أشياء متنوّعة؛ والتناقض الذي يكون بالجملة في الماهية الموضوعية إنّما ينقسم إلى موضوعين. وعليه فالشيء يكون حقاً في ذاته ولذاته ومتساوياً مع ذاته؛ لكنّ هذه الوحدة مع الذات إنّما تُشوّش بأشياء مغايرة؛ كذا تُحفظ الوحدة التي للشيء، فيُحفظ كذلك في الوقت نفسه الكون المغاير خارج الشيء، كما خارج الوعي.

رغم أنّ التناقض الذي للماهية الموضوعية قد قُسم على هذا النحو بين أشياء متنوّعة، فإنّ الاختلاف سيحصل لا محالة لهذه العلة للشيء الفرديّ والفارديّ (Abgesonderte einzelne Ding) ذاته. والأشياء المتنوّعة تكون إذأً موضوعاً لذاتها؛ والتعارض إنّما يقع فيها على نحو متبادل، فلا يكون كلّ شيء منها مختلفاً عن نفسه، بل لا يختلف إلّا عن الأشياء الأخرى؛ لكنّ بذلك يكون كلّ شيء منها هو نفسه متعيّناً من حيث هو مختلف، فينطوي في حدّ ذاته على الاختلاف الجوهريّ عن الأشياء الأخرى؛ لكن في الوقت نفسه لا يكون ذلك من وجه أنّ تضاداً ما كان يكون حصل في الشيء في حدّ ذاته، بل الشيء لذاته إنّما هو تعينيّة بسيطة [88] تكون الطابع الماهويّ الذي للشيء فيميّزه من غيره؛ وبحقّ ما يكون التنوّع - ما دام في الشيء - واجباً بالفعل فيه كأختلافٍ حاقّ ذي هيئة متباينة؛ لكنّ لما كانت التعينيّة هي التي تكون ماهية الشيء، فيختلف بذلك عن الأشياء الأخرى ويكون لذاته، فإنّ تلك الهيئة المتباينة الأخرى إنّما تكون اللاماهويّة. عندئذ يكون للشيء فعلاً في حدّ ذاته وفي الوحدة التي له «المن جهة ما هو» المضاعف، لكن مع قيمة لامتساوية؛ بذلك لا يصير هذا الكون

(8) يعني لحظة الأيضاً أو الاختلاف السيّانيّ ولحظة الكون - واحداً.

(9) يعني لحظة الأيضاً أو الاختلاف السيّانيّ.

متضاداً إذاً إلى التضادّ الحاقّ الذي للشيء نفسه، لكن من جهة أنّ الشيء ينتهي إلى التضادّ بمعنيّة اختلافه المطلق، فإنّه يكون له التضادّ إزاء شيء آخر خارجّه. أمّا التباينُ الآخر فهو أيضاً وبلا ريب واجبٌ في الشيء، على نحو أنّ ذلك التباين لا يمكنه أن يلبث بعيداً عن الشيء، لكنّه يكون للشيء لاما هوياً.

هذه التعيّنات التي تكوّن الطابع الماهويّ للشيء فتميّزه من سائر الأشياء الأخرى، إنّما تُحدّد الآن على نحو أنّ الشيء يكون بذلك في تقابل مع الأشياء الأخرى، إلّا أنّه ينبغي له في ذلك أن يحفظ نفسه لذاته. ولكنّ الشيء لا يكون شيئاً، أو واحداً كائناً لذاته، إلّا من جهة أنّه لا يقوم في هذه الإضافة إلى الغير؛ لأنّ الذي يوضّع في هذه الإضافة إنّما هو في الأكثر الاتّصال بالغير؛ والاتّصال بالغير إنّما هو الانقطاع عن الكون لذاته. والشيء إنّما يرتبط بالغير مباشرةً من خلال الطابع المطلق وتضادّه، فيكون بالجواهر هذا الارتباط وحسب؛ لكنّ الارتباط نفياً لقيامه الذاتيّ، والشيء إنّما يستغرق في الأكثر بمعنيّة خاصيّته الماهوية في الغور<sup>(10)</sup>.

أمّا لزوم التجربة في نظر الوعي، أعني التي بموجبها يستغرق الشيء في الغور - وعلى التدقيق - عبر التعيّنات التي تكوّن ماهيّته وكيّنونته لذاته، فإنّما يمكن تفحصه بإيجاز بحسب المفهوم البسيط على النحو التالي. إنّ الشيء يوضّع ككونٍ لذاته، أو كنفى مطلقٍ لكلّ كونٍ مغاير، إذاً نفياً مطلقاً لا يتصل إلّا بنفسه؛ لكنّ النفي المتّصل بذاته نفسها إنّما هو نسخٌ لذاته، أو كون ماهيّته تكون له في آخر.

إنّ التعيّن الذي للموضوع كما عرض لا ينطوي بالفعل على

(10) Zu Grunde gehen، على معنى الفوات في الهاوية والغور.

غير ذلك؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْتَمَلَ الْمَوْضُوعُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَلَى خَاصِيَّةٍ مَاهُويَّةٍ تُقِيمُ كَيْنُونَتَهُ لِدَاثِهِ الْبَسِيطَةَ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَيْضاً أَنْ يَتَضَمَّنَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ ضَمْنَ هَذِهِ الْبَسَاطَةِ التَّنَوُّعَ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ بِلَا رَيْبٍ، لَكِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَمَثَلَ التَّعَيِّنِيَّةَ الْمَاهُويَّةَ. لَكِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَبَايِنَةٌ لَا تَقَعُ بَعْدُ إِلَّا فِي الْأَلْفَاظِ؛ فَالْلامَاهُويُّ الَّذِي يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ ضَرْوَرِيّاً فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ إِنَّمَا يَنْتَسِخُ، أَوْ يَكُونُ الَّذِي سُمِّيَ لِلتَّوْنَفِي الذَّاتِ.

عندئذٍ تَسْقُطُ الـ «من جهة ما هو» الأَخِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ تَفْصَلُ مَا بَيْنَ الْكُونِ لِدَاثِهِ وَبَيْنَ الْكُونِ لِأَخَرٍ؛ فَالْمَوْضُوعُ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَحْرَى وَمِنْ عَيْنِ زَاوِيَةِ النَّظَرِ الْوَاحِدَةِ ضِدُّ نَفْسِهِ؛ إِنَّهُ لِدَاثِهِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَكُونُ لغيره، وَهُوَ لغيره مِنْ جِهَةٍ مَا يَكُونُ لِدَاثِهِ. إِنَّهُ لِدَاثِهِ، وَمَنْعَكُسٌ فِي ذَاتِهِ وَوَاحِدٌ؛ لَكِنْ هَذَا الْكُونُ لِدَاثِهِ وَكُونُهُ مَنْعَكُساً فِي ذَاتِهِ وَوَاحِداً إِنَّمَا يَوْضَعَانِ فِي وَاحِدَةٍ مَعَ ضِدِّهِمَا، أَي مَعَ الْكُونِ لغيره؛ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ إِنَّمَا يَوْضَعُ كَمَنْسُوحٍ وَحَسَبٍ؛ أَوْ هَذَا الْكُونُ لِدَاثِهِ إِنَّمَا يَكُونُ لِمَاهُويّاً بِقَدْرِ مَا يَكُونُهُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْلامَاهُويُّ، لِاسْتِمَا الْارْتِبَاظُ بِالْغَيْرِ.

فَالْمَوْضُوعُ عِبْرَ تَعَيِّنِيَّاتِهِ الْمَحْضِ أَوْ فِي التَّعَيِّنِيَّاتِ الَّتِي كَانَتْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُ أَيْسِيَّتَهُ (Seine Wesenheit) إِنَّمَا يُنْسَخُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، بِقَدْرِ مَا كَانَتْ تَصَيَّرُ مَنْسُوحاً فِي كَيْنُونَتِهِ الْمَحْسُوسَةِ؛ فَهُوَ إِنَّمَا يُصْبِحُ كَلِّيّاً ابْتِدَاءً مِنْ كَيْنُونَتِهِ الْمَحْسُوسَةِ؛ لَكِنَّ هَذَا الْكَلِّيَّ إِذْ يَتَأْتِي مِنَ الْمَحْسُوسِ إِنَّمَا يَكُونُ مَشْرُوطاً بِعَيْنِ الْمَحْسُوسِ، فَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْإِطْلَاقِ الْكَلِّيَّةَ الصَّادِقَةَ الْمَتَسَاوِيَةَ مَعَ نَفْسِهَا، بَلِ الْكَلِّيَّةَ الْمَشُوبَ بِضِدِّ الَّتِي تَنْفَصِمُ إِلَى نَقِضِي الْفَرْدِيَّةِ وَالْكَلِّيَّةِ، وَنَقِضِي الْوَاحِدِ الَّذِي لِلْخَاصِيَّاتِ وَالْأَيْضاً الَّذِي لِلْمَوَادِّ الْحَرَّةِ. وَهَذِهِ التَّعَيِّنِيَّاتُ الْمَحْضِ إِنَّمَا تَظْهَرُ عَلَى أَنَّهَا تَعْبَرُ عَنِ الْاَيْسِيَّةِ نَفْسِهَا، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا كَوْناً لِدَاثِهِ مَشُوباً بِالْكَوْنِ لغيره؛ لَكِنْ مَا دَامَ الْكُونَانِ جَمِيعاً بِالْجَوْهَرِ فِي وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ الْكَلِّيَّةَ الْمَطْلُوقَةَ

واللامشروطة إنّما تمثّل حينئذٍ من هذا الوجه، والوعى إنّما يهله  
ها هنا بحقّ في ملكوت الذهن.

لا ريب إذا أنّ الفردية المحسوسة تزول في الحركة  
الديالكطيقية التي للإيقان الذي في - الحال، فتصير كليّة، لكنّها  
كليّة محسوسة وحسب. وأمّا التظنّ فقد زال، وأمّا الدرك الحسيّ  
فيلتقط الموضوع كيفما يكون في حدّ ذاته، أو يلتقطه بما هو [90]  
بالجملة كليّ؛ لذلك تنجم الفردية في الدرك الحسيّ بما هي فردية  
حقّ، أي بما هي كينونة الواحد في حدّ ذاته، أو كينونة متفكّرة  
في ذاتها. لكنّها ما زالت كينونة لذاتها مشروطةً يصادف أن  
تجاورها كينونة لذاتها أخرى، وكليّة متضادةً مع الفردية ومشروطةً  
بها؛ لكنّ هذين الطرفين المتناقضين ليسا متجاورين وحسب، بل  
يكونان في وحدة، أو - وهو الشيء نفسه - أنّ المشترك بينهما، بل  
الكينونة لذاتها، إنّما تكون بالجملة مشوباً بالتقابل، أي إنّها لا  
يكون في الوقت ذاته كينونةً لذاتها. أمّا السفسطة التي للدرك  
الحسيّ فإنّما تبغي إنقاذ هذه اللحظات من تناقضها وتلتمس  
ترسيخها عبر المباينة بين زوايا النظر وبواسطة «الأيضاً» وال«من  
جهة ما هو»، كما تبغي في الختام ألتقاط الحقّ بمعية المباينة بين  
اللاماهويّ وبين ماهية متضادةً معه؛ إلا أنّ هذه المهارب بدل أن  
تدفع الوهم عن الإحاطة، إنّما تظهر في الأكثر على أنّها هي ذاتها  
فاسدة (Nichtig)، والحقّ الذي ينبغي تحصيله بمعية هذا المنطق  
الذي للدرك الحسيّ إنّما يظهر وفق عين زاوية النظر الواحدة على  
أنّه الضدّ، ويظهر عندئذ على أنّه يشتمل على الكليّة العريّة من  
التعيين والتميز ماهيةً له.

تلك التجريدات الخاوية في الفردية والكليّة المتضادة معها،  
كما التي في الماهية التي توصل بلاماهويّ، والتي في لاماهويّ  
يكون مع ذلك واجباً، إنّما هي القوى التي يكون الذهن المدرك  
لعبها، وهو الذي يُسمّى عادةً بالذهن الإنسانيّ السليم؛ فهذا

الذهن الذي يعتبر نفسه الوعي الحقيقي (Reale) والشديد إنما هو في الدرك الحسيّ لعبةً تلك التجريدات وحسب؛ إن هو بالجملة الأفقر دائماً حيث يظنّ أنه الأثرى. وهو إذ تتقاذفه هذه الماهيات المتهافتة هنا وهناك إنما يرتمي من ذراع هذه إلى ذراع تلك؛ وإذ يجاهد بمعية السفسطة التي له في ترسيخها فيقرّ تارةً بالواحدة منها ثمّ طوراً آخر بالمتضادة معها تماماً، فيعاند الحقيقة، إنما يظنّ في الفلسفة أنها لا تشتغل إلاّ بأشياء الفكر. وإنها لتشتغل بالفعل أيضاً بتلك الأشياء، وتعرّفها ماهيات خالصة وأسطقات وقوى مطلقة؛ لكنها بذلك إنما تعرّفها في الوقت ذاته على التعيينية التي لها، فتكون لهذه العلة سيّدة عليها، في حين أنّ هذا الذهن المدرك إنما يأخذ تلك الماهيات مأخذ الحقّ، فتقذف به من غلظ إلى غلظ. وهو ذاته لا يبلغ الوعي بأن مثل هذه الأسيات البسيطة هي التي ترأس فيه، بل يظنّ أنه إنما يشتغل دوماً بمواد ومضامين متكتلة، مثله مثل الإيقان الحسيّ لا يعرف أنّ التجريد الخاوي الذي للكينونة المحض إنما هو ماهيته؛ والحال أنّ تلك الأسيات هي فعلاً التي يخطب الذهن بمعيّتها خبط عشواء في كلّ مادة وكلّ مضمون؛ إن هي إلاّ رباط ورياسة كلّ مادة وكلّ مضمون، فهي وحدها ما تمثّل ما يكون بالنسبة إلى الوعي المحسوس بما هو ماهية، وما يعينُ صلات الوعي بالمحسوس، والذي تجري فيه الحركة التي للدرك الحسيّ كما التي لحقّه. وهذا المجرى بما هو التعاقب الدائب لتعيين الحقّ ولنسخ ذلك التعيين، إنما يكون بخاصّة الحياة والسعي اليوميّين والدائميين اللذين للوعي الذي يدرك من وجهه حسيّ ويظنّ أنه يتحرّك داخل الحقيقة. والوعي إنما ينمو في ذلك إلى نتاج لا رادّ له، وهو النسخ المتساوي لتلك الأسيات أو التعيينات جميعاً، لكنّه يعي فقط في كلّ لحظة فردية بهذه التعيينية الواحدة كأنّ بالحقّ، ثمّ يعي بالمتضادّ من جديد. إنّه يرتاب فعلاً في الماهوية التي لتلك الأسيات، ويمرّ إلى السفسطة

[91]

عسى ينقذها من الخطر المحقق بها، فيقرّ الآن حقاً ما كان أقرّه مذّ لحظةٍ أنه اللاحقُ. أمّا حيالَ ما تنشُدُ طبيعة تلك الماهيات الكاذبة دفعَ ذلك الذهنَ إليه، أعني دفعَه إلى الجمعِ بين أفكار تلك الكلّيّة وتلك الفرديّة، وبين الأيضاً والواحد، وبين تلك الماهويّة التي لا بدّ أن توصل بلاماهويّة ولا ماهويّة تكون مع ذلك واجبةً، - أي جمع أفكار تلك اللاماهيات ونسخها بذلك، فإنّما يعاند ذلك الذهنُ بواسطة الاحتماء بالـ «من جهة ما هو» وزوايا النظر المتباينة، أو من حيث يأخذ على عاتقه واحدة من الأفكار حتّى يُفردَ الأخرى، فيحفظها على أنّها الصادقة؛ لكنّ الطبيعة التي لتلك التجريدات إنّما تجمع بينها في ذاتها ولذاتها، والذهن السليم إنّما يكون فريسةً لعين تلك التجريدات التي تشدّ وثاقه إلى دورها العاصِف. والذهن إذ يبتغي إكسابها الحقيقةً فيأخذ تارة على عاتقه لاحقيقةً عين التجريدات، ويسمّي طوراً الوهمَ ظاهراً للأشياء التي لا يوثق بها، وهو إذ يفصلُ الماهويّ عمّا ليس منه بدّ في تلك التجريدات ولكنّه مع ذلك لاماھويّ، فيثبّت هذا اللاماهويّ كحقيقةٍ لتلك التجريدات ضدّ ذلك الماهويّ، إنّما لا يحفظ لها حقيقتها، لكنّه يتعظى اللاحقيقة.

[92]



### III. القوّة والذهن،

## الظاهرة وعالم ما فَوْقَ الحِسِّ

في دياكطيقا الإيقان الحسّي فاتّ الوعي (Dem Bewußtsein) السمع والبصر وما إليه، أما من حيث يكون هذا الوعي دركاً حسياً فقد بلغ أفكاراً يجمع بينها أولاً في الكلّي اللامشروط. وهذا اللامشروط نفسه إذا ما أخذ على أنه ماهية بسيطة ساكنة، لن يكون حينئذٍ سوى الحرف الذي للكون لذاته اللابث في جهة، لأنّ اللاماهية هي التي كانت لتنتصب حياؤه؛ لكنّه متى وُصل بهذه الأخيرة كان يكون هو ذاته لاماهاوياً، وما كان الوعي ليخرج من الوهم الذي في الدرك الحسّي؛ غير أنّ هذا الوعي يبين كالذي أبّ إلى نفسه من مثل هذا الكون لذاته المشروط. - هذا الكلّي اللامشروط الذي يكون مذكاً الموضوع الحقّ الذي للوعي، ما زال موضوعاً لعين الوعي، والوعي ما زال لم يحصل مفهومه من جهة ما هو مفهوم. وتنبغي المباينة ما بين الأمرين مباينة جوهرية، فالموضوع بالنسبة إلى الوعي إنّما أبّ إلى نفسه من العلاقة بغيره، فصار عندئذٍ في ذاته مفهوماً؛ لكنّ ليس الوعي بعدُ لذاته المفهوم، ولهذه العلة لا يعترف نفسه (Erkennt sich) في ذلك الموضوع المنعكس. أمّا بالنسبة إلينا فقد صار ذلك الموضوع عبر الحركة التي للوعي على نحو أنّ هذا الوعي نفسه تشتمله الصيرورة التي لعين الموضوع، وأنّ التفكير هو هو على الناحيتين جميعاً، أو هو



واحدٌ وحسب؛ لكن بما أنّ الوعي في هذه الحركة لم يكن له من مضمونٍ سوى الماهية الموضوعية، لا الوعي بما هو كذلك، فإنّ الحاصل بالنسبة إليه إنّما ينبغي أن يوضع في دلالة موضوعية، وما دام الوعي ينسحب من المتصير، فإنّ عين المتصير يكون من جهة ما هو موضوعي الماهية بالنسبة إلى هذا الوعي.

بذلك يكون الذهن قد نسخ فعلاً لاحتقيقته الخاصة ولاحقيقته الموضوع؛ أما الذي صار له بمعية ذلك فإنّما هو مفهوم الحق؛ حقٌّ كائنٌ في ذاته ليس بعدُ بمفهوم، أو حقٌّ يرتفع عنه الكون لذاته الذي للوعي، حقٌّ يتركه الذهنُ وشأنه من دون أن يعرف نفسه فيه. وهذا الحقُّ إنّما يطلق عنانَ ماهيته (Treibt sein Wesen) [94] لذاته نفسها؛ حتّى إنّ الوعي لا يكون له نصيبٌ من تنجزه الحرّ، بل يكفي بمشاهدته ويلمُّ به إماماً صرفاً. عندئذٍ ينبغي لنا نحن - قبل كلّ شيء - أن نقوم مقامه، فنكون نحنُ المفهوم الذي يشكّل المتضمّن في الحاصل؛ فالوعي إنّما يتصير أولاً وعياً فهاماً عند هذا الموضوع المتشكّل الذي يعرض له ككائن.

لقد كان الحاصل الكليّ من وجهٍ غير مشروط (Das unbedingt Allgemeine) على هذا المعنى السلبي والمجرد أوّل الأمر، وهو أنّ الوعي كان ينفي مفاهيمه الأحادية ويتجرد منها، ولاسيّما أنّه كان يهملها. ولكنّ الحاصل إنّما تكون له في ذاته الدلالة الموجبة، وهي أنّ الوحدة بين الكون لذاته وبين الكون لغيره، أو التقابل المطلق إنّما وُضعا فيه في - الحال كأنهما عينُ الماهية. ذلك هو ما قد يبدو في مبتدأ الأمر أنّه لا يتعلّق إلّا بالصورة التي للّحظات بعضها حيال بعض؛ لكن الكون لذاته والكون لغيره إنّما هما أيضاً المضمونُ ذاته، لأنّه ليس من طبيعة للتقابل على الحقيقة سوى التي وقعت في الحاصل، ولاسيّما أنّ المضمون الذي يؤخذ مأخذ المضمون الحقّ في الإدراك الحسيّ لا ينتسب بالفعل إلّا إلى الصورة، فيتحلّل في وحدتها. وهذا

المضمون إنّما هو في الحين ذاته كليّ، ومحالّ أن يكون ثمة مضمون آخرّ قد يخرج بهيئته الجزئية عن كونه يؤوب إلى تلك الكلية اللامشروطة. ومثل هذا المضمون إنّما كان يكون أيّ نحو مقيّد من الكون لذاته ومن الارتباط بغيره؛ إلّا أنّ الكون لذاته والارتباط بغيره بعامة إنّما يكونان الطبيعة والماهية اللتين لذلك المضمون، وهما اللتان حقيقتهما أنّه كليّ على نحو غير مشروط؛ فالحاصل إنّما هو كليّ على الإطلاق.

لكن لما كان هذا الكليّ الذي على نحو غير مشروط موضوعاً بالنسبة إلى الوعي، فالذي ينجّم في هذا الوعي إنّما هو الاختلاف بين الصورة والمضمون؛ واللحظات إنّما تتراءى (Das Aussehen) في الشكل الذي للمضمون على النحو الذي تقدّمت فيه أوّل الأمر؛ فأما من ناحية فتكون الوسط الكليّ الذي لشتى الموادّ القائمة، وأما من ناحية أخرى فتكون واحداً منعكساً في ذاته حيث تلتغي قيمومتها الذاتية؛ فذلك إنّما هو تحلّل القيام الذاتي الذي للشيء، أو الطواعية التي تكون كينونة للغير، وهذا إنّما هو الكون لذاته. وينبغي أن نرى كيف تتبيّن هذه اللحظات في الكليّ اللامشروط الذي يكون ماهيتها. وما ينكشف أولاً هو أن هذه اللحظات لا تقع - من جهة أنّها لا تكون إلّا في [95] ذلك الكليّ - بعضها خارج بعض، ولا تكون في حدّ ذاتها بالجواهر وجوهاً منتسخةً، فلا تُوضع إلّا ممارسة عين اللحظات بعضها في بعض.

[I. القوّة ولعبة القوى] - وعليه فإحدى اللحظات إنّما تظهر كالماهية التي أنتبتت جهةً كوسط كليّ أو كالدوام الذي لموادّ قائمة برأسها؛ لكنّ القيام الذاتي الذي لهذه الموادّ ليس إلّا هذا الوسط، أو هذا الكليّ إنّما هو على الغاية الكثرة التي لمثل هذه الكليات المختلفة. والكليّ إنّما يكون في حدّ ذاته في وحدة لا تنفصم مع هذه الكثرة؛ لكن هذا معناه أنّ تلك الموادّ إنّما تكون

الواحدة منها حيث تكون الأخرى، فتتفاذ تنافذاً متبادلاً، - لكن من دون أن تتماسر، لأنَّ المختلف المتكثّر إنّما يكون - على العكس - كذلك قائماً برأسه. وبذلك يوضع أيضاً تجوّفها (Ihre Porosität) الصرفُ أو كونها المنسوخ. وهذا الكون المنسوخ من جديد، أو ردُّ هذا التنوع إلى الكون لذاته المحض ليس إلا الوسط ذاته، وليس هذا الوسط سوى القيام الذاتي الذي للاختلافاتِ أو: الموادّ التي<sup>(1)</sup> توضع على نحو القيام الذاتي إنّما تمرّ في - الحال في وحدتها، ووحدتها إنّما تمرّ في - الحال في الإنبساط (Entfaltung)، وهذا الانبساط إنّما يؤوبُ من جديد إلى الرّد. لكن هذه الحركة إنّما هي ما يسمّى قوّةً، وإحدى لحظات عين هذه القوّة، لاسيّما القوّة من حيث هي تفسّي (Ausbreitung) الموادّ القائمة برأسها في كينونتها إنّما هي خُراجُ القوّة؛ أمّا من جهة ما هي الكونُ الزائلُ الذي لعين الموادّ فإنّما هي القوّة المردودةُ إلى نفسها من خُراجها، أو القوّة التي بحق. لكن لا بدّ أولاً للقوّة المردودة إلى نفسها أن تختَرَجَ؛ فهي ثانياً إنّما تكون في خُراجها أيضاً قوّة كائنة في حدّ ذاتها بقدر ما تكون خراجاً في كونها هذا ذاتها في حدّ ذاتها (In diesem in sich Selbstsein). - وما دما نمسك على هذا النحو باللحظتين في وحدتهما التي في - الحال، فإنّ الذهن الذي ينتمي إليه مفهوم القوّة إنّما هو على الحضّر المفهوم الذي يحملُ اللحظتين المختلفتين من جهة ما هما مختلفتان؛ لأنّه لا ينبغي أن تكونا متباينتين في القوّة في حدّ ذاتها، فالاختلاف إنّما يقوم عندئذٍ في الفكر وحسب. - أو إنّ ما وُضع أعلاه إنّما هو في مبتدأ الأمر مفهوم القوّة وحسب، وليست واقعيتها. ولكن القوّة إنّما هي بالفعل الكلّي غير المشروط الذي يكون لغيره ما يكونه في ذاته أيضاً؛ أو: الذي ينطوي في حدّ ذاته

(1) لقد التبسّت النسبة علينا: فهي تحيل إلى الموادّ كما إلى الاختلافات،

والأرجح أنّها ترجع إلى الموادّ.

على الاختلاف، - لأنّ الاختلاف ليس سوى الكينونة لغيره. وعليه  
 فلكني تكون القوّة على الحقيقة التي لها، فلا بدّ لها أن تُترك حرّة 96] تماماً من الفكر، وتوضّع كالجوهر الذي لتلك الاختلافات، أي  
 إنّها توضّع مرّة كهذه القوّة الباقية بالجوهر في ذاتها ولذاتها، ثمّ  
 بعد ذلك توضّع اختلافاتها بما هي جوهرية، أو كالحظات قائمة  
 لذاتها. فالقوّة بما هي كذلك، أو كمردودة إلى ذاتها، إنّما تكون  
 عندئذٍ لذاتها واحداً طارحاً يمثّل أنبساط الموادّ عنده ماهيةً أخرى  
 قائمة برأسها، فيوضّع على هذا النحو وجهان مختلفان وقائمان  
 برأسيهما؛ إلّا أنّ القوّة هي أيضاً الكلّ، أو هي إنّما تظلم ما به  
 هي وفق مفهومها، أعني أنّ هذه الاختلافات إنّما تظلم صوراً  
 محضاً، ولحظاتٍ سطحيّة زائلة. أما الاختلافات التي للقوّة  
 المردودة إلى نفسها، أي التي للقوّة على الحضر، كما لأنبساط  
 الموادّ القائمة برأسها، فإنّها في الوقت ذاته ما كانت لتكون قط،  
 ما لم تك لها ديمّة؛ أو إنّ القوّة ما كانت لتكون، ما لم توجد  
 من هذا الوجه المتضادّ؛ أمّا أنّها توجد من هذا الوجه المتضادّ  
 فلا يعني غير كون اللّحظتين ذاتيهما في الوقت نفسه قائمتين  
 برأسيهما جميعاً. - وعليه فالذي ينبغي تفحصه إنّما هو هذه الحركة  
 في التقوم الذاتي الدائم الذي للّحظتين جميعاً كما في أنتساخهما  
 من جديد. - وبالجملة فما يتضح هو أنّ هذه الحركة ليست سوى  
 الحركة التي للذرك الحسيّ، أين تكون الناحيتان - المدركُ  
 والمدركُ في الوقت نفسه - مرّة كفعل الإحاطة بالحقّ متحدثتين  
 وغير متباينتين، لكن أيضاً أين تكون كلّ ناحية منعكسة في ذاتها  
 أو تكون لذاتها. وهنا إنّما تكون الناحيتان جميعاً لحظتيّ القوّة؛  
 إنّهما تكونان في وحدة، بقدر ما لا تنفكّ هذه الوحدة التي تظهر  
 كالحّد الأوسط حيال الأطراف الكائنة لذاتها، تنحلّ إلى عين هذه  
 الأطراف بعينها التي لا تكون إلّا بذلك. - وعليه فالحركة التي  
 كانت تبيّن من قبل كالانتفاء الذي للمفاهيم المتناقضة، إنّما

تكون لها هاهنا الصورة الموضوعية، وتكون الحركة التي للقوة، والتي نتاجها إنما هو حصول الكلّي الذي على نحو غير مشروط من جهة ما هو لاموضوعي، أو بما هو باطن للأشياء.

إنّ القوة كما تعيّنت من حيث تُصوّرت كذلك، أو كقوة منعكسة في ذاتها، إنما هي أحدُ وجوه مفهومها؛ لكنّها هذا الوجه من حيث هي طرفٌ مُجوهرٌ، وعلى التحقيق الطرفُ الذي يوضع تحت التعيّن التي للواحد. عندئذ يُطرَحُ عن هذه القوة الدوامُ الذي للموادّ المبسوطة، فيكون مغايراً لها. وما دام من الضروري أن تكون هي ذاتها ذلك الدوام، أو أن تُخترَج، فإنّ خُراجها يعرضُ على نحو أنّ ذلك المغايرَ ينضمّ (Hinzutreten zu) إليها فيستحثّها. لكنّها ما دامت تخترَج بالضرورة، فإنّه يكون لها بالفعل في حدّ ذاتها ما كان وُضِعَ في ماهية مغايرة؛ فينبغي أن يُسترجع كونها قد وُضعت كواحد، وكونُ ماهيتها المتمثّلة في أنّها تخترَج، قد وُضعت كالمضموم إليها من الخارج؛ فإنّما هي نفسها في الأكثر هذا الوسط الكلّي الذي لديمّة الموادّ كالحظّات؛ أو: هي إنّما أُخترجت، والذي ينبغي أن يكون المستحثّ المغاير إنّما هو في الأكثر هي. وعليه فهي إنّما توجد الآن كالوسط الذي للموادّ المبسوطة؛ لكن تكون لها كذلك بالجواهر صورة الكون المنسوخ الذي للموادّ القائمة برأسها، أو هي بالجواهر واحد؛ وهذا الكون واحداً إنّما هو الآن بذلك مغايراً لها، بما أنّها هي التي وُضعت كوسط من الموادّ، فتكون لها هذه الماهية التي لها خارجها. ولكن ما دام لا بدّ لهذه القوة أن تكون ما لم توضع على سبيله بعد، فهذا المغاير إنّما ينضمّ إليها فيستحثّ انعكاسها في ذاتها، أو ينسخ هذا الخُراجَ لكنّها هي نفسها التي تكون بالفعل هذه الكينونة المنعكسة في ذاتها، أو هذا الكون المنسوخ للخُراج؛ فالكون واحداً يزول من الوجه الذي به أظهر، لاسيّما كمغاير؛ فهي نفسها التي تكونه، إنّ هي إلّا قوّة مرتدّة إلى ذاتها.

إنّ الذي يهله كآخر، فيستحثّ القوّة على الخراج مثلما يستحثّها على الإياب إلى نفسها، إنّما هو نفسه - كما يتّضح في - الحال - قوّة؛ فالآخر يتّضح كوسط كليّ مثلما يبين كواحد؛ فيظهر على نحو أنّ كلّاً من هذين الشكلين يهله في الوقت ذاته ك لحظة متصرّمة. وبذلك فالقوّة من حيث يكون لها آخر وتكون لآخر، ما زالت لم تخرج بعامة من المفهوم الذي لها. وإنّما هناك قوتان متآبّتان؛ ولا ريب أنّ المفهوم الذي لهما جميعاً هو هو، لكنّه مرّ من وحدته في الثاني. وبدل أن يظلّ التقابل في ذلك بالجواهر مجرد لحظة، فإنّه يلوّح كأنه طرح - بمعىة الانفصام إلى قوتين قائمتين برأسيهما تماماً - من رياسة الوحدة. وينبغي أن نولي النظر كيف يدول الأمر مع هذا القيام الذاتي. إنّ القوّة الثانية هي التي تهله أولاً كالمستنفرة، وبحقّ [98] ما تهله كوسط كليّ من جهة مضمونه، حيال القوّة التي تعين كالمستنفرة؛ لكن ما دامت تلك الثانية بالجواهر تناوب هاتين اللّحظتين كليّتهما، وكانت هي نفسها قوّة، فإنّها ليست كذلك بالفعل وسطاً كليّاً إلا من حيث تُستنفَرُ إلى ذلك أولاً، وليست أيضاً وحدة سلبية وحسب، أو الحاثّ على إياب القوّة، إلا من حيث تُستنفَرُ. عندئذ الاختلاف الذي يقع بين الاثنتين من حيث ينبغي أن تكون الواحدة المستنفرة في حين تكون الأخرى المستنفرة، إنّما يتحوّل في عين التبادل الذي للتعينيات بعضها ببعض.

بذلك يقوم لعب القوتين في هذا الكون المتعين (Bestimmtheit) المتضادّ الذي لكليّتهما، وفي كون كلّ منهما تكون للأخرى في هذا التعين، وفي التبادل المطلق والذي في - الحال للتعينات، - أي في ممارسة بعينها تستقيم عبرها تلك التعينات التي تظهر فيها القوى على أنّها تهله قائمة برأسها. فالمستنفَرُ على سبيل المثال إنّما يوضع كوسط كليّ، أمّا المستنفَرُ فيوضع على العكس كقوّة مرتدّة؛ لكنّ ذلك لا يكون وسطاً كليّاً إلا من جهة أنّ الآخر قوّة مرتدّة؛ أو هذه القوّة هي التي تمثّل في

الأكثر المستنفرَ بالنسبة إلى ذاك، وهي ما يجعل منه أولاً وسطاً؛ فالمستنفرُ لا تكون له تعيّنُهُ إلا بالآخر، فلا يكون مستنفرًا إلا من جهة أنه مستنفرٌ من الآخر حتى يكون مستنفرًا؛ وهو إنما يخسر في - الحال أيضاً هذه التعيّنَ التي أعطيت إياه؛ فهذه التعيّنُ إنما تمرّ عند الآخر، أو إنما هي في الأكثر قد مرّت عنده فعلاً؛ و[الطرف] الغريب الذي يستنفر القوّة يمثّل كوسط كليّ، لكن من جهة أنه استنفرٌ لذلك من طرفها وحسب؛ لكن معنى ذلك هو أنّ هذه القوّة هي التي تضعه كذلك، وأنها في الأكثر هي ذاتها بالجواهر وسط كليّ؛ إنها تضع المستنفرَ على هذا النحو لعلّ أنّ هذا التعيّن الآخر جوهريّ بالنسبة إليها، أي لعلّ أنّها تكون في الأكثر هذا التعيّن عينه.

لكي يتكّمّل تعقلُ المفهوم الذي لهذه الحركة يمكن التنبؤُ على سبيل أنّ الاختلافات نفسها إنما تلوح في اختلافٍ مزدوج، فمرة تلوح كأختلاف مضمون، من جهة أنّ أحد الطرفين يكون قوّة منعكسة في ذاتها، في حين يكون الطرف الآخر الوسط الذي للمواد، ومرة أخرى كأختلاف صورة، من جهة أنّ أحد الطرفين مستنفرٌ والآخر مستنفرٌ، ذاك فاعلٌ وهذا منفعلٌ. وأمّا من جهة أختلاف المضمون فهذان الطرفان إنما يكونان مختلفين بالجملة، أو بالنسبة إلينا؛ وأمّا من جهة أختلاف الصورة فإنّما يكونان قائمين برأسيهما، ومنفصلين في علاقتهما كلّ منهما عن الآخر ومتضادّين. أمّا كون الطرفين ليسا في ذاتهما بأيّ حال من الأحوال بحسب هذين الوجهين جميعاً، بل هذان الوجهان حيث كان ينبغي أن تقوم ماهيّتهما المختلفة ليسا إلا لحظات زائلة، وممارّة في - الحال لكلّ منهما في الآخر، فذلك إنّما يحدث للوعي في الإدراك الحسّي لحركة القوّة. أمّا بالنسبة إلينا - كما ذكرنا به آنفاً - فثمّة أيضاً هذا، وهو أنّ الاختلافات في ذاتها كانت تصرّمت من جهة ما هي اختلافات المضمون والصورة،

وأَنَّهُ من جهة الصورة ووفق الماهية الفاعلُ أو المستنفرُ، أو كذلك الكائنُ لذاته، إنَّما كان هو هو الذي كان تبيَّن من جهة المضمون كقوة مرتدة إلى نفسها، وأنَّ المنفعل أو المستنفرُ أو الكائن لغيره، إنَّما كان من جهة الصورة هو هو الذي كان تبيَّن من جهة المضمون كوسط كليٍّ لموادِّ متكرِّرة.

ما يحصلُ عن ذلك هو أنَّ مفهوم القوة إنَّما يصير حاقاً من خلال المضاعفة إلى قوتين، كما تحصل أيضاً كيفية هذه الصيرورة؛ فهاتان القوتان إنَّما توجدان كماهيتين كائنتين كلِّ واحدة لذاتها؛ لكن وجودهما حركةً من جنس أنَّ الواحدة تكون حيال الأخرى، حتَّى إنَّ كينونتها هي في الأكثر كينونةً موضوعةً عبرَ آخر، ومعناه أنَّ كينونتها تكون لها في الأكثر دلالةً الزوالِ. وليستا هما بالطرفين اللذين كانا ليحتفظا لنفسهما بشيءٍ راسخ، فلا يتناقلان إلاَّ بعض خاصية برآنية في وسطهما وعند نقطة تماسهما، بل هما لا تكونان ما هما إلاَّ في هذا الوسط وعند هذا التماس. وفي ذلك إنَّما تكون في - الحال القوة المرتدة إلى نفسها - أو كون القوة لذاتها كما يكون الخُراج، أي فعلُ الاستنفار كما الكونُ مستنفرًا؛ عندئذٍ لا تنقسم هذه اللحظاتُ إلى طرفين قائمين برأسيهما لا يتبادلان إلاَّ حدًّا متضادًّا، بل ماهيتهما إنَّما تكون على الإطلاق هذه: كلُّ تكون فقط بمعية الأخرى، وما تكونه على هذا النحو بمعية الأخرى إنَّما تكف في - الحال عن كونها إياه ما إنَّ تكونه. فالقوتان لا تكون لهما بالفعل عندئذٍ جواهرُ خاصةٌ قد تحملها وترسخها. ومفهومُ القوة إنَّما يترسخ في الأكثر كالماهية في 00] حقيقتها نفسه؛ فالقوة من جهة ما هي حاقَّة إنَّما لا تكون على الإطلاق إلاَّ ضمنَ الخُراج الذي ليس هو في الوقت نفسه سوى فعل أنتساح ذاتي. وهذه القوة الحاقَّة إذ تُتصوَّر في حلٍّ من خُراجها وكائنة لذاتها، إنَّما تكون القوة المرتدة إلى نفسها؛ لكن هذه التعينية نفسها هي بالفعل - كما اتضح - لحظةً من الخُراج



وحسب. وعليه فحقيقة القوة إنما تظلُّ فقط فكرةً القوة عينها، واللحظات التي لحقيقتها وجواهرها وحركتها إنما تسقطُ جميعاً ومن دون توقُّفٍ في وحدة غير متباينة، ليست هي بالقوة المرتدة إلى نفسها، لأنَّ هذه القوة ذاتها ليست إلا لحظةً، بل هذه الوحدة إنما هي مفهوم القوة بما هو مفهومٌ. وتحقيقُ القوة هو إذاً في الوقت نفسه خسران للواقعية؛ ففي ذلك إنما صارت القوة في الأكثر شيئاً مغايراً تماماً، ولاسيما أنها صارت هذه الكلية التي يعترف بها الذهنُ رأساً أو في - الحال من جهة ما هي ماهية القوة، والتي تبينُ أيضاً كالمهية التي لهذه القوة في ما ينبغي أن يكون واقعها عند الجواهر الحاققة.

[II. الباطن] - إذا تفحصنا الكليَّ الأوَّل من جهة ما هو المفهوم الذي للذهن حيث لا تكون القوة لذاتها بعدُ، فإنَّ الكليَّ الثاني إنما يكون حينئذٍ ماهيةً القوة كما تتبينُ في ذاتها ولذاتها. أو إذا اعتبرنا - على العكس - الكليَّ الأوَّل كالذي - في - الحال الذي ينبغي أن يكون موضوعاً حاقاً للوعي، فإنَّ هذا الكليَّ الثاني إنما يكون متعيّناً كالسلبِي الذي للقوة المحسوسة الموضوعية؛ فإنما هو القوة كما تكون في ماهيتها الحقَّ موضوعَ الذهن وحسب؛ فأما ذلك الكليَّ الأوَّل فكان يكون القوة المرتدة إلى نفسها أو هي كجوهر، وأما هذا الثاني فإنما هو الباطن الذي للأشياء من جهة ما هو باطنٌ يعدلُ المفهومَ من حيث هو مفهومٌ.

[1. عالم ما فوق الحسن - أ. الباطن، الظهور أو الظاهرة، الذهن] - هذه الماهية الصادقة للأشياء تعيّنُ الآن على نحو أنها لا تكون في - الحال للوعي، بل على نحو أنَّ هذا الوعي تكون له إضافةً بتوسيطٍ إلى الباطن، فيلحظ من جهة ما هو ذهنٌ وبمعية هذا الحدِّ الأوسط الذي للعب القوى الغور<sup>(2)</sup> الحقَّ الذي

(2) Hintergrund، العماد أو الأس الذي يقبع من تحت الأشياء.

للأشياء. والحدّ الأوسط الذي يقرنُ الطرفين جميعاً ويقايِسُهُما،  
الذهنَ والباطنَ، إنّما هو الكينونةُ الرابِيةُ التي للقوّة، وهذه  
الكينونة إنّما تصبُحُ مذاك بالنسبة إلى الذهن فعلَ زوالِ. ولهذا العلةُ  
فهي إنّما تسمّى ظاهرةً، لأنّنا نسمّى ظاهراً الكينونةُ التي تكون في - [01  
الحال في حدّ ذاتها لا كينونةً. لكنّ تلك الكينونة ليست ظاهراً  
وحسب، بل هي ظاهرةً، أي كلُّ من الظاهر. وهذا الكلُّ بما هو  
كلُّ أو كلّيّ إنّما هو الذي يكوّن الباطنَ، لعبِ القوى، من جهة ما  
هو انعكاسُ عين هذا الباطن في ذاته. وفي هذا الكلُّ إنّما توضّع  
للوعي ماهيات الإدراك الحسيّ على نحو موضوعيّ وكما تكون في  
ذاتها، أعني كلحظات تتبدّل في - الحال إلى الضدّ من دون  
سكون ولا كينونة: الواحد الذي يكون في - الحال في الكلّيّ،  
والماهويّ الذي يكون في - الحال في اللاماهويّ، والعكس  
بالعكس. ولذلك يكون لعب القوى السلبيّ الرابي، لكن الحقيقة  
التي لعين اللعب إنّما هي الإيجابيّ، ولاسيّما الكلّيّ، الموضوعُ  
الكائنُ في ذاته. - والكينونة التي لعين الموضوع إنّما تكون عند  
الوعي موسوطةً بالحركة التي للظاهرة أين تكون لكينونة الإدراك  
الحسيّ والموضوعيّ المحسوس بعامة دلالةً سلبيةً وحسب؛  
والوعي إنّما ينعكس إذاً من ذلك في ذاته كأنّ في الحقّ، لكنّه  
كوعيّ إنّما يجعل من جديد من هذا الحقّ الباطنَ الموضوعيّ،  
فيميّز هذا الانعكاس الذي للأشياء من انعكاسه في ذاته، مثلما  
تظلُّ الحركة الموسوطةً بالنسبة إليه حركةً موضوعيّةً أيضاً. وهذا  
الباطنُ إنّما يكون لهذا الوعي إذاً طرفاً يقوم حياله، لكنّه لهذه  
العلّة يكون في نظره الحقّ، لأنّ الوعي إنّما يكون له في ذلك في  
الوقت نفسه - كما هي الحال في ألفي - ذاته - الإيقانُ من نفسه  
أو لحظة الكون - لذاته؛ لكنّ الوعي ما زال غير واع بهذا  
العماد، لأنّ الكون - لذاته الذي ينبغي أن يكون للباطن في حدّ  
ذاته، كان لن يكون سوى الحركة السلبية، لكن هذه الحركة ما

انفكّت عند الوعي الظاهرة الموضوعية الزائلة، فليست هي بعدُ بكونه - لذاته الخاصّ؛ فلذلك إنّما يكون الباطن في نظر الوعي المفهوم حقاً، لكنّه ما زال يجهل الطبيعة التي للمفهوم.

في هذا الحقّ الباطن، كما في الكلّي بإطلاقٍ الذي خُلص من تقابل الكلّي والفرديّ، فصار بالنسبة إلى الذهن، إنّما يفتح مذكاً فوق العالم الحسيّ بصفته العالم المظهر عالم فوق الحس بصفته العالم الحقّ، فيفتح فوق الهاهنا الزائل الهاهنا المتعالي الباقي؛ جنس من ألفي - ذاته هو الظاهرة الأولى للعقل ولهذه العلة عينها تكون غير مكتملة، أو هو فقط العنصر المحض حيث تكون للحقيقة ماهيتها. [102]

مذكاً يصبح موضوعنا القياس الذي حداه باطن الأشياء والذهن، وحدّه الأوسط الظاهرة؛ أمّا حركة هذا القياس فإنّما تعطي التعيين الموالّي لما يلحظه الذهن في الباطن من خلال الحدّ الأوسط، والتجربة التي يأتيها في هذا الاقتران القياسي.

[ب. ما فوق الحس بصفته ظاهرة] - ما زال الباطن بالنسبة إلى الوعي محض متعال<sup>(3)</sup>، لأنّ هذا الوعي ما زال لا يجد نفسه فيه؛ فالباطن إنّما يكون خاوياً، لأنّه ليس الظاهرة وحسب، أمّا إيجاباً فهو الكلّي البسيط. وهذا النحو من كينونة الباطن إنّما يوافق في - الحال أولئك الذين يقولون إنّ باطن الأشياء لا يمكن معرفته، وإنّه إنّما ينبغي إدراك الأساس على نحو مغاير<sup>(4)</sup>. فليس

(3) Das Jenseits، على معنى المافوق العليّ، بل المتعالي (فليس هو بمجرد

مافوق... Über.)

(4) انظر وقارن: ب 333-334، أ 277-278 في: Immanuel Kant: *Kritik der reinen Vernunft*, 2 vols., Hrsg. von Wilhelm Weischedel, Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 55 (Frankfurt am Main: Suhrkamp, [1974]), vol. 1, 1974, p. 297, and *Werke*, 9 vols., Akademie Textausgab Unveränderter photomechanischer Abdruck des Textes der von der Preussischen Akademie der Wissenschaften 1902 begonnenen Ausgabe (Berlin: Walter de Gruyter, 1968), vol. 4: *Kritik der reinen Vernunft*, pp. 178-179.

ثمة بأيّ حال من الأحوال معرفةً بهذا الباطن مثلما يكون هاهنا في - الحال، لكن ليس لعلّة أنّ العقل كان يكون قصير النظرٍ أو محدوداً أو كيفما شئت فصيفه، فما زال لم يُعرف شيءٌ في هذا الغرض، لأننا ما زلنا لم نسبر بعدُ هذا القدرَ من العمق، - بل بسبب الطبيعة البسيطة التي لرأس الأمر، لأنّه على التدقيق لا شيء في الخواء يُعرف، أو إنّ شئنا التعبير عن الناحية الأخرى: لأنّ الباطن إنّما يحدّد على أنّه المتعالي عن الوعي. والحاصل إنّما يكون بلا ريب هو هو سواءً وضعنا أعشى وسط كنوز عالم ما فوق الحسّ، - وسيان - إنّ كانت لهذا العالم كنوزٌ - أن تكون مضموناً خاصاً به أو يكون الوعي نفسه هذا المضمون -، أو وضعنا مُبصراً في الظلمة الحالكة، - أو إنّ شئنا في النور الخالص، إذا ما لم يك هذا العالمُ إلّا هذا؛ فالمُبصّر لا يُبصر في نوره الخالص بقدر ما لا يُبصر في ظلمته الحالكة، وكذا الأعشى لا يرى بالقدر نفسه ما يفرّ من الكنوز التي كانت تكون نصب عينيه. وإذا ما كانت الحيلة لتقطع في تدبير الباطن والكينونة المقترنة به بمعية الظاهرة، لما كان يتبقّى سوى الوقوف على الظاهرة، ومعناه الأخذ بشيء ما على أنّه حقٌّ ونحن نعلم أنّه ليس بحقٍّ؛ أو: لو رُمنّا على الرغم من ذلك أنّ يكون شيءٌ ما في الخواء الذي حدث أولاً كخواية (Als Leerheit) من الأشياء الموضوعية، - فلزم عندئذ أن يؤخّذ من جهة ما هو خوايةٌ في ذاتها على أنّه أيضاً خوايةٌ من جميع الروابط الروحية وأختلافات الوعي من حيث هو وعي، - وهو الخواء التام الذي يسمّى المقدّس أيضاً، فإنّه ينبغي ملؤه بأضغاث أحلام وظواهر يقدها الوعي من نفسه؛ وقد لا يكون بدٌّ من أن يقبل هذا الخواء هذا التعاطي القبيح معه، فلا يخلو به ما هو أحسن، ما دامت أضغاث الأحلام ذاتها تفضّل خوايته.

031

لكنّ الباطن أو المتعالي الذي فوق الحسّ إنّما قد نجم،

وهو إنّما يتأتى من الظاهرة، وهذه إنّما هي توسيطه؛ أو الظاهرة إنّما هي ماهيته، وهي بالفعل أمثلاؤه؛ فالذي فوق الحسّ إنّما هو المحسوس أو المدرك حسياً إذ يوضعان كما يكونان على الحقيقة؛ لكن حقيقة المحسوس والمدرك حسياً إنّما هي كونهما ظاهرة. وعليه فالذي فوق الحسّ إنّما هو الظاهرة من حيث هي ظاهرة. - فإذا تفكرنا ذلك على نحو أنّ الذي فوق الحسّ هو إذاً العالم المحسوس، أو العالم كما يكون بالنسبة إلى الإيقان الحسيّ الذي في - الحال والإدراك الحسيّ، فإنّ ذلك فهمّ معكوس، لأنّ الظاهرة ليست في الأكثر عالم المعرفة الحسيّة والدرك الحسيّ من حيث هما كائنان، بل هي إنّما تكون هذا العالم من حيث يوضع كمنسوخ، أو على الحقيقة كباطن. والعادة جرت بالقول إنّ الذي فوق الحسّ ليس الظاهرة، لكن لا يفهم من الظاهرة هاهنا أنّها الظاهرة، بل يفهم منها في الأكثر أنّها العالم المحسوس من حيث يكون هو نفسه حقيقةً واقعيّاً.

[ج. القانون بما هو حقيقة الظاهرة] - إنّ الذهن الذي هو غرضنا إنّما يجد نفسه في هذا الموضع أين لا يحدث له الباطن في مبتدأ الأمر إلا كالفني - ذاته الكلّي وغير المفعم بعد؛ فليس للعب القوى على التدقيق سوى هذه الدلالة السالبة: أنّه لا يكون في ذاته، وهذه الدلالة الموجبة: أنّه المُوسَّط، لكن خارج الذهن. أمّا صلة الذهن بالباطن بمعية التوسيط، فإنّما هي حركته التي بواسطتها سيصير هذا الباطن مفعماً بالنسبة إليه. - ولعب القوى إنّما يكون عند الذهن على نحو في - الحال؛ أمّا الحقّ فإنّما يكون عنده الباطن البسيط؛ فلذلك لا تكون حركة القوّة أيضاً الحقّ بالجملة إلا من جهة ما هي بسيط. لكننا رأينا في لعب القوى هذا أنّه يكون على هذه الصّفة: أنّ القوّة التي تكون مستنفرّة من قبل قوّة أخرى إنّما تكون أيضاً بالنسبة إلى هذه الأخرى المستنفرّة، وهذه الأخرى نفسها لا تصير مستنفرّة إلا

بذلك. ولا يمثل هاهنا إلا التبدُّل الذي في - الحال، أو الفعل المطلق لمبادلة التعيّنية التي تكوّن المضمون المُفردَ للذي يهلُّ،<sup>141</sup> فإنّما يكون وسطاً كلياً، وإنّما يكون وحدةً سالبةً. وهذا الهالُّ إنّما يكفّ في - الحال في هله المتعيّن نفسه عمّا يكونه أيّان يهلُّ؛ فهو إنّما يستنفر بمعيّة هله المتعيّن الوجهَ الآخرَ الذي يخرُجُ بذلك، ومعناه أنّ هذا الوجه إنّما هو الآن في - الحال ما كان ينبغي أن يكون الأوّل. وهذان الوجهان، رابطةُ الاستنفار ورباطةُ المضمون المتعيّن والمتضادّ، إنّما هما الآن - كلٌّ لذاته - القلبُ والتبادُلُ (Verkehrung und Verwechslung) المطلقان. ولكنّ هاتان الرابطتان هما من جديد رابطةٌ واحدةٌ، وأختلاف الصورة - بين المستنفر وبين المستنفر -، إنّما هو عين ما هو أختلاف المضمون - بين المستنفر بما هو كذلك، ولاسيّما الوسط الطيع وبين المستنفر بما هو على العكس الفعّال والوحدةُ السالبةُ أو الواحدُ. وبذلك يزول كلّ فرق بين القوى الجزئية التي كان ينبغي أن تكون حاضرةً في هذه الحركة فتقابلُ بالجملةِ الواحدةُ منها الأخرى، لأنّها إنّما كانت تقوم على هذه الفروق وحدها، والفرق بين القوى إنّما يقع أيضاً - مثلما يجري الأمر في ذينك الوجهين - في فرقٍ واحدٍ. وعليه فليس ثمةً في هذا التبادل المطلق لا القوّة ولا فعل الاستنفار والتصير مستنفرًا ولا التعيّنية على نحو الكونِ وسطاً دائماً ووحدةً متفكّرةً داخل ذاتها، فليس هناك لا شيءٌ فرديٌّ لذاته ولا متقابلاتٌ متنوّعةٌ، بل الذي يكون في ذلك التبادل المطلق إنّما هو الفرقُ من جهة ما هو كليٌّ وحسب، أو الفرق مثلما تُردُّ فيه المتقابلاتُ المتكثّرة. ولذلك هذا الفرق من حيث هو كليٌّ إنّما هو البسيط في لعب القوى ذاته، وهو الحقُّ الذي لعين اللّعب؛ فإنّما هو القانون الذي للقوّة.

إنّ الظاهرة المتبدّلة على الإطلاق إنّما تصير إلى الفرق البسيط من جهة صلتها بالبساطة التي للباطن أو التي للذهن.

والباطن إنما هو أولاً الكلّي في ذاته وحسب؛ لكن هذا الكلّي البسيط وفي ذاته إنما هو أيضاً بالجوهر وعلى نحو مطلق الفرق الكلّي، لأنه نتاج التبادل ذاته، أو التبادل إنما هو ماهيته؛ أما التبادل من جهة ما هو موضوع في الباطن وكما يكون على الحقيقة فإنما يتلقّى عندئذ في عين الباطن كفرق كلي على الإطلاق ما ينفك ساكناً ومساوياً لنفسه. أو: النفي إنما هو لحظة جوهرية للكلّي، فالنفي أو التوسيط هما إذاً في الكلّي فرق كلي. وهذا الفرق هو ما يفسّح عنه في القانون كصورة ثابتة للظاهرة المتقلّبة. والعالم الذي فوق الحسّ إنما يمثل عندئذ ملكوت القوانين الساكن؛ وبحق ما تتعالى هذه القوانين عن العالم المدرك حسياً، لأنّ هذا العالم لا يعرض القانون إلا من خلال تغير دائم؛ لكنّ هذا القانون إنما هو كذلك حاضر فيه فيكون نسخته الهادئة والتي في - الحال.

[2. القانون بما هو فرق ومجانسة لفظية - أ. القوانين المقيدة والقانون الكلّي] - لا ريب أنّ ملكوت القوانين هذا هو حقيقة الذهن التي تستقي المضمون من عند الفرق الذي يكمن في القانون؛ لكن هذا الملكوت هو في الوقت نفسه حقيقة الذهن الأولى وحسب، فهو لا يأتي على تمام الظاهرة؛ فالقانون يكون فيها حاضراً، لكنّه ليس حاضراً التام؛ فهو إنما يكون له في ظروف تتغير دوماً حقيقاً مغايراً على الدوام. وبذلك يبقى للظاهرة جانب لذاته لا يكون في الباطن، أو: ما زالت الظاهرة لم توضع على الحقيقة كظاهرة، أي ككون لذاته منسوخ. وهذا النقص في القانون إنما يجب أن يبرز أيضاً في القانون ذاته؛ فالذي يبدو أنّه ينقص القانون هو أنّه - وإن كان بلا ريب ينطوي في حد ذاته على الفرق، إنما ينطوي عليه كفرق كلي وغير متعيّن. ولكن ما دام القانون ليس قانوناً بالجملة، وإنما هو قانون ما بعينه، فالتعيينية إنما تكون له في حد ذاته؛ عندئذ تمثل قوانين متكررة تكثراً غير

مقيّد. غير أن هذه الكثرة هي في الأرجح نقص، لاسيما أنها تناقض مبدأ الذهن، وهو الذي - من جهة ما هو وعي بالباطن البسيط - تمثل في نظره الوحدة الكلية في ذاتها الحق. ولهذه العلة فإنه ينبغي في الأكثر للذهن أن يجمع تلك القوانين المتكثرة في قانون واحد. ومثاله فهم القانون الذي تسقط وفقه الحجرة والقانون الذي تتحرك وفقه الأفلاك السماوية على أنهما قانون واحد<sup>(5)</sup>. ولكن القوانين إنما تفقد تعيينيتها بتطابقها بعضها ببعض<sup>(6)</sup>، والقانون إنما يصير دوماً أكثر سطحية؛ وما يجده المرء فعلاً بذلك ليس وحدة هذه القوانين المقيّدة، بل يجد قانوناً يطرح جانباً التعينية التي لها، مثلما أن القانون الواحد الذي يجمع في داخله قانوني سقوط الأجرام على الأرض والحركة السماوية لا يعبرُ بالفعل عنهما جميعاً؛ فتوحيد القوانين كلّها في الجاذبية الكونية لا يعبر عن مضمون سوى [مضمون] المفهوم البسيط للقانون ذاته، ذلك المفهوم الذي يوضع حينئذ من حيث هو كائن. والجاذبية<sup>6</sup> الكونية لا تقول إلا هذا: إن لكل شيء فرقا ثابتاً بالنسبة إلى غيره. والذهن إنما يرى في ذلك أنه قد وجد قانوناً كلياً يعبر عن الحقيق الكلي بما هو كذلك، لكنه في واقع الأمر لم يجد إلا مفهوم القانون ذاته؛ وإن وجدّه مع ذلك فمن وجه أنه يقول في الوقت ذاته إن كلّ حقيقي إنما يكون في حد ذاته مشاكلاً للقانون. ولهذه العلة تكون لعبارة الجاذبية الكونية أهمية بالغة من حيث تجرّد التصور العري من الفكر الذي يعرض له كلّ شيء في شكل العرضية، فتكون للتعينية عنده صورة القيمة الحسية.

(5) إشارة إلى تعميم قانون الجاذبية عند نيوتن، انظر: «(...)» Isaac Newton,

vis qua Luna in Orbe Suo Retinetur, Si Descendatur in Sphericiem Terrae: Propositio IV. 364 Aequalis Evadit vi Gravitatis Apud nos, Ideoque (...) est illa ipsa vis quam nos Gravitatem Dicere Solemus.» in: *Philosophiae Naturalis Principia Mathematica. Auctore Isaaco Newtono, Equite Aurato.* Editio Ultima, Auctor et Emendatior (Amstaelodami: Sumptibus Societatis, 1714).

(6) Ineinanderfallen، على معنى سقوط بعضها في بعض من جهة التطابق.



بذلك تقابلُ الجاذبيّة الكونيّةُ أو المفهومُ البسيطُ للقانونِ القوانينَ المتعيّنة؛ فالتعيّنةُ التي للقانونِ المتعيّنِ ذاته ما زالت تنتمي إلى الظاهرة، أو تنتسب في الأكثر إلى الكينونة الحسيّة من حيث يُعتبر هذا المفهوم المحضُ كأنّه ماهيّة، أو كأنّه الباطنُ الصادق. غير أنّ المفهومَ المحضَ للقانون لا يجاوز القانونَ وحسب - وهو القانون الذي يقابل، من جهة أنّه هو نفسه متعيّن، قوانينَ متعيّنةً أخرى -، بل يجاوز أيضاً القانونَ من جهة ما هو كذلك. والتعيّنةُ التي كان القول فيها إنّما هي ذاتها وعلى الحصر لحظةً زائلةً وحسب، لحظةً لم يعدّ بوسعها هاهنا أن تحصل كأنّها ماهويّة، لأنّه لا يمثلُ إلّا القانونَ بما هو الحقُّ؛ أمّا مفهوم القانون فقد انقلبَ ضدّ القانونِ ذاته؛ ففي القانونِ على التدقيق إنّما يُحصّل في - الحالِ الفرقُ ذاته، ثمّ يُودعُ في الكلّيِّ على نحو قيام للحظات يعبر عن صلاتها كأنّها أسياتٌ سيّانيّةٌ وكائنةٌ في ذاتها. ولكن هذه الأجزاء التي للفرق في القانون إنّما تكون هي ذاتها جوانبَ متعيّنة؛ وينبغي أن يحصلَ المفهومُ المحضُ للقانون من حيث هو الجاذبيّة الكونيّة على دلالاته الحقّ، على نحو أنّ الفروقَ التي تمثّل في القانون بما هو كذلك إنّما تُؤوب هي ذاتها من جديد في ذلك المفهوم من جهة ما هو البسيط على الإطلاق، إلى الباطن من حيث هو الوحدةُ البسيطة؛ فهذه الوحدة إنّما هي الضرورة الجوانبيّة التي للقانون.

[ب. القانون والقوّة] - بذلك يمثّل القانونُ من وجهٍ مضاعفٍ، فمرةً يحضر كقانون يُفصح فيه عن الفروق كأنّها لحظاتٌ قائمةٌ برأسها؛ ومرةً أخرى في صورة الكينونة البسيطة الآيبيّة إلى ذاتها (In sich Zurückgegangensein)، وهي الصورة التي يمكن تسميتها من جديد قوّة، لكن على نحو أنّها ليست القوّة المرتدّة، بل القوّة بعامة أو مفهومُ القوّة، تجرّيدٌ هو ذاته يشدّ إليه فروقٌ الذي يجذبُ ويُجذبُ. كذا تكون على سبيل

المثال الكهربائ البسيطة القوة؛ أما عبارة الفرق فتقع في القانون، وهذا الفرق إنما هو الكهرباء الموجبة والسالبة. أما في حركة السقوط فالقوة إنما هي البسيط، الجاذبية التي قانونها أن الأَعْظَام التي للَحظَات المختلفة التي للحركة، الزمان المنقضي والمكان المقطوع، إنما يسلك بعضها حيال بعض كالجذر والتربيع. والكهرباء ذاتها ليست الفرق في ذاته، أو ليست هي في ماهيتها الماهية المزدوجة التي للكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة<sup>(7)</sup>؛ ولهذه العلة جرت العادة بأن يقول المرء إن لها قانوناً يقضي بأن تكون كذلك، أو أيضاً: إن لها خاصية أن تخرج على هذا النحو. وهذه الخاصية إنما هي فعلاً الخاصية الجوهرية والمفردة التي لهذه القوة، أو إنما هي واجبة لها. ولكن الوجوب هاهنا لفظ خاو، فالقوة يجب على التدقيق أن تتضاعف على هذا النحو لأنه يجب فيها ذلك. نعم، لما توضع الكهرباء الموجبة، تجب أيضاً الكهرباء السالبة في ذاتها، لأن الموجب لا يكون إلا في صلته بسالب، أو الموجب إنما يكون في حد ذاته اختلافاً عن ذاته، كما يكونه السالب؛ لكن أن تنفصم الكهرباء بما هي كذلك على هذا النحو فذلك ليس في ذاته الضروري، فهي إنما يستوي عندها من جهة ما هي قوة بسيطة حيال قانونها أن تكون كموجبة وسالبة؛ فإذا سمينا ذلك الضروري مفهوم الكهرباء، وهذا القانون كونها، فإن مفهومها يكون على سيانية حيال كونها؛ إن هي إلا ذات

(7) عندما يجحد هيغل في هذا الموضوع الماهية المزدوجة للكهرباء فإنما يومي إلى ما عاصره من مقالات في الكهرباء وينتصر إلى مقالة بنيامين فرانكلين (ضد مقالة دوفاي القائل بكهرباء موجبة وأخرى سالبة) التي تذهب إلى ترسيخ فكرة سيل كهربائي (ein elektrisches Fluidum). وقد يكون توفّر لهيغل الاطلاع على أوليات هذه المقالة من خلال الترجمة الألمانية لبعض رسائل فرانكلين في الكهرباء انظر: Benjamin Franklin, *Des Herrn Benjamin Franklin Esq. Briefe von der Elektrizität. Aus dem Engländischen übersetzt, nebst Anmerkungen von J. C. Wilcke* (Leipzig: G. Kiesewetter, 1758).

خاصية بعينها، أي على الحصر: هذا الانفصام ليس في ذاته واجباً فيها. - وهذه السيانية إنما تتخذ شكلاً مغايراً لما يُقال إنّ كون الكهرباء موجبة وسالبة إنما ينتمي إلى حدّها، أو إنّ ذلك هو على الإطلاق مفهومها أو ماهيتها. ومن ثمة فقد تعني كينونتها وجودها بالجملة، لكن لا تتوقّر في هذا الحدّ ضرورة وجودها؛ فهي إما تكون لأنّ المرء يجدّها، أي إنّها ليست واجبة البتّة؛ وإما يكون وجودها بمعية قوى أخرى، أي إنّ وجوبها وجوب برّانيّ. ولكن من جهة أنّ الوجوب يوضع في تعيينيّة الكون عبر مغاير، فإنّنا إنّما نسقط من جديد في تكثّر القوانين المتعيّنة الذي كنّا تلفتنا عنه سابقاً حتّى نتفحص القانون من جهة ما هو قانون، فبهذا القانون وحده تلزم مقارنة مفهومه بما هو مفهوم، أو ضرورته، وهي التي ما زالت لم تتضح مع ذلك في كلّ هذه الصّور إلّا كلفظٍ خاوٍ.

[108]

إنّ السيانية ما بين القانون والقوة، أو ما بين المفهوم والكينونة، تمثّل أيضاً على نحو مغاير للذي تمّ بيانه. ومنّ الضروريّ في قانون الحركة على سبيل المثال أنّ تنقسم الحركة في الزمان والمكان، ومن ثمة تنقسم أيضاً إلى سرعة ومسافة. وما دامت الحركة العلاقة التي بين هذه اللّحظات وحسب، فإنّما تنقسم هاهنا حقاً - من جهة ما هي الكلّيّ - في ذاتها؛ لكن هذه الأجزاء - الزمان والمكان، أو السرعة والمسافة - لا تعبّر في داخلها عن هذا الأصل انطلاقاً من واحد، فهي إنّما تكون سيانيتها بعضها حيال بعض؛ فالمكان يُتصوّر كأنّه بوسعه أن يكون من دون الزمان، والزمان من دون المكان، والمسافة على الأقلّ من دون السرعة، - وكذلك أعظماؤها تكون في سيانيتها بعضها حيال بعض، وما دامت لا تسلك كمثّل الموجب والسالب، فإنّها لا تتصل عندئذ الواحدة بالأخرى من خلال ماهيتها. وعليه فوجوب القسمة حاضرٌ فعلاً هاهنا، لا وجوب الأقسام بما هي كذلك وكلّ بالنسبة

إلى الآخر؛ لكن لهذه العلة لا تكون هذه الضرورة الأولى نفسها أيضاً إلا ضرورةً كاذبةً وموهومةً، لاسيّما أنّ الحركة ذاتها لا تُتصوّر كـبسيطٍ أو ماهيةٍ صرفٍ، بل من حيث طالها الانقسامُ بعدُ؛ فالزمان والمكان إنّما هما جزأها القائمان برأسيهما أو ماهيتان في حدّ ذاتيهما، أو المسافة والسرعة إنّما هما ضربان للكينونة أو للتصوّر اللذان بوسع أحدهما أن يكون من دون الآخر؛ فلذلك تكون الحركة علاقتهما السطحية وحسب، وليست ماهيتيهما. وهي إذ تُتصوّر كماهية بسيطة أو كقوة، إنّما هي فعلاً الجاذبية، لكنّها الجاذبية التي لا تنطوي البتّة في داخلها على تلك الفروق.

[ج. الشرح] - وعليه فالفرق في الحالتين ليس فرقاً في ذاته؛ فإمّا يكون الكلّي، أي القوة، سيانياً حيال القسمة التي في القانون، وإمّا تكون الفروق، أي أجزاء القانون، سيانيتها بعضها حيال بعض؛ إلا أنّ الذهن يكون له مفهومٌ هذا الفرق في ذاته،<sup>09]</sup> من حيث إنّ القانون يكون - من ناحية - الباطن أو الكائن في ذاته، لكنّه يكون في الوقت ذاته وفي حدّ ذاته المختلف؛ أمّا أنّ هذا الفرق يكون بذلك فرقاً باطنياً، فذاك ما يمثّل من جهة أنّ القانون هو قوّة بسيطة، أو هو كالمفهوم الذي لعين الفرق، إذاً هو فرق المفهوم. ولكن هذا الفرق الباطن لا يقع بعدُ في مبتدأ الأمر إلا في الذهن، وما زال لم يوضع حيث رأس الأمر. وعليه فوحدها الضرورة الخاصة هي التي يعبر عنها الذهن؛ فرق لا يأتيه الذهن إذاً إلا من حيث يعبر في ذات الحين عن كون الفرق ليس فرق الأمر برأسه؛ فهذه الضرورة التي تكمن في اللفظ وحسب، إنّما تكون عندئذ السرد المفصل<sup>(8)</sup> للّحظات التي تكوّن حلقة الضرورة عينها؛ ولا ريب أنّ هذه اللّحظات مختلفة، لكنّ

(8) Die Hererzählung، القصّ أو السرد الذي يفصل مكونات ما يُسرَد ويُحكم

الرّبط بينها.

أختلافها يُفصح عنه في الوقت نفسه على أنه ليس الفرق الذي لرأس الأمر؛ فلذلك سرعان ما يُنسخ هذا الفرق من جديد، وهذه الحركة إنما تسمى شرحاً. إذاً ثمة قانونٌ يُفصح عنه، ثم يُميز منه الكلّي في ذاته الذي له، أو الأسُّ من جهة ما هو القوّة؛ لكن يُقال في هذا الفرق إنه ليس بفرق، بل إنّ الأسَّ يكون على عين الصفة التي للقانون. والحدث الفرديّ للبرق على سبيل المثال إنما يُذهنُ ككلّي؛ وهذا الكلّي يعبر عنه من حيث هو القانون الذي للكهرباء: من بعد ذلك يضمّ الشرح القانون إلى القوّة من جهة ما هي ماهية القانون. إذاً تلك القوّة إنما تُقدُّ على نحو أنها متى أخرجت، تنجم كهربائيات متضادةً تزول الواحدة منها في الأخرى من جديد، ومعناه أنّ القوّة إنما تكون تماماً على عين الهيئة التي يكون عليها القانون، فيُقال إنّ كليهما لا يختلفان من أيّ وجه. والفروق إنما هي الخُراج الكلّي والمحض، أو القانون والقوّة الصرف؛ لكن يكون لكليهما المضمون عينه، والهيئة عينها؛ وعليه فالفرق من جهة ما هو فرق المضمون، أي الفرق الذي للأمر برأسه، إنما يُنزَعُ ويُطرح من جديد.

إنّ الذهن يثبُت - كما ينتج بنفسه - في حركة تحصيل الحاصل هذه (Diese tautologische Bewegung) على الوحدة الساكنة التي لموضوعه، أمّا الحركة فلا تقع إلّا في الذهن، لا في الموضوع؛ فهذه الحركة ليست فقط شرحاً لا يشرح أيّ شيء، بل شرحٌ واضحٌ حدّ أنّه إذ يستعدُّ لقولٍ شيءٍ مختلفٍ عن الذي قيل، لا يقول في الأكثر شيئاً، بل يكرّر عين ما قيل وحسب؛ فلا جديدٌ ينجم عند رأس الأمر بمعينة هذه الحركة، بل الحركة إنما تؤخّذ بعين الاعتبار من جهة ما هي الحركة التي للذهن؛ إلّا أنّنا نتعرّف فيها الآن على الذي عدّمناه في القانون، ولاسيّما التبدّل المطلق ذاته، لأنّ هذه الحركة إذا ما تفحصناها عن كسبٍ إنما تكون في - الحال ضدّ نفسها. فهي على التدقيق إنما تضع فرقاً ما

ليس هو بفرقٍ، لا بالنسبة إلينا وحسب، بل هي نفسها التي تنسخه من جهة ما هو فرقٌ. وهذا هو عين التبدل الذي كان بأن كلعب القوى؛ ففيه قام الفرق بين المستنفر والمستنفر، وبين القوة المخترجة والقوة المرتدة إلى نفسها؛ لكنها كانت فروقاً ليست هي على الحقيقة بفروقٍ، ولهذه العلة كانت أيضاً تنتسخ من جديد وفي - الحال؛ فليس ما يمثل الآن الوحدة البسيطة وحسب، على نحو أنه ما من فرقٍ كان يكون موضوعاً، بل ما يمثل هو هذه الحركة حيث يُوتى فرقٌ ما بلا ريب، ولكنه سرعان ما يُنسخ من جديد من جهة أنه ليس بفرقٍ. - وعليه فما ينتهي إليه الشرح هو أنّ الحركان والتبدل اللذين كانا من قبل خارج الباطن وفي الظاهرة وحسب، إنّما ينفذان إلى العالم الذي فوق الحس؛ أما الوعي الذي لنا فقد مرّ انطلاقاً من الباطن من حيث هو موضوع إلى الناحية الأخرى في الذهن أين يكون له التبدل.

[3. قانون الفرق المحض، العالم المعكوس] - ما زال هذا التبدل يعدم من هذا الوجه التبدل الذي لرأس الأمر، بل هو يبين في الأكثر كتبدل خالص من حيث إنّ مضمون اللحظات التي له إنّما يظل على الحصر هو هو. ولكن ما دام المفهوم بما هو مفهوم الذهن عين ما يكون الباطن الذي للأشياء، فإن ذلك التبدل إنّما يصير عند هذا الذهن كأنه القانون الذي للباطن؛ فالذهن إنّما يخبر إذا أنّ قانون الظاهرة نفسها أن تصير فروقٍ ليست هي بفروقٍ؛ أو أنّ المشترك بالاسم (Das Gleichnamige) يَطْرَحُ خارج نفسه (Von sich selbst abstößt)؛ وكذلك يخبر أنّ الفروق إنّما هي على الحقيقة ليست بفروقٍ، وأنها تنتسخ؛ أو أنّ غير المشترك بالاسم إنّما ينجذب. - وثمة قانون ثانٍ يتضاد مضمونه مع ما سُمي من قبل قانوناً، نعني الفرق الذي ما ينفك متساوياً مع ذاته؛ فهذا القانون الجديد إنّما يعبر في الأكثر عن أستحالة المتساوي لامتساوياً وأستحالة اللامتساوي متساوياً. والمفهوم إنّما يقتضي من <sup>1]</sup>

أندام الفكر أن يقرن بين القانونين جميعاً، فيصيرَ واعياً بتضادّهما. - وبحقّ ما يكون الثاني قانوناً أيضاً، أو هو كينونةً جوائيةً متساويةً مع نفسها؛ لكنّه تساو ذاتيّ هو في الأكثر التساوي الذاتي الذي للتساوي، وثبات هو ثبات اللّاثبات. - لقد بان هذا القانون في لعب القوى من جهة ما هو على الحصر هذا التمارّ المطلق، أو بما هو البدلّ المحض؛ والمشارك بالاسم، أي القوّة، إنّما ينحلّ إلى تقابلٍ يظهر في مبتدأ الأمر كفرقٍ قائم برأسه، لكنّه يتّضح أنّه في واقع الأمر ليس بفرقٍ؛ فالمشارك بالاسم هو الذي يطرّح خارج ذاته بذاته، فلذلك هذا المطرّح إنّما ينجذبُ بالجوهر، لأنّه هو هو؛ وعليه فالفرق المقدّم إنّما ينتسخ من جديد ما دام ليس بفرقٍ. عندئذٍ يبيّن هذا الفرق كأنّه الفرق الذي لرأس الأمر، أو كأنّه فرقٌ مطلق، وهذا الفرق الذي للأمر ليس إذاً سوى المشارك بالاسم الذي أطرح نفسه بنفسه، فلا يضع لذلك إلّا تقابلاً ليس هو بتقابلٍ.

من خلال هذا المبدأ ينقلب العالم الذي فوق الحس من جهة ما هو الملكوت الساكن للقوانين ونسخة العالم المدرك حسياً التي في - الحال إلى ضده؛ فالقانون إنّما كان بالجملة الذي يظلّ متساوياً مع ذاته (Das sich Gleichbleibende)، مثلما كانت فروقه؛ أمّا ما يوضع الآن هو أنّ ذلك وهذه إنّما تكون في الأكثر جميعاً ضدّ نفسها؛ فالمساوي لنفسه إنّما يطرّح في الأكثر نفسه بنفسه، واللامساوي لنفسه إنّما يستوضع نفسه في الأكثر كأنّه المساوي لنفسه. وما دام المساوي غير مساوٍ لنفسه واللامساوي مساوياً لنفسه، فإنّ الفرق إنّما يكون بالفعل فرقاً جوائياً، أو يكون فرقاً في ذاته، بمعنيّة ذلك التعيّن وحسب. هذا العالم الذي فوق الحس الثاني إنّما هو على هذا النحو العالم المعكوس؛ بل الحقّ أنّه - من جهة أنّ وجهاً يكون حاضراً فعلاً عند العالم الذي فوق الحس الأوّل - الوجه المعكوس لهذا العالم الأوّل. بذلك يتكامل الباطن

كظاهرة. فالعالم الذي فوق الحسّ الأوّل إنّما كان فقط أرتفاع العالم المدرك حسياً أرتفاعاً في - الحال إلى العنصر الكلّي؛ وكانت له في هذا الأخير صورته المضادة الواجبة، وكان هذا الأخير لا يزال يحفظ لذاته مبدأ الإبدال والتبدّل؛ فملكوت القوانين الأوّل إنّما كان ينقضه هذا المبدأ، لكنّه يحصله من جهة ما هو عالمٌ معكوسٌ.

وعليه فإنّ المشترك بالاسم الذي للعالم الأوّل إنّما يكون وفق القانون الذي لهذا العالم المعكوس اللامساوي<sup>12]</sup> لنفسه، واللامساوي الذي لعين العالم يكون كذلك لامساوياً لنفسه، أو يصير مساوياً لذاته. وسيحصل هذا الأمر عند لحظات معيّنة، على نحو أنّ ما هو في قانون العالم الأوّل حلّو يكون مرّاً في هذا ألفي - ذاته المعكوس؛ وما يكون في ذلك أسودّ يكون في هذا أبيض. وما هو في قانون الأوّل في المغنطيس قطبٌ شماليّ يكون في ألفي - ذاته الذي فوق الحسّ المغاير له (لاسيما في الأرض) قطباً جنوبياً؛ أمّا ما هو هناك قطب جنوبيّ يكون هنا قطباً شماليّاً. وكذلك ما هو في القانون الأوّل للكهرباء قطب الأوكسيجين إنّما يصير في ماهيته التي فوق الحسّ المغايرة قطب الهيدروجين، والعكس بالعكس: ما هو هناك قطب الهيدروجين يصير هنا قطب الأوكسيجين. وفي مجال آخر يكون الانتقام من العدو وفق القانون الذي في - الحال أعظم رضى تأتيه الفردية التي أهيئت. ولكن هذا القانون الذي يقتضي أن أظهر - إزاء من لا يعاملني معاملة الماهية القائمة برأسها - كماهية تقابله فأنسخه، إنّما ينقلب من خلال مبدأ العالم الآخر إلى القانون المتضاد، أي إنّ أسترجاع ذاتي كأنّ للماهية عبر نسخ الماهية الغربية، إنّما ينقلب إلى تقوؤ ذاتي؛ فإذا جعلنا الآن من هذا العكس الذي تُبين في معاقبة الجريمة قانوناً، لم يك من جديد سوى القانون الذي لأحد العوالم الذي ينتصب حياله عالمٌ فوق الحسّ



معكوس، على نحو أن المذموم في ذلك العالم يكون في هذا بجيلاً، أما البجيل هناك فيكون هاهنا مذموماً. أما العقاب الذي يشين المرء ويقوّضه وفق القانون الذي للعالم الأول، فإنما يتحوّل في العالم المعكوس الذي له إلى الرّحمة التي تحفظ له ماهيّته وتشرّفه.

هذا العالم المعكوس إذا ما نُظر فيه على نحو سطحيّ ظهر على أنه ضدّ الأوّل، من حيث إنّ هذا يكون خارجَه وإنّه يدفع عنه ذلك الأوّل كأنّه حقيقٌ معكوسٌ، فيكون الواحد منهما الظاهرة في حين يكون الآخر ألفي - ذاته؛ فأحدهما يكون ما هو كما يكون لآخر، في حين أنّ الآخر يكون - على العكس - ما هو كما يكون لذاته؛ فما هو حلو المذاق - إذا ما اعتمدنا عين الأمثلة الفاتئة - يكون على التخصيص أو على نحو مبطنٍ للشيء مرّاً، أو ما هو قطبٌ شماليّ في المغناطيس الحاقّ الذي للظاهرة يكون عند الكينونة الباطنة أو الماهويّة قطباً جنوبياً، وما يبيّن في الكهرباء الظاهريّة كقطب للأوكسيجين يكون قطباً للهيدروجين عند الكهرباء غير الظاهريّة أو: الصنيع الذي يكون في الظاهرة جُرمًا [113] قد يجب فيه إمكان أن يكون في الباطن وعلى التخصيص صنيعاً حسناً (صنيعٌ قبيحٌ تكون له نيّة حسنة)، فالعقاب ينبغي ألا يكون عقاباً إلا في الظاهرة، أمّا في ذاته أو في عالم مغاير فيكون خيراً للمجرم. غير أنّ مثل هذه الأضداد من باطن وظاهر، وظاهرة ما هو فوق الحسن من جهة ما هي أضدادٌ حقيقيّين من جنسين مختلفين لم تعد هاهنا ماثلة؛ فالفروق المطرّحة لن تنقسم من جديد إلى مثل هذين الجوهرين اللذين قد يحملانها فيهبانها قومة منفصلة، فذلك ممّا قد يُسقط الذهن من جديد انطلاقاً من الباطن إلى وضعه الفاتئ. فأما أحد الوجهين أو أحد الجوهرين فقد يظلّ العالم الذي للإدراك الحسّي، أين يدفع أحد القانونين ماهيّته، فينتصب قدام هذا العالم عالم باطن، عالم محسوس على التدقيق

من قبيلِ الأوّل، لكن في التصوّر؛ فقد يعسر التلويحُ إليه كعالم محسوس، فلا تتيسّر رؤيته ولا سماعه ولا تذوّقه، لكنّه مع ذلك يُتصوّرُ كعالم محسوس من هذا القبيل. ولكن إذا كان بالفعل الواحد من الموضوعات<sup>(9)</sup> مدركاً بالحسّ، وكان ألفي - ذاته الذي له بما هو العكسُ الذي لعين المدرك شيئاً متصوّراً على نحو محسوس كذلك؛ فالمرُّ الذي كان يكون ألفي - ذاته الذي للشيء الحلو إنّما هو شيءٌ حاقٌّ مثله، شيءٌ مرٌّ؛ والأسودُ الذي كان يكون ألفي - ذاته الذي للأبيض إنّما هو الأسودُ الحاقٌّ؛ والقطب الشماليُّ الذي يكون ألفي - ذاته الذي للقطب الجنوبيّ إنّما هو القطب الشماليّ المائلُ في عين المغنطيس؛ وقطب الأوكسيجين الذي هو ألفي - ذاته الذي لقطب الهيدروجين إنّما هو قطب الأوكسيجين المائلُ في عين البطارية. أمّا الجرم الحاقٌّ فإنّما يكون عكسه وألفي - ذاته الذي له بما هو إمكانُ ضمنّ النية بما هي كذلك، لكن ليس ضمنّ نية حسنة، لأنّ حقيقة النية إنّما هي الفعل ذاته وحسب. ولكن الجرم، وفق مضمونه، إنّما يكون له انعكاسه في ذاته أو عكسه في العقاب الحاقٌّ؛ فهذا العقاب إنّما هو أئتلاف القانون مع الحقيق المتضادّ معه في الجرم. والعقاب الحاقٌّ إنّما يكون له في الختام حقيقه المعكوسُ في داخله، على نحو أنّه يكون مثل هذا التحقّق الذي للقانون، حيث ينتسخ النشاط الذي يكون للقانون من جهة ما هو عقابٌ، فيتصيّر القانون من جديدٍ من قانون ناشطٍ إلى قانون ساكنٍ وصالحٍ؛ أمّا حركة الفردية ضدّ<sup>14]</sup> القانون كما حركة القانون ضدّ الفردية فإنّما تكون خمدت.

[III. اللاتناهي] - وعليه يتحتّم إبعادُ التمثيل الحسّي لرسوخ

الفروق في عنصر متنوّع للقوام عن تمثيل العكس الذي يكون الماهية التي لأحد جوانب العالم الذي فوق الحسّ، كما ينبغي

(9) على معنى الذي يوضّح.

بيانٌ وتحصيلُ هذا المفهوم المطلق للفرق بما هو فرقٌ جوائنيٌّ بياناً وتحصيلاً خالصاً، أعني بيانٌ وتحصيلٌ أطراحَ المشتركِ بالاسم - بما هو المشترك بالاسم - لنفسه بنفسه، والكونَ المتساويَ للامتساوي من جهة ما هو اللامتساوي؛ فالذي يلزم إنَّما هو التفكير في التبدل المحض، أو في التضادَّ في حدِّ ذاته، أو في التناقض. ذلك أنَّ المتضادَّ الذي في الفرق من حيث يكون جوائنيّاً، ليس أحدَ اثنينٍ وحسب، - وإلاَّ كان يكون كائناً ما، لا متضادّاً، - بل إنَّما هو المتضادَّ الذي لمتضادِّ، أو: الآخرَ نفسه يكون فيه في - الحال مائلاً، فأنا أضعُ فعلاً هاهنا الضدَّ، في حين أضعُ هاهناك الآخرَ الذي هو ضده، فأضعُ إذاً الضدَّ على جهةٍ وفي ذاته ولذاته ومن دون الآخر. ولكن لهذه العلة يكون الضدَّ - ما دمتُ قد وضعتُ هاهنا الضدَّ في ذاته ولذاته - ضدَّ نفسه، أو ينطوي في - الحال على الآخر. - كذا يكون العالم الذي فوق الحسِّ الذي هو العالم المعكوسُ قد غلبَ في الوقت ذاته العالم الآخرَ، وأنطوى عليه في ذاته؛ فهو إنَّما هو لذاته العالم المعكوسُ، أي هو عكسُ نفسه، فيكون هو نفسه والمتضادَّ معه في وحدةٍ بعينها. والفرق لا يكون جوائنيّاً أو فرقاً في ذاته، أو لا يكون من جهة أنه لاتناهٍ إلاَّ على هذا النحو.

إنَّا نرى القانون يتكَمَّل في حدِّ ذاته بمعية اللاتناهي حدِّ الضرورة، ونرى كلَّ اللَّحظَات التي للظاهرة تُستَغرق في الباطن. أمَّا أنَّ البسيط الذي للقانون إنَّما هو اللاتناهي، فذلك معناه وفق ما لاحَ، (أ) أنه مساوٍ لنفسه، لكنَّه في ذاته الفرقُ، أو هو المشترك بالاسم الذي يَطَّرَحُ بنفسه عن نفسه، أو ينفصمُ؛ فالذي كان سُمِّيَ القوَّة البسيطةَ إنَّما يزدوجُ بنفسه، فيكون بمعية لاتناهيه القانون. (ب) والمنفصمُ الذي يكوِّنُ الأجزاء المتصوِّرة في القانون إنَّما يبيِّنُ كالباقِي؛ وهذه الأجزاء إذا ما أُعْتُبرت من دون مفهوم الفرق الجوائني، إنَّما هي المكان والزمان، أو المسافة والسرعة، [115]

التي تهلُّ كالحظات الجاذبيّة، فتكون بعضها حيال بعض سيّانيّة ومن دون ضرورة، مثلما تكون حيال الجاذبيّة نفسها، وكذلك تكون الجاذبيّة حيالها، أو كما تكون الكهرباء البسيطة حيال السالب والموجب. (ج) لكن هذا اللامساوي والسيّانيّ، أي المكان والزمان وما إليه، إنّما يكون بمعية الفرق الجوانيّ فرقاً ليس هو بفرقٍ، أو هو مجرد الفرق الذي للمشارك بالاسم؛ أمّا ماهيته فإنّما هي الوحدة، وهذه الأطراف بما هي الموجب والسالب إنّما يحركها الرّوح (Sind begeistert) بعضها حيال بعض؛ أمّا كونها فهو في الأكثر أنّ تستوضع نفسها كليّس، فتنتسخ في الوحدة؛ فالذي يلبث إنّما هما المختلفان، ذلك أنّهما يكونان في ذاتيهما، وهما في ذاتيهما كمتضادّين، أي كالمتضادّ مع نفسه، ويكون لهما الآخر في داخلهما، فيكونان وحدةً برأسها وحسب.

هذا اللاتناهي البسيط، أو المفهوم المطلق، إنّما تجب تسميته الماهية البسيطة التي للحياة، النفس التي للعالم، الدم الكليّ الذي لا يشوبه وهو الحاضر في كلّ موضع - اضطرابٌ ولا انفصالٌ من جِراء أيّ فرق كان، بل يكون هو ذاته في الأكثر كلّ الفروق، كما هو كونها المنسوخ؛ إنّ هو إذاً إلا نبض في ذاته، لكن من دون أن يتحرك، وخفقانٌ في ذاته، من دون أن يتحير. فهذا اللاتناهي إنّما هو المتساوي وذاته، لأنّ الفروق من تحصيل الحاصل، فهي فروق ليست بفروق. ولذلك لا تتصل هذه الماهية المتساوية وذاتها إلا بذاتها، - وما دامت تتصل بذاتها، فإنّ في ذلك إذاً مغايراً يُقصد إليه الاتّصال؛ فإذا الاتّصال بالذات ذاتها في الأكثر انفصامٌ؛ أو هذا التساوي والذات يكون على التدقيق فرقاً جَوَانِيّاً. وهذه المنفصمات إنّما تكون بذلك في ذاتها ولذاتها، كلّ منها ضدّ، - ضدّ آخر؛ كذا يُقال الآخر أيّان يُقال كلّ منها، أو: كلّ منها ليس ضدّ آخر، بل الضدّ الخالص وحسب؛ وعلى هذا النحو يكون إذاً في حدّ ذاته ضدّ نفسه؛ أو ليس هو بالجملة

ضدًا، بل هو لذاته صرفاً، ماهيةً صرفً مساويةً لذاتها لا يكون لها في داخلها فرقٌ؛ وعليه فلا حاجة عندنا إلى السؤال، وأقلّ من تلك حاجتنا إلى أن نرى في نُكُولٍ مثل هذا السؤال فلسفةً، ولا حتى أن نرى أنه سؤال لا يحتمل إجابةً بالنسبة إلى الفلسفة، - فلا حاجة لنا إذاً أن نسأل كيف يحصل الفرقُ عن هذه الماهية الخالصة، وكيف يحدث الفرقُ أو الكونُ المغايرُ خارجها، لأنّ الانفصام إنّما قد حصل بعدُ، والفرقُ إنّما قد صُدَّ عن المساوي لذاته، فوُضِعَ جانبه؛ وعليه فإنّ ما ينبغي أن يكونه المساوي لذاته إنّما هو في الأكثر أحدُ الأطراف المنفصمة، وليس ما كانت تكون الماهية المطلقة. والقول إنّ المساوي لذاته قد انفصم إنّما يعني كذلك ولهذه العلة أنه ينتسخُ بما هو ما قد انفصم بعدُ، وأنه ينتسخُ من جهة ما هو كونٌ مغايرٌ. أمّا الوحدة التي درج القول فيها إنه ليس بإمكان الفرق أن يصدرَ عنها، فتكون هي نفسها في الواقع إحدى لحظات الانفصام وحسب؛ فإنّما هي تجريد البساطة الذي ينتصب حيالَ الفرق. ولكن لما كانت هذه الوحدة تمثل التجريد، وبما أنّها إحدى المتضادات وحسب، فهذا القول إنّما معناه أنّها الانفصامُ؛ لأنّه لما كانت هذه الوحدة سالباً ما، ومتضاداً ما، فإنّها إنّما وُضعت كالذي ينطوي على المتضاد. ولهذه العلة فإنّ فروق الانفصام والضرورة المساوية لنفسها إنّما هي هذه الحركة التي للانتساخ الذاتي وحسب؛ لأنّه لما كان المساوي لنفسه الذي ينبغي رأساً أنْ ينفصمَ أو يصيرَ إلى ضدّه، تجريداً، أو كان هو ذاته منفصماً فعلاً، فإنّ الفصمَ الذي له إنّما هو بذلك نسخٌ لما يكونه، إذاً نسخٌ لكونه منفصماً. أمّا الصيرورة المساوية لنفسها فهي أيضاً انفصامٌ؛ فالذي يصير متساوياً وذاته إنّما ينتصب بذلك حيال الانفصام، ومعناه أنه بذلك إنّما يتبدُّ بنفسه جانباً ما، أو يصير في الأكثر مفصوماً.

[تلخيص وخاتمة] - إنّ اللاتناهي أو هذا التحير المطلق

الذي للتحرك الذاتي الصرف على نحو أنّ ما يكون متعيّناً بأي وجه من الوجوه، ومثاله الكينونة، إنّما يكون في الأكثر ضدّ هذه التعيّن، إنّما كان بحقّ النفس المحركة لكلّ ما سبق؛ لكنّها هي ذاتها لم تنجم في مبتدأ الأمر وبشكل حرّ إلا في الباطن. والظاهرة أو لعب القوى إنّما يُبينان هذا اللاتناهي في حدّ ذاته؛ لكنّه لم ينجم أولاً على نحو حرّ إلا كفعل شرح؛ ولما أضحى في النهاية موضوعاً بالنسبة إلى الوعي على سبيل ما يكونه، فالوعي إنّما أمسى وعياً - بالذات. وفعل الشرح الذي للذهن إنّما يأتي فقط وصف ما هو الوعي - بالذات؛ فالذهن إنّما ينسخ الفروق الماثلة في القانون والتي صارت بعد خالصه وإنّ ما أنفكّت سيانته، ثمّ يضعها في وحدة بعينها، وهي القوّة. أما هذه الاستحالة مساوياً فإنّما تكون في - الحال أيضاً انفصاماً، لأنّ الذهن ينسخ الفروق <sup>17</sup> فيضع الواحد الذي للقوّة فقط من جهة أنّه يأتي فرقاً جديداً ما بين القانون وبين القوّة، لكنّه في الحين ذاته ليس بفرق؛ ولكي يقف على أنّ هذا الفرق ليس هو أيضاً بفرق، يسعى هو ذاته إلى أن ينسخ من جديد ذلك الفرق، من حيث يجعل القوّة على عين الصفة التي يكون عليها القانون. - أما هذه الحركة أو الضرورة فتظّلان على هذا النحو ضرورةً للذهن وحركته؛ أو هذه الحركة ليست من حيث هي كذلك بالموضوع الذي للذهن، بل موضوعات الذهن في هذه الحركة إنّما هي الكهرباء الموجبة والسالبة والمسافة والسرعة والجاذبية وألّف شيء آخر، وهذه هي التي تكون مضمون اللّحظات التي للحركة. وإذا كان ثمة في فعل الشرح كثير من الرضوان الذاتي، فالعلّة في ذلك تكمن على الحصر في أنّ الوعي - إنّ جاز القول على هذا النحو - إذ يسلك فيه مسلك محاورة الذات لذاتها التي في - الحال، لا يتمتّع إلا بنفسه، فيظهر فعلاً على أنّه يشتغل بشيء مغاير؛ لكنّه في الواقع لا يضرب إلا إلى ذاته ولا ينشغل إلا بها.

وبحق ما يصير اللاتناهي نفسه في القانون المتضاد من جهة ما هو عكس القانون الأول، أو في الفرق الجواني، الموضوع الذي للذهن؛ لكنّ الذهن سرعان ما يعدم ذلك اللاتناهي بما هو كذلك، من حيث يفصم من جديد إلى عالمين، أو إلى عنصرين جوهريين الفرق في ذاته وفعل اطراح المشترك بالاسم لنفسه بنفسه كما اللامتساويات التي تتجاذب؛ أما الحركة كما تكون في التجربة، فإنّما هي عند الذهن هاهنا حدث، والمشارك بالاسم واللامساوي إنّما تكون عنده محمولات ماهيتها حامل ما كائن. وعين الشيء الذي يكون عند الذهن موضوعاً في غلاف حسّي، يكون عندنا في شكله الماهوي كمفهوم خالص. وهذا الدرك للفرق كما هو على الحقيقة، أو درك اللاتناهي بما هو كذلك، إنّما يكون بالنسبة إلينا، أو في ذاته؛ فأما تبيين المفهوم الذي للاتناهي فإنّما ينتمي إلى العلم؛ وأما الوعي كما يكون له هذا المفهوم في - الحال، فإنّما يهلّ من جديد كصورة خاصّة أو شكل مستجد للوعي؛ وهو شكل لا يعترف ماهيته في الذي سبق، بل ينظر إليها كشيء مغاير تمام المغايرة. - وما دام هذا المفهوم الذي للاتناهي قد بات موضوعاً للوعي، فالوعي إنّما يكون إذاً وعياً بالفرق كأنّ بشيء منسوخ في - الحال كذلك؛ فالوعي إنّما يكون لذاته، إنّ فعل مباينة اللامباين، أو هو الوعي - بالذات؛ فأنا أباين نفسي من نفسي، وفي ذلك إنّما يبين في - الحال بالنسبة إليّ أنّ هذا المباين ليس بمباين؛ فأنا، المشارك بالاسم، إنّما أطرح نفسي عن نفسي؛ لكن هذا المباين، أو هذا الذي يوضع لامساوياً، ليس في - الحال، ما دام مبايناً، فرقاً بالنسبة إليّ. والوعي بشيء مغاير، أو بالجملة بموضوع ما، إنّما هو نفسه وبالضرورة وعي - بالذات وكيونة متفكّرة في ذاتها؛ إنّ وعي بالذات في الكيونة المغايرة التي له. والسيرورة الواجبة انطلاقاً من أشكال الوعي السارية إلى الآن، وهي التي كان الحق فيها شيئاً ما، أو شيئاً مغايراً لها هي

[118]

ذاتها، إنّما لا تفصح فقط عن كون الوعي بالشيء ليس ممكناً إلا بالنسبة إلى وعي - بالذات، بل عن كون هذا الوعي - بالذات إنّما هو وحدَه حقيقةً هذه الأشكال؛ إلا أنّ هذه الحقيقة لا تمثّل إلا بالنسبة إلينا، إذ ما زالت لم تمثل بالنسبة إلى الوعي. أمّا الوعي - بالذات فإنّما صار أولاً لذاته، وما زال لم يحصل بالجملة كوحدة مع الوعي.

إنّا نرى أنّ الذهن لا يمثّل على الحقيقة ضمن الباطن الذي للظاهرة شيئاً مغايراً للظاهرة نفسها، لكن لا كما تكون الظاهرة ضمن لعب القوى، بل عين لعب القوى في لحظاته الكلّية على الإطلاق كما في الحركة التي لها، فالذهن لا يتعنّى في واقع الأمر سوى ذاته ولا يخبر إلّاها. والوعي إذ يرتفع فوق الإدراك الحسيّ، إنّما يعرض مقترناً<sup>(10)</sup> باللامحسوس من خلال وسط الظاهرة الذي يحدّق (Schauen) بمعنيته في هذا الغور. وأمّا الطّرفان اللذان يكون أحدهما الباطن الصّرف والآخر الباطن المحدّق في هذا الباطن الصّرف، فقد تطابقت الآن؛ وأمّا الوسط، مثله مثل الطّرفين بما هما كذلك، فقد زال من جهة ما هو شيء مغاير. وعليه فقد رُفع الستار عن الباطن، وما يمثّل إنّما هو تحديق الباطن في الباطن، التحديق الذي للمشارك بالاسم اللامباين الذي يطرح نفسه عن نفسه، ويستوضع نفسه كباطن مباين، لكنّه أيضاً الذي يكون له في - الحال اللاتبين بين هذا وذاك، الوعي - بالذات. والذي يتضح هو أنّه لا شيء يُرى من وراء هذا الستار المظنون فيه الذي ينبغي أن يحجب الباطن، اللهم إلا إذا ما ذهبنا بأنفسنا خلقه حتى تستقيم الرؤية فيكون وراءه شيء ما يُرى. لكن ما يبيّن بنفسه في الوقت ذاته هو أنّه لا يمكننا الذهاب على هناك مباشرةً ومن دون حساب كلّ الأحوال<sup>9)</sup>

(10) الإقتران هاهنا يُسمع أيضاً على معنى المقايسة بمعنيّة وسط.



والصروف، لأنّ هذا العلم بما هي حقيقةُ تصوّر الظاهرة كما  
باطنِها إنّما هو نفسه نتاجُ حركةِ ذاتِ أحوالٍ بعينها، حيث تزول  
وجوه الوعي، نعني التظنّن والدرك الحسيّ والذهن؛ والذي سيبيّن  
بنفسه أيضاً هو أنّ الإحاطة بما يعلمه الوعي، من جهة أنّه يعلم  
ذاته، إنّما تلزم فيها أحوالٌ أخرى سيتلو بيانها.

## IV. حقيقة الإيقان من الذات

إنّ الحقّ يكون ضمنَ وجوه الإيقان التي عرضت إلى الآن وفي نظر الوعي شيئاً مغايراً له. ولكنّ مفهومَ هذا الحقّ إنّما يزولُ في تجريبه؛ وكما كان الموضوعُ في - الحال في ذاته، الكائن الذي للإيقان الحسّي، والشياء المتعيّن الذي للإدراك الحسّي، والقوّة التي للذهن، فإنّه يتضحُ أنّه لا يكون في الأكثر كذلك على الحقيقة، بل هذا ألفي - ذاته إنّما يحصلُ من جهة ما هو وجهُ ما، كما يكون الموضوعُ بالنسبة لمغاير وحسب؛ فالمفهوم الذي يكون عنه إنّما ينتسخُ في الموضوع الحاقاً، أو التصوّر الأوّل الذي في - الحال إنّما يفوتُ في التجربة، والإيقان إنّما يفوتُ في الحقيقة. ولكن مذكاً يكون نجم ما لم يتيسّر له الحصولُ في تلك الروابط الفائتة، أعني إيقاناً يضاهاي حقيقته، لأنّ الإيقان إنّما يكون هو نفسه موضوع نفسه، والوعي إنّما يكون في نظر نفسه الحقّ. وبحقّ ما يحصل في ذلك كونٌ مغايرٌ، ولاسيّما أنّ الوعي يباينُ، لكنّه يباين شيئاً يكون بالنسبة إليه في الحين ذاته غير مباين. فلنسمّ مفهومًا الحركة التي للمعرفة، أمّا الموضوع فلنسمّه المعرفة بما هي وحدة ساكنة، أو بما هو أنا، عندئذ نرى أنّ الموضوع يطابق المفهوم لا بالنسبة إلينا وحسب، بل بالنسبة إلى المعرفة نفسها. - أو لنسمّ من الناحية الأخرى المفهوم ما يكون الموضوع في ذاته، أمّا الموضوع فلنسمّه ما يكون الموضوع بما هو

موضوع، أو بالنسبة لمغاير، عندئذ يتضح أن الكون في الذات والكون لمغاير متهويان؛ لأنّ أَلْفِي - ذاته إنّما هو الوعي؛ لكنّ الوعي هو أيضاً الذي يكون من أجله مغاير (أَلْفِي - ذاته)؛ وإنّه لمن أجله يكون أَلْفِي - ذاته الذي للموضوع وكون الموضوع لمغاير متهويين؛ أمّا الأنا فهو مضمون الصلة، وهو فعل الوصل ذاته؛ فإنّما يكون هو نفسه حيال مغاير، وفي الحين ذاته يغلب هذا المغاير الذي يكون فقط في نظره متهويًا وإياه.

[I. الوعي - بالذات، في ذاته] - مع الوعي - بالذات نكون إذاً قد ولجنا للتوّ مهدّ الحقيقة وملكوتهَا. وما ينبغي النظر فيه هو كيف يهَلّ في مبتدأ الأمر الشكُّ الذي للوعي - بالذات؛ فإذا تحرّينا هذا الشكل الجديد الذي للمعرفة، المعرفة بالذات، في علاقته بما فات، أي بالمعرفة بشيء مغاير، لبان أنّ هذه الأخيرة قد زالت فعلاً؛ لكنّ لحظاتها ما أنفكت في الوقت ذاته محفوظة؛ والفوات إنّما يكمن في أنّ هذه اللحظات تمثّل هاهنا مثلما تكون في ذاتها. فالكينونة التي للتظنن والفردية والكلية المتضادة معها اللتان للإدراك الحسيّ، كما الباطن الأجوف الذي للذهن، لم تعد كما هيّات، بل أضحت لحظات للوعي - بالذات، ومعناه أنّها صارت تجريدات أو فروقاً هي في الحين ذاته في نظر الوعي نفسه ليس، أو ما هي بفروق؛ إنّ هي إلا ماهيات زائلة زوالاً صرفاً. وعليه يظهر أنّ الذي فات إنّما هو اللحظة الرئيسّ نفسها، لاسيّما الدوام القائم برأسه والبسيط بالنسبة إلى الوعي. ولكنّ الوعي - بالذات إنّما هو بالفعل التفكّر انطلاقاً من الكينونة التي للعالم الحسيّ والمدرك، وهو الأوبئة من الكون المغاير. إنّ من جهة ما هو وعي - بالذات حركة؛ لكن من جهة أنّه لا يباين من نفسه سوى نفسه بما هي كذلك، فإنّ التباين يكون له في - الحال منسوخاً من حيث هو كون مغاير؛ فالفرق لا يكون، والوعي - بالذات هو فقط تحصيل الحاصل العاري من الحركة الذي ل: أنا

هو أنا؛ ولما كان الفرق عند هذا الوعي - بالذات يعدُّ الشكل الذي للكينونة، لم يكن وعياً - بالذات. وعليه فالكون المغاير إنما يكون بالنسبة إلى هذا الوعي - بالذات من جهة ما هو كون، أو لحظة مخالفة؛ لكن تكون له أيضاً في الوقت ذاته وحدة الذات مع هذا المخالف، مثل لحظة مختلفة ثانية. عند اللحظة الأولى يكون الوعي - بالذات كأنه وعي، فيترسخ له الامتداد الكامل الذي للعالم الحسي، لكنه لا يترسخ في الوقت ذاته إلا موصولاً باللحظة الثانية، أي بوحدة الوعي - بالذات مع ذاته؛ وعليه فالعالم الحسي إنما هو بالنسبة إليه لا بث؛ لكنه لبث الظاهرة وحسب، أو الفرق الذي يعدم في ذاته الكون. أما هذا التقابل بين ظاهرته وبين حقيقته فلا ماهية له سوى حقيقته، أعني وحدة الوعي - بالذات مع ذاته؛ فلا بد أن تصير هذه الوحدة لهذا الوعي - بالذات جوهرية، ومعناه أنه بالجملة رغبة. مذكاً يكون للوعي بما هو وعي - بالذات موضوع مزدوج، فأما أحدهما فهو الذي - في - الحال، الموضوع الذي للإيقان الحسي والدرك الحسي، لكنه موصوفٌ بالنسبة إلى الوعي بطابع السلبي؛ وأما الثاني، فإنما هو هذا الوعي نفسه، وهو الماهية الحق، والذي لا يمثل في مبتدأ الأمر إلا على تقابل مع الموضوع الأول. والوعي - بالذات إنما يعرض في ذلك من جهة ما هو الحركة حيث يُنسخ ذلك التقابل، فتحصل له مضاهاته لذاته.

[2]

II. الحياة] - لكن الموضوع الذي هو السلبي بالنسبة إلى الوعي - بالذات إنما يكون من جهته في نظرنا أو في ذاته قد أب إلى نفسه، مثلما هي حال الوعي من جهته؛ فالموضوع إنما صار حياة عبر هذا التفكير في داخله. أما ما يُفردُه الوعي - بالذات عن ذاته (Von sich unterscheidet) كأنه كائن، فهو لا ينطوي أيضاً في حد ذاته - من حيث يوضع كائناً - على مجرد الوجه الذي للإيقان والإدراك الحسيين، وإنما هو كينونة متفكرة في ذاتها، فالموضوع

الذي للرغبة التي في - الحال إنما هو حيي. ذلك أن أَلْفِي - ذاته أو الحاصل الكَلِّي عن صلاتِ الذهن بباطن الأشياء، إنما هو فعل المباينة للذّي لا يقبل المباينة، أو هو وحدة المباين. ولكن هذه الوحدة هي أيضاً - كما كنّا رأينا - فعلُ صَدّها لذاتها عن ذاتها، وهذا المفهومُ إنما ينفصمُ في التقابل الذي بين الوعي - بالذات وبين الحياة؛ فذاك إنما هو الوحدة التي تكون لها الوحدة اللامتناهية للفروق؛ وأمّا هذه فتكون هذه الوحدة وحسب، على نحو أن الوحدة لا تكون في الوقت نفسه لذاتها. وكما يكون الوعي قائماً برأسه إذاً، يكون موضوعه في ذاته قائماً برأسه أيضاً. أمّا الوعي - بالذات الذي يكون لذاته على الإطلاق، ويسم في - الحال موضوعه بطابع السلبي، أو يكون في بادئ أمره رغبةً، فسيأتي في الأكثر لهذه العلة تجربة القيمة الذاتية التي للموضوع عينه.

إنّ تعيين الحياة كما تتضح من المفهوم أو الحاصل الكَلِّي الذي نلج بمعنيته هذا المقام، كافٍ في الإشارة إليها، من دون أن نسهب قُدماً في فسر طبيعتها انطلاقاً من ذلك؛ فالدور الذي لذلك التعيين إنما يتكّمّل في اللحظات التالية؛ فالماهية إنما هي اللاتناهي من جهة ما هو الكون المنسوخ الذي لكلّ الفروق، وهي الحركة المحض التي للدوران حول المحور، وسكون اللاتناهي من جهة ما هو لاتناه متحيرٌ على الإطلاق. إنها القيمة الذاتية نفسها التي تتحلّ فيها فروق الحركة؛ وهي الماهية البسيطة التي للزمان الذي يكون له - في ذلك التضاهي الذاتي - الشكل المتكثل الذي للمكان. أمّا الفروق فتقوم أيضاً في هذا الوسط الكَلِّي والبسيط من جهة ما هي فروق؛ لأنّ هذه السيلانية الكَلِّيّة إنما تستقيم لها طبيعتها السالبة فقط من جهة أنها نسخٌ للفروق عينها؛ لكنّه لا يمكنها نسخ الفروق ما لم يك لها دوامٌ. وبحق ما تكون تلك السيلانية نفسها - من جهة ما هي القيمة الذاتية

المضاهية لذاتها - القوامَ والدوامَ، أو الجوهرَ الذي لعين الفرق، أين تكون هذه كأنها أعضاء متباينةٌ وأجزاء كائنةٌ لذاتها؛ فالكينونة لم تعد لها دلالة التجريد الذي للكينونة، والأيسية المحض التي لهذه الأطراف لم تعد لها دلالة التجريد الذي للكليّة؛ بل كينونتها إنّما باتت على الحصر هذا الجوهر السيال والبسيط الذي للحركة الصرف ضمنَ الذات. أمّا الفرق بين هذه الأعضاء بعضها حيال بعض، ومن جهة ما هو فرقٌ، فلا يقوم بالجملة في أيّ تعينيّة سوى التي للحظات اللاتناهي أو للحركة الصرف نفسها.

إنّ الأعضاء القائمة برأسها إنّما تكون لذاتها؛ أمّا هذا الكون لذاتها فإنّما هو في الأكثر وفي - الحال تفكرها في الوحدة، بقدر ما تكون هذه الوحدة الانفصام إلى الأشكال القائمة برأسها. والوحدة منقسمة، لأنّها وحدة سالبة على الإطلاق، أو وحدة لامتناهية؛ ولما كانت هي التي تمثّل الدوامَ، فإنّ الفرق لا تكون له قيمومة ذاتيةٌ إلّا فيها. وهذه القيمومة الذاتية التي للشكل إنّما تظهر كمتعين، وشيءٍ لآخر، لأنّها منقسمٌ؛ ونسخُ الانفصام في هذه الحال إنّما يحدث من خلال مغايرٍ؛ لكنّ هذا النسخ إنّما يحصل كذلك داخل الشكل نفسه؛ لأنّ هذه السيلانية هي التي تكوّن على التدقيق جوهرَ الأشكال القائمة برأسها؛ أمّا هذا الجوهر فلامتناهٍ؛ ولهذه العلة يكون الشكل في دوامه نفسه الانفصام، أو هو نسخُ كونه لذاته.

وإنّ باينًا بأكثر دقة بين اللحظات المتضمنة هاهنا، لرأينا أنّ أوّل لحظة نحصلها إنّما هي دوام الأشكال القائمة برأسها، أو هي قهر ما تكونه المباينة في ذاتها، ولاسيما كونها ليست في ذاتها وكونها تعدم أيّ دوام. أمّا اللّحظة الثانية فهي إخضاع ذلك الدوام للاتناهي الفرق. في اللّحظة الأولى يكون الشكلُ اللابثُ كأنه كائنٌ - لذاته، أو هو في تعينيّته جوهرٌ لامتناهٍ يهلُّ حيال الجوهر الكليّ،<sup>4</sup>

فَيُطِلُّ تلك السَّيْلَانِيَّةَ وَيَجْحَدُ اتِّصَالَهَ مع هذا الجوهر، ثم يرسخ كالذي لا ينفُتُ في هذا الكلِّيِّ، بل يحفظ نفسه في الأكثر عبر الانفصال عن هذه الطبيعة اللاعضوية التي له كما بواسطة استهلاكها. والحياة في الوسط السَّيْلَانِيَّ الكلِّيِّ، بما هي المجاورة الساكنة للأشكال بعضها جنب بعض، إنّما تصير بذلك إلى الحركة التي لعين الأشكال، أو إلى الحياة من حيث هي سيرورة. فأما السَّيْلَانِيَّةُ الكلِّيَّةُ والبسيطة فإنّما هي ألفي - ذاته؛ وأما اختلاف الأشكال فهو المغاير. لكنّ تلك السَّيْلَانِيَّةُ إنّما تصير هي نفسها - بمعنيّة هذا الاختلاف - المغاير، لأنّها إنّما تكون حينئذٍ لأجل الاختلاف الذي يكون في ذاته ولذاته، فتكون إذا الحركة اللامتناهية التي بواسطتها يُستهلك ذلك الوسط الساكن؛ إنّ هي الحياة من جهة ما هي شيءٌ حيٌّ. - لكن لهذه العلة يكون هذا الانقلاب بدوره منقلَبَ الذات نفسها، فالذي يُستهلك إنّما هو الماهية؛ أما الفرديّة فتحفظ نفسها على حساب الكلِّيِّ، فتنسخ مباشرة إذ تستعطي نفسها الشعور بوحدتها مع نفسها، تقابلها مع المغاير، وهو التقابل الذي به تكون لذاتها؛ وأما الوحدة مع الذات التي تتعطاها فإنّما هي على التدقيق سيْلَانِيَّةُ الفروق، أو هي التحلُّلُ الكلِّيُّ. ولكن نسخ الدوام الفرديّ إنّما يكون كذلك - على العكس - النجم الذي لعين الدوام؛ لأنّه لما كانت الماهية التي للشكل الفرديّ الحياة الكلِّيَّة، والكائن لذاته في ذاته جوهرًا بسيطًا، فإنّ هذا الكائن لذاته ينسخ - أيان يضع الآخر فيه - هذه البساطة التي له، أو ينسخ ماهيته، ومعناه أنّه يفصمها؛ وهذا الفصمُ للسَّيْلَانِيَّةِ العريّة من الفرق إنّما هو على التدقيق فعلٌ وضع الفرديّة. وعليه فالجوهر البسيط الذي للحياة إنّما هو انفصامها<sup>(1)</sup> إلى أشكال، وهو في الحين ذاته تحلُّل هذه الفروق اللابثة؛ أما

(1) هيغل يرجع الانفصام إلى الجوهر البسيط (ihrer selbst)، لكن المعنى لا

يستقيم إلا بإرجاعه إلى الحياة.

تحلل الانقسام فإنما هو كذلك فضمّ أو تمفصل<sup>(2)</sup>. كذا يتنافذ  
الوجهان اللذان للحركة كلّها، وهما اللذان بويّن بينهما، أعني  
تكوين الأشكال المتجاوزة على نحو هادئ في الوسط الكلّي الذي  
للقيمومة الذاتية، والسيرورة التي للحياة؛ فأما هذا الوجه الذي  
لهذه السيرورة فإنما هو أيضاً تكوين أشكال، بقدر ما هو نسخ  
الشكل؛ وأما ذلك الوجه الأوّل - أعني تكوين الأشكال - فهو  
نسخ بقدر ما هو تمفصل أعضاء. والأسطقس السيّال إنّما يكون<sup>5]</sup>  
هو نفسه تجريد الماهية وحسب، أو ليس هو بحاقّ إلا كشكل؛  
ولمّا كان متفصلاً، فهو إنّما يكون بدوره فصماً للمتمفصل، أو  
انحلاله. وهذا الدور (Dieser Kreislauf) برّمته إنّما يكون الحياة؛  
فليست هذه لا بالذي قلناه فيها بادئ الأمر، أي قولنا إنّها  
الاتصال الحالي والتكتل الغليظ الذي لماهيتها، ولا هي الشكل  
اللابث والمنفصل الكائن لذاته، ولا هي أيضاً بالسيرورة المحض  
التي لهذا الشكل وهذا المنفصل، ولا هي بالجمع البسيط بين هذه  
اللحظات؛ بل الحياة إنّما هي الكلّ الرّابي بنفسه والذي يحلّ  
ربوه، فيحفظ نفسه على البساطة في هذه الحركة.

III. الأنا والرغبة] - ما دمنا أبتدأنا من الوحدة الأولى  
التي في - الحال وأبنا عبر لحظتي تكوين الأشكال والسيرورة إلى

(2) إن هيجل يعرض هاهنا إلى مقالة كانت قد رسخت منذ الكتابات النقدية وما  
افتتحته من مناظرة غليظة لفلسفات الوعي والتفكر من جهة توسلها المطابقة المجردة  
بين الذاتي والموضوعي: انظر ص 10، الأسطر 30-31 «وأما الانقسام فإنما هو  
معين الحاجة إلى الفلسفة»، وص 13، الأسطر 8-14 «كلّما انبسطت الحياة وتنوع  
الربو الذي لخراجات الحياة حيث يعتش الانقسام، يتعاطم سلطان الانقسام وترسخ  
قداسته الإقليمية، فتصير نزع الحياة إلى إحياء ذاتها في الانسجام نزعاً عريّة من  
المعنى وغريبة عن الكلّ الذي للشقافة» في: Georg Wilhelm Friedrich Hegel,  
*Differenz des Fichteschen und Schellingschen Systems der Philosophie in  
Beziehung auf Reinhold's Beyträge zur leichtern Übersicht des Zustands der  
Philosophie zu Anfang des neunzehnten Jahrhunderts* (Jena: Akad. Buchhandlung,  
1801).



وحدة هاتين اللَّحظتين معاً، ومن ثمّة أُبْنَا من جديد إلى الجوهر الأوّل البسيط، فإنّ هذه الوحدة المبتكرّة إنّما تكون مغايرةً للوحدة الأولى. وهذه الوحدة الثانية، أي الكليّة، هي التي تنطوي - حيال تلك الوحدة الأولى من حيث هي التي في - الحال، أو التي قيلت ككينونةٍ -، على كلّ هذه اللحظات منسوخةً؛ فهذه الوحدة الكليّة إنّما هي الجنس البسيط الذي لا يوجد في الحركة التي للحياة نفسها، لذاته من جهة ما هو هذا البسيط؛ لكنّ الحياة إنّما تحيل في هذا النتاج إلى شيء مغايرٍ لها، ولاسيّما الوعي الذي تكون عنده الحياة كأنّها تلك الوحدة، أو من جهة ما هي جنسٌ.

ولكنّ هذه الحياة المغايرة التي يكون عندها الجنسُ بما هو كذلك الجنسُ لذاته، أي الوعي - بالذات، إنّما تكون لنفسها من أوّل أمرها كأنّها هذه الماهية البسيطة، فتكون لها ذاتها موضوعاً من جهة ما هي محض أنا؛ أمّا في التجربة التي ستتعناها - والتي سنتعقب الفحص عنها الآن -، فسيثري عندها هذا الموضوع المجرد، فيحصل الانبساط الذي رأيناه عند الحياة.

ليس الأنا البسيط هذا الجنسَ أو الكليّة البسيط الذي يتلّسّ عند الفروق، إلّا من جهة أنّه ماهيةٌ سالبةٌ للحظات المتشكّلة والقائمة برأسها؛ عندئذ لا يوقن الوعي - بالذات من نفسه إلّا من جهة نسخ هذا الآخر الذي يعرض له كحياة قائمة بذاتها؛ إنّ هو رغبةٌ. فالوعي - بالذات إذ يوقن من ليسيّة هذا الآخر، إنّما يضع لذاته عين هذه اللّيسيّة كالحقيقة التي له، ثم ينفي الموضوع القائم برأسه، فيكسب من خلال ذلك، الإيقانَ من ذاته بما هو الإيقان الصادق، أي بما هو إيقانٌ صار له على نحو موضوعي.

غير أنّ الوعي - بالذات إنّما يتعنى في هذا الارتياح القيمومة

الذاتية التي لموضوعه؛ فالرغبة والإيقان من الذات المحصّل من خلال إشباعها إنّما يكونان موقفين على الموضوع، لأنّهما يكونان عبر نسخ هذا الآخر؛ فلكي يكون هذا النسخ، وجب أن يكون هذا الآخر. وعليه فليس بوسع الوعي - بالذات أن ينسخ الموضوع بمعية صلته النافية [به]، بل هو يبعثه في الأكثر من جديد، مثلما الرغبة؛ فماهية الرغبة إنّما هي في واقع الأمر شيء مغاير للوعي - بالذات؛ وهذه الحقيقة إنّما تفيء له من خلال هذه التجربة. وبما أنّ الموضوع قائم برأسه، فإنّ الوعي - بالذات لا يمكنه أن يبلغ الإشباع ما لم يأت الموضوع النفيّ بنفسه؛ ولا بدّ للموضوع أن يُتمّ هذا النفيّ الذاتيّ من تلقاء نفسه، لأنّه في ذاته السلبيّ؛ فلا بدّ أن يكون للآخر ما يكونه لنفسه. ولكن لما كان الموضوع في ذاته النفيّ، وكان في الحين ذاته قواماً برأسه، فإنّما هو وعي. والنفيّ في الحياة التي هي موضوع الرغبة، إمّا يكون لدنّ آخر، نعني لدنّ الرغبة، وإمّا كتعيّنيّة حيال شكل مغاير وسيّانيّ، وإمّا كالطبيعة اللاعضوية والكلّيّة التي لهذه الحياة. أمّا هذه الطبيعة الكلّيّة القائمة بذاتها التي يكون النفيّ عندها كمطلقيّ، فإنّما هي الجنس بما هو كذلك، أو بما هو وعي - بالذات. فالوعي - بالذات إنّما لا يبلغ راحته إلاّ في وعي - بالذات مغاير.

إنّ المفهوم الذي للوعي - بالذات يكون تكمّل رأساً في هذه اللحظات ثلاثتها، (أ) فموضوعه الأوّل الذي في - الحال إنّما هو الأنا المحض واللامتباين. (ب) لكن هذه الحالّيّة إنّما هي ذاتها توسيط مطلق، فهي لا تكون إلاّ من جهة أنّها نسخ للموضوع القائم برأسه، أو إنّما هي رغبة. وبحقّ ما يكون إشباع الرغبة تفكّر الوعي - بالذات في ذاته، أو الإيقان الذي صار إلى الحقيقة. (ج) لكن حقيقة عين الرغبة إنّما تكون في الأكثر التفكّر المزدوج، أي تضاعف الوعي - بالذات؛ فالوعي - بالذات يكون موضوعاً للوعي، وهو الموضوع الذي يضع في حدّ ذاته الكون المغاير [7]

الذي له أو الفرقَ بما هو فرقٌ منعدمٌ، وفي ذلك إنّما يكون الموضوعُ قائماً بذاته. والشكلُ المباينُ الذي لا يعدو كونه حياً إنّما ينسخ فعلاً ضمنَ السيرورة التي للحياة قيمومته الذاتية، لكنه يكفّ بفرقه عن كونه ما هو؛ أما موضوع الوعي - بالذات فإنّما يكون أيضاً قائماً برأسه في هذه السالبيّة التي لذاته؛ وبذلك إنّما يكون لذاته جنساً، وسيلانيّةً كليّةً وإن في خصيصةٍ أنفراده؛ فإنّما هو وعي - بالذات حيّ.

فهذا إنّما هو وعي - بالذات لوعي - بالذات. وهو لا يكون بالفعل إلّا من هذه الجهة؛ لأنّ اتّحاده بذاته في كونه المغاير لا يحصل له إلّا في ذلك؛ فالأنا الذي هو موضوع مفهومه ليس في واقع الأمر بموضوع؛ أما موضوع الرغبة فقائم برأسه وحسب، لأنّه الجوهر الكلّي الذي لا يطاله فسادٌ، الماهيّة السيّالة والمتساوية وذاتها. وما دام الوعي - بالذات الموضوع، فالموضوع يكون أنا مثلما يكون موضوعاً. - عندئذ يمثّل بالنسبة إلينا مفهوم الروح. والذي يحدث للوعي من بعد ذلك إنّما هو تجربة ما هو الروح، هذا الجوهر المطلق الذي يكون في حرّيته التامة والقيمومة الذاتية التي لتقابله، ولاسيّما التي للوعيات - بالذات<sup>(3)</sup> المتنوّعة والكائنة لذاتها، ائتلاف عين الوعيات - بالذات؛ فإنّما هو أنا الذي هو النحن، والنحن الذي هو أنا. أمّا الوعي فلا يكون له منقلبه إلّا في الوعي - بالذات من جهة ما هو المفهوم الذي للروح، وهو المنقلب الذي يلج فيه اليَوْمَ الرّوحيّ الذي للحاضر من بعد أن يكون تلفت عن الظاهر المتلون الذي للديويّ المحسوس وعن اللّيل الخاوي الذي للمتعالّي الذي فوق الحسّ.

(3) لا بد لنا في هذا الموضع من نحت جمع للوعي - بالذات، وإن كان

يخرج على ما درج من اللسان.

## 1. القيمة الذاتية التي للوعي - بالذات ولاقيومته؛ الرياسة والخدمة<sup>(4)</sup>

إنّ الوعي - بالذات يكون في ذاته ولذاته ما كان في نظر وعي - بالذات مغاير، في ذاته ولذاته؛ ومعناه أنّه لا يكون إلّا من حيث يُعترف به. والمفهوم الذي لهذه الوحدة التي له في تضاعفه، أو المفهوم الذي للآتاهي إذ يتحقّق في الوعي - بالذات، إنّما هو موضع تلاف (Eine vielseitige und vieldeutige Verschränkung) ذي وجوه ومعانٍ متكرّرة، على نحو أنّه يجب - من ناحية - في [28] اللحظات التي له أن تُحكّم المباينة بينها، بعضها خارج بعض؛ ولا بدّ في الوقت نفسه - ومن ناحية أخرى - أن تؤخّذ في هذه المباينة على أنّها غير متباينة، أو تعتبر وتُعرف دوماً من وجه

---

(4) لقد آثرنا ترجمة زوج (Herrschaft und Knechtschaft) بزواج الرياسة (أو الرئاسة) والخدمة، استلهاماً لما ذهب به الفارابي، انظر ص 87-91 (الفصل 20: القول في أجزاء النفس الإنسانية وقواها)، في: أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم وتعليق ألبير نصرتي نادر (بيروت: دار المشرق، 1985)، ومن بعده ابن سينا ص 196-231 (القسم الثاني، المقالة السادسة: في ترتيب القوى من حيث الرئاسة والخدمة) من تخريج أنطولوجي محكم للعبارتين يجاوز دلالتيهما السياسية الدارجتين في: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، كتاب النجاة. في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، تنقيح وتقديم ماجد فخري (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1985). وأمّا دُفّعنا لترجمة ذلك الزوج وفق ما درجت به العادة في لساننا، نعني زوج السيّد والعبد، فالعلة فيه الاحتراس من خلط قد يقع بين الرياسة والسيادة، وهو خلط يدفعه عنّا اللسان الألمانيّ ذاته، نعني الخلط بين Herrschaft و Meisterschaft، وهذا هو الذي يسود ويغلب (meist) أو يتمكّن من أسباب صناعة ما وما إليه. أمّا العلة الرئيسيّة في ما قد يفضل به زوج الرئيس والخادم زوج السيّد والعبد فترجع إلى أمرين: 1. هذا الطور من الربو الفينومينولوجي للوعي ما زال دون مقام التنظيم الاجتماعي والسياسي (وهذا طورٌ لن يبلغه الوعي إلّا متى ينتهي العقل إلى تعيّن الفردية تعيّنًا واقعيًا، أي تعيّنًا تاريخيًا)، والحال أنّ زوج السيّد والعبد مقترن - في التقليد الوسيط - بإحالة تاريخية، بل أنثروبولوجية. 2. ثمة في دياكطيقا الرياسة والخدمة تخريجٌ دراميّ لفعال الوعي - بالذات وصناعه، رأس الأمر فيه النزول عند المقام المفرد الذي للحرية.

دالاتها المتضادة. أما المعنى المتضاعف الذي للمتباين فإنما يكمن في الماهية التي للوعي - بالذات، نعني كونه إلى ما لا نهاية فيه وفي - الحال ضدّ التعينية التي يوضع فيها. أمّا فسر هذا المفهوم الذي لهذه الوحدة الروحية في تضاعفها فسيبين لنا الحركة التي للعرفان.

[I. الوعي - بالذات المضاعف] - ثمة بالنسبة إلى الوعي - بالذات وعي - بالذات مغاير، وهذا إنّما يهملُ قادمًا من خارج ذلك. ولكن هذا الأمر له معنى مضاعف: أولاً، أنّ الوعي - بالذات قد ضلّ ذاته، لأنه إنّما يجد ذاته كأنها ماهية مغايرة؛ ثانياً، أنّ الوعي - بالذات يكون بذلك قد نسخ الآخر، لأنه لا يرى الوعي - بالذات المغاير كماهية، بل يرى ذاته هو في الآخر.

لا بدّ له أن ينسخ هذا الكون المغاير الذي له؛ فذلك هو نسخ المعنى المضاعف الأوّل، وهو لهذه العلة معنى مضاعف ثانٍ؛ أي: أولاً، أنه يجب على الوعي - بالذات أن يلتمس نسخ الماهية القائمة بذاتها والمغايرة، فيصير بذلك موقناً من نفسه إيقانه من الماهية؛ ثانياً، أن يذهب في نسخ ذاته هو، لأنّ هذا المغاير إنّما هو نفسه.

هذا النسخ ذو المعنى المزدوج الذي للكون المغاير ذي المعنى المزدوج إنّما هو على التدقيق أوبة إلى الذات ذات معنى مضاعف؛ أولاً، لأنّ الوعي - بالذات إنّما يستردّ نفسه من خلال النسخ، لأنه يصير من جديد مظاهياً لذاته بمعنة نسخ الكون المغاير الذي له؛ لكنّه - ثانياً - يردّ من جديد الوعي - بالذات المغاير وشأنه، لأنه كان هو نفسه في الآخر؛ فهو إنّما ينسخ هذا الكون الذي له في الآخر، فيترك الآخر من جديد على حرّيته.

لكن هذه الحركة التي للوعي - بالذات في صلته بالوعي - بالذات المغاير إنّما كانت تُمثّلت على نحو أنها الفعل الذي لأحد

الوعيين - بالذات؛ لكنّ هذا الفعل الذي للواحد منهما له هو نفسه معنى مزدوج، ألا وهو كونه فعله كما فعل الآخر؛ لأنّ الوعي - بالذات المغاير هو أيضاً قائم بذاته، موقوف على نفسه كفيّ بها، ولا شيء يكون فيه ما لم يأت به بنفسه. والوعي - بالذات الأوّل لا يكون الموضوع قدّامه، مثلما يكون في مبدأ الأمر بالنسبة إلى الرغبة، بل يكون له موضوع قائم برأسه وكائن لذاته؛ فلا حيلة للوعي - بالذات بالموضوع ما لم يفعل هذا في ذاته ما يفعله ذاك [29] فيه. وعليه فالحركة إنّما هي على الإطلاق الحركة المضاعفة التي للوعيين - بالذات كليهما؛ فكلّ منهما يرى الآخر يفعل عين ما يفعل هو؛ وكلّ يفعل هو نفسه ما يتطلّبه عند الآخر، فلذلك لا يفعل ما يفعل الآخر، إلّا من جهة أنّ الآخر يفعل الشيء عينه، فلا طائل من فعل أحاديّ، لأنّ ما ينبغي أن يحدث إنّما لا يحصل إلّا عن طريقهما معاً.

ليس الفعل إذاً مضاعف المعنى من جهة أنّه فعل حيال الذات مثلما هو فعل حيال الآخر وحسب، بل أيضاً من جهة أنّه فعل الواحد مثلما هو فعل الآخر من غير انفصال.

إنّا نرى في هذه الحركة أنّ السيرورة التي عرضت في لعب القوى إنّما تتكرّر، لكنّها تكرر في الوعي. وما كان في لعب القوى بالنسبة إلينا، يكون هاهنا بالنسبة إلى الطرفين نفسيهما. أمّا الحدّ الأوسط فهو الوعي - بالذات الذي يتفكك إلى الطرفين، وكلّ طرف إنّما يكون مبادلة التعنّية التي له، التمارّ المطلق في المتضادّ. أمّا كلّ طرف من جهة ما هو وعيّي فإنّما يخرج فعلاً على ذاته، بيد أنّه في كونه خارج نفسه إنّما يظلّ في الحين ذاته منجسباً في ذاته، فيكون لذاته، ويستقيم له خروجه على ذاته. وما يتضح له هو أنّه في - الحال وعي آخر كما أنّه ليس في - الحال وعياً آخر، مثلما يتضح له أنّ هذا الآخر لا يكون لذاته إلّا من جهة أنّه هو الذي ينتسخ ككائن لذاته، وأنّه لا يكون لذاته إلّا في

الكون لذاته الذي للآخر؛ فكلُّ طرفٍ هو للآخر حدًّا أوسطًا، به يتوسط نفسه، فيقترب بها، وكلُّ هو لنفسه كما للآخر ماهيةً كائنةً لذاتها في - الحال، لا تكون في الوقت نفسه لذاتها إلا بمعية ذلك التوسيط. والطرفان يعترفان نفسيهما من جهة اعترافهما ببعضهما اعترافاً متبادلاً.

ينبغي الآن تفحصُ هذا المفهوم الخالص للعرفان أو الذي لزدواج الوعي - بالذات في وحدته، من الوجه الذي تظهر به سيرورته للوعي - بالذات؛ فهذه السيرورة سببين أولاً وجه اللاتساوي بين الطرفين، أو خروج الحد الأوسط إلى الطرفين اللذين يتضادان من حيث هما كذلك، فلا يكون الواحد إلا المعترف به، في حين لا يكون الآخر إلا المعترف.

[II] صراع الوعيات - بالذات المتضادة] - إن الوعي - بالذات في بادئ أمره كونٌ لذاته بسيط، ومساو لذاته عبر صدِّ كلِّ مغاير عن ذاته؛ فماهيته وموضوعه المطلق إنما هما في نظره الأنا؛ وهو إنما يكون في هذه الحال، أو في هذه الكينونة التي لكونه لذاته فردياً. أما ما هو مغايرٌ فيكون بالنسبة إليه موضوعاً غير جوهريٍّ وموسوماً بطابع السلبي؛ لكن الآخر هو أيضاً وعي - بالذات؛ كذا يهلُّ فردٌ في مواجهة فرد. وإنهما إذ يهلان هكذا في - الحال إنما يكون الواحد منهما للآخر على نحو ما تكون الموضوعات المشتركة، وجوه قائمة برأسها، ووعيات منغمسة في الكينونة التي للحياة، - لأن الموضوع الكائن قد تعين هاهنا كحياة، - لكنها وعيات لم يستكمل بعد الواحد منها حيال الآخر الحركة التي للتجريد المطلق، - أعني التي مؤداها إلغاء كلِّ ما كينونة في - الحال، - فلا يكون على نحو صرفٍ إلا الكينونة السالبة للوعي المتساوي وذاته، أو أن تلك الوعيات - بالذات ما زالت لم يتبين الواحد منها للآخر من جهة ما هو كونٌ لذاته خالص، أي كوعي - بالذات؛ فبحق ما يكون كل وعي منها على

إيقان من ذاته، لكن لا من غيره؛ فلذلك ما زال إيقانه الخاص من نفسه يعدم كل حقيقة؛ لأنَّ حقيقته إنما كانت لتستقيم فقط من جهة أنَّ كونه لذاته الخاصَّ يعرضُ له كموضوع قائم برأسه، أو - وهو المعنى نفسه - أنَّ الموضوع كان ليعرض له كأنه ذلك الإيقان الصرف من ذاته. غير أنَّ ذلك لا يكون ممكناً وفق المفهوم الذي للعرفان إلا إذا ما أتمَّ كلَّ موضوع في ذاته - إذ يفعل كلَّ واحدٍ للآخر كما يفعل الآخر له - هذا التجريدُ الخالصُ للكون - لذاته، تتمَّة تكون بمعية فعله الخاص، ثم من جديد بمعية فعل الآخر.

أما بيان الوعي - بالذات لذاته من جهة ما هو التجريد الخالص فإنما يقوم على بروزه كنفى محض لوجهه الموضوعي، أو إبراز أنه ليس يتعلَّق بأيِّما كيانٍ متعيَّن، ولا بأيِّ حال من الأحوال بالفردية الكلية التي للكيان، أي إنه ليس متعلقاً بالحياة. وهذا البيان إنما هو الفعل المزدوج؛ فعل الآخر، والفعل الذي تأتيه الذات نفسها. ولما كان فعل الآخر، فكلَّ طرفٍ إنما ينزع إلى موت الطرف الآخر؛ لكن بذلك يمثِّل أيضاً الفعل الثاني، أي الفعل الذي تأتيه الذات بنفسها؛ لأنَّ الأول إنما ينطوي على المجازفة بالحياة الخاصة التي له. وعليه فالعلاقة بين الوعيَّين - بالذات إنما تتعيَّن على نحو أنهما يمتحنان نفسيهما، فيمتحن كلُّ منهما الآخر، عبر الصراع من أجل الحياة والموت. - ولا بدَّ أن يمتضيا في هذا الصراع، لأنه لا بدَّ لهما أن يرفعا إلى مصافِّ الحقيقة إيقانيهما من نفسيهما أنهما لذاتيهما، في الآخر كما في ذاتيهما. وإنه لَعَبْرَ المجازفة بالحياة وحدها تُخَبِّرُ الحرِّيَّةَ وتُمتَحِنُ، كما يُمتَحِنُ أنَّ الماهية لا تستقيم بالنسبة إلى الوعي - بالذات من وجه الكينونة، الوجه الذي بلا توسيطٍ الذي هلَّ وفقه، فليست هي كونه منغمساً في أوساع الحياة؛ بل يمتحن أن لا شيء يمثِّلُ عنده لا يكون بالنسبة إليه لحظةً فائتةً ومنصرمةً، وأنه كونٌ لذاته خالصٌ وحسب. والفرد الذي لم يجازف بحياته يمكن أن يُعترف به



كشخص، لكنّه لن يكون بلغ الحقيقة التي لهذا الكون المعترف به من جهة ما هو وعي - بالذات قائم بذاته. فلا بدّ إذاً أن يسعى كلّ فردٍ إلى موت الآخر مثلما يجازف بحياته، لأنّ الآخر لم يعدّ يقوم عنده مقام نفسه؛ وماهيته إنّما تعرض له كآخر، إنّ هو يكون خارجّه؛ ويجب أن ينسخ كونه خارج نفسه؛ فالآخر إنّما هو وعي كائنٍ ومتقلّبٍ من وجوه شتى؛ فلا بدّ له أن يحدث كونه المغاير كأنه كونٌ لذاته صرف، أو كأنه نفيٌ مطلق.

لكن هذا الامتحان بواسطة الموت، إنّما ينسخ كذلك الحقيقة التي كان ينبغي أن تنبثق منه، كما ينسخ بذلك أيضاً الإيقان من الذات بعامة؛ لأنّه كما تكون الحياة الوضع الطبيعيّ للوعي، والقيمومة الذاتية من دون السالبة المطلقة، كذلك يكون الموت النفي الطبيعيّ لعين الوعي، النفي من دون القيمومة الذاتية الذي يظلّ إذاً عريّاً من دلالة العرفان المطلوبة. ولا ريب أنّ ما يتصير عبر الموت إنّما هو الإيقان من أنّ الطرفين قد جازفا بحياتهما، وتلفت كلّ منهما عنها في نفسه كما في الآخر؛ لكنّه لا يصير عند اللذين خاضا بعد هذا الصراع. فهما إنّما يرفعان وعيهما الموضوع في هذه الأيسية الغريبة التي هي كيانٌ طبيعيّ، أو هما يرتفعان، فيتصيران منسوخين من حيث هما طرفان يلتمس كلّ منهما الكون لذاته. ولكنّ اللحظة الجوهرية إنّما تتصرّم بذلك من لعبة التبادل، أعني لحظة تفكك الذات إلى أطراف ذات تعينيات متضادة؛ أمّا الحدّ الأوسط فإنّما يفوت في وحدة ميتة انفقت إلى طرفين ميتين وكائنين مجرد الكيان وغير متضادين؛ فالطرفان كلاهما لا يتعظيان ولا يتبادلان شيئاً عن طريق الوعي، وإنّما يترك كلّ منهما الآخر وشأنه وعلى سيّانية، كأنه شيءٌ وحسب. وصنيعهما إنّما هو النفي المجرد، لا النفي الذي للوعي الذي ينسخ على سبيل أنّه يخبر المنسوخ ويحفظه، فتدوم مدته عندئذٍ وإنّ تصير منسوخاً.

يتّضح للوعي - بالذات من هذه التجربة أنّ الحياة تكون

عنده جوهرية جوهرية الوعي - بالذات الخالص. وعند الوعي - بالذات الذي بلا توسط يكون الأنا البسيط الموضوع المطلق الذي يكون مع ذلك بالنسبة إلينا أو في ذاته التوسط المطلق، وتكون له القيمة الذاتية الدائبة لحظة جوهرية. وحل هذه الوحدة البسيطة إنما هي نتائج التجربة الأولى؛ إذ يُوضع من خلالها وعي - بالذات خالص ووعي لا يكون لذاته خالصاً، بل يكون لآخر، أي يكون كوعي كائن، أو وعي في شكل الشيئية. واللحظتان كلتاهما جوهريتان، - فلما كانتا في أول الأمر غير متساويتين ومتضادتين، وما دام أنعكاسهما في الوحدة لم يحصل بعد، فإنهما تكونان كشكلين متضادتين للوعي؛ أحدهما الوعي القائم بذاته الذي يستقيم له الكون - لذاته، وأما الآخر فغير قائم بذاته، تكون عنده الحياة أو الكون لأجل مغاير الماهية؛ فذاك إنما هو الرئيس، وهذا إنما هو الخادم.

[III. الرئيس والخادم. 1. الرياسة] - إن الرئيس هو الوعي الكائن لذاته، لكنّه ما عاد يمثل مجرد المفهوم الذي لعين الوعي، بل أضحى وعياً كائناً لذاته يتوسط صلته بذاته وعي مغاير، ولاسيما الوعي الذي يكون من قبيل ماهيته أن يُربط (Synthesiert ist) بكينونة قائمة برأسها، أو بالشيئية بعامة؛ فالرئيس إنما يتصل باللحظتين جميعاً، بشيء ما من جهة ما هو كذلك، أي موضوع الرغبة، وبالوعي الذي تكون عنده الشيئية جوهرية. ولما كان الرئيس (أ) من جهة ما هو مفهوم الوعي - بالذات، اتصلاً في - الحال بالكون - لذاته، لكنّه (ب) يكون مذاك وفي الحين ذاته كتوسط، أو ككون - لذاته لا يستقيم لذاته إلا بمغاير، فإنه إنما يتصل (أ) في - الحال باللحظتين معاً، و (ب) يتصل بتوسط بكلّ من اللحظتين من خلال الأخرى. والرئيس إنما يتصل بتوسط بالخادم من خلال الكينونة القائمة برأسها، لأنّ الخادم على التدقيق موقوف على ذلك؛ فذلك هو قيده الذي لم يستطع

التجرّد منه في الصراع، فاتّضح كلاقائم بذاته من جهة أنّ قيمومته الذاتية إنّما تكون له في الشئيّة. أمّا الرّئيسُ فهو القدرةُ التي تغلب تلك الكينونة، لأنّه إنّما بانَ في الصراع أنّ تلك الكينونة تجري عنده مجرى شيءٍ سلبيٍّ وحسب؛ فلمّا كان هو القدرةُ القاهرة للكينونة، وكانت الكينونةُ القوّة القاهرة للآخر، فإنّ الغلبة في هذا القياس تكون للرئيس على هذا الآخر. كذلك يتّصل الرئيس [13] بتوسيطٍ بالشيء عن طريق الخادم؛ أمّا الخادم فيتّصل أيضاً، من جهة ما هو بالجملة وعيٌّ - بالذات، بالشيء على نحو سلبيٍّ فينسُخُه؛ لكنّ الشيء إنّما يكون بالنسبة إليه وفي الحين ذاته قائماً برأسه، ولهذه العلة فإنّه ليس بوسع الخادم أن يأتي - من خلال النفي الذي له - على الشيء حدّاً تليسيه، أو هو إنّما يشتغل عليه وحسب. أمّا الرئيسُ فيصير عنده - على العكس - هذا الاتّصال الذي في - الحال بمعىة التوسيط كأنّه نفيٌّ صرفٌ للشيء عينه، أو يصير أستمّاعاً؛ فالذي لم تكن الرغبة قد بلغته، يبلغه الرئيسُ: أي يأتي عليه ويُنفّذه، فيرويّ منه في الاستمّاع؛ فالرغبة لم تكن لتبلغ ذلك لعلّة قيمومة الشيء برأسه؛ أمّا الرئيسُ الذي يتوسّط الخادم بينه وبين الشيء، فلا يقترنَ من خلال ذلك إلّا بلاقيمومة الشيء، فيتمتّع به محض أستمّاع؛ أمّا وجهُ القيمومة الذاتية فيتركه للخادم حتّى يشتغل عليه.

في هاتين اللَّحظتين جميعاً يحصلُ للرئيس كونه معترفاً به من قبل وعي مغاير؛ لأنّ هذا الوعي المغاير إنّما يستوضع نفسه في اللَّحظتين كلاجوهريٍّ، مرّةً في الاشتغال بالشيء، ومرّةً أخرى في الخضوع لكيانٍ متعين؛ وفي الحالتين لا يستطيع هذا الوعي أن يسودَّ<sup>(5)</sup> الكينونة، فيبلغ النفي المطلق؛ فما يمثّل في ذلك إذا إنّما هي هذه اللَّحظة التي للعرفان من حيث ينتسُخُ الوعي المغاير بما

(5) Meister werden، قارن الهامش رقم (4) من هذا الفصل.

هو كونٌ لذاته، فيفعل حينئذٍ هو ذاته ما فعلَ به الأوّل. كذلك تمثّل اللّحظةُ الأخرى التي يكون وفقّها هذا الفعلُ الذي للثاني الفعلَ الخاصّ الذي للأوّل؛ لأنّ ما يفعله الخادِمُ إنّما هو في الأصل فعلُ الرئِيسِ؛ إذ للرئِيسِ وحدَه يستقيم الكونُ - لذاته كما الماهيّةُ؛ فإنّما هو القدرةُ النافيةُ الخالصةُ التي يكون الشيءُ عندها لئِيساً، وهو إذاً الفعلُ الماهويُّ في هذه العلاقة؛ أمّا الخادِمُ فليس فعلُهُ بفعلٍ خالص، بل هو فعلٌ عرِيٌّ من الماهيّة. ولكن ما زال العرفانُ يعدمُ على الحصرِ اللّحظةَ التي يكون وفقّها ما يفعله الرئِيسُ بالآخر من قبيل الذي يفعله بنفسِه، وما يفعله الخادِمُ بنفسِه من قبيل الذي يفعله بغيرِه؛ فالذي نجم عن ذلك إنّما هو عرفانٌ من جهةٍ واحدةٍ، عرِيٌّ من التساوي.

إنّ الوعي الذي ترتفع عنه الماهيّةُ يكون في ذلك عند الرئِيسِ الموضوعَ الذي تقوم فيه الحقيقةُ التي للإيقان من الذات؛ إلّا أنّ ما يتّضح هو أنّ هذا الموضوع لا يوافق مفهومَه، بل يبيّن أنّه حيثما تكمّل الرئِيسُ فقد صار له في الأكثر شيءٌ مغايرٌ تماماً<sup>34]</sup> لما هو وعيٌّ قائمٌ بذاته. والذي يكون عنده ليس من قبيل هذا الوعي القائم بذاته، بل هو في الأكثر وعيٌّ تابعٌ ومضافٌ؛ وعليه فهو ليس على إيقان من الكون - لذاته من جهة ما هو الحقيقة، بل حقيقته إنّما تكون في الأكثر الوعيَ التابعَ والمضافَ والفعلَ الذي ترتفع عنه الماهيّةُ.

وعليه فإنّ حقيقةَ الوعي القائم بذاته إنّما هي الوعي الخادِمُ. ولا ريب أنّ هذا الوعي يظّهَر في مبدأ أمره خارج ذاته، وكأنّه منافٍ لحقيقة الوعي - بالذات؛ لكن مثلما أبانت الرياسةُ أنّ ماهيّتها عكسٌ ما تشاء أن تكون، كذلك ستصير الخدمة في الأكثر حين أستمكالمها إلى عكس ما تكونه في - الحال؛ فهي ستمضي في نفسها من جهة ما هي وعيٌّ مرتدٌّ في ذاته، ثمّ ستنقلب منقلبَ القيمومة الذاتية الحقّ.

[2. الخوف] - إنّا لم نر ما هي الخدمة إلّا في إضافتها إلى الرياسة. ولكنّ الخدمة وعيٌّ - بالذات، وما ينبغي تعقّب الفحص عنه الآن إنّما هو ما تكونه من هذا الوجه في ذاتها ولذاتها، فالرئيس إنّما يمثّل بالنسبة إلى الخدمة في مبتدأ أمرها الماهية؛ وعليه فالحقيقة عندها إنّما هي الوعي القائم بنفسه والكائن لذاته، وإنّ لم تك بعد بالنسبة إليها حقيقةً في حدّ ذاتها. بيد أنّ الخدمة تكون لها في حدّ ذاتها وبالفعل هذه الحقيقة التي للسالبية المحض والكون - لذاته؛ لأنّها قد تعتّت في داخلها تلك الماهية. وهذا الوعي على التدقيق لم يتملّكه الخوف من هذا الأمر أو ذاك، في هذا الحين أو ذاك، بل خاف على ماهيته كاملة؛ لأنّه إنّما أتتبه الفرق من الموت، أي من الرئيس المطلق. وفي ذلك إنّما صار منفّتاً جوائياً، وفزع في أعماقه أرْتعاداً، فأهتزّ كلّ ما رسخ منه. لكن هذه الحركة الكلّية الصرف وهذا التصير سيلاً لكلّ لبّات إنّما هما الماهية البسيطة التي للوعي - بالذات، السالبية المطلقة، الكون - لذاته الخالص، فتلك هي الأحوال التي تحصل حينئذ عند هذا الوعي. وهذه اللّحظة التي للكون - لذاته الخالص إنّما تحصل أيضاً لهذا الوعي؛ لأنّها عند الرئيس إنّما تكون له موضوعاً. وزائداً إلى ذلك أنّ ذلك الوعي ليس بالجملة هذا التحلّل الكلّي وحسب، بل هو إنّما يستكملّه على نحو حاقّ في الخدمة؛ فهو في ذلك إنّما ينسخ في جميع اللّحظات الفردية خضوعه للكيان الطبيعيّ، فيطرّحه من جهة أنّه يعمل.

[3. التكوين] - لكن الشعور بالقدرة المطلقة، بالجملة كما [135] في دقائق الخدمة، إنّما هو التحلّل في ذاته وحسب، وإذا تأكّد حقاً أنّ خيفة الرئيس هي بداية الحكمة، فإنّ الوعي في ذلك إنّما يكون بالنسبة إلى نفسه، لا الكون - لذاته. لكنّه إنّما يحصل ذاته بمعية العمل. ففي اللّحظة التي توافق الرغبة في وعي الرئيس، قد بدا وجه الصلة العريّة من الماهية بالشيء كأنّه مضاف إلى

الوعي الخادم، من جهة أنّ الشيء يحفظ في ذلك قيامه بنفسه. والرغبة قد أختصت بالنفي الخالص للموضوع، وبذلك أضطفت الشعور بالذات شعوراً لا تشوبه شائبة. ولهذه العلة لا يكون هذا الرضى نفسه إلا زوالاً، لأنّه إنّما يعدم الوجه الموضوعي، أو الدوام. أما العمل فهو بالعكس رغبة مكبوحّة، وزوالاً مرؤوساً، أو هو إنّما يُكوّن. فالعلاقة النافية بالموضوع إنّما تصير إلى الصورة التي لعين الموضوع، أي إلى ما يبقى؛ لأنّ الموضوع بالنسبة إلى العامل إنّما تكون له على التدقيق القيمومة الذاتية. وهذا الحد الأوسط النافي أو هذا الفعل المصوّر، إنّما هما في الوقت ذاته الفردية أو الكون - لذاته الخالص الذي للوعي الذي يهمل في العمل مذاك خارج نفسه في عنصر الدوام؛ وعليه فالوعي العامل إنّما ينتهي بذلك إلى حدس الكينونة القائمة برأسها كأنّه حدسه لذاته.

إلا أنّ فعل التصوير (Das Formieren) لا تكون له فقط هذه الدلالة الموجبة التي تتمثل في أنّ الوعي الخادم من جهة ما هو كون - لذاته خالص، إنّما يتصير في ذلك إلى كائن؛ بل لذلك الفعل أيضاً دلالة سالبة حيال لحظته الأولى، ألا وهي الخوف. والسلبية الخاصة بذلك الوعي، كونه - لذاته، لا تصير عنده في تكوين الشيء موضوعاً إلا من جهة أنّه ينسخ الصورة الكائنة والمتضادة؛ لكن هذا السلب الموضوعي إنّما هو مباشرة الماهية الغريبة التي كان أرتعد أمامها. أما الآن فهذا الوعي إنّما يقوّض هذا السلب الغريب، فيستوضع نفسه كمثل هذا السلب في عنصر البقاء؛ فيتصير من هذا الوجه لذاته هو، كائناً لذاته. والكون - لذاته إنّما يكون لهذا الوعي في شخص الرئيس مغايراً، أو يكون بالنسبة إليه وحسب؛ فأما في الخوف فالكون - لذاته يحلّ فيه هو؛ وأما في التكوين فيصير الكون - لذاته عنده كأنّه الكون - لذاته الخاص الذي له، فينتهي إلى الوعي بأنّه هو نفسه في ذاته ولذاته. والصورة لا تصير له مغايرة من جهة أنّها تكون موضوعة

خارجَه، لأنَّها هي التي تكون على التدقيق الكونَ - لذاته الخالص الذي له والذي يصير عنده - أيان ذلك الوضع - إلى الحقيقة. وعليه فهذا الوعي من حيث يجد من جديد نفسه بنفسه، إنَّما يصير في العمل مباشرةً معنى خاصاً، والحال أنه كان ظهر فيه كأنه لا يعدو كونه معنى غريباً. - فهذا التفكير إنَّما تجبُّ فيه اللَّحظتان معاً، لحظة الخوف والخدمة بعامة، كما لحظة التكوين، وكلتاها واجبتان معاً من وجه كليّ. والخوف من دون صراط الخدمة والطاعة إنَّما يظلُّ عند ما هو صوريّ، فلا ينتشر على الحقيقي الواعي الذي للكيان. وأمَّا الخوف من دون التكوين فإنَّما يظلُّ باطناً وأبكم، فلا يصير الوعي إلى ذاته. والوعي إذا ما شرع في التكوين من دون الخوف المطلق الأوّل، لم يكن إلا معنى خصوصياً حسيراً؛ لأنَّ صورته أو ساليته ليستا الساليتة في ذاتها؛ فلذلك لا يهبه فعلُ التصوير الذي له الوعي بذاته ولا الذي بالماهية. وإنَّ لم يكابد الفرقَ المطلق، فلم يتكبَّد سوى هذه الخيفة الجزئية أو تلك، فالماهية النافية إنَّما تظلُّ له برآئية ولن تسري في جوهره سريانا جوائياً. ومتى تظلَّ كلُّ المضامين المفعمة لوعيه الطبيعي من دون أن تهتزَّ، فإنَّ ذلك الوعي ما ينفكَّ ينتسب في ذاته إلى كينونة محدّدة؛ فالمعنى الخاصّ إنَّما هو معاندة خاصةً (Der eigene Sinn ist Eigensinn)، حرّية لا تزال لابثة داخل الخدمة. وكلّما عزَّ عند هذا الوعي إمكان أن تصير الصورة المحضُ ماهيةً، قلَّ أن تكون - بوصفها أنبساطاً على الفرديّ - تكويناً كليّاً ومفهوماً مطلقاً، بل تبقى مجرد مهارة لا وسع لها إلا ببعض الأمور، فلا يكون لها قبْلُ لا بالقدرة الكلية ولا بالماهية الموضوعية برمتها.

## 2. حرّية الوعي - بالذات؛ الرواقية، الرئيّية، الوعي الشقي

[مقدمة. في الطور الذي نحن بصدده: الفكر] - في نظر

الوعي - بالذات القائم بنفسه إنما تتمثل ماهيته من ناحية في التجريد المحض الذي **للأنا** وحسب، وأما من ناحية أخرى ومن حيث إن هذا التجريد<sup>(6)</sup> يتكوّن بنفسه ويختلف، فهذا الاختلاف لا يصير عنده إلى ماهية موضوعية كائنة في ذاتها؛ فهذا الوعي - بالذات لم يتصير أنا يختلف في بساطته أختلافاً صادقاً، أو أنا يظلّ في هذا الاختلاف المطلق متساوياً وذاته. أما الوعي<sup>37]</sup> المرتد إلى نفسه فيصير - على العكس - لنفسه موضوعاً في فعل التصوير من جهة ما هو الصورة التي للشيء المكوّن، فيحدث - في الحين ذاته - في الرئيس الكون - لذاته بما هو الوعي. ولكن هاتين اللَّحظتين، - أعني لحظة ذاته من جهة ما هي موضوع قائم برأسه، ولحظة هذا الموضوع من جهة ما هو وعي، وعندئذٍ لحظة ماهيته الخاصة، إنما تقعان عند الوعي الخادم الواحدة منهما خارج الثانية. لكن لما كانت الصورة والكون - لذاته بالنسبة إلينا أو في ذاتهما متهويين، وكان الكون - في - ذاته في مفهوم الوعي القائم بذاته هو الوعي، فإنّ جانب الكون - في - ذاته أو الشيئية الذي حصل الصورة في العمل، ليس جوهرًا مغايرًا للوعي، فقد صار عندنا شكلٌ جديدٌ للوعي - بالذات؛ وعي يكون لنفسه من جهة ما هو اللاتناهي أو الحركة الخالصة للوعي، الماهية؛ إنه وعي يفكر، أو هو وعي - بالذات حرّ، لأنّ ما يسمّى تفكيراً ليس يعني أن يكون الوعي لنفسه موضوعاً كأنا مجرد، بل كأنا تكون له في الوقت ذاته دلالة الكون - في - ذاته، أو أنا يسلك حيال الماهية الموضوعية على نحو أنّ لها دلالة الكون - لذاته التي للوعي الذي تكون من أجله. - فالموضوع بالنسبة إلى التفكير لا يتحرّك في تصوّرات أو أشكال، بل في مفاهيم، أي في كون - في - ذاته مختلف، لا يكون في - الحال بالنسبة إلى الوعي

(6) هيغل يكتب sie، وهذه لا يمكن أن تعود إلّا على التجريد المحض الذي

للأنا، وليس على الوعي - بالذات كما قد يترقّب القارئ.



مختلفاً عنه. والمتصوّر أو المتشكّل أو الكائنُ من جهة ما هو كذلك، إنّما تكون له صورةٌ كونه مغايراً للوعي؛ لكنّ مفهوماً ما إنّما هو أيضاً كائنٌ، - وهذا الاختلافُ من حيث ينطوي عليه هذا المفهومُ إنّما هو مضمونه المتعيّن -، لكنّ لما كان هذا المضمون في الوقت نفسه مضموناً مفهوماً، فإنّ الوعي يظلُّ واعياً في - الحال بوحده مع ذلك الكائن المتعيّن والمختلِف؛ لا كما تكون عليه الحال في التصوّر، حيث ما انفكّ الوعي يذكّر بالتفصيل أوّلاً أنّ هذا هو تصوّره؛ بل المفهوم إنّما يكون ليّ وبلا توسيط مفهوميّ؛ ففي التفكير إنّما أكون حرّاً، لأنّي لا أكون في آخر، بل أظلّ على الإطلاق لدُن نفسي، والموضوع الذي يكون لي الماهيّة إنّما هو كوني - لذاتي في وحدةٍ لا تنفصل؛ والحركة التي لي في المفاهيم إنّما هي حركةٌ في نفسي. - لكن الذي ينبغي الوقوف عليه بالجوهري في هذا التعيّن الذي لهذا الشكل من الوعي - بالذات، هو أنّ هذا الشكل إنّما هو بالجملة وعيٌّ مفكّرٌ، أو أنّ موضوعه إنّما هو وحدةٌ في - الحال بين الكون - في - ذاته وبين الكون - لذاته. والوعي المتسمّي بالاشترك الذي يطرح نفسه عن نفسه إنّما يتصير أسطقساً كائناً - في - ذاته؛ لكنّه لا يكون لنفسه في مبتدأ أمره هذا الأسطقس إلّا كماهيّة كليّةٍ بعامةٍ، لا كهذه الماهيّة الموضوعيّة ضمن الرّبوّ والحركة اللّذين لكيونتها المتكثّرة الوجوه.

[138]

[I. الرواقية] - هذه الحرّيّة التي للوعي - بالذات من حيث هلّت في تاريخ الرّوح كظاهرة واعية بنفسها، إنّما قد سمّيت - كما هو معلوم - الرواقية. أمّا مبدؤها فهو أنّ الوعي ماهيّة مفكّرة، وأنه ما من شيءٍ تكون له أسيّة في نظر عين الوعي، أو يكون بالنسبة إليه صادقاً وحسناً، إلّا متى يسلك الوعي حياله مسلك ماهيّة مفكّرة.

إنّ أنبساط الحياة وأنفراها وأختلاطها المتعدّد الوجوه

والمبتاين هو الموضوعُ الذي توجه الرغبةُ والعملُ صوبه نشاطهما. وهذا المتكثّر الوجوه إنّما أُنحصر الآن في المباينة البسيطة التي تكون في الحركة الخالصة التي للتفكير. والذي له أيسية [في هذا الموضوع] لم يعد الاختلاف الذي يكون لذاته شيئاً متعيناً، أو يكون كوعي بكيانٍ طبيعيّ متعين، أو كشعور، أو كرغبة ومقصد لعين الرغبة، سواءً وُضعتْ بمعية وعي خاصّ أم بمعية وعي غريب، بل فقط الاختلافُ الذي يكون أختلافاً مُفْتَكِراً، أو الذي لا يكون في - الحال مخالفاً لي. وبذلك فهذا الوعي إنّما ينحو منحى نافياً حيال علاقة الرياسة والخدمة؛ وفعله في الرياسة هو ألا تكون حقيقته في الخادم، وألا يكون الخادم الذي تكون حقيقته عند إرادة الرئيس وفي خدمته، بل في أن يكون حرّاً سواءً أُنصب على العرش أو كان مكبلاً في الأغلال، وأباً كانت أتباعيته (Der eigene Sinn ist Eigensinn) كيانه الفرديّ، وأن يحفظ لنفسه بُرءه من الحياة الذي يكرّ فيتحصّن - إذ يرتدّ بلا انقطاع من حركة الكيان، ومن الفعل كما من الانفعال - بالأيسية البسيطة التي للفكر. والمعاندة إنّما تمثل الحرية التي تتوطد عند فردية ما، فتقع في باطن الخدمة، في حين أنّ الرواقية إنّما هي الحرية التي تصدر دوماً وفي - الحال عن ذاتها، ثمّ تؤوب إلى الكلية المحض التي للفكر، الحرية التي لم تكن لتهلّ كصورة كلية [139] لعالم الروح إلا في زمن الفرقِ الكليّ والخدمة الكلية، لكن أيضاً في زمن التكوين الكليّ الذي كان ترقى بفعل التكوين إلى مصاف التفكير.

وعلى الرغم من أنّ الماهية عند هذا الوعي - بالذات ليست بالفعل مغايرة له، ولا هي بالتجريد الخالص الذي للأناء، - بل إنّما هي الأنا الذي يشتمل على الكون المغاير، لكن كأختلافٍ مُفْتَكِرٍ، على نحو أنّه في كونه - المغاير إنّما يكون قد آب إلى نفسه -، فإنّ تلك الماهية التي له ليست في الوقت ذاته إلا ماهية

مجردة. وحرية الوعي - بالذات إنما تكون على سيانية حيال الكيان الطبيعي، ولهذه العلة تكون أيضاً قد تركته حراً، فالتفكير إنما يكون مزدوجاً، فالحرية في الفكر ليست حقيقتها إلا الفكر المحض، وهي الحقيقة التي يعوزها تمام الحياة وإفعاؤها؛ وعليه فما هي إلا بمفهوم الحرية، لا الحرية الحية نفسها؛ والحرية التي من هذا الجنس لا تعدو الماهية عندها في بادئ الأمر التفكير بالجملة، أو الصورة بما هي كذلك إذ عرضت عن القيمومة الذاتية التي للأشياء، فأبت إلى نفسها. ولكن لما كان ينبغي أن تبين الفردية بنفسها حية من جهة ما هي فاعلة، أو كان ينبغي من جهة ما هي مفكرة أن تحيط بالعالم الحي كأنه نسق فكر، فإنه كان لا بد أن يوجد في الفكر نفسه - لكي ينسب الفعل - مضمون لما هو خير، ويوجد - كي ينسب الفكر - مضمون لما هو الحق؛ فما كان ليكون عندئذ على الإطلاق (Durchaus) في الذي هو بالنسبة إلى الوعي، مقوم غير المفهوم الذي هو الماهية؛ إلا أن المفهوم مثلما ينفصل هاهنا من جهة ما هو تجريد عن تنوع الأشياء المتكثرة، لا ينطوي في حد ذاته على مضمون، بل يكون له مضمون معطى. والوعي من حيث يتفكر المضمون إنما يبلغه حقاً كأنه كينونة غريبة؛ لكن المفهوم مفهوم متعين، وهذه التعينية التي لعين المفهوم إنما هي الغريب الذي ينطوي عليه. ولهذه العلة كانت الرواقية قد آلت إلى النكول لما سُئلت - كما يُروى - قسطاس الحقيقة بعامة، أي على التدقيق مضموناً بعينه للفكر ذاته. فلما سُئلت ما هو الحسن والحق إنما أجابت مرة أخرى بتفكير عربي من المضمون: فالحق والحسن إنما يجب أن يقوماً على المعقولة. ولكن مضاهاة التفكير هذه لذاته إنما هي من جديد الصورة الخالصة التي لا شيء فيها يكون متعيناً؛ فلهذا الألفاظ الكلية التي من قبيل الحق والحسن والحكمة والفضيلة، التي يجب [140] على الرواقية أن تلبث عندها، إنما تكون بالجملة أسباب سنو

وترق، لكن لما كانت هذه الألفاظ قاصرة في واقع الأمر عن أيّ أنبساطٍ للمضمون أو توسّع فيه، فإنها سرعان ما تبعث على الملل.

وعليه فهذا الوعي المفكّر، كما تعيّن بعدُ من جهة ما هو حرّيةٌ مجردة، ليس هو إلّا نفي الكون المغاير نفيًا مخرومًا؛ فهو إذ يتحصّن في نفسه منسحبًا من الكيان، إنّما لم يكتمل كنفى مطلق لعين الكيان نفيًا يقع فيه. والمضمون إنّما يجري عنده مجرى الفكر وحسب، لكنّه يجري في الحين ذاته أيضاً مجرى فكرٍ متعيّن، والتعيّنيّة إنّما تكون عنده في الوقت نفسه ذات شأنٍ من جهة ما هي كذلك.

[II. الرّبيبة] - إنّ الرّبيبة تحقّق ما لا تعدو الرواقية كونها مفهومه، - فتأتي التجربة الحاقّة لما هي حرّية الفكر؛ فهي إنّما تكون في ذاتها السلبي، ولا بدّ أن تبين كذلك. والذي ينتصب بالفعل أمام الوعي - بالذات بتفكّره في الفكرة البسيطة لذاته، فيقع قدّامه خارج اللاتناهي، إنّما هو الكيان القائم برأسه أو التعينيّة اللابثة؛ أمّا ما يصير الآن للوعي في الربيبة فإنّما هو تمام ارتفاع الماهية والقيمومة الذاتية عن هذا المغاير؛ فالفكر إنّما يصير إلى التفكير التام والنافي لكيثونة العالم المتعيّن تعيّنات متكثّرة، أمّا سالبية الوعي - بالذات الحرّ فتصير في هذا التشكّل المتعدّد الوجوه للحياة سالبية واقعية. - ما يتضح هو أنّه كما توافق الرواقية مفهوم الوعي القائم بذاته الذي كان أظهر كعلاقة بين الرياسة والخدمة، كذلك توافق الربيبة التحقيق الذي للمفهوم عينه، من جهة ما هو الوجهة النافية صوب الكون المغاير، قبل الرغبة والعمل. ولكن إذا لم تكن الرغبة والعمل قادرين على كفاية إنجاز النفي بالنسبة إلى الوعي - بالذات، سيفلح على العكس هذا المنحى الجدالي ضدّ القيمومة الذاتية المتعدّدة الجوانب التي للأشياء، لأنّه إنّما ينقلب ضدّها من جهة ما هو وعي - بالذات حرّ ومكتملٌ اكتمالاً متقدّمًا؛ أو بعبارة أدق: لأنّ هذا المنحى

الجداليّ يشتمل في حدّ ذاته على التفكير أو اللاتناهي، وفي ذلك إنّما تكون له القيموماتُ الذاتيّة (Die Selbständigkeiten) وفق اختلافاتها مجردة أعظم زائلة؛ فالاختلافات التي تكون في التفكير المحض الذي للذات تجريد اختلافات وحسب، إنّما تصير هاهنا جميع الاختلافات، وكلُّ كونٍ مختلفٍ إنّما يصير اختلافاً للوعي - بالذات. [141]

بذلك تكون الممارسةُ التي للربيّة والطريقةُ (Die Weise) التي لها قد تعيّنتا بالجملة، فالربيّة إنّما تُظهرُ الحركة الديالكطيقيّة التي يكونها الإيقانُ والإدراكُ الحسيّان والذهنُ، كما توضّح اللاأسيّة (Die Unwesenheit) التي للذي يجري في علاقة الرياسة والخدمة، بل بالنسبة إلى التفكير المجرد ذاته، مجرى متعيّنٍ ما. وهذه العلاقة تنطوي في الوقت نفسه على وجهٍ متعيّنٍ تمثّل على سبيله قوانين إتيقيّة من جهة ما هي أوامر الرياسة؛ فأما التعيّنات في التفكير المجرد فإنّما تمثّل مفاهيم العلم الذي ينسبط ضمنه التفكير العريّ من المضمون، والذي يعلّق بالفعل المفهوم - وعلى نحو برّانيّ وحسب - بالكينونة القائمة برأسها التي تواجهه وتقوم مضمونه، فلا تكون له المفاهيم ذات صلاحية إلاّ متعيّنة، وإنّ تك أيضاً تجريداتٍ صرفاً.

إنّ [العنصر] الديالكطيقيّ بما هو حركةٌ سالبةٌ - كما تقع في - الحال - إنّما يظهر للوعي في مبتدأ الأمر كأنّه شيءٌ يُترك له سُدّي<sup>(7)</sup>، فلا يكون من صلب الوعي نفسه. أمّا من حيث تكون تلك الحركة كربيّةٍ فإنّما هي لحظة الوعي - بالذات الذي لا يحدث له فقط أنّ يضمحلّ له - من حيث لا يدري - الحقّ والواقع اللذان له، بل هو الذي يُزيلُ بنفسه - ضمنَ الإيقان من حرّيته - هذا المغاير الذي ينعطي كأنّه واقعيّ؛ فهو لا يترك فقط

(7) Dem es preigegeben، على معنى الإهمال والسدى.

الموضوعي يضمحلّ من جهة ما هو كذلك، بل يزيلُ المسلك الخاصّ به حياله، وهو المسلك الذي يجري مجرى الموضوعي فيكون ذا شأنٍ وصلاحية، وعليه فهو يزيل الدرك الحسي الذي له، مثلما يزيل ترسيخه لما يتهدّد الوعي من خطر خسارانه، أعني السفسطة، كما الحقّ الذي له والمثبتّ والمتعين من عنده؛ والوعي إنّما يحصلُ بنفسه ولنفسه - عبر ذلك النفي الواعي بنفسه - الإيقان من حرّيته، فينتجُ تجربةَ عين الإيقان، وبذلك يرفعه إلى مصافّ الحقيقة. أمّا الذي يزول فإنّما هو المتعين، أو هو الاختلاف الذي ينتصب - من أي جهة اتّفتحت وعلى أيما نحو - أختلافاً راسخاً وغير متغيّر. ذلك أنّه لم يعد في الاختلاف شيءٌ يدوم، ولا بدّ أن يزول بالنسبة إلى التفكير، لأنّ المختلف إنّما أمسى على التدقيق كونه لا في نفسه، بل كونه أيسّته في مغاير؛ لكنّ التفكير إنّما هو النظر النافذ (Die Einsicht) في هذه الطبيعة التي للمختلف، فإنّما هو الماهية النافية من جهة ما هي بسيطة.

142] وعليه فالوعي - بالذات الريبيّ إنّما يتعنى - في تبدل كلّ ما ينزع عنده إلى الرسوخ - حرّيته الخاصة كأنّها معطاة من خلاله وموقوفة عليه؛ فهذا الوعي إنّما يكون لنفسه تلك الغبطة التي لتفكير الذات في ذاتها، الإيقان من ذاته المستقرّ والصادق. وهذا الإيقان لا يصدر عن غريب كان يكون من شأنه أن يكتّم أنفاس ربّوه المتعدّد الوجوه، فلا يحصل كنتاج كانت لتظلّ صيرورته من خلفه، بل الوعي ذاته إنّما يكون التحيرّ الديالكطيقيّ المطلق، هذا الخليط من التصورات الحسيّة والمفتكرة التي تتطابق أختلافاته في ما بينها، ويتحللّ تساويه من جديد، - لأنّ هذا التساوي إنّما هو نفسه التعينيّة حيال اللامساوي. ولكن هذا الوعي بدل أن يكون في ذلك وعياً متساوياً وذاته إنّما يظلّ في واقع الأمر خلبطة عارضة على الإطلاق، دوار الشواش الذي ما ينفك ينبعث وحسب. وهو إنّما يكون ذلك لذاته هو؛ لأنّه هو نفسه الذي يحفظ تلك الخلبطة

المتحرّكة وينتجها. ولهذه العلة فهو يصرّح بذلك، فيقرّ بكونه في جملته وعياً عرضياً وفردياً، - كما بكونه وعياً خبرياً يتّجه قبل ما يعرى عنده من الواقعيّة، ويأتمرّ بما لا ماهيّة له بالنسبة إليه، ويجعل ممّا لا حقيقة له عنده حاقاً، فينتهي به إلى الحقيقي. ولكن مثلما يجري هذا الوعي على هذا النحو مجرى حياةٍ فرديةٍ وعرضيةٍ وعلى التحقيق حيوانيةٍ، كما مجرى وعي - بالذات مفقود، فإنّه يجعل من نفسه من جديد - وعلى العكس - وعياً - بالذات كلياً ومتساوياً وذاته؛ فإنّما هو سالبية كل فردية وكل اختلاف. ثمّ إنّ من مضاهاته ذاته أو في الأكثر فيها إنّما يقع من جديد في هاتيك العرضية والخلبطة، لأنّ هذه السالبية المتحرّكة لا شأن لها على التدقيق إلّا بالفردية، فلا تطوف إلّا والعرضية. وهذا الوعي إنّما هو إذاً ذلك التّهذأ (Die Faselei) العري من الوعي الذي يخبط خبط عشواء، فيمرّ متذبذباً من طرف الوعي - بالذات المتساوي ونفسه إلى الطرف النقيض الآخر، أعني الوعي المخلبّ والمخلبّ. وهو ذاته لا يجمع بين هاتين الفكرتين عن نفسه، فيعترف حرّيته مرّةً على أنّها ترقّ يسمو عن كلّ خلبطةٍ وعرضيةٍ للكيان، ويقرّ من جديد مرّةً أخرى بأنّه سقوط في اللاماهوية وتقلّب فيها. [143] إنّهُ يُزِيلُ المضمونَ اللاماهويّ في فكره، لكنّه في ذلك إنّما يكون على التدقيق الوعي بلاماهويّ ما؛ وهو إنّما يقول الزوال المطلق، لكنّ فعل القول هو الذي يكون، وهذا الوعي إنّما هو الزوال الذي قيل؛ إنّهُ يقول بليسيّة الرؤية والسمع وما شاكلهما، وهو نفسه يرى ويسمع وما إليه، كما أنّه يقول بليسيّة الأيسيات الإتيقيّة، وهو نفسه الذي يجعل منها هي ذاتها القوى التي لممارسته. وأفعاله وأقواله إنّما تتناقض دوماً، وهو نفسه يشتمل أيضاً على الوعي المزدوج والمتناقض بالاستقرار والتساوي كما بالعرضية والتساوي الكاملين مع ذاته. ولكنّه إنّما يُبقي نفسه على وجهي ذلك التناقض خارجاً؛ فيسلك إزاءه كما يسلك

بالجملة في حركته النافية نفيًا صرفاً، فإنَّ أشيرَ له بالتساوي، أشار هو إلى اللاتساوي؛ وعندما يُعرَض عليه الآن هذا اللاتساوي الذي قال به للتوّ، يجاوز إلى التلويح بالتساوي؛ فلغّوه إنّما هو بالفعل تجاحدُ الصبيان إذ يتعاندون، يقول الواحد منهم «أ» لَمَّا يقول الآخر «ب»، فيقول من جديد «ب» لَمَّا يقول الآخر «أ»، فيلتمسون من خلال التناقض مع أنفسهم مرخَ مناقضة بعضهم البعض.

والوعي في الربيبة إنّما يتعنّى على الحقيقة نفسه كوعي متناقض في حدّ ذاته؛ وعن هذه التجربة ينجمُ شكلٌ جديدٌ يجمع بين الفكرتين اللَّتين تُبقي عليهما الربيبة الواحدة خارج الأخرى. ولا بدّ أن يزول ارتفاع الفكر الذي للربيبة عن ذاتها، لأنّه بالفعل وعيٌ واحد ذلك الذي ينطوي على ذينك الوجهين جميعاً. وهذا الشكلُ الجديدُ إنّما هو بذلك من قبيل الذي يكون لذاته الوعي المزدوج بنفسه من جهة ما هي متحررةً ومستقرّةً ومتساويةً وذاتها، ومن جهة ما هي مخلبطةٌ ومنقلبةٌ على الإطلاق، - كما يكون الوعي بهذا التناقض الذي له. - في الرواقية يكون الوعي - بالذات الحرة البسيطة التي للذات، وفي الربيبة إنّما تتحقّق هذه الحرّة، وتُعدّم الوجه الآخر الذي للكيان المتعين، لكنّها في الأكثر إنّما تزدوجُ بنفسها، فتصبح لنفسها الآن شيئاً منفصلاً. أمّا ازدواجُ الذي كان أنقسم في ما سبق إلى فردين اثنين، إلى الرئيس والخادم، فإنّما يمسي بذلك في واحد؛ ازدواج الوعي - بالذات في نفسه ازدواجاً يكون جوهرياً في المفهوم الذي للروح، وإنّه لبذلك يمثّل، لكنّ وحدته ما زالت لم تمثل، وأمّا الوعي الشقي فإنّما هو الوعي بذاته<sup>(8)</sup> كأنّ بالماهية المزدوجة والمتناقضة وحسب.

(8) Das Bewußtsein seiner، لذلك توصلنا الجمع بمطة في الوعي - بالذات

(Das Selbstbewußtsein) للممايزة بين الاستعمالين عند هيجل.



III. الوعي الشقي؛ الذاتية الورعة] - وعليه فهذا الوعي الشقي والمنفصم في حد ذاته إنما يلزمه - لما كان هذا التناقض الذي لماهيته في نظره وعياً واحداً - أن يكون له دوماً في أحد الوعيين الوعي المغاير أيضاً، على نحو أنه ما ينفك يُطرد في - الحال من كليهما، ما إن يخال أنه قد بلغ النصر وسكن إلى الوحدة. ولكن أوبته الحق إلى نفسه، أو أئتلافه وذاته، سوف يُبينان مفهوم الروح الذي تصير حياً وولج الوجود، لأن ما يمثل بُعد في هذا الوعي، إنما هو كونه وعياً مزدوجاً من جهة أنه وعي واحد غير متجزئ؛ فهو ذاته الذي يكون مشاهدة وعي - بالذات في وعي - بالذات مغاير، وهو نفسه الذي يكون كليهما، والوحدة بينهما إنما تكون له أيضاً الماهية، لكنه لذاته ليس بُعد هذه الماهية، ولا الوحدة التي بينهما.

[1. الوعي المتبدل] - لما كان هذا الوعي أولاً وحدة الوعيين التي في - الحال، لكن بالنسبة إليه لم يكونا الشيء نفسه، بل متضادين، فإن الواحد منهما، لاسيما الوعي البسيط والمستقر يكون عنده كأنه الماهية، أما الوعي المتبدل والمتعدد الوجوه فيكون عنده العري من الماهية. وكلاهما بالنسبة إليه إنما يكون الواحد للآخر ماهية غريبة؛ أما هو نفسه لما كان الوعي بهذا التناقض، فإنما يتحيز عند جهة الوعي المتبدل، فيكون لنفسه العري من الماهية؛ لكن من جهة ما هو وعي بالاستقرار، أو بالماهية البسيطة، يلزمه في الوقت نفسه أن يلتمس التحرر مما هو عري من الماهية، ومعناه أن يتحرر من نفسه؛ لأنه وإن لم يك لذاته فعلاً إلا المتبدل، وكان اللامتبدل غريباً عنه، فإنه هو نفسه وعي بسيط، وحينئذ وعي لامتبدل وواع بهذا الوعي كأنه الماهية التي له، لكن على نحو أنه هو نفسه لا يكون لذاته مرة أخرى هذه الماهية. ولذلك لا يمكن الوضع الذي يعطيه لكلا الوعيين أن يمثل سَيَانِيَتَهُمَا الواحدُ منهما حيال الآخر، أي لا يمكنه أن يكون

على سيانتيه حيال اللامبتدل؛ بل إنما يكون هو نفسه في - الحال كليهما معاً، وهو الذي تكونُ بالنسبة إليه العلاقةُ بينهما كأنها علاقة الماهية باللاماهية، على نحو أنه ينبغي نسخ هذه الأخيرة، لكن لما كان الوعيان عنده على سواء الماهية والتناقض، فإنه لا يكون سوى الحركة المتناقضة التي لا يسكن فيها الضد إلى ضده، بل ينبعث فيه من جديد وحسب.

145] إن الذي يمثّل بذلك صراعُ ضدّ عدوّ، يكون الانتصار عليه في الأكثر هزيمةً، حتّى إنّ تحصيلَ شيء ما إنّما يكون في الأكثر فقدان الشيء عينه في ضده. والوعي بالحياة، بكيانها كما بفعلها، ليس إلّا التألّم من هذا الكيان والفعل، لأنّ ذلك الوعي لا يكون في ذلك إلّا الوعي بضده كأن بالماهية وبليسيته الخاصة. ومن ثمة يجاوز إلى الترقّي صوب اللامبتدل. ولكن هذا الترقّي هو نفسه هذا الوعي؛ إنّ الترقّي إذاً يكون في - الحال الوعي بالضدّ، ولاسيما بذاته من جهة ما هي فردية. واللامبتدل الذي ينفذ في الوعي إنّما يكون في الوقت ذاته متّصلاً بالفردية، فلا يكون حاضراً إلّا وإياها؛ فبدل أن تنعدم الفردية في هذا الوعي باللامبتدل، لا تفعل سوى أن تنبث من جديد ومن دون انقطاع.

[2. الشكل الذي للامبتدل] - لكنّ الوعي في هذه الحركة إنّما يتعنى هذا النجم للفردية<sup>(9)</sup> عند اللامبتدل ولللامبتدل عند الفردية. فالذي يصير له إنّما هو بالجملة الفردية الحادثة عند الماهية اللامبتدلة، وفي الوقت ذاته حدوث الفردية التي له عند الماهية عينها. لأنّ الحقيقة التي لهذه الحركة إنّما هي على التدقيق كونُ هذا الوعي المزدوج واحداً. وهذه الوحدة إنّما تصير له، لكنّها هي ذاتها تكون في أوّل الأمر وحدة ما زال التنوع فيها بين الطرفين هو الذي يرأس. بذلك تمثّل لعين الوعي الوجوه

(9) An (dem)، يمكن أن نقول أيضاً: كُدن.

الثلاثة التي على سبيلها ترتبط الفردية باللامتبدل؛ فمرةً ينجم الوعي نفسه من جديد كمتضادٍّ مع الماهية المستقرّة، فيُلقي به من جديد إلى بداية الصراع الذي يظلُّ يمثلُ عنصرَ العلاقة بأكملها. ومرةً أخرى ينطوي اللامتبدل ذاته - بالنسبة إلى هذا الوعي - على الفردية، على نحو أن الفردية تصبح شكلَ اللامتبدل الذي تمرّ إليه حينئذٍ سائر ضروب الوجود. ومرةً ثالثةً يجد هذا الوعي نفسه كأنه هذه الفردية في اللامتبدل. فاللامتبدل الأول لا يكون عند هذا الوعي سوى الماهية الغريبة التي تطعن في الفردية؛ وما دام اللامتبدل الآخرُ شكلاً للفردية مثلما يكونه الوعي، فإنّ هذا الوعي يصير ثالثاً إلى الرّوح، فيُسرّ بأنه وجد ذاته في ذلك، فيصير واعياً بكون فرديته قد أثّلتُ والكليّ.

[146]

إنّ ما يتبيّن هاهنا بما هو الوجه والعلاقة اللذان للامتبدل إنّما قد حصل من جهة ما هو التجربة التي يتعنّاها الوعي - بالذات المنفصم في شقاوته. وهذه التجربة ليست فعلاً الحركة الأحادية التي لهذا الوعي، لأنّه هو نفسه وعي لا يتبدل، وهذا هو في الحين ذاته وعي فرديّ، أمّا الحركة فهي حركة الوعي اللامتبدل، كما أنّه يهمل فيها مثله مثل الوعي المغاير؛ لأنّ هذه الحركة إنّما تترسّل من خلال هذه اللحظات: لحظةً أولى يكون فيها اللامتبدل متضاداً مع الفرديّ بعامة، ثمّ ثانيةً أين يكون اللامتبدل ذاته فردياً يتضادّ مع فرديّ آخر، ثمّ في الختام ثالثةً حيث يكون اللامتبدل مع الفرديّ واحداً. لكنّ هذا الاعتبار من جهة أنّه ينتمي لنا إنّما يظلّ في هذا الموضوع أعتباراً غير متزمّن (Unzeitig)، لأنّ ما نجم لنا حدّ الآن إنّما هو اللامتبدل بما هو لامتبدل الوعي، ولهذه العلة فليس هو باللامتبدل الحقّ، بل ما زال مشوباً بتقابل ما، فليس هو باللامتبدل في ذاته ولذاته؛ فلذلك لا نعلم أيّ مسلك سيسلكه، فالذي تحصّل في هذا الموضوع إنّما هو فقط كون هذه التعيّنات تظّهّر للوعي - الذي هو موضوعنا هاهنا - عند اللامتبدل.

لهذه العلة إذاً يحافظ أيضاً الوعي اللامتبدل في تشكّله نفسه على الطبيعة والأساس اللذين للكون المنفصم - والكون - لذاته (Das Entzweit-und das Fürsichsein) حيال الوعي الفردي. وبذلك إنّما يكون في نظر هذا الوعي حدثاً بالجملة أن يحصل اللامتبدل شكل الفردية، كمثل ألا يجد نفسه إلا متضاداً وإياه، فتكون له هذه العلاقة بالطبيعة؛ أما كونه في النهاية يجد نفسه فيه، فإنّما يظهر له في شطر كأنه أمر حاصل عنه هو ذاته، أو أمر واقع لعله أنه هو نفسه فردي، لكن شطراً من هذه الوحدة يظهر له - وفق أنبعاث عين الوحدة، كما من حيث إنّها وحدة كائنة - كأنه منتسب للامتبدل؛ فيبقى التقابل قابلاً في هذه الوحدة نفسها. ولحظة الماوارثي لم تبق بالفعل من خلال تشكّل المتبدل وحسب، بل تزيّدت بالأحرى رسوخاً؛ لأنه إن كان اللامتبدل يظهر من ناحية عبر شكل الحقيق الفردي على أنه قد دنا من ذلك الوعي، فإنّه من ناحية أخرى إنّما يقوم مذكاً حياله كأنه الواحد المحسوس<sup>17]</sup> والكثيئ بكل الغلظة التي لشيء حاق بعينه؛ والأمل في الاتحاد به لا بد أن يظلّ أملاً، ومعناه أن يظلّ من دون أستكمال ولا حاضر، لأنه بين الأمل وبين تحقيقه إنّما تقوم العرضية المطلقة أو السيانية الصلبة التي تكمن في التشكّل نفسه الذي لقوام الأمل. وإنّه لمن قضاء الطبيعة التي للواحد الكائن والحقيق الذي أكتساه أن يكون قد فات في الزمان، وأن يكون تناءى في المكان فلبث على تنائه على الإطلاق.

[3. التوحيد بين الواقع الحاق وبين الوعي - بالذات] - إذا كان المفهوم البسيط للوعي المنفصم تعين أولاً من حيث إنه ينزع إلى الانتساخ من جهة ما هو فردي وإلى التصير وعياً لا يتبدل، فإنّ مجاهدته تكتسي حينئذ هذا التعين الذي مفاده أنه كان نسخ في الأكثر علاقته بالامتبدل الخالص واللامتشكّل، فلم يستعط إلا الاتصال بالامتبدل المتشكّل؛ فكون الفردي واحداً (Das Einssein)

مع اللامتبدّل إنّما يمثّل عنده مذكّ الماهيّة والموضوع، كما أنّه في المفهوم كان اللامتبدّل المجردّ والعريّ من الشكل هو وحده الموضوع الجوهريّ؛ وهذه العلاقة التي لكون المفهوم منفصلاً أنّفصاماً مطلقاً إنّما هي الآن ما ينبغي للوعي أن يتلقّت عنه. أمّا الاتّصال الذي كان في أوّله برانتيّاً باللامتبدّل المتشكّل كأنّ بحاقّ غريب، فينبغي له أن يرفعه إلى التصير - واحداً تصيراً مطلقاً.

إنّ الحركة التي ينزع فيها الوعي العريّ من الماهيّة إلى أن يبلغ ذلك الكون واحداً إنّما هي نفسها الحركة الثلاثيّة وفق العلاقة الثلاثيّة التي ستكون له في صلته بالماورائيّ المتشكّل؛ مرّة بما هو وعي خالص؛ ومرّة ثانية بما هو ماهيّة فرديّة تسلك حيال الحقيق مسلك الرغبة والعمل؛ ومرّة ثالثة بما هو وعي بكونه - لذاته. - وما ينبغي إيلاء النظر فيه هو كيف تمثّل وتتعيّن هذه الوجوه ثلاثتها التي لكيّنوته في هذه العلاقة الكلّيّة.

[أ. الوعي الخالص: النفس الحاسّة والتولّع] - وعليه فإذا شرعنا في اعتبار هذا الوعي من جهة ما هو وعي خالص لظهر اللامتبدّل المتشكّل - من حيث يكون للوعي الخالص - على أنّه قد وُضِعَ كما هو في ذاته ولذاته. وأمّا كيف يكون في ذاته ولذاته، فذلك - كما ذكرنا به سابقاً - لم ينجّم بعد. وأمّا كون هذا اللامتبدّل قد حلّ في الوعي كما هو في ذاته ولذاته، فذلك كان يلزم أن يصدر في الأكثر من قبله (Von ihm)، لا من قبل الوعي؛ لكن على هذا النحو، هذا الحضور الذي له إنّما لا يمثّل هاهنا أولاً عبر الوعي إلّا من وجهٍ أحاديّ، ولهذه العلة لا يكون على التدقيق تاماً ولا صادقاً، بل يظلّ مثقلاً بالانخرام أو التقابل.

لكن الوعي الشقيّ وإنّ لم يكُ يمتلك إذاً ذلك الحضور، فإنّما يجاوز في الحين ذاته التفكير المحض، سواءً كان تفكير الرواقيّة المجردّ الذي يتلقّت بنظره عن الفرديّة بعامة، أو تفكير

الرئيية الذي لا يكون إلا متقلّباً، - أي لا يكون إلا مجرد الفردية من جهة ما هي التناقض العري من الوعي وحركته التي لا تنقطع؛ فالوعي الشقيّ يجاوز هاذيك الطورين، فيقرّب ما بين التفكير المحض والفردية ثمّ يقرون بينهما؛ لكنّه ما زال لم يترقّ إلى هذا التفكير الذي تكون الفردية بالنسبة إليه قد أثّلت والتفكير المحض نفسه. إنّه يقع في الأكثر في تلك المنزلة الوسطى أين يتماسّ الفكر المجرد وفردية الوعي من جهة ما هي فردية، فيكون هو نفسه هذا التماسّ؛ إنّه وحدة التفكير المحض والفردية، وهو أيضاً الذي تكون له هذه الفردية المفكرة، أو يكون له التفكير المحض واللامتبدّل ذاتهما وبالجوهر كفردية. ولكن كون هذا الموضوع الذي له، أي اللامتبدّل الذي يتخذ عنده بالجوهر شكل الفردية، متهويّاً وهذا الوعي نفسه، فذلك لا يستقيم بالنسبة إليه هو نفسه الذي يمثّل فردية الوعي.

لذلك فهذا الوعي لا يسلك في هذا الوجه الأوّل - حيث نتفحصه من جهة ما هو وعي خالص - حيال موضوعه مسلك المفكر، بل لما كان هو نفسه في ذاته فردية مفكرة خالصة وكان موضوعه على التدقيق ذلك التفكير المحض، في حين أنّ صلة كلّ منهما بالآخر لا تكون هي نفسها محض تفكير، فهو - إن جاز القول - إنّما يناشد التفكير وحسب، فإنّما هو التولّع<sup>(10)</sup>. وتفكيره بما هو كذلك إنّما يظلّ دقّدة الأجراس العريّة من الشكل أو ضرباً من الضباب المكتسح الساخن، تفكيراً منعماً لا ينتهي إلى المفهوم الذي ينبغي أن يكون النحو الوحيد الموضوعي والمحيث. وبحقّ ما يصير لهذا الشعور الباطن والخالص واللامتناهي

(10) Die Andacht، يومئ هيجل هاهنا إلى القرابة التي بين هذا اللفظ - الذي يستعيره من السجلّ الديني حيث يعني الولع بالورع والتنسك - وبين فعل التفكير (Denken). فالوعي هاهنا إنّما يظلّ دون التفكير، لأنّه إنّما يقف على مناشدته والتولّع به شديداً؛ وفي ذلك تكون غلواؤه واهتياجه.

الموضوع الذي له؛ لكنّه إنّما يدخل على نحو أنّه لا يكون موضوعاً مفهوماً، ولهذا العلة فهو يدخل (Eintreten) كطرفٍ غريب. والذي يمثّل هاهنا من خلال ذلك إنّما هو الحركة الباطنية لقوّة الإحساس<sup>(11)</sup> الخالصة التي تحسّ بنفسها، لكنّها تحسّ بنفسها إحساساً مؤلماً كأنّ بالانفصام؛ إنّها حركةٌ حنين ولوعة (Sehnsucht) إلى ما لانهاية فيهما، توقن من أنّ ماهيتها إنّما هي من قبيل ذلك الإحساس الخالص، أو هي محض تفكيرٍ يتفكّر ذاته كأنّها الفرديّة؛ كما توقن من كونها تُعرّف وتُعرّف من قبل ذلك الموضوع لعلّة أنّه على التدقيق يتفكّر نفسه كفراديّة. ولكنّ تلك الماهية تمثّل في الوقت نفسه المتعالّي العصبيّ تحصيله الذي يتفكّر من الدرك، أو يكون في الأكثر قد أنفلت فعلاً. وبحقّ ما يكون فالتأ؛ لأنّه في شطر اللامتبدّل الذي يتفكّر نفسه كفراديّة، ولذلك فالوعي إنّما يبلغ ذاته فيه في - الحال، يبلغ ذاته هو، لكن كالمتضادّ مع اللامتبدّل؛ فبدل أن يحصل الماهية، يحسّ بها وحسب؛ فيكون قد هوى من جديد في نفسه؛ ولما كان في فعل التحصيل عاجزاً عن دفع نفسه بعيداً (Sich abhalten) بما هي ذلك المتضادّ، فإنّه يكون - بدل تحصيل الماهية - لم يبلغ إلاّ اللاماهوية. وكما أنّه من ناحية لا يحصل إذ يلتبس بلوغ نفسه في الماهية، إلاّ الحقيق الخاصّ المنفصل، كذلك لا يستطيع من الناحية الأخرى أن يحصل المغاير كفرادي أو كحاق. وأينما تُعقّب المغاير لم يمكن أن يوجد، لأنّه ينبغي أن يكون على التدقيق متعالياً ما، أي شيئاً لا يمكن أن يُظفر به، فإنّ تُعقّب من جهة ما هو فرديّ، لم يكن فرديّةً كليّةً ومفتكرةً، ولا مفهوماً، بل شيئاً فردياً كأنّه موضوع، أو شيئاً حاقاً، أي موضوع الإيقان الحسيّ الذي في - الحال؛ ولهذا العلة لم يكن على التدقيق إلاّ شيئاً زال

(11) Das Gemüt، وتعني الفؤاد والوجدان والمهجة حتّى، وكلّ هذه المعاني

قد تجتمع في معنى القوّة الحاسة الباطنة.

وفات. فلذلك لا يمكن أن يمثّل في حضرة الوعي إلا قبر حياته. ولكنّ لما كان هذا القبر نفسه حقيقةً بعينه، وكان منافياً لطبيعة هذا الحقيق أن يجيز تملكاً يدوم، فإنّ حضور القبر لن يعدو كونه أيضاً صراع مساعٍ وطلّباتٍ (Der Kampf eines Bemühens)، صراعٌ لا بدّ له أن يكون في خسرانٍ؛ إلا أنّ الوعي من حيث يكون تعنى هذه التجربة فيقف على أنّ قبر ماهيته اللامتبدّلة والحاقة لا حقيق له، وأنّ الفرديّة المتصرّمة من جهة ما هي متصرّمة ليست الفرديّة الحق، إنّما سيتركُ أمر تعقّب الفرديّة اللامتبدّلة كأنّها حاقةٌ أو التشبّث بها وترسيخها كمتصرّمة، إذّاك وحسب يكون قادراً على بلوغ الفرديّة بما هي صادقةٌ أو كليّة.

[ب. الماهية الفرديّة والحقيق، فعل الوعي الورع] - لكن [50] ينبغي أن نأخذ أولاً أوبة الإحساس الباطن إلى نفسه على معنى أنّه يكون له - في نظره - حقيق، ما كان هو شيئاً فرديّاً؛ فالقوّة الحاسّة الخالصة هي التي كانت - بالنسبة إلينا أو في ذاتها - أدركت نفسها، فأفغوعمت بها، لأنّه وإنّ كانت الماهية بالنسبة إلى هذه القوّة وفي الشعور الذي لها قد فارقتها، فهذا الشعور في ذاته إنّما هو شعور ذاتي. لقد شعرت هذه القوّة الحاسّة بالموضوع الذي لشعورها الخالص، وهذا الموضوع إنّما هو هي ذاتها؛ وعليه فهي إنّما تنجم كشعور بالذات أو كحاقٍ كائنٍ لذاته. ولقد حصلت بالنسبة إلينا في هذه الأوبة إلى ذاتها علاقتها الثانية، نعني علاقة الرغبة والعمل اللذين يعرّزان للوعي الإيقان الجواني من ذاته، وهو الإيقان الذي كان الوعي في نظرنا قد بلغه من خلال نسخ الماهية الغريبة والاستمتاع بها، ولاسيّما نسخ عين هذه الماهية في صورة الأشياء القائمة برأسها. ولكنّ الوعي الشقي لا يجد نفسه إلا راغباً وعاملاً؛ فلا يمثّل عنده كون الأساس الذي تقوم عليه موجدته تلك إنّما هو إيقانه الباطن من ذاته، ولا كون شعوره بالماهية إنّما هو ذلك الشعور بنفسه. ولما كان هذا الوعي



يعدم لذاته ذلك الإيقان، فباطنه إنمّا يظلّ في الأكثر الإيقان المفصوم من الذات؛ والضمان الذي كان ليحصله من خلال العمل والمتعة إنمّا يكون لذلك السبب ضماناً مفصوماً أيضاً؛ أو يلزم هذا الوعي أن يعدم في الأكثر ذلك الضمان، على نحو أنه يجد فيه بالفعل ضماناً، لكنّه ضمان ما يكونه لذاته وحسب، نعني أنفصامه.

إنّ الحقيق الذي تتجه نحوه الرغبة والعمل لم يعدّ بالنسبة إلى هذا الوعي ليساً في ذاته، ما كان ليكون إلّا منسوخاً ومستهلّكاً من قبل الوعي، بل حقيقٌ يكون كما الوعي نفسه، أي حقيقاً مفصوماً إلى شطرين، فهو من ناحية لا يكون في ذاته إلّا متليساً، وأمّا من ناحية أخرى فيكون أيضاً عالماً يُقدّس؛ وهذا الحقيق إنمّا يكون شكلاً من أشكال اللامتبدّل، لأنّ هذا الأخير قد اكتسب في ذاته الفردية، وما دام - من جهة ما هو اللامتبدّل - الكلّي، فإنّ الفردية التي له إنمّا تكون لها دلالة كلّ حقيق.

فلو كان الوعي لذاته وعياً قائماً بذاته، وكان الحقيق عنده في ذاته ولذاته متليساً، لكان بلغ في العمل والمتعة إلى الشعور بقيومته الذاتية من حيث كان يكون هو نفسه الذي ينسخ الحقيق. [151] غير أنّه لما كان هذا الحقيق عنده شكلاً من أشكال اللامتبدّل، عجز عن نسخه بنفسه. ولكن من حيث إنّه يبلغ حقاً إعدام الحقيق فينتهي إلى المتعة، فإنّ هذا إنمّا يحدث له بالجوهر من جهة أنّ اللامتبدّل نفسه يهب الشكل الذي له، فيتركه لهذا الوعي حتّى يتمتّع به؛ - فالوعي هاهنا إنمّا يهله بالمثل من جهته كحاق، لكنّه يهله أيضاً كمفصوم جوانياً، وهذا الانفصام إنمّا يتبين في عمله وأستماعه من جهة أنّه ينقسم إلى علاقة بالحقيق أو كون - لذاته وإلى كون - في - ذاته. وتلك العلاقة بالحقيق إنمّا هي التغيير أو الفعل، الكون - لذاته الذي ينتمي إلى الوعي الفرديّ بما هو كذلك. ولكنّ الوعي في ذلك إنمّا يكون في ذاته أيضاً؛

وهذا الوجه إنما ينتمي إلى المتعالي الذي لا يتبدل؛ إنها ملكات وقوى، هبة من الغريب، تلك التي يودعها اللامتبدل الوعي حتى يستخدمها.

بالتالي يكون الوعي في فعله أوّل الأمر على علاقة بين طرفين؛ فهو يقوم من جهة كالذنيوي الناشط، ويقوم حياله الحقيق الطبع، وكلاهما في صلة متبادلة بينهما، لكن كلاهما قد آبا كذلك إلى اللامتبدل، فما أنفك يرسخ كل منهما في نفسه. لذلك لا ينفصل من الجهتين إلا سطح حيال سطح يدخل في لعبة الحركة التي لكل منهما حيال الآخر. - فأما طرف الحقيق فيصير منسوخاً من خلال الطرف الفعّال؛ لكن الحقيق من جانبه لا يصير منسوخاً إلا لعلّة أنّ ماهيته اللامتبدلة هي نفسها التي تنسخه، فتطرح نفسها عن نفسها وتهب للنشاط ما كان أطرح. والقوة الناشطة إنما تظهر كأنها القدرة التي ينحل فيها الحقيق؛ لكن لهذه العلة إنما تظلّ تلك القدرة بالنسبة إلى هذا الوعي - إذ يشرع في النشاط وفقاً لها، فيكون له ألفي - ذاته أو الماهية مغايرين -، المتعالي الذي له هو ذاته. وعليه فبدل أن يؤوب الوعي من فعله إلى نفسه، فيتحقّق لذاته من نفسه، يعكس في الأكثر هذه الحركة في الطرف الآخر الذي بان من خلال ذلك كأنه كلي على نحو خالص وقدرة مطلقة لكأن الحركة صدرت منها من كل حذب وصوب، ولكأنها تكون الماهية التي للطرفين المتفكّكين - كما كانا هلاً أولاً - مثلما الماهية التي للتبادل نفسه.

52] أما أنّ الوعي اللامتبدل يتنازل عن شكله فيتركه، وأنّ الوعي الفردي - على العكس - يُحمَدل<sup>(12)</sup>، أي يحرم على نفسه راحة الوعي ورضوانه بقيمومته الذاتية، ويدفع عنه الماهية التي للفعل مسنداً إياها للمتعالى، فذانك هما اللحظتان في الانعطاء

Danken (12)، الحمد والشكران.

المتبادل بين الطرفين، اللَّحظتان اللَّتان يَنجم من خلالهما عند الوعي - نجماً قاطعاً (Allerdings) - اتِّحادُهُ باللامتبدُّل؛ إلاَّ أنَّ هذه الوحدة تكون في الوقت ذاته مشوبةً بالانفصال، ومفصومةً من جديد في حدِّ ذاتها، فينتج عنها من جديد التقابلُ بين الكلِّيِّ والفردِيِّ؛ لأنَّ الوعي إنَّما يتخلَّى في الظاهر عن راحة شعوره بذاته؛ لكنَّه يبلغ الراحة الحاقَّةَ عن عين الشعور؛ فالوعي قد كان رغبةً وعملاً ومتعةً؛ ومن جهة ما هو وعيٌّ فقد شاء وفعل وتمتَّع. كذلك الحمدُ الذي له أين يعترف بالطرف الآخر كأنَّ بالماهية ثمَّ ينتسخ، إنَّما هو نفسه فعله الخاصُّ الذي يعادل فعل الطرف الآخر، فيقابلُ الحسنَةَ الواهبةَ نفسها بفعل مضاهٍ؛ فإذا كان ذلك الطرف يتنازل له عن السطح الذي له، فالوعي مع ذلك حامدٌ له أيضاً، ومن جهة أنَّه هو نفسه يتنازل عن فعله، أي ماهيته، فهو إنَّما يفعل في الأصل أكثر من الآخر الذي يكتفي بمجرد طرح السطح عنه. وعليه فجملة الحركة لا تنعكس في الرغبة والعمل والمتعة الحاقَّة وحسب، بل حتَّى في غضون الحمد نفسه وإنَّ بدا أنَّ العكس هو الذي يحدث، أي في طرف الفردية. وفي ذلك إنَّما يشعر الوعي بنفسه كهذا الوعي الفرديِّ بعينه، فلا يترك مجالاً للانخداع بالظاهر الذي لفعل تنازله، لأنَّ الحقيقة التي لعين التنازل هي كونه لم يتخلَّ عن نفسه؛ أمَّا الحاصل المستقرُّ فهو التفكُّر المزدوج عند الطرفين وحسب، وأمَّا النتاجُ فهو تكرير الانشطار في الوعي المتضادِّ الذي للامتبدُّل وفي ما يواجهه من الوعي بالإرادة والإنجاز والتمتَّع، وبفعل التنازل عن الذات نفسه، أو بالجملة الفردية الكائنة - لذاتها.

[ج. الوعي - بالذات إذ يبلغ العقل: مجاهدة الذات لذاتها] - عندئذٍ تهلُّ الحركة التي لهذا الوعي في علاقته الثالثة التي تصدر عن الثانية من جهة ما هي علاقة ذلك الذي أمتحنَ نفسه على الحقيقة من خلال مشيئته وإنجازهِ كوعي قائم بذاته. في العلاقة

الأولى مثل الوعي مجرد المفهوم الذي للوعي الحاق، أو القوة الحاسة الباطنة التي لم تك بعد - في الفعل كما المتعة - حاقّة؛ [153] أما العلاقة الثانية فإنما هي هذا التحقق بما هو فعل وتمتع برآنيان، لكن الوعي إذ يؤوب من ذلك إنما هو وعي يتعنى نفسه بما هو وعي حاقّ وفعلّ، أو وعي يصدق عنده هو كونه في ذاته ولذاته؛ لكن في ذلك يكون العدو قد اكتُشف حينئذ على شكله الأخصّ. والوعي الفرديّ إنّما يكون في صراع الحاسة كلحظة موسيقية مجردة وحسب؛ أمّا في العمل والمتعة من جهة ما هما تحقيق هذه الكينونة العرية من الماهية، فيمكن الوعي أن ينسى نفسه بلا توسيط، والخصيصة الواعية في هذا التحقيق إنّما تُسقط من خلال الاعتراف المُحمّل إسقاطاً شديداً. ولكن هذا الإسقاط إنّما هو على الحقيقة أوبة الوعي إلى نفسه؛ وبحق ما هي أوبته إلى نفسه من جهة ما تكون عنده التحقيق الصادق.

هذه العلاقة الثالثة حيث يمثل هذا التحقيق الصادق أحد الطرفين، إنّما هي اتصال عين التحقيق من جهة ما هو ليسية بالماهية الكلّية؛ وينبغي لنا تعقب الفحص عن الحركة التي لهذا الاتصال.

أمّا في ما يتعلّق أولاً باتّصال الوعي المتضادّ حيث يكون له واقعه في - الحال ليساً، فإنّ فعله الحاقّ يصير إذأ فعل ليس، وتمتعه يمسي شعوراً بشقاوته. عندئذ يفقد الفعل والتمتع كلّ مضمون ودلالة كليّين، لأنّه كان يكون لهما في ذلك كون في ذاته و - لذاته، وكلاهما يرجعان القهقري إلى الفردية التي تكون قبلة الوعي حتّى ينسخها. والوعي إنّما يعي بنفسه كأنّ بهذا الفرديّ الحاقّ في الوظائف الحيوانية؛ فما دامت هذه الوظائف هي ذلك الموضع الذي يبين فيه العدو على شكله الأخصّ، وعوض أن تؤدى من دون عرقلة كأنّها شيء منعدم في ذاته ولذاته لا يمكنه أن يعترى بالنسبة إلى الروح أيّ أهمية أو أيسية، فإنّها تكون في

الأكثر غرضَ العزمِ الصارم، لا بل تصير على التدقيق الشأنَ الأهمَّ. ولكن لما كان هذا العدو ينبعث من هزيمته، فإنّ الوعي من حيث يترسّخ فيه وِعوض أن يتحرّر منه، إنّما ينزل عنده في الأكثر ويدوم فيه، فيرى نفسه تتزيّد دوماً دنساً، ولما كان في الوقت ذاته هذا المضمون الذي يجاهد فيه الوعي الأخطأ والأوضاع بدل أن يكون جوهرياً، وكان في الأكثر فرديّة بدل أن يكون كلياً، فإنّنا لا نرى في هذا الموضوع إلاّ شخصيّة موقوفة على نفسها وفعلها الوضيع، فتنطوي على نفسها، وتكون شقيّة بقدر ما تكون بائسة.

[154]

ولكنّ هاتين اللَّحظتين، أي شعور الوعي بشقاوته وبؤس فعله، إنّما ينضاف إليهما أيضاً الوعي بوحدته مع اللّامتبدّل؛ لأنّ تلييسه المطلوب والذي في - الحال لكينونته الحاقّة إنّما يكون بتوسيط فكرة اللّامتبدّل، ويحدث في هذا الاتّصال. أمّا الاتّصال الذي بتوسيط فيكون ماهيّة الحركة النافية التي يتّجه الوعي فيها ضدّ فرديّته، وتلك الحركة إنّما تكون مع ذلك ومن جهة ما هي اتّصال في ذاته، موجبةً، فهي التي ستنشئ للوعي نفسه وحدته تلك.

عندئذ يكون ذلك الاتّصال الذي بتوسيطٍ قياساً لا تقترن فيه الفرديّة التي كانت ترسّخت في مبتدأ أمرها كتضادّ مع ألفي - ذاته بهذا الطرف الآخر إلاّ بمعنيّة حدّ ثالث. من خلال هذا الحدّ الأوسط يستقيم طرف الوعي اللّامتبدّل في نظر الوعي العري من الماهيّة، وهذا إنّما يحصل فيه في الوقت ذاته أنّه لا يكون بالنسبة إلى ذلك الوعي إلاّ بمعنيّة هذا الحدّ، وهذا الحدّ الأوسط هو الذي يمثّل<sup>(13)</sup> عندئذ كلاً من الطرفين للآخر، فيكون الخادم المتبادل لكلّ منهما لدن الآخر. وهذا الحدّ الأوسط هو نفسه

(13) Vorgestellt، على معنى التمثّل أو التصرّو.

ماهية واعية، لأنه فعلٌ موسَّطٌ للوعي بما هو كذلك؛ أما مضمون هذا الفعل فإنما هو ما يضرب إليه الوعي من تفويض لفرديته.

في هذا الحدِّ الأوسط يتحرَّر الوعي إذاً من الفعل والتمتعة من جهة أنهما له؛ والوعي إنَّما يدفع عنه الماهية التي لإرادته كأنها طرفٌ كائنٌ - لذاته، ويلقي على الحدِّ الأوسط أو الخادم خاصية العزم وحرِّيته، فيحمل عليه بذلك خطيئة فعله. وهذا الوسيط من حيث يتصل في - الحال بالماهية اللامتبدلة إنَّما يخدم إذ يسدي النصيحة في ما هو العدل. ولما كان الصنيع تبعاً لقرار برآني غريب، فإنَّه يكف من ناحية الفعل أو الإرادة عن كونه خاصاً. ولكن يبقى للوعي اللاماهوي وجهه الموضوعي، لاسيما ثمرة عمله وتمتعه. وهذه التمتع إنَّما يدفعها هي أيضاً عنه، ومثلما تنازل عن الإرادة، يتخلَّى عن حقيقته المستفاد في العمل والاستمتاع: يتخلَّى عنه في شطرٍ كأنَّ عن حقيقة قيمومته الذاتية الواعية بذاتها التي بلغها، - من جهة أنه يتحرَّك وهو يتصوَّر وينطق بشيء غريبٍ عريٍّ تماماً من الماهية بالنسبة إليه؛ - وهو يتخلَّى عن ذلك الحقيق في شطرٍ آخرٍ من حيث هو ملكية برآنية، - من جهة أنه يتنازل عن شيء من التملك الذي حصله عبر العمل؛ كما أنه يتخلَّى عن التمتع التي كان اكتسبها، - من حيث يتنازل عنها تماماً ومن جديد في الصوم ومجاهدة النفس.

من خلال هذه اللحظات من التخلِّي عن القرار الخاص، ثم عن الملكية والتمتع، وأخيراً من خلال اللحظة الموجبة في تدبير شأنٍ لا يُدرك منه شيئاً، إنَّما ينزع الوعي عنه<sup>(14)</sup> على الحقيقة

(14) Sich nehmen، صحيحٌ أنَّ هذا الفعل يقال على معنيين متقابلين، إذ يعني

الأخذ بالشيء وتحصيله كما يعني نزع وإسقاطه. والسياق في هذا الموضع يدفعنا إلى اختيار المعنى الثاني، لأنه من العسير أن يلوَّح هيغل ها هنا بأنقلاب دياكتيقي يجعل الوعي - إذ يتخلَّى عن الخاص الذي له فيتلفَّت عن قيمومته الذاتية في مجاهدة نفسه، =

وبشكل تامّ كلّ وعي بالحرية الباطنة والظاهرة، كما بالحقيق من جهة ما هو كونه - لذاته؛ إنه على يقين من كونه على الحقيقة قد أخرج عن الأنا الذي له، وجعل من وعيه - لذاته الذي في - الحال شيئاً، بل كينونة موضوعية. - وإنه ما كان له أن يقف على حقيقة التخلّي عن ذاته إلاّ بهذه التضحية الحاقّة؛ لأنّه فيها وحدها تزول الخدعة التي تكمن في العرفان الباطن الذي بالحمد والتسبيح بواسطة القلب والنية والنطق، عرفاناً ينفر حقاً من أيّ قدرة للكون - لذاته، فيحسبها هبةً متأتية من فوق، لكن في هذا النفور نفسه يحفظ الوعي لنفسه الخاصية البرائنة في التملك الذي لا يتنازل عنه، وأما الخاصية الجوانية فيحتفظ بها في الوعي بالعزم والحسم اللذين يحيط بهما بنفسه، كما في الوعي بمضمونهما المتعّين من خلاله هو، وهو مضمون لم يستبدله بمضمون غريب كان ليفعمه على نحو عري من المعنى.

ولكن في التضحية المستغرقة على نحو حاقّ<sup>(15)</sup> إنّما يكون الوعي في ذاته قد نسخ الفعل من جهة أنّه فعله، مثلما يكون قد تخلّص من شقاوته. أمّا كون هذا الخلوّ قد حدث في ذاته، فذلك من فعل الطرف الآخر للقياس، وهو الماهية الكائنة في ذاتها؛ إلاّ أنّ تلك التضحية التي للطرف العري من الماهية لم

---

= بل في إماتها - يستيقظ على وعي بهذا الاغتراب الذاتي، فالوعي ما زال - كما سيبين من الجملة التابعة - يتعنى خسران كلّ ما كسب، حتّى نفسه (وجريرة ذلك الورع)؛ بل سيتشياً. وعليه فإنّ ما يعوز هذا الوعي حتّى ينقلب هذا المنقلب الديالكطقي في هذا الموضع بعينه إنّما هو اختراجه الحاقّ، أي كونه - لذاته حاقاً، لا شيئاً، أو كوناً موضوعياً. لهذا رأينا أن نحترس - في ترجمة هذا الفعل - من استباق الوجه التكويني الذي في تضحية هذا الوعي بنفسه، وإن كان وجهاً حاقاً (سيظهر في الفقرة التالية).

(15) تلك هي أولى آيات المنقلب الديالكطقي الذي سيتعناه الوعي الشقي: استغراقه في التضحية بنفسه (التنازل عن العزم والتملك والتمتع) حتّى يتصير العرفان موضع اتّحاد الوعي بنفسه، وإنّ على نحو التمثل وحسب.

تكرن في الوقت ذاته فعلاً أحاديّاً، بل أشتملت على فعل الطرف الآخر. ذلك لأنّ التخلّي عن الإرادة الخاصّة لا يكون سالباً إلّا من جانب واحد، من حيث مفهومه أو في ذاته؛ لكنّه في الحين ذاته موجبٌ، لاسيّما وضع الإرادة كأنّها إرادة آخر، وعلى التحديد وضع الإرادة لا كشيء فرديّ، بل ككلّيّ. هذه الدلالة الموجبة للإرادة الفرديّة التي توضع على نحو سالب إنّما تمثّل في نظر هذا الوعي الإرادة التي للطرف المغاير، وهي التي لا تصير له - بما أنّها على التدقيق شيء مغاير بالنسبة إليه - بمعيتّه هو، بل من خلال الحدّ الثالث، أي الوسيط من جهة ما هو نُضَح. لذلك <sup>56]</sup> تستحيلُ إرادته في نظره كليّةً فعلاً، وإرادةً كائنةً في ذاتها؛ لكن الوعي نفسه لا يكون ذلك لنفسه وفي ذاته، فتخلّيه عن إرادته بما هي فرديّةٌ لا يكون في نظره - ووفق المفهوم - النحو الموجب الذي للإرادة الكليّة. كذلك لا يتعدّى تنازله عن التملك والتمتع عينَ هذه الدلالة السالبة، فأما الكلّي الذي يصير له بذلك فلا يكون في نظره فعلاً الخاصّ. وأما هذه الوحدة بين الموضوعي وبين الكون - لذاته التي تكمن في مفهوم الفعل وتصير لهذه العلة عند الوعي كالوحدة بين الماهية والموضوع، - فإنّه مثلما لا تكون في نظره المفهوم الذي لفعله، كذلك لا يبين له في - الحال ومن خلاله هو أنّ تلك الوحدة إنّما تصير له كموضوع؛ وإنّما يترك الخادم الوسيط ينطق بأسمه ليعبر عن هذا الإيقان الذي ما انفك هو نفسه إيقاناً مفصوماً، أي إيقاناً من أنّ شقاوته لا تصير عكسها إلّا في ذاتها، أعني ذلك الفعل الذي يرضى بنفسه في فعله، أو المتعة المباركة والأبدية؛ وأنّ فعله البائس هو أيضاً في ذاته الفعل المعكوس، أعني فعلاً مطلقاً؛ وأنّ الفعل وفق المفهوم لا يكون فعلاً إلّا بما هو بالجملة الفعل الذي لفرديّ. ولكنّ الفعل بالنسبة إلى الوعي نفسه إنّما يظلّ فعلاً، فيبقى فعله الحاقّ فعلاً يائساً، وتمتّعه ألماً، وكونُ هذا وذاك منسوخين إنّما يظلّ عنده - على



الدلالة الموجبة - متعالياً ما. ولكنه في هذا الموضوع حيث يكون فعله وكيونته في نظره - ومن جهة أنهما ينتسبان إلى هذا الوعي الفردي - كينونةً وفعلاً في ذاتيهما، إنما يكون حصل له تمثل العقل، الإيقان الذي للوعي من أنه في فرديته إنما يكون في ذاته على الإطلاق، أو يكون كل واقع.

## V. إيقان العقل وحيقته

إنّ الوعي في الفكرة التي ألمّ بها - وهي كون الوعي الفرديّ في ذاته ماهيّة مطلقة - إنّما يؤوب إلى نفسه. وألّفي - ذاته إنّما يكون في نظر الوعي الشقيّ المتعالّي عنه هو نفسه؛ لكن حركة هذا الوعي إنّما أنجزت هذا الأمر في داخله، أعني كونه وضع الفردية على نمائها التام، أو وضع الفردية التي هي الوعي الحاق كأنها سلبّي نفسه، لاسيّما كطرف موضوعي، أو أنّه انتزع من ذاته كونه - لذاته، فجعل منه الكينونة؛ وفي ذلك إنّما تحصل بالنسبة إليه أيضاً وحدته مع هذا الكلّي، وهي التي بالنسبة إلينا لم تعد تقع خارجه ما دامّ الفرديّ المنسوخ الكلّي؛ ولما كان الوعي يحفظ نفسه في هذه السالبة التي له، فتلك الوحدة إنّما تكون فيه بما هي كذلك ماهيته. أمّا حقيقته فهي ذلك الطرف الذي يظهر في القياس - حيث كان الطرفان هلاً على نحو أنّ أحدهما ظلّ خارج الآخر على الإطلاق - كالحّد الأوسط الذي يفصح للوعي الثابت عن كون الفرديّ قد تخلّى عن نفسه، وكما يفصح للفرديّ عن كون اللامتبدّل لم يعد بالنسبة إليه حرفاً، بل عن كونه قد أثلف وإياه. وهذا الحّد الأوسط إنّما هو الوحدة التي تعلم الطرفين كليهما وتربط بينهما في - الحال، وهو الوعي بوحدتهما التي تفصح للوعي كما لنفسها إذاً عن الإيقان بكونها كلّما حقيقة.

[I. المثاليّة] - لما كان الوعي - بالذات عقلاً، فإنّ علاقته

بالكون المغاير التي ظلّت إلى الآن سالبةً، إنّما تنقلب علاقةً موجبةً؛ فالوعي - بالذات لم يكن له شاغلٌ حدّ الآن إلاّ قيمومته الذاتية وحرّيته، حتّى يخلّص نفسه فيدوم لذاته على حساب العالم وحقيقه الخاصّ اللّذين كانا أظّهرا له معاً على أنّهما السالِبُ لِمَاهِيَّتِهِ. ولكنّ الوعي - بالذات بما هو عقل وثق من نفسه، إنّما أَسْتَفَادَ السكينة حيالهما، فأمكن له أختِمَالُهُمَا؛ لأنّه موقنٌ من نفسه كما من الواقع، أو هو موقنٌ من أنّ كلّ حقيقٍ ليس شيئاً آخر سواه؛ فتفكيره نفسه يكون في - الحال الحقيق؛ وعليه فهو إنّما يسلك حيال هذا الحقيق مسلكَ المِثَالِيَّةِ. والأمر عنده - من حيث [151] يدرك نفسه على هذا النحو - كأنّ العالم لم يشرع في الحصول له إلاّ الآن، أمّا من قبل فلم يكن يذهنه<sup>(1)</sup>؛ فهو يرغب فيه ويشتغل عليه، وينسحب منه إلى نفسه، ثمّ يُلَيْسُهُ لذاته، ويليس نفسه كوعي، أي كوعي بعين العالم كأنّ بالماهية، كما من جهة ما هو وعيٌ بليسيّة العالم. عندئذٍ، أي فقط من بعد أن يكون قبر حقيقته قد فُقدَ، وتفوّضَ تفويضٌ حقيقه نفسه، فتكون الفردية عنده ماهية مطلقّة في ذاتها، عندئذٍ وحسب يكتشف العالم من جهة ما هو عالمه الحاقّ الجديد الذي يكتسي في دوامه أهمية في نظره، مثلما كان العالم من قبل مهمماً عند زواله وحسب؛ لأنّ دوام العالم يصير عندّ الوعي الحقيقّة والحضور الخاصّين اللّذين له؛ فهو إنّما يكون على إيقانٍ من أنّه لا يتعتّى تجربةً في ذلك العالم إلاّ تجربة نفسه.

إنّ العقل هو إيقان الوعي من كونه كلّ واقع: كذا تفصّح المِثَالِيَّةُ عن المفهوم الذي للعقل. وكما أنّ الوعي الذي يهَلُّ كعقلٍ

(1) Verstehen، جنس «الفهم» الذي للذهن: ترجمنا الأوّل بالرجوع إلى الأصل الثلاثي - ذَهَرَ - احتراماً من الخلط بين جنس «الفهم» الذي للذهن والفهم المفهوميّ على المعنى الحقّ (Begreifen).

يكون له في ذاته في - الحال ذلك الإيقان، كذلك تُفصح المثاليّة عنه في - الحال: أنا هو أنا<sup>(2)</sup>، على معنى أنّ الأنا الذي يكون لي موضوعاً، لا يكون بالجملة كما في الوعي - بالذات، ولا كما في الوعي - بالذات الحرّ، فهناك لا يكون إلّا موضوعاً خاوياً بعامة، وهامنا لا يكون إلّا موضوعاً يعتزل الموضوعات الأخرى التي لا تزال صالحةً إلى جنبه، بل يكون موضوعاً مقترناً بالوعي بليسيّة أيّ موضوع سواه، موضوعاً فardاً يمثّل كلّ واقع وحضور. ولكن الوعي - بالذات لا يكون كلّ واقع - لا لذاته وحسب، بل في ذاته أيضاً - إلّا من جهة أنّه يصير ذلك الواقع، أو يتضح بالأحرى كأنه كذلك. والوعي - بالذات إنّما يتضح كذلك على السبيل التي يزول فيها بالنسبة إليه هو الكونّ المغاير بما هو في ذاته أثناء الحركة الديالكطيّة للتظنن والدرك الحسيّ والذهن، ثمّ يزول الكونّ المغاير من حيث لا يكون إلّا بالنسبة إليه، في الحركة من خلال القيمومة الذاتية للوعي في الرّئاسة والخدمة، وفكرة الحرّية، والتحرّر الرببيّ، وصراع التحرّر المطلق الذي للوعي المنفصم. ذلك أنّه ثمة وجهان يعرضان الواحد منهما تلو الآخر، فأما أحدهما فحيث كانت للماهيّة أو الحقّ عند الوعي تعينيّة الكينونة، وأما الوجه الآخر فهو الذي كانت للوعي فيه تعينيّة الكينونة بالنسبة إليه وحسب. ولكنّ كلا الوجهين يُردّان إلى حقيقة واحدة، وهي أنّ ما يكون، أو ألفي - ذاته، لا يكون إلّا

(2) قارن: حقيقة الإيقان من الذات، III. الأنا والرغبة (ص 263 من هذا الكتاب). - وهيغل في هذا الموضع إنّما يلوّح بما جاء في مثالية فيشته: انظر الفقرة الأولى، ص 94-95: «أنا=أنا؛ أنا هو أنا»، «إنّ القضيّة المبدئيّة: «أنا هو أنا» تصلح على الإطلاق ومن وجوه غير مقيّد..»؛ قارن هامش ص 98، والفقرة الرابعة ص 134 وما بعدها في: Johann Gottlieb Fichte, *Grundlage der gesamten Wissenschaftslehre (Als Handschrift für sein Zuhörer)* [1794; 1802], in: *Fichtes Werke*, Hrsg. von Immanuel Hermann Fichte (Berlin: Walter de Gruyter, 1971), vol. 1: *Zur theoretischen Philosophie*.

من حيث يكون بالنسبة إلى الوعي، وأن ما يكون بالنسبة إليه يكون أيضاً في ذاته. والوعي الذي يكون هذه الحقيقة إنما ترك وراءه تلك السبيل فنتسيها، ما دام قد هلّ في - الحال كعقل، أو ما دام هذا العقل الحالّ بلا توسيطٍ يهلّ بما هو الإيقان من هذه الحقيقة وحسب. والعقل إنما يُثبت واثقاً (Versichern) كونه كلّ واقع وحسب، لكن هو نفسه لا يفهم ذلك؛ لأنّ تلك السبيل المنسيّة إنّما هي فعلٌ فهم<sup>(3)</sup> هذا الإثبات الذي يُقال على نحو في - الحال. وبحقّ ما يظنّ هذا الإثبات غير مفهوم أيضاً، عند مَنْ لم يجتّب تلك السبيل، فيسمعه على هذه الصورة المحض، - لأنّه لو كان ذا الإثبات على شكل متعيّن لكان أتاه بنفسه.

لذلك تكون المثاليّة التي لا تأتي بيان تلك السبيل، بل تبدأ من عند ذلك الإثبات، هي أيضاً محض توكيد لا يفهم نفسه، ولا يكون مفهوماً عند الآخرين. وهي إنّما تقول إيقاناً بلا توسيطٍ تقابله إيقانات بلا توسيط مغايرة كانت قد ضاعت على تلك السبيل بعينها. وعليه فقد حُقّ لتوكيدات هذه الإيقانات أن تقوم أيضاً إلى جنب التوكيد الذي لذلك الإيقان. أمّا العقل فيتعرّى إلى الوعي - بالذات الذي لكلّ وعي: أنا هو أنا؛ موضوعي وماهيتي هما أنا؛ فما من وعي - بالذات سيجحده في هذه الحقيقة. ولكنّ لما كان العقل يقيم هذه الحقيقة على ذلك الاعتزاء، فإنّه إنّما يجحد الحقيقة التي للإيقان المغاير، ولاسيّما: ثمّة آخرُ بالنسبة إليّ؛ أي شيء مغاير لي أنا يكون لي موضوعاً وماهيةً؛ أو ما دمت أنا لنفسي موضوعاً وماهيةً، فإني لا أكون ذلك إلّا من حيث أنسحب من الآخر بالجملة، فأهلُّ إلى جانبه كحقيق. - إنّ العقل لا يمثّل إقراره لنفسه لا كإيقان وتوكيد وحسب، بل بما هو حقيقة، وليس من حيث هو من بين إقرارات أخرى، بل بما هو الإقرار الوحيد،

(3) قارن الهامش رقم (1) من هذا الفصل.

إلا متى يهمل كتفكر انطلاقاً من ذلك الإيقان المقابل. أما الهلّ الذي في - الحال فإنّما هو تجريد كون العقل ماثلاً هاهنا (Ihres Vorhandensein)، تمثّل ماهيّته وكونه - في - ذاته مفهوماً مطلقاً، أي الحركة التي لكونه متصيراً. - وسيعين الوعي من وجوه شتى علاقته بالكون المتغير أو بالموضوع الذي له، وذلك وفق الدرّجة التي ينزل إليها من روح العالم المتصير واعياً. أما كيف يجد الوعي نفسه وموضوعه في - الحال في كلّ مرّة وكيف يعينهما، أو كيف يكون لذاته، فذلك أمرٌ موقوفٌ على ما صار إليه روح العالم ذاك، أو على ما يكونه فعلاً في ذاته.

[II. المقولات] - العقل إنّما هو الإيقان من كونه كلّ واقع. لكن هذا ألّفي - ذاته أو هذا الواقع لا يزال شيئاً كلياً على الإطلاق، التجريد المحض للواقع. إنّه الإيجابيّة الأولى التي يكونها الوعي - بالذات في ذاته هو، لذاته، ولذلك يكون الأنا الأيسية الخالصة التي للكائن، أو المقولة البسيطة وحسب. والمقولة التي كانت لها من قبل دلالة كونها أيسية الكائن، الكائن بلا تحديد وبعامّة أو الكائن حيال الوعي، إنّما تصبح الآن أيسية الكائن أو وحدته البسيطة من جهة ما هو حقيقٌ مفكّرٌ وحسب؛ أو إنّما هي كونٌ الوعي - بالذات والكينونة عينٌ الماهية: عينٌ الماهية، لا من جهة المقارنة، بل في ذاتيهما ولذاتيهما. فوحدها المثاليّة الأحادية الفاسدة تتركّ هذه الوحدة تظهر من جديد كوعي من جهة، ثمّ تقيّم من جهة أخرى في - ذاته ما (Ein Ansich) يقابلها. - غير أنّ تلك المقولة، أو الوحدة البسيطة بين الوعي - بالذات والكينونة، إنّما يكون لها الآن في ذاتها الاختلاف، لأنّ ماهيتها إنّما هي كونها في - الحال في الكون المتغير أو في الاختلاف المطلق متساوية وذاتها. لذلك يكون الاختلاف؛ لكنّه شفيفٌ تماماً، أو كأختلافٍ ليس هو في الوقت ذاته بأختلافٍ، فهو إنّما يظهر ككثرةٍ من المقولات. ولما كانت المثاليّة تفصح عن

الوحدة البسيطة التي للوعي - بالذات كأنها كلّ واقع، فتجعل منها في - الحال ماهيةً من دون أن تفهمها على أنّها ماهيةٌ سالبة على الإطلاق - إذ وحدها هذه تشتمل في حدّ ذاتها على الوعي، أو التعينية، أو الاختلاف -، فإنّ الأمر الثاني الذي يكون غير مفهوم أكثر من الأوّل، هو أنّ المقولة تشتمل على فروقٍ أو أنواع. وهذا التأكيد (Diese Versicherung) بعامةٍ مثله مثل تأكيد أيّ تعديد (Die Anzahl) محدّد لأنواع عين المقولة، إنّما هو تأكيدٌ جديدٌ، لكنّه ينطوي في حدّ ذاته على أنّه لا بدّ للمرء ألا يقبل به من بعد ذلك كتأكيد. لأنّه لما كان الفرقُ يبدأ في الأنا الخالص، في ذهن الخالص نفسه، فإنّه يوضع هاهنا أنّ الحالية والتأكيد والموجدة إنّما قد تُركت، وأنّ قد بدأ فعل الفهم. أمّا أن تؤخّذ كثرة المقولات من أيّ وجه اتفق - ومثاله من الأحكام - على أنّه موجدة (Ein Fund)، فيقبل بها المرء هكذا، فإنّما ذلك أمرٌ ينبغي أن يُنظر إليه على أنّه بالفعل ثلّبٌ للعلم؛ فهيهات أن يُظهر الذهن من بعد ذلك ضرورةً ما، والحال أنّه قاصر عن إظهارها في داخله وهو الضرورة الخالصة.

[16]

لما كانت الأيسية الخالصة التي للأشياء، كما أختلفها، تنتسب الآن إلى العقل، فإنّ القول في الأشياء لم يعد على التدقيق قولاً ممكناً، أي القول في شيء ما كان لا يكون في نظر الوعي إلاّ سلبيّ ذاته؛ لأنّ كون المقولات المتكثرة أنواعاً للمقولة المحض، إنّما معناه أنّ هذه لا تزال جنس تلك أو ماهيتها، وأنّها ليست متضادةً وتلك. ولكنّ المقولات صارت بعد الملبس الذي ينطوي في ذاته على الكون المغاير في تكثّره حيال المقولة المحض. والمقولات المتكثرة تناقض في واقع الأمر المقولة المحض من جهة تكثّرها ذاك، فلا بدّ أن تنسخ الوحدة الخالصة في ذاتها تلك المقولات، حتّى تتأسس بذلك كوحدة نافية للفروق. ولكنها كوحدة نافية إنّما تصدّ عنها الفروق بما هي

كذلك، كما تصدّ عنها تلك الوحدة الأولى الخالصة والتي بلا توسيطٍ بما هي كذلك؛ إنها فرديةٌ؛ مقولةٌ جديدةٌ تكون وعياً صاداً، أي تكون ما يلي: ثمة مغايرٌ بالنسبة إلى هذا الوعي. والفرديةُ إنّما تكونُ مرورها من مفهومها إلى واقع برّانيٍّ؛ فالرسم (Das Schema) المحض إنّما يكون وعياً، مثلما يكون من جهة ما هو فرديةٌ وواحدٌ يصدّ، فعلٌ إشارةٌ إلى شيءٍ مغايرٍ. ولكن هذا المغاير للمقولة إنّما تكونه المقولات الأولى الأخرى، لاسيّما الأيسية الخالصة والاختلاف المحض؛ وفي هذه المقولة، أي على التدقيق في الكون الموضوع الذي للمغاير، أو في هذا المغاير نفسه، إنّما يكون الوعي أيضاً ذاته. وكلُّ من هذه اللحظات المتنوّعة يحيل إلى لحظة مغايرةٍ، من دون أن تنتهي أيّ منها - مع ذلك - إلى أيّ كونٍ مغايرٍ؛ فأما المقولة المحض فتحيل إلى الأنواع التي تمرّ في المقولة النافية أو في الفردية؛ وأما هذه النافية فتحيل في ارتدادها إلى تلك الأولى، فهي نفسها وعيٌ خالصٌ يظلّ في نظره وفي كلّ نوع هذه الوحدة الواضحة مع نفسها، لكنّها وحدةٌ يُحال بها هي أيضاً إلى شيءٍ مغايرٍ يكون قد زال متى يكون، ومتى يكون زال يُبعث من جديد.

III. المعرفة بحسب المثالية الجوفاء] - إنّنا نرى ها هنا

الوعي الخالص وهو يوضع على نحو مزدوج، مرّةً كفعلٍ مراوحي لا يهدأ إذ يجتاب جميع لحظاته في سراح ورواح (Das Hin- und Hergehen)، فيرى فيها أمام عينيه الكون المغاير الذي ينتسخ أيّان <sup>2)</sup> يُدرِك؛ ومرّةً أخرى يوضع في الأكثر كوحدةٍ ساكنةٍ موقنةٍ من حقيقتها. بالنسبة إلى هذه الوحدة تكون تلك الحركة هي المغاير؛ أمّا بالنسبة إلى هذه الحركة فتلك الوحدة هي التي تكون المغاير؛ والوعي والموضوع إنّما يتناوبان في هذه التعيينات المتبادلة. وعليه فالوعي يكون لنفسه مرّةً التعقّب المراوحي، وموضوعه ألفي - ذاته الخالص والماهية؛ ومرّةً أخرى يكون لنفسه تلك المقولة



البسيطة، ويكون الموضوع الحركة التي للفروق. ولكن الوعي بما هو ماهية إنما يكون كافة هذا المجرى نفسه الذي يتمثل في الممازة من الذات بما هي مقولة بسيطة إلى الفردية والموضوع، وحده هذا المجرى في هذا الموضوع، ثم نسخ هذا الأخير من جهة ما هو مختلف حتى يتم تملكه، ثم إفصاح الوعي عن هذا الإيقان: ألا وهو كونه كل واقع، أي كونه ذاته كما الموضوع الذي له.

إن إفصاحه الأول هو مجرد لفظ خاو، إذ يقول إن كل شيء له، لأن الإيقان من كونه كل واقع إنما يكون في مبتدأ الأمر المقولة المحض. هذا العقل الأول العالم بنفسه في الموضوع إنما هو الذي تعبر عنه المثالية الخاوية التي تحيط بالعقل أولاً كما يكون لنفسه، فتحسب من حيث تشير في كلما كينونة إلى هذا الله الخالص الذي للوعي، وتفصح عن الأشياء من جهة ما هي إحساسات أو تمثلات، أنها قد أشارت إلى ذلك الله كأن إلى واقع مكتمل. ولهذه العلة وجب في هذه المثالية أن تكون في الحين ذاته إمبريقية مطلقة، لأن العقل الذي لها إنما يحتاج في إفعام الله الخاوي، - أي في الاختلاف الذي له كما في سائر نموه وتشكله - إلى صدمة برائية كان ليكمن فيها أولاً التكرار المتنوع الذي للحس أو التمثل. لذلك فإن هذه المثالية تصير التباساً متناقضاً من جنس الريبية، مع استثناء هذا الفرق، وهو أنه إذا كانت الريبية تعبر على نحو سالب، فإن المثالية تعبر على نحو موجب، لكن يعسر على هذه - مثلها مثل تلك - أن تستجمع أفكارها المتناقضة في الوعي الخالص بما هو كل واقع، كما في الصدمة البرائية أو في المؤجدة والتمثل الحسيين بما هما واقع مضاه، بل إن هذه المثالية إنما تتخبط بين هذه الفكرة وتلك، حتى تسقط في اللامتناهي الفاسد، لاسيما اللامتناهي الحسي. ولما كان العقل كل واقع على معنى الله المجرد، وكان المغاير [16:

لهذا أَلَلَهُ غَرِيباً سَيَانِيّاً، فَإِنَّ مَا يَوْضَعُ هَاهُنَا إِنَّمَا هُوَ عَلَى التَّدْقِيقِ  
مَعْرِفَةُ الْعَقْلِ بِمَغَايِرِ مَعْرِفَةٍ مِنْ جِنْسِ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ حَصَلَتْ  
كَتَطَنُّ وَدَرْكٌ حَسِّيٌّ وَذَهْنٌ يَحِيْطُ بِالْمَظْنُونِ فِيهِ كَمَا بِالْمُدْرَكِ. وَهَذِهِ  
الْمَعْرِفَةُ إِنَّمَا تُثَبِّتُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ مِنْ خِلَالِ الْمَفْهُومِ الَّذِي لِهَذِهِ  
الْمَثَالِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِالْمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، لِأَنَّ الْوَحْدَةَ الَّتِي لِلْإِدْرَاكِ  
الْبَاطِنِ (Die Apperzeption) هِيَ وَحْدَهَا حَقِيقَةُ الْمَعْرِفَةِ. وَعَلَيْهِ  
فَلِكَيْ يَبْلُغَ الْعَقْلُ الْمَحْضُ الَّذِي لِهَذِهِ الْمَثَالِيَّةِ هَذَا الْمَغَايِرَ الَّذِي  
يَكُونُ لَهُ جَوْهَرِيّاً، أَي يَكُونُ إِذَا أَلْفِي - ذَاتَهُ الَّذِي لَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ  
الْعَقْلُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، إِنَّمَا يَحِيلُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ إِلَى تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي  
لَيْسَتْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ؛ كَذَا يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ عَنِ دَرَايَةِ وَبِمَشِيئَتِهِ أَنْ  
يَكُونَ مَعْرِفَةً غَيْرَ صَادِقَةٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ فَكَاكاً مِنَ الظَّنِّ وَالذَّرْكَ  
الْحَسِّيِّ اللَّذِينَ لَا تَسْتَقِيمُ لِهَمَا الْحَقِيقَةُ فِي نَظَرِهِ هُوَ نَفْسُهُ؛ فَيَجِدُ  
نَفْسَهُ فِي - الْحَالِ فِي تَنَاقُضٍ، مِنْ حَيْثُ يَثْبُتُ مَتَضَادّاً مَزْدُوجاً  
بِإِطْلَاقٍ عَلَى أَنَّهُ الْمَاهِيَّةُ، وَحُدَّةِ الدَّرْكَ الْبَاطِنِ وَكَذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي  
يَظَلُّ - سِوَاءِ سَمَيِ الصَّدْمَةِ الْبِرَّانِيَّةِ، أَوِ الْمَاهِيَّةِ الْإِمْبَرِيْقِيَّةِ، أَوِ  
الْحَاسَّةِ، أَوِ الشَّيْءِ فِي ذَاتِهِ - فِي مَفْهُومِهِ عَيْنَ الْعَنْصُرِ الْغَرِيبِ عَنِ  
تِلْكَ الْوَحْدَةِ.

هَذِهِ الْمَثَالِيَّةُ إِنَّمَا تَقَعُ فِي هَذَا التَّنَاقُضِ لِأَنَّهَا تَقَرَّرُ بِالْمَفْهُومِ  
الْمَجْرَدِ لِلْعَقْلِ كَأَنَّهُ الْحَقُّ؛ لِذَا يَنْجُمُ الْوَاقِعُ فِي نَظَرِهَا فِي - الْحَالِ  
وَمِنْ حَيْثُ لَا يَكُونُ فِي الْأَكْثَرِ الْوَاقِعَ الَّذِي لِلْعَقْلِ، فِي حَيْثُ أَنَّ  
الْعَقْلَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الْحَيْنِ ذَاتَهُ كُلَّ وَاقِعٍ؛ فَالْوَاقِعُ إِنَّمَا يَظَلُّ  
تَعَقُّباً لَا قَرَارَ لَهُ يَوْضَحُ فِي الْبَحْثِ نَفْسِهِ أَنَّ رَاحَةَ الْمَوْجِدَةِ مَحَالٌ  
عَلَى الْإِطْلَاقِ. - لَكِنَّ الْعَقْلَ الْحَاقِّ لَا يَكُونُ عَلَى هَذَا الْجِنْسِ مِنَ  
التَّهَافَتِ؛ بَلْ هَذَا الْعَقْلُ إِذْ يَكُونُ فِي الْبَدءِ مَجْرَدَ الْإِيْقَانِ مِنْ كَوْنِهِ  
كُلَّ وَاقِعٍ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا الْمَفْهُومِ وَمِنْ جِهَةٍ مَا هُوَ إِيْقَانٌ وَأَنَا،  
وَاعْ بَكُونِهِ لَيْسَ بَعْدُ الْوَاقِعَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَيَنْزِعُ إِلَى أَنْ يَرْفَعُ إِيْقَانَهُ  
إِلَى مَصَافَتِ الْحَقِيقَةِ، فَيُنْفَعِمَ أَلَلَهُ الْخَاوِي.

## I. العقل المعايير

إننا نرى الآن هذا الوعي الذي تحمل الكينونة عنده دلالة أُلَّه<sup>(4)</sup>، ينغمس من جديد في الظن والدرك الحسي، لكن لا كمثّل الإيقان من مغاير وحسب، بل مع الإيقان بكونه هو ذاته هذا المغاير. من قبل هذا كان حدث له فقط أن أدرك وخبرَ لمأماً بعض ما في الشيء؛ أما هاهنا فهو ذاته الذي ينضد المعايينات والتجربة. والظن والدرك الحسي اللذان كانا - في الذي فات - انتسخا بالنسبة إلينا، إنما ينسخهما الوعي الآن لأجله هو؛ فالعقل إنما يسعى في معرفة الحقيقة، وفي أن يجد ما هو عند الظن والدرك الحسي شيء من جهة ما هو مفهوم، ومعناه ألا يجد في الشئئية إلا الوعي بنفسه. لذلك يكون للعقل الآن انشغال كليّ بالعالم، لأنه الإيقان من أن له حضوراً في هذا العالم، أو أن الحضور إنما يكون عقلياً. والعقل إنما يتعقب المغاير الذي له، وهو على بينة من أنه في ذلك التعقب لا يتملك غير ذاته؛ إن هو يتعقب إلا لاتناهيه الخاص.

فالعقل - إذ تتراءى له ذاته في الحقيق، أو يعرف أنه بالجملة الحقيق الذي له - إنما يخطو في هذا الاتجاه ويترسل فيه حتى يبلغ التملك (Die Besitznehmung) الكليّ لهذه الملكية التي ضمنت له، فيغرس على كلّ القمم وفي كلّ المنابت العميقة آية سيادته. لكن هذا أُلَّه السطحي ليس شاعله الأقصى؛ فبهجة ذلك التملك الكليّ ما زالت تصادف في ملكيتها مغايراً غريباً لا يشتمل عليه العقل المجرد في حد ذاته، فالعقل إنما يتوجس نفسه كأنه

(4) نمة قرابة سيمانتيكية - يومئ إليها هيغل دلالة على ردّ هذا الوعي للكينونة إلى معنى المُلْك - قائمة في اللسان الألماني بين الكينونة (Das Sein) والحرف الدال على الملك - له (sein).

ماهية أعمق مما يكون الأنا، ولا بدّ له أن يطالب بأن يصير له الاختلاف، أو الكون المتنوع، كأنهما اللذان له هو، ويحدس نفسه من جهة ما هي الحقيقي، ويجد نفسه حاضرة بما هي شكلٌ وشيءٌ. لكن لو نفذ العقل إلى أحشاء الأشياء ونش فيها، ثم فصّد شرايينها عساه ينتج منها فيصادف نفسه فيها، لما كان له أن يحصل هذه السعادة، بل لا بدّ له من قبل ذلك أن يكتمل في نفسه، حتى يتمكن بعدئذٍ من تجربة أكتماله.

إن الوعي يعاين؛ أي إنّ العقل يريد أن يجد نفسه ويتملكها من جهة ما هي موضوع كائن، وضربٌ حاقٌ وحاضرٌ. والوعي الذي لفعل المعاينة هذه إنّما يظنّ ويقول فعلاً إنه لا يبتغي تجربة ذاته هو، بل يبتغي بالعكس تجربة الماهية التي للأشياء بما هي أشياء. أمّا أن يظنّ هذا الوعي ويقول ذلك فإنّما يكمن في كونه عقلاً، لكنّ العقل بما هو كذلك ما زال لم يتصير موضوعاً بالنسبة إلى هذا الوعي. ولو كان هذا الوعي يعلم أنّ العقل هو الماهية عينها التي تكون له كما للأشياء على حدّ سواء، وأنّ العقل ما كان ليحضر على شكله الأخصّ إلّا في الوعي، لكان ذلك الوعي في الأكثر سير عمقه الخاصّ وبحث فيه عن العقل، بدل أن يبحث عنه في الأشياء. ولو كان وجدّ العقل فيها، لكان العقل رُدّاً إلى الحقيقي حتى يشاهد فيه عبارته الحسيّة، لكن سرعان ما كان الوعي ليأخذها بالجواهر على أنّها مفهوم. إنّ العقل كما يهلّ في - الحال كإيقان الوعي من كونه كلّ واقع، إنّما يأخذ واقعه على معنى الحالّيّة التي للكينونة، وكذلك يأخذ وحدة الأنا والماهية الموضوعية على معنى الوحدة التي في - الحال، التي ما زال العقل فيها لم يفصل ثمّ يجمع من جديد لحظتي الكينونة والأنا، أو على معنى وحدة ما زال العقل لم يعرفها. لذلك فالعقل من جهة ما هو وعيٌ معاينٌ إنّما يقصد الأشياء، وهو يحسب أنه يعتبرها على الحقيقة كأشياء

محسوسة ومتضادة مع الأنا؛ إلا أن فعله الحاقّ يناقض حسابانه ذلك؛ لأنه يعرف الأشياء، ويحوّل محسوسيّتها إلى مفاهيم، أي على التدقيق يحوّلها إلى كينونة تكون في الحين ذاته أنا، عندئذٍ يحوّل التفكير إلى تفكير كائن، أو الكينونة إلى كينونة مُفَتَكَّرَةٍ، فيثبت في واقع الأمر أن الأشياء لا حقيقة لها إلا من جهة ما هي مفاهيم. بالنسبة إلى هذا الوعي المعايين لا يحصل في ذلك إلا ما تكونه الأشياء، أما بالنسبة إلينا فيحصل ما يكونه هو نفسه؛ لكنّ حاصل الحركة التي لهذا الوعي سيكون صيرورته لذاته ما يكونه في ذاته.

ينبغي أن نتفحص الفعل الذي للعقل المعايين في اللحظات التي لحركته، ونرى كيف يتناول<sup>(5)</sup> الطبيعة والروح، ثم في الختام الصلة التي بينهما ككينونة محسوسة، وكيف يبحث عن نفسه كحقيق كائن.

## [16] 1. معاينة الطبيعة

[I. معاينة أشياء الطبيعة. 1. الوصف] - لما يُشهر الوعي العري من التفكير بأنّ المعاينة والتجريب مصدر الحقيقة، فإنّ عبارة هذه الحقيقة قد تُسمع على معنى كأنّ الأمر لا يتعلّق فيها إلا بالذوق والشمّ واللمس والسمع والبصر؛ وينسى ذلك الوعي في اندفاعه - الذي يحثّ فيه على الذوق والشمّ وما إليه - أن يقول إنّه قد عيّن فعلاً لنفسه وعلى نحو جوهريّ أيضاً الموضوع الذي لهذا الإحساس، وإنّ هذا التعيين إنّما يكون عنده على الأقلّ ذا صلاحية مثل ذلك الإحساس. وسرعان ما سيترف هذا الوعي بأنّ المهمّ عنده ليس فقط أن يدرك حسياً، ومثاله أن يجعل من

(5) Aufnehmen، تناول على معنى التعاطي والأخذ بالشيء.

إدراك أن هذه المدية تقع جانب منشقة التبغ هذه معاينة ذات صلاحية؛ فالمدرَك ينبغي على الأقل أن تكون له دلالة كَلِّي، لا دلالة هذا المحسوس المشار إليه.

هذا الكَلِّي إنما هو أولاً الباقي على مساواته لنفسه؛ وحركته إنما هي الرَّجْعُ (Das Wiederkehren) المنمط لعين الفعل. ولا بدّ للوعي من حيث لا يجد في الموضوع إلا الكَلِّيّة أو أَللّه المجرّد<sup>(6)</sup>، أن يحمل على عاتقه الحركة الخاصّة التي لعين الموضوع؛ ومن جهة أنه لم يصرْ بعدُ ذَهْن عين الموضوع، لا بدّ له على الأقل أن يكون ذاكرته التي تعبر على نحو كَلِّي عمّا لا يكون ماثلاً في الحقيقِ إلا على نحو فرديّ. هذا الانفصال السطحيّ عن الفرديّة، كما صورة الكَلِّيّة التي تكون سطحيّة أيضاً، حيث يُلتقط المحسوس وحسب، من دون أن يكون صار في ذاته كَلِّيّاً، أي وصف الأشياء، ما زالت الحركة لا تكون له في الموضوع؛ بل الحركة إنما تكون في الأكثر في الوصف. لذلك يكون الموضوع قد فقد - ما إن يوصف - الأهميّة؛ فما إن يوصف موضوع لا بدّ أن يُلتقط ويُتعبّ دوماً موضوعاً آخر، حتى لا يفوت الوصف. وعندما يعسر اكتشاف أشياء كاملة جديدة، يجب الرجوع للتي وجدت بالفعل، فتجزأ قُدماً، وتوضع مفككة حتى تُتعبّ وجوه جديدة للشئيّة. وهذه الغريزة التي لا تفر ولا تسكن لا يمكن أن تُعوّزها الأغراض، واكتشاف جنس جديد لافت للنظر، أو حتى كوكب جديد تُحمل عليه صفة الكَلِّي وإن لم يكُ إلا فرداً، فذلك أمر لا يكون إلا من نصيب سعيدي الحظ. ولكن حدود ما يكون جنساً ونوعاً لافتاً للنظر وجديراً بالمعاينة<sup>(7)</sup>،

(6) Das Mein، والكَلِّيّة (Die Allgemeinheit) إنما تطوي على الليي.

(7) في فعل Auszeichnen، ثمة دلالة الذي تكون له أمارات لافتة للنظر، وهو المعنى الذي أشار إليه هيغل أعلاه، حين تحدّث عن اكتشاف جنس جديد جدير بالمعاينة ولافٍ للنظر (ausgezeichnete Gattung).

ومثاله الفيلُ وشجر البَلوط والذهب، إنّما يمرّ بدرجات كثيرة في سلّم الجزئية إلى ما لانهاية له الذي للشواش الحيواني والنباتي وأنواع سلاسل الجبال أو المعادن أو الأراضي وما إليه، وهي التي لا يتسنى عرضها أولاً إلا من خلال الصناعات والتقييد العنيف. في هذه المملكة التي للكليّ اللامتعيّن، حيث يقارب التجزؤ التفرّد من جديد، فينزل إليه في هذا الموضوع وذاك، إنّما يوجد مدخراً لا يُستغرق للمعاينة والوصف. لكن هاهنا حيث يفتح للمعاينة مجال لا يحيط به البصر، وعلى تخوم الكليّ، من الممكن أن تكون المعاينة وجدت في الأكثر الحدود التي للطبيعة كما لفعلها وحسب، بدل أن تكون وجدت مملكة لا تُقدّر؛ فلم يعد بإمكان المعاينة أن تعرف ما إذا لم يك الظاهر في ذاته مصادفةً، ولا ما إذا كان الذي يشتمل على أمارة شكل مختلط ومنقوص وضعيف فيكاد لا يربو على اللاتعيّنة الأوّلائيّة، إنّما يلتمس فقط أن يوجد موصوفاً.

[2. العلامات الخاصّة] - إذا بدا هذا البحث وهذا الوصف على أنّهما لا يتعلّقان إلا بالأشياء، فإنّا نرى أنّهما لا يقفان بالفعل في المجرى الذي لهما عند الإدراك الحسيّ، بل إنّ ما تُعرف به الأشياء يكون فيهما أهمّ من كلّ الامتداد الباقي للخصائص الحسيّة التي لا يمكن الشيء أن يفصل عنها، في حين أنّ الوعي لا يعتدّ بها. بهذه المباينة بين الجوهريّ واللاجوهريّ يرتفع المفهوم خارج الشّات الحسيّ، والمعرفة إنّما توضح أنّها لا تتعلّق بالأشياء بقدر ما تتعلّق بالجواهر بنفسها. والوعي إنّما يتردّد إزاء هذه الجوهريّة المزدوجة فيتخيّر في ما إذا كان الجوهريّ والضروريّ بالنسبة إلى المعرفة يكونه أيضاً في الأشياء. فمن ناحية لا يجب أن تخدم الأمارات<sup>(8)</sup> إلا المعرفة التي تباين بواسطتها بين الأشياء؛ لكن من ناحية أخرى لا يُعرف الجوهريّ

(8) Die Merkmale، على معنى الأمارات المميّزة.

الذي للأشياء، بل يُعرَف ما به تنفصلُ الأشياءُ نفسُها عن الاتصال الكليّ الذي للكينونةِ بعامّة، فتفارق به المغايرَ وتكون لذاتها. ولا 8] ينبغي أن تكون للأمارات صلةً جوهريةً بالمعرفة وحسب، بل ينبغي أن تشمَلَ التعيّنات الجوهريةَ للأشياء، وأن يوافقَ النسق الاصطناعيّ النسقَ الذي للطبيعة نفسها، فلا يعبرَ إلا عنه. وهذا أمرٌ واجبٌ انطلاقاً من مفهوم العقل، والغريزة التي لنفس العقل - ما دام العقل لا يسلك إلا هكذا في هذه المعاينة - قد بلغت أيضاً في أنساقها هذه الوحدةَ حيث تنطوي موضوعاتها - من جهة هيئتها - على أسيّة ما أو كون - لذاتها، فلا تكون مجرد مصادفةٍ تعرض في هذا الحين أو هذا الهنا. والأمارات المميّزة (Die Unterscheidungsmerkmale) للحيوانات على سبيل المثال تؤخذ من المخالب والأسنان؛ لأنّه ليست المعرفة وحدّها التي تميّز في واقع الأمر حيواناً من حيوان بواسطة ذلك، بل الحيوان نفسه هو الذي ينفردُ بذلك؛ فهو بهذه الأسلحة إنّما يدوم لنفسه ومفرداً عن الكليّ. وأمّا النباتُ فلا يبلغ - على العكس من ذلك - الكونَ - لذاته، بل يلامسُ حرفَ الفردية وحسب، ولهذه العلة يتمّ إحصاء النبات وتصنيفه عند ذلك الحرف حيث يُبرز ظاهر الانقسام إلى جنسين. أمّا ما يقبع تحت ذلك الظاهر فلا يمكن تمييزه من غيره، بل يفوتُ ويُفقدُ من حيث يدخل في التقابل؛ فالكون الساكن والكون بالإضافة يتصارعان، والشيء يكون في هذا غير ما يكونه في ذاك، في حين أنّ قوامَ الفرد يتمثل على العكس في كونه يدومُ في علاقته بشيءٍ مغاير. وأمّا الذي لا يقدر على هذا، ويصير كيميائياً مغايراً لما يكونه إمبيريقياً، فإنّما يضلّلُ المعرفة ويقحمها في عين الصراع، فتتحرّر في ما إذا ينبغي لها أن تقف على هذا الجانب أم على ذاك، ما دام الشيء نفسه لا يدومُ قطّ مساوياً لنفسه، فيقع فيه الجانبان الواحد منهما خارج الآخر.

في مثل هذه الأنساق للدائم مساوياً لنفسه الكليّ تكون لهذا



الأخير إذاً دلالةً كونه الدائم المساواة لنفسه الذي للمعرفة كما الذي للأشياء نفسها؛ إلا أن انتشار هذه التعيينات التي تدوم مساوية لنفسها - والتي تصف كلَّ تعينية منها وصفاً ساكناً السلسلة الكاملة لتطورها، فتحتلَّ الموضوع الذي تدوم فيه - إنما يمرّ بالجواهر أيضاً في ضده، أي في اختلاط هذه التعيينات؛ لأنَّ [169] العلامة المميزة، أي التعينية الكلية، إنما هي وحدة المتضاد، وحدة ما هو متعين وما هو في ذاته كليّ؛ وعليه فلا بد أن تتفكك هذه الوحدة في التقابل. وإذا غلبت التعينية الآن في جانب الكليّ حيث تكون ماهيتها، فإنَّ هذا من جانبه يستفيد بالعكس رياسةً على التعينية، فيدفعها إلى حدّها ويخلط هاهنا بين فروقها وأيسياتها. والمعانية التي تُبقي على هذه الفروق والأيسيات منضدةً كلَّ على حدة، وتحسب أنها حصلت في ذلك شيئاً راسخاً، إنما ترى مبدأً يغالب مبدأً آخر، وتشابكاتٍ واختلاطات وهي تتكوّن، والذي كانت تحسبه في الأوّل مفرداً بإطلاق إنما تراه يأتلف، وترى الذي عدته مجتمعاً ينفصل؛ على نحو أن هذا التمسك بالكون الساكن والذي تدوم مساواته لنفسه، لا يسعه هاهنا بالتدقيق - أي في تعييناته الأكثر كليّةً، ومثاله ما يسم الحيوان والنبات من أمارات جوهرية مميزة - إلا أن يتشغشَب بهذه المتغيرات التي ترفع عنه كلَّ تعينية، وتبكتُ الكلية التي كان ترقى إليها، وتختفضُ به إلى المعانية والوصف العريين من الفكر.

3. إكتشاف القوانين - أ. مفهوم القانون وتجربته] - وعليه فهذه المعانية المتقيّدة بالبسيط أو التي تقيد الشتات الحسيّ بمعية الكليّ إنما تجد في موضوعها ارتباطاً المبدل الذي لها، لأنه يجب على المتعين أن يضلَّ من حيث طبيعته في ضده؛ ولذلك وجب على العقل أن يتقدّم في الأكثر انطلاقاً من التعينية المتوانية<sup>(9)</sup> التي

(9) Träg، نعت يطلق على الشخص الكسول.

كانت لتنطوي على ظاهر الدوام، حتى يبلغ معاينتها كما تكون على الحقيقة، وهو وصلها بضدّها؛ فما يُسمى العلامات الجوهرية إنما هي تعيّنات ساكنة لا تعرض - كما تُفصح عن نفسها وتؤخذ على أنّها بسيطة - القوام الذي لطبيعتها، أي كونها لحظات زائلة للحركة التي تستردّ نفسها في داخلها. وما دام العقل من جهة ما هو غريزة<sup>(10)</sup> ينتهي الآن إلى تعقّب التعيّنات وفقاً لطبيعته - وهي ألا يكون بالجوهر لذاته، بل أن يمرّ في المتضادّ -، فهو إنّما يتعقّب القانون والمفهوم الذي لعين القانون؛ وهو يتعقّبهما بلا ريب من جهة ما هما حقيقّ كائن، لكنّ هذا الحقيقّ سيزول بالنسبة إليه، وستصير جوانب القانون لحظاتٍ خالصة، أو تجريداتٍ، على نحو<sup>(11)</sup> أنّ القانون ينجمُ ضمن طبيعة المفهوم الذي كان ألغى في ذاته الدوام السيّانيّ الذي للحقيق الحسيّ.

إنّ حقيقة القانون تكمن في نظر الوعي المعايير في التجربة من جهة ما هي الوجه الذي تعرض على نحوه كينونة حسية بالنسبة إليه؛ لا كينونة في ذاتها ولذاتها. ولكن لما كان القانون لا يملك حقيقته في المفهوم، فهو إنّما يكون شيئاً عرضياً، وليس ضرورة، أو ليس هو بالفعل قانوناً؛ لكن كونه بالجوهر كمفهوم لا يناقض فقط كونه ماثلاً للمعاينة، بل له بالأحرى لهذه العلة كيان ضروريّ، ويكون للمعاينة. والكلّي على معنى الكلّيّة التي للعقل، هو أيضاً كلّي على معنى أنّه ينطوي على ذلك المفهوم، من حيث إنّ هذا الكلّي يتبيّن بالنسبة إلى الوعي بما هو الحاضر والحاق، أو إنّ المفهوم يتبيّن من وجه الشئيّة والكينونة الحسيّة، - لكن من دون أن يخسر لذلك طبيعته فيكون سقط في الدوام المتواني أو التعاقب السيّانيّ. وما يكون صحيحاً على نحو كلّي إنّما يصلح

(10) Der Vernunftinstinkt، أي العقل من حيث يسلك كغريزة = العقل

الغريزيّ.

بالفعل صلاحيةً كليةً؛ وما ينبغي أن يكون إنما يكون بالفعل أيضاً؛ فالذي ينبغي أن يكون، من دون أن يكون، لا حقيقة له. وغريزة العقل من جانبها إنما تظل متمسكة بذلك تمسكاً صائباً، فلا تنقاد لتضليل كوائن الفكر التي يجب أن تكون وحسب، وينبغي أن تكون لها حقيقة من جهة ما هي وجوبٌ، حتى وإن لم يصادفها المرء في أي تجربة، - وأقل من ذلك انقيادها لتضليل الفرضيات كما اللامرئيات التي للوجوب الذي يدوم الدهر؛ لأنّ العقل هو على التدقيق الإيقان من أنّ له واقعاً، فما لا يكون عند الوعي ماهية قائمة برأسها، أي ما لا يظهر، إنما يكون بالنسبة إليه محض ليس.

أما كون حقيقة القانون بالجوهر واقعاً، فذلك بالنسبة إلى هذا الوعي الذي يظل عند المعاينة إنما يستحيل بلا ريب مرة أخرى تقابلاً مع المفهوم والكلّي في ذاته، أو شيئاً على نحو أنّ قانونه لا يكون بالنسبة إلى ذلك الوعي ماهية من العقل؛ فالوعي يظنّ أنّه إنما يمسك في ذلك بشيء ما غريب؛ إلا أنّ الوعي ينقض ظنه ذاك من خلال الفعل الذي لا يأخذ فيه هو نفسه الكلية التي له على معنى وجوب أنّ تكون جميع الأشياء الحسّية الفردية قد أبرزت له ظهور القانون حتى يتمكن من إثبات الحقيقة التي [171] لعين القانون. وكون الأحجار التي تلتقط من الأرض ويلقى بها تسقط، ذلك أمرٌ لا يطالب الوعي في إثباته بالقيام بهذه المحاولة مع كلّ الأحجار؛ ولعله يقول فعلاً إنه كان يكون من الواجب القيام بذلك - على الأقلّ - على عدد كبير منها، فيتسنّى بذلك الاستنتاج المتعلّق بالباقية على سبيل الإلاحه<sup>(11)</sup> الشديدة بالحق، أو وفق التناسب وبكثير من الصواب. غير أنّ التناسب لا يوقر

(11) Mit großer Wahrscheinlichkeit، على معنى الحقّ «اللائح» أو الذي

يُستلخ فيه أنّه الحقّ.

صواباً تاماً وحسب، بل كثيراً ما ينتقض بنفسه من جرّاء طبيعته، حتى إنّه إذا قُصِدَ الاستنتاج بمعية التناسب نفسه، عطل التناسب بالأحرى كلّما استنتاج. والاستلاحَةُ التي كانت لثُرْدُ إليها نتيجة التناسب إنّما تفقدُ بالنظر إلى الحقيقة كلّ اختلاف عن استلاحَةِ أزيد أو أنقص؛ فمهما عظمَتْ هذه، لن تكون شيئاً مقارنةً بالحقيقة. ولكن الغريزة التي للعقل تأخذ بالفعل بمثل هذه القوانين على أنّها الحقيقة، وهي لا تنساق أولاً إلى هذه المباينة إلاّ بالإضافة إلى الضرورة التي لهذه القوانين، وهي ضرورةٌ تجهلها، فتنزُلُ بالحقيقة التي لرأس الأمر إلى درك الاستلاحَةِ، حتى تسمَ الوجهَ المخرومَ الذي تكون الحقيقة فيه ماثلةً للوعي الذي لم يبلغْ بعدُ النظرَ النافذَ في (Die Einsicht in) المفهوم المحض؛ فالكلية لا تمثّل إلاّ ككلية بسيطةٍ وبلا توسيطٍ؛ لكن بسبب هذه الكلية ينطوي القانون - في الوقت نفسه - على حقيقة بالنسبة إلى الوعي؛ فكون الحجر يسقط، ذلك أمر يكون صادقاً بالنسبة إليه، لأنّ الحجر في نظره ثقيلٌ، أي إنّ الحجر تكون له في الثقل في ذاته ولذاته الصلة الجوهريّة بالأرض التي تعرب عن نفسها كسقوط. والوعي إنّما يكون له في التجربة إذاً الكون الذي للقانون، لكن يكون له كذلك عينُ القانون كمفهوم، فلا يكون القانون صادقاً بالنسبة إليه إلاّ بفضل هاذيك الطرفين مجتمعين؛ فالقانون يصلح لهذه العلة كقانون، لأنّه يتبيّن في الظاهرة ويكون في الحين نفسه في ذاته مفهوماً.

[ب. التجريب] - لما كان القانون في الوقت نفسه في ذاته مفهوماً، فإنّ العقل الغريزيّ الذي لهذا الوعي سيقوم بنفسه - من دون أن يدري أنّه يريد ذلك - إلى تخليص القانون ولحظاته حتى يجعل منها مفاهيم. إنّه يجرب القانون. والقانون كما يظهر أولاً إنّما يعرض على نحوٍ غير خالصٍ ومتلظخاً بالوجود الحسيّ الفرديّ ما دام المفهوم الذي يكون طبيعته منغمساً في المادّة الإمبريقية.

والعقل الغريزيّ إنّما يتعقّب في تجرّيباته تحصيلَ ما قد ينتج عن هذه الأحوال أو تلك. والقانون لا يظهر في ذلك كلّه أوّلاً إلّا وقد تزيّد انغماساً في الكينونة الحسيّة؛ غير أنّ هذه الكينونة هي التي تفوت في ذلك. هذا البحث تكون له الدلالة الباطنة التالية: إدراك (Finden) شروط خالصة للقانون؛ وهذا لا يعني شيئاً آخر - حتّى وإنّ حسب الوعي الذي يعبر على ذلك النحو أنّه يقول شيئاً مغايراً - سوى الارتفاع تماماً بالقانون إلى شكل المفهوم وإلغاء كلّ ارتباط للحظاته بكون ما متعيّن. والكهرباء السالبة - على سبيل المثال - التي تعرض أوّلاً ومن وجه ما ككهرباء راتينجية<sup>(12)</sup>، مثلما تعرض الموجبة ككهرباء بلّورية، إنّما تفقد تماماً من خلال التجريب هذه الدلالة، فتصير على نحو خالص إلى كهرباء موجبة وسالبة لم تعد تنتمي إلى أشياء من جنس معيّن؛ فيرتفع إمكان القول بوجود أجسام تكون مكهربة إيجابياً وأخرى سلبياً. كذا تكوّن أيضاً علاقة الحامض بالقاعدة وحركتهما المتبادلة قانوناً حيث تظهر هذه التقابلات كأنها أجسام. غير أنّ هذه الأشياء المعزولة لا حقيق لها؛ فالقوة العنيفة التي تنتزع تلك الأشياء بعضها من بعض لا يمكنها أن تمنعها من أن تدخل من جديد في سيروية، لأنّها لا تكون إلّا على هذه الصلة. فتلك الأشياء لا يمكنها أن تظلّ لذاتها كما هي الحال في السنّ أو المخلب، وتوصّف على هذا النحو. أمّا كون ماهيتها أن تمرّ في - الحال إلى نتاج متعادل<sup>(13)</sup>، فذلك إنّما يجعل من كينونتها

(12) Harzelektrizität، كان يُظنّ أنّ الكهرباء السالبة تكمن في الراتينج (وهي مادة صمغية تستخرج من الصنوبر أساساً) في حين أنّ الموجبة تكمن في البلّور، فكان يتمّ التمييز بين صنفَي الكهرباء بحسب التمييز بين الأجرام؛ لكن هيجل يلوّح هاهنا بمجاوزة بنيامين فرانكلين لذلك التصرّ القديم، من حيث يعتبر أنّ كلّ جرم يمكنه أن يكون من وجهٍ كليّ مكهرباً بصنفيّ الكهرباء؛ قارن الهامش رقم (7) ص 241 من هذا الكتاب.

(13) ومثاله التعادل الكيماوي: لا حامض ولا قاعديّ.

منسوخة في ذاتها أو كينونة كَلِيَّة، فالحامض والقاعدة لا حقيقة لهما إلا من جهة ما هما كَلِيَّان. وعليه فكما أن البُور والراتنج يتكهربان على نحو موجب وسالب من وجهٍ سواء، لا يرتبط الحامض والقاعدة بهذا الحقيق أو ذاك كأتھما خاصية، بل كل شيء يكون حامضاً أو قاعدياً على نحو نسبيٍّ وحسب؛ وما يبدو أنه قاعدة أو حامضٌ محتومٌ إنما يستفيد في ما يُسمى تركيبات فيزيقية<sup>(14)</sup> الدلالة المتضادة مع شيء مغاير. - إن نتيجة التجريب تنسخ على هذا النحو اللحظات أو الديناميات<sup>(15)</sup> بما هي خصائص الأشياء المتعينة، وتحرر المحمولات من حواملها. وهذه المحمولات لن توجد - كما هي على الحقيقة - إلا ككَلِيَّة؛ ولذلك فهي تستفيد بفضل هذا التقوم الذاتي اسم المواد، التي ما هي بأجسام ولا بخصائص، فيحترس المرء من تسمية الأوكسيجين وما إليه، والكهرباء الموجبة والسالبة وما شاكلها، والحرارة وما شابهها، جسماً.

[ج. المواد] - فالمادة - على العكس من ذلك - ليست شيئاً كائناً، بل هي الكينونة من جهة ما هي كَلِيَّة، أو الكينونة من وجه المفهوم. والعقل الذي ما زال غريزةً إنما يأتي هذا التمييز الصائب من دون الوعي بأنه من حيث يجرب القانون على جميع الكون الحسي، إنما يلغي الوجود الحسي للقانون وحسب، وأنه إذ يحيط بلحظات القانون من جهة ما هي مواد، إنما تكون أيسيتها قد

(14) Synsomatien، الأجسام المؤتلفة من كيفية كيميائية وفيزيائية، وهي عبارة استعارها هيغل من ياكوب يوزيف فنتزل، انظر ص 33 وما بعدها: «النوع الخامس للحامضيات التي ترتبط بالحامضيات والقاعديات التي ترتبط بالقاعديات» في: Joseph Jacob Winterl, *Darstellung der vier Bestandtheile der anorganischen Natur* (Jena: [n. pb.], 1804).

وأما مفهوم المؤتلفات من كيفية كيميائية وكيفية فيزيقية فيستخدمه فنتزل في ما يتعلق بالتي تجمع تلك بهذه في انحلال متضاد: «وتلك المختلفة تماماً (...) إنما أميزها في ما سيتلو بأسم خاص هو Synsomazie».

(15) Begeistungen، على معنى المنقسات المحركات...

صارت بالنسبة إلى القانون كلياً، فيُفصَح عنها في هذه العبارة كأنها محسوسٌ غير حسِّي، وكيونَةٌ عريّة من الجسميّة، لكنّها مع ذلك موضوعيّة.

ينبغي أن نرى الآن أيّ منقلبٍ تأخذه هذه النتيجة بالنسبة إلى غريزة العقل، وأيّ شكلٍ جديدٍ لمعاينتها يهلّ بذلك. إنّنا نرى القانون الخالص يمثّل حقيقةً لذلك الوعي المجرب، وهو القانون الذي يتحرّر من الكون الحسِّي، ونرى هذا القانون مفهوماً يمثّل في الكون الحسِّي، لكنّه يتحرّك فيه على نحو مستقلّ وفي حلٍّ منه وإن كان منغمساً فيه، فيكون مفهوماً بسيطاً. وهذا الذي هو على الحقيقة النتائجُ والماهيةُ إنّما يهلّ الآن بالنسبة إلى الوعي نفسه، لكنّه يهلّ كموضوع، ولما لم يكن الموضوع بالنسبة إلى هذا الوعي نتاجاً وكان من دون صلة بالحركة الفاتية، فهو إنّما يهلّ بلا ريب كنوعٍ جزئيٍّ من الموضوع، وعلاقة الوعي به إنّما تكون جنساً مغايراً من المعاينة.

[II. معاينة العضويّ - 1. تعيينه العام] - مثل هذا الموضوع الذي ينطوي على السيرورة على البساطة التي للمفهوم إنّما هو العضويّ. والعضويّ إنّما هو هذه السيّلانية المطلقة حيث تنفّت التعينيّة التي كانت لا تجعله يكون إلاّ لمغاير. وإذا كان الشيء اللاعضويّ يشتمل على التعينيّة ماهيةً له، فلا يكون تمام لحظات المفهوم إلاّ مجتمعاً بأشياء مغايرة، ولذلك فهو يفوت ويضيع إذ يلجّ الحركة، فإنّ جميع التعينيّات التي تنفتح من خلالها الماهية العضوية على المغاير إنّما تكون عندها - على العكس - مرتبطة تحت الوحدة العضوية البسيطة، فلا ماهية منها تهلّ كأنها جوهرية قد تتصل بالأخرى على نحو حرّ؛ ولذلك فالعضويّ إنّما يحفظ نفسه في هذه الصلة نفسها التي له.

[أ. العضويّ والعناصر] - إنّ جانبي القانون اللذين يهّم

[174]

العقلُ الغريزيُّ بمعابنتهما هاهنا هما أولاً - كما ينتج عن هذه التعيّنية - الطبيعة العضويّة والطبيعة اللاعضوية في علاقتهما الواحدة بالأخرى. وهذه اللاعضوية إنّما تكون - على التدقيق - بالنسبة إلى العضوية الحرّية المتضادّة مع مفهومها البسيط، والتي للتعينيّات السائبة (Losgebundenen) حيث تنحلّ في الوقت ذاته الطبيعة الفردية، فتفارق في الحين ذاته الاتصال الذي لتلك التعينيّات وتكون لذاتها؛ فالهواء والماء والأرض والأقاليم والمناخات هي من قبيل هذه العناصر الكلّية التي تكوّن الماهية البسيطة التي للفرديات، وحيث تكون هذه الفرديات في الوقت ذاته منعكسة في ذاتها؛ فلا الفردية ولا الأوّلانيّ يكونان في ذاتهما ولذاتهما على الإطلاق، بل يسلكان - في الحرّية القائمة بذاتها حيث يهلّان للمعانية متواجهين - في الوقت ذاته كصلاّت جوهرية، لكن من وجه أنّ القيمومة الذاتية والسيانّة اللتين لكلّ منهما حيال الآخر هما اللتان ترأسان، فلا تفوتان في التجريد إلّا جزئياً. والقانون يمثّل إذاً هاهنا كعلاقة عنصرٍ بتكوّن العضويّ الذي تواجهه تارةً الكينونة الأوّلانية وتغلّبه، ويعرضها طوراً في انعكاسه العضويّ. غير أنّ مثل هذه القوانين القائلة بأنّ الحيوانات التي تنتمي إلى الجوّ تكون على البنية التي للطيور، والحيوانات التي تنتمي إلى الماء تكون على البنية التي للأسماك، والحيوانات الشمالية يكون لها ريش غزيرٌ وما شاكل ذلك، إنّما تُظهر للتوّ انحساراً لا يوافق التنوّع والتكثّر اللذين للعضويّ. وزائداً إلى أنّ الحرّية العضوية تعرف كيف تنتزع من جديد صورها من هذه التعينيّات وتقدّم بالضرورة في كلّ موضع استثناءات تشدّد عن مثل تلك القوانين أو القواعد أو ما شئت فسّمها، فإنّ ذلك يظلّ في تلك الحيوانات بعينها التي تطولها تلك القوانين مجردّ تعينٍ سطحيّ حدّ أنّ عبارة الضرورة التي له لا يمكن أن تكون ولا أن تؤدّي إلى أبعد من التأثير الكبير؛ فلا ندري في ذلك ما يكون من قبيل هذا التأثير



وما لا يكونه<sup>(16)</sup>. ولذلك فلا ينبغي أن يسمّى بالفعل قوانين مثل هذا الجنس من الروابط بين العضوي والأولاني؛ فمن ناحية مثل هذه العلاقة بحسب مضمونها لا تستغرق البتة الامتداد الذي للعضوي، أمّا من ناحية أخرى فإنّ لحظات العلاقة نفسها تظلّ سيّانية بعضها حيال بعض، ولا تعرب عن أيّما ضرورة. ومفهوم القاعدة يكمن في مفهوم الحامض، مثلما يكمن مفهوم الكهرباء السالبة في مفهوم الموجبة؛ لكن مهما صادف المرء أن يجمع بين الريش الغزير والشمال، أو بين بُنية الأسماك والماء، أو بُنية الطيور والهواء، فمفهوم الريش الغزير لن يكمن في مفهوم الشمال، ولا مفهوم بُنية الأسماك في مفهوم البحر، ولا مفهوم بنية الطيور في مفهوم الهواء. وبسبب هذه الحرّية المتبادلة من الجانبين توجد أيضاً حيوانات برّية تكون لها الخصائص الجوهرية التي لطير أو سمكٍ أو ما إليه. ولما كانت الضرورة لا تُفهم على أنّها الضرورة الجوانية التي للماهية، فإنّها تكفّ أيضاً عن امتلاكها كياناً محسوساً، فلم يعد ممكناً أن تُعاین في الحقيق، بل تكون خرجت عليه. وما دامت هذه الضرورة لم تعدّ توجد عند الماهية الواقعة ذاتها، فإنّها تمثّل ما يُسمّى علاقةً غائيةً<sup>(17)</sup>، أي علاقة تكون برّانية للأطراف المتّصلة، وتكون بالتالي في الأكثر المقابل للقانون. إنّها الفكرة المتحرّرة تماماً من الطبيعة الضرورية، فكرة تُهمل تلك الطبيعة وتتحرك من فوقها لذاتها.

(16) يرجع هيغل هاهنا إلى كتاب: Gottfried Reinhold Treviranus, *Biologie oder Philosophie der lebenden Natur für Naturforscher und Aerzte* (Göttingen: [n. pb.], 1803), pp. 160, 168, and 200.

أمّا عبارة «التأثير الكبير» فيستخدمها الكاتب ص 171، وإن كان رسخ هذه المقالة منذ ص 40، و141.

(17) قارن الفقرة 63: «في المشاكلة الغائية النسبية التي للطبيعة بحسب اختلافها عن المشاكلة الغائية الباطنة» في: Immanuel Kant, *Kritik der Urteilskraft*, Hrsg. von Wilhelm Weischedel, Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 57 (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974).

[ب. مفهوم الغاية كما تدركه الغريزة العقلية] - إذا كانت صلة العضوي بالطبيعة الأولانية التي لمسناها سابقاً لا تعبر عن الماهية التي لعين العضوي، فإنّ هذه الماهية متضمّنة بالعكس في المفهوم الغائي<sup>(18)</sup>. ولا ريب أنّ هذا المفهوم الغائي لا يكون في نظر هذا الوعي المعايين الماهية الخاصة التي للعضوي، بل يقع بالنسبة إليه خارجها، فلا يكون إذاً إلاّ هذه الصلة البرانية والغائية؛ إلاّ أنّ العضوي كما كان تعيّن في ما فات إنّما هو بالفعل الغاية الواقعة نفسها؛ لأنّه لما كان يحفظ نفسه في الاتصال بالمغاير، فهو إنّما يكون على التدقيق عين هذه الماهية الطبيعية حيث تعكس الطبيعة في المفهوم، وحيث تكون اللحظات - التي يقع بعضها خارج بعض في الضرورة بما هي لحظات العلة والأثر والفاعل والمنفعل - مجتمعة في واحد؛ على نحو أنّ شيئاً يمثل هاهنا لا بما هو نتاج للضرورة وحسب؛ بل الأخير أو الناتج - بما أنّه قد آب إلى نفسه - إنّما هو أيضاً الأوّل الذي يبدأ الحركة، فيكون لنفسه الغاية التي يحققها. والعضوي لا ينتج شيئاً، بل يحفظ نفسه وحسب، أو ما يكون منتوجاً إنّما يكون كذلك ماثلاً<sup>ا)</sup> من حيث هو يُنتج.

ينبغي تعقب الفحص عن هذا التعيّن كما يكون في ذاته وبالنسبة إلى العقل الغريزيّ حتّى نرى كيف يجد هذا العقل الغريزيّ نفسه في ذلك مع أنّه لا يعترف نفسه في الموجدة التي له. وعليه فالمفهوم الغائي الذي يترقى إليه العقل المعايين، كما يكون المفهوم الواعي الذي لهذا العقل، يكون كذلك بالقدر نفسه ماثلاً من حيث هو حاق؛ فلا يكون مجرد صلة برانية لعين هذا الحاق، بل الماهية التي له. وهذا الحاق الذي هو نفسه غاية إنّما

(18) Zweckbegriff، المفهوم الغائي، أي المفهوم من حيث يتحدّد بغائيّة (إذا

يقابل أجناساً أخرى من المفاهيم).

يَتَّصِلُ بِمَغَايِرٍ وَفَقَّ الْغَايَةَ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ صَلَّتَهُ صَلَّةٌ عَرْضِيَّةٌ بِحَسَبِ مَا يَكُونُ الطَّرْفَانِ فِي - الْحَالِ؛ فَالطَّرْفَانِ قَائِمَانِ لِذَاتَيْهِمَا وَسَيَانِيَانِ كِلَاهُمَا حِيَالِ الْآخَرِ فِي - الْحَالِ. وَلَكِنَّ الْمَاهِيَّةَ الَّتِي لَصَلَّتْهُمَا هِيَ غَيْرُ مَا يَظْهَرَانِ عَلَيْهِ فِي كَوْنِهِمَا كَذَلِكَ، وَفَعْلُهُمَا لَهُ مَعْنَى مَغَايِرٍ لِمَا يَكُونُ عَلَيْهِ فِي - الْحَالِ بِالنِّسْبَةِ لِلدَّرَكِ الْحَسِّيِّ؛ فَالضَّرُورَةُ مَخْفِيَّةٌ فِي الَّذِي يَحْدُثُ، وَلَا تَبْرُزُ إِلَّا عِنْدَ النِّهَايَةِ، لَكِنْ عَلَى نَحْوِ أَنَّ هَذِهِ النِّهَايَةَ تُظْهَرُ عَلَى التَّدْقِيقِ أَنَّ تِلْكَ الضَّرُورَةُ كَانَتْ الْأَوَّلَ أَيْضاً. وَلَكِنْ النِّهَايَةَ تُظْهَرُ هَذَا التَّقْدِيمِ الَّذِي لَهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْصُلُ مِنْ خِلَالِ التَّغْيِيرِ الَّذِي يَأْتِيهِ الْفِعْلُ إِلَّا الَّذِي كَانَ بَعْدُ. أَوْ: إِذَا ابْتَدَأْنَا بِالْأَوَّلِ، فَإِنَّ هَذَا الْأَوَّلَ فِي نِهَائِهِ أَوْ فِي النَتِيجَةِ الَّتِي لِفَعْلِهِ إِنَّمَا يُؤَوِّبُ إِلَى نَفْسِهِ، وَبِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَتَّضِحُ كَالَّذِي تَكُونُ لَهُ نَفْسُهُ هُوَ مَنْتَهَاهُ، وَأَنَّهُ إِذَا بِمَا هُوَ أَوَّلٌ قَدْ آبَ إِلَى ذَاتِهِ، أَوْ أَنَّهُ فِي ذَاتِهِ وَلِذَاتِهِ. وَعَلَيْهِ فَمَا يَبْلُغُهُ مِنْ خِلَالِ الْحَرَكَةِ الَّتِي لِفَعْلِهِ إِنَّمَا هُوَ ذَاتُهُ هُوَ؛ أَمَّا كَوْنُهُ لَمْ يَبْلُغْ إِلَّا ذَاتَهُ، فَذَلِكَ هُوَ شَعُورُهُ الذَّاتِيَّ بِذَاتِهِ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَا يَمَثُلُ بِذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ مَا يَكُونُ وَبَيْنَ مَا يَتَعَقَّبُ، لَكِنْ هَذَا ظَاهِرٌ فَرْقٍ وَحَسَبِ، فَهُوَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مَفْهُومٌ.

لَكِنْ كَذَا تَكُونُ أَيْضاً حَالُ الْوَعْيِ - بِالذَّاتِ: أَنَّ يَتَمَيَّزُ مِنْ ذَاتِهِ بِحَسَبِ هَذَا الْوَجْهِ حَيْثُ لَا يَحْصُلُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَيُّ فَرْقٍ. وَلِذَلِكَ فَالْوَعْيِ - بِالذَّاتِ لَا يَجِدُ فِي مَعَايِنَةِ الطَّبِيعَةِ الْعَضُويَّةِ سِوَى هَذِهِ الْمَاهِيَةِ، فَهُوَ يَجِدُ نَفْسَهُ كَمَا هِيَ وَحَيَاةً، لَكِنَّهُ لَا يَقِيمُ اخْتِلَافاً بَيْنَ مَا يَكُونُهُ هُوَ وَبَيْنَ مَا يَجِدُ، لَكِنَّهُ اخْتِلَافٌ لَيْسَ بِاخْتِلَافٍ. وَكَمَا أَنَّ غَرِيزَةَ الْحَيَوَانَ تَبْحَثُ عَنِ الْغِذَاءِ وَتَسْتَهْلِكُهُ، فَلَا تَتَّجُّ بِذَلِكَ غَيْرَ نَفْسِهَا، كَذَلِكَ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ لَا تَجِدُ فِي بَحْثِهَا غَيْرَ الْعَقْلِ نَفْسِهِ. [177] وَالْحَيَوَانَ إِنَّمَا يَنْتَهِي بِالشَّعُورِ الذَّاتِيَّ. أَمَّا الْعَقْلُ الْغَرِيزِيُّ فَيَكُونُ بِالْعَكْسِ فِي الْوَقْتِ ذَاتَهُ وَعَيْاً - بِالذَّاتِ؛ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَجْرَدَ غَرِيزَةٍ، فَإِنَّهُ يَوْضَعُ جَانِباً حِيَالِ الْوَعْيِ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهِ ضِدُّهُ. وَلِذَلِكَ

فإن إشباعه ينفصم شطرين من جرّاء هذا الضدّ؛ صحيح أنه يجد نفسه، لاسيّما الغاية، ويجد هذه الغاية كذلك بما هي شيء. لكن - أولاً- الغاية إنّما تقع له خارج الشيء الذي يعرض كغاية. وثانياً هذه الغاية من جهة ما هي غاية تكون في الوقت ذاته موضوعيّة، ولذلك لا تقع له في حدّ ذاته كوعي، بل تقع في ذهن مغاير.

فإذا أمعنا في الأمر قليلاً، لبان أنّ هذا التعيّن، أعني كون الشيء في حدّ ذاته غاية، إنّما يكمن كذلك في مفهوم الشيء. ولاسيّما أنّ الشيء يحفظ نفسه، أي إنه في الوقت نفسه يحجب بحسب الطبيعة التي له الضرورة، ويعرضها في صورة الصلة العرضيّة؛ لأنّ حرّيته أو كونه - لذاته إنّما يتمثّلان على التدقيق في كونه يسلك حيال الضروريّ الذي له مسلك السيّانيّ؛ إنه يعرض بنفسه إذا كالذي يقع مفهومه خارج كونه. كذلك العقل تكون له ضرورة أن يحدس مفهومه الخاصّ إذ يقع خارجه، وبذلك كشيء، أي كشيء ما يكون العقلُ حياله سيّانيّاً، فيكون ذلك الشيء بدوره سيّانيّاً حيال العقل كما حيال المفهوم الذي له. والعقل كغريزة إنّما يظلّ أيضاً حبساً ضمن هذه الكينونة، أو ضمن السيّانيّة، أمّا الشيء الذي يُعرب عن المفهوم فيظلّ بالنسبة إلى تلك الغريزة مغايراً لهذا المفهوم، والمفهوم مغايراً للشيء. كذا لا يكون الشيء العضويّ في حدّ ذاته غايةً بالنسبة إلى العقل إلّا من جهة أنّ الضرورة - التي تعرض في فعل هذا الشيء مخفية ما دام الفاعل يسلك في ذلك كأنه كائن لذاته سيّانيّ - إنّما تقع خارج العضويّ. - لكن بما أنّ العضويّ بما هو غايةً في حدّ ذاته لا يمكنه أن يسلك على وجه مغاير لذلك، فإنّ كونه غايةً في حدّ ذاته يظهرُ أيضاً، ويكون له حضورٌ حسّيّ، وإنه لعلّ هذا النحو يُعاین. والعضويّ يتضح كالحافظ لنفسه بنفسه والآيب إلى نفسه، بل كالذي آب إلى نفسه. ولكن الوعي المعاین لا يتعرّف في هذه الكينونة على

المفهوم الغائي، أو لا يقف على كَوْن المفهوم الغائي لا يوجد في أي موضوع اتَّفَق عند ذهنٍ ما، بل يوجد هاهنا على التدقيق، وكشيء. وهو يقيم اختلافاً بين المفهوم الغائي وبين الكون - لذاته والمحافظة على الذات، وهو اختلاف ليس بالاختلاف. أمّا أنّه ليس باختلاف، فذلك لا يكون بالنسبة إلى هذا الوعي؛ بل ما يحصل بالنسبة إليه إنّما هو فعلٌ يظَهَر عرضياً وسيّاناً حيال ما يأتي به عينُ هذا الوعي، وأمّا الوحدة التي تقرن مع ذلك كِلَا الطرفين - ذلك الفعل وهذه الغاية - فإنّما تنشّط في نظره.

[ج. النشاط الخاصّ الذي للعضوي؛ جوّانيّه وبرّانيّه] - إنّ ما يرجع إلى العضويّ نفسه بحسب زاوية النظر هذه إنّما هو الفعل الذي يقع متوسّطاً بين (Mitten inne liegende Tun) الأوّل الذي له وآخره، من حيث إنّ هذا الفعل يكون له طابع الفرديّة. ولكنّ الفعل من حيث يكون له طابع الكلّيّة ويوضع الفاعلُ مضاهياً لما ينتج من خلال الفعل، ما كان ليحصل له الفعلُ المشاكل لغاية بما هو كذلك. وذلك الفعل الفرديّ الذي هو وسطٌ وحسب، إنّما ينضوي من جهة فرديّته تحت التعيّن الذي لضرورة شديدة (Durchaus) الفرديّة والعرضيّة. لذلك فإنّ ما يفعله العضويّ للحفاظ على نفسه كفرديّ، أو لذاته كجنس، إنّما يكون بحسب هذا المضمون الذي في - الحال عريّاً تماماً من القانون، لأنّ الكلّيّ والمفهوم يقعان خارجه. ومن ثمّة (Sonach) فإنّ فعله كان يكون الفاعليّة الخاوية والتي من دون مضمون في حدّ ذاتها؛ فهذه الفاعليّة ما كانت لتضاهي حتّى الفاعليّة التي للآلة، لأنّ هذه إنّما يكون لها هدفٌ، ومن هذه الجهة يكون لفاعليتها مضمونٌ. إنّ تلك الفاعلية لن تكون إذ يُهمّلها الكلّيّ إلاّ النشاط الذي لكائن من جهة ما هو كائنٌ، أي نشاطٌ لا يكون في الوقت ذاته منعكساً في ذاته، كما يكون نشاط الحامض أو القاعدة؛ إنّها

فاعلية ما كان ليكون بوسعها أن تنفصل عن كيانها الذي في - الحال ولا أن تتخلى عن الذي يفوت في صلتها بضدّها، لكنّه كان يكون بإمكانها أن تحفظ نفسها. ولكن الكينونة التي تُعاین فاعليتها هاهنا إنّما توضع كشيء حافظ لنفسه في صلتها بالمتضادّ وإياه؛ والنشاط بما هو كذلك ليس سوى الصورة المحض والعريّة من الماهية التي لكونه - لذاته، أمّا الغاية التي لجوهره الذي ليس هو بمجرد كينونة متعيّنة، بل هو الكلّي، فلا تقع خارجه؛ فهذا النشاط هو في حدّ ذاته نشاط آيَب في نفسه، وليس نشاطاً يُساق في داخله من قبل أيّ طرف غريب برّانيّ.

لكنّ هذه الوحدة بين الكلّي والنشاط لا تحصل لهذه العلة ١) بالنسبة إلى هذا الوعي المعاین، لأنّ تلك الوحدة هي بالجوهر الحركة الجوانية التي للعضويّ، ولا يُمكن أن تُدرَك إلا كمفهوم؛ أمّا المعاينة فتتعبّ اللّحظات على صورة الكينونة والدوام؛ ولما كان الكلّ العضويّ بالجوهر هذا: ألا تكون له في حدّ ذاته هذه اللّحظات وألا ينقاد لتحصيلها فيه من غيره، فإنّ الوعي يغيّر - من جهة زاوية النظر التي له - الضدّ إلى مقابلٍ يشاكله.

على هذا الوجه تنجم لهذا الوعي الماهية العضوية بما هي صلة لحظتين كائنتين وراسختين، - تقابلٌ يبدو طرفاه للوعي من ناحية أنهما قد أُعطيَا له في المعاينة، ويعبران من ناحية أخرى وبحسب مضمونهما عن التقابل بين المفهوم الغائيّ العضويّ وبين الحقيقي؛ لكن لما كان المفهوم بما هو كذلك قد ألغِيَ هاهناك، فإنّ الفكر إنّما يكون اختفض بشكل غامض وسطحيّ إلى درك التصرّو. كذا نرى أنّ الطرف الأوّل [أي المفهوم الغائيّ] هو الذي يُظن فيه أنّه الجوانيّ، وأنّ الثاني [أي الحقيقي] هو الذي يظنّ فيه أنّه البرّانيّ، أمّا صلتها فتنتج القانونَ القائل بأنّ البرّانيّ عبارة الجوانيّ.

إذا أولينا النظر في هذا الجوّانيّ مع المتضادّ وإياه وصلة الواحد منهما بالآخر، للاّحَ أوْلاً أنّ جانبيّ القانون لم يعودا يُسمعان كما في القوانين الفاتئة حيث أظهرّا كأشياء قائمة برأسها، كلُّ كجرم جزئيّ، ولا يسمعان ثانياً على معنى أنّ الكلّيّ كان ينبغي أن يكون له وجوده في أيّما موضع خارج الكائن. ولكن الماهية العضوية توضع بالجملة في الأساس وعلى نحو غير منفصل كمضمونٍ للجوّانيّ والبرّانيّ، وبما هي الشيء نفسه لكليهما؛ والتقابل ما انفكّ في ذلك تقابلاً صورياً على نحو خالص، أي تقابلاً يكون لجانبه الواقعيّين عينُ ألفي - ذاته ماهيّة، لكن لما كان الجوّانيّ والبرّانيّ في الوقت ذاته واقعاً متضاداً أيضاً، وكانا وجوداً متنوعاً بالنسبة إلى فعل المعاينة، فإنّ كليهما يظهر لهذا الفعل على أنّ له مضموناً خاصاً. لكن هذا المضمون الخاصُّ ما دامَ عينُ الجوهر أو الوحدة العضوية، لا يمكن أن يكون في واقع الأمر إلا صورةً متنوعَةً لنفس الوحدة العضوية؛ وهذا إنّما يدلُّ عليه الوعيّ المعايين عبر القول إنّ البرّانيّ ترجمانُ الجوّانيّ وحسب. - لقد كتنا رأينا بصدد (An) المفهوم الغائيّ نفسَ تعيينات العلاقة، لاسيّما القيمومة الذاتية السيّانية التي للمتوّعات والتي تقع فيها وحدتها، وهي الوحدة التي تزول فيها تلك التعيينات. [18]

[2. شكل العضويّ - أ. الخاصّيات والأجهزة العضوية] - ينبغي أن نرى الآن أيّ شكل يعتريه الجوّانيّ والبرّانيّ في كونهما؛ فلا بدّ للجوّانيّ بما هو كذلك كما للبرّانيّ بما هو كذلك، أن يكون لهما على حدّ سواء كينونة برّانية وشكلٌ ما، لأنهما موضوعان، أو هما نفسهما يوضعان ككائنين ومائلين للمعانية.

إنّ الجوهر العضويّ بما هو جوّانيّ هو النفسُ البسيطة، المفهوم الغائيّ الخالصُ أو الكلّيّ الذي يظلُّ في تجزئته سيّانيةً كليّة، ويظهر بالتالي في كينونته كالفعل أو الحركة التي للحقيق الزائل؛ في حين أنّ البرّانيّ المتضادّ مع ذلك الجوّانيّ الكائن إنّما

يدوم على العكس في الكينونة الساكنة التي للعضويّ. والقانون بما هو صلة ذلك الجوّانيّ بهذا البرانيّ إنّما يُعرب عندئذٍ عن مضمونه مرّةً في عرض اللّحظات الكلّية أو الأيسيات البسيطة، ومرّة أخرى في عرض الأيسية المتحقّقة أو الشكل. هذه الخاصّيات العضويّة البسيطة - إن شئنا تسميتها على هذا النحو - هي الإحساسية والانتثار والتناسل<sup>(19)</sup>. ولا يبدو أنّ هذه الخاصّيات - أو على الأقلّ الخاصّيتان الأوليان - تتّصل بالنظام العضويّ بالجملة، بل تتّصل بالنظام العضويّ الحيوانيّ وحسب؛ فالنظام العضويّ النباتيّ لا يُعرب في واقع الأمر إلاّ عن المفهوم البسيط للنظام العضويّ الذي ينمّي لحظاته؛ لذلك فإنّا إذ نعتبر هذه الخاصّيات من الوجه الذي تكون عليه بالنسبة إلى المعايينة، سنكتفي بالتي تلوّح بكيانها النامي.

في ما يتعلّق الآن بهذه الخاصّيات نفسها، يمكن القول إنّها تحضّل في - الحال عن مفهوم الغاية الذاتية<sup>(20)</sup>؛ فالإحساسية تعبّر بالجملة عن المفهوم البسيط لانعكاس العضويّ في ذاته، أو السيلانية الكلّية التي لعين مفهوم العضويّ؛ أمّا الانتثار فإنّه يعبّر عن المرانة<sup>(21)</sup> العضويّة التي تتمثّل في السلوك - ضمن الانعكاس -

---

Sensibilität, Irritabilität und Reproduktion (19) يستعير هيغل هاهنا مصطلحات يستخدمها شلنغ، انظر ص 225: خصائص الطبيعة الحيوانية، وقارن ص 240 وما بعدها، وص 290 وما بعدها في: Friedrich Wilhelm Joseph Schelling, *Von der Weltseele. Eine Hypothese der höhern Physik zur Erklärung des allgemeinen Organismus* (Hamburg: [n. pb.], 1798).

وكان هيغل يستخدم هذه المصطلحات في: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Jenaer Systementwürfe III. Naturphilosophie und Philosophie des Geistes (1805-1806)*, Neu Hrsg. von Rolf-Peter Horstmann, Philosophische Bibliothek; 333 (Hamburg: F. Meiner, 1987), pp. 149 sqq.

(20) Selbstzweck، في الغائية الذاتية التي للعضويّ، انظر: المصدر نفسه، ص 119-120.

(21) Elastizität، في مرانة العضويّ، قارن: المصدر نفسه، ص 154 (المرانة من جهة ما هي التحرك الخاصّ (Das eigne sich Bewegen des Organismus) الذي للنظام العضويّ).



مسلك المنفعل وفي الوقت ذاته مسلك التحقق المتضاد مع الكون عند الذات الأول والساكن، حيث يصبح ذلك الكون لذاته المجرد كوناً لغيره. أما التناسل فإنما هو العملية التي لجميع هذا النظام العضوي المنعكس في ذاته، نشاطه من جهة ما هو غاية في حد ذاته أو من جهة ما هو جنس، حيث يدفع الفرد نفسه عن نفسه، فيعيد نسلَ إِمّا أجزائه العضوية، أو كامل الفرد. وإذا أخذ على معنى البقاء الذاتي بعامّة، فإنّ التناسل يعبر عن المفهوم الصوري للعضوي أو الإحساسيّة؛ لكنّه في الأصل المفهوم العضوي الواقعي، أو هو الكلّ الذي يؤوب إلى نفسه إمّا كفرديّ بمعىة الإادة (Hervorbringung) الأجزاء الفردية التي له، أو كجنسٍ بمعىة الإادة الأشخاص.

أما الدلالة الأخرى لهذه العناصر العضويّة، ولاسيّما من جهة ما هي البرانيّ، فهي وجّهها (Weise) المتشكّل الذي تمثّل بحسبه كأجزاء حاقة، لكن في الوقت ذاته كأجزاء كليّة أو أجهزة عضويّة؛ الإحساسية على سبيل المثال تكون كالجهاز العصبيّ، والائتثار كجهاز العضلات، والتوالّد من جهة ما هو أحشاء<sup>(22)</sup> يمثّل بقاء الفرد والجنس.

إنّ القوانين الخاصّة بالعضويّ تتعلّق بالتالي برابطة ما بين اللحظات العضويّة في دلالتها المزدوجة، أي كونها مرّة جزء من التشكّل العضويّ، وكونها مرّة أخرى تعينيّة سيّالة وكليّة تجتاب جميع تلك الأجهزة. ضمنّ العبارة التي لمثل هذا القانون، تمتلك إحساسية ما بعينها - على سبيل المثال - من جهة ما هي لحظة للنظام العضويّ بأكمله، عبارتها عند جهاز عصبيّ متكوّن على نحو محدّد، أو تكون مرتبطة بضرب توالّد ما بعينه للأجزاء العضويّة

(22) Eingeweide، لفظ يدلّ على أعضاء التناسل، لكنّ الاستعمال الإنجيلي

أعطاء دلالة الأمعاء والأحشاء.

التي للشخص، أو بالتناسل كله، وهكذا دواليك. - ويمكن معاينة كلا الجانبين اللذين لمثل هذا القانون؛ فأما البرّاني فهو بحسب مفهومه الكون لغيره؛ فالإحساسية مثلاً يكون لها في جهاز الحواسّ وجهها المتحقّق في - الحال، وتكون أيضاً من جهة ما هي خاصيّة كليّة شيئاً موضوعياً في خراجاتها. وأما الجانب الذي يُسمّى الجواني فيكون له جانبه البرّاني الخاصّ المخالف لما يسمّى في الكلّ البرّاني.

كذا كان يمكن إذاً أن يعاين كلا الجانبين اللذين لقانون عضويّ ما، لكن ليست تلك هي حال قوانين العلاقة بين ذينك الجانبين؛ وإذا كانت المعاينة لا تأتي كفاية ذلك، فليس لأنها كانت تكون من جهة ما هي معاينة قصيرة النظر، وكان ينبغي ألاّ تسلك مسلكاً إمبيريقياً، أو لأنه كان ينبغي بدل ذلك أن يُبتدأ بالفكرة، لأنه كان يجب لمثل هذه القوانين - إذا كانت شيئاً واقعياً - أن تمثّل بالفعل على نحو حاقّ، وإذاً أن تعاين؛ بل العلة في ذلك أنّ فكرة هذا الجنس من القوانين إنّما تتضح على أنها عارية من أيّ حقيقة.

[ب. لحظات الجواني في علاقتها المتبادلة] - لقد حصلت كقانونٍ العلاقة التي كانت تكون فيها الخاصيّة العضويّة الكليّة تصيرت شيئاً في جهاز عضويّ ما، فتكون انتقشت عليه انتقاشاً متشكّلاً (An ihm seinen gestalteten Abdruck hätte)، على نحو أنّ كليهما يكونان الماهية نفسهما، مرّة تمثّل كلحظة كليّة، ومرّة أخرى كشيء. ولكن مع ذلك يكون جانب الجواني لذاته هو أيضاً علاقة متكرّرة الجوانب، ولهذه العلة تعرض أولاً فكرة قانون ما كعلاقة متبادلة بين النشاطات أو الخاصّيات العضويّة الكليّة. أمّا هل مثل هذا القانون ممكن، فذلك ما يجب أن يتحدّد انطلاقاً من طبيعة تلك الخاصيّة. ولكن من ناحية أولى هذه الخاصيّة من جهة ما هي سيلانيّة كليّة ليست شيئاً ما يكون مقيداً من جهة الشيئية،

فيقف عند اختلاف كيانٍ كان ينبغي أن يكون شكله، بل الإحساسية تجاوزُ الجهاز العصبي وتخلل جميع الأجهزة الأخرى للنظام العضوي؛ وهي من ناحية أخرى لحظةً كليّةً تكون بالجوهر غير مفارقة وغير قابلة للانفصال عن ردّ الفعل أو الاثثار والتوالد؛ لأنّه من جهة ما هي انعكاس في نفسها، يكون لها في حدّ ذاتها ردّ الفعل بإطلاق. أمّا مجرد الكون منعكساً في الذات فهو انفعاليّة، أو هو الكون المبت (Totes Sein)، فليس هو بإحساسية، بقدر ما لا يكون الفعل مثله مثل ردّ الفعل من دون الانعكاس في الذات تأثراً. والانعكاس في الفعل وردّ الفعل، أو الفعل وردّ الفعل في الانعكاس إنّما هو على التدقيق ما تُكوّن وحدته العضوي، وهي وحدة لها الدلالة عينها التي للتوالد العضوي. والنتائج عن ذلك هو أنّه لا بدّ أن يكون في كلّ وجه من وجوه التحقيق - ما دمنا نتفحص أولاً العلاقة بين الإحساسية والاثثار - عينُ العَظْم (Dieselbe Größe) من الإحساسية التي للاثثار، وأنّ ظاهرة عضويّة ما يمكن أن تُدرَك وتحدّد، أو إن شئنا: أن تفسّر سواء من خلال تلك أو من خلال هذا. ذلك أنّ ما يمكن أن يأخذه بعضهم على أنّه إحساسية مرتفعة هو هو ما يعدّه البعض الآخر كذلك اثثاراً مرتفعاً، أي يرى فيه اثثاراً من الدرجة عينها؛ فإذا سمّيناها عوامل، وكان هذا اللفظ غيرٍ عريٍّ من الدلالة، فإنّ ما يُفصح عنه هذا القول بذلك هو أنّهما لحظات المفهوم، وعليه فإنّ الموضوع الحقيقي<sup>(23)</sup> الذي يكون هذا المفهوم ماهيته، إنّما ينطوي عليهما على حدّ سواء، ومتى يُعيّن هذا الموضوع من وجهٍ على أنّه شديد الإحساسية، ينبغي القول فيه من وجهٍ آخر إنّّه شديد الاثثار كذلك.

[18:

فإذا تمّت الممايزة بين الإحساسية والاثثار كما يكون ذلك

(23) Reale، وهو أشدّ حقيقةً وتعيّناً من الواقع (Reel) نفسه.

ضرورياً، فهما إنّما يتباينان بحسب المفهوم، وتقابلهما إنّما يكون  
 كيفياً. أمّا إذا وُضعا أيضاً - زائداً إلى هذا التمييز الصادق - من  
 جهة أنّهما ما زالا كائنين ومتنوعين بالنسبة إلى التمثّل، كما كان  
 يكون جانبا القانون، فإنّهما يظّهران على تنوّع كمّي. وبذلك يندرج  
 تقابلهما الكيفي الخاصّ تحت العظم، فتحصل قوانين من قبيل أنّ  
 الإحساسية والانتثار يقعان - على سبيل المثال - في علاقة تعاكسية  
 من جهة عظمهما، على نحو أنّه إذا زاد الواحد منهما نقص  
 الآخر؛ أو - حتّى نقول الأمر من وجه أفضل - إذا ما عُدَّ العظم  
 نفسه مباشرةً مضموناً: أنّ عظم شيء ما يتزايد بقدر ما يتناقص  
 صغره. - لكن إذا أعطينا هذا القانون مضموناً معيّناً من قبيل أنّ  
 عظم ثقب ما يزداد بقدر ما يتناقص ما به يتمّ ملؤه، فإنّه يمكن  
 أيضاً أن نغيّر من هذه العلاقة المتعاكسة ونعرب عنها على نحو  
 علاقة مباشرة: أنّ عظم الثقب يزيد في علاقة تناسبية مباشرة مع  
 كمّ ما طُرِحَ منه، - وهذه قضية من تحصيل الحاصل تُقال على  
 معنى العلاقة المباشرة أو العلاقة المتعاكسة؛ فهذه القضية إنّما  
 تعبّر في الأصل عن الأمر التالي: إنّ عظاماً ما يزيد كلّما زاد هذا  
 العظم. وكما إنّ الثقب وما يملأه أو ما يُطرح منه طرفان متضادان  
 من جهة الكيف، لكن كما أنّ واقع هذين الطرفين وعظمه المحدّد  
 في كليهما متهويان، وكذلك زيادة العظم ونقصان الصغر، وكما  
 أنّ تقابلهما العريّ من الدلالة يؤدي إلى تحصيل حاصل، فإنّ  
 اللحظات العضوية تكون هي أيضاً غير منفصلة في واقعها وعظمها  
 الذي هو عين عظم ذلك الواقع؛ فأحدهما لا ينقص إلّا مع  
 الآخر، ولا يزيد إلّا معه، لأنّه لا يكون للواحد من دلالة إلّا  
 طالما مثل الآخر؛ - أو في الأكثر: سيان أن تُعتبر ظاهرة عضوية  
 من جهة ما هي انتثارٌ أو من جهة ما هي إحساسية، هذا من وجه  
 عامّ، وكذلك الأمر متى نتكلّم عن العظم الذي لتلك الظاهرة. كذا  
 تستوي العبارة عن تعاضد ثقب ما من وجه أزيداه كفراغ أو من

وجه ازدياد الملاء المطروح منه. أو كذلك كونُ عددٍ مَّا، هبَّ عدد ثلاثة، يظلّ على عظم مساوٍ إن أخذته موجِباً أو سالباً، ومتى زدتُ في عظمه لأجعله أربعةً يصير الموجب كما السالب أربعةً؛ - كما أن القطب الجنوبيّ للمغناطيس يكون على ذات القوّة التي لقطبه الشماليّ؛ أو أنّ كهرباء موجبة أو الحامض يكونان بالقوّة نفسها التي للكهرباء السالبة أو القاعدة التي يفعل فيها ذلك الحامض. والكيانُ العضويّ يكون عظماً من هذا الجنس، أي كمثل ثلاثة، أو ذلك المغناطيس وما إليه؛ فهو الكيان الذي يوجد زائداً أو ناقصاً، ومتى يوجد زائداً يزداد مضروباً<sup>(24)</sup> جميعاً، مثلما يزداد قطبا المغناطيس أو الطاقتان الكهربائيتان متى يتقوى المغناطيس إلخ... - أما كون العاملين لا يتباينان إلا قليلاً من جهة الشدّة والامتداد، فلا يمكن أحدهما أن ينقص من حيث الامتداد والحال أنّه يزداد من حيث الشدّة، في حين يجب في الآخر على العكس أن ينقص من حيث الشدّة والحال أنّه يزداد من حيث الامتداد، فكلّ هذه أمورٌ تقع تحت نفس مفهوم التضادّ الخاوي؛ فالشدّة الواقعيّة تكون بإطلاق من نفس عظم الامتداد، والعكس بالعكس.

بيّن بنفسه أنّ الأمر في هذا الجنس من التقنين (Gesetzgeben) يجري أولاً مجرى أنّ الاثثار والإحساسية هما اللذان يكونان التقابل العضويّ المتعيّن؛ لكنّ هذا المضمون يفوت، والتقابل يتيه في التقابل الصوريّ بين زيادة العظم ونقصانه، أو بين الشدّة والامتداد المتنوعين، - وهو تقابلٌ لم يعد يتعلّق بالطبيعة التي للإحساسية والاثثار، فلم يعد يعرب عنها. ولذلك فإنّ مثل هذا اللعب الفارغ في التقنين لا يرتبط باللحظات العضويّة، بل يمكن أن يمارس في أيّ موضوع ومع أيّ شيء

(24) Faktoren، العامل في دلالة التعاليمية.

اتَّفَق، وهو إنَّما يرجع بالجملة إلى الجهل بالطبيعة المنطقية التي لهذه التقابلات.

إذا ما أضيف في الختام التوالد - بدل الإحساسية والانتثار - إلى تلك أو هذا، يرتفع إمكان هذا التقنين نفسه؛ لأنَّ التوالد لا يكون في تقابل مع هاتين اللَّحظتين، كما تكونان متقابلتين في ما بينهما؛ ولَمَّا كان التقنين يقوم على هذا التقابل، يرتفع هاهنا ظاهرُ وقوع مثل ذلك التقنين ويزولُ.

إنَّ هذا التقنين الذي تفحصناه للتو ينطوي على اختلافات 1 النظام العضويّ من جهة دلالتها كالحظات المفهوم الذي له، فكان ينبغي أن يكون بحصر المعنى تقنياً قَبلياً. ولكن تكمن بالجوهر في هذا التقنين ذاته هذه الفكرة، ألا وهي أنَّ تلك الاختلافات تكون لها دلالة الأشياء الماثلة، وأنَّ الوعي المعايين مجرد المعاينة ليس له إلا أن يقف على الكيان الذي لها؛ فالحقيق العضويّ يشتمل بالضرورة على تقابل من قبيل الذي يعبر عنه مفهومه، وهو تقابلٌ يمكن أن يعين كالذي بين الانتثار والإحساسية، مثلما يظَّهر كلاهما مرّة أخرى مباينين للتوالد. - فالبرانية التي تُتفحصُ فيها هاهنا لحظات المفهوم العضويّ إنَّما هي البرانية التي في - الحال والخاصة بالجوانيّ، وهي ليست البرانيّ الذي يكون برانياً في الكلّ ويمثّل شكلاً، والذي سيعتبر من بعد هذا<sup>(25)</sup> على إضافته للجوانيّ.

لكن إذا ما أدرك تقابلُ اللَّحظات كما يحصل عند الكائن، فإنَّ الإحساسية والانتثار والتناسل تسقط إلى درك الخاصيات المشتركة التي يكون بعضها حيال بعض كلياتٍ سيّانيةً كمثّل الوزن الخاصّ واللون والصلابة وما شاكل ذلك. صحيحٌ أنَّه على هذا المعنى يمكن المرء أن يعاين أن شيئاً عضويّاً أكثر إحساسية أو

(25) انظر: ج. الكلّ العضويّ، حرّيته وتعيّنه، ص 349 من هذا الكتاب.

انتشاراً وأن له قوّة توالدِ تفوقَ عضويّاً آخر، - كما يعاين أيضاً أن الإحساسية وما إليها التي لعضويّ ما تختلف عن التي لآخر بحسب النوع، وأنّ عضويّاً ما يسلك حيال منبهات معيّنة على نحو مخالف لغيره، كمثّل الحصان يسلك حيال الحُرطال غير سلوكه حيال الحشيش، وكذلك الكلب يسلك على نحو مغاير حيال هذا العنصر أو ذاك، كما أنّه تمكّن معاينةً أنّ جسماً أصلب من جسم آخر، إلخ... - لكن هذه الخاصّيات الحسيّة، الصلابة واللّون وما إليها، كما ظواهر التهيّجيّة (Reizempfänglichkeit) من جرّاء الخرطال، والانتثار بالوزن أو تعديد الذريّة وإنجابهم عندما نصل بعضهم ببعض ونقارن في ما بينهم، كلّ هذه الأمور تناقض بالجواهر مشاكلة القانون (Gesetzmäßigkeit). لأنّ التعيّنيّة التي لوجودها الحسيّ<sup>(26)</sup> إنّما ترجع على التدقيق إلى التالي: كونها توجد سيّانئة تماماً بعضها حيال بعض، وتعرضُ حريّة الطبيعة مخصّصةً من المفهوم لا بوصفها وحدةً صلةً، بل في الأكثر على أنّها تلاعبها العريّ من المعقوليّة (Ihr unvernünftiges Hin-und Herspielen) على سلّم الأعظام العرضيّة، لا بما هي لحظات المفهوم نفسها.

[ج. علاقة جوانب الجوّانيّ بجوانب البرّانيّ] - إنّ الجانب الآخر الذي تقارن وفقه اللّحظات البسيطة التي للمفهوم العضويّ بلحظات التشكّل هو الذي قد يقدّم أولاً القانون الأصليّ الذي من شأنه أن يعرب عن البرّانيّ الحقّ من جهة ما هو بصمة<sup>(27)</sup> الجوانيّ. - ولما كانت الآن هذه اللّحظات البسيطة خاصّيات سيّالة ومتنافذة، فإنّه لا تكون لها إذاً في الشيء العضويّ عبارةً حاقةً ومفارقةً، مثلما يكون ما يسمّى جهازاً فرديّاً للشكل. أو: إذا لم يكن التعبير عن الفكرة المجرّدة التي للنظام العضويّ في هذه

(26) يقصد الذي لهذه الخاصّيات الحسيّة والظواهر التهيّجيّة.

(27) Abdruck، على معنى السمة أو «البصمة».

اللحظات الثلاث تعبيراً صادقاً إلا لعلّة كونها ليست دائمة في شيء، بل لأنها مجرد لحظات وحركة للمفهوم، فإنّ النظام العضويّ بما هو تشكّل لا يدرك - على العكس - في أجهزة ثلاثة معيّنة من هذا الجنس كما يفصل علم التشريح بعضها عن بعض. وما دامت مثل هذه الأجهزة توجد على الحقيق الذي لها، وينبغي أن يشرّع لها من وجه أنها توجد هكذا، فلا بدّ من التذكير أيضاً بأنّ علم التشريح لا يكشف عن ثلاثة أجهزة من هذا القبيل وحسب، بل عمّا يزيد عن ذلك بكثير. - ثمّ إنه - إذا ما تغاضضنا عن هذا الأمر كلّه - يجب أن يدلّ الجهاز الحسيّ بعامّة على غير ما يُسمّى جهازاً عصبياً، كما يجب أن يدلّ جهاز التآثر على شيء مغاير لجهاز العضلات، والجهاز التناسليّ على شيء مخالفٍ لأحشاء التناسل. إنّ النظام العضويّ يُدرك في أجهزة الشكل التي من هذا القبيل وفقّ الجانب المجرد للوجود الميّت؛ ولحظاته إذ تؤخّذ على هذا النحو إنّما تنتمي إلى علم التشريح والجثث، لا إلى المعرفة والنظام العضويّ الحيّ<sup>(28)</sup>. وهذه اللحظات إذ تؤخذ على نحو الأجزاء التي من هذا القبيل إنّما تنقطع في الأكثر عن الكينونة، لأنها تكفّ عن كونها سيرورات. وما دامت كينونة العضويّ بالجواهر كليّة أو انعكاساً في ذاتها، فإنّ كينونة الكلّ الذي لها كما لحظاتها لا يمكنها أن تدوم في نسق تشريحيّ؛ بل إنّ العبارة الحاقّة والبرانيّة التي لتلك اللحظات لا تمثّلان في الأكثر إلاّ كحركة تسري في الأجزاء المتنوّعة التي للتشكّل، فإذا الذي يُنتزع ويرسّخ على أنّه جهازٌ فرديّ يعرض في تلك الحركة بما هو بالجواهر لحظة سيّالة، على نحو أنّ ذلك الحقيق الذي يجده علم التشريح ليس هو ما يمكن أن يجري مجرى الواقع الذي لتلك اللحظات، بل فقط هذا

(28) قارن: الفقرة الأولى من نصّ استهلال فنومينولوجيا الرّوح، في هذا الكتاب.



الحقيق من جهة ما هو سيرورة، فلا يكون لأجزاء التشريح من معنى إلا فيها.

وعليه فالحاصل عن ذلك هو أنه لا اللحظات التي للجواني العضوي - مأخوذة لذاتها - يمكنها أن تقدّم جوانب قانون ما للكينونة، ما دامت تُحمَل - في قانون من هذا القبيل - على كيان ما، فتكون الواحدة منها مميّزة من الأخرى، ولا يمكن أن تُقال كلّ لحظة منها على السواء في موضع اللحظات الأخرى؛ ولا لحظة (Weder..noch) تحقيقها يستقيم لها عند (An) جهاز راسخ من ناحية إذا ما وضعت من الناحية الأخرى، لأنّ ذلك الجهاز ليس من قبيل الذي كانت تكون له بعامة حقيقة عضوية، بقدر ما لا يكون عبارة تلك اللحظات التي للجواني. ولما كان العضوي في ذاته الكلّي، فإنّ الجوهرية الذي له يتمثل في الأكثر في أن تكون له لحظاته بالجملة في الحقيق على نحو كلّي كذلك، ومعناه: على نحو سيروراتٍ جارية، لا أن يعطي صورة عن الكلّي في شيء معزول.

[187]

[3. فكرة العضوي - أ. الوحدة العضوية] - كذا يفوت بالجملة تصوّر قانون ما في المجال العضوي ويزول؛ فالقانون يريد أن يدرك التقابل ويعرب عنه كأنه بين جانبيين ساكنين، وكذلك التعينية التي في هذين الجانبين بما هي صلتها المتبادلة. والجواني الذي ترجع إليه الكلية المظهرة والبراني الذي تنتسب إليه أجزاء الشكل الساكن كان ينبغي أن يكونا الجانبين المتناظرين للقانون، لكنهما يقفدان - من جرّاء أفراد الواحد منهما بعيداً عن الآخر على هذا النحو - دلالتهما العضوية؛ أمّا تصوّر القانون فعماده على التدقيق هو القول إنّ جانبي القانون كان يكون لهما دوام سيّانيّ كائن لذاته، وإنّ الصلة في ما بينهما كانت تكون متقاسمة كأنها تعينية مزدوجة ومتناظرة. ولكن كلّ جانب من جانبي العضوي إنّما هو على العكس من ذلك وفي حد ذاته كلية بسيطة تكون فيها كلّ التعيينات منحلّة، وهو نفسه إنّما كونه الحركة التي لهذا الانحلال.

إنَّ النظر النافذ في اختلاف هذا التقنين عن الصور  
الفائتة سيكشف تماماً الطبيعة التي له. - فإذا رجعنا بالنظر  
القهقري، لاسيما إلى حركة الدرك الحسي والذهن المنعكس  
هاهناك في نفسه والمعين من خلال ذلك لموضوعه، لبان أن  
الذهن لا تكون له بين يديه وعند موضوعه الصلة التي بين هذه  
التعيينات المجردة، أعني التي للكلي والفردي، للماهوي  
وللبراني، بل هو ذاته يكون فعل التمار الذي لا يصير عنده هذا  
التمار موضوعياً. أما في هذا الموضوع فإن الوحدة العضوية، أي  
على التدقيق الصلة التي بين تلك التقابلات - وهذه الصلة هي  
تَمارٌ صرفٌ - إنما تكون - على العكس - هي نفسها الموضوع.  
وهذا التمار في بساطته إنما هو الكلية التي في - الحال، وما  
دامت هذه تلج الاختلاف الذي ينبغي أن يعرب القانون عن  
صلته، فإن اللحظات التي لهذا الاختلاف هي بمثابة موضوعات  
كلية لهذا الوعي، والقانون إنما يفصح عن كون البراني عبارة  
للجواني. فالذهن إنما يكون أحاط هاهنا بفكرة القانون نفسه، في  
حين أنه كان من قبل لا يتعقب إلا القوانين بعامة التي كانت  
تترأى له لحظاتها كأنها مضمونٌ محددٌ، لا كالأفكار التي لعين  
القوانين. - حينئذ لا يجب على المرء أن يحتفظ - بالنظر إلى  
المضمون - بمثل تلك القوانين التي لا تكون إلا تلقياً ساكناً في  
صورة الكلية للاختلافات الكائنة على نحو خالص، بل ينبغي أن  
يحتفظ بالقوانين التي يكون لها في - الحال عند هذه الاختلافات  
التحير الذي للمفهوم، ويستقيم لها معه في الحين ذاته وجوب  
الصلة بين الجانبين. غير أنه لما كان الموضوع، أي الوحدة  
العضوية، يجمع في - الحال بين النسخ اللامتناهي أو السالبة  
المطلقة التي للكينونة وبين الكينونة الساكنة، وكانت اللحظات  
بالجوهر تماراً خالصاً، فإنه لا يحصل على هذا الوجه جانبان  
كائنان من قبيل ما يلزم في القانون.

[ب. مجاوزة القانون] - لا بدّ للذهن - حتى يحصل مثل هذيك الجانبين - أن يقف عند اللّحظة الأخرى التي للعلاقة العضويّة، ولاسيّما عند الكون المنعكس في ذاته الذي للكيان العضويّ، لكنّ هذا الكون منعكسٌ على ذاته تمام الانعكاس حدّ أنّه لا تبقى له أيّ تعينيّة حيال شيء مغاير. والكيونة الحسيّة التي في - الحال إنّما تكون في الحال واحداً وهذه التعينيّة بما هي كذلك، ولذلك فهي تعبر في حدّ ذاتها عن اختلاف كيفيّ، ومثاله الأزرق حيال الأحمر، والحامض حيال القلويّ (Alkalisch) إلخ. . لكن الكيونة العضويّة التي آت إلى نفسها إنّما تكون على سيّانيّة تامّة إزاء شيء مغاير، وكيانها إنّما هو الكلّيّة البسيطة، ويأبى أن تكون له عند المعاينة اختلافات حسيّة دائمة، أو - وهو الشيء نفسه - لا يُظهر تعينيّته الجوهرية إلّا من حيث هي تبدلُ تعينيّاتٍ كائنة. لذلك فإنّ النحو الذي به يعبر الاختلاف عن نفسه من جهة ما هو كائن، إنّما يتمثل على التدقيق في كونه اختلافاً سيّانياً، أي الاختلاف بما هو عظيمٌ. ولكن في ذلك يُلغى المفهوم، وتزول الضرورة. - ثمّ إنّ المضمون وإفعام هذه الكيونة السيّانية، أي تبدلُ التعينيّات الحسيّة مأخوذةً من حيث اجتماعها في البساطة التي لتعيّن عضويّ، إنّما يعبران في الوقت ذاته عن التالي: ليست لهما هذه التعينيّة - التي هي على التدقيق للخاصية التي في - الحال -، والكيفيّ إنّما يقع في العظم وحده، كما كنّا رأينا ذلك سابقاً<sup>(29)</sup>.

[186

إدأ حتى وإن كان الموضوعي الذي يُدرك كتعينيّة عضويّة، ينطوي فعلاً على المفهوم، فيختلف بذلك عمّا يكون للذهن الذي يسلك في الإحاطة بمضمون القوانين التي له مسلك الإدراك الحسيّ خالصاً، فإنّ هذه الإحاطة تسقط مع ذلك من جديد في

(29) انظر الطور الأصغر الفات: II. 2. ب. لحظات الجوّاني في علاقتها المتبادلة، الفقرة الثانية وما يتلوها، ص 337 من هذا الكتاب.

المبدأ والنحو اللذين للذهن المدرك مجرد إدراك حسّي، لأن المحصّل إنّما يُستعمل ليصير لحظات لقانون ما؛ فيستفيد من ذلك وجه تعينيّة راسخة، أي صورة خاصية في - الحال أو التي لظاهرة ساكنة، ثمّ يلتقط داخل تعينية العظم، عندئذ تُبكت (Unterdrücken) طبيعة المفهوم. - وعليه فإنّ تبديل مجرد مدرك حسّي بمنعكس في ذاته، ومجرد تعينية حسية بتعينية عضوية، إنّما يفقد من جديد قيمته، وإنه ليخسرهما من جهة أنّ الذهن ما زال لم ينسخ التقين.

إذا شئنا مقارنة الأمر في ما يتعلّق بهذا التبديل لضربنا بعض الأمثلة التالية: فالشيء الذي يكون بالنسبة إلى الإدراك الحسّي حيواناً قويّ العضلات، إنّما يُعيّن على أنّه نظام عضويّ حيوانيّ ذو اثثار عالٍ؛ أو ما هو بالنسبة إلى نفس الإدراك حالة ضعف شديد، إنّما يعيّن كحالة إحساسية عالية أو إنّ شئنا كحالة انفعال غير عادية وككُمونية<sup>(30)</sup> متأكدة لعين الانفعال (وهذه عبارات بدل أن تترجم المحسوس وفق المفهوم، تترجمه إلى اللاتينية، وهي زائداً إلى ذلك تترجمه إلى لاتينية فاسدة). أمّا كون الحيوان ذا عضلات قويّة، فذلك يمكن التعبير عنه من قبل الذهن على نحو أنّ الحيوان يمتلك قوّة عضلية كبيرة، - كما يعبر عن الضعف من جهة ما هو قوّة منحسرة. والتعين من خلال الاثثار يتقدّم التعين كقوّة من حيث إنّ هذا يُعبر عن الانعكاس اللامتعين، في حين أنّ

(30) Potenzierung، بين نفسه تهكم هغل في هذا الموضع من شلنغ الذي يستخدم

هذه العبارات في الطبيعيات: «Allgemeine Deduction des dynamischen Proceßes oder der Categorien der Physik,» *Zeitschrift für speculative Physik*, vol. 1, Stück 2 (1800), pp. 13 sqq., and 68.

لكن التهكم يطال أيضاً أعمال س. إ. كيليانس، انظر ص 155 بالنسبة إلى مصطلح «الانفعالات غير العادية» وص 257 بالنسبة إلى مصطلح «الكُمونية» في: Conrad Joseph Kilian, *Entwurf eines Systems der gesamten Medezin* (Jena: Frommann, 1802).

ذاك يعرب عن انعكاس متعین، لأنّ القوّة الخاصّة بالعضلات هي على التدقيق إئتثاراً، - ويتقدّم التعین بما هو عضلات قويّة من حيث إنّ الانعكاس في الذات يكون - كما هي الحال في القوّة - متضمناً هناك. والانعكاس العضويّ - مثله مثل الضعف أو انحسار القوّة - إنّما يتمّ التعبير عنه من وجهٍ محدّدٍ عبر الإحساسية. ولكن عندما تُعدّ هذه الإحساسية هكذا لذاتها راسخة، وتكون مرتبطة بتعین العظم، فتتضادّ من جهة ما هي إحساسية عالية أو ناقصة مع ائتثارٍ عالٍ أو ناقصٍ، فإنّ كليهما يختفضُ شديداً إلى عنصرٍ حسيّ وينزل إلى الصورة المشتركة لخاصية ما، أمّا اتصالهما فليس هو من قبيل المفهوم، بل هو بالعكس العظم الذي يقع فيه عندئذٍ التقابل، فيصير اختلافاً عرياً من الفكرة. وإذا صحّ في ذلك الموضوع أنّ عبارات القوّة والشدّة والضعف قد برت من العنصر اللامتعيّن، فإنّ ما ينجم حينها هو كذلك المطاوفة الخاوية واللامتعينة بين المتقابلات بين الإحساسية الأعلى والأوطى كما بين الائتثار الأعلى والأوطى في مدهما وجزرهما كلّ حيال الآخر<sup>(31)</sup>. وكما تكون الشدّة والضعف تعيينات حسية تماماً وعريّة

(31) يحيل هيغل ضمناً في هذا الموضوع إلى نظرية «الاضطراب الانفعالي» (Die Erregungstheorie) عند يوهان براونس وتأثيراتها على الطبيعيات عند شلنغ. وكتاب بروانس ترجمه من اللاتينية إلى الألمانية م. أ. فايكارذ تحت عنوان: John Brown, *Johann Browns Grundsätze der Arzeneylehre aus dem Lateinischen übersetzt von M. A. Weikard* (Frankfurt: [n. pb.], 1795).

وما ذهب فيه شلنغ في *Erster Entwurf eines System der Naturphilosophie* هو ترسيخ مقالة ارتفاع وانخفاض الإحساسية والائتثار على معنى الاضطراب الانفعالي. ولكن سرعان ما سيدرك شلنغ الطابع الصوريّ الذي لهذه المقالة من جهة ما هي «إنشاء صوريّ» لم يفلح في استنباط مفهوم الاضطراب، قارن: *Vorläufige Bezeichnung des Standpunktes der Medecin nach Grundsätzen der Naturphilosophie. Verfaßt von einer Gesellschaft von Gelehrten*, نشر أ. ف. ماركوس وشلنغ في: *Jahrbücher der Medecin als Wissenschaft*, vol. 1, Stück 2: (Tübingen 1805).

تلويحات ص 37، 38 وص 189.

من الفكرة، تكون بالقدر نفسه الإحساسية والانتشار الأعلى والأوطى الظاهرة الحسّية التي تدرك وتُقال كذلك على نحو عريّ من الفكرة. وليس المفهوم ما يهله مكان هذه العبارات العريّة من المفهوم، بل تفعم الشدّة والضعف بواسطة تعيّن إن أخذ لذاته خاصّة قام على المفهوم وكان له هذا مضموناً، لكن ذلك التعيّن يفقد هذا المصدر وهذا الطابع جملةً وتفصيلاً. - وعليه فإنّ الماهية الكائنة والموضوعة في الأصل كمفهوم إنّما تحافظ - عبر صورة البساطة والحالية التي يُصبح فيها هذا المضمون جانباً من القانون، كما بواسطة العظم الذي يكون عنصر الاختلاف الذي لمثل هذه التعيينات - على النحو الذي للدرك الحسّي، وتظلّ في حلّ من هذه المعرفة بقدر ما كانته في التعيّن من خلال الشدّة والضعف اللذين للقوة، أو من خلال الخاصّيات الحسّية التي في - الحال.

[ج. الكلّ العضويّ، حرّيته وتعيّنيته] - ينبغي الآن أن نتفحص أيضاً لذاته مفرداً ما هو البرّانيّ الذي للعضويّ، وكيف يتحدّد فيه التقابل بين الجوانيّ والبرّانيّ اللذين له، مثلما كان تُفحص أولاً الجوانيّ الذي للكلّ في صلته ببرّانيّه الخاصّ<sup>(32)</sup>.

إذا اعتُبر البرّانيّ لذاته، فإنّما هو بالجملة التشكّل، نسق الحياة إذ يتمفصل في أسطقس الكينونة، وهو بالجوهر وفي الحين ذاته كون الماهية العضويّة لشيء مغاير، - ماهية موضعية في كونها لذاتها. - وهذا المغاير إنّما يظهُر أولاً بما هو طبيعتها اللاعضويّة البرّانيّة. وإذا اعتبرنا هذين الطرفين في صلتهما بقانون ما، لم يمكن الطبيعة اللاعضويّة - كما رأينا ذلك أعلاه<sup>(33)</sup> - أن تمثّل جانب القانون حيال الماهية العضويّة، لأنّ هذه الماهية إنّما

(32) انظر: 2. أ. الخاصّيات والأجهزة العضويّة، ص 334 من هذا الكتاب

(الفقرتان الأخيرتان).

(33) انظر: II. 1. أ. العضويّ والعناصر، ص 326 من هذا الكتاب.

تكون في الوقت نفسه لذاتها بإطلاق، ولها صلةٌ بنفسها كليّةٌ وحرّةٌ.

لكن إذا حُدِّدَتْ علاقة هذين الجانبين عن كُتْب عند الشكل العضويّ نفسه، لبان أنّ هذا الشكل ينقلب من ناحية قبل الطبيعة اللاعضويّة، لكنّه يكون من ناحية أخرى لذاته ومنعكساً في ذاته. أمّا الماهية العضويّة الحاقّةُ فهي الحدّ الأوسط الذي يقرن كَوْن الحياة لذاتها بالبرّانيّ بالجملة أو بالكون - في - ذاته. - لكن طرفُ الكون - لذاته هو الجوّانيّ كواحدٍ لامتناه يستردُّ في داخله لحظات الشكل نفسه انطلاقاً من دوامها والارتباط بالبرّانيّ، إنّه العريُّ من المضمون الذي يتعطى مضمونه عند الشكل، فيظَهَر عنده كأنّه سيرورته. والعضويّ إنّما تكون له في هذا الطرف بما هو سالبيةٌ بسيطةٌ أو فريديّةٌ خالصةٌ حرّيته المطلقة التي يكون من خلالها على ثقةٍ من نفسه وسيانياً حيال الكون لشيء مغايرٍ والتعيّنيّة التي للحظات الشكل. وهذه الحرّية هي في الوقت ذاته حرّية اللّحظات نفسها، فهي الإمكان الذي لهذه في أن تظَهَر وتدرّك بما هي كائنةٌ، وكما تكون في ذلك حيال البرّانيّ تكون كذلك في حلٍّ وسيانيّةٍ حيال بعضها البعض، لأنّ بساطةً هذه الحرّية إنّما هي الكينونةُ، أو هي جوهرها البسيط. وهذا المفهوم أو هذه الحرّية الخالصة إنّما هما عين الحياة الواحدة مهما تكثرت وتنوّع اللعب الذي يجتال فيه (Umherschweifen) الشكلُ والكون لشيء مغايرٍ، فسيان عند هذا السيل الجارف الذي الحياة كيف تكون الطواحين الذي تحركه. - وينبغي أن ننبّه أولاً على أنّ هذا المفهوم ليس يُحصّل في هذا الموضع كما أدرك سابقاً عند اعتبار الجوّانيّ الأصليّ على صورة السيرورة التي له أو صورة الربو التي للحظّات، بل هو يحصل على صورته بما هو جوّانيّ بسيطٌ يمثل الجانب الكلّيّ خالص الكلّيّة حيال الماهية الحيّة الحاقّة، أو بما هو أسطقس دوام الأطراف الكائنة التي للشكل؛ لأنّ هذا

الشكل هو ما نتفحصه هاهنا، وفيه إنما تكون ماهية الحياة من جهة ما هي البساطة التي للدوام. ومن ثمّة فالكون لمغاير أو تعيّن الشكل الحاقّ مدرجّة ضمن هذه الكليّة البسيطة التي هي ماهيتها، إنّما تكون تعيّنّة لامحسوسة وكليّة وبسيطة كمثل تلك، ولا يمكن أن تكون إلّا التي تقال بما هي عدد. - فالعدد إنّما هو الحدّ الأوسط للشكل الذي يقرن الحياة اللامتعيّنّة بالحياة الحاقّة، فيكون بسيطاً كالأولى ومتعيّنّاً كالثانية. والذي كان يكون في الأولى كعدد للجوانيّ، كان يجب أن يعبر عنه البرانيّ بحسب طريقته كأنّه الحقيقيّ الشكيليّ (Vielförmige)، أو ضرب الحياة، أو اللون إلخ..، وبالجمله ككثرة جميع الاختلافات التي تربو في الظاهرة.

لما نظرنا في جانبيّ الكلّ العضويّ كليهما - أحدهما الجوانيّ والآخر البرانيّ، على نحو أنّ كليهما ينطوي من جديد على جوانبيّ وبرانيّ - وقارناً بينهما من وجه الجوانيّ الذي لهما جميعاً، كان الجوانيّ الذي للجانب الأوّل يتمثل في المفهوم بما هو التحير الذي للتجريد؛ أما الجانب الثاني فجوانيّه يتمثل في الكليّة الساكنة، والتعيّنّة الساكنة أيضاً، أي العدد. وإذا كان ذلك الأوّل قد وعد متوهماً بالوقوف على قوانين من وجه ظاهر الضرورة في الصلة، لأنّه ينمي في داخله المفهوم الذي للحظاته، فإنّ الثاني سرعان ما يتخلّى عن ذلك، من حيث إنه يبرز العدد كتعيين لأحد جانبيّ القوانين التي له. والعدد إنّما هو على التدقيق التعيّنّة السيانيّة والميّة والهامدة شديداً، فيها تبيد كلّ حركة وصلّة، وهي التي قطعت كلّ وصلٍ مع حيويّة الدوافع وضرب الحياة وكلّ كائن حسيّ مغاير.

III. معاينة الطبيعة بما هي معاينة كلّ عضويّ - 1. تنظيم اللاعضويّ؛ الوزن الخاصّ، الالتحام، العدد] - لكن هذا الفحص لشكل العضويّ بما هو كذلك وللجوانيّ من جهة ما هو مجرد جوانبيّ للشكل، لم يعد في واقع الأمر فحصاً للعضويّ، لأنّ



الجانبين اللذين كان ينبغي أن يوصلَ بينهما، لا يوضعان إلا على نحو يكون فيه الواحد سيانياً حياً الآخر، وبذلك يُنسخ الانعكاس في الداخل الذي يمثل قوام ماهية العضوي. إنما المقارنة المتعقبة بين الجواني والبراني هي التي تُحمل هاهنا وتحوّل في الأكثر إلى الطبيعة اللاعضوية؛ فالمفهوم اللامتناهي ليس هاهنا سوى الماهية المخفية في الداخل، أو هي تقع في الخارج في الوعي - بالذات، فلم يعد لها حضورها الموضوعي كما كان الأمر في العضوي. وعليه فإنه ينبغي تفحص هذه الصلة بين الجواني والبراني في مجالها الخاص.

[193]

إن ذلك البراني الذي للشكل من جهة ما هو الفردية البسيطة التي لشيء عضوي إنما يمثل أولاً الوزن الخاص. وهذا الوزن يمكن معانيته ككينونة بسيطة، مثلما تُعاین تعيّنهُ العدد التي لا يحتمل الوزن إلاها، أو هو يوجد على الحصر من خلال المقارنة بين معينات، فيلوح من هذا الوجه كأنه يقدم أحد جانبي القانون؛ فالشكل واللون والصلابة والمتانة وخاصيات شتى أخرى لا تحصى قد تمثل مجتمعةً الجانب البراني، فيكون لها أن تعرب عن تعيّنهُ الجواني، أي العدد، على نحو أن كل جانب تكون له صورته المقابلة (Gegenbild) في الآخر.

لما أصبحت السالبيّة تُدرّك هاهنا لا كالحركة التي للسيرورة، بل كوحدة مسكّنة أو كون لذاته بسيط، فإنها تظهر في الأكثر كالذي به يقابل الشيء السيرورة ويعاندها، فيقبّع في ذاته ويقف من تلك السيرورة موقفاً سيانياً. ولكن الوزن الخاص إنما يمثل كخاصية إلى جانب خاصيات مغايرة من حيث إن ذلك الكون - لذاته البسيط سيانتي ساكنة حياً شيء مغاير؛ وبذلك المثل ترتفع كل صلة واجبة لذلك الوزن بهذا التكثر، أو ترتفع كل مشكلة للقانون. - فالوزن الخاص لا ينطوي في حد ذاته من جهة ما هو هذا الجواني البسيط على الاختلاف، أو لا يكون له إلا

الاختلاف اللاجوهري؛ لأنّ بساطته الخالصة هي التي تنسخ على التدقيق كلّ تمييز جوهريّ. وعليه فلا بدّ أن تكون لهذا الاختلاف اللاجوهريّ، نعني العظم، - عند الجانب الآخر الذي هو تكثّر الخاصّيات - صورته المقابلة أو المغاير، من حيث إنّ من هذا الوجه بعامة يكون رأساً اختلافاً. وإذا ما أدرك هذا التكثّر نفسه مجتمعاً في البساطة التي للتقابل، وحُدّد على سبيل التقريب بما هو التحام (Kohäsion)، على نحو أنّ هذا هو الكون لذاته في الكون لمغاير<sup>(34)</sup>، كما يكون الوزن الخاصّ الكون - لذاته الخالص، فإنّ هذا الالتحام هو أولاً هذه التعينيّة الخالصة والموضوعة في المفهوم حيال تلك التعينيّة، أمّا النحو الذي للتقنين فكان يكون ذلك الذي فُحص أعلاه عند صلة الإحساسية والانتشار. - ومن ثمّة فالتلاحم بما هو مفهوم الكون - لذاته في الكون - المغاير ليس سوى تجريد الجانب الذي يقابل جانب الوزن الخاصّ، وليس له وجود (Existenz) من جهة ما هو كذلك. لأنّ الكون - لذاته في الكون - المغاير إنّما هو السيرورة التي<sup>4)</sup> يكون فيها للاعضويّ أنّ يعرب عن كونه - لذاته كبقاء ذاتيّ من شأنه أن يدفع عنه الخروج على السيرورة كأنه لحظة نتاج؛ إلا أنّ ذلك هو على التدقيق ضدّ طبيعته التي لا تنطوي في حدّ ذاتها على غاية أو كليّة. وسيرورته ليست في الأكثر سوى السلوك

(34) إنّ العبارة الهغلية في هذا الموضوع تناظر شديداً مقالة سلنغ في التلاحم بما هو ارتسام الهوية والأناثة (Selbst- und Ichheit) في المادة، قارن: Friedrich Wilhelm Joseph Schelling, «Der ferneren Darstellungen aus dem System der Philosophie anderer Theil. Vom Herausgeber.» *Neue Zeitschrift für spekulative Physik*, vol. 1, Stück 2 (1802).

لكن هيغل يواصل أيضاً مناظرة مقالة التلاحم التي كان ابتدأها في طبيعيات إيبنا، وهي المناظرة التي تُقصد إلى نظرية هنريش شتفنس في صلة الكثافة الخاصة بالتلاحم في سلسلة المعادن، انظر: Henrich Steffens: *Grundzüge der philosophischen Naturwissenschaft, von Henrich Steffens. Zum Behuf seiner Vorlesungen* (Berlin: Im Verlage der Realschulbuchhandlung, 1806), and *Beiträge zur innern Naturgeschichte der Erde* ([n. p.]: Freyberg, 1801).

المحدّد التالي: كيف ينتسجُ كونه - لذاته، ووزنه الخاص. ولكن هذا السلوك المتعيّن نفسه الذي كان ليدوم فيه التلاحم الذي لذلك اللاعضويّ في مفهومه الصادق، والعظم المحدّد لوزنه الخاص. إنّما هما مفهومان يكون كلّ منهما على سيّانٍ تامّة حيال الآخر. وإذا طرحنا جانباً هذا الجنس من السلوك، وتقيدنا بتصوّر العظم، فإنّه كان يكون ممكناً من وجه التقريب أن يُفكّر ذلك التعيّن على نحو أنّ الوزن الخاصّ الأكبر من جهة ما هو كونٌ - داخل - الذات أشدّ، كان ليعاند الدخول في السيرورة أكثر من الوزن الخاصّ الأقلّ. غير أنّ حرّية الكون - لذاته لا تتبيّن - بالعكس - إلّا في يسر الانسياق مع أيّ شيءٍ والمحافظة على نفسها داخل هذا التنوّع المتكثّر. وكثاثة (Intensität) الصلات هذه من دون امتدادٍ إنّما هي تجريدٌ عريٌّ من الفحوى، لأنّ الامتداد هو الذي يمثل قوام الكيان الذي للكثاثة. ولكن البقاء الذاتي الذي للآعضويّ في صلته إنّما يقع - كما ذكرنا به - خارج الطبيعة التي لعين الصلة، ما دام مبدأ الحركة لا يكون له في حدّ ذاته، أو أنّ كينونته ليست بالسالبية المطلقة ولا بالمفهوم.

إذا اعتُبر هذا الجانب الآخر للآعضويّ لا كسيرورة، بل ككينونة ساكنة، يكون الالتحام المشترك، أي خاصية حسية بسيطة أدخلت على حدة حيال اللّحظة المهملة التي للكون المغاير الذي يكمن في خاصيات سيّانية متكثّرة منفصلة عن بعضها البعض، فيعضوي هو نفسه تحتها مثله مثل الوزن الخاصّ؛ أمّا كثرة الخاصيات مجتمعةً فإنّما تمثّل عندئذ الجانب الآخر على إضافة إلى هذا الجانب. ولكن العدد هو التعيّن الوحيدة التي تكون في هذا الجانب كما في الآخر، وهذه التعيّن ليست تعجز فقط عن الإيفاء بعبارة اتصال هذه الخاصيات وتمازٍ بعضها في بعض وحسب، بل هي بالجواهر ما يلي: ألا تكون لها قطّ صلة ضرورية، بل أنّ تعرض التغاء كلّ مشاكلة للقانون، لأنّ العدد إنّما

هو عبارة التعيينية من جهة ما هي لاجوهريّة. على نحو أنّ سلسلة 1  
أجسام تعرب عن الاختلاف بما هو فرق عدديّ بين أوزانها  
الخاصّة، لا تكون إذاً متوازية تمام التوازي مع سلسلة الاختلافات  
التي للخاصيات الأخرى، حتّى وإنّ لم يلتقط منها - من وجه  
التيسير - إلاّ خاصية واحدة أو خاصيات معدودات. ذلك أنّه  
وحدها الحزمة (Das Konvolut) التامة لعين الخاصيات هي التي  
كانت لتكوّن - في واقع الأمر - في هذا التوازي الجانب الآخر.  
ولكي تنضد هذه الحزمة في حدّ ذاتها وتُجمَع كأنها كلّ، تمثّل من  
ناحية خاصيات شتى للمعانية، أمّا من ناحية أخرى فإنّ اختلافاتها  
تهلّ من جهة ما هي كفيّة، فالذي كان ينبغي أن يوصف حينئذٍ في  
هذه الكومة [من الخاصيات] على أنّه موجب أو سالب، فينسخ  
بعضه بعضاً، أعني بالجملة التشكّل الجوّانيّ وعرض الصيغة التي  
كانت تكون معاصرة جدّاً، إنّما كان لينتمي إلى المفهوم الذي  
يُطرح من النحو الذي ينبغي أن توضع فيه الخاصيات  
ها هنا (Daliegen) وتؤخذ على أنّها خاصيات كائنة؛ فلا خاصية  
منها تُظهر في هذه الكينونة الطابع الذي لسالب ما حيال الخاصية  
الأخرى، بل كلّ منها تكون مثلما تكون الأخرى، ولا واحدة  
منها تدلّ على موضعها من تنظّم (Anordnung) الكلّ من وجه  
مغاير للأخرى. - فالأمر لا يتعلّق عند سلسلة ترسل في اختلافات  
متوازية - سواءً عُدت العلاقة على أنّها متزايدة في الوقت نفسه  
عند الجانبين، أو عُدت متزايدة في جانب وحسب ومتناقصة في  
الآخر - إلاّ بالعبرة البسيطة الأخيرة لهذا الكلّ الذي يُدرك  
مجتمعاً، وهو الكلّ الذي ينبغي أن يمثل أحد جانبي القانون حيال  
الوزن الخاصّ؛ لكن هذا الجانب بما هو حاصلٌ كائنٌ ليس على  
التدقيق شيئاً غير الذي أشرنا إليه، أعني خاصية فردية، مثلما  
يكون على وجه التقريب التلاحم المشترك الذي تمثل إلى جانبه  
على نحو سيّانيّ الخاصيات الأخرى، ومن بينها الوزن الخاصّ،

وكلّ خاصيّة مغايرة يمكن اختيارها عن سواء الصواب - ومعناه أيضاً عن سواء الخطأ - كمُمثّلة لكلّ الجانب الآخر؛ فالواحدة كما الأخرى ليس لها إلّا أن تمثّل<sup>(35)</sup> الماهية، أو لنقل بالألمانية: (vorstellen)<sup>(36)</sup>، لكنّها لن تكون رأس الأمر. كذا ينبغي أن تُؤخذ محاولةً تعقّب سلاسل الأجسام التي كانت لتترسّل بحسب التوازي البسيط للجانبين، فكانت تكون عبارةً الطبيعة الجوهريّة بحسب قانون هذين الجانبين، على أنّها فكرةٌ تجهل غرضها كما الوسائل التي ينبغي بها أن تُنجز.

[2. تنظيم الطبيعة العضويّة: الجنس، النوع، الفرديّة، الشخص] - إنّ صلة البرانيّ بالجوانيّ في الشكل الذي ينبغي أن يتقدّم للمعاينة تمّ تحويلها - في ما سبق - مباشرة إلى مجال اللاعضويّ؛ أمّا التعينيّة التي تجرّ تلك الصلة إلى هذا الموضع، فإنّه يمكننا الآن أن نقيدها عن كثب، وما يحصل عن ذلك إنّما هو أيضاً صورةً أخرى ووصلٌ آخرٌ لهذه العلاقة. ولا ريب أنّ ما يسقط بالجملة في حالة العضويّ هو ما يبدو في حالة اللاعضويّ أنّه يفي بإمكان مثل هذه المقارنة بين الجوانيّ والبرانيّ. والجوانيّ اللاعضويّ إنّما هو جوانيّ بسيطٌ يعرض للإدراك الحسيّ كخاصيّة كائنيّة، ولذلك فتعينيّته هي بالجواهر العظم، وهو إنّما يظّهّر كخاصيّة كائنيّة وسيانيّة حيال البرانيّ، أو حيال الخاصيات الحسيّة الأخرى المتكثّرة. أمّا كون الحيّ العضويّ لذاته فلا يمثل على حدّة حيال البرانيّ الذي له، وإنّما ينطوي في حدّ ذاته على مبدأ الكون المغاير. فإذا قيّدنا الكون - لذاته على معنى الاتصال بالذات البسيط والحافظ لنفسه، عندئذٍ يكون الكون المغاير السالبيّة

(35) هيغل يلوّح ها هنا على سبيل التهكم بالأصل اللاتينيّ الذي يرجع إليه شتفّس أيّان يستخدم فعل (Repräsentieren)، واسم الفاعل (Repräsentant) قارن ص 195 وما بعدها من: Steffens, *Beyträge zur innern Naturgeschichte der Erde*.

(36) على معنى: يضع الشيء قدامه.

البيسطة، والوحدة العضوية إنما تكون وحدة بين الاتصال بالذات المساوي لنفسه وبين السالبيّة الخالصة. وهذه الوحدة تكون كوحدة الجواني الذي للعضوي؛ وهذا العضوي يكون من خلال ذلك في ذاته كلياً، أو هو جنس. لكنّ الحرّية التي للجنس حيال حقيقه هي غير الحرّية التي للوزن الخاصّ حيال الشكل، فالحرّية التي لهذا الأخير هي حرّية كائنة، أو هي إنما تقع جانباً من جهة ما هي خاصية جزئية. ولكن لما كانت حرّية كائنة هاهنا، فليست هي أيضاً إلاّ تعيّنية واحدة تنتمي بالجواهر إلى ذلك الشكل، أو: الشكل بما هو ماهية إنما يكون متعيّنًا بمعيتها، لكن حرّية الجنس هي حرّية كلية وسيانتيّة حيال ذلك الشكل أو حيال الحقيق الذي له. ولذلك فالتعينيّة التي ترجع إلى كون اللاعضوي بما هو كذلك لذاته إنما تنضوي عند العضويّ تحت الكون - لذاته الذي له؛ مثلما تنضوي عند اللاعضويّ تحت الكينونة التي له وحسب؛ فحتّى وإن لم تكن لذلك عند هذا اللاعضويّ في الوقت ذاته سوى خاصية، فإنّ شرف الماهية إنما يرجع إليها، لأنّها تواجه من جهة ما هي السلبّي البسيط الكيان من جهة ما هو كون لمغاير؛ وهذا السلبّي البسيط في تعيّناته الفردية الأخيرة إنما هو عدد. أما 7) العضويّ فهو فرديّة هي ذاتها سالبيّة خالصة، ولذلك فهو يلغي التعينيّة الراسخة للعدد التي ترجع إلى الكينونة السيانتيّة. وما دام هذا العضويّ ينطوي في حدّ ذاته على لحظة الكينونة السيانتيّة وبذلك على العدد، فإنّه لا يمكن العدد أن يؤخذ لذلك إلاّ بما هو لعبٌ في ثنايا العضويّ، فلا يكون كأنه الماهية التي لحيويّة هذا العضويّ.

لكن متى لم تقع السالبيّة الخالصة - أي مبدأ السيورة - خارج العضويّ، فلا ينطوي عليها إذاً كتعينيّة ضمن ماهيته، بل الفردية ذاتها تكون في ذاتها كليّة، فإنّ هذه الفردية الخالصة ليست مع ذلك رابية وحاقة عند العضويّ حسب لحظاتها من حيث تكون

هي نفسها مجردة أو كليةً. وإنما هذه العبارة تخرج على تلك الكلية التي تسقط من جديد في الجوانبية، وما يقع بين الحقيق أو الشكل، أي الفردية الراهبة وبين الكلي العضوي، أو الجنس فإنما هو الكلي المتعين، أي النوع، فالوجود (Existenz) الذي تبلغه سالبية الكلي أو الجنس ليس سوى الحركة المبسطة لسيرورة ما تسري في أجزاء الشكل الكائن. وإذا كانت تكون للجنس في داخله بما هو بساطة ساكنة أجزاء متباينة، وبذلك كانت تكون سالبية البسيطة بما هي كذلك في الوقت ذاته حركة كانت لتجري من خلال أجزاء تكون بدورها بسيطة وفي حد ذاتها كليةً في - الحال وتصير هاهنا حاقّة من جهة ما هي كمثّل هذه اللحظات، فإنّ الجنس العضوي كان يكون وعياً. ولكن على هذا النحو تكون التعينية البسيطة من جهة ما هي تعينية النوع ماثلة عند ذلك الجنس العضوي على وجه عريّ من الروح؛ فالحقيق إنّما يبدأ من عند الجنس، أو: ما يلج الحقيق ليس هو الجنس بما هو كذلك، أي ليس هو البتة الفكرة. والجنس بما هو عضويّ حاقّ إنّما يعوّض بما يمثله وحسب، لكن هذا الممثّل، أي العدد، الذي يظهر على أنّه يشير إلى مرور الجنس في تشكّل الشخص، فيبدو أنّه يقدم جانبيّ الضرورة للمعاينة، مرّة كتعينية بسيطة، ومرّة أخرى يعرض الضرورة نفسها كشكل مبسوط متكوّن لأجل التنوع المتكثّر، إنّما يشير في الأكثر إلى السيانية والحرية المتبادلتين بين الكليّ والفردية، وهو الفرديّ الذي أهمله الجنس لاختلاف العظم العريّ من الماهية، لكن هذا الفرديّ نفسه من جهة ما هو حيّ إنّما يبين على أنّه في حلّ من ذلك الاختلاف. أمّا الكلية الحقّ كما كانت حُدثت فإنّها تكون هاهنا ماهيةً جوانبيةً وحسب؛ أمّا من جهة ما هي تعينية النوع فهي كليةٌ صوريّة، والكلية الحقّ إنّما تقع - حيال هذه الأخيرة - على جانب الفردية التي تكون بذلك فرديةً حيّة، فتستوضع نفسها عبر الجوانبيّ الذي لها فوق تعينيتها كنوع. لكن

هذه الفردية ليست في الوقت ذاته شخصاً كلياً، أي الشخص الذي كان يكون للكلية فيه حقيقاً برآني، بل هذا الأمر إنما يقع خارج الحي العضوي<sup>(37)</sup>؛ لكن ذلك الشخص الكلي لما كان في - الحال شخص التشكلات الطبيعية، ليس هو بالوعي نفسه؛ فكيفانه من جهة ما هو شخص حي عضوي فردي ما كان يقع خارجه لو كان يكون ذلك الوعي.

[3. الحياة بما هي العقل العرضي] - إننا نرى إذاً قياساً أحد حديه هو الحياة الكلية بما هي كلية، أو بما هي الجنس، وأما الحد الثاني فهو عين الحياة، لكن كفرادي، أو كشخص كلي؛ أما الحد الأوسط فمركب من كليهما، حيث يتلوح (Scheint... zu schicken) الحد الأول ككلية متعينة، أو كنوع، والحد الآخر كفردية أصلانية أو فردية. - ولما كان هذا القياس ينتمي بالجملة إلى جانب التشكل، فهو إنما ينطوي كذلك على فهم ما يتم تمييزه كطبيعة لعضوية.

ما دامت الحياة الكلية بما هي ماهية الجنس البسيطة تنمي الآن من جانبها فروق المفهوم، وبما أنه لا بد لها أن تبين كسلسلة التعينات البسيطة، فهذه السلسلة إنما تمثل نسقاً من الفروق الموضوعية على نحو سياني، أو سلسلة عددية. وإذا كان العضوي وضع سابقاً - في الصورة التي للفردية - حيال هذا الاختلاف العري من الماهية الذي لا يتم ولا ينطوي على طبيعته الحية، - وإذا كان لا بد من قول الشيء نفسه في ما يتعلق باللاعضوي من وجه كل كيانه المبسوط في كثرة خاصياته، - فإن الشخص الكلي هو الذي ينبغي تفحصه الآن، لا من جهة كونه في حل من كل ترابط للجنس، بل أيضاً من جهة ما هو سطوة هذا الجنس. والجنس الذي يتفكك إلى أنواع بحسب تعينة العدد

(37) Das Organisch-lebendige، على الحصر: الحي عضويًا.



الكلية، أو الذي يمكن أن يتخذ عماداً لانقسامه التعيينات الفردية التي لكيانه، ومثاله الوجه، واللون، وما إليه، إنما يتكبد في هذا المسعى الهادئ عنف الجانب الذي للشخص الكلّي، أي الأرض، فذلك الشخص من جهة ما هو السالبة الكلية إنما يكرس ضد تنسيق الجنس الاختلافات كما تنطوي عليها الأرض في ذاتها، وهي التي تكون طبيعتها بفضل الجوهر الذي تنتمي إليه، غير الطبيعة التي للجنس. وهذا الفعل الذي للجنس إنما يصير إلى شاغل مقيّد تماماً لا يسعه أن يذهب فيه إلا ضمن عناصره الفعالة تلك، وذلك الشاغل المتقطعة أوصاله من كل جهة من جراء عنفوان<sup>(38)</sup> عين هذه العناصر إنما يصير مخروماً وفساداً.

الحاصل عن ذلك هو أنّ العقل لا يمكن أن يحدث للمعاينة العالقة بالكيان المتشكّل إلا من جهة ما هو بالجملة حياة، لكنها حياة لا تشتمل - على نحو حاقّ - في ذاتها عند ميزها على التسلسل والتمفصل العقليين، فليست هي بنسق الأشكال المتأسس بأركانه. - فلو انطوى الحد الأوسط - في قياس التشكّل العضوي - الذي يقع فيه النوع وحقيقته كشخصية فردية، على حدي الكلية الجوانبية والشخصية الكلية، لتضمن هذا الحد الأوسط عند حركة حقيقته العبارة والطبيعة اللتين للكلية، ولكان الربو الذي يتنسّق بنفسه. كذا يكون نسق تشكّلات الوعي بما هو حياة الروح المنتظمة في كلّ حداً أوسط للوعي بين الروح الكلّي وفرديته أو الوعي الحسيّ، - وهو النسق الذي نتعقب الفحص عنه هاهنا والذي يكون كيانه الموضوعي كتاريخ للعالم. ولكن الطبيعة العضوية لا تاريخ لها<sup>(39)</sup>؛ فهي إنما تسقط في - الحال من الكلّي

(38) Zügellose Gewalt، العنف الذي بلا عنان.

(39) قول هيغل في أنّ الطبيعة لا تاريخ لها من الأقوال الراسخة في النسق منذ دروس إيبنا. فلا يُسمَع في هذا الموضع على أنّه مجرد نقد لطبيعات شلنغ، بل هو قول في الفرق الجوهرية ما بين الطبيعة والروح وترسيخ للزمانية التي للروح من =

الذي لها، أي من الحياة، إلى فردية الكيان، أما لحظات التعينية البسيطة والحيوية الفردية المجتمعة في هذا الحقيق فلا تنتج الصيرورة إلا كحركة عرضية حيث تكون كل لحظة فعالة في القسم الذي لها، ويحفظ الكل، لكن هذا الحركان<sup>(40)</sup> يكون لذاته مقيداً بالنقطة التي له وحسب، لأن الكل لا يمثل فيها، وهذا الكل لا يمثل هاهنا لأنه لا يكون في هذا الموضع كالكل الذي لذاته.

وزائداً إلى أن العقل المعايين لا ينتهي إذاً في الطبيعة ا العضوية إلا إلى حدس نفسه بما هي بالجملة حياة كلية، فإن حدس ربوها وتحقيقها لا يحصلان له إلا وفق أنساق متباينة على نحو كليّ تماماً، وهذه لا يكمن تعيين ماهيتها في العضوي بما هو كذلك، بل في الشخص الكليّ؛ بل يحصل له ذلك الحدس ضمن هذه الاختلافات التي للأرض وبحسب التسلسلات التي يسعى فيها الجنس.

ما دامت كلية الحياة العضوية - في الحقيق الذي لتلك الحياة - تساقط (Herunterfallen..läßt) إذاً في - الحال من دون التوسيط الصادق والكائن - لذاته تحت حدّ الفردية، فإنه لا يكون أمام الوعي المعايين إلا التظن بما هو شيء؛ ومتى يحصل للعقل أن ينشغل باطل الانشغال بمعانية هذا الظن، فهو إنما يكون مقيداً بوصف وقصّ دقائق مقاصد الطبيعة وأهوائها. صحيح أن هذه الحرية التفهية والعرية من الروح التي للظن ستقدم في كلما موضع بعض فواتح للقوانين وآثار للضرورة وتلويحات بالنظام والتسلسل وصلات ظريفة وظاهرية. ولكن المعانية في ما يخص صلة العضوي بالاختلافات الكائنة للأعضوي - أعني العناصر والأقاليم

= حركات تعينه على مر الزمان: «فالروح إنما هو الزمان الذي يكون لذاته، وكذلك هو حرية الزمان» انظر ص 186، السطر 3 في: Hegel, *Jenaer Systementwürfe III*, *Naturphilosophie und Philosophie des Geistes (1805-1806)*.

(40) Regsamkeit، على معنى النشاط والحركة الدائنين.

والطقس - لا تجاوز بالنظر إلى القانون والضرورة حدّ القول بالتأثير الكبير<sup>(41)</sup>. وكذلك من الناحية الأخرى حيث لا تكون للشخصية دلالة الأرض، بل دلالة الواحد المحايث للحياة العضوية، لكن أين يمثل هذا الواحد حقاً في اتحاد بلا توسيط بالكليّ الجنس الذي لا تتعين وحدته البسيطة لهذه العلة على التدقيق إلا كعدد، فتترك الظاهرة الكيفية وشأنها، - لا يمكن المعاينة أن تذهب في ذلك إلى أبعد من الإشارات الحاذقة والصلات المهمة والتهليلات اللطيفة بالمفهوم. ولكن الإشارات الحاذقة ليست علماً بالضرورة، والصلات المهمة إنما تظلّ حبيسة الشاغل، أما الشاغل فلا يزال مجرد الرأي الذي للعقل، وأما اللطافة التي يلمح بها الشخصي إلى المفهوم فهي لطافة طفولية تكون صبيانية كلما شاءت وأوجبت تكريس شيء ما في ذاته ولذاته.

## 2. معاينة الوعي - بالذات في خلوصه وصلته بالحقيق

### البرانيّ؛ القوانين المنطقية والنفسية [20]

إنّ معاينة الطبيعة تجد المفهوم متحقّقاً في الطبيعة اللاعضوية، فهي تجد قوانين تمثّل لحظاتها أشياء تسلك في الحين ذاته كتجريدات؛ لكنّ هذا المفهوم ليس بساطة منعكسة في ذاتها. أما حياة الطبيعة العضوية فليست هي على العكس من ذلك سوى هذه البساطة المنعكسة في ذاتها، فالتقابل مع الذات بما هو التقابل بين الكليّ والفرديّ لا يتفكك في الماهية التي لهذه الحياة نفسها؛ فالماهية ليست الجنس الذي كان لينفصل ويتحرّك في عنصره العريّ من الفرق، فكان ليظّل في الوقت نفسه لذاته في تضاده ومن دون تباين. إنّ المعاينة لا تجد هذا المفهوم الحرّ الذي تنطوي كليته من وجه مطلق أيضاً على الفردية الراهية، إلا في المفهوم الموجود هو نفسه كمفهوم، أو في الوعي - بالذات.

(41) راجع الهامش رقم (16) ص 328 من هذا الكتاب.

[I. قوانين الفكر] - إنَّ المعايَنة من حيث تَؤوب الآنَ إلى نفسها وتَته صوب المفهوم الحاقِّ بما هو مفهوم حرٌّ، إنَّما تدركُ أولاً قوانين التفكير. والفردية التي يكونُها التفكير في حدِّ ذاته إنَّما هي حركة السلبِي التي أَسْرَدَتْ تماماً في البساطة، أما القوانين فتكون خارج الواقع. - فليس لها واقع، وليس معنى ذلك بالجملة سوى أنها تكون من دون حقيقة. صحيحٌ أنه ينبغي ألا تكون حقيقةً تامَّة، لكنَّها مع ذلك حقيقةً صورِيَّة؛ إلا أن الصوريَّ المحض الذي من دون واقع، إنَّما هو من كوائن العقل، أو هو التجريد الخاوي الذي لا يشتمل على الانفصام والذي ما كان ليكونَ غيرَ المضمون. - أما من الناحية الأخرى فهذه القوانين ما دامت قوانين التفكير المحض، لكن لَمَّا كان هذا الأخير في ذاته الكلِّي، إذا معرفةً تنطوي في - الحال على الكينونة وكلِّ واقع، فإن تلك القوانين هي مفاهيم مطلقة كما أنَّها بلا انفصال أيسيات الصورة كما الأشياء. ولَمَّا كانت الكلِّيَّة المتحرِّكة في ذاتها المفهوم البسيط المنفصم، فهذا المفهوم ينطوي من هذا الوجه على مضمونٍ يكون كلِّ مضمونٍ إلا الكينونة الحسيَّة. إنَّه مضمونٌ لا يكون في تناقض مع الصورة، ولا يكون البتَّة منفصلاً عنها، بل هو بالجواهر هي نفسُها، لأنَّ هذه ليست سوى الكلِّي المنفصل في لحظاته الخالصة.

لكن كما تكون هذه الصورة أو هذا المضمون على إضافةٍ للمعايَنة بما هي معايَنة، تستفيد تلك الصورة التعيّن الذي لمؤجدةٍ معطاة، أي مضموناً كائناً وحسب. وهذا المضمون إنَّما يصير كوناً من الصلات ساكناً، وكثرةً من الضرورات المفردة التي ينبغي أن تنطوي من جهة ما هي مضمون راسخ في ذاته ولذاته وفي التعيّنة التي لها، على حقيقة ما، فهكذا تكون في واقع الأمر مطروحةً من الصورة. - لكن هذه الحقيقة المطلقة التي للتعينيات الراسخة أو القوانين المتنوعة إنَّما تناقض الوحدة التي للوعي - بالذات، أو

وحدة التفكير والصورة بعامة. وما يُصاغ على أنه قانون دائم وراسخ في ذاته لا يمكنه أن يكون إلا لحظةً للوحدة المتفكّرة في ذاتها، ولا يهمل إلا كعظم زائل. ولكن إذا ما انتزع الفحص مثل هذه القوانين من ذلك السياق الذي للحركة وطرح كل قانون منها مفرداً، فليس المضمون هو الذي يعوزها حينئذ، لأنّه يكون له في الأكثر مضمون متعيّن، لكن تعوزها بالأحرى الصورة التي تمثّل ماهيتها. وهذه القوانين ليست في واقع الأمر حقيقة التفكير لا لعلّة أنّه ينبغي ألا تكون إلا صورية فلا يكون لها أي مضمون، بل في الأكثر للعلّة المتضادة مع تلك، أي لأنها ينبغي أن تجري - في التعينية التي لها، أو على التدقيق من جهة ما هي مضمون ما سُحبت منه الصورة - مجرى شيءٍ مطلق. لذلك كان يكون من اللازم من حيث تكون تلك القوانين لحظاتٍ زائلةً في وحدة التفكير أن تؤخّذ على الحقيقة التي لها كمعرفة، لكن لا كالقوانين التي للمعرفة. ولكن فعل المعاينة ليس المعرفة نفسها بحصر المعنى، فهو يجهلها، وإنما يقبل طبيعتها إلى شكل الكينونة، أي لا يحيط بسالبيتها إلا من جهة ما هي قوانين عين الكينونة. - وتكفي هاهنا الإشارة إلى عدم صلاحية قوانين الفكر المظنون فيها انطلاقاً من الطبيعة الكلية التي للأمر<sup>(42)</sup>. أمّا الشرح<sup>(43)</sup> الأقرب لهذا فإنّما ينتمي إلى الفلسفة التأملية حيث تظهر تلك القوانين على ما هي على الحقيقة، لاسيّما كالحظات فردية زائلة حقيقتها إنّما هي جملة الحركة التي للتفكير، أي العلم نفسه<sup>(44)</sup>.

(42) Sache، الأمر برأسه.

(43) Entwicklung، على معنى البسط والشرح.

(44) قارن: إستهلال (ص 150 من هذا الكتاب)، [في تحوّل الفكر إلى المفهوم]. وهذا أول تلويح هيجلي بالمعنى التأملّي الذي إستفاده علم المنطق في نسق إيننا، فصار الكفء النظري للفلسفة التأملية نفسها: تعقّب تعيينات الفكر على خلوصها وحركانها الجوّاني.

[II. القوانين النفسية] - إن هذه الوحدة السالبة للتفكير تكون لذاتها، أو هي بالأحرى كون - الذات - لنفسها خاصةً (Das Fürsichselbstsein)، مبدأ الفردية، وهي في واقعها الوعي الفعّال. لذلك فالوعي المعاین إنما يُساق من خلال طبيعة الأمر إلى ذلك الوعي الفعّال من جهة ما هو واقع تلك القوانين. وما دام هذا الاتساق لا يستقيم للوعي المعاین، فهو يظنّ أنّ التفكير في نظره إنما يظلّ - في قوائمه - على حدة، في حين أنّه يستفيد من الناحية الأخرى كينونة مغايرة عند الذي يكون له التفكير الآن موضوعاً، أعني الوعي الفعّال الذي يكون لذاته، على نحو أنّه ينسخ الكون المغاير، فيكون له حقيقة في حدسه هذا لذاته كأنّ لسليبي.

إنّ حقلاً جديداً يفتحُ إذاً للمعاينة عند التحقيق الفاعل الذي للوعي؛ فالبيسيكولوجيا تشتمل على زمرة من القوانين التي يسلك الروح بحسبها وعلى نحو متنوّع حيال الوجوه المتنوّعة التي لحقيقه من جهة ما هو كون مغايرٌ حاصلٌ بين يديه (Vorgefundenen) (Anderssein)؛ فمن ناحية أولى يستبطن الروح تلك الوجوه، فيصير مشاكلًا للعادات والسُنن ونمط التفكير كما توجد بين يديه، من جهة أنّها الذي يكون فيه الروح موضوع نفسه بما هو حقيق، - أمّا من ناحية أخرى فهو يعلم أنّه فعّال بفعل ذاتي حيال تلك الأمور، فلا ينتزع منها لنفسه - بحسب الميل والانفعال - إلّا الجزئيّ، ثمّ يجعل الموضوعيّ مشاكلًا له؛ فالروح إنّما يسلك إزاء نفسه على نحو سلبّيّ، فأما في الجانب الأوّل فيسلك من جهة ما هو فردية، وأمّا في الجانب الثاني فيسلك من جهة ما هو كينونة كلية. - فالقيمومة الذاتية لا تعطي - وفق الجانب الأوّل - لما هو حاصلٌ لذنيّ إلّا الصورة التي للشخصية الواعية بعامّة، أما في ما يتعلّق بالمضمون فإنّها تظلّ قابضة داخل التحقيق الكلّي الحاصل بين يديها؛ لكنّها تهب على الأقلّ - وفق الجانب الآخر - هذا التحقيق تحويلاً مخصوصاً لا يتناقض مع مضمونه الجوهرّي، أو حتّى

تحويلاً يتضادّ من خلاله الشخصُ بما هو حقيقٌ جزئياً ومضمونٌ مخصوصٌ وذلك الحقيق، - فيصير إلى الجريمة، سواء من حيث ينسخ ذلك الحقيق من وجوهٍ فرديةٍ، أو من حيث يفعل الشيء من وجه كليّ، ويفعله إذاً للجميع، فينتج عالماً مغايراً، وحقاً<sup>(45)</sup> مغايراً، وقوانين وسُنناً مكانَ التي تكون حاصلةً بين يديه.

إنّ البسيكولوجيا المعايينة التي تعرب أولاً عن إدراكاتها للوجوه الكليّة التي تصادفها حادثه عند الوعي الناشط، إنّما تجد ملكات وميولات وانفعالات شتى، وما دامت ذكرى الوحدة التي للوعي - بالذات لا تتلاشى عند تعديد هذه الجُمع، فلا بدّ لهذه البسيكولوجيا على الأقلّ أن تربو حدّ الاندهاش من كون مثل هذه الأشياء العرضية والمتنافرة والمتكثرة شديداً تجتمع في الرّوح كأنّ في كيس، وبخاصّةٍ لما تظهر لا كأشياء ميّنة وساكنة، بل كالحظات متقلّبة.

والمعايينة في إطار هذا التعديد المطوّل لتلك الملكات المتنوّعة إنّما تمثّل الجهة الكليّة؛ أمّا وحدة تلك القدرات المتكثّرة فتمثّل الجهة المقابلة لتلك الكليّة، أي الفردية الحاققة. - لكنّ الإحاطة بالفرديات الحاققة المتنوّعة وتعديدها على نحو أنّ هذا الشخص يميل أكثر إلى هذا الأمر، وذاك يميل أكثر إلى غيره، وأنّ هذا الشخص فهامٌ أكثر من غيره، إنّما يمثلان نشاطاً أقلّ أهميّة حتّى من تعديد أنواع الحشرات والطحالب وما إليه؛ فهذه إنّما يجوز فيها أن تتناولها المعايينة فرداً فرداً وعلى نحو عريّ من المفهوم، لأنّها إنّما تنتمي بالجواهر إلى عنصر الأفراد العرضي. أمّا تناول الفردية الواعية من جهة ما هي ظاهرة فردية كائنة تناولاً عرياً من الرّوح فهو على العكس من ذلك متناقضٌ من حيث إنّ ماهية الفردية إنّما هي الكليّة الذي للرّوح. لكن لما كانت الإحاطة

(45) على المعنى القانوني.

تُيسر لتلك الفردية في الوقت نفسه المثل على صورة الكلية، فهي إنما تجد قانون هذه الفردية، فتظهر حينئذ على أنها تمتلك مقصداً عقلياً وتشغل بشأن ضروري.

[III. قانون الفردية] - إن اللحظات التي تمثل مضمون القانون هي من ناحية الفردية ذاتها، وهي من ناحية أخرى طبيعتها اللاعضوية والكلية، ولاسيما ما يوجد حاصلًا من ظروف وأوضاع وعادات وسنن وديانة وما إليه؛ والفردية المتعينة ينبغي أن تفهم ابتداءً من هذه الأمور الحاصلة. وهذه الحاصلات إنما تنطوي على المتعين مثلما تنطوي على الكلّي، وتكون في الوقت نفسه من قبيل المعطى المائل الذي يعرض للمعينة ويفصح عن عنصره - من الناحية الأخرى - في الصورة التي للفردية.

عندئذ يجب أن يشتمل قانون العلاقة بين الجانبين على جنس الفعل والتأثير الذي تمارسه هذه الأوضاع المتعينة على الفردية. ولكن هذه الفردية إنما هي على التدقيق كونها من وجه سواء (Ebensowohl) الكلّي، وأن تلتقي بالكلّي المائل بين يديها والسنن والعادات وما إليه بلا توسط وعلى نحو ساكن، ثم تشاكلها، بدل أن تسلك حياؤها من وجه مضاد لها، أو في الأكثر أن تعكسها، - مثلما تسلك حياؤها في فرديتها على نحو سيانيّ تماماً، فلا تترك لها المجال لتؤثر فيها، ولا هي تكون فعالة فيها. ولهذه العلة فما ينبغي أن يكون له تأثير على الفردية وأي تأثير يكون له - وهذا يعني في الأصل الشيء نفسه - لا يتعلق إلا بالفردية نفسها؛ أما كون هذه الفردية قد صارت بذلك هذه المتعينة، فذلك لا يعني غير أنها قد أضحت بعد ذلك (Ist dies schon gewesen). فالظروف والأوضاع والسنن الخ.. التي يتم إظهارها من ناحية على أنها ماثلة هاهنا، ويشار إليها من ناحية أخرى على أنها تكمن في هذه الفردية المتعينة، لا تعبر إلا عن الماهية اللامتعينة التي لنفس الفردية، وهي التي لا شأن لنا بها



في هذا الموضوع. ولو لم تكن هذه الأوضاع وهذا الجنس من التفكير وهذه السنن ووضع العالم بعامّة، ما كان الفرد مطلقاً ليصير ما هو؛ لأنّ جميع ما يوجد في وضع العالم هذا إنّما يكون هذا الجوهر الكلّيّ. - أمّا النحو الذي به صار وضع العالم جزئياً (Sich partikularisieren) في هذا الفرد - وهذا الأخير هو ما ينبغي فهمه -، فلا بدّ أنّه كان يكون صار جزئياً في ذاته ولذاته، فيكون ضمن هذه التعينيّة التي يستعطيها قد أثر في فردٍ ما؛ كذا فقط كان يكون جعل منه هذا الفرد المتعيّن الذي هو ما هو. وإذا كان البرّانيّ في ذاته ولذاته على هذه الصفة مثلما يظهر عند الفردية، كانت هذه لتفهم انطلاقاً منه. عندئذ كانت تكون عندنا مجموعتا صور، كانت إحدهما لتكون ظلّاً منعكساً (Widerschein) للأخرى؛ فأما إحدهما فهي مجموعة التعينيّة والتقييد التامين للأوضاع الخارجية، وأما الأخرى فهي المجموعة عينها وقد حوّلت إلى الضرب الذي تكون على نحوه في الماهية الواعية؛ فأما تلك فهي سطح الكرة، وأما هذه فهي نقطة المركز التي تتمثل في داخلها تلك الأوضاع.

ولكن سطح الكرة، أي عالم الفرد، تكون له في - الحال الدلالة المزدوجة، أعني كونه عالماً ووضعاً كائنين في ذاتيهما ولذاتيهما، والعالم الذي للفرد، إمّا من حيث إنّ هذا الفرد كان ليختلط به، فيجعل هذا العالم يدخّل فيه، فلا يكون سلك حياله إلاّ كوعي صوريّ، - وإمّا أنّه عالم الفرد من الوجه الذي به يكون الفرد قلب المائل بين يديه. - ولما كان الحقيق بسبب هذه الحرّية قادراً على امتلاك هذه الدلالة المزدوجة، فعالم الفرد ينبغي أن يُفهم انطلاقاً من الفرد نفسه وحسب، وتأثير الحقيق على الفرد - [2] وهو التأثير الذي يُتمثل كائناً في ذاته ولذاته - إنّما يستفيد من خلاله المعنى المضادّ على الإطلاق، أي إمّا أن يترك الفرد الحقيق يفعل فيه على مجراه المرسل من دون حائلٍ، وإمّا أن

يقطعه فيعكسه. ولكن هذا يجعل من الضرورة النفسية لفظاً خاوياً إلى حدّ أنّه في ما يتعلّق بما كان ينبغي له أن يؤثّر هذا التأثير، يمثّل الإمكان المطلق في أنّه كان يكون أيضاً عديم التأثير.

حينئذ يسقط ويزول الكون الذي كان ليكون في ذاته ولذاته، وكان ليمثّل أحد جانبي القانون، ولاسيّما الجانب الكلّي؛ فالفردية إنّما تكون ما يكون العالم الذي لها، من جهة ما هو لها؛ فهي نفسها دور فعلها حيث بانّت لنفسها بما هي حقيق، إنّ هي على الإطلاق إلّا وحدة الكينونة الماثلة بين يديها والكينونة المعمولة؛ وهي وحدة لا يقع جانبها أحدهما خارج الآخر كما في تمثّل القانون النفسي، أحدهما كالعالم الماثل في ذاته والآخر كالفردية الكائنة لذاتها، أو بمعنى آخر إذا ما اعتبرنا الجانبين كلّاً لذاته، فإنّه ما من ضرورة ولا قانون لصلة الواحد منهما بالآخر يكون ماثلاً هاهنا.

### 3. معاينة الوعي - بالذات في صلته بحقيقه الذي في - الحال؛ فيزيونومينا<sup>(46)</sup> وفرينولوجيا<sup>(47)</sup>

إنّ المعاينة النفسية لا تدرك أيّ قانون لعلاقة الوعي - بالذات بالحقيق، أو بالعالم المتضادّ معه، فتساق من جرّاء سيّانية كلّ طرف منهما حيال الآخر إلى التعيّنية الخاصّة بالفردية الواقعية التي تكون في ذاتها ولذاتها، أو التي تشتمل في التوسيط المطلق الذي لها على إلغاء التقابل بين الكون - لذاته والكون - في - ذاته، فالفردية هي الموضوع الذي صار الآن موضوع المعاينة، أو هو الذي تمرّ إليه المعاينة.

(46) عبارة يونانية، دخلت اللاتينية في المنتصف الثاني من القرن السادس عشر، وتدلّ على العلم الذي غرضه تقييد طباع الأشخاص بحسب سمات الوجه.

(47) عبارة يونانية الأصل (Φρενός-Φρήν): أي الفكر والوجدان) وتدلّ على العلم الذي غرضه دراسة الملكات والطباع بحسب الشكل الذي للجمجمة.

إنَّ الفرد يكون في ذاته ولذاته: إنّه لذاته أو هو فعلٌ حرٌّ؛ لكنّه أيضاً في ذاته، أو هو نفسه له كونهً أصليّ متعيّن، - تعينيّةٌ هي من حيث المفهوم عينٌ ما تتبغى البسيكولوجيا إدراكه (Finden) [20] خارج الفرد. وعليه فالتقابل إنّما ينجُم عند الفرد ذاته، وهو كونه هذا المزدوج، أي كونه حركةً الوعي والكينونة الرّاسخة التي لحقيقٍ مظهرٍ يكون في - الحال الحقيقي الذي له. وهذه الكينونة، أو الجسد المتعيّن الذي للفردية، إنّما هي أصلائيّة (Die Ursprünglichkeit) عين الفردية، وكونها لم تفعل بعد. ولكن ما دام الفرد في الوقت نفسه ما فعل وحسب، فجسده إنّما هو أيضاً عبارةً ذاته التي أنتجها بنفسه؛ وهو في الحين ذاته علامةٌ لم تظَلْ شأنًا في - الحال، بل هي المحلّ الذي لا يقدّم فيه معرفةً ما يكون إلا على معنى استخدامه لطبيعته الأصلية.

إذا تفحصنا اللّحظات الماثلة هاهنا في صلتها بالنظرة الفاتئة لبان أنّه ثمة في هذا الموضع شكل إنسانيّ كليّ، أو على الأقلّ شكلٌ كليّ لمناخ ما، لجزء من العالم، لشعب ما، مثلما كانت لدينا في ما سبق عين السُنن والثقافة الكلية. وتنضاف إلى هذه الأمور الظروف والأوضاع الجزئية التي تحصل ضمن الحقيق الكليّ؛ وذلك الحقيق الجزئيّ إنّما يكون في هذا الموضع من قبيل التكوين (Formation) الجزئيّ لشكل الفرد. - أمّا من الناحية الأخرى فكما أنّ الفعل الحرّ الذي للفرد والحقيق من جهة ما هو الذي له كانا وُضعا في ما فات حيال الحقيق المائل أمامه، فالشكل إنّما يقوم في هذا الموضع من جهة ما هو عبارة التحقّق الذي للفرد والذي يضعه هو نفسه، إنّه القسّمات والصور التي لماهيته الفعّالة. ولكنّ الحقيق الذي يكون كلياً مثلما يكون جزئياً وأدركته المعاينة سابقاً خارج الفرد، إنّما هو في هذا الموضع الحقيق الذي لعين الفرد، جسده الذي بالجبلة؛ فالعبارة التي

تنتمي إلى فعل الفرد إنما تقع على الحضر في هذا الجسد. إنَّ الحقيق الكائن في ذاته ولذاته والفردية المتعينة ينبغي أن يوصل أحدهما بالآخر في المعاينة البسيكولوجية؛ أما في هذا الموضع فالفردية المتعينة كلها هي التي تكون موضوع المعاينة؛ وكلَّ جانب من التقابل الذي لهذا الموضوع يكون هو نفسه ذلك الكلُّ. وعليه فليس ينتمي إلى الكلِّ البرانيِّ الكونُ الأصليُّ أو الجسد الذي بالجلَّة وحسب، بل كذلك تكوينُ عين الجسد الذي ينتمي إلى نشاط الجوانيِّ؛ فهذا الجسد إنما هو وحدة الكينونة اللامتكوِّنة والكينونة المتكوِّنة، وهو حقيق الفرد الذي ينفذ فيه الكونُ - لذاته. وهذا الكلُّ الذي يشتمل على الأجزاء الثابتة والأصلية والمتعينة والقسمات التي تنجم فقط عن الفعل إنما يكون، وهذه الكينونة إنما هي عبارةُ الجوانيِّ والفرد الذي يوضع من جهة ما هو وعيٌّ وحركةٌ. - وكذلك هذا الجوانيِّ لم يعدَّ النشاط الذاتيِّ الصوريِّ والعريِّ من المضمون أو اللامتعيَّن الذي كان مضمونه ولاتعينيته ليقعاً - كما في السابق - في الظروف الخارجية، بل إنما هو طبعُ أصلائيِّ ومتعيَّن في ذاته صورتهُ إنما هي النشاط وحسب. وعليه فالعلاقة إنما تُتفحصُ هاهنا ما بين هذين الجانبين حتى يبين كيف يتم تقييدها وما الذي ينبغي أن يفهم من هذه العبارة التي للجوانيِّ في البرانيِّ.

[I. الدلالة الفيزيونيومية للأعضاء] - إنَّ هذا البرانيِّ لا يجعل الجوانيِّ في بادئ الأمر مرثياً إلا من جهة ما هو عضو، أو هو يجعل منه بالجملة كوناً لمغاير؛ لأنَّ الجوانيِّ من حيث يكون في العضو إنما هو النشاط نفسه، فالفهم المتكلم واليد العاملة - وإذا شئنا أضفنا إليها الساقين - إنما هي الأعضاء المحققة والمنجزة التي تنطوي على الفعل من جهة ما هو فعلُ (Das Tun) أو على الجوانيِّ؛ أما البرانية التي يحصلها الجوانيِّ

بمعية هذه الأعضاء فإنما هي الفعلة<sup>(48)</sup> من جهة ما هي حقيقٌ منفصلٌ عن الفرد. واللغة والعمل إنما هما خراجاتٌ لم يعد الفرد فيها يصون نفسه ويملك ناصيته داخل نفسه، وإنما يترك الجواني على حله ليحدث تماماً خارجة، فيهمله لغيره. ولهذه العلة يمكننا أن نقول أيضاً إن تلك الخراجات تعبر شديداً التعبير عن الجواني مثلما تعبر عنه تعبيراً حسيراً؛ فهي تعبر عنه شديداً لأن الجواني نفسه إنما ينبثق فيها حتى إنه لا يبقى تقابلٌ بينها وبينه، فهي لا تقدم عبارة عن الجواني وحسب، بل تقدم في - الحال الجواني نفسه؛ وهي تعبر عنه تعبيراً حسيراً، لأن الجواني يجعل من نفسه في اللغة والعمل شيئاً مغايراً، فينساق بذلك إلى عنصر التبدل الذي يقرب الكلمة المنطوقة والفعل المنجز، فيجعل منهما بذلك شيئاً مغايراً لما يكونان في ذاتيهما ولذاتيهما بما هما أعمال هذا الفرد المتعين. وآثار الأعمال لا تفقد من جراء تلك البرانية المتأية من العناصر المغايرة مجرد الطابع الذي لكون شيء يبقى ويدوم حيال الفرديات الأخرى، بل يمكن أن تكون هذه الآثار من جهة ما هي شيءٌ جوانيٌ وبمعية الفرد نفسه على غير ما تظهر عليه ما دامت تسلك حيال الجواني الذي تنطوي عليه كبرانيٌ سيانيٌ ومفردٌ، - فإما أن يجعل منها الفرد عنوةً لأجل الظاهرة شيئاً مغايراً لما هي على الحقيقة، - وإما أن يكون الفرد سيئ التدبير حتى يعطي لنفسه الوجه البراني الذي ينشده في الأصل فيرسخه لكي لا يصير أثره معكوساً من غيره. وعليه فالفعل من جهة ما هو أثرٌ منجزٌ إنما تكون له الدلالة المزدوجة والمتضادة، فإما أن يكون الفردية الجوانية فلا يكون عبارتها، وإما أن يكون من جهة ما هو برانيٌ حقيقاً في حل من الجواني، أي حقيقاً مغايراً تماماً لهذا الجواني. - ويجب عن هذا الالتباس أن نتلفت قبل الجواني حتى

[20] Die Tat (48) : الفعلة أو الصنيع.

نعلم كيف يكون بعدُ عند الفرد نفسه، لكن على نحو مرئي أو برآني. ولكنَّ الجَوَانِيَّ يكون في العضو من جهة ما هو الفعل نفسه الذي في - الحال وحسب، وهو الذي يبلغ برآنيته في الصنيع الذي يمثل الجَوَانِيَّ أو لا يمثله؛ فالعضو إذ يُعْتَبَر بحسب هذا التقابل لا يصونُ العبارة التي نتعقب.

إذا كان الآن بإمكان الشكل البرآني وحده من حيث لا يكون عضواً أو فعلاً، فيكون عندئذ ككل ساكن، أن يعبر عن الفردية الجوانية، فإنه يسلك إذاً مسلك شيء دائم قد يستفيد في كيانه المنفعل وعلى نحو هادئ الجوانية كشيء غريب، فكان يكون بذلك الأمانة على عين الجوانية، - عبارة برآنية وعرضية يكون وجهها الحاق لذاته عرياً من الدلالة، - ولغة ليست أصواتها وترابط أصواتها من قبيل رأس الأمر، بل تكون موصولة به عبر الاختيار الحر، إن هي بالنسبة إلى رأس الأمر إلا أموراً عرضية.

إن مثل هذا الوصل الاعتباري لهذا الجنس من العناصر التي يكون بعضها برآنياً لبعض لا يقدم أيما قانون. ولكن ينبغي أن تختلف الفيزيونيومينا عن بقية الصناعات الفاسدة والمباحث السقيمة من حيث تتفحص الفردية المتعينة ضمن التقابل الواجب بين جواني وبرآني، وبين الطبع بما هو ماهية واعية وبين عين الطبع بما هو شكل كائن، ثم تصل هذه اللحظات بعضها ببعض على نحو أنها تكون موصولة بحسب المفهوم الذي لها، فيجب فيها لذلك أن تكون مضمون قانون ما. أما في علم التنجيم وقراءة الكف والعلوم التي من هذا القبيل فإن البرآني وحده هو الذي يكون - على العكس - موصولاً بالبرآني، أي إن أي شيء اتفق يوصل بشيء غريب عنه، فهذه الكوكبة من النجوم بعينها عند الولادة، وإذا كان هذا البرآني قريباً من الجسد نفسه: هذه الخطوط التي لليد، إنما هي لحظات برآنية بالنسبة إلى مدة الحياة -

طالت أم قصرت - وإلى قدر الإنسان الفرد بالجملة. وهذه  
الأمر من جهة ما هي برّانيات إنّما تكون سيّانية بعضها حيال [21]  
بعض، فلا تستقيم بينها الضرورة التي ينبغي أن تكمن في صلة  
برّانيّ بجوانيّ<sup>(49)</sup>.

صحيح أن اليد لا تبدو على أنّها شيء برّانيّ شديداً بالنسبة  
إلى القدر، بل تظهر في الأكثر على أنّها تسلك حياله مسلك  
جوانيّ. لأنّ القدر بدوره ليس سوى ظاهرة ما تكون الفرديّة  
المتعيّنة في ذاتها من جهة ما هي تعيّن أصلاية وجوانية. - أمّا  
معرفة ما هي الفرديّة في ذاتها فالمنجم كمثل الفيزيونوميني أيضاً  
إنّما يلجان تلك المعرفة من وجه أقصر من الذي يقضيه سولون  
على سبيل المثال، وهو الذي كان يحسب أنّه ليس بإمكانه  
الوقوف على ذلك إلا ابتداءً من مجرى الحياة ومن بعد استيفائها  
كلّها، فهو إنّما كان يتفحص الظاهرة، أمّا المنجم والفيزيونوميني  
فإنّما يتفحصان الفي - ذاته. أمّا أنّه يجب أن تعرض اليد الفي -  
ذاته الذي للفرديّة بالنظر إلى قدرها، فذلك أمر تيسّر رؤيته من  
جهة أنّها تمثّل - إذ تحذو حذو عضو النطق - ما به يأتي الإنسان  
على الظاهرة والتحقيق، فاليد هي الصانع المتنفّس لسعادته؛  
ويمكن أن نقول فيها إنّها تكون ما يفعل الإنسان، لأنّه يكون  
حاضراً فيها - من جهة ما هي العضو الناشط والفعال في اكتماله  
الذاتيّ - كالذي ينفخ من روحه (Als Besselender)، وما دام  
الإنسان في الأصل قدره الخاصّ، فإنّ اليد ستعبّر إذاً عن ذلك  
الفي - ذاته.

(49) يحيل هيغل في هذا الموضع إلى ما سعى إليه يوهان كاسبار لافاتير في

ترسيخ علمية الفيزيونومينا؛ انظر: Johann Caspar Lavater: *Von der Physiognomik* (Leipzig: Wiedmanns Erben und Reich, 1772), and *Physiognomische Fragmente, zur Beförderung der Menschenkenntnis und Menschenliebe. Erster [-vierter] Versuch. Mit vielen Kupfern* (Leipzig: Wiedmanns Erben und Reich, 1772).

إنَّ الحاصل عن هذا التعيين المتمثل في أنَّ عضو النشاط  
 إنّما هو في حدّ ذاته كينونةٌ بقدر ما هو فعلٌ، أو أنّ الكونَ -  
 في ذاته الجوّانيّ نفسه حاضرٌ في العضو ويمتلك فيه كوناً  
 مغايراً، إنّما هي نظرةٌ لعين العضو مغايرة للنظرة الفاتئة. أعني  
 على التدقيق أنّه إذا كانت الأعضاء بالجملة ظهرت كأنّها ليس  
 يمكن أن تؤخّذَ على أنّها عباراتٌ للجوّانيّ، لعلّة أنّ الفعل من  
 جهة ما هو فعلٌ حاضرٌ فيها، في حين أنّ الفعل من جهة ما هو  
 صنيعٌ يظلّ برآنيّاً وحسب، فيقع على هذا النحو الجوّانيّ والبرآنيّ  
 أحدهما خارج الآخر، ويكون أحدهما - أو يمكن أن يكون -  
 غريباً عن الآخر، فإنّه يجب كذلك - وفق التعيين الذي تفحصنا -  
 أن يؤخذ العضو من جديدٍ مأخذ الحدّ الأوسط الذي للطرفين  
 كليهما، ولاسيّما من جهة أنّ حضور الفعل عند العضو هو الذي  
 يمثل في الحين ذاته برآنيّةً لعين ذلك الفعل، أعني برآنيّةً مغايرةً  
 بلا ريب للتي هي الصنيع، فتلك البرآنيّة إنّما تدوم بالنسبة إلى  
 الفرد وعنده. - هذا الحدّ الأوسط ووحدة الجوّانيّ والبرآنيّ إنّما  
 يكونان الآن وقبل كلّ شيء برآنيّين أيضاً؛ لكن من بعد ذلك  
 تُلْتَقَطُ هذه البرآنيّة في الوقت نفسه ضمن الجوّانيّ؛ ثمّ تواجه بما  
 هي برآنيّةٌ بسيطةٌ البرآنيّة المتشتمّة، وهذه إمّا تكون مجرد أثرٍ أو  
 وضع فرديٍّ وعرضيّ بالنسبة إلى الفردية كلّها، وإمّا تكون من  
 جهة أنّها برآنيّةٌ بسارها القدر المتشظّي إلى كثرةٍ من الآثار  
 والأوضاع. وعليه فالخطوط البسيطة التي لليد، وكذلك رتّة  
 الصوت ومداه من جهة ما هي التعينيّة الفردية التي للغة، -  
 وكذلك عين اللّغة بدورها من حيث تحصل بمعيّة اليد وجوداً  
 أرسخ من الذي يكون لها بالصوت، والكتابة، لاسيّما في ما  
 تختصّ به ككتابة مخطوطة باليد، - كلّ هذه الأمور عبارةً  
 للجوّانيّ، على نحو أنّ هذه العبارة بما هي برآنيّةٌ بسيطةٌ إنّما  
 تسلك من جديد مسلك جوانيّ حيال البرآنيّة المتكثّرة الوجوه



التي للعمل والقدر. - وعليه فإذا اعتُبرت في أول الأمر الطبيعة المتعيّنة والخصيصة التي للفرد بالجبلّة - مقترنتين بما صارتا إليه بمعية الثقافة - كجوانبي، أي كالماهية التي للعمل والقدر، فالفرد إنّما تستقيم له ظاهرته وبرآنيته أولاً في الفم واليد والصوت والكتابة اليدوية كما في سواها من الأعضاء وتعيّنتها المتبقية؛ ثم من بعد ذلك فقط يعبر عن ذاته قُدماً نحو الخارج وضمن حقيقه في العالم.

لَمَّا كان هذا الحدّ الأوسط تعيّن الآن كخراج آب في الوقت نفسه إلى الجوانبي، فإنّ كيانه لا يكون مقيداً بالعضو المباشر للفعل، إنّما هو في الأكثر الحركة والصورة اللتان للوجه والتشكّل بعامة واللّتان لا تنجزان شيئاً. وهذه القسمات وحركتها إنّما هي وفق هذا المفهوم الفعل المحفوظ والباقي عند الفرد، أمّا وفق صلة الفرد بالفعل الحاقّ فهي المراقبة والمعانة الخاصّتان بعين الفعل، الخراج بما هو انعكاس على الخراج الحاقّ. - ولذلك لا يكون الفرد أصمّ عند (Zu und bei) فعله البرآني، لأنّه في ذلك إنّما يكون في الوقت نفسه منعكساً في ذاته، ويُخرج هذا الكون المنعكس في ذاته؛ وهذا الفعل النظريّ أو اللّغة التي يمارسها الفرد مع نفسه في هذا الصدد، إنّما هو أمر يسمعه الآخرون ويفهمونه، لأنّه هو نفسه خراج.

[II]. إلتباس الدلالة الفيزيونوميّة للأعضاء] - وعليه فالكون - المنعكس الذي للفرد إنّما يُتفحص - في هذا الجوانبي الذي يظلّ في خراجه جوائياً - انطلاقاً من الحقيق الذي له، وينبغي أن نرى على أيّ حال يكون مع هذه الضرورة التي وُضعت في هذه الوحدة. - فهذا الكون - المنعكس إنّما هو أولاً مباين للفعل نفسه، [21] ويمكن إذاً أن يكون شيئاً مغايراً، فيؤخذ مأخذ شيء مغاير لما يكونه الفعل؛ إنّنا نتبيّن ممّا يرتسم على محيا المرء إذا ما كان يحمل محمل الحدّ ما يقول أو يفعل. - لكن على العكس من ذلك

هذا الذي ينبغي أن يكون عبارةً الجوّانيّ إنّما هو في الوقت ذاته عبارةً كائنةً، فيقع عندئذ هو نفسه ضمن التعيين الذي للكينونة التي تكون عرضيّة على الإطلاق بالنسبة إلى الماهية الواعية - بذاتها. وبحقّ ما يكون لذلك عبارةً، لكنّه في الوقت ذاته كمثل علامةٍ وحسب، حتّى إنّ الصفة التي من خلالها يتمّ التعبير عنه إنّما تكون سيّانيّةً تماماً بالنظر إلى المضمون المعبر عنه؛ فالجوّانيّ في هذه الظاهرة إنّما يكون حقّاً لامرئياً مرئياً، لكن من دون أن يكون مرتبطاً بها؛ إذ من الممكن أن يكون كذلك في ظاهرة مغايرة، كما يمكن أن يكون جوّانيّ مغايرٌ في نفس الظاهرة. - ولذلك فَلِشْتِنبِرْغُ على حقّ حين يقول: هبّ أنّ الفيزيونوميّ كان أفلح ذات مرّة في الإحاطة بالإنسان، فحسبُ هذا الأخير أن يقرّ العزم بإصرار حتّى يتعدّر فهمه لمُدّة آلاف السنين<sup>(50)</sup>. - فكما أنّ الأحوال القائمة كانت في العلاقة الفاتنة شيئاً كائناً تلتقط منه الفرديةً لنفسها ما كان بوسعها وما كانت تشاء، إمّا بالانسياق إليه وإمّا بعكسه، وتلك هي العلة في أنّ ذلك الكائن لم يكن ينطوي على الضرورة والماهية اللتين للفردية، - كذلك هو في هذا الموضع الكونُ المظهِر والحاليّ الذي للفردية: إمّا يعبر عن كونها - المنعكس انطلاقاً من الحقيق كما عن كونها داخل ذاتها، وإمّا يكون بالنسبة إليها مجردَ علامةٍ سيّان عندها ما تلوّح به، ولذلك فهي لا تلوّح على الحقيقة بأيّ شيء؛ فهو بالنسبة إليها وجهها مثلما هو قناعها الذي يمكنها أن تُسقطه. - والفردية إنّما تلج شكلها، وتتحرك وتتكلّم فيه؛ أمّا هذا الكيان كلّه فإنّما يتعدّى ويقابل من جهة أنّه كونٌ سيّانيّ الإرادة والعمل؛ والفردية إنّما تلغي فيه الدلالة التي كانت له من قبل، أعني أنّها كانت تمتلك فيه كونها المنعكس داخل ذاتها أو

(50) انظر ص 35، الطبعة الثانية المهدّبة من: Georg Christoph

Lichtenberg, *Über Physiognomik* ([n. p.: Guttengen], 1778).

ماهيتها الصادقة، بل هي بالعكس تضع في الأكثر هذه الماهية في الإرادة والفعل.

إنّ الفردية تتخلّى عن ذلك الكون - المنعكس في داخله الذي تفصحُ عنه القسماتُ، وتضع ماهيتها في الأثر. وهي في ذلك إنّما تناقضُ الرابطة التي كان وطلّدها العقل الغريزيّ الذي يسكنُ إلى معاينة الفردية الواعية - بذاتها من جهة ما ينبغي أن يكون جوائنّها وبرائيتها. وزاوية النظر هذه إنّما تقودنا إلى الفكرة الخاصة والأصلية التي تمثل عماد العلم الفيزيونيوميّ - إذا جازت عبارة العلم في هذا الموضع - فالتقابل الذي آلت إليه هذه المعاينة إنّما هو من حيث الصورة تقابل العمليّ والنظريّ، مع أنّ هذين الطرفين يوضعان على الحقيقة في العمليّ، - تقابل الفردية المتحققة في الممارسة - التي تُحمل على معناها الأكثر كلفةً - وعين الفردية كما تنعكس في ذاتها في الحين نفسه ضمن هذه الممارسة وخارجها، إذ تكون هذه موضوعها. والمعاينة إنّما تتناول هذا التقابل وفق عين الرابطة المعكوسة حيث يتعيّن التقابل في الظاهرة؛ فالصنيع نفسه والأثر هما اللذان يجريان عند هذه المعاينة مجرى البرانيّ العربيّ من الماهية، سواءً أكان صنيع اللّغة أو صنيع حقيقيّ أكثر توطداً؛ أمّا ما يجري مجرى الجوانّي ذي الماهية فإنّما هو كون الفردية داخل ذاتها. أمّا ما تصطفيه المعاينة جوائناً صادقاً من بين الجانبين اللذين ينطوي عليهما الوعي العمليّ، أعني بين القصد والفعل، - وبين الرأي في العمل والعمل نفسه - فإنّما هو ذلك الجانب [الأول]، - فهذا الجوانّي ينبغي أن يكون له خراجه العربيّ من الماهية بحسب التقريب عند الصنيع، أمّا خراجه الصادق فيكون عند الشكل الذي له. وهذا الخراج الأخير إنّما هو حضور حسّيّ وفي - الحال للروح الفرديّ؛ والجوانية التي ينبغي أن تكون الصادقة إنّما هي خصيصة النية والفردية التي للكون - لذاته؛ وكلاهما يكونان الروح من حيث يُظنُّ فيه أنه الروح. وعليه فما

تختصّ به المعاينة من موضوعاتٍ إنّما هو الكيانُ المظنون فيه<sup>(51)</sup>، وهي إنّما تتعقّب القوانينَ ضمنَ هذا الجنس من الكيان.

إنّ الرأي الذي في - الحال بصدد الحضور المظنون فيه الذي للروح هو الفيزيونيومينا الطبيعية، إنّ الحكم المعجّل في الطبيعة الجوانية والطابع الذي لشكلها حينَ نلاحظها لأوّل وهلة. والموضوع الذي لهذا الرأي إنّما هو من جنس الذي يكمن على الحقيقة في ماهيته شيءٌ مغايرٌ لما هو مجردٌ كونٍ حسّيّ وفي - الحال. وبحقّ ما يحضّر هاهنا أيضاً هذا الكونُ المنعكسُ - في - ذاته انطلاقاً من المحسوس وفيه، فيكون ترائي اللامرئيّ بما هو تراءٍ موضوعَ المعاينة. ولكنّ هذا الحضورَ الحسّيّ وفي - الحال إنّما هو الحقيقيُّ الذي للروح كما يكون في نظر الرأي وحسب؛ أمّا المعاينة فتشتغل وفق هذا الجانب بالكيان المظنون فيه الذي<sup>h</sup> للروح وبالفيزيونيومينا والكتابة اليدويّة ورثة الصوت وما إليه. - إنّها تصل على التدقيق مثل هذا الكيان بمثل ذلك الجوانيّ المظنون فيه، فليس القاتل ولا السارق ما يجب التعرّف عليه، بل القدرة على أن يكون المرء ذلك أو هذا؛ والتعيّنية المجردة الراسخة إنّما تهلك داخلَ التعيّنية المتجسّدة واللامتناهية التي للشخص الفرد، وهذه التعيّنية تقتضي حينئذٍ رسوماتٍ وصفيةً أكثر مهارةً من تلك المؤهلات. صحيحٌ أنّ مثل تلك الوصفيات (Qualifikationen) أبلغ من التقييد الكيفي من خلال ألفاظ «السراق» و«القتلة»، أو كذلك «السمح الخلق» و«الظاهر» إلخ، لكنّها بالنسبة إلى ما تُقصد إليه، أعني الكونَ المظنون فيه، أو الشخص الفرد، لا تفيد شديداً كفاية الأمر؛ كذلك وصفيات المنظر لا تفيد الشيء الكثير حين تجاوز الجبين العريض والأنف الطويل وما شاكل ذلك؛ لأنّ الشكلَ الفرديّ مثله مثل الوعي -

(51) Gemeintes Dasein، أي الكيان الذي يحصّل بظنٍّ وعن رأي.

بالذات الفرديّ يكون من جهة ما هو كونٌ مظنونٌ فيه عصيّ القول. ولذلك فعلمُ المعرفة بالإنسان الذي غرضه الإنسان من جهة يُظنّ فيه، مثله مثل علم الفيزيونيومينا الذي غرضه الحقيق المظنون فيه الذي للإنسان، ويلتمس أن يرفع الأحكام العريّة من الوعي التي للفيزيونيومينا الطبيعيّة إلى مصافّ العلم، إنّما هو شأنٌ بلا منتهى ولا أساس (End-und Bodenloses) لا ينتهي البتّة إلى قول ما يُظنّ ويرتئي، لأنّه إنّما يُظنّ وحسب، ومضمونه إنّما هو مظنونٌ فيه وحسب.

إنّ القوانين التي يلتمس هذا العلم إدراكها تتمثّل في الصلات القائمة بين هذين الجانبين اللّذين يحصلهما عن ظنّ، ولا يمكن أن تكون هي نفسها لهذه العلّة سوى رأيٍ خاوٍ. وزائداً إلى ذلك أنّ هذه المعرفة التي تشتغل على الحقيق الذي للروح لَمّا كانت تتعاطى مباشرةً موضوعها من جهة أنّه ينعكس على نفسه خارج الكيان المحسوس، فيكون عنده الكيان المتعيّن عرضيّةً سيّانيّةً، فإنّه يجب أن تعلم في - الحال أنّها لا تفيد شيئاً مع قوانينها التي حصّلتها، بل إنّها لا تأتي في الأصل إلّا محضّ ثرثرة، أو إنّ أحدهم لا يقدم إلّا رأياً عن نفسه؛ عبارةً إنّما تكمن حقيقتها في الإفصاح عن نفس الشيء من الوجه التالي: أن يقول أحدهم رأيه، فلا يقدم رأس الغرض، بل رأياً عن شخصه وحسب. أمّا من حيث المضمون فلا يمكن أن تتميّر تلك المعايّنات من التالية: «ينزل المطر كلّما حان عندنا موعد المعرض السنويّ، كما يقول الحانوتيّ؛ وكذلك كلّ مرّة أضع الغسيل ليجفّ، كما تقول مدبّرة البيت».

كذا يقول لشتنبرغ الذي يسم المعايّنة الفيزيونيوميّة على هذا النحو: [214] «إذا كان أحدهم قال لآخر: «إنك تأتي حقاً عمل إنسان شريف، لكنّي أرى على وجهك أنّك تغالب نفسك على ذلك، وأنك تبيّت نيّة خبيثة»، فالحقيقة التي تدوم حتّى نهاية العالم هي

أن أي امرئ مستقيم سيرد على مثل هذا القول باللّطم<sup>(52)</sup>. -  
وإذا وافق أن يكون هذا الردّ صائباً، فلأنّه يمثل نقض الافتراض  
الأوّل لمثل هذا العلم الذي يكون عن رأي، لاسيّما افتراض أن  
الحقيق الذي للإنسان إنّما هو منظره وما شابه ذلك. - فالكينونة  
الحقّ للإنسان إنّما هي في الأكثر صنيعه؛ إذ في هذا الصنيع تكون  
الفردية حاقّة، فهذا الصنيع هو الذي ينسخ المظنون فيه من جانبيه  
كليهما؛ فمرة ينسخ المظنون فيه بما هو كينونة جسدية ساكنة؛ أمّا  
الفردية فتبين في الأكثر عند الممارسة من جهة ما هي ماهية نافية  
لا تكون إلا من حيث تنسخ الكينونة. ثمّ ينسخ الصنيع  
لاقوليّة (Unaussprechlichkeit) الرأي بالنظر كذلك إلى الفردية  
الواعية - بذاتها التي تكون في الرأي فردية متعيّنة وقابلة للتعين إلى  
ما لا نهاية فيه، فهذا اللاتناهي الفاسد إنّما ينسخه الصنيع المنجز.  
والصنيع إنّما يكون على البساطة متعيّناً وكليّاً، تمكن الإحاطة به  
من وجهٍ مجرد؛ إنّه قتلٌ أو نهبٌ أو إحسانٌ أو صنيعٌ مروءةٍ  
إلخ...، ويمكن أن يُقال فيه ما هو. إنّه هذا الصنيع بعينه، فليس  
كونه بمجرد علامة، وإنّما هو رأس الأمر. إنّه هذا الصنيع بعينه،  
والإنسان الفرد إنّما يكون ما يكون الصنيع؛ فهو في هذه البساطة  
التي لهذه الكينونة إنّما يكون لغيره ماهية كليةً وكائنة، ويكف عن  
كونه مجردَ مظنونٍ فيه. ولا ريب أنّ الإنسان الفرد لم يوضع في  
ذلك كروح؛ لكن لما كانت كينونته بما هي كينونة غرض القول،  
وما دام جانباً الكون المزدوج - أعني الذي للمنظر والذي للصنيع -  
متقابلين، وينبغي في هذا كما في ذلك أن يكون الحقيق الذي  
للفرد، فإنّ الصنيع وحده هو الذي ينبغي إثباته على الأرجح  
ككينونة أصلية، - لا منظر الفرد الذي كان ليُلتَمَس فيه التعبير عن  
الرأي الذي يكون له في فعّاله، أو عمّا كان يُظنُّ في ما لم يكُ

(52) انظر ص 286 من: Georg Christoph Lichtenberg, *Schriften und*

*Briefe*, 4 vols., Hrsg. von Wolfgang Promies (München: [n. pb., 1986]), vol. 3.

بوسعه إلا أن يفعل. وكذلك من الناحية الأخرى: لَمَا كان الأثر الذي للإنسان وإمكانه الجوّاني، وكفاءته أو نيته أموراً متضادة، فإن ذلك الأثر هو وحده الذي يُنظر فيه كحقيقه الصادق إذا كان الإنسان نفسه يتوهم في هذا الصدد، فيظنّ إذ يؤوب إلى نفسه انطلاقاً من عمله، أنه يكون في هذا الباطن غير ما يكون في الفعل؛ فالفردية التي تعهد بنفسها إلى العنصر الموضوعي إنما تنقاد فعلاً - حين تصير أثراً - إليه حتى تصير متغيرةً ومعكوسةً. [21]

ولكن ما يمثل طابع الفعل إنما هو على التدقيق الوقوف على ما إذا كان حاقاً يدوم، أو مجرد أثر يهلك ويندثر في حد ذاته. فالموضوعية لا تبدل الفعل نفسه، بل تُظهر فقط ما هو، أي تدلّ على أنه يكون أو لا يكون شيئاً. - إن تمفصل هذه الكينونة إلى مقاصد وما شاكلها من اللطائف التي يجب من خلالها أن يفسر الإنسان الحاقاً بدوره - أعني فعله - بالرجوع إلى كينونة مظنون فيها - أيّاً كان الوجه الذي يبتدع على نحوه هو نفسه المقاصد الجزئية المتعلقة بحقيقه -، إنما ينبغي أن تظلّ عرضةً لعطالة الرأي، وهذا الرأي لَمَا يلتبس توجيه حكمته العريّة من الفعل صوب الأثر، ويجحد طابع العقل عند من يفعل، فيسيء إليه من حيث يريد في الأكثر أن يستعيض الفعل بالمنظر والقسمات تفسيراً لكينونة الفاعل، إنما ينبغي عليه أن يترقب الردّ الذي أشرنا إليه أعلاه والذي سيقدم له الحجّة على أن المنظر ليس هو الفي - ذاته، بل يمكن أن يكون في الأكثر غرض معالجة.

[III. الفرينولوجيا] - إذا نظرنا الآن بعامة في جملة العلاقات التي يمكن أن تتمّ ضمنها معاينة الفردية الواعية - بذاتها على صلتها بالبرانيّ الذي لها لبان لنا أن علاقة أخرى ما زالت لا بثّة يجب على المعاينة أن تجعل منها بعدّ موضوعها. ذلك أن الحقيق البرانيّ للأشياء هو الذي يجب - في مجال

البيسيكولوجيا - أن تكون له في الرّوح صورته المقابلة الواعية، حتى يجعل من هذا الرّوح أمراً مفهوماً. أما في الفيزيونيومينا فيجب أن يُعرف الرّوح ضمن البرّانيّ الخاصّ الذي له كأنّ ضمن كينونة هي اللّغة - أي اللاترائي المرئيّ الذي لماهيته. لكن يبقى تعيّن جانب الحقيق الذي كانت الفردية لتفصح وفقه عن ماهيتها على حقيقتها الكائن والرّاسخ والذي في - الحال. - هذه الرابطة الأخيرة إنّما تتميز إذاً من الرابطة الفيزيونيومينية من جهة أنّ هذه هي الحضور المتكلمّ للفرد الذي يقدم في الحين ذاته وضمنّ خراجه الفاعل خراجه المنعكس على نفسه والمعتبر لنفسه، خراج هو نفسه حركة، وقسمات وملامح ساكنة هي نفسها وبالجوهر كينونة بتوسيط. أما في التعيين الذي ينبغي اعتباره بعد، فالخراج إنّما يكون في الختام حقيقاً ساكناً سكوناً تاماً ليس هو في حد ذاته <sup>7</sup> بعلامة متكلمة، بل يعرض - من حيث ينفصل عن الحركة الواعية - بذاتها - لذاته ويكون كشيء بسيط.

[1. الجمجمة بما هي الحقيق البرّانيّ للرّوح] - ما ينكشف أولاً بصدد صلة الجوانبيّ بهذا البرّانيّ الذي له هو أنّها تظهر كأنه يجب فهمها كعلاقة اقتران سببيّ ما دامت علاقة كائن في ذاته بكائن في ذاته من جهة ما هي علاقة واجبة، إنّما هي تلك الصلة.

لكن يجب على الفردية الروحية حتى يكون لها أثر وفعل في الجسد أن تكون - من جهة ما هي علّة - هي نفسها جسدية. أما الجسديّ الذي تكون فيه كعلّة فهو العضو، لكن ليس عضو الفعل حيال الحقيق البرّانيّ، بل عضو الفعل الذي للماهية الواعية - بذاتها داخل ذاتها، وهذه لا تفعل نحو الخارج إلاّ حيال الجسم الذي لها؛ ولا يمكن أن نرى على الفور أيّ أعضاء هي؛ فإذا كنا نفكر فقط في الأعضاء بالجملة، لتيسر لنا التمكن من عضو العمل بعامة، وكذلك عضو النزوع الجنسيّ إلخ، ... فوحدها الأعضاء التي من هذا الجنس ينبغي اعتبارها كأدوات أو كأجزاء تكون



للرَّوح - من جهة ما هو طرف أقصى - وسيطاً حيال الأقصى الآخر الذي يكون موضوعاً برّانياً. أمّا في هذا الموضع فإنّ العضو يقال على معنى الذي يدوم فيه لذاته الفردُ الواعي - بذاته من جهة ما هو طرفٌ يقوم حيال الحقيق الخاصّ به والمقابل له، فليس هو بعضوٍ موجّهٍ في الوقت نفسه صوب الخارج، بل عضوٌ منعكسٌ في فعله، وأين لا يكون وجهُ الكينونة من قبيل كونه لمغايرٍ. ولا ريب أنّ العضو يعتبر أيضاً في الرابطة الفيزيونيومية ككيانٍ منعكسٍ على نفسه يعلّق على الفعل؛ لكنّ هذه الكينونة كينونةٌ موضوعيّةٌ، وأمّا الحاصل من المعاينة الفيزيونيوميّة فهو أنّ الوعي - بالذات يتصبّ على التدقيق حيال الحقيق الذي له كأنّ حيال شيء سيّانيّ. وهذه السيّانيّة إنّما تزولُ من حيث إنّ ذلك الكون المنعكس في ذاته يكون هو نفسه فاعلاً؛ وذلك الكيان إنّما يستفيد من خلال ذلك رابطةً ضروريّةً؛ لكن لكي يكون ذلك الكون المنعكس فاعلاً في الكيان، فإنّه يجب أن تكون له هو ذاته كينونةٌ، لكنّها ليست على التحقيق بكينونةٍ موضوعيّةٍ، وينبغي أن يشار إليه من جهة ما هو هذا العضو.

أمّا في الحياة المشتركة فإنّ الغضب - على سبيل المثال - من جهة ما هو فعل جوائنيّ من هذا القبيل إنّما يحدّد موضعه في الكبد؛ ويذهب أفلاطون حدّ حمله على ما هو أرفع من ذلك<sup>(53)</sup>، بل هو حسب بعضهم<sup>(54)</sup> الشأنُ الأسنى، أعني التنبؤ أو موهبة الإفصاح [218]

(53) أفلاطون، الطيمائوس، 71 س - ه، في الكبد بما هو عضو التنبؤ.

(54) يلوّح هيغل في هذا الموضع بتصورات «الأزليّ» و«المقدّس» التي يذهب فيها كلّ من إيشنمير و غورس. فغورس على سبيل المثال يتحدّث عن «أفلاطون الإلهيّ» انظر: Johann Joseph von Görres: *Glauben und Wissen* (München: [Sulzbach], 1805), and *Gesammelte Schriften*, 13 vols., Hrsg. im Auftrage der Görres-Gesellschaft von Willhelm Schellberg, in Verbindung mit Max Braubach [et al.] (Köln: Gilde-Verlag, 1926), vol. 3, p. 46.

وأما إيشنمير فيقرّ بأنّه قد وجد ضالّته في الأفلاطونية انظر ص 5، السطر 17 =

بالمقدس والأزليّ على نحو مغاير للذي للعقل. غير أنّ الحركة التي تكون للفرد في الكبد والقلب وما إليه، لا يمكن أن يُنظر فيها على أنّها الحركة المنعكسة تماماً التي لعين الفرد، بل هي في الأكثر إنّما تكون في تلك الأعضاء على نحو أنّها مطبوعةٌ بعدُ في الجسد، فيكون لها كيانٌ حيوانيٌّ يصدر عنها ويتّجه صوب البرائيّة.

أما الجهاز العصبيّ فهو على العكس سكونٌ في - الحال للعضويّ ضمنَ الحركة التي له. ولا ريب أنّ الأعصاب نفسّها هي بدورها أعضاء الوعي الذي أوغلَ بعدُ في وجهته نحو الخارج؛ أما الدماغ والنخاع الشوكيّ فينبغي أن يُعتبرا كالحضور الذي في - الحال والدائم في داخله - الحضور الذي لا يكون موضوعيّاً والذي لا يتّجه صوب الخارج أيضاً - الذي للوعي - بالذات. ولما كانت لحظة الكينونة التي لهذا العضو من قبيل الكون لأجل مغايرٍ أو كياناً، فإنّما هي كينونة مّيّنة، ولم تعد حضوراً للوعي - بالذات. ولكنّ هذا الكون ضمنَ الذات إنّما هو وفق مفهومه سيلانيّة تنحلّ فيها في - الحال الدوائر التي تنتقش عليها، فما من فرقٍ يفصح عن نفسه بما هو فرقٌ كائنٌ. ولكن مثلما أنّ الرّوح نفسه ليس بسيطاً من جهة التجريد، بل هو نسق حركاتٍ يختلف فيه إلى لحظاتٍ، في حين أنّه يظلّ في اختلافه نفسه حرّاً، وكما أنّه بالجملة ينضدُ جسمه على نحو وظائفٍ متنوّعةٍ وبقيد كلّ جزء من جسمه لأجل وظيفة واحدةٍ من دون سواها، فإنّه يمكن كذلك أن يُتصوّر أنّ الكينونة السّيالة التي لكونه داخل ذاته إنّما هي كينونة متمفصلةٌ؛ ويبدو أنّه يجب تصوّرها على هذا النحو، لأنّ الكون المنعكس الذي للرّوح في الدماغ نفسه إنّما هو من جديد حدّ أوسطٍ بين ماهيته الخالصة

---

Christoph Adolph Adam von Eschenmayer, *Die Philosophie in ihrem* =  
*Uebergang zur Nichtphilosophie* (Erlangen: [n. pb.], 1803).

قارن: إستهلال، الفقرة: في زاوية النظر الرّاهنة للرّوح [نقد الخطاب التنبؤي]،  
ص 122 من هذا الكتاب.

وبين تمفصله الجسمي وحسب، فيجب عندئذ أن يشتمل هذا الحد الأوسط بدوره - وفق الطبيعة التي للطرفين، إذاً وفق الوجه الذي للطرف الأخير - على التمفصل الكائن.

إنّ الكينونة الروحية العضوية تنطوي في الوقت ذاته على الجانب الضروريّ الذي لكيان دائم وساكن؛ ولا بدّ لتلك الكينونة أن تتخلّف من جهة ما هي الطرف الذي للكون - لذاته، ويواجهها هذا الجانب بما هو الطرف المغاير، فيكون من بعد ذلك الموضوع الذي تفعل فيه تلك الكينونة من جهة ما هي علّة. وإذا مثل الآن الدماغ والنخاع الشوكي ذلك الكون لذاته الجسمي الذي للروح، فإنّ الجمجمة والعمود الفقريّ يمثلان - زائداً إلى ذلك - الطرف المفرد الآخر، لاسيّما الشيء الساكن والراسخ. - لكنّ لما كان كلّ من يتفكّر الموضوع الأصليّ الذي لكيان الروح لا يحدّه في الظهر بل في الرأس<sup>(55)</sup>، فحسبنا في هذا الفحص المعرفي الذي من جنس ما ذكرناه سابقاً أن نقف عند هذه العلّة - التي لا تبدو له على كثير من الفساد - حتّى نقيّد ذلك الكيان بالجمجمة. وإذا ما صادف أحدهم أن خمّن في الظهر موضعاً لذلك الكيان من حيث إنّه قد يحصل أحيانا أن المعرفة والفعل يُقحمان في شطر ويخرجان في شطرٍ بمعية الظهر، فإنّ ذلك لا يعدّ في شيء حجّة على وجوب اعتبار النخاع الشوكي الموضوع المحايث الذي للروح ولا يبرهن على ضرورة جعل عموده الفقريّ كياناً عاكساً لصورة الروح، لأنّ ذلك كلّهُ إنّما هو إفراط في البرهنة؛ ذلك أنّه بإمكان كلّ امرئ أيضاً أن يتذكّر أنّه ثمة سُبُلٌ خارجيةٌ أخرى تخطر على البال قصد استنفار نشاط الروح أو

(55) يشير هيغل هاهنا إلى فرضية غال في تكوّن الدماغ من النخاع الشوكي،

قارن ص 4: «إنّ الأعصاب تتكوّن إذاً على شاكلة النخاع الشوكي..» في: Carl August Blöde, *D. F. J. Galls Lehre über die Verrichtungen des Gehirns, Nach dessen zu Dresden gehaltenen Vorlesungen* (Dresden: [n. pb.], 1805).

إخماده. - وعليه فمن الصواب - إن شئنا - إسقاط العمود الفقري؛ ومن الممكن تأسيس قول محكم يضاهاى جودة الكثير من المقالات الأخرى فى فلسفة الطبيعة عند التأكيد على أنّ الجمجمة لا تنطوي وحدها على جميع أعضاء الروح؛ فذلك إنّما قد سقط سابقاً من المفهوم الذى لهذه العلاقة، ولهذا العلة عدت الجمجمة الجانب الذى للكيان؛ أو: إذا ما تعدّر التذكير بالمفهوم الذى لرأس الأمر، فإنّ التجربة تفيدنا فعلاً بأنّ المرء لا يقتل ولا يسرق ولا يقول شعراً بجمجمته، على النحو الذى يرى بعينه من جهة ما هي عضو. - ولهذا العلة علينا أن نمتنع عن استخدام عبارة «عضو» فى مثل هذه الدلالة على الجمجمة التى ما زالت غرض القول، لأنّه حتّى وإنّ جرت العادة بالقول إنّ ما يقف عليه العقلاء ليس اللفظ، وإنّما هو رأس الأمر، فذلك لا يجوز البتة الإشارة إلى شيء بمعينة لفظ لا يوافقّه، فذلك ينمّ فى الوقت ذاته عن رعونة ومخاتلة من يظنّ أنّه لا يملك اللفظ السديد وحسب، والحال أنّه يخفى عن نفسه أنّ ما يعوزه إنّما هو الشيء، أي المفهوم؛ فلو حضر عنده المفهوم، لوجد أيضاً اللفظ الصائب. - أمّا ما تعين أولاً فى هذا الموضوع فهو الأمر التالى وحسب: كما يكون الدماغ الرأس الحىّ تكون الجمجمة الرأس الميت.

[2. علاقة شكل الجمجمة بالفردية] - وعليه فالحركات الروحية والوجوه المتعينة للدماغ كان يكون تمّ لها عرضها للحقيق البرانيّ فى هذه الكينونة الميتة، مع أنّ هذا الحقيق ما زال عند الفرد ذاته. أمّا فى ما يتعلّق بعلاقة تلك الحركات بالجمجمة التى لا تنطوي من جهة ما هي كينونة ميتة على الروح على نحو محايث، فإنّ ما يعرض أولاً هي العلاقة الموطّدة أعلاه، أعني الربط الميكانيكيّ البرانيّ، على نحو أنّ الأعضاء على المعنى الأصليّ - وهي التى تكون فى الدماغ - إنّما تعبّر عن الجمجمة هاهنا فى شكل دائريّ، وتزحمها فى موضع آخر فتعرضها، أو

تسويها فتسطحها، أو على أيّ نحو شئت في وصف هذا التأثير. ولما كانت الجمجمة نفسها جزءاً من الجهاز العضوي، فلا بد أن يُفتكر فيها - كمثل أيّ عظم - تكون ذاتي حي، على نحو أن الجمجمة - إذا ما اعتبرت من هذا الجانب - هي التي تزحم<sup>(56)</sup> من جهتها الدماغ فتضع تقييده الخارجي، وذلك ما تقوى عليه الجمجمة أكثر من غيرها من جهة ما هي الأغلظ والأصلب. ولكن عين العلاقة تظل قائمة ههناك في تعيين نشاط الطرفين حيال بعضهما البعض؛ لأن معرفة هل الجمجمة هي المعين أو المعين لا تغير في شيء علاقة الاقتران السببي، اللهم إلا إذا كانت تكون الجمجمة عندئذ عضواً في - الحال للوعي - بالذات؛ لأن وجه الكون - لذاته كان سيقع فيها من جهة ما هي العلة. غير أنه لما كان الكون - لذاته يقع من جهة ما هو حيوية عضوية في الطرفين من وجهه سواء، فالاقتران السببي إنما يقع على الحقيقة ما بينهما. أما هذا التكون الرابي (Diese Fortbildung) الذي للطرفين فكان يكون التحم في الباطن، فيكون انسجاماً عضويّاً متعيّناً سلفاً كان يكون ترك كل واحد من الجانبين المترابطين في حل من الآخر وعلى الشكل الخاص به الذي لا يُشترط في شكل الآخر أن يطابقه، والأكثر من ذلك أنه يكون ترك الشكل والكييفية في حل من بعضهما البعض، - كمثل شكل العنب ومذاق الخمر كل في حل من الآخر. - لكن ما دام تعين الكون - لذاته يقع عند جهة الدماغ وفي حين يقع تعين الكيان عند جهة الجمجمة، فإنه ينبغي أن يوضع أيضاً اقتران سببي بين الجهتين ضمن الوحدة العضوية؛ صلة واجبة بين الجهتين التي تكون الواحدة منهما برانية بالنسبة إلى الأخرى، أي صلة هي نفسها برانية، يكون إذا شكلا الجهتين قد تعايينا بمعيتها.

(56) Drücken، على معنى العصر والضغط.

أما في ما يتعلّق بالتعيين الذي كان يكون عضو الوعي - بالذات فيه علّة فاعلة عند الجانب المقابل، فيمكن أن يقال فيه خبط عشواء ومن وجوه شتى؛ لأنّ غرض القول إنّما هو الصفة [1] التي لعلّة تُعتبر بحسب كيانه السيّاني وشكلها وعظّمها، علّة ينبغي أن يكون باطنها وكونها - لذاتها شيئاً من قبيل ما لا يتعلّق البتّة بالكيان الذي في - الحال؛ فالتكوّن الذاتيّ والعضويّ للجمجمة إنّما يكون في مبتدأ الأمر على سيّانية حيال التأثير الميكانيكيّ، ولما كانت العلاقة العضوية اتصالاً ذاتياً، فإنّ الرابطة بين هاتين العلاقتين تكون على التدقيق من جنس تلك اللاتعيينيّة وانعدام الحرف نفسه. ثمّ لو كان الدماغ يستفيد أيضاً الفروق التي للروح ويجعل منها فروقاً كائنة، فكان يكون كثرة أعضاء جوائية تحيّر في موضع مخالفٍ - وذلك ممّا يناقض الطبيعة التي تعطي لحظات المفهوم كياناً خاصّاً، فتضع على نحو خالص البساطة السيّالة للحياة العضوية من ناحية، وتمفصل عين الحياة وانقسامها أيضاً إلى فروقها من الناحية الأخرى، على نحو أنّ هذه الفروق تظهر - مثلما تجب الإحاطة بها هاهنا - كأشياء جزئية مشرحة -، لو كان الأمر كذلك لظلّ غير مقيّد في ما يخص معرفة هل إنّ لحظة روحية - بحسب ما تكون في الأصل أقوى أو أضعف - يجب أن تمتلك إمّا عضواً دماغياً أشدّ انبساطاً في الحالة الأولى، أو عضواً دماغياً أشدّ تقلّصاً في الحالة الثانية، أو عكس ذلك تماماً<sup>(57)</sup> . -

كذلك يظلّ غير مقيّد هل يزيد نموّ تلك اللّحظة عظم العضو أو يُنقصه، وهل يجعل من عين العضو أكثر غلظة أو سُمكاً أو لطافة. والحاصل عن كون كيفية العلّة تظلّ غير محدّدة هو أنّ كيفية حدوث التأثير على الجمجمة تظلّ بدورها غير محدّدة: هل هو فعل تمّدّد أو تقلّصٍ أو انكماشٍ. وإذا حدّد هذا التأثير من وجه

(57) يجحد هيغل هاهنا مسألة التحيزات الدماغية للنشاطات الروحية، وبخاصّة

ما ذهب إليه ف. ي. غال، قارن الهامش رقم (55) من هذا الفصل.

أنسب وأدق كأنه تهيج، لما تحدّد هل يحدث ذلك من طريق النسخ كمثل لزقة الذراع أو من طريق الانقباض كمثل ما يفعل الخل. - فكلّ هذه التصوّرات المتماثلة مستساغة على حدّ سواء، لأنّ الصلة العضويّة التي تدخل كذلك في الحسبان إنّما تجوز ترجيح هذا التصوّر كما ترجيح الآخر، فتظلّ سيّانية حيال هذا الذهن في جملته.

لكنّ الأمر لا يجري عند الوعي المعايين مجرى تقييد تلك الصلة؛ فليس الدماغ بأيّ حال من الأحوال هو الذي ينتحي من جهة ما هو جزءٌ حيواني، بل عينُ الدماغ من جهة ما هو كينونة الفردية الواعية - بذاتها. - فالفردية بما هي طبعٌ قارٌّ وفعل واع [222] ومتحرّكٌ إنّما تكون لذاتها وداخل ذاتها؛ فأما كونها لذاتها وداخل ذاتها فيقابله حقيقتها وكونها لغيرها؛ فالكون - لذاته وداخل ذاته إنّما هو الماهية والذات اللتان تستقيم لهما في الدماغ كينونةٌ تُدرج ضمنه، فلا تستفيد قيمتها إلّا من الدلالة المحايثة. وأمّا الجانب الآخر للفردية الواعية - بذاتها، أي جانب كيانها، فإنّما هو الكينونة من جهة ما هي قائمةٌ بذاتها وذاتٌ، أو بما هي شيءٌ، أعني من جهة ما هي عظمٌ؛ فالحقيق والكيان اللذان للإنسان إنّما هما قحفٌ مجمعه. - تلك هي العلاقة وذلك هو الذهن اللذان يكونان لجانبي الرابطة عند الوعي الذي يعاينهما.

إلّا أنّه ينبغي على هذا الوعي أن يشتغل الآن على رابطة أكثر تقييداً بين ذينك الجانبين؛ ولا ريب أنّ قحف الجمجمة تكون له بالجملة دلالةٌ أنّه الحقيق في - الحال الذي للروح. ولكن تعدّد وجوه الروح إنّما يسبغ على كيانه دلالات متعدّدة أيضاً؛ وما ينبغي تحصيله إنّما هو تعيّن الدلالة التي للمواضع الفردية التي ينقسم فيها ذلك الكيان، فينبغي أن ننظر كيف تشتمل تلك المواضع على الإشارة إلى تلك التعيّن.

ليس قحف الجمجمة بعضو نشاط، ولا هو بحركة ناطقة؛ فالمرء لا يسرق ولا يقتل ولا يأتي ما شاكل ذلك بواسطة قحف الجمجمة، كما أن قحف الجمجمة لا يدلّ في القيام بهذه الأفعال على أقلّ إيمائية قد تصيره إشارة ناطقة. - فهذا الكائن لا يملك حتى القيمة التي للعلامة. والإيماء والإشارة والرنة، وكذلك الشأن في العمود والوند الذي يُثبّت في جزيرة مَقْفرة، هذه كلّها أمورٌ سرعاناً ما تفيد بأنه ثمة شيء آخر يحيط به الرأي مغايرٌ لمجرّد ما تكونه هي في - الحال. وهي نفسها إنّما تقوم على الفور مقام العلامة من جهة أنّها تنطوي على تعيّنٍ تشير إلى شيءٍ مغايرٍ من حيث إنّ تلك التعيّن لا تنتمي إليها من وجهٍ مخصوص. ومهما خطر على بالنا من هواجس شتى في حضرة جمجمة كمثل التي خطرت على بال هملت في جوار جمجمة يورك<sup>(58)</sup>، فإنّ قحف الجمجمة في ذاته إنّما هو شيءٌ سيّانيٌّ وغير ذي شأن حدّ أنّ المرء لا يرى فيه ولا يظنّ في - الحال شيئاً سوى العظم نفسه؛ فقحف الجمجمة يذكر فعلاً بالدماع وتعيّنته وبجماجم ذات تقويم مغاير، لكنّه لا يذكر بحركة واعية من جهة كونه عريّاً من الإيماء والإشارة، كما من أيّ شيءٍ منتقش فيه قد يفيد صدوراً عن أيّما فعل واع؛ لأنّه حقيقٌ من جنس الذي كان ليُبين في الفردية الجانب الذي لم يعدّ كينونة منعكسة في ذاتها، بل كان ليظنّ كينونة حاليّة محض حاليّة.

وزائداً إلى ذلك أنّه لما كانت الجمجمة هي نفسها لا تشعر بشيءٍ أيضاً، فيظهر أنّه يمكن تقديم دلالة أكثر تقييداً في ما

(58) الفصل الخامس، المشهد الأوّل: هاملت وهو يسأل حقّار القبور عن

هوية جمجمة وقف عندها، فيجيبه هذا الأخير أنّها جمجمة مخبول كان من حاشية الملك ويُدعى السيد يورك، ثمّ يتبيّن لهاملت أنّه كان يعرفه وأنّه قد لاعبه مراراً إذ كان صبيّاً. انظر: William Shakespeare, *Hamlet*, ed. T. J. B. Spencer (London: Penguin Books, 1980), vol. I, pp. 183-184.



يخصّها، أعني الأحاسيس المحدّدة التي تسمح لنا بأن نتعرّف بجوار الجمجمة على ما كان يُظنُّ ويقالُ فيها، وما دام ضرب ما من الضروب الواعية للرّوح يستقيم له الشعور عند موضع مقيد من الجمجمة، فهذا الموضع سيدلّ من وجه ما ووفق الشكل الذي له على ذلك الضرب كما على جزئيتّه. ومثاله أنّ الكثيرين لمّا يجاهدون في التفكير أو يفكّرون بالجملة يشكون من ضغطٍ موجه في جهة ما من الرأس، فالسرقة والقتل وقول الشعر وما إليه قد يصاحب كلّاً من هذه الشؤون شعوراً خاصّاً كان يلزم أن تكون له جهته المحدّدة. وهذه الجهة من الدماغ التي كانت تكون من هذا الوجه أشدّ تحرّكاً ونشاطاً قد يظنّ فيها أنّها تكوّن الجهة المجاورة للعظم؛ أو قد لا تكون هذ الجهة عاطلةً من جرّاء الانجذاب أو القابليّة، بل قد تتعاطم أو تصغر، أو تتكوّن من أيّ وجه اتّفق. - لكن ما يجعل هذه الفرضية غير مرجّحة<sup>(59)</sup> هو أنّ الإحساس أمرٌ غير مقيد، وأنّ الإحساس في الرأس بما هو المركز كان يكون ميلاً كليّاً لكلّ الانفعالات على نحو أنّ انفعالات أخرى قد تختلط عند السارق والقاتل والشاعر بحكاك الرأس أو آلامه، فيعسر تمييز بعضها من بعض، كما من التي يمكن أن نسمّيها جسميّة وحسب، - كما يعسر تحديد المرض وتمييزه انطلاقاً من علامة وجع الرأس حتى وإن قيّدنا دلالتّه بالجسمي وحسب.

كيفما قلبنا الأمر فإنّ ما يفوتّ بالفعل هو كلّ صلة متبادلة واجبة كما تفوتّ كلّ إشارة إليها تدلّ من نفسها. والذي ما يلبث

(59) يشير هيغل في هذا الموضع إلى نقد هوفنلاند لمقالة غال في الدماغ،

قارن ص 124 في: Christian Heinrich Ernst Bischoff, *Darstellung der Gallschen Gehirn - und Schädel - Lehre. Nebst Bemerkungen über diese Lehre von Dr. C. W. Hufenland* (Berlin: L. W. Wittich, 1805).

فبالنسبة إلى هوفنلاند تظلّ مقالة غال مجرد فرضية - «سارّ المقالة إنّما هي فرضية وتظلّ كذلك، مع أنّها تبلغ درجاً عالياً من الاستلاحة، لأنّ كلّ القرائن المبيّنة ما زالت لا تكشف كلّ شيء ولا ترفع كلّ الاعتراضات».

واجباً إذا ما كان للصلة أن تقوم على الرغم من ذلك، إنّما هو انسجامٌ مسبقٌ وعريٌّ من المفهوم وفي حلٍّ من التقيد يكون للتعينية المتبادلة بين الجانبين؛ لأنّ أحد هذين الجانبين يُظنّ فيه 1 أنّه ينبغي أن يكون حقيقاً عربياً من الرّوح، ومجرد شيءٍ. - فمن ناحيةٍ تحتشدُ جهاتٌ جُمعيّةٌ عاطلة، ومن ناحيةٍ أخرى جمعٌ من خاصيّات الرّوح التي تتعلّق كثرتها وتحديدها بوضع البسيكولوجيا. وكلّما ساء تصوّرنا للرّوح صار الأمر من هذا الجانب أيسر؛ لأنّ الخاصيّات كلّما صارت من ناحيةٍ أقلّ عدداً صارت من ناحيةٍ أخرى أكثر انفصالاً ورسوخاً وتعظماً، فتستحيل بذلك أكثر شبيهاً ومشاكله للتعينات العظميّة. غير أنّه على الرغم من الكثير الذي يتيسّر من خلال تصوّر البائس للرّوح، فما زال كمّ هائلٌ من الأشياء عند الجانبين كليهما؛ فالعرضية التامة لعلاقتهما ما زالت قائمةً أمام المعايينة؛ فإذا كان يُفترض في كلّ واحد من بني إسرائيل أنّه ينبغي عليه أن يلتقط على رمل الشاطئ - الذي يُعتقَد في أنّهم يناظرونه - الحصوة التي تمثل علامته، فهذه السيّاتية وهذا الإعتباط اللذان يقدران لكلّ حصوته، إنّما يكونان شديدين شدة السيّاتية والإعتباط اللذين تعطي وتحدّد لكلّ قدرة نفسية ولكلّ أنفعالٍ ولما كان ينبغي أن يعتبر هاهنا، أعني فوارق الطبع التي جرت العادة بأن تخوض فيها البسيكولوجيا المجوّدة ومعرفة الإنسان، مواضعها في الجمجمة وأشكالها العظميّة. - فجمجمة القاتل لا تتميّز بهذا العضو ولا بهذه العلامة، بل تكون لها هذه الأُبنة<sup>(60)</sup>؛ لكن ذلك القاتل تكون له كذلك خاصيّات شتى مخالفةً، مثلما تكون له أبناتٌ مغايرةٌ، وتكون له مع هذه الأبنات تجويفاتٌ؛ ولنا أن نختار بين الأبنات والتجويفات. ودلالة القاتل التي له يمكن أن تُردّ من جديد إلى أيّما أبنيةٍ أو تجويفٍ، ومن

(60) Der Knorren، يستعمل في السجّل الفلاحي ويدلّ على العُقدة الظاهرة

من العود.

ثمة تردّ هذه إلى أيّما خصيصة اتّفقت؛ لأنّ القاتل ليس تجريد قاتلٍ وحسب، بقدر ما لا تكون له برزّة واحدة (Eine Erhabenheit) أو تجويف واحدٌ وحسب. ولهذه العلة فإنّ المعايينات الموضوعية في هذا الصدد إنّما ينبغي أن يكون لها مباشرة عين الوقع الذي لقول الحانوتيّ ومدبرة المنزل في المطر بمناسبة المعرض السنويّ أو نشر الغسيل. فالحانوتيّ ومدبرة البيت يكون بوسعهما أيضاً القيام بمعاينة أنّ المطر ينزل دائماً عندما يمرّ هذا الجارُّ أو عندما يؤكّل لحم الخنزير المشويّ. وكما أنّه سيّان في المطر أن يتميّز هذا الظرف من ذلك، فإنّه سيّان بالنسبة إلى المعاينة وفي هذه التعينيّة التي للروح أن تكون الجمجمة على هذا التقييد أو ذلك؛ لأنّ من بين الموضوعين اللذين للمعاينة يكون أحدهما كوناً لذاته جافاً وخاصيّة متعظّمة للروح، مثلما يكون الآخر كوناً في ذاته جافاً؛ فالشيء المتعظّم الذي من قبيل هذين الموضوعين إنّما يكون على سيّانيّة تامّة حيال أيّ شيء مغاير؛ فسيّان بالنسبة إلى الأُبنة البازلة أن يجاورها قاتلٌ، مثلما أنّه سيّان بالنسبة إلى القاتل أن يكون ثمة في جواره سطحٌ منبسّط.

[22]

ومع ذلك يظلّ الإمكان قائماً لا فكاك منه، أعني إمكان أن تقترن أيّة أُبنة في أيّ موضع بأيّما خاصيّة أو انفعال أو ما شاكل ذلك. ويمكن أن يتمثّل المرء القاتل ذا أُبنة بازلة هنا وفي هذه الجهة من الجمجمة، والسارق ذا أُبنة بازلة هناك؛ فالفرينولوجيا من هذا الجانب قادرة على المزيد من الامتداد، لأنّها تظهر لأوّل وهلة على أنّها تتقيّد فقط بالرابطة التي لأُبنة بخاصيّة ما عند عين الشخص، على نحو أنّ هذا الأخير يمتلك كليهما. ولكن الفرينولوجيا الطبيعيّة - إذ يلزم أن تقوم فرينولوجيا من هذا القبيل مثلما توجد الفيزيونيومينا الطبيعيّة - إنّما تجاوز ذلك التقييد؛ فهي لا تكتفي بالحكم أنّ رجلاً ماكرّاً قد ازدرعت خلف أذنيه أُبنة

كبيرةً في حجم الكفت، بل تتمثل كذلك أنّ المرأة الخائنة ليست هي نفسها التي تحمل الأبنات على جبينها، بل الشخص الآخر الذي هو قرينها. - كذلك يكون بوسع المرء أن يتمثل الذي يسكن والقاتل تحت السقف عينه، أو جاره، أو - إذا ما تماديننا في ذلك - جميع بني قومه إلخ.، وهم يمتلكون أبناتٍ بازلةً في أيما جهةٍ من الجمجمة، مثلما تُتمثل البقرة الطائرة التي كان داعبها السرطان البحريُّ الذي كان يركب حماراً، ثم بعد ذلك... إلخ. - لكن إذا حُمِل الإمكان لا على معنى إمكان التمثّل، بل على معنى الإمكان الجوّاني، أو الإمكان الذي للمفهوم، يكون الموضوعُ عندئذٍ حقيقةً من قبيل الذي يكون وينبغي أن يكون شيئاً محضاً من دون دلالةٍ من ذلك الجنس، فهي دلالة لا تلحقُ الحقيق إذاً إلا في التمثّل.

[3. الاستعدادُ والحقيق] - لكن إذا اشتغل المعايين - بقطع النظر عن سيّانّة الجانيين - على تحديد الصلات، فكان في شطرٍ مشدوداً إلى الحجّة العقلية الكلّية القائلة بأنّ البرانيّ ترجمان الجوّاني، واستعان في شطرٍ آخرٍ بالتناسب القائم بين جماجم الحيوانات - التي يمكن أن تكون لها فعلاً طبيعةٌ أبسط من التي للبشر، مع أنّه يعسر كذلك القولُ أيُّ طبيعةٍ تكون لتلك الجماجم، ما دام لا يتيسّر لتصوّر أيّ امرئ أن ينفذ ويفقه على نحو صائب الطبيعة التي لحيوانٍ ما -، فالمعايين إنّما يجد - بغية إثبات القوانين التي كان يلتمس اكتشافها - عوناً عظيماً في الفرق الذي يجب أن يكون متناً في هذا الموضوع على بال. - فالكينونة التي للروح لا يمكن أن تؤخذ من أقلّ الوجوه مأخذ شيءٍ لا يضطرب ولا يقبل الإرباك؛ فالإنسان حرٌّ؛ وقد يجري القول بأنّ الكينونة الأصلانية هي مجرد استعدادات<sup>(61)</sup> وحسب يكون بوسع الإنسان أن يتنقّد فيها، أو هي تقتضي ظروفًا مواتيةً حتى يتمّ إنمائها. ومعناه أنّه

(61) Anlage(n) على معنى الهيء والاستعداد.

ينبغي كذلك الإفصاح عن كينونة ما أصلانية للروح من قبيل الكينونة التي لا توجد ككينونة. هب أن المعاينات إذا تناقض ما يخطر على بال أي امرئ فيلتبس إثباته كقانون، - ومثاله إنه إذا كان الطقس جميلاً يوم تنظيم المعرض السنوي أو عند نشر الغسيل، فإنه بإمكان الحانوتي ومدبرة المنزل أن يقولاً إنه ينبغي في الأصل أن ينزل المطر وإن السماء تنذر بحضور هيئة المطر، وكذلك يمكن القول عند معاينة الجمجمة إن هذا الشخص ينبغي في الأصل أن يكون كما تفصح عنه الجمجمة وفق القانون، وإنه عنده استعداد أصلي لم تتم مع ذلك تهيئته؛ فهذه الكيفية ليست حاضرة بالفعل، لكنه ينبغي أن تكون حاضرة. - فالقانون والينبغي (Das Sollen) إنما يقومان على معاينة المطر الفعلي والمعنى الحاق عند تلك التعينية التي للجمجمة؛ فإن لم يكن الحقيق حاضراً، جرى الإمكان الخاوي بقدر مجراه. - فذلك الإمكان، أعني لاحقيق القانون الموضوع، وبالتالي المعاينات المناقضة له، إنما يجب أن تصدر من جهة أن حرية الفرد والسياقات التي يتم إنمائها تكون على سيانية حيال الكينونة بالجملة، أي من جهة ما هي باطن أصلي بقدر ما هي تعظم براني، ما دام الفرد يمكن أن يكون كذلك شيئاً مغايراً لما يكونه في الأصل والباطن، وأكثر مما يكونه بما هو عظم.

إننا نتحصّل إذاً على إمكان أن تدلّ هذه الأبنة أو هذا التجويف في الجمجمة على شيء حاقّ مثلما يدلّان كذلك على مجرد هيئة تظّل من دون تقييد بالإضافة إلى أي شيء ما، وبالجملة نتحصّل على إمكان أن يدلّ في واقع الأمر على شيء غير حاقّ؛ وإننا نرى في هذا الموضوع ما يكون دوماً من أمر الأعدار، أعني أنه يمكن استخدامها هي نفسها ضدّ ما تلتبس تدعيمه. ونرى كذلك الظنّ ينتهي هو نفسه - بحكم الطبيعة التي لرأس الأمر - إلى القول - على نحو عريّ من التفكير - بضدّ ما

يحسبه راسخاً، - فيقول إن هذا العظم يدلّ على شيء ما، لكنّه يقول كذلك إنّه لا يدلّ على شيء.

أما ما يتملّك الظنّ نفسه على نحو ملتبس عند هذه الذريعة إنّما هو الفكرة الصادقة التي تقوّضه مباشرة، أعني أنّ الكينونة من جهة ما هي كذلك ليست البتّة حقيقة الرّوح؛ فكما أنّ الاستعداد كينونةً أصليّةً لا تشارك من أيّ وجهٍ في النشاط الذي للرّوح، فالعظم من ناحيته إنّما هو كينونةٌ من ذلك القبيل. والكائن من دون نشاط الرّوح إنّما هو في نظر الوعي شيءٌ، ويعسر أن يكون ماهيته حتّى إنّه يكون في الأكثر ضدّ هذه الماهية، فالوعي لا يكون حاقاً إلاّ عبر نفي مثل تلك الكينونة والغائها. - وينبغي من هذه الناحية أن نعدّ تقديم عظم ما على أنّه الكيان الحاق للوعي جحوداً (Verleugnung) تاماً للعقل؛ وإنّه ليؤخذ على أنّه كذلك لما يُعتبر البرانيّ الذي للرّوح، لأنّ البرانيّ إنّما هو على التدقيق الحقيقي الكائن؛ فلا طائل عندئذ من القول إنّنا نكون تخلصنا فقط من ذلك البرانيّ إلى الجوانيّ الذي كان يكون شيئاً مغايراً، وإنّ البرانيّ ليس الجوانيّ نفسه، وإنّما هو عبارته وحسب؛ فتعيّن الحقيقي المتفكّر والمفتكّر إنّما يقع - في العلاقة المتبادلة بين هذين الطرفين - عند جهة الجوانيّ، أمّا تعيّن الحقيقي الكائن فيقع عند جهة البرانيّ. - ولما يُقال لبشر: «إنّك (إنّ باطنك) هو هذا، لأنّ عظم جمجمتك يكون على هذه الهيئة»، فلا يعني ذلك سوى: «إنّي أحسبُ عظماً ما حقيقك». إنّ الردّ على مثل هذا الحكم بالصفعة في حالة الفيزيونوميّا يكون له أولاً أثر إظهار الأجزاء الرخوة من حيث ملامحها ووضعها، وبيّن أنّ هذه ليست الفي - ذاته الصادق، ولا هي بالحقيق الذي للرّوح؛ - أمّا في هذا الموضع فينبغي - في واقع الأمر - على الردّ أن يمضي إلى أشدّ من ذلك، أي إلى أن يكسر جمجمة من يحكم على ذلك النحو حتّى نقدّم الحجّة بشكل بيّن - يضاهاي بيان حكمته - على أنّ عظم

الجمجمة لا يكون البتة بالنسبة إلى الإنسان الفي - ذاته، وأقل من ذلك بكثير أن يكون الحقيق الصادق الذي له.

[2]

إن الغريزة الغليظة التي للعقل الواعي - بذاته ستفرض مثل هذا العلم الفرينولوجي من دون أن تأبه به، - كما ستفرض تلك الغريزة المعايينة الأخرى التي لعين العقل التي كانت أدركت إذ انتهت إلى استشعار معرفي من وجهه عري من الروح أن البراني ترجمان الجواني، لكن كلما فسدت الفكرة، صادف قليلاً أن يتبين مكمناً فسادها، فيتعسر تقييده. والفكرة إنما تقال فاسدة كلما تزيد التجريدُ خلوصاً وخواءً، وهو تجريدٌ يجري في الفكرة مجرى الماهية. أما التقابل الذي يرد في هذا الموضوع فهو الذي يتمثل طرفاً في الفردية الواعية بنفسها (Ihrer bewußte Individualität) وتجريد البرانية التي تصيرت تماماً إلى شيء، - تلك الكينونة الجوانية للروح من حيث تُدرك ككينونة مترسخة وعريّة من الروح، وهي إذاً متضادة على التدقيق مع تلك الكينونة الجوانية. - لكن يبدو من هذا أيضاً أن العقل المعايين قد بلغ بالفعل سنانه حيث لا بد له أن يتخلى عن عنصره فينقلب من نفسه؛ لأنّ الفاسد غليظ الفساد هو وحده الذي ينطوي في - الحال على ضرورة أن ينقلب. - كذلك يجوز القول في شعب اليهود إنه كان ولا يزال أكثر الشعوب لعنةً لأنه يقف في - الحال أمام باب الخلاص؛ فما كان ينبغي أن يكون هذا الشعب في ذاته ولذاته، أعني تلك الأيسية الذاتية، لا يكونها لنفسه، وإنما يضعها متعاليةً عليه؛ فهذا الشعب قد كان يكون بإمكانه أن يدرك عبر هذا التخارج كياناً أرفع لو كان بوسعه أن يسترد من جديد موضوعه، بدل أن يلبث ضمن حالية الكينونة<sup>(62)</sup>؛ ذلك أن الروح يعظم كلما عظم التقابل

(62) تلك هي بالجملة المقالة الهغلية في العنصر اليهودي، وهي مقالة ما أنفك هيغل يرسخ حروفها مذ الكتابات الثيولوجية بين 1793 و1800. أما العبارة المكتملة =

الذي يؤوب منه إلى نفسه؛ لكنّ هذا التقابل إنّما يأتيه الرّوح بنفسه ضمن نسخ وحدته التي في - الحال وتخراج كونه - لذاته. غير أنّه إذا ما لم يتفكّر مثل هذا الوعي في ذاته، فالحدّ الأوسط الذي يسكن إليه إنّما يكون خواءً مشؤوماً من حيث إنّ الذي كان ينبغي أن يفعمه إنّما تصير طرفاً مترسّخاً. كذا يكون الدرّج الأخير للعقل المعاین درّجه الأكثر فساداً، لكن لهذه العلة يكون تحوّلُهُ أمراً واجباً.

= لمقالة هيغل في العنصر اليهودي فنجدها في فاتحة كتابه: روح المسيحية ومصيرها - *Der Geist des Christentums et sein Schicksal (1798-1800)*، القول في روح اليهودية - *Der Geist des Judentums*، انظر ص 274-297 في: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Werke in Zwanzig Bänden*, 20 vols., Auf: der Grundlage der Werke von 1832-1845 neu Edierte Ausg. Red. Eva Moldenhauer und Karl Markus Michel, Theorie Werkausgabe (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1969-1971), vol. 1: *Frühe Schriften*, 1970.

فالعنصر اليهودي إنّما هو إثباتٌ على الإطلاق لهوية عريّة من كلّ توسيط أو تعيّنٍ مخالفةٍ، ولذلك يقيد هيغل - أعلاه - قوم اليهود من جهة تدبير الكينونة التي يسكنون إليها، - إنّها كينونةٌ هويةٌ صماء لا تتحدّد إلّا من جهة وحدتها الابتدائية المتعالية، انظر أيضاً ص 279: فاليهود قومٌ ارتضوا لأنفسهم أن يقابلوا جملة العالم والطبيعة كضدّ غليظ يجوز تلييسه ما لم ينشد إلى إله بريّ من العالم والأشياء، («Die ganze schlechthin entgegengesetzte Welt, wenn sie nicht ein Nichts sein sollte, war von dem ihr fremden Gott getragen, an dem nichts der Natur Anteil haben sollte, sondern von dem alles beherrscht wurde»).

لكنّ الأقطع في ذلك هو أنّ ارتضاء اليهود لخدمة هذا الجنس من الكينونة إنّما نجم عن فسم الكلّ في الفكر (لا في الحقيق أو الواقع الفعليّ)، أي قطع اليهود مع العالم ومضادّتهم للكلّ إنّما يُلتمَس منه توحيدٌ عناصره في كينونةٍ مفكّرة وحسب (وإذا كينونة ليست بحاقّة)، وفي ذلك يظهر العنصر اليهودي من جهة ما هو عنصر متحرّير ومتقلّب وضالّ: «لقد تاه إبراهيم وقطيعه على أرض بلا حدود، من دون أن يتملّك منها أيّ قطعة فيفلحها أو يجملها، ومن دون أن يسكن إلى تلك التربة أو يجعل منها جزءاً من العالم الذي له»؛ المصدر المذكور، ص 278. فالتيه والضلال إنّما يدلّان على جنس بعينه من تدبير الكينونة: رياسة الكائن والتنفّذ فيه إنّما تقوم على خدمة كينونة مفكّرة، لا على مواجهة الحقيق أو المجازفة ضمن كينونةٍ حاقّة. وتلك هي العلة في مجاهدة العنصر اليهودي - على الرّغم من تيهانه ونكوله - في التحوّط والاحتراس من مقارعة هويته بالحقيق. وعليه ينبغي على تلك الكينونة أن تتعتّى الانفصام والتمزّق، عساها تنقلب انقلاب عيّنٍ فتتعيّن في التضادّ، بدل أن تحترس منه.



[خاتمة] - فإذا نظرنا في جملة ما تفحصنا إلى الآن من سلسلة العلاقات التي تمثل مضمون المعاينة وموضوعها، لظهر أن الكون المحسوس يزول فعلاً في الوجه الأول الذي لهذه المعاينة، أعني معاينة علاقات الطبيعة اللاعضوية؛ فاللحظات التي لعلاقات [2] هذه الطبيعة تتبين كتجريدات خالصة ومفاهيم بسيطة كان يكون من اللازم أن يتوطد ارتباطها بكيان الأشياء، لكنه كيان يفوت على نحو أن اللحظة تنكشف كمحض حركة وكلّي. هذه السيرورة الحرة والمكتملة إنما تحتفظ بدلالة شيء موضوعي، وتهل الآن من جهة ما هي واحد؛ فالواحد في سيرورة اللاعضوي إنما هو الجواني غير الموجود؛ أما متى وجدت كواحد فالسيرورة هي العضوي. - والواحد من حيث هو كون - لذاته أو ماهية نافية إنما يواجه الكلّي، فينسحب منه ويظل حراً لذاته، على نحو أن المفهوم إذ يُنجز فقط في عنصر الانفراد المطلق، لا يجد عبارته الصادقة - أعني كونه هاهنا كلياً - في الوجود العضوي، بل يظل برانياً، أو - وهو الشيء نفسه - يظل جوائياً ما للطبيعة العضوية. - فالسيرورة العضوية لا تكون حرة إلا في ذاتها، أما لذاتها فلا تكون كذلك؛ فكونها - لذاتها لا يهل إلا ضمن الغاية، فيوجد كماهية مغايرة وحكمة واعية بنفسها تكون خارج تلك السيرورة. وعليه فالعقل المعايين إنما يتلفت قبل هذه الحكمة وصبّ الروح، أي المفهوم الموجود ككليّة أو الغاية الموجودة كغاية، ومذاك تستحيل الماهية الخاصة بذلك العقل موضوعه.

إنّ العقل المعايين يشرع بالتلفت قبل خلوص هذا الموضوع؛ لكن لما كان هذا العقل يدرك الموضوع الذي يتحرك في فروقه إدراكه لكائن، تحصل له قوانين تفكير، وصلات لما يتبقى بما يتبقى؛ لكن لما لم يكن مضمون تلك القوانين سوى لحظات، فتلك القوانين إنما تفوت في الواحد الذي للوعي - بالذات. وهذا الموضوع الجديد إذ يؤخذ كذلك مأخذ كائن، إنما هو الوعي -

بالذات الفرديّ والعرضيّ؛ ولذلك فالمعاينة إنّما تلبث ضمن الرّوح المظنون فيه والرابطة العرضية بين حقيقٍ واعٍ وحقيقٍ لاواعٍ. ووحده الموضوع في ذاته هو الذي يمثل وجوب هذه الصلة؛ ولذلك تلتمس المعاينة حصره عن كسب، فتقارن حقيقه المريد والفاعل بحقيقتها المعايين والمنعكس على نفسه الذي يكون هو ذاته موضوعياً. وهذا البرانيّ بما هو علامة إنّما يكون - على الرغم من أنّه لغة الفرد التي تنطوي عليها - في الحين ذاته سيانياً حيال المضمون الذي ينبغي أن يدلّ عليه، كما يكون ما تستوضعه العلامة سيانياً حيالها.

لذلك تؤوب المعاينة في الختام من هذه اللّغة المتبدّلة إلى الكينونة الراسخة، ثمّ تعلن وفق مفهومها أنّ البرانيّة لا تكون الحقيق البرانيّ وفي - الحال الذي للرّوح من جهة ما هي عضو ولا بما هي لغة أو علامة، بل تكونه من جهة ما هي شيءٌ ميتّ. وما تمّ نسخه مذّ أولّ معاينة للطبيعة اللاعضوية، لاسيّما أنّ المفهوم كان ينبغي أن يمثّل كشيء، إنّما يستصلحه هذا الوجه الأخير للمعاينة حتّى إنّهُ يشيئ حقيق الرّوح نفسه، أو - إذا ما قلنا الأمر بعكسه -: يعطي للكينونة الميّنة دلالة الرّوح. - وبذلك تكون المعاينة قد انتهت إلى الإفصاح عمّا كان يمثّل عندنا مفهومها، أعني أنّ إيقان العقل يسعى في أن يصير هو نفسه حقيقاً موضوعياً. - ولا ريب أنّه لا يُظنّ عبر ذلك أنّ الرّوح المتصوّر من خلال جمجمة يُفصح عنه كشيء؛ فهذه الفكرة ينبغي ألاّ تنطوي على أيّما مادّية - كما جرت العادة بتسمية ذلك -، بل الرّوح إنّما يكون في الأكثر شيئاً مغايراً لذلك العظّم؛ لكنّ القول إنّ الرّوح كائنٌ لا يعني سوى أنّه شيءٌ. فإذا حُمِلت الكينونة بما هي كذلك أو الكون - شيئاً (Dingsein) على الرّوح، فالعبارة الصادقة عن ذلك إنّما هي - لهذه العلة - أنّه يكون شيئاً ما كمثّل عظم. ويجب عن ذلك أن نرى في إدراك العبارة الصادقة من حيث

يُقال في الرّوح على نحو خالص: إنه كائنٌ، أمراً ذا أهميّة قصوى. غير أنه لما يُقال في الرّوح: إنه كائنٌ، أو إنّ له كينونةً، أو إنه شيءٌ، أو إنه حقيقٌ فرديٌّ، فإنّه لا يُظنّ من ذلك شيءٌ تمكن رؤيته، أو إمساكه باليدين، أو صدمه أو ما شاكل ذلك، ومع ذلك فما يُقال إنّما هو شيءٌ من هذا القبيل؛ فما يُقال على الحقيقة إنّما يعبر عنه عندئذ على نحو أنّ الكينونة التي للرّوح إنّما هي عظمٌ.

أما هذا الحاصل فتكون له دلالة مزدوجة: أولاً دلالة الحقّ من حيث يمثّل تيمّةً لحاصل الحركة الفائتة التي للوعي - بالذات. فالوعي - بالذات الشقيّ كان تخارج على قيمومته الذاتية، وجاهد في تصيير كونه - لذاته شيئاً. وبذلك كان هذا الوعي قد آب من الوعي - بالذات إلى الوعي، ومعناه أنّه رجع إلى الوعي الذي يمثّل الموضوع عنده كينونةً أو شيئاً ما؛ - أما ما يكون هاهنا شيئاً فإنّما هو الوعي - بالذات؛ فهو إذاً وحدة الأنا والكينونة، أي [23] المقولة. ومتى كان الموضوع متعيّناً على هذا النحو بالنسبة للوعي فإنّ هذا الوعي يكون له عقلٌ. والوعي، مثله مثل الوعي - بالذات، إنّما يكون في ذاته - وبحصر المعنى - عقلاً؛ لكن في الوعي وحده الذي تعيّن له الموضوع من جهة ما هو مقولة يمكن أن يُقال إنّها يمتلك عقلاً<sup>(63)</sup>؛ - أما الذي ما انفكّ يختلف عن ذلك فهو معرفة ما هو العقل. - والمقولة التي تمثّل الوحدة التي في - الحال بين الكينونة وبين الله (Des Seins und des Seinen) إنّما يجب أن تجوب الشكلين معاً، وأمّا الوعي المعايّن فهو على التدقيق الوعي الذي تعرض له المقولة في شكل الكينونة. والوعي في الحاصل الذي ينتهي إليه إنّما يفصح في شكل قضية عمّا يكون موقناً منه إيقاناً عريّاً من الوعي، - أعني القضية التي تكمن في

(63) Vernunft haben، وقد يعني ذلك: أنّ الوعي على حقّ (Recht haben).

مفهوم العقل. وهذه القضية إنّما هي الحكم اللامتناهي بأنّ الهو شيء، - وهو حكمٌ ينتسخُ من نفسه. - وعليه فما يضاف إلى المقولة عبر ذلك الحاصل وعلى نحو مقيّد إنّما هو كونها ذلك التقابل المنتسخ؛ فالمقولة الخالصة التي تكون عند الوعي على شكل الكينونة أو الحالّية إنّما هي الموضوع الذي ما زال بلا توسيط، الموضوع المائل هاهنا وحسب، والوعي إنّما هو سلوكٌ يكون على عين القدر من اللاتوسيط. أمّا لحظة ذلك الحكم اللامتناهي فتمثّل مُضيّ الحالّية في التوسيط أو السالبيّة. لذلك فالموضوع المائل إنّما يكون متعيّنًا كموضوع سالب، في حين أنّ الوعي يتعيّن حيالَه كوعي - بالذات، أو: المقولة التي اجتابت في المعاينة شكلَ الكينونة إنّما توضع الآن على شكل الكون - لذاته؛ فالوعي لم يعدّ يبتغي أن يجد نفسه في - الحال، بل يبتغي أن يتنَجّ بنفسه (Sich selbst hervorbringen) من خلال نشاطه، فالوعي ذاته هو الذي يكون لنفسه غايةً فعله، مثلما كان يشتغل في المعاينة على الأشياء وحسب.

وأما الدلالة الأخرى للحاصل فهي ما تمّ بعدُ فحصه، أعني الدلالة التي للمعاينة العريّة من المفهوم، فهذه المعاينة لا تعرف كيف تفصح عن مقصدها ولا كيف تحضّله من غير الوجه الذي تعلنُ وفقه بلا تحيّر أنّ العظم الذي لا يفقد موضوعيّته بالنسبة إلى الوعي وكما يوجد كشيء محسوس، إنّما هو التحقيق الذي للوعي - بالذات. ولكنّ المعاينة إذ تقول ذلك لا تمتلك أيّ وعي جليّ، فلا تدرك القضية التي تنطق بها من وجه التعيّن التي لحاملها ومحمولها وإضافتهما، بل لن تدركها على معنى الحكم اللامتناهي<sup>2]</sup> المنحلّ من نفسه، ولا على معنى المفهوم. - فالمعاينة إذ تبدأ من عند وعي - بالذات للروح كامن في ما هو أعمق - وهو الذي يظهر هاهنا كنزاهةً طبيعيّةً -، إنّما تحجب عنها في الأكثر سوءةً (Die Schmählichkeit) فكرٍ عارٍ يعدم المفهوم فيتخذ من عظم

حقيقاً للوعي - بالذات، ثم تملّط ذلك العظم بأنعدام الفكر نفسه، فتخلط كلّ ذلك بشتى العلاقات بين العلة والأثر وبين العلامات وبين الأعضاء وما شابه ذلك - وهذه كلّها لا معنى لها في هذا الموضوع -، وتُخفي الطابع الكريه لتلك القضية عبر تمييزات تستعيرها من ذلك الخليط.

إنّ الألياف العصبية وما شاكلها إذ تُعدّ كينونةً للروح إنّما هي في واقع الأمر حقيقٌ مفكّرٌ وافتراضيّ وحسب، - وليست هي لا حقيقاً كائناً ولا محسوساً ولا مرثياً، فما هي بالحقيق الحقّ؛ ومتى تكون بين أيدينا فترى فإنما تصير موضوعات ميتة، ولم تعد تجري مجرى الكينونة التي للروح. لكن ينبغي أن تكون الموضوعية بحصر المعنى موضوعيةً في - الحال ومحسوسةً، على نحو أنّ الروح إنّما يوضع كحاقٍ في هذه الموضوعية من جهة ما هي ميتة، - لأنّ العظم إنّما هو الميت من حيث يكون في الحيّ نفسه. أما المفهوم الذي لهذا التصرّو فهو أنّ العقل يكون في نظر نفسه كلّ شيئيةً، بما في ذلك الشيئية الموضوعية نفسها على نحو خالص؛ لكنّ العقل لا يكون ذلك إلّا في المفهوم، أو: المفهوم وحده هو حقيقته، وكلّما كان المفهوم نفسه خالصاً، ازداد سفهاً التصرّو الذي يسقط إليه، متى لم يكن مضمونه كمفهوم، بل كتصرّو، - ومتى لم يؤخذ الحكم المنتسخ من نفسه وفق الوعي بذلك اللاتاهي الذي له، فيعدّ قضيةً دائمةً ينبغي أن يجري حاملها ومحمولها كلّ مجرى الذي لذاته، فيرسخ الهو بما هو هو، والشيء بما هو شيء، وينبغي مع ذلك أن يكون كلّ طرف الطرف الآخر. - إنّ العقل - وبخاصة المفهوم - يكون في - الحال مزدوجاً في نفسه وفي ضده، وهو تقابلٌ سرعان ما يُنسخ - لتلك العلة - في - الحال؛ لكنّ العقل إذ يعرض على هذا النحو بما هو نفسه وضده، فيلبث في هذه اللحظة المفردة التي هي لحظة الانشطار، إنّما يدرك من وجه غير عقليّ؛ وكلّما ازدادت لحظات

الانشطار خلوصاً زادت ظاهرة هذا المضمون غلظةً، وهو الذي إما يكون للوعي وحسب، وإما يُفصح عنه الوعي وحده ومن دون تحيّر. - أما العميق الذي يخرجُه الرّوح من الباطن، لكنّه يقف به عند وعيه التّصوّريّ وحسب ليودعه إياه، - وجهل عينِ الوعي بما يكون وبما يقول، إنّما هما عين العلاقة بين الرفيع والخسيس التي تعبّر عنها الطبيعة بسداجة عند الحيّ حين تربط بين عضو كمالها الرفيع، العضو التّناسليّ، وعضو التّبؤل. - فالحكم اللامتناهي من جهة ما هو لامتناه كان يكون اكتمال الحياة التي تدرك نفسها بنفسها، في حين أنّ وعي الحياة الذي يلبث في التّصوّر إنّما يسلك كأنّه فعل التّبؤل.

## II. تحقّق الوعي - بالذات العقليّ بمعيّة ذاته

إنّ الوعي - بالذات كان وجد الشيء كأنّه ذاته، ووجد نفسه كأنّها شيء؛ ومعناه أنّ كون الوعي - بالذات في ذاته الحقيقيّ الموضوعيّ إنّما هو أمر يستقيم بالنسبة إليه. إنّّه لم يعد الإيقان الذي في - الحال من كونه كلّما واقع، بل صار إيقاناً من قبيل الذي تكون عنده لما هو في - الحال بالجملة صورةً منسوخ، على نحو أنّ موضوعيّته لم تعد تجري إلّا مجرى السطح الذي يماثل باطنه وماهيته الوعيّ - بالذات نفسه. - لذلك فالموضوع الذي يرتبط به الوعي - بالذات على نحو موجب إنّما هو وعيّ - بالذات، إنّّه يكون على صورة الشّيئيّة، أي إنّّه يقوم بنفسه؛ لكنّ الوعي - بالذات موقنٌ من أنّ هذا الموضوع القائم برأسه ليس غريباً بالنسبة إليه، ويعلم عندئذ أنّه في ذاته معترف به من قبل ذلك الموضوع؛ فالوعي - بالذات إنّما هو الرّوح الذي يكون على إيقانٍ من كونه يمتلك وحدته مع نفسه في ازدواج وعيه - بذاته وفي القيام الذاتيّ الذي للوعيين كليهما. وينبغي على هذا الإيقان الآن أن يترقّى في نظر الوعي - بالذات إلى مصافّ الحقيقة؛

وينبغي على ما يصلح عند الوعي - بالذات، أعني كونه في ذاته وفي إيقانه الجوّانيّ، أن يلجّ الوعي الذي لذلك الوعي - بالذات فيصير بالنسبة إليه.

[I. الوجهة التي - في - الحال لحركة الوعي - بالذات؛ ملكوت الإتيقا] - إنّ ما ستكونه المراحل الكليّة لهذا التحقّق يظهر بالجملة عبر المقارنة مع السبيل التي سُلكت حدّ الآن. أعني أنّه كما كان العقل المعين قد كرّر في عنصر المقولة الحركة التي للوعي، ولاسيّما حركة الإيقان الحسيّ والدرك الحسيّ والذهن، كذلك سيحجّب من جديد الحركة المضاعفة للوعي - بالذات، ثمّ يمرّ من [2: القيمومة الذاتية ليمضي في حرّيته. وهذا العقل الناشط لا يعي في أوّل الأمر بنفسه إلّا من جهة ما هو فردٌ، ولا بدّ له بما هو كذلك أن يلتمس حقيقته وينتجّه في مغاير، لكن من بعد ذلك يصير الفرد - من حيث يترقى وعيه إلى الكليّة - عقلاً كليّاً، فيعي بنفسه كعقل وكالذي تمّ الاعتراف به في ذاته ولذاته، فيوحّد في وعيه الخالص كلّ وعي - بالذات؛ وهذا الفرد إنّما هو الماهية الرّوحية البسيطة التي تكون من حيث تنتهي في الوقت نفسه إلى الوعي، الجوهر الحقيقي (Reale Substanz) أين تؤوب الصور الفائتة كأنّ إلى عمادها حتّى إنّها لا تكون حيال هذا العماد سوى لحظات فردية لصيرورته، وهي لحظات تنقطع عنه فتظهر فعلاً كأشكال خاصّة، لكنّها لا تملك بالفعل كياناً ولا حقيقةً إلّا من حيث يحملها ذلك العماد، ولا حقيقة لها إلّا من حيث تكون وتلبث فيه.

إذا تناولنا هذا الهدف من وجه واقعه، وهو المفهوم الذي كان نجم لنا حقّاً، أعني الوعي - بالذات المعترف به الذي يكون له إيقانه من ذاته في الوعي - بالذات الحرّ الآخر، فيمتلك في ذلك على التدقيق حقيقته، - أو إذا أخرجنا هذا الرّوح الذي ما زال جوّانيّاً وأبرزناه كالجوهر الذي ربا فبلغ فعلاً كيانه، لا نبلج في ذلك المفهوم ملكوت الإنيقيّة. والإنيقيّة ليست سوى الوحدة

الرّوحية المطلقة التي لماهيّة الأفراد على حقيقتهم القائم بنفسه؛ وعي - بالذات في ذاته كليّ يكون حاقاً في وعي مغاير حدّ أنّه تكون لهذا الوعي المغاير قيمومة ذاتيّة تامّة، أو يكون شيئاً بالنسبة إليه. وفي ذلك إنّما يكون الوعي - بالذات واعياً بالوحدة مع الوعي المغاير حتّى إنّ لا يتمّ وعياً - بالذات إلّا في تلك الوحدة مع هذه الماهية الموضوعية. إنّ ذلك الجوهر الإتيقيّ إذا ما اعتُبر من وجه تجريد الكليّة إنّما هو القانون المفتكّر وحسب؛ لكنّه أيضاً في - الحال وعي - بالذات حاقّ أو هو السُنن الإتيقيّة<sup>(64)</sup>. أمّا الوعي الفرديّ فليس هو - على العكس من ذلك - هذا الواحد الكائن إلّا من حيث يعي بالوعي الكليّ على فرديّته كأنّه يعي بكيّنوته، أي ما دام فعله وكيّانه سنناً إتيقيّة.

إنّ مفهوم تحقّق العقل الواعي - بذاته تكون له بالفعل واقعيّته التامة في الحياة التي للشعب، وهو تحقّق يتمثل في حدس الوحدة التامة مع الآخر في القيمومة الذاتية التي له، أو أنّ أتخذ موضوعاً هذه الشبيّة الحرّة للمغاير التي وجدتها بين يديّ - وهي شبيّة نافية لذاتي - كأنّها كونيّ الذي بالنسبة إليّ. والعقل إنّما يحضّر كالجوهر الكليّ السيّال وكالشبيّة البسيطة الثابتة التي تشعّ في ماهيات كثيرة قائمة بذاتها تماماً كمثل الضوء يشعّ في نجوم فإذا هي ما لا يُحصى من النقط المنيرة لذاتها، وتلك الماهيات في كونها - لذاتها المطلق لا تنحلّ في ذاتها فقط في الجوهر البسيط والقائم بذاته، بل تنحلّ لذاتها خاصّة؛ إنّها واعية بأنّ كونها هذه الماهية الفرديّة والقائمة برأسها إنّما يستقيم لها من حيث تضحي بفرديّتها فيقوم ذلك الجوهر الكليّ مقام نفسها وماهيّتها، مثلما أنّ هذا الكليّ يكون بدوره الفعل الذي لها (Das Tun ihrer) من جهة ما هي فرديّة، أو يكون الأثر الذي تنتجّه.

(64) Die Sitte: الإيتوس على معنى سنن القوم وعاداتهم وأخلاقهم.



إنّ فعل الشخص وسعيه الفرديّين خالصاً إنّما يرتبطان بالحاجات التي تكون له كأنّها إنّيّة طبيعيّة (Als Naturwesen)، أعني كأنّها فرديّة كائنة. أمّا كونُ هذه الوظائف المشتركة شديداً التي للشخص لا تصير هي الأخرى إلى عدم، بل تكون ذات حقيقي، فإنّما يحدثُ عبر الوَسَط الكَلْبِي الذي يَسْندها، أي عبر قدرة الشعب كلّهِ. - غير أنّ الفردَ لا يحصلُ بالجملة في الجوهر الكَلْبِي تلك الصورة التي لاتصال فعله وحسب، بل يستمدّ منه كذلك مضمونه؛ وما يفعله إنّما هو الحداقة (Die Geschicklichkeit) والسنن الإتيقية التي للجميع. وذلك المضمون إنّما يتقيّد في حقيقه - من حيث ينفرد على أكمل وجه - بالفعل الذي للجميع. أمّا عمل الفرد في قضاء حاجاته فهو أيضاً تلبيةً لحاجات الآخرين بقدر ما هو تلبية لحاجاته الخاصّة، فلا يبلغ تلبية حاجاته إلّا من خلال عمل الآخرين. - وكما أنّ الفرديّ يُنجز في عمله المفرد ومن غير وعي عملاً كَلْبِيّاً، فإنّه يُنجز كذلك العمل الكَلْبِي من جديد من جهة ما هو موضوعه الواعي، فيصير الكلُّ من جهة ما هو كلُّ أثره الذي يضحي من أجله، وبذلك إنّما يتنزّل ضمن الكلِّ. - فليس ثمة هاهنا شيءٌ كان لا يكون متبادلاً، ولا شيء كان ليعطلَ كونَ القيمومة الذاتية للفرد تستفيدُ ضمنَ تحلّل كونها - لذاتها وفي نفيها لذاتها دلالتها الموجبة، أعني أنّها تكون لذاتها. وهذه الوحدة بين [2: الكون لمغاير أو الاستحالة شيئاً وبين الكون - للذات، هذا الجوهر الكَلْبِي إنّما يتكلّم لغته الكَلْبِيّة في السنن الإتيقية والقوانين التي لشعبه؛ لكنّ هذه الماهيّة الكائنة واللامتبدّلة ليست سوى عبارة الفرديّة الفاردة نفسها المظهرة على أنّها تتضادّ وذلك الجوهر الكَلْبِيّ؛ والقوانين إنّما تفصح عمّا يكونُ ويفعلُ كلّ فرديّ؛ فالفرد لا يعترف تلك القوانينَ من جهة ما هي شيئيّة موضوعيّة كليّة وحسب، بل يعترف كذلك ذاته في تلك الشيئيّة، أو يعترفها من حيث تتفرّد في فرديّته الخاصّة كما في كلّ فردٍ من بني وطنه.

لذلك لا يمتلك أي فرد إيقانه من ذاته - أعني كونه لا يجد في الحقيق الكائن إلا نفسه - إلا في الروح الكلّي؛ فالفرد يكون على إيقان من الآخرين بقدر ما يكون على إيقان من ذاته. - إنّي أحدس في الجميع أنّهم لا يكونون لذواتهم إلا هذه الماهية القائمة بذاتها التي أكونها؛ إنّي أحدس الوحدة الحرّة مع الآخرين فيهم على نحو أنّه كما تكون من خلال ذاتي تكون كذلك من خلال الآخرين أنفسهم. فهُمْ كَأَنَا، وَأَنَا كُهُمْ.

لهذه العلة إنّما يكون العقل على الحقيقة حاقاً عند شعب حرّ؛ فالعقل إنّما هو روح حيّ حاضر حيث لا يعبر الفرد عن تعيّن - أعني ماهيته الكلية والفردية - كشيئية ماثلة وحسب، بل يكون هو نفسه تلك الماهية، ويكون قد بلغ تعيّن أيضاً. ولذلك قال القدامى الأكثر حكمة: إنّ الحكمة والفضيلة تتمثلان في أن يعيش المرء على سنن شعبه.

II. الحركة المعاكسة المتضمنة التي تنطوي عليها تلك الوجهة؛ ماهية الأخلاقية] - لكن الوعي - بالذات الذي لا يكون روحاً في مبتدأ الأمر إلا في - الحال أو بحسب المفهوم، إنّما قد خرج على هذه السعادة المتمثلة في كونه بلغ تعيّن ليحيا فيه؛ أو: إنه ما زال لم يبلغ الروح بعد، لأنّه يجوز قول الأمرين من وجه سواء.

لا بد للعقل أن يخرج على تلك السعادة؛ لأنّ حياة شعب حرّ لا تكون الإتيقية الحاقّة إلا في ذاتها أو في - الحال، أو إنّما هي إتيقية كائنة، عندئذ يكون ذلك الروح الكلّي نفسه هو أيضاً روحاً فردياً، أي جملة السنن الإتيقية والقوانين، فيكون جوهرأ إتيقياً متعيّناً لا يطرح التقييد إلا في اللّحظة الأعلى، لاسيّما عند الوعي بماهيته، فلا تستقيم له حقيقته المطلقة إلا في هذه المعرفة، لكن ليس في - الحال وضمن كينونته؛ فالجوهر الإتيقي

في تلك الكينونة إنّما يكون في شطر جوهرًا مقيداً، ويكون في شطر آخر التقييد المطلق من حيث إنّ الرّوح إنّما يتّخذ صورة الكينونة.

وزائداً إلى ذلك أنّ الوعي الفرديّ كما يكون له في - الحال وجوده في الإتيقيّة الحاقّة أو في الشعب، يكون لهذه العلة ثقة صافية لم يتحلّل الرّوح بالنسبة إليها إلى لحظاته المجرّدة، فلا تعلم إذا كونها فرديةً خالصةً لذاتها. لكن متى يبلغ الوعي الفرديّ هذه الفكرة - مثلما يلزمه ذلك -، فإنّ تلك الوحدة التي في - الحال مع الرّوح، أو كونه فيه، وثقته إنّما تكون فاتت؛ إنّما الآن إذ ينفرد لذاته يكون لنفسه ماهيةً، ولم يعد الرّوح الكلّيّ. ولا ريب أنّ لحظة هذه الفردية التي للوعي - بالذات إنّما تقوم في الرّوح الكلّيّ نفسه، لكن كعظم زائل ينحلّ فيه في - الحال، فلا ينتهي إلى الوعي إلّا كثقة، كمثلاً يهمل لذاته. وما دامت هذه اللّحظة قد ترسّخت على هذا النحو - ولا بدّ لكلّ لحظة، بما أنّها لحظة الماهية، أنّ تنتهي هي نفسها إلى أنّ تعرض كماهيةً -، فإنّ الفرد يواجه القوانين والسنن الإتيقية؛ وهذه لا تكون إلّا فكرةً من دون أسيّة مطلقّة، ونظريّة مجردةً من دون حقيقيّ؛ أمّا الفرد من جهة ما هو هذا الأنا فإنّما يكون لنفسه الحقيقة الحيّة.

أو بمعنى آخر: الوعي - بالذات لم يبلغ بعدّ تلك السعادة التي تتمثل في كونه جوهرًا إتيقيًا والرّوح الذي لشعب ما. لأنّ الرّوح إذ يؤوب من المعاينة ما زال من جهة ما هو كذلك أولاً لم يتحقّق عبر ذاته، فلا يوضع إلّا كماهيةً جوانيةً أو كتجريد. - أو هو إنّما يكون أولاً بلا توسيط؛ لكنّه إذ يكون بلا توسيط إنّما يكون فردياً؛ إنّما الوعي العمليّ الذي يخوض عالمه الحاصل بين يديه بغاية أنّ يزدوج في هذه التعيّنات التي لفرديّ، ويتنتج كهذا، أو كالصورة المقابلة التي له، فيصير واعياً بهذه الوحدة التي لحقيقه مع الماهية الموضوعيّة. والوعي العمليّ يكون على إيقان

من تلك الوحدة، وما يستقيم له هو أنّ تلك الوحدة أو هذا التوافق بينه وبين الشئيّة إنّما يمثلان فعلاً في ذاتيهما، أو أنّ صنيعه (Sein Machen) إنّما هو أيضاً فعل إدراك (Das Finden) عين الوحدة. وما دامت تلك الوحدة تُدعى سعادةً فهذا الفردُ سيّعه الرّوحُ عندئذٍ في العالم حتّى يبحث عن سعادته.

إذا كان الجوهر الإتيقيّ إذاً يمثّل بالنسبة إلينا حقيقةً هذا الوعي - بالذات العقليّ، ففي هذا الموضع إنّما تشرع بالنسبة إلى هذا الوعي - بالذات تجربته الإتيقيّة للعالم؛ فأما إذا نظرنا في الأمر من الوجه الذي لم يصرّ فيه هذا الوعي - بالذات ذلك الجوهر الإتيقيّ، لبان أنّ هذه الحركة إنّما تتنرّع وتسوق إلى ذلك الجوهر، وأنّ ما ينتسخ فيه إنّما هي اللحظات الفردية التي تصلح عند ذلك الوعي - بالذات على أفرادها. وهذه اللحظات تكون على صورة إرادة في - الحال، أو نزوع طبيعيّ يلبّي، وهي تلبية تمثّل هي نفسها المضمون الذي لنزوع جديد. - أمّا إذا نظرنا من الوجه الذي فقد فيه الوعي - بالذات سعادةً أنّ يكون في الجوهر، لا تضح أنّ تلك النزوعات الطبيعية ترتبط بالوعي بغاياتها بما هي التعيّن والأيسية الصادقان؛ والجوهر الإتيقيّ إنّما يخفّض حينئذ إلى محمول عربيّ من الهو تتمثّل حوامله الحية في الأفراد الذين ينبغي عليهم أن يفعموا كليّتهم بأنفسهم ويتدبروا من أنفسهم تعيّنهم ويسعوا فيه. - وعليه فهذه الأشكال إنّما تمثّل في تلك الدلالة الأولى صيرورة الجوهر الإتيقيّ وتتقدّمه؛ أمّا في الدلالة الثانية فإنّما تتبع ذلك الجوهر، وتحلّ للوعي - بالذات ما يكون تعيّنه؛ فالحالية أو الغلظة التي للنزوعات إنّما تفوت بحسب ذلك الوجه الأوّل في الحركة التي يُجرّب فيها ما هي حقيقتها، ويمرّ مضمونها في مضمونٍ أرفع؛ أمّا بحسب هذا الوجه الثاني فيفوت التمثّل الكاذب للوعي الذي يضع تعيّنه في عين النزوعات. والهدف الذي تبلغه هذه بحسب الوجه الأوّل إنّما هو الجوهر الإتيقيّ الذي في -

الحال. وأما بحسب الوجه الثاني فالهدف إنما هو الوعي بعين الجوهر، أعني وعياً من قبيل الذي يعلم الجوهر الإتيقي كماهيته الخاصة؛ وبهذا المعنى تمثل هذه الحركة الصيرورة التي للأخلاقية، أي صيرورة شكل أرفع مما تكونه تلك الحركة الأولى. غير أن تلك الأشكال لا تمثل في الوقت نفسه إلا جانباً من صيرورة الأخلاقية، ولاسيما الجانب الذي يقع في الكون - لذاته، أو الذي ينسخ فيه الوعي أهدافه، لا الجانب الذي تنجم وفقه الأخلاقية عن الجوهر نفسه. ولما لم يكن بوسع هذه اللحظات بعد أن تكتسب دلالة أن تقوم كغايات في تقابل مع الإتيقية المفقودة، فهي إنما تصلح في هذا الموضع بحسب مضمونها التلقائي، وأما الهدف الذي تنتزع إليه فهو الجوهر الإتيقي؛ لكن ما دامت هذه الصورة قريبة من زماننا هذا، وهي الصورة التي تظهر فيها تلك اللحظات من بعد أن فقد الوعي حياته الإتيقية وما انفك يكرّر - إذ يتعقبها - عين تلك الصور، فإنه بالإمكان حقاً أن تُتصور تلك اللحظات وفق العبارة التي لهذا النحو الثاني.

فالوعي - بالذات الذي لا يكون في مبتدأ الأمر إلا مفهوم الروح إنما يسلك هذه السبيل وهو على تعيينية أن يكون لنفسه الماهية من جهة ما هي روح فردي، أما غايته فهي إذاً أن يهب نفسه التحقق كوعي - بالذات فردي، فيتمتع بنفسه في ذلك التحقق.

لما يتعين الوعي - بالذات من حيث كونه لنفسه الماهية بما هو كائن لذاته، فإنما يكون نفيماً للآخر؛ لذلك فهو نفسه في الوعي الذي له إنما يهمل كموجب يواجه شيئاً ما كائناً بلا ريب، لكن تكون له عند الوعي - بالذات دلالة أنه ليس كائناً في ذاته؛ والوعي إنما يظهر منفصلاً إلى هذا الحقيق الحاصل بين يديه وإلى الغاية التي يُتمها عبر نسخ عين الحقيق، حتى إنه بدل أن يأتي هذه الغاية إنما يأتي في الأكثر ذلك الحقيق. ولكن غايته الأولى

إنّما هي كونه - لذاته المجرد والذي في - الحال، أو أن يحدث نفسه كهذا الفردي في آخر أو يحدث وعياً - بالذات مغايراً حدسه لنفسه. أمّا تجربة ما هي حقيقة هذه الغاية فتضع الوعي - بالذات في منزلة أرفع، فيصير الوعي - بالذات مذكاً غاية نفسه من حيث يكون في الحين نفسه وعياً - بالذات كلياً وينطوي في - الحال على القانون. ولكنه إنّما يتعنى في إنجاز قانون فؤاده أنّه ليس بوسع الماهية الفردية أن تلبث هناك، بل إنّ الحسن لا يُنجز إلا عبر التضحية بعين الماهية، فيصير الوعي - بالذات إلى الفضيلة. والتجربة التي تأتيها الفضيلة ليست سوى تلك التي يتضح لها فيها أنّ غايتها في ذاتها قد نُجزت، وأنّ السعادة موجودة في - الحال في الفعل نفسه، وأنّ الفعل نفسه هو الحسن. والمفهوم الذي لهذا المقام - أعنى أنّ الشئية هي كون الروح نفسه لذاته - إنّما يحصل للوعي - بالذات ضمن الحركة التي لهذا المقام. وما دام الوعي - بالذات قد أدرك ذلك المفهوم فإنّه يكون لنفسه واقعاً من جهة ما هو فرديةً تفصح عن نفسها في - الحال ولم تعد تجد معاندةً في الحقيق المقابل، فوحده هذا الإفصاح نفسه يصير عندها الموضوع والغاية.

## 1. اللذة والضرورة

إنّ الوعي - بالذات الذي يمثل بالجملة الواقع، ينطوي في حد ذاته على موضوعه، لكنه موضوع من قبيل ما يكون له في مبتدئ الأمر في ذاته وحسب، أي موضوع لم يصر بعد كائناً؛ فالكينونة إنّما تنتصب أمام الوعي - بالذات كأنّها حقيق مغاير للحقيق الذي له؛ والوعي - بالذات إنّما يلتمس - إذ يُتمّ كونه - لذاته - حدس ذاته كماهية قائمة بذاتها مغايرة. هذه الغاية الأولى إنّما تتمثل في استحالة الوعي - بالذات واعياً بذاته كماهية فردية في الوعي - بالذات المغاير، أو أنّ يجعل من ذلك الآخر ذاته نفسها؛ فالوعي - بالذات على يقين من أنّ ذلك الآخر في ذاته

إنّما يقوم عنده مقام نفسه. - وما دام الوعي - بالذات قد ترقى من الجوهر الإتيقي والكينونة الساكنة للتفكير إلى كونه - بذاته، فإنّه قد ترك خلفه قانون السنن الإتيقية والكيان والمعارف المتأتية من المعاينة والنظرية كأنّ هذه كلّها ظلّ رماديّ بصدد الزوال<sup>(65)</sup>، لأنّ تلك الأمور إنّما هي في الأكثر معرفة شيءٍ يغيّر كونه - لذاته وحقيقته الحقيقي الذي للوعي - بالذات. إنّ ما يلجّ إلى هذا الوعي - بالذات إنّما هو روح الأرض (Der Erdgeist) الذي تجري عنده الكينونة التي تمثّل حقيق الوعي الفرديّ مجرى الحقيق الصادق، بدلاً عن الروح المتبدّي تبدياً سماويّاً في كليّة المعرفة والفعل حيث يصمّت شعور الفردية وتمتّعها.

إنّه يحتقر الذهن والعلم

مواهب الإنسان السنيّة

فهو قد وهب نفسه للشيطان

ولا بدّ أن يستغرق في الهوة<sup>(66)</sup>.

(65) إشارة إلى ما جاء على لسان ميفيستوفليس (Mephistopheles) وهو يخاطب

المريد: «Grau, teurer Freund, ist alle Theorie/ Und grün des Lebens goldner Baum».

«غائمة هي يا صاحبي كلّ نظرية / خضراء هي الشجرة الذهبية للحياة»، انظر

Johann Wolfgang von Goethe, *Faust, I. Teil*, ص 54 من: 2038-2039, *Klassiker der Weltliteratur (Offenburg/ Mainz: Lehrmittel-Verlag, 1947)*.

لكن هيغل لم يقرأ أولاً فاوست إلّا في ما نشره غوته سنة 1790؛ انظر ص 24

من: Johann Wolfgang von Goethe, *Goethe's Schriften*, 8 vols. (Leipzig: G. J. Göschen, 1787-1790), vol. 7: *Faust. Ein Fragment*, 1790.

أما *Faust I* فلم تنشر إلّا في 1808.

(66) يجمع هيغل ها هنا البيتين 1851-1852 بالبيتين 1866-1867 مع شيء

من التبديل: «Verachte nur Vernunft und Wissenschaft/ Des Menschen allerhöchste Kraft» and «Und hätt' er sich auch nicht dem Teufel übergeben/ Er müßte doch zugrunde gehn».

Goethe, *Faust I*.

انظر ص 50 من:

فالوعي - بالذات إنّما يُلقِي بنفسه إذاً في الحياة، فَيتمّ إنجازُ الفرديةِ الخالصةِ حيث يهلُّ. فهو لا يأتي سعادته بقدر ما يحصلها ويتمتع بها في - الحال. وظلال العلوم والقوانين والمبادئ التي تنتصب وحدها بينه وبين حقيقه، إنّما تزولُ كغيمَةٍ عريّةٍ من الحياة تعجز عن تلقّي الوعي - بالذات وقد عزّزه الإيقانُ من واقعه؛ فالوعي - بالذات إنّما يحوزُ الحياةَ كما تُقطفُ الثمرة العاقدة التي تساقُ القطافَ ما إن تُقطفَ.

I. [اللذة] - إنّ فعل الوعي - بالذات لا يكون فعل رغبةٍ إلّا بحسب لحظةٍ من اللحظات؛ فهذا الفعل لا يلتمسُ إلغاء الماهية الموضوعية في جملتها، بل يتعلّق فعل الوعي - بالذات فقط 1 بالصورة التي لكونه المغايرِ أو لقيمومته الذاتية التي تمثل ظاهراً عريّاً من الماهية؛ لأنّ الكون المغاير في ذاته إنّما يجري عنده مجرى عينِ الماهية، أو مجرى الهُوِيَّة<sup>(67)</sup> التي له. والعنصر الذي تقوم فيه الرغبة وموضوعها كلّ على حدة وعلى نحو سيّاني، إنّما هو الكيان الحيّ؛ أمّا متعةُ الرغبة فتُنسخ هذا الكيان من حيث يوافق موضوعَ تلك الرغبة؛ لكن هذا العنصر الذي يهب الطرفين حقيقتهما المفردَ إنّما هو بالأحرى في هذا الموضع المقولة، أي كينونةٌ هي بالجواهر كينونةٌ متصورةٌ؛ لهذه العلة يمثل ذلك العنصرُ الوعيَ بالقيمومة الذاتية الذي يُبقي على الأفراد كلّ لذاته، - سواء كان الوعي الطبيعيّ أو الوعي المتكوّن من نسق قوانين. هذا الفصلُ في ذاته لا يقوم عند الوعي - بالذات الذي يعلم الآخر كالهوية الخاصة التي له. وعليه فالوعي - بالذات يبلغُ متعة اللذة، وينتهي إلى الوعي بتحقيقه في وعي يظهرُ كقائم بذاته، أو إلى حدس وحدة الوعيين - بالذات القائمين برأسيهما. إنّ يبلغ غايته، لكنّه يجرب في ذلك ما هي حقيقة عين الغاية. وهو يفهم ذاته

(67) Als seine Selbstheit، أي كونه ذا هو (Selbst).



كأنها هذه الماهية الفردية الكائنة - لذاتها، لكن تحقق تلك الغاية يمثل هو نفسه نسخ عين الغاية، لأن الوعي - بالذات لا يصير لنفسه موضوعاً كأنه هذا الوعي - بالذات الفردي، بل يصير لنفسه في الأكثر كالوحدة بين ذاته وبين الوعي - بالذات المغاير، فيصير عندئذ كفرادي منسوخ أو ككلي.

[II. الضرورة] - لا ريب أن للذة المتمتع بها دلالة موجبة تتمثل في كون [الوعي - بالذات] تصير لنفسه كوعي - بالذات موضوعي، لكن لها كذلك الدلالة السالبة المتمثلة في كونه قد أنتسخ من نفسه؛ وما دام لم يفهم تحققه إلا على دلالته الموجبة تلك، فتجربته إنما تلج وعيه متناقضة، حيث تلغي الماهية السالبة ما آل إليه من حقيق فرديته، وهي الماهية التي تواجه خاوية - وعلى نحو عري من الحقيق - تلك الفردية، وتكون مع ذلك القوة التي تؤدي بها إلى التهلكة. فهذه الماهية ليست سوى مفهوم ما تكون هذه الفردية في ذاتها؛ لكن الفردية ما زالت الشكل الأحسر الذي للروح المتحقق؛ لأنها إنما تكون لنفسها أولاً تجريد العقل، أو حالة الوحدة بين الكون - لذاته والكون - في - ذاته؛ فماهيتها إذا هي المقولة المجردة وحسب. ومع ذلك فهذه الفردية لم تعد [242] لها صورة الكينونة البسيطة والتي في - الحال مثلما هو شأن الروح المعايين حيث تمثل الفردية الكينونة المجردة، أو توضع كغريب، أي بالجملة الشيئية. لقد دخل الشيئية في هذا الموضوع الكون - لذاته والتوسيط. ولذلك فالفردية إنما تهل كدور يتمثل مضمونه في الصلة الخالصة والرابية التي للأسيات البسيطة. وعليه فالتحقق الذي بلغته هذه الفردية لا يتمثل في شيء سوى كونها قد أخرجت هذا الدور من التجريديات من انغلاق الوعي - بالذات البسيط وأسقطته في عنصر الكون الذي بالنسبة إليه<sup>(68)</sup> أو

(68) Das Furessein، الكون الذي بالإضافة إلى الوعي - بالذات.

الانبساط الموضوعي. إنَّ ما يصير إذاً في اللذة المتاعية موضوعاً للوعي - بالذات كأنه ماهيته، إنَّما هو بسط مثل تلك التجريدات والوحدة الخالصة والفرق الخالص والرابطة القائمة بينها؛ وزائداً إلى ذلك أنَّ الموضوع الذي يتعنَّاه الوعي كأنه ماهيته، ليس له مضمون. وهذا الموضوع إنَّما هو ما يسمَّى الضرورة؛ فالضرورة والقدر وما شاكل ذلك إنَّما هي أمرٌ من قبيل الذي لا ندري قول ما يفعل ولا ما هي قوانينه المحددة ولا ما هو مضمونه الموجب، فإنَّما هو المفهوم المحض والمطلق الذي يُحدسُ هو نفسه ككينونة، الصلة البسيطة والخواوية مع أنه لا رادَ لها ولا زبغ فيها والتي لا يعدو أثرها كونه ليسَ الفرديَّة. فالضرورة إنَّما هي هذا الرباطُ الراسخ، لأنَّ الرباط هو الأسيَّات الخالصة أو التجريدات الخاوية؛ فالوحدة والفرق والصلة إنَّما هي مقولات، كلُّ مقولة منها إنَّما هي ليسَ في ذاتها ولذاتها، ولا تكون إلاً في صلتها بضدّها، ولذلك لا يمكنها أن تنقطع عن بعضها البعض. إنَّها موصولةٌ بعضها ببعض عبر المفهوم الذي لها، فإنَّما هي المفاهيم الخالصة نفسها؛ وهذا الوصل المطلق والحركة المجردة يمثَّان الضرورة؛ فالفرديَّة التي لا تكون إلاً فرديَّة لا تطوي أولاً إلاً على المفهوم المحض للعقل مضموناً لها، بدل أن تُخرج على النظرية الميَّنة لتلقي نفسها في الحياة، إنَّما لم تلقِ بنفسها في الأكثر إلاً في الوعي بأرتفاع الحياة عنها، فلا يصير لها نصيبٌ من ذاتها إلاً كضرورة غريبة وخواوية، أي كحقيق ميَّت.

### III. التناقض القائم ضمن الوعي - بالذات] - إنَّ المضيَّ

يحصل كتمارّة لصورة الواحد في صورة الكلّية، وممارّة تجريدٍ مطلقٍ في تجريدٍ مطلقٍ مغاير، مرورٌ من غاية الكون - لذاته 1) المحض - الذي يُعرض عن مشاركة آخرين - في الضدّ المحض، أي الكون - في - ذاته الذي يكون بدوره مجرداً. وذلك كلّهُ يظَّهر عندئذٍ على نحو أن الفردَ لم يفعل سوى الاستغراق في الهوة،

وَأَنَّ الجبروت<sup>(69)</sup> المطلق الذي للفردية إنما قد انتثرَ في الحقيق الذي يضاهاها غلظة وإن كان حقيقاً متصلاً. - وما دام الفرد من جهة ما هو وعي الوحدة ما بين نفسه وضده، فهذا الفوات المَهْلِكُ (Der Untergang) ما زال قائماً بالنسبة إليه؛ إنه غايته وتحققه بقدر ما هو التناقض بين ما كان يمثل في نظره الماهية وما يكون في ذاته الماهية؛ - فالفرد إنما يتعنى المعنى المضاعف الكامن في ما كان يفعل، أعني كونه قد اقتصف حياته؛ فالفرد كان أمسك بالحياة، لكنه - إذ فعل - إنما حصل الموت.

إن تلك الممارّة لكيقونة الفرد الحية في الضرورة العرية من الحياة إنما تظهر له إذا كأنها انقلاب لا يتوسطه شيء؛ فالموسط كان يلزم أن يكون حيث كان يكون الجانبان واحداً، أي حيث كان الوعي إذا سيعترف لحظة في أخرى، فيعترف غايته وفعله ضمن القدر، وقدره ضمن غايته وفعله، وماهيته الخاصة ضمن تلك الضرورة. ولكن هذه الوحدة إنما تكمن بالنسبة إلى هذا الوعي - على التدقيق - في اللذة نفسها، أو أن الشعور البسيط والمفرد والمرور من لحظة غايته هذه في اللحظة التي لماهيته الصادقة إنما يمثلان في نظره محض قفزة في المتضاد؛ فهاتان اللحظتان ليستا متضمنتين ولا موصولتين في الشعور، بل فقط في الهو المحض الذي يمثل كلياً أو التفكير. ولذلك فالوعي - عبر تجربته حيث يجب أن تحصل له حقيقته - إنما صار لنفسه في الأكثر لغزاً، فتبعات أفعاله ليست في نظره أفعاله نفسها، وما يحدث له ليس في نظره تجربة ما يكون هو في ذاته؛ والممارّة ليست مجرد تغيير صورة لعين المضمون والماهية، يتصوران مرة كأنهما مضمون الوعي وماهيته، ومرة أخرى كأنهما الموضوع أو الماهية المحدوسة للذات. وعليه فالضرورة المجردة لا تؤخذ إلا

(69) Die Sprödigkeit، تعني الخشونة والصلابة، لكن أيضاً التجبر والطغيان.

على معنى القوة السالبة وغير المفهومة التي للكليّة، حيث يُفْتُ  
الفرد فتاً.

هو ذا الحدّ الذي تنتهي إليه ظاهرة هذا الشكل الذي للوعي -  
بالذات؛ فاللحظة الأخيرة لوجوده إنّما هي فكرة ضياعه في  
الضرورة، أو فكرة ذاته بما هي ماهيّة غريبة عن نفسها على  
الإطلاق. ولكن الوعي - بالذات في ذاته إنّما قد صمد وتغلب على  
ذلك الضياع؛ لأنّ تلك الضرورة أو الكليّة الخالصة إنّما تمثّلان  
الماهية الخاصّة التي له. أمّا هذا التفكّر للوعي في ذاته، أعني أنّ  
يعلم الضرورة كأنّها ذاته، فإنّما هو شكلٌ جديدٌ لعين الوعي.

## 2. قانون الفؤاد، وجنون العُجبِ (Der Wahnsinn des Eigendünkels)

ما تكونه الضرورة - على الحقيقة - عند الوعي - بالذات،  
تكونه بالنسبة إلى شكله الجديد حيث يمثّل الوعي - بالذات في  
نظر نفسه الضروريّ؛ فالوعي - بالذات يعلم في - الحال أنّه  
ينطوي على الكليّ أو القانون، وهو القانون الذي يُسمّى قانون  
الفؤاد بسبب هذا التعيين الذي يتمثّل في كونه يكمن في - الحال  
في كون الوعي لذاته. وهذا الشكل بما هو فريدة إنّما يكون لذاته  
ماهية، كما هي الحال في الشكل الفائق، لكنّه أثرى بفضل  
التعيين المتمثّل في أنّ ذلك الكون - لذاته إنّما يجري عنده مجرى  
ضروريّ أو كليّ.

وعليه فالقانون الذي يكون في - الحال القانون الخاصّ  
بالوعي - بالذات، أو فؤاداً يشتمل - مع ذلك - على قانون، إنّما  
يمثّل الغاية التي يلتمس الوعي - بالذات تحقيقها؛ فينبغي أن نرى  
هل سيطابق تحقيقه هذا المفهوم، وهل سيتعنى (Erfahren.. wird)  
الوعي - بالذات في هذا التحقيق ذلك القانون الخاصّ به كأنّه  
الماهية.

[I. قانون الفؤاد وقانون التحقيق] - ثمة حقيقٌ يقوم نُصَبَ هذا الفؤاد؛ فالقانون إنّما يكون أولاً في الفؤاد لذاته وحسب، وهو ما زال لم يتحقّق، فيكون إذاً في الوقت نفسه شيئاً مغايراً لما هو المفهوم. وهذا المغاير إنّما يتعيّن بذلك كحقيق يتضادّ مع ما ينبغي تحقيقه، فيكون ذلك المغاير عندئذٍ التناقض القائم بين القانون وبين الفرديّة؛ فذلك الحقيق إذاً يكون من ناحية قانوناً يطغى على الفرديّة الفاردة (Einzelne Individualität)، نظام العالم العنيف الذي يناقض قانون الفؤاد؛ - ويكون من ناحية أخرى إنسانيّة تتوجّع من جرّاء سطوة ذلك النظام، فلا تتبّع قانون الفؤاد، بل تخضع لضرورة غريبة عنها. - فهذا الحقيق الذي يظّهّر قبالة الشكل الحاضر الذي للوعي ليس يمثّل - مثلما يلوح ذلك - سوى العلاقة المزدوجة الفائتة بين الفرديّة وبين حقيقتيها، أي علاقة [24] ضرورة قاهرة تستبدّ بتلك الفرديّة. والحركة الفائتة إنّما تهلّ - بالنسبة إلينا - نصب الشكل الجديد، والعلة في ذلك أنّ هذا الشكل - إذ ينجم في ذاته عن تلك الحركة - يمثّل اللّحظة التي تصدر عنها، وعليه فهذه الحركة تلزم هذا الشكل؛ أمّا بالنسبة إلى هذا الشكل، فهذه اللّحظة إنّما تظّهّر كأنّها حاصلّة بين يديه، من جهة أنّه لا يملك وعياً بمصدره وأنّ الماهيّة إنّما تمثّل في الأكثر كونه لذاته، أو كونه السالب القائم حيال ذلك الفي - ذاته الموجب.

وعليه فهذه الفرديّة إنّما تنزع إلى نسخ تلك الضرورة المناقضة لقانون الفؤاد كما الوجد المائل عبرها؛ فالفرديّة لم تعدّ عندئذٍ طيش الشكل الفائت الذي لم يكّ يبتغي إلا اللذة الفاردة، بل صارت الحرّم الذي لغاية سنّية تتعقّب لذتها في بيان ماهيتها الخاصّة العظيمة وتحصيل هناء الإنسانية. وما تحقّقه إنّما هو نفسه القانون، ولذلك تكون لذتها في الوقت نفسه اللذة الكلّيّة التي للأفئدة جميعاً. والأمران عندها لا يفترقان من حيث تكون لذتها.

مشاكلة للقانون، وتحقيق قانون الإنسانية الكلية تمهيداً للذتها الفردية؛ فالفردية والضرورية إنما هما في - الحال واحد داخل الفردية، والقانون سي قانون الفؤاد. أما الفردية فما زالت لم تتهقر من موضعها، ووحدة الطرفين لم تحصل عبر حركتهما الموسطة، وما زالت لم تنتج عبر صراط التهذيب. وتحقيق الماهية العاصية والتي في - الحال إنما يؤخذ على أنه بيان للعظمة وإنتاج لهناء الإنسانية.

أما القانون الذي يقابل قانون الفؤاد فيكون - على العكس من ذلك - منفصلاً عن الفؤاد وحرراً لذاته. والإنسانية التي تنتسب إليه لا تعيش في نعمة الوحدة بين القانون والفؤاد، بل تعيش إما في الفصم القاهر والوجع، أو على الأقل في انقطاع التمتع بالذات عند الامتثال للقانون وارتفاع الوعي بالعظمة الخاصة عند تعدي عين القانون. ولما كان ذلك النظام الإلهي والإنساني الغالب منفصلاً عن الفؤاد، كان عند هذا الفؤاد بمثابة ظاهر ينبغي أن يفقد ذلك الذي ما انفك يقترن به، لاسيما العنف والحقيق. ولا [246] ريب أن ذلك النظام قد يصادفه أن يطابق في مضمونه ومن وجه العرض القانون الذي للفؤاد، ويمكن هذا الأخير حينئذ أن يقبل به، لكن ليس المشاكل للقانون بما هو كذلك خالصاً هو الذي يمثل عنده الماهية، بل كونه قد رضي ذلك لنفسه. ومع ذلك فحيثما لم يتفق مضمون الضرورة الكلية والفؤاد، لم تكن تلك الضرورة - بحسب مضمونها - شيئاً في ذاتها، ولزمها أن تخضع لقانون الفؤاد.

[II. إقحام الفؤاد في الحقيق] - وعليه فالفرد إنما ينجز قانون فؤاده، فيتصير هذا القانون نظاماً كلياً، وتصير اللذة إلى حقيق في ذاته ولذاته مشاكل للقانون. ولكن القانون إنما يكون في واقع الأمر قد انفلت عن الفؤاد في هذا التحقق، فيستحيل في - الحال مجرد العلاقة التي كان ينبغي أن تكون قد نسخت. وقانون

الفؤاد إنّما يكف عن كونه عبر تحقّقه قانون الفؤاد، فيستفيد في ذلك صورة الكينونة، وهو الآن سطوةً كليّةً يكون هذا الفؤاد عينه بالنسبة إليها على سيّانية، حتّى إنّ الفرد لم يعد يجد نظامه الخاصّ من حيث يُرسيه على أنّه النظام الذي له. ولذلك لا ينتج الفرد عبر تحقيق قانونه القانون الذي له، لكن ما دام ذلك النظام في ذاته نظامه مع أنّه يمثّل بالنسبة إليه نظاماً غريباً، فإنّه لا ينتهي إلّا إلى الإيقاع بنفسه في النظام الحاق، لا من جهة ما هو مجرد نظام غريب لا ريب فيه، بل بما هو قوّة غلابةً ومعادية. - إنّ الفرد يستوضع نفسه عبر فعله في، بل بالأحرى كأنّه العنصر الكلّي للحقيق الكائن، وينبغي على فعله نفسه أن يحمل وفق معناه قيمة نظام كليّ. لكنّه بذلك إنّما يكون تحرّر من نفسه، فيكبر قدماً لذاته ككليّة، ويخلّص نفسه من الفردية؛ فالفرد الذي لا يبتغي معرفة الكليّة إلّا على الصورة التي لكونه - لذاته الذي في - الحال، إنّما لا يعترف نفسه إذاً في تلك الكليّة الحرّة، في حين أنّها في الوقت ذاته ترجع إليه، فالكليّة إنّما هي فعله. ولذلك تكون لهذا الفعل الدلالة المعكوسة، أعني دلالة مناقضة النظام الكلّي، لأنّ فعل الفرد ينبغي أن يكون فعل الفؤاد الفرديّ الذي له، لا الحقيق الكلّي الحرّ؛ والفرد يكون في الوقت ذاته قد اعترف فعلاً بالحقيق، فالفعل له معنى وضع ماهيته من جهة ما هي حقيق حرّ، أي الاعتراف بالحقيق كأنّه ماهيته.

[247] إنّ الفرد قد حدّد من خلال مفهوم فعله الوجه القريب الذي تنقلب فيه الكليّة الحاكمة ضده، وهي الكليّة التي جعل من نفسه تابعة لها؛ ففعله إنّما ينتسب من جهة ما هو حقيق إلى الكلّي؛ أمّا مضمون ذلك الفعل فهو الفردية الخاصة التي تبتغي الإبقاء على نفسها هذه الفردية الفاردة المتضادة والكلّي. وليس ثمة قانون ما محدّد كان ليتعلّق القول بإرسانه، بل الوحدة التي في - الحال بين الفؤاد الفرديّ والكلّي هي التي تمثّل الفكرة التي تُرفع إلى مصاف

القانون وينبغي أن تصلح كقانون، أعني فكرة أن كلّ فؤاد يجب أن يعترف نفسه (Sich erkennen) ضمن ما يكون القانون. ولكن وحدَه فؤاد هذا الفرد يكون حقيقه قد وُضع في فعله الذي يُفصح له عن كونه - لذاته أو لذته. وفعله هذا ينبغي أن يجري في - الحال مجرى كلّي، ومعناه أنه يكون على الحقيقة شيئاً جزئياً، وليست له من الكلّيّة إلا الصورة، وينبغي أن يجري المضمون الجزئيّ للفؤاد بما هو كذلك مجرى شيء كلّي. لذلك لا يجد الآخرون في هذا المضمون قانوناً أفئدتهم منجزاً، بل يجدون في الأكثر إنجاز قانون فؤاد مغاير، فينقلبون بدورهم - بحسب القانون الكلّي القائل بأنّ كلّ امرئ ينبغي أن يجد فؤاده في ما هو قانون - ضدّ الحقيق الذي كان هذا الفؤاد بعينه أرساه، بقدر ما كان هو انقلب ضدّ حقيقهم. وعليه فكما كان الفرد وجدّ في مبتدأ الأمر القانون المتصلّب وحسب، يجد الآن أفئدة البشر أنفسهم متضادّة مع مقاصده النييلة حدّ القبح.

ما دام هذا الوعي لم يعرف في البدء الكلّيّة إلا من جهة ما هي في - الحال، والضرورة إلا بما هي ضرورة الفؤاد، فإنّه إنّما يجهل طبيعة التحقّق والفاعليّة، فلا يعلم أنّ تلك الطبيعة من جهة ما هي الكائن إنّما هي على حقيقتها الكلّي في ذاته الذي تنغمر فيه - بالعكس - فرديّة الوعي التي تسكنُ إليها حتى تكونَ من جهة ما هي هذه الفرديّة التي في - الحال؛ وبدل أن يبلغ الوعي هذه الكينونة التي له، إنّما يبلغ إذاً في الكينونة تغريب ذاته. لكنّ الذي لا يعترف فيه الوعي نفسه لم يعدّ الضرورة الميّة، بل هو الضرورة من حيث تضييقها الفرديّة الكلّيّة، فالوعي كان بحسب هذا النظام الإلهيّ والإنسانيّ - الذي كان وجدّه سارياً - حقيقاً ميّتاً حيث ما كان للأخرين الذين ينتسبون له أن يكونَ لهم وعي بأنفسهم، مثلما كان ذلك الوعي نفسه قد ترسّخ كهذا الفؤاد الكائن لذاته والمتضادّ مع الكلّي، لكنّه يجد في الأكثر ذلك النظام



وقد أحياء وعي الجميع، فإذا هو قانون الأفتدة جميعاً. إنَّ الوعي يتعنى في الفعل كونَ الحقيق نظاماً يتمُّ إحياءُه في الحين ذاته الذي يحقّق فيه الوعي - على التدقيق - عبر ذلك الفعل قانونَ فؤاده؛ لأنَّ هذا لا يعني غير أنَّ الفرديّة من جهة ما هي كليٌّ إنّما تتصير لنفسها موضوعاً، لكنّه موضوع لا تعترف فيه نفسها.

[III. حقّ الفرديّة أو جنونُ العُجب] - إنَّ ما يحصل لهذا الشكل الذي للوعي - بالذات عن تجربته حصولَ الحقِّ إنّما يناقض إذاً ما يكون هذا الشكل لذاته؛ لكنّ ما يكونه هذا الشكل لذاته له هو نفسه بالنسبة إليه صورةُ الكليّة المطلقة، إنّه قانون الفؤاد الذي يكون في - الحال واحداً والوعي - بالذات. أمّا النظام الدائم والحَيّ فيكون كذلك في الوقت ذاته الماهية والأثر الخاصين بهذا الوعي - بالذات، فهو لا يُنتج شيئاً مغايراً لذلك النظام؛ وهذا النظام يكون هو أيضاً في وحدة في - الحال مع الوعي - بالذات. وعليه فهذا الوعي - بالذات من حيث ينتمي إلى أيسية مزدوجة ومتضادة إنّما يتناقض في حدّ ذاته، فيتلف في دخيلاء باطنه (Im Innersten). والقانون الذي لهذا الفؤاد بعينه ليس سوى القانون الذي يعترف فيه الوعي - بالذات نفسه؛ لكنّ النظام الكليّ الساري إنّما صار لهذا الوعي - بالذات - من خلال تحقّق ذلك القانون - ماهيته الخاصّة وحقيقه الخاصّ؛ وعليه فما يتناقض في وعيه إنّما هما هذان الطرفان اللذان يكونان كلاهما عنده على صورة الماهية والحقيق الخاصّ الذي له.

عندما يفصح الوعي - بالذات بهذه اللّحظة التي لدثوره الواعي من جهة ما هو حاصلُ تجربته، فإنّه يظهر لنفسه على أنّه هذا المُنقَلَبُ المباطن له، وتهوُّشٌ<sup>(70)</sup> الوعي الذي تكون عنده

(70) Als die Verrücktheit الذي يعني الهيج والاختلاط

والاضطراب.

ماهيته في - الحال لاماھية وحقيقه لاحقياً. - فالتهوُّش بالجملة لا يمكن أن يُعدَّ لذلك من قبيل اعتبار ما هو عريٌّ من الماهية جوهرياً، وما هو غير حقيق حاقاً، على نحو أن الذي كان يكون عند هذا جوهرياً أو حاقاً كان لا يكون كذلك عند غيره، أو أن الوعي بالحقيق واللاحقيق أو الوعي بالماهوية واللاماهوية كان ليقع الواحد منهما خارج الآخر. - فمتى كان شيء ما بالفعل عند الوعي بالجملة حاقاً وجوهرياً، في حين لم يكن كذلك بالنسبة إليّ، فإنه يحصل لي عند الوعي بليسيته - ما دمت بالجملة وفي [249] الوقت ذاته وعياً - الوعي بحقيقه، - ولما يجتمع هذان الأمران راسخين، يصير هذا وحدة هي الجنون (Der Wahnsinn) بعامة. ولكن ما يتهوُّش في هذا الجنون إنما هو بالنسبة إلى الوعي موضوع وحسب، وليس الوعي بما هو كذلك في دخيلته ولذاته لكن في نتاج التجريب الذي حصل في هذا الموضوع إنما يكون الوعي في قانونه واعياً بنفسه كأنه هذا الحقيق؛ وما دامت عين الماهوية والحقيق في الوقت ذاته قد اُعْتَرِبا بالنسبة إليه، فهو إنما يكون من جهة ما هو وعي - بالذات وحقيق مطلق واعياً بلاحقيقه، أو أن الجانبين يجريان عنده - بحسب تناقضهما - في - الحال مجرى ماهيته التي تكون إذاً في دخيلاتها مهوشة.

إن خفقان الفؤاد من أجل هناء البشرية يمرّ لهذه العلة في هيجان العُجب المضطرب وحنق الوعي الذي يلتمس درء تقويضه، ومرّد ذلك أن الوعي إنما يلقي خارجة بالعكاس الذي يكونه هو نفسه، فيجاهد في أن يرى فيه ويفصح عنه كأنه مغاير. وعليه فهو يُشهر بالنظام الكلّي من جهة ما هو نظاماً اختلقه الكهنوت المتعصب والمستبدون الفاسدون وأعوانهم الذين يدارون وضاعتهم بالاستعباد والاستبداد، كما من جهة ما هو عكس لقانون الفؤاد ومسحّ لسعادته يراد بهما ما لا يُسمى من شقاء الإنسانية

المخدوعة<sup>(71)</sup>. - والوعي في تهوُّسه هذا، إنّما يشهّر بالفردية بما هي المهوُّسُ والمعكوسُ، لكنّه يفصح عنها كفردية غريبة وعرضية. أمّا الفؤاد أو فردية الوعي التي تبتغي أن تكون في - الحال كليتة، فإنّما هو ذلك المهوُّسُ والمعكوسُ نفسه، وفعله يتمثل فقط في إنتاج هذا التناقض وحصوله لوعيه. والحقّ بالنسبة إلى هذا الفؤاد إنّما هو قانون الفؤاد، - أي مجرد قانون مظنون فيه لم يحتمل - كما هي حال النظام القائم - وضخّ النهار، بل يهوي في الأكثر ما إنّ يظهر للنور. وهذا القانون الذي للفؤاد كان ينبغي أن يكون ذا حقيق؛ وفي ذلك إنّما يكون القانون - في نظره - بما هو حقيق ونظام سارٍ غايةً وماهيةً، لكنّ الحقيق كذلك، أي القانون من جهة ما هو نظام سارٍ، إنّما يكون في الأكثر عنده وفي - الحال من قبيل العدم. - كذلك حقيقه الخاصّ، أي هو ذاته من جهة ما هو فردية الوعي، يكون لنفسه الماهية، لكنّ غايته تتمثل في أن يضع ذلك الحقيق كائناً؛ وعليه فالذي يقوم عنده في - الحال مقام الماهية إنّما هو في الأكثر الهو الذي له بما هو لافردية، أو هو الغاية بما هو قانون كان ليكون من هذا الوجه ككليتة تستقيم بالنسبة إلى وعيه. - وهذا المفهوم الذي للفؤاد إنّما يصير عبر فعله موضوعه؛ فيتعنّى إذاً الهو الذي له في الأكثر كلاحقيق، واللاحقيق كأنّه الحقيق الذي له. وعليه فليست الفردية العرضية الغريبة، بل على التدقيق هذا الفؤاد بعينه هو الذي يمثل في حدّ ذاته ومن كلّ الوجوه العاكس والمعكوس.

[250]

لكن لما كانت الفردية الكليتة في - الحال العاكس والمعكوس، لم يعدم أن يكون ذلك النظام الكليّ - ما دام قانون

(71) يناظر هيجل في هذا الموضوع مقالات الحقّ الطبيعي (القرن الثامن عشر) وتديريها النظريّ لـ «قانون الفؤاد» من حيث مفترضاته السياسية، وبخاصة نقد فكرة غضب السلطة بما هي العلة في قيام نظام سياسي يستخدم مخاللة الكهوت للبشرية.

الأفئدة جميعاً، أي قانونَ المعكوسِ - المعكوسَ مثلما كان شهراً بذلك التهؤشُ عند هيجانه؛ فهذا النظام يتضح مرّةً أولى في معاندة الأفراد الآخرين لقانون الفؤاد كأنه قانون جميع الأفئدة. والقوانين القائمةُ إنّما تحصّن ضدّ قانون الفرد، لأنّها ليست ضرورةً عريّةً من الوعي وخاوية وميتةً، بل هي كليّةٌ روحيةٌ وجوهريّةٌ حيث يحيا أولئك الذين يشتمل عندهم هذا الجوهر على حقيقه، حياةً الأفراد الواعين بأنفسهم؛ حتّى إنّهم يتشبّهون في واقع الأمر بذلك النظام بأفئدتهم تشبّههم بماهيّتهم، وإنّ تدمروا منه لكأنّه يقابل مجرى القانون الجوّانيّ، فيواجهونه بظنون الفؤاد؛ ومتى يُنتزع منهم هذا النظام، أو يجانبوه ويخرجوا عليه فإنّهم إنّما يخسرون كلّ شيء. ولما كان حقيقُ النظام العامّ وسلطانُه إنّما يقومان على التدقيق على ذلك، فإنّ هذا النظام يظهرُ إذا كأنه الماهية الكليّة والمضاهية لنفسها والتي تمّ إحيائها، والفردُ كأنه الصورة التي لعين النظام العامّ. - لكنّ هذا النظام يمثّل كذلك النظام المعكوس.

وهذا النظام من جهة ما هو قانون جميع الأفئدة، ومن جهة أنّ جميع الأفراد يكونون في - الحال هذا الكليّ، إنّما يمثّل حقيقاً ليس هو إلّا حقيقُ الأفراد الكائنين لذواتهم، أو حقيقُ الفؤاد. وعليه فالوعي الذي يرسى قانون فؤاده إنّما يتعنّى معاندةً من لدن الآخرين، لأنّ ذلك القانون يناقض قوانين أفئدتهم التي تضاهيه فرديةً، فهذه الأفئدة لا تفعل في معاندتها سوى أن ترسي قانونها فتجعله ذا صلاحية. ولذلك فالكليّ الذي يمثّل هاهنا إنّما هو معاندةً كليّةً وحسب، ومصارعةُ الكلّ للكلّ حيث يعتدّ كلّ واحد بفرديةً الخاصّة من دون أن يفلح في ذلك، لأنّ هذه الفردية إنّما تتعنّى عين المعاندة، فتتفتّ بدورها عبر الفرديات المغايرة. وعليه فما يظهر على أنّه نظامٌ عامٌّ إنّما هو هذا التجاؤد الكليّ حيث ينتزع كلّ واحد لنفسه ما استطاع إليه سبيلاً، فيقيم الحدّ على فردية الآخرين ويعزّز فرديةً التي تزول بدورها عبر صنيع الآخرين.

فهذا النظام إنما هو مجرى العالم، ظاهرٌ مسيرة تدوم ليست هي إلا بالكلية المظنون فيها، وليس مضمونها في الأكثر إلا التلاعب العري من الماهية بين تعزيز الفرديات وأحلالها.

إذا تفحصنا جانبي النظام الكلّي وقارنا الواحد بالآخر، لبان أنّ مضمون الكلية الأخيرة إنما هو الفردية المتحيرة التي يكون الرأي عندها أو الفردية قانوناً، والحاقُ لاحقاً، واللاحقُ حاقاً. لكنّها في الوقت ذاته وجه الحقيق الذي للنظام، لأنّ كون الفردية لذاتها إنما ينتمي إليه. - أمّا الجانب الآخر فهو الكلّي من جهة ما هو ماهية ساكنة، لكنّه لذلك لا يكون إلا كجواني ليس هو كلاشيء، ولكنّه يعدم الحقيق، ولا يمكن أن يصير هو نفسه حاقاً إلا عبر نسخ الفردية التي أنتحلت صفة الحقيق. وهذا الشكل الذي للوعي حيث يصير الوعي لنفسه في القانون والحق والخير الذي في ذاته لا كفردية، بل كماهية وحسب، والحال أنّه يعلم الفردية من جهة ما هي العاكس والمعكوس، فيلزمه إذاً أن يضحي بفرديته، إنّما هو الفضيلة.

### 3. الفضيلة ومجرى العالم

[1. علاقة الوعي - بالذات بالكلّي] - لقد كان الوعي - بالذات في الشكل الأوّل للعقل الفعّال مثل في نظر نفسه فردية محضاً كانت تواجهها الكلية الخاوية. أمّا في الشكل الثاني فقد اشتمل كلّ من شطريّ التقابل على اللّحظتين كليتهما، أعني القانون والفردية؛ لكنّ الواحد منهما، أعني الفؤاد، كان مثل وحدتهما التي في - الحال، في حين مثل الآخر تضادهما. أمّا في هذا الموضوع، أي في علاقة الفضيلة بمجرى العالم، فإنّ كلّاً من الطرفين يمثل وحدة هاتيك اللّحظتين وتقابلهما، أو هما حركة القانون والفردية من وجه انتصاب كلّ منهما حيال الآخر، لكنّها حركة متضادة. إنّ القانون يمثل عند الوعي بالفضيلة

[252]

الجوهريّ (Das Wesentliche) والفردية ما ينبغي نسخه، أعني نسخ الفردية إذاً في وعيها نفسه كما في مجرى العالم؛ فالفردية الخاصة ينبغي أن تدرج في ذلك الوعي بالفضيلة ضمن آداب<sup>(72)</sup> الكلّيّ والحق في ذاته والخير، لكنّها إنّما تظلّ في ذلك وعياً شخصياً؛ فالتأديب الحقّ يكمن فقط في التضحية بالشخصية في جملتها، كما في التحقق من أنّ الوعي لم يعد مرتبطاً ومتشّبهاً بالفرديات. وفي هذه التضحية الفردية إنّما تلغى الفردية في الوقت ذاته ضمن مجرى العالم، لأنّها تمثّل أيضاً لحظة بسيطةً مشتركة بين الطرفين؛ - فالفردية إنّما تسلك عند مجرى العالم بعكس الوجه الذي توضع على نحوه عند الوعي الفاضل، أعني أنّها تجعل من نفسها ماهيةً وتتقدّم على العكس من الخير والحقّ في ذاته. - وزائداً إلى ذلك أنّ مجرى العالم لا يكون بالنسبة إلى الفضيلة هذا الكلّيّ المعكوس عبر الفردية وحسب، بل النظام المطلق إنّما يكون كذلك لحظةً مشتركةً لا يمثّل عند مجرى العالم من جهة ما هو حقيقةً كائنٌ لأجل الوعي وحسب، بل من جهة ما هو الماهية الجوانبية التي لعين الوعي. ولذلك فإنّ إنتاج هذا النظام المطلق لا يرجع في الأصل إلى الفضيلة، لأنّ الإنتاج من جهة ما هو فعلٌ إنّما هو وعي الفردية، وهذه إنّما ينبغي في الأكثر نسخها؛ لكنّ هذا النسخ لا يفعل إلّا كمثّل إفساح المجال للفي ذاته الذي لمجرى العالم حتى يلج في ذاته ولذاته الوجود.

أما المضمون الكلّيّ لمجرى العالم الحاقّ فإنّما قد بان؛ وإذا تفحصناه عن كذب لا تضح أنّه ليس من جديد سوى كلتا حركتيّ الوعي - بالذات الفائتين. وشكل الفضيلة إنّما قد نجم عن هاتين الحركتين، وما دامت مصدره، فإنّهما تنتصبان قدامه؛ لكنّه إنّما يلتبس نسخ مصدره، فيسعى في تحقّقه أو أن يصير لذاته.

(72) Die Zucht، التأديب والتهديب على معنى الصراط.

وعليه فمجرى العالم يكون من ناحية الفردية الفاردة التي تتعقب لذتها وامتعتها، فتدرك في ذلك دورها، فترضي عندئذ الكلّي. ولكن هذا الإرضاء نفسه إنما يكون - مثله مثل اللحظات الأخرى التي لهذه العلاقة - شكلاً وحركةً معكوسين للكلّي؛ فالحقيق يكون فردية اللذة والمتعة وحسب، في حين يتضاد الكلّي وإياه، أي يكون ضرورة لا تمثل سوى الشكل الأجوف لعين الكلّي، مجرد رد فعل وفعل عري من المضمون. - أما اللحظة الأخرى لمجرى العالم فهي الفردية التي تتبغى أن تكون في ذاتها ولذاتها قانوناً، فتشوش - في توهمها هذا - النظام القائم؛ ولا ريب أن القانون الكلّي يظلّ متماسكاً حيال هذا العُجب، فلم يعد يهمل كمتضاد مع الوعي ولا كشيءٍ خاوٍ ولا كضرورة مميّة، بل يهمل كضرورة تقوم داخل الوعي نفسه. لكنّه إذا كان يوجد على شاكلة الصلة الواعية التي للحقيق المتناقض على الإطلاق، فإنما يكون التهوش؛ أما إذا كان على شاكلة حقيق موضوعي، فإنه يكون بالجملة العكاس. وعليه فالكلّي يعرض حقاً في الجانبين كأنه قوة حركتهما، لكن وجود هذه القوة ليس إلا العكس الكلّي.

II. مجرى العالم من جهة ما هو حقيق الكلّي في الفردية] - يلزم الكلّي الآن أن يستفيد حقيقه الصادق من الفضيلة وعبر نسخ الفردية، أعني نسخ مبدأ العكس؛ وغاية الفضيلة عندئذ هي أن تعكس من جديد مجرى العالم المعكوس فتنتج ماهيتها الحق. وهذه الماهية الحق لا تكون أولاً عند مجرى العالم إلا كالفي - ذاته الذي له، فهي ليست بعد بحاقّة؛ لذلك لا تفعل الفضيلة إلا أن تؤمن بها. والفضيلة إنما تسعى في الترقّي بهذا الإيمان حدّ المشاهدة، لكن من دون أن تنعم بشار عملها فتتمتع بتضحيتها؛ لأنّه لما كانت الفضيلة فردية ما، كانت فعل الصراع الذي تدخل فيه مع مجرى العالم؛ لكن غايتها وماهيتها الحق إنما تتمثلان في التغلب على الحقيق الذي لمجرى العالم؛ حينئذ يمثل الوجود

المحقَّق (Bewirkte Existenz) للخير انقطاع فعل الفضيلة، أو انقطاع الوعي الذي للفردية. - أما معرفة كيف يستمر ذلك الصراع، وماذا تتعنى فيه الفضيلة، وهل يكون مجرى العالم مغلوباً عبر التضحية التي تأتيها الفضيلة، في حين تكون هي الغالب، فإنما ذلك أمر موقوف بالضرورة على طبيعة الأسلحة الحية التي يشهر بها المتصارعان؛ لأنَّ الأسلحة ليست سوى الماهية التي للمتصارعين ذاتيهما والتي لا تنجم إلا لكليهما نجماً متبادلاً. وبذلك فأسلحتهما إنما تحدتت بعدُ انطلاقاً ممَّا هو مائلٌ في ذلك الصراع.

254] إنَّ الكلِّيَّ في نظر الوعي الفاضل يكون صادقاً ضمنَ الإيمان، أو في ذاته؛ فهو ليس بعدُ بكلِّيَّة حاقَّة، وإنما هو كلِّيَّة مجردة؛ وهو في هذا الوعي ذاته إنما يكون كغاية، أمَّا في مجرى العالم فيكون كجوانيٍّ. وإنه لعلی هذا النحو من التحديد يعرض الكلِّيُّ أيضاً بالنسبة إلى مجرى العالم عند الفضيلة؛ لأنَّ الفضيلة تبتغي أولاً تنفيذ الخير، مع أنها هي نفسها لم تتخذهُ بعدُ ولم تمنحه صفةً الحقيقي. ويمكن أيضاً أن يُتفحص هذا التحديد من وجه آخر، وهو أنَّ الخير من حيث يهملُ في الصراع ضدَّ مجرى العالم إنما يبينُ في ذلك من جهة ما هو كائنٌ لمغايرٍ، أي كشيءٍ لا يكون في ذاته ولذاته، لأنَّه إن كان الأمر غير ذلك لما كان الخير سيتعطى حقيقته رأساً عبر قهره لصدِّه. والقول إنَّ الخير لا يكون في مبتدأ الأمر إلا لمغايرٍ إنما يعني عينَ ما كان اتضح منه في الاعتبار المقابل، أعني أنه في مبتدأ الأمر تجريدٌ لا واقع له إلا ضمن العلاقة، لا في ذاته ولذاته.

فالخير - أو الكلِّي - كما يهملُ إذاً في هذا الموضع إنما يكون ذلك الذي يُسمى مواهب وقدرات وقوى. إنه وجهٌ من وجوه كينونة الرّوحِيِّ حيث يُتصوّر ككلِّيٍّ يقتضي في إحيائه وحركانه مبدأً الفردية، فيستقيم له حقيقته في هذه الفردية؛ فأما من جهة أن هذا



المبدأ يكمن في الوعي بالفضيلة فإنّ المبدأ يَستخدم ذلك الكلّي استخداماً حسناً، وأمّا من جهة أنّه يقع في مجرى العالم، فإنّه يستخدم ذلك الكلّي استخداماً فاسداً، - فالكلّي آلة طيّعة سيّان عندها - إذ تتحكّم بها يد الفردية الحرّة - أيّ استعمال تذهب فيه هذه الفردية، حدّ أنّه يمكن أن تُستعمل في إنتاج حقيقٍ ما يمثل تقويضها؛ إنّهُ مادّة عريّة من الحياة ومن القيمومة الذاتية الخاصّة يمكن أن تُصوّر على هذا النحو أو ذاك، بما في ذلك تصويرها على شاكلةٍ تفسدها هي نفسها.

ما دام ذلك الكلّي ياتمرُّ بوعي الفضيلة كما بمجرى العالم من وجهٍ سواء، فإنّه يتعدّر علينا أن نتوقّع هل الفضيلة - وهي على ما هي عليه من عدّة - ستغلب الرذيلة؛ فالأسلحة هي هي؛ إنّها تلك القدرات والقوى. ولا ريب أنّ الفضيلة قد وضعت كميناً يتمثل في إيمانها بالوحدة الأصلانية بين غايتها وبين ماهية مجرى العالم، وهي وحدة ستقسم ظهر العدو أثناء المعركة، وتنتهي في ذاتها بالأمر إلى غايتها، على نحو أنّ الفعل الخاصّ بفارس الفضيلة كما معركته إنّما هما في الأصل تصنّع ومخاتلة (Eine Spiegelfechtere) لا يمكنه أن يحملهما على محمل الجدّ، لأنّه إنّما يضع عزمه الشديد في كون الخير في ذاته ولذاته، أي في كون الخير ينتج بنفسه، - إنّهُ تصنّع لا يشاء فارس الفضيلة أيضاً أن يصير جادّة، لأنّ الذي يردّ به على العدو ويجده مرتدّاً عليه، ويعرّضه إلى التهلكة والتلف عنده كما عند عدوّه ينبغي ألا يكون الخير ذاته، فهو إنّما يجاهد في حفظه وإنجازه، لكنّ ما يلقي به إلى التهلكة والتلف ليس إلّا المواهب والقوى السيّانية. غير أنّ هذه ليست في واقع الأمر سوى ذلك الكلّي نفسه العريّ من الفردية الذي ينبغي أن يُحفظ ويحقّق بواسطة المعركة. - لكنّ الكلّي يكون في الحين ذاته قد تحقّق بعدد في - الحال عبر مفهوم الصراع نفسه، إنّهُ الفي - ذاته، والكلّي؛ وتحقّقه إنّما يعني كونه

في الوقت نفسه لمغايرٍ وحسب. والجانبان اللذان ذكرناهما أعلاه واللذان كان الكلّي صار وفق كلّ واحد منهما تجريداً، لم يعودا منفصلين، بل الخير إنّما يوضع في الصراع وعبره على الجانبين معاً. - لكنّ الوعي الفاضل يدخل الصراع ضدّ مجرى العالم كأنّ ضدّ شيءٍ مقابل للخير، وما يقدّمه له مجرى العالم في ذلك الصراع ليس كليّاً مجرداً وحسب، وإنّما هو كليّاً أحيته الفردية، وكائنٌ لغيره، أو هو الخير الحاقّ. وعليه فحيثما تمسك الفضيلة بمجرى العالم فإنّما تلج دائماً عند المواضع التي تمثّل وجود الخير ذاته، أعني الخير الذي ينغمس - من جهة ما هو الفي - ذاته الذي لمجرى العالم - من دون انفصالٍ في كلّ ظاهرة من ظواهر ذلك المجرى، فيمتلك أيضاً ضمن حقيقه الكيان الذي له، فمجرى العالم إنّما يكون إذاً في نظر الفضيلة منيعاً. ومثل هذه الوجودات التي للخير، إضافة إلى العلاقات العصبية، هي التي تمثّل جميع اللحظات التي كان ينبغي على الفضيلة أن تظرحها (Daransetzen) فتضحّي بها. لذلك لا يسع التصارع إلا أن يكون مراوحةً بين الحفظ والتضحية، أو في الأكثر لا يمكن أن تقع لا تضحية بما هو خاصّ ولا ضرراً بما هو غريب. والفضيلة لا تضاهي فقط ذلك المنازع الذي لا يتعلّق الأمر عنده في الصراع إلا بأنّ بقي سيفه اللّماع من التلطّيح، بل إنّها تشرع في النزال أيضاً لكي تحفظ الأسلحة؛ فهي ليست عاجزة عن استخدام 56] أسلحتها وحسب، بل لا بدّ لها أن تحفظ أسلحة خصمها سالمة فتحميها من نفسها هي، لأنّ هذه كلّها تمثّل أجزاء شريفة من الخير الذي نهضت إلى الصراع من أجله.

أما عند ذلك المنازع فليس الفي - ذاته ما يمثّل - على العكس من الفضيلة - الماهية، بل الفردية هي الماهية؛ وعليه فقوته إنّما تمثّل المبدأ النافي الذي ما من شيء يدوم عنده مقدساً فيكونه على الإطلاق، بل يكون بوسعه أن يغامر ويطبق هلاك

الجميع فرداً فرداً. وبذلك يكون النصر عنده متأكداً لا ريب فيه من حيث يقينه في حد ذاته كما من حيث التناقض الذي يتخبط فيه خصمه. وما يكون للفضيلة في - ذاته، إنما يكون عند مجرى العالم بالإضافة إليه وحسب، فهو في حلٍّ من كل لحظة ترسخ عند الفضيلة فترتبط بها شديداً. ومجرى العالم إنما يكون بوسعه أن يشتمل على مثل تلك اللحظة من حيث إنها لا تجري عنده إلا مجرى ما يمكنه نسخه مثلما تمكنه إدامته؛ عندئذ يكون بوسعه أن يطال فارس الفضيلة الذي يتشبث بتلك اللحظة، لكن هذا الأخير يكون عاجزاً عن طرحها كما يطرح الرداء الذي يكسوه على نحو براني، فيتخلّى عنها ويتحرر منها؛ لأن تلك اللحظة إنما تمثل عنده الماهية التي لا حيلة له في اطراحها.

أما في ما يتعلّق في الختام بالكمين الذي ينبغي على الفي - ذاته الخير أن ينقضّ منه على مجرى العالم ويباغته من وجه المخاتلة، فذلك إنما هو رجاء لا قوام له في ذاته؛ فمجرى العالم إنما هو الوعي الموقن من نفسه والمتيقظ شديداً فلا يترك في ذاته مجالاً لمباغته، بل يلاقي في كل موضع جابها؛ لأنه إنما يتمثل في أن كل شيء يكون على إضافة إليه فيتنبّص كل شيء قدامه. أما الفي - ذاته الخير فيكون على نسبة إلى منازعه، وهو يكون كذلك في الصراع كما رأينا ذلك، وأما من حيث لا يكون بالنسبة إليه بل في - ذاته، فإنه يكون الآلة الطيعة للمواهب والقوى والمادة العريّة من الحقيق؛ ومتى تُصوّر ككيانٍ كان يكون وعياً خاملاً يدوم متفهقراً إلى ما لا ندري من المواضع.

III. الفردية من حيث هي واقعة الكلّي] - وعليه فمجرى العالم إنما ينتصر على الفضيلة، لأن غايتها إنما هي الماهية المجردة وغير الحاقّة، ولأنّ فعلها يقوم - بالنظر إلى الحقيق - على فروقٍ لا تكمن إلا في الكلمات. والفضيلة كانت تبتغي القيام من وجه تحقيق الخير عبر التضحية بالفردية، لكن وجه

الحقيق نفسه ليس سوى وجه الفردية. والخير كان لا بد أن يكون ما هو في ذاته ومتضاداً مع ما هو كائن، لكنّ الفي - ذاته [257] إذا ما أخذ بحسب واقعه وحقيقته إنّما هو الكينونة نفسها، فالفي - ذاته يكون في مبتدأ الأمر تجريد الماهية حيال الحقيق؛ لكنّ التجريد إنّما هو على التدقيق ما لا يكون صادقاً، بل ما لا يكون إلا بالنسبة إلى الوعي؛ لكنّ معنى ذلك هو أنّ الفي - ذاته نفسه يكون ما يُسمى حاقاً، لأنّ الحاق هو ما يكون بالجواهر لمغاير، أو هو الكينونة. ولكنّ الوعي بالفضيلة إنّما يقوم على هذا الفرق بين الفي - ذاته وبين الكينونة. - ومجرى العالم كان ينبغي أن يكون عكاسَ الخير، لأنّ الفردية كانت تمثّل مبدأه؛ غير أنّ هذه إنّما تمثّل مبدأ الحقيق، لأنّها على التدقيق الوعي الذي يكون فيه الكائن - في - ذاته كذلك كائناً لغيره؛ فمجرى العالم إنّما يقلب اللامتبدّل، لكنّه إنّما يقلبه في واقع الأمر من ليس التجريد إلى أيس الواقع.

وعليه فمجرى العالم إنّما ينتصر على ما يقوّم الفضيلة في تقابل معه؛ إنه ينتصر عليها من حيث يمثّل عندها التجريد العري من الماهية الماهية. ولكنّ مجرى العالم لا ينتصر على شيء واقعيّ، بل على اختلاق الفروق التي هي ليست بفروق، إنه ينتصر على تلك الأقوال الطنّانة في خير البشرية واضطهادها، وفي التضحية من أجل الخير وإفساد المواهب، - فمثل هذه الماهيات والغايات المثالية إنّما تهوي كما الألفاظ الجوفاء التي ترفع الفؤاد وتترك العقل خاوياً؛ إنها تشيّد صرح الفضيلة<sup>(73)</sup>، لكنّها لا تبني (Aufbauen) شيئاً؛ إنها تنشّدات (Deklamationen) لا تفصح على التحديد إلا على المضمون التالي، وهو أنّ الفرد الذي يزعم العمل من أجل مثل تلك الغايات السامية فيسوق مثل هذه الأقوال

(73) Erbauen، على معنى إيجاب العبرة والحمل على الفضيلة.

الرفيعة إنّما يحسب نفسه ماهيّة عظيمة، - انتفاخ يتورّم ويورّم رؤوس الآخرين، لكنّه انتفاخ يعظم من جرّاء تكبّر أجوف. - لقد كانت للفضيلة القديمة دلالتها المقيدة والمتأكدة، لأنّها كانت تستمدّ عمادها المفعم بالمضمون من عند الجوهر الذي للشعب، وكانت غايتها تتمثّل في خير حاقّ وكائن بالفعل، ولذلك لم تكن موجّهة ضدّ الحقيق من جهة ما هو عكاسٌ كليّ، ولا ضدّ مجرى ما للعالم. أمّا الفضيلة التي تفحصنا فهي مارقة على الجوهر، فضيلةٌ عريّة من الماهيّة؛ إنّها فضيلةٌ لا تحصلُ إلّا عن التصرّو والألفاظ التي يُعوّزها مثل ذلك المضمون. - فهذه [258] الخطابة (Rednerer) الجوفاء التي تنازع مجرى العالم، سرعان ما ستتكشف متى لزم الإفصاح عمّاداً تدلّ أفانين القول التي لها، - ولذلك إنّما يفترض فيها كأنّها معروفةٌ وذائعةٌ. أمّا قضاء قول هذا المعروف فإمّا يلبيّ بوابل جديد من أفانين القول، أو يُقابل بهاتف الفؤاد الذي يظنّ فيه أنّه يفصح في دخيلائه عمّاداً تدلّ، ومعناه أنّه إنّما يكون اعترف بعجزه عن قولها بالفعل. - ويبدو أنّ تهافت هذا الجنس من الخطابة قد صار - على نحو عريّ من الوعي وبالنسبة إلى ثقافة هذا العصر - يقينا متأكّداً، ما دام كلّ اهتمام قد زال وارتفع عن هذه الزمرة من أفانين القول ووجه التبجح بها؛ وهذا الزوال إنّما يتبيّن من حيث إنّها ما عادت تثير إلّا الضجر.

إنّ الحاصل الذي ينجم عن هذا التقابل يتمثّل في أنّ الوعي يُسقط تصوّر خيرٍ ما في ذاته لم يكن ليكون له بعدٌ من حقيق، مثلما يُسقط رداءً خاوياً. والوعي قد تعنى خلال صراعه أنّ مجرى العالم ليس قبيحاً على القدر الذي يلوح عليه، لأنّ حقيقه إنّما هو حقيق الكليّ؛ فالحدّ الأوسط إنّما يسقط ويفوت من جرّاء هذه التجربة، أعني إنشاء الخير بواسطة التضحية؛ لأنّ الفردية إنّما هي مباشرةٌ تحقّق الكائن - في - ذاته، أمّا العكاسُ فينقطع من حيث يُنظر فيه كعكسٍ للخير، لأنّه يمثّل في الأكثر قلب الخير - من

جهة ما هو غاية بسيطة - وتحويله إلى الحقيق؛ فحركة الفردية إنما هي واقع الكلّي.

لكن ما يُدخِر عندئذ فيزول أيضاً، إنما هو في واقع الأمر ما كان واجه وعي الكائن - في - ذاته بما هو مجرى ما للعالم؛ فكون الفردية لذاتها كان متضاداً في ذلك مع الماهية أو الكلّي، وكان أظهر كحقيق منفصل عن الكون - في - ذاته. ولكن ما دام قد أتضح أنّ الحقيق على وحدة لا تنفصم مع الكلّي، فإنّ الكون - لذاته الذي لمجرى العالم ينكشف - مثله مثل الفي - ذاته الذي للفضيلة لا يكون إلا رؤية للأشياء - على أنه أيضاً لا يعدو كونه رؤية. ومهما ظنت الفردية التي لمجرى العالم أنها لا تعمل إلا لذاتها أو لمصلحة ذاتية، فإنما هي أحسن ممّا تظنّ، وفعلها يكون في الوقت ذاته فعلاً كائناً - في - ذاته وكلّيّاً. ومتى تعمل لمصلحة ذاتية لم تعلم فقط ما تفعل، ومتى تؤكّد أنّ الناس أجمعين يعملون لمصلحة ذاتية، فهي إنما تثبت فقط أنّ الناس أجمعين ليس عندهم وعي بما هو الفعل. - ومتى كانت تعمل لذاتها فذلك هو على التدقيق إنتاج ما هو في مبتدأ الأمر مجرد كائن - في - ذاته حدّ الحقيق؛ وعليه فغاية الكون - لذاته التي تحسب أنها متضادة مع الفي - ذاته، كما مكرها الخاوي وإيضاحاتها اللطيفة التي تحسن تبريز المصلحة الذاتية في كلّما موضع، كلّ هذه إنما قد زالت هي أيضاً، مثلما زالت غاية الفي - ذاته وخطابته.

وعليه ففعل الفردية وسعيها هما اللذان يمثلان غاية في ذاتها، واستعمال القوى ولعبة خراجاتها هما اللذان يهبان تلك القوى الحياة، وإلا ما كانت تلك القوى لتكون إلا الفي - ذاته الميت، والحال أنّ الفي - ذاته ليس كليّاً مجرداً وعريّاً من الوجود وغير منجز، بل هو ذاته ما يمثل في - الحال هذا الحاضر والحقيق اللذين لسيرورة الفردية.

### III . الفردية التي تكون في نظر نفسها واقعية في ذاتها ولذاتها

لقد أدرك الوعي - بالذات الآن مفهوم ذاته الذي لم يك في الأول إلا ما فهمنا نحن منه، أعنى كونه في الإيقان من ذاته كل واقع، ومذاك صارت الغاية والماهية عنده التنافذ المتحرّك الذي بين الكلّي - أعني المواهب والقدرات - وبين الفردية. - واللحظات الفردية التي لهذا الاكتمال والتنافذ إنما تمثل - من قبل الوحدة التي تنصبّ فيها - الغايات التي تفحصنا حدّ الآن. لقد زالت كتجريدات وضلالات تنتمي إلى تلك الأشكال الأولى المتهافنة للوعي - بالذات الروحي، فلا تستقيم لها حقيقتها إلا في كينونة الفؤاد والتوهم والأقوال المظنون فيها، لا في العقل الذي ما عاد يسعى الآن - مذ أن أيقن في ذاته ولذاته من واقعيته - إلى أن ينتج أولاً كغاية في تقابل مع الحقيق الكائن - في - الحال (Die unmittelbareseiende Wirklichkeit)، بل يمتلك المقولة من جهة ما هي كذلك موضوعاً لوعيه. - وبحقّ ما نُسخ تعين الوعي - بالذات الكائن لذاته أو النافي الذي كان العقل هلّ ضمنه؛ فالوعي - بالذات كان وجد بين يديه حقيقاً كان ليكون النافي لذاته، فما كان ليحقّق غايته أولاً إلا عبر نسخ ذلك الحقيق. ولكن ما دامت الغاية والكون - في - ذاته قد بانا بما هما عين ما هو الكون لمغاير والحقيق الحاصل بعدد، فإنّ الحقيقة لم تعد تنفصل عن الإيقان، من حيث يمكن الآن أن تُعتبر الغاية الموضوعة كأنّها الإيقان من الذات، وتحقيق عين الغاية كأنّها الحقيقة، أو كذلك تُعتبر الغاية كأنّها الحقيقة، والحقيق كأنّه الإيقان؛ لكنّ الماهية والغاية في ذاتها ولذاتها إنما هما الإيقان من الواقع نفسه الذي في - الحال، إنهما تنافذ الكون - في - ذاته والكون - لذاته، والكلّيّ والفردية؛ فالفعل يكون في حدّ ذاته حقيقته وحقيقته؛ وبيان الفردية أو عبارتها إنما يمثلان بالنسبة إلى ذلك الفعل غاية في حدّ ذاتها ولذاتها.

[260]

إنّ الوعي - بالذات يكون بمعية هذا المفهوم قد أب إلى ذاته انطلاقاً من التعيينات المتضادة التي كانت اتصفت بها المقولة في نظره، كما إضافته هو إليها من جهة ما هو وعي - بالذات يعاين، ثم وعي - بالذات يفعل. والمقولة الخالصة نفسها هي التي كانت موضوعه، أو الوعي - بالذات إنّما هو المقولة التي صارت واعية بذاتها. وبذلك يتم إحصاء أشكاله الفائتة؛ فهذه الأشكال إنّما مضت خلف الوعي - بالذات ونُسيت، فلا تعرض له كالعالم الحاصل بين يديه، بل تربو فقط داخله كالحظات شفيفة. ومع ذلك ما زالت تلك اللحظات تهلّ منفصلة في الوعي الذي للوعي - بالذات كأنها حركة لحظاتٍ مختلفة ما زالت لم تُدرَك ولم تُجمَع في وحدتها الجوهرية. ولكنّ الوعي - بالذات إنّما يُمسك في تلك اللحظات جميعاً بالوحدة البسيطة بين الكينونة وبين الهو ويوظدها، فهذه الوحدة إنّما هي جنسه.

بذلك يكون الوعي قد طرح عنه كلّ تقابل وكلّ لازمة تقيّد فعله؛ فهو إنّما ينجم عن ذاته نصيراً حياً، فلا يُقصد إلى مغاير، بل يلتمس ذاته نفسها. وما دامت الفردية تنطوي في حدّ ذاتها على الحقيق فإنّ مادة الفعل الفعّال<sup>(74)</sup> وغاية الفعل تكمنان في الفعل ذاته. لذلك يكون للفعل ظاهر الحركة التي للدور الذي يتحرّك في داخلته حرّاً وضمن الفراغ، فيترسّل تارةً ويتقلّص طوراً<sup>261]</sup> من دون أن يعوقه عائق، فلا يحول - إذ يأتي كفاية نفسه - إلّا في داخله ومع نفسه. والعنصر الذي تعرض فيه الفردية شكلها تكون له دلالة تعرّ خالص لذلك الشكل؛ إنّها بالجملة وضح النهار الذي يلتمس الوعي الظهور فيه. والفعل لا يبدّل شيئاً، ولا يواجه شيئاً؛ إنّ الصورة المحض لترجمان ما يوجد لامرئياً (Das Nichtgesehenwerden) في ما يوجد مرئياً، أمّا المضمون

(74) Das Wirken، أن يكون فعلاً.



الذي يتبين ويلج وضخ النهار فليس هو سوى ما يكون ذلك الفعل في ذاته كوناً حاصلاً؛ فالفعل يكون في ذاته، - وتلك هي صورته كوحدة مفكرة؛ ويكون حاقاً، وتلك هي صورته كوحدة كائنة؛ فلا يكون هو نفسه مضموناً إلا على هذا التعيين الذي للبطاسة حيال تعيين ممارته وحركته.

## 1. مملكة الحيوان الروحية والمخاتلة، أو رأس الأمر

هذه الفردية الواقعية في ذاتها إنما تكون في مبتدأ الأمر ومن جديد فردية فاردة ومحددة؛ ولذلك فالواقع المطلق بما هو ما تعلمه الفردية أنه هي، إنما هو - من الوجه الذي تصير واعية به - واقع مجرد وكلي لا يكون - إذ يعدم الفحوى والمضمون - إلا فكرة خاوية لتلك المقولة. - وينبغي أن نرى كيف يتعين هذا المفهوم الذي للفردية الواقعية في ذاتها بحسب لحظاته، وكيف يحصل لها مفهومها الذاتي داخل الوعي.

[I. مفهوم الفردية بما هي فردية واقعية] - إن مفهوم هذه الفردية كما تكون بما هي كذلك لذاتها كل واقع، إنما هو في مبتدأ الأمر حاصل؛ وهي ما زالت لم تعرض حركتها وواقعها، فإنما توضع هاهنا في - الحال من جهة ما هي كون - في - ذاته بسيط. لكن السالبة التي هي عين ما يظهر كحركة، إنما تكون عند الفي - ذاته البسيط كتعينية؛ أما الكينونة أو الفي - ذاته البسيط، فإنما يصير محيطاً<sup>(75)</sup> محدداً. ولذلك تهل الفردية كطبيعة أصلانية متعينة: - كطبيعة أصلانية لأنها إنما تكون في ذاتها، - وكطبيعة متعينة على الأصل، لأن السلب إنما يكون عند الفي - ذاته، وهذا إنما يكون بذلك كيفية. غير أن هذا التقييد للكينونة لا يمكنه أن يقيد الفعل الذي للوعي، لأن هذا الوعي يكون في هذا

[262]

(75) على معنى محيط الدائرة وحاشيتها.

الموضع اتصالاً ذاتياً بذاته (Ein sich auf sich selbst Beziehen) تاماً؛ فالإضافة إلى مغاير التي كانت لتمثل تقييداً لعين الوعي إنما قد نُسخَتْ. ولذلك تكون التعيّنات الأصلانية للطبيعة مبدأ بسيطاً وحسب، - أي عنصراً كلياً شفيفاً تدوم فيه الفردية حرّة ومضاهيةً لنفسها بقدر ما تبسّط فيه فروقها من دون أيّ حائل، فتكون في تحقّقها تفاعلاً خالصاً مع نفسها. كذلك حياة الحيوان اللامتعيّنة تنفخ أنفاسها في عنصر الماء والهواء والتراب، فتطال داخل هذه كلّها مبادئ أكثر تحديداً، ثمّ تغمس كلّ لحظاتها فيها، لكنّها تُبقي عليها - على الرّغم من تقييد العنصر - تحت طائل سطوتها كما تُبقي على نفسها ضمن الواحد الذي لها، فتظلّ من جهة ما هي هذا التنظيم الجزئيّ عين حياة الحيوان الكلّيّة.

إنّ تلك الطبيعة الأصلانية المتعيّنة التي للوعي الذي يظلّ فيها حرّاً وكاملاً إنّما تظهر كالمضمون الأصليّ والأوحد والقائم في - الحال لما يكون عند الفرد غايةً؛ ولا ريب أنّه مضمون محدّد، لكنّه بالجملة لا يكون مضموناً إلّا من حيث نتفّحص الكون - في - ذاته مُفرداً؛ لكنّ المضمون هو على الحقيقة الواقع الذي تتنفذ فيه الفردية؛ إنّهُ الحقيق كما ينطوي عليه الوعي من جهة ما هو فرديّ، ومن حيث يوضّع ذلك الحقيق أولاً من جهة ما هو كائن وليس بعد كفاعل؛ فمن ناحية ليست تلك التعيّنات بالنسبة إلى الفعل تقييداً قد يلتمس تعدّيته، لأنّ التعيّنات متى اعتُبرت كيفيةً تكون اللّون البسيط للعنصر الذي يتحرّك فيه الفعل؛ أمّا من الناحية الأخرى فالسالبية لا تكون تعيّناتٍ إلّا ضمن الكينونة؛ لكنّ الفعل نفسه ليس سوى السالبية؛ وعليه فالتعيّنات قد حُلّت في السالبية بعامّة عند الفردية الفاعلة، أو في لبّ مفهوم (76) كلّما تعيّن.

(76) Inbegriff، على معنى الخالص والمتضمّن الذي لا معنى إلّا به.

إن الطبيعة الأصلانية البسيطة تلج الآن - ضمن الفعل والوعي الذي للفعل - الاختلاف الذي يحصل لهذا الفعل، فالفعل يمثل أولاً كموضوع، لاسيما كموضوع من جنس الذي ما زال ينتمي إلى الوعي، أي كغاية، وبذلك فهو يتضاد مع حقيق مائل. أما اللحظة الأخرى فهي حركة الغاية التي تُتصور ساكنة، والتحقق من جهة ما هو صلة الغاية بالتحقيق الصوريّ تمام الصوريّة، وهي عندئذ تصور الممارسة ذاتها، أو الوسيلة. أما اللحظة الثالثة - في الختام - فهي الموضوع كما لم يعد غايةً يكون الفاعلُ واعياً بها في - الحال كأنها الغاية التي له، بل الموضوع من حيث يقوم خارج الفاعل، فيكون في نظره من جهة ما هو مغايرٌ. - لكن ينبغي الآن الإمساك شديداً بهذه الجوانب المتباينة بحسب المفهوم الذي لهذه الدائرة، حتى يظلّ المفهوم فيها هو هو، فلا يحصل فيه فرقٌ من أيّ وجه، لا الفرق بين الفردية وبين الكينونة بعامة، ولا فرق الغاية من الفردية من جهة ما هي طبيعةً أصلانيةً، ولا من التحقيق المائل بين يديها، ولا فرق الوسيلة من التحقيق من جهة ما هو غايةً مطلقة، ولا التحقيق المحقق من الغاية أو الطبيعة الأصلانية أو الوسيلة.

وعليه فالطبيعة الأصلانية للفردية، أو ماهيتها التي في - الحال، ما زالت - قبل أيّ شيء - لم توضع كفاعلة، فهي إنما تسمى على هذا النحو القدرة الجزئية، والمهارة والطبع وما شاكل ذلك. وينبغي أن تعتبر هذه الصبغة الخاصة للروح كأنها المضمون الأوحد للغاية، وتعدّ برأسها الواقع. ومتى كنّا نتصور الوعي كأنه متعدّد لذلك المضمون، ويلتمس الانتهاء بمضمون مغاير إلى التحقيق، كنّا قد تصوّرناه على أنه عدمٌ يسوقُ عدماً. - وزائداً إلى ذلك أن تلك الماهية الأصلانية ليست مضمون الغاية وحسب، بل هي ذاتها أيضاً التحقيق الذي يظهر كذلك كالمادة المتاحة للفعل، وكالتحقيق الحاصل بعد الذي ينبغي تثقيفه في الفعل. أعني

أنّ الفعل ليس هو إلاّ النقل المحض من صورة الكينونة التي ما زالت لم تُتصوّر إلى صورة الكينونة المتصوّرة؛ فالكون - في - ذاته الذي لمثل هذا الحقيق المتضادّ مع الوعي إنّما قد تنزّل إلى ظاهر خاوٍ وبسيط. وما دام هذا الوعي قد تعيّن للمراس، فإنّه لا ينقادُ إذاً إلى تضليل ظاهر الحقيق المائل بين يديه، فينبغي عليه من الوجه نفسه أن يخرج على التخبّط في الأفكار والغايات الجوفاء، فيقفّ على المضمون الأصليّ لماهيّته. - ولا ريب أنّ هذا المضمون الأصليّ إنّما يكون أولاً بالنسبة إلى الوعي ما دام هو الذي حقّقَه؛ لكنّ يسقط اختلاف الشيء الذي لا يكون في نظر الوعي إلاّ داخل نفسه، كما اختلاف الحقيق الكائن في ذاته خارج الوعي. - غير أنّه إذا كان لا بدّ للوعي أن يتمرّس<sup>(77)</sup>، فذلك لكي يصير ما يكون في ذاته على إضافة إليه، أو: المراس إنّما هو على التدقيق صيرورة الرّوح من جهة ما هو وعي. وعليه فما يكون الوعي في ذاته إنّما يعلمه ابتداءً من حقيقه. ولذلك فالفرد لا يسعه أن يعلم ما هو ما لم ينته عبر الفعل إلى الحقيق. - لكنّه يظهر عندئذٍ على أنّه ليس بوسعه أن يعيّن غاية فعله ما لم يكن قد أتى الفعل؛ لكن لا بدّ له في الوقت ذاته ما دام وعياً أن يمثل أمامه المراس من جهة ما هو مراسه على التمام، أي من جهة ما هو غايةً. وعليه فالفرد الذي ينهض للمراس يظهر على أنّه يوجد داخل دورٍ تفترض فيه كلّ لحظة اللّحظات الأخرى، فلا يسعه عندئذٍ أن يدرك البدء من أيّ وجه، لأنّ ماهيّته الأصليّة التي يجب أن تكون غايةً إنّما لا يشرع في الإلمام بها إلاّ متى يبدأ الفعل، لكن لكي يفعل لا بدّ أن تتوقّر لديه من قبل ذلك الغاية. لكن لهذه العلة لا بدّ له أن يبدأ في - الحال ويتعدّى إلى النشاط أيّاً كانت الظروف ومن دون إمعان النظر في البدء والوسيلة والمنتهى، لأنّ

264]

(77) Handeln، على معنى البرائين (Πράττειν).

ماهيته وطبيعته الكائنة - في - ذاتها إنما تكونان كلتاهما بدءاً ووسيلةً ومنتهى في واحد. وتلك الطبيعة من جهة ما هي بدءاً إنما تمثل في صفوف المراسم، أما المصلحة التي يجدها الفرد في شيء ما فإنما تمثل الإجابة الحاصلة بعد عن سؤال: هل ينبغي أن يفعل في هذا الموضع وماذا يفعل؟ لأن ما يبدو على أنه حقيق حاصل هاهنا إنما هي طبيعته الأصلانية التي لا يكون لها سوى ظاهر كينونة ما، - وهو ظاهر يكمن في المفهوم الذي للفعل المنفصم، لكنه من جهة ما هو الطبيعة الأصلانية للفرد إنما يفصح عن نفسه في المصلحة التي يجدها الفرد في الحقيق. كذلك يتحدّد في ذاته ولذاته الكيف، أو الوسيلة. كذلك المهارة ليست سوى الفردية الأصلانية المتعيّنة، إذ تُعدُّ وسيلةً جَوَانِيَّةً، أو مرورَ الغاية حتّى الحقيق. أما الوسيلة الحاقّة والمرور الفعليّ فإنما هما وحدة المهارة وطبيعة الأمر (Natur der Sache) الماثلة في المصلحة؛ فأما تلك فتمثّل عند الوسيلة جانب الفعل، وأما هذه فتمثّل جانب المضمون، وكتاهما إنما تكونان الفردية نفسها من جهة ما هي تنافذ الكينونة والفعل. وعليه فما يمثّل هاهنا إنما هي الظروف الحاصلة بعد التي تكون في ذاتها الطبيعة الأصلانية للفرد، ثمّ المصلحة التي تضع تلك الظروف كأنها ظروفها أو كأنها غايةً، وفي الختام ترابط هذا التقابل ونسخه في الوسيلة. [265] وهذا الترابط نفسه ما زال يقع ضمن الوعي، والكلّ الذي اعتبرنا للتوّ إنما هو أحد جانبي التناقض. وهذا الظاهر من التضادّ الذي يتبقّى إنما يُنسخ من خلال الممارّة نفسها أو الوسيلة؛ - لأنّ الوسيلة وحدة البرّانيّ والجوانيّ، وضدّ التعيّن التي تكون لها الوسيلة كوسيلة جَوَانِيَّة، وعليه فالوسيلة تنسخ تلك التعيّن ثم تستوضع نفسها - ما دامت هذه الوحدة بين الفعل والكينونة - أيضاً كبرّانيّ، أي كالفردية نفسها التي تصيرت حاقّة، أي التي توضع لنفسها من جهة ما هي الكائن. فالتمرس في جملة لا يتعدى - من

هذا الوجه - قوامه الخاص، لا كظروف، ولا كغاية، ولا كوسيلة، ولا كأثر.

لكن يظهر أنّ اختلاف الطبائع الأصلانية إنّما يهمل مع الأثر؛ فالأثر كمثّل الطبيعة الأصلانية التي تنمّ عنه، إنّما يكون أثراً متعيّناً، لأنّ السالبيّة التي يُهمّلها الفعل كأنّها حقيقٌ كائنٌ إنّما تسكن إلى الأثر كأنّها كفيّة. أمّا الوعي فيتعيّن حيال الأثر كالذي يشتمل على التعينيّة بما هي بالجملة سالبيّة، أي بما هي فعلٌ؛ فالوعي هو الكلّي الذي يقوم حيال تلك التعينيّة التي للأثر، ويمكنه إذاً أن يقارنه بغيره، ثمّ يدرك من ذلك الفرديّات نفسها من جهة ما هي متباينة، فيدرك الفرد الذي يتزيّد فعالية في أثره إمّا كطاقة مشتدّة للإرادة، وإمّا كطبيعة أخرى، أي كطبيعة تكون تعينيّتها الأصليّة أقلّ تقييداً، - وإمّا كطبيعة أخرى تكون بالعكس أضعف وأحسر. وقد كان يكون الحسن والقيح عبارةً عن اختلاف مطلق حيال ذلك الاختلاف غير الجوهريّ للعظم؛ لكنّ هذا الاختلاف المطلق لا محلّ له في هذا الموضوع. وما كان يكون التقطّ من هذا الوجه كما من ذلك إنّما هو على حدّ سواء فعلٌ ونزوعاتٌ، تبيانٌ وعبارةٌ لفرديّة ما، ولهذه العلة كلّ شيء حسنٌ، وكان ليعسر القول بحصر المعنى ما الذي كان يكون قبيحاً فالذي كان ليسمى أثراً قبيحاً إنّما هو الحياة الفرديّة التي لطبيعة متعيّنة تتحقّق فيها؛ وما كان لينزل إلى أثر قبيح إلاّ من خلال الفكر المقارن، لكنّ هذا الفكر شيء خاوٍ ما دام يتعدّى ماهيّة الأثر - وهي كونه عبارةً الفرديّة - ليتعقّب ويلتمس في غيرها ما لا ندري. - فما كان ليكون بوسع هذا الفكر إلاّ أن يصادف الاختلاف الذي شرحناه [266] أعلاه؛ لكنّ هذا الاختلاف في ذاته ومن جهة ما هو اختلاف عظيم إنّما هو غير جوهريّ؛ وهو كذلك في هذا الموضوع على نحو أكثر تحديداً لأنّ الأمر متعلّق بآثار أو فرديّات متباينة يقارن بعضها ببعض؛ والحال أنّه ما من فرديّة أو أثر منها يعبأ بغيره؛

فكلّ أثر أو فردية إنّما تتصل بنفسها وحسب. والطبيعة الأصلانية هي وحدها الفي - ذاته، أو هي ما كان يمكن أن يوضع في العماد كمعيار حكم في الأثر والعكس بالعكس؛ فالأمران متناظران، إذ لا شيء يكون في نظر الفردية ما لم يكن من خلالها، أو ما من حقيق لا يكون طبيعتها وفعلها، وما من فعل ولا في - ذاته لعين الفردية لا يكون حاقاً، وهذه اللحظات هي وحدها التي تمكن مقارنتها.

وبالجملة لا محلّ هاهنا لا للترقي ولا للشكوى ولا للأسف؛ لأنّ الأشياء التي من هذا القبيل إنّما تصدر عن الفكر الذي يتوهم مضموناً وفي - ذاته مغايرين للطبيعة الأصلانية التي للفردية وتنجزها المائل في الحقيق؛ فأياً كان ما يفعل الفرد، وأياً ما يحدث له، فذلك إنّما قد فعله الفرد، وهو ما هو الفرد نفسه؛ وليس يمكنه أن يحصل إلّا الوعي بالانتقال الخالص بنفسه من ليل الإمكان إلى وضّح الحضور، ومن الفي - ذاته المجرد إلى دلالة الكينونة الحاقّة، والإيقان من أنّ ما يحدث له في وضّح النهار ليس سوى ما يقبع في سبات الإمكان. ولا ريب أنّ الوعي بهذه الوحدة إنّما هو مقارنة، لكنّ ما يُقارن يكون له على التدقيق ظاهر التقابل، أي ظاهر الصورة الذي لم يعدّ يجاوز كونه ظاهراً عند الوعي - بالذات الذي للعقل المتمثل في أنّ الفردية إنّما تكون في حدّ ذاتها الحقيق. ولما كان الفرد يعلم أنّه لا يمكنه أن يجد في حقيقه سوى وحدته وإياه، أو لا يجد إلّا الإيقان من نفسه في حقيقه ذلك الحقيق، وكان إذاً يبلغ دوماً غايته، فإنّه لا يمكنه إذاً إلّا أن يعيش في ذاته البهجة.

[II. الأمر برأسه والفردية] - ذلك هو المفهوم الذي يأتيه الوعي عن نفسه وهو موقن من نفسه كتنافذ مطلق بين الفردية وبين الكينونة؛ فلنرّ هل يتأكد ذلك المفهوم عنده عبر التجربة، وهل يوافق واقع ذلك المفهوم. إنّ الأثر هو الواقع الذي يتعطاه

[267] الوعي، إنه الذي يكون فيه الفرد في نظر الوعي ما هو في ذاته، وعلى نحو أن الوعي الذي يصير في نظره الفرد ضمن الأثر، ليس الوعي الجزئي، بل هو الوعي الكلي؛ فالوعي إنما قد عرض نفسه ضمن الأثر بعامّة في أسطقس الكلية، أي في المكان العري من التعينية الذي للكينونة. والوعي الذي ينسحب من أثره إنما هو بالفعل الكلي - لأنه يصير في هذا التقابل السالبة المطلقة أو الفعل - حيال أثره الذي يكون المتعين؛ وعليه فالوعي إنما يتعدى نفسه كأثر، فيكون هو نفسه المكان العري من التعينية الذي لا يوجد مفعماً بأثره. وإذا كانت وحدثهما مع ذلك قد دامت من قبل هذا في المفهوم، فذلك إنما حدث على التدقيق من جهة أن الأثر كان نُسخ كأثر كائن. لكن الأثر ينبغي أن يكون، وعلينا أن نرى كيف ستحفظ الفردية في كينونتها الكلية التي لها، وكيف ستصيب كفاية نفسها. - ينبغي أولاً تفحص الأثر المتصير لذاته، فالأثر قد استفاد (Mitempfangen) جملة الطبيعة الأصلانية، ولذلك فكينونته نفسها فعلٌ تتنافذ فيه جميع الفروق وتنحل؛ فالأثر إذاً إنما يُلقى به في ديمةٍ تنقلب فيها تعينته الطبيعة الأصلانية فعلاً ضدّ طبائع متعينة أخرى، فتتطاول عليها كما تتطاول هذه بدورها على تلك، فتفوت تلك التعينية من جهة ما هي لحظة زائلة ضمن هذه الحركة الكلية. وإذا كانت جميع اللحظات والظروف والغاية والوسيلة والتحقق سواسية ضمن مفهوم الفردية الواقعية في ذاتها ولذاتها، فلا تجري الطبيعة الأصلانية المتعينة إلا مجرى العنصر الكلي، فإن تعينته هذا العنصر - ما دام يصير كينونة موضوعية - إنما تحصل بما هي كذلك - وعلى العكس ممّا سبق - في وضوح النهار ضمن الأثر، فتحفظ حقيقتها حتى في تحللها. وهذا التحلل - إذا أمعنا فيه عن كذب - إنما يعرض على نحو أن الفرد في تلك التعينية إنما قد تصير لنفسه حاقاً كهذا الفرد بعينه؛ لكن تلك التعينية ليست مضمون الحقيق وحسب، بل هي أيضاً صورته، أو: الحقيق بما



هو كذلك إنما يكون بعامة تلك التعيينة التي تتمثل في التضاد مع الوعي - بالذات. فهي تتضح من هذا الجانب كأنها الحقيق الغريب الذي زال من المفهوم فلا يكون إلا حاصلًا هاهنا. والأثر إنما يكون، أي إنه يكون لفرديات مغايرة، ويمثل في نظرها حقيقاً غريباً، لا بد لها من أن تضع مكانه حقيقها الخاص بها حتى تتعطي عبر فعلها الوعي بوحدتها الخاصة مع الحقيق، أو أنّ مصلحتها عند ذلك الأثر - وهي مصلحة توضع عبر طبيعتها الأصلانية - إنما تخالف المصلحة الخاصة بالأثر الذي يتحوّل عندئذ إلى شيء مغاير. وعليه فالأثر إنما يكون شيئاً فائئاً يضمحلّ من جراء منازعة القوى والمصالح المغايرة، فيعرض واقع الفردية من جهة ما هو زائل، أكثر ممّا يعرضه مكتملاً.

وعليه فما ينجم للوعي داخل أثره إنما هو تقابل الفعل والكيونة الذي كان في الوقت ذاته مثل في الأشكال الفائئة للوعي بداءة الفعل، أمّا في هذا الموضع فهو الحاصل وحسب. لكنّ هذا التقابل كان أيضاً قد مثل فعلاً العماد من جهة أنّ الوعي بما هو فردية واقعية في ذاتها كان قد همّ بالمراس، لأنّ ما كان افتراض في المراس كأنه الفي - ذاته إنما هو الطبيعة الأصلانية المتعينة، وكانت هذه الطبيعة تمثل مضمون الاكتمال المحض من أجل الاكتمال. أمّا الفعل المحض فهو الصورة المتساوية مع نفسها التي لا تضاهي عندئذ تعيينة الطبيعة الأصلانية. وسيان في هذا الموضع - كما في أيّ موضع آخر - أيّهما يسمّى المفهوم وأيّهما يسمّى الواقع؛ فالطبيعة الأصلانية إنما هي المفكّر أو الفي - ذاته حيال الفعل الذي يكون لها فيه وحدّه واقع؛ أو: الطبيعة الأصلانية إنما هي كينونة الفردية بما هي كذلك بقدر ما هي كينونة الفردية من جهة ما هي أثر، أمّا الفعل فهو المفهوم الأصلي من جهة ما هو ممارسة مطلقة، أو من جهة ما هو الصيرورة. والوعي إنما يتعنى في

أثره هذا اللاتطابق بين المفهوم وبين الواقع الكامن في ماهيته؛  
وعليه فالوعي إنما يصير لنفسه كما يكون على الحقيقة، أما  
المفهوم الخاوي الذي يكون له عن ذاته فيزول.

عندئذ كل جوانب الفردية التي تكون في نظر نفسها واقعية  
في ذاتها إنما تهل في هذا التناقض الأساسي للأثر - الذي يمثل  
حقيقة عين الفردية - كجوانب متناقضة؛ أو: إن الأثر من جهة ما  
هو مضمون سار الفردية إنما يُستخرج من الفعل الذي يمثل  
الوحدة النافية، ويحتبس جميع اللحظات ويوضع في الكينونة،  
فيخلي مذاك سبيل تلك اللحظات، فتصير ضمن عنصر الديمة  
سيانية بعضها حيال بعض. وعليه فالمفهوم والواقع إنما ينفصلان  
كغاية وكالذي يكون الأيسية الأصلانية. أما كون الغاية ماهية  
صادقة أو كون الفي - ذاته قد جعل غاية، فذلك أمر عرضي.  
كذلك ينفرق (Auseinandertreten) المفهوم والواقع من جديد  
كممازة في الحقيق وكغاية؛ أو: إنه من العرضي أن تُتخير الوسيلة  
التي تنم عن الغاية. وبالجملة فإن فعل الفرد يكون من جديد  
عرضياً حيال الحقيق بعامة، إذا أخذنا تلك اللحظات الجوانبية  
مجتمعة وسواء كانت لها في حد ذاتها وحدة أم لم تكن؛ فالحظ  
هو الذي يحسم ترجيح غاية محددة ووسيلة مختارة على نحو  
فاسد، مثلما يحسم طرفهما معاً.

لما يحصل للوعي ضمن أثره تقابل المشيئة والاكتمال،  
والغاية والوسائل، وتقابل هذا الجواني في جملته والحقيق نفسه،  
وهو بعامة ما تشتمل عليه عرضية فعله، عندئذ تمثل وحدة عين  
الفعل ووجوبه على الرغم من ذلك التقابل؛ وهذا الجانب إنما  
يطغى على ذلك الأول، ذلك أن تجربة عرضية الفعل إنما تكون  
هي نفسها تجربة عرضية. أما وجوب الفعل فيقوم على كون الغاية  
موصولة على الإطلاق بالحقيق، وهذه الوحدة إنما هي مفهوم  
الفعل؛ فالعلة في المراس هي أن الفعل يكون في ذاته ولذاته

ماهية الحقيق. والعرضية إنما تلوح فعلاً في الأثر، فهي تنطوي على كون [الأثر] مكتملاً (Das Vollbrachtsein) حيال المشيئة والتكامل، وهذه التجربة التي تظهر على أنه لا بد لها أن تجري مجرى الحقيقة إنما تناقض ذلك المفهوم في الممارسة. ولكن إذا تفحصنا مضمون هذه التجربة على تمامه، لبأنَّ الأثر الزائل؛ فالذي يدوم ليس هو الزوال، بل الزوال نفسه حاقٌّ ومرتبطة بالأثر، ويزول هو نفسه وإياه؛ فالسالب نفسه إنما يهوي والموجب الذي ينفيه.

زوال الزوال هذا إنما يكمن في مفهوم الفردية نفسها التي تكون في ذاتها واقعية؛ لأنَّ الذي يزول فيه الأثر، أو ما يزول من الأثر، وما كان ينبغي أن يهب غلبةً للذي كنا سميناه تجربةً على فهم الفردية لنفسها، كلَّ هذه إنما هي الحقيق الموضوعي؛ لكن هذا الحقيق إنما هو لحظةٌ لم تعد لها حقيقةً في ذاتها حتى عند ذلك الوعي، فهذه الحقيقة لا تقوم إلا على وحدة عين الوعي مع الفعل، والأثر الحق على تلك الوحدة بين الفعل والكيونة، وبين المشيئة والتكامل. وعليه فإنَّ الحقيق نفسه المتضادَّ مع إيقان الوعي إنما يكون عنده - بسبب إيقانه الذي يمثل ركنَ مراسه - من قبيل ما لا يكون إلا بالنسبة إليه؛ والتقابل لم يعد يحصل عند ذلك الوعي من جهة ما هو وعي - بالذات قد أب إلى نفسه فزال في نظره كلَّ تقابل، على صورة تعارض كونه - لذاته مع الحقيق؛ بل التقابل والسالبية اللذان يظهران في الأثر لا يتعلقان عندئذ بمضمون الأثر أو حتى الوعي وحسب، وإنما يدركان الحقيق بما هو كذلك، فيطالان إذاً التقابل المائل فقط عبر الحقيق وفيه كما زوال الأثر. هكذا ينعكس الوعي إذاً على ذاته انطلاقاً من أثره الذي يفوت، ثمَّ يُثبت مفهومه وإيقانه من جهة ما هما الكائن والدائم حيال تجربة عرضية الفعل؛ فهو إنما يتعنى بالفعل مفهومه حيث لا يكون الحقيق إلا لحظةً، وشيئاً بالإضافة إليه، لا الفي -

ذاته ولذاته، لأنه يتعنى الحقيق ك لحظة زائلة، فلا يجري عنده لذلك إلا مجرى كينونة بالجملة تضاهي كليتها الفعل. وهذه الوحدة إنما هي الأثر الحق؛ وهذا الأثر هو الأمر برأسه<sup>(78)</sup> الذي يتأكد على الإطلاق ويُتعنى من جهة ما هو الدائم دونما تقيّد بالشيء الذي يمثّل عرضيّة الفعل الفرديّ بما هو كذلك، كما عرضيّة الظروف والوسائل والحقيق.

إنّ الأمر برأسه لا يتضادّ مع هذه اللحظات إلا من حيث يجب أن تصلح منعزلة، لكنّه من جهة ما هو تنافذ الحقيق والفرديّة إنّما يكون بالجواهر وحدة عين اللحظات؛ وكذلك يكون فعلاً، ويكون من جهة ما هو فعلٌ فعلاً خالصاً بالجملة، وعندئذ يكون من وجهٍ سواء فعل هذا الفرد بعينه، إنّ هذا الفعل من حيث ينتمي إليه في تقابل مع الحقيق، أي من جهة ما هو غاية؛ وكذلك يكون ممارسة من هذه التعيّنات إلى التعيّنات المتضادة؛ ويكون في الختام حقيقاً يمثّل بين يديّ الوعي. والأمر برأسه ينمّ عندئذ عن الأيسية الروحية التي تُنسخ فيها جميع تلك اللحظات بما هي سارية لذاتها، أي من حيث تجرى إذاً مجرى لحظات كليّة، وحيث يكون إيقان الوعي من نفسه في نظره ماهيّة موضوعيّة، أي [271] شأنًا؛ إنّ الموضوع الذي يتولّد عن الوعي - بالذات من جهة ما هو موضوعه من دون أن ينقطع عن كونه موضوعاً أصلياً وحرّاً. - إنّ الشيء الذي للإيقان والدرك الحسيّين لا تكون له الآن من

---

(78) Die Sache Selbst، وهذه من أعوص عبارات النصّ الهيجليّ من حيث أتحتها فيه كما من جهة تقولها في لساننا. لكنّ البين بنفسه من هذا الموضوع أنّها تدلّ على غير ما هو مجرد الشيء (Die Sache) و (Der Ding) وعلى غير ما هو موضوع الدرك الحسيّ لأنّ ما تقصد إليه هذه العبارة لا يتقيّد بكيونونة ولا بغرض. إنّما تعني (Sache selbst) الشأنّ الشينّ أو ذات الأمر أو الأمر برأسه أو بذاته من جهة ما هو أيسية تفكيرٍ بعينها، فلا هو بمقولة (على سبيل اتّحاد الكينونة والفكر)، ولا بقطاع كينونة؛ إنّ هو إلا شأنٌ فكرٍ أو «أيسيةٌ روحيةٌ» كما سيتضح من بعد حين.

دلالة في نظر الوعي - بالذات إلا عبره؛ والفرق بين الشيء والشأن إنما يقوم على ذلك. - وسيجتاب الوعي في هذا الصدد حركة تناظر الإيقان والإدراك الحسيين.

وعليه فإنّ الوعي - بالذات حصل له - في الأمر برأسه من جهة ما هو التنافذ الذي صار موضوعياً بين الفردية والموضوعية نفسها - مفهومه الصادق بصدده ذاته، أو أنّ الوعي - بالذات قد بلغ الوعي بجوهره. والوعي - بالذات هو في الوقت نفسه - مثلما يكون في هذا الموضع - وعي قد صار للتوّ، ولذلك هو وعي في - الحال بعين الجوهر، وذلك هو الوجه المتعين الذي تمثّل على نحوه هاهنا الماهية الروحية، والذي ما زال لم يترسّل حتى الجوهر الحاقّ والصادق. والأمر بذاته إنّما تكون له في هذا الوعي الذي في - الحال الذي لعين الجوهر صورة الماهية البسيطة التي تنطوي من جهة ما هي كلّها على جميع لحظاتها المتباينة، فتنطبق عليها؛ لكنّها تكون من جديد على سيّانية حيالها بما هي لحظات متعيّنة وحرّة لذاتها، فتجري بما هي هذا الأمر بذاته الحرّ والبسيط والمجرد مجرى الماهية. واللحظات المتباينة للتعينية الأصلانية أو لشأن هذا الفرد، أي لغايته والوسائل والفعل نفسه والحقيقي، إنّما تكون - من ناحية - عند هذا الوعي لحظات فردية يمكنه أن يُهمّلها ويتخلّى عنها مقابل الأمر برأسه؛ أمّا من الناحية الأخرى فلا يمثّل الأمر برأسه ماهية جميع تلك اللحظات إلا من حيث يوجد - بما هو الكلّي المجرد - عند كلّ لحظة من تلك اللحظات المتباينة ويمكن أن يكون محمولاً عليها. وهو نفسه ليس الذات/ الحامل بعد، لكنّ تلك اللحظات تجري مجرى تلك الذات/ الحامل، لأنّها إنّما تقع بالجملة من جانب الفردية، في حين لا يكون الأمر برأسه أولاً إلا الكلّي الذي على البساطة، فالأمر برأسه إنّما هو الجنس الذي يوجد في جميع تلك اللحظات من جهة ما هي أنواعه، فيكون أيضاً في حلّ منها.

III. المخاتلة المتبادلة والجوهر الروحي] - يُسمى أميناً

صادقاً الوعي الذي انتهى من ناحية إلى هذه المثالية التي ينم عنها الأمر برأسه، ويحصل - من الناحية الأخرى - الحق عند الأمر برأسه من جهة ما هو هذه الكلية الصورية، والذي لا يشتغل دوماً إلا به، ولذلك يطوف بلحظاته أو أنواعه المتباينة، فيحوزه - إذ لا يبلغه في لحظة أو نوع منها أو في دلالة ما - على التدقيق في لحظة أو نوع مغايرين، فيحصل ذلك الوعي بالفعل عندئذ كفاية الرضوة التي ينبغي أن تكون من نصيبه وفق المفهوم الذي له. وكيفما جرت الأشياء فإن ذلك الوعي يكون أنجز الأمر برأسه وبلغه، لأن الأمر برأسه من جهة ما هو هذا الجنس الكلي لتلك اللحظات إنما هو محمول الجميع.

إذا كان ذلك الوعي لم ينته بغاية ما إلى التحقيق، فإنه إنما يكون قد شاء ذلك، ومعناه أنه يجعل من الغاية بما هي غايةً والفعل الخالص الذي لا يفعل شيئاً الأمر برأسه؛ ولذلك يكون بوسعه أن يعبر عن دخيلته فيتعزى من حيث إنه ثمّة دوماً شيء قد فعل اجتهد فيه على الرغم من ذلك. ولما كان الكلي نفسه يشتمل على السالب أو الزوال، فإن ينتفي الأثر هو نفسه فعل ذلك الوعي؛ فالوعي قد استحث الآخرين إلى ذلك، وما زال ينعم بالرضى في زوال حقيقه، مثله مثل الصبية الأشقياء يتمتعون هم أنفسهم بالصفعة، ولاسيما من حيث إنهم العلة فيها. أو: إذا كان الوعي لم يحاول ولو لمرة إنجاز الأمر برأسه، فلم يفعل شيئاً البتة، فذلك لأنه لم يستطع؛ فالأمر برأسه إنما هو في نظره وحدة بين عزمه وحسمه وبين الواقع؛ والوعي إنما يؤكد أن التحقيق لن يكون غير مستطاعه. - وفي الختام إذا صار عند الوعي شيء ذو شأنٍ بعامّة من دون تدخل من قبله، فإن هذا التحقيق يمثل في نظره الأمر برأسه، ولاسيما من جهة المصلحة التي يجدها ههناك، حتى وإن لم يكن هو من أنتج الأمر برأسه؛ أما إذا كان

الأمر من قبيل الحظّ الذي يصادف الوعي شخصياً، فإنه يتمسك به كأنه صنيعه ومُستحقّه؛ وبالإضافة إلى ذلك إن صادفت الوعي حادثه من حوادث الدنيا لا تهمّه في شيء، فإنه إنّما يجعل منها أيضاً حادثته، فتقوم عنده المصلحة التي لا يتبعها فعلٌ مقام التحازب مع ما ينتصر له أو ضده وما يجحد أو يعضد.

إنّ أمانة هذا الوعي - كمثّل الرضوة التي يعيشها في كلّ موضع -، إنّما تقوم بالفعل - كما هو بينّ بنفسه - على كونه لا يجمعُ بين أفكاره التي في الأمر برأسه. والأمر برأسه يمثّل عنده شأنًا خاصًّا به بقدر ما هو انعدام الأثر تماماً، أو يكون الفعل الخالص والغاية الخاوية، أو كذلك حقيقةً بريئاً من الفعل؛ فالوعي يجعل من دلالة تلو دلالة الذات الحامل لهذا المحمول، فينساها دلالة من بعد دلالة. أمّا الآن فالأمر برأسه تكون له في مجرد ما شيء (Im bloßen Gewolthaben) أو أيضاً في مجرد ما لم يُستطع (Im Nichtgemochthaben) دلالة الغاية الخاوية والوحدة المفتركة بين المشيئة والإنجاز. فتعزية النفس في انتفاء الغاية من حيث إنّها قد شاءت على الرغم من ذلك، أو فعلت مع ذلك فعلاً خالصاً، كما الرضوة الناجمة عن إعطاء الآخرين شيئاً يُفعل، إنّما يجعلان من الفعل الخالص أو الأثر الفاسد تماماً ماهيةً، لأنّه ينبغي تسمية ما لا يكون أثراً البتّة بالأثر الفاسد. أمّا في ما يتعلّق - في الختام - بنصيب الحظّ المتمثّل في مصادفة الحقيق حاصلًا بين أيدينا، فإنّ هذه الكينونة التي من دون الفعل تتصير إلى الأمر بنفسه.

أمّا حقيقة تلك الأمانة فهي أنّها ليست صادقةً بالقدر الذي تلوح عليه، لأنّه لا يمكنها أن تكون عريّة من الفكر شديداً حتّى تهمل تلك اللّحظات المتباينة فيقع بعضها بالفعل خارج بعض، بل لا بدّ لها أن تمتلك الوعي الذي في - الحال بتقابل تلك اللّحظات، لأنّ بعضها إنّما يتصل ببعض على الإطلاق. والفعل

الخالص إنّما هو بالجواهر فعل هذا الفرد بعينه، وهذا الفعل هو أيضاً بالجواهر حقيقاً، أو شأنٌ. وبالعكس لا يكون الحقيق بالجواهر إلّا بما هو فعل الفرد، مثلما يكون بالجملة فعلاً؛ وفعل الفرد لا يكون في الوقت ذاته إلّا كفعل بالجملة، وكذلك يكون حقيقاً أيضاً. وعليه فمتى يبدو الفرد مشتغلاً بالأمر برأسه وحده من جهة ما هو حقيق مجرد، فإنّه يشتغل به أيضاً كأشغاله بالفعل الذي له. ولكنّه ما دام لا يشتغل كذلك إلّا بالفعل والسعي، فإنّه لا يحمل ذلك على محمل الجدّ، وإنّما يتعلّق الأمر عنده بشأنٍ ما، وبالشأن من حيث هو شأنه. وما دام الفرد في الختام يظهر على أنّه لا يلتمس إلّا شأنه وفعله، فهو لا يشتغل من جديد إلّا بما هو بالجملة شأنٌ، أو بالحقيق اللابث في ذاته ولذاته.

كما يظّهر الأمرُ بذاته ولحظاته في هذا الموضع كمضمونٍ، كذلك يكون أيضاً - على النحو نفسه من الضرورة - كصورٍ عند الوعي. فهو ولحظاته لا يهمل كمضمون إلّا ليزول، وكلّ طرف يحلّ محلّه طرفٌ آخر. ولذلك لا بدّ أن تحضر تلك اللّحظات في التعيّنة كمنسوخةٍ، لكن على نحو أنّها تمثّل جوانب الوعي نفسه. والأمر بذاته إنّما يمثّل من جهة ما هو الفي - ذاته أو تفكّر الوعي في ذاته، أمّا تطارد (Die Verdrängung) اللّحظات بعضها [274] عبر بعض فيتّضح في الوعي على نحو أنّها لا توضع في ذاتها، بل لا توضع فيه إلّا لغيرها. والوعي هو الذي يعرض في وضوح النهار واحدةً من تلك اللّحظات التي للمضمون ويقدمها للغير؛ لكنّ الوعي يكون في الحين ذاته متفكّراً في ذاته انطلاقاً من ذلك، فتحلّ فيه من عين الوجه اللّحظة المتضادة، فيحتفظ بها لذاتها كأنّها لحظته. ولا يقتصر الأمر في الوقت ذاته بعرض أيّ من تلك اللّحظات وإخراجها بمفردها، والاحتفاظ بأخرى في الداخل، بل الوعي إنّما يتناوبها؛ لأنّه يلزمه أن يجعل من الواحدة كما من الأخرى لحظة جوهريّة في ذاتها كما في نظر الغير. والكلّ إنّما هو



التنافس المتحرك بين الفردية والكلية؛ فلما كان هذا الكل لا يمثل عند ذلك الوعي إلا من جهة ما هو الماهية البسيطة، إذا كتجرید للأمر برأسه، فلحظاته إنما تقع خارج الأمر برأسه كما خارج بعضها البعض، فلا يُستغرق ويُسط ككلٍ إلا بالتناوب القاطع بين العرَض والاحتفاظ به للذات. ولما كان الوعي يمتلك في تلك المناوبة لحظة واحدة لذاته تكون جوهرية في تفكيره، في حين يشتمل في حد ذاته على لحظة أخرى من وجه براني أو تكون للغير، فما ينجم عن ذلك إنما هي لعبة الفرديات بعضها مع بعض، حيث تنخدع ويخدع بعضها البعض، فتُحَاتَلُ بقدر ما تُحَاتَلُ.

إذا فردية ما تقوم لإنجاز شيء ما، فتظهر عندئذ على أنها قد جعلت من شيء ما شأنًا؛ إنها تتمرس، فتصير في ذلك لغيرها، وتظهر على أن ما يشغلها إنما هو الحقيقي. وعليه فالآخرون إنما يأخذون فعل تلك الفردية على أنها اشتغال بالشأن بما هو كذلك، فيحملون كون الشأن قد أنجز في ذاته محمل الغاية، سيان عندهم هل أنجزته تلك الفردية الأولى أم أنجزوه هم. ولما كانوا يُلَوِّحون من بعد ذلك بهذا الشأن على أنه قد تم نجزه من قبلهم، أو يمدون - حيث لم يتوقر ذلك - يد العون، فإن ذلك الوعي يكون في الأكثر قد خرج على الموضع الذي يظنون أنه يحل فيه؛ فما يشغل ذلك الوعي عند الشأن إنما هو فعله ومسعاؤه، ومتى يدركون أن ذلك هو الذي كان يمثل الأمر برأسه، يجدون أنفسهم في وهم مبین. - لكن تنزعهم لمد يد العون لم يكن يمثل هو نفسه في واقع الأمر غير أنهم كانوا يرون ويلتمسون إظهار فعلهم، لا الأمر برأسه؛ ومعناه أنهم كانوا يلتمسون مخادعة الغير على عين النحو الذي يشتكون فيه كونهم هم أنفسهم قد خدعوا. - وما دام قد بان الآن أن الفعل والمسعى الخاصين بالوعي ولعبة قواه هي التي تُحمل محمل الأمر برأسه،

[275]

فإنّ هذا الوعي يظهر على أنّه يشتغل بماهيته لذاته، فلا يعبأ إلاّ بالفعل من جهة ما هو الذي له، لا بالفعل من جهة ما هو فعل الآخرين، فيبدو عندئذ كأنه يترك الآخرين يفعلون ما يشاؤون. غير أنّهم ينخدعون مرّة أخرى، فذلك الوعي خرج بعُد على ما يظنونه فيه، فهو لا ينشغل بالشأن من جهة ما هو هذا الشأن المفرد الذي له، بل بالشأن من جهة ما هو شأن، أي بما هو كليّ يكون للجميع. وعليه فهو يندسّ في فعلهم وأثرهم، ومتى لم يستطع أن يتنزّع من بين أيديهم ذلك الأثر، فإنّه على الأقل يهتّم به من جهة الحكم فيه، فإذا نقش عليه علامة موافقته ومديحة، فذلك إنّما يُظنّ فيه على نحو أنّه لا يمدح في الأثر الأثر نفسه وحسب، بل يمدح في الوقت ذاته جوده واعتداله الخاصين به من حيث إنّه لم يفسد الأثر بما هو أثر، بل ولم يمسّخه أيضاً بانتقاده. ومتى يبدي الوعي اهتماماً بالأثر، فهو إنّما يتمتّع بنفسه في ذلك؛ كذلك يستحسن وفادة الأثر الذي يهجوّه لأجل عين التمتع بفعله الخاصّ الذي يضمن بذلك محلاً. ولكنّ أولئك الذي يقولون ويظهرون على أنّهم قد خُدعوا من جرّاء هذا الاندساس إنّما كانوا في الأكثر يلتمسون المخاتلة من وجهٍ سواء، فهم يقدّمون فعلهم وشاغلهم على أنّهما ليسا إلاّ لذاتيهما وأنّهم لا يبتغون منهما إلاّ أنفسهم وماهيّتهم الخاصّة؛ إلاّ أنّهم متى يفعلون شيئاً ما، فيظهرون حينئذٍ في وضوح النهار، فإنّما يناقضون في - الحال بواسطة الفعل مزعمهم في التماس حذف وضوح النهار والوعي الكليّ وتناصب الجميع؛ فالتحقّق إنّما هو في الأكثر عرضٌ لله (Das Seinige) ضمن الأسطقس الكليّ أين يصير وينبغي أن يصير شأن الجميع.

وعليه فلمّا ينبغي أن يتعلّق الأمر بالشأن المحض وحسب، تكون ثمة مخاتلةٌ للذات بقدر ما تكون مخاتلة للغير؛ فالوعي الذي يحفل بشأن ما ويشرع فيه إنّما يأتي بالأحرى تجربة أنّ

الآخرين يهرعون إليه كمثّل الذباب إلى الحليب المسكوب، فيراؤون الانشغال به؛ أما هم فيخبرون عند ذلك الوعي أنّه لا يشتغل بالشأن كأنه موضوعٌ، بل من جهة ما هو الشأن الذي له. وبالعكس إذا ما كان الفعل وحده واستعمال المَلَكات والقدرات أو عبارةً هذه الفردية هو ما ينبغي أن يمثّل الجوهريّ، فالتجربة التي يشترك فيها الجميع هي أنّ الجميع يتنزّعون ويتضيقون، وأنّه بدل الفعل الخالص أو فعل مخصوص فرديّ إنّما يكون في الأكثر قد فعلَ كذلك شيءٍ لأجل الآخرين، أو أمرٌ برأسه. وما يحدث في الحالتين إنّما هو عين الشيء، وليس له من معنى مخالفٍ إلّا حيالَ المعنى الذي اتُّخذ وأُعتبر ساري الصلاحية. والوعي إنّما يتعتّى الجانبين على أنّهما لحظتان جوهريتان على حدّ سواء، فيخبر في ذلك ما هي طبيعة الأمر برأسه، أعني أنّه ليس شأنًا وحسب قد يتضادّ بالجملة مع الفعل والفعل الفرديّ، ولا هو بفعل قد يتضادّ مع الدوام فيكون جنسًا في حلٍّ من هذه اللحظات كأنّها أنواعه، بل هو ماهيةٌ إنّما تجمع كينونتها بين الفعل الذي للفرد الفارد وبين الفعل الذي لجميع الأفراد؛ وفعلها إنّما يكون في - الحال للغير، أو يكون شأنًا، وليس يكون شأنًا إلّا بما هو فعل الجميع وكلّ واحدٍ؛ إنّهُ الماهية التي هي ماهية الماهيات، أي الماهية الروحية. والوعي إنّما يخبر أنّ ما من لحظة من تلك اللحظات هي ذاتٌ/ حاملٌ، بل كلّ لحظة تنحلّ في الأكثر ضمن الأمر برأسه الكلّي نفسه؛ فلحظات الفردية التي كانت تجري الواحدة منها تلو الأخرى مجرى ذات/ حامل لارتفاع الفكر عن هذا الوعي، إنّما تجتمع في الفردية البسيطة التي تكون هي أيضاً - من جهة ما هي هذه الفردية - كليّة في - الحال. وبذلك يفقد الأمر برأسه إضافةً المحمول وتعيينيّة الكليّة المجردة والعريّة من الحياة، فهو بالأحرى الجوهر الذي تنفذه الفردية، حيث تكون الفردية هي نفسها أو هذه الفردية بقدر ما هي جميع الأفراد، والكلّي الذي

ليس هو بكيونوية إلا من جهة أنه هذا الفعل الذي للجميع ولكل فرد؛ إنه حقيق من حيث يعلمه هذا الوعي أنه حقيقه الفردي وحقيق الجميع. والأمر برأسه المحض إنما هو ما كان قد تعين أعلاه بما هو المقولة، الكيونونة التي هي أنا، أو الأنا الذي هو الكيونونة، لكن من جهة ما هو تفكير ما زال يتميز من الوعي - بالذات الحاق؛ لكن في هذا الموضع لحظات الوعي - بالذات الحاق من حيث نسميها مضمونه وغايته وفعله وحقيقه، كما من حيث نسميها صورته وكونه - لذاته وكونه لغيره، إنما توضع كأنها واحد مع المقولة البسيطة نفسها، وهذه إنما تكون بذلك في [277] الوقت ذاته كل مضمون.

## 2. العقل المشرّع

إن الماهية الروحية على كيونونها البسيطة وعي خالص، وهي هذا الوعي - بالذات بعينه. وطبيعة الفرد التي تعينت على الأصل إنما فقدت دلالتها الموجبة المتمثلة في كونها في ذاتها العنصر والغاية اللذين لنشاطه؛ فهي الآن مجرد لحظة منسوخة، أما الفرد فهو هو ما (Ein Selbst)، أو كهو كلي. أما الأمر برأسه الصوري فقد حصل - على العكس من ذلك - امتلاءه عند الفردية الفاعلة والمختلفة في حد ذاتها، لأن اختلافات هذه الفردية هي التي تكوّن مضمون ذلك الكلي. والمقولة تكون في ذاتها كالكلي الذي للوعي الخالص؛ وتكون كذلك لذاتها، لأن الهو الذي للوعي يمثل أيضاً لحظتها؛ فالمقولة كيونونة مطلقة، لأن تلك الكلية إنما هي الكيونونة التي تعدل نفسها على نحو بسيط.

وعليه فما يكون الموضوع بالنسبة إلى الوعي إنما تكون له دلالة كونه الحق؛ فالحق كائن وصالح على معنى أنه ينبغي أن يكون ويصلح في ذاته ولذاته؛ إنه الشأن المطلق الذي لم يعد

يشوبه تقابل الإيقان وحقيقته، والكلّي والفردّي، والغاية وواقعها، بل كيانه إنّما هو حقيقّ الوعي - بالذات وفعله؛ وهذا الشأن إنّما هو إذاً الجوهر الإتيقيّ، والوعي بعين الجوهر هو وعيّ إتيقيّ. وموضوع الوعي إنّما يجري عنده أيضاً مجرى الحقّ، لأنّه إنّما يجمع الوعي - بالذات والكينونة في وحدةٍ وحادّةٍ؛ فهذا الوعي إنّما يجري مجرى المطلق، لأنّ الوعي - بالذات لم يعدّ يقدر ولا يريد مجاوزة ذلك الموضوع، فهو في ذلك الموضوع إنّما يكون لدنّ نفسه؛ فأما أنّه لا يسعّه ذلك، فلأنّ الموضوع هو كلّ كينونةٍ وكلّ قدرةٍ؛ وأما أنّه لا يريد ذلك، فلأنّ الموضوع هو الهو أو إرادة هذا الهو. والموضوع هو الموضوع الحاقّ في حدّ ذاته كموضوع، لأنّه ينطوي في حدّ ذاته على اختلاف الوعي؛ وهو إنّما ينقسم إلى كتل هي القوانين المتعيّنة التي للماهية المطلقة. ولكنّ هذه الكتل لا تشوّش المفهوم، لأنّ لحظات الكينونة والوعي الخالص والهو إنّما تظلّ متضمّنة في هذا المفهوم، - [278] وحدةً تكوّن الماهية التي لتلك الكتل، فلم تعدّ تترك تلك اللحظات تنفصل ضمن ذلك الاختلاف.

هذه القوانين أو الكتل التي للجوهر الإتيقيّ إنّما تكون معروفةً في - الحال، فلا يمكن أن يُسأل في مصدرها ومبرّرها، ولا أن يُلمَس غيرها، لأنّ غيرها الذي يُتعبّ كما لو كان الماهية الكائنة في ذاتها ولذاتها كان لا يكون إلّا الوعي - بالذات نفسه؛ لكن الوعي - بالذات ليس إلّا تلك الماهية، لأنّه هو نفسه كون تلك الماهية لذاتها، وهذه إنّما هي الحقيقة لأنّها على التدقيق الهو الذي للوعي بقدر ما هي الفي - ذاته الذي له أو الوعي المحض.

ما دام الوعي - بالذات يعلم أنّه ك لحظة للكون - لذاته الذي لذلك الجوهر، فهو إنّما يشتمل في حدّ ذاته على عبارة الكيان الذي للقانون، على نحو أنّ العقل السديد يعرف في - الحال ما

هو حقٌّ<sup>(79)</sup> حسنٌ. وكما يعرف ذلك في - الحال، يصلح عنده ذلك في - الحال أيضاً، فيقول في - الحال: هذا حقٌّ وحسنٌ. وهو يقول بالفعل «هذا»؛ إن هي قوانينٌ محدّدة؛ إنّه الأمر برأسه على تمامه وامْتلاء مضمونه.

إنّ ما يعرض على هذا النحو في - الحال يجب كذلك أن يؤخَذَ ويُتفحَصَ في - الحال، وكما يجب النظر في ما يقول الإيقان الحسّي في - الحال إنّه كائنٌ على أيّ صفة هو، كذلك ينبغي النظر في الكينونة التي يقولها هذا الإيقان الإتيقيّ كيف هي، أو على أيّ صفة تكون الكتل الكائنة في - الحال التي للماهيّة الإتيقيّة. ذلك ما سيتوضّح لنا من ضرب الأمثلة على بعض القوانين من هذا الجنس، وما دمنا نتناول هذه القوانين على شاكلة أقوالٍ للعقل السديد العارف فلن نقدّم أولاً اللّحظة التي ينبغي أن تُعدَّ صالحَةً فيها متى اعتبرت تلك القوانين قوانينٍ إتيقيّة في - الحال.

«يجب على كلّ امرئ أن يقول الحقيقة». - في ما يتعلّق بهذا الواجب الذي يُصاغ على نحو أنّه لا شريطة فيه، سرعان ما تنضاف إليه الشريطة التالية: متى كان يعرف الحقيقة. ومذاك سيصاغ الفرض<sup>(80)</sup> على النحو التالي: يجب على كلّ امرئ أن ينطق بالحقيقة كلّما عرفها ووثق منها. والعقل السديد، أعني على التدقيق هذا الوعي الإتيقيّ الذي يعلم في - الحال ما هو حقٌّ<sup>(81)</sup> وحسنٌ، سيوضّح أيضاً أنّ هذه الشريطة قد ارتبطت<sup>[79]</sup> شديداً بصياغته الكلّيّة للفرض حتّى إنّه ما انفكّ يذُهنه<sup>(82)</sup> على هذا

(79) على المعنى الحقوقي.

(80) Das Gebot على معنى الوصاية أو الوصية 'الإتيقيّة' التي يشرّعها العقل

المشرّع.

(81) على المعنى الحقوقي المشترك.

(82) So gemeint habe، أي ظلّ فيه ذلك.

النحو من دون غيره. ولكنّه يقرّ بذلك أنّه في الأكثر إنّما كان قد أنتهك في - الحال ذلك الفرض على عبارته تلك؛ فهو إنّما قال: يجب على كلّ امرئ أن يقول الحقيقة، لكنّه كان يظنّ أنّه كان يجب على كلّ امرئ أن يقولها بحسب معرفته وثقته بها؛ ومعناه أنّ العقل السديد يقول غير ما يظنّ ويرتئي، والقول بغير ما نظنّ إنّما هو عدم قول الحقيقة. وإذا عدّلنا من لاحقيقة العبارة أو تلافينا فسادها، فإنّها تكون على النحو التالي: يجب على كلّ امرئ أن يقول الحقيقة بحسب معرفته وثقته بها في كلّ مرّة. - لكن عندئذ ينقلب في الأكثر ما يكون في ذاته صالحاً ولازماً من وجوه كليّ - الذي كانت تلتبس القضية التعبير عنه - إلى عرضيّة تامّة؛ لأنّ كون الحقيقة تُقال إنّما يُحمّل على المصادفة التالية: أنّ أعرفها ويكون بوسعي أن أتق بها، فلا يُقال في ذلك أزيد من أنّ الصواب والغلط ينبغي أن يُقالا على اختلاط وخلبطة كيفما اتفق وحسبما يعرف المرء ويظنّ ويفهم. وعرضيّة المضمون هذه لا تستقيم لها الكليّة إلا على صورة القضية التي تقال فيها، لكنّها من جهة ما هي قضية إتيقيّة إنّما تعدّ بمضمون واجب وكليّ، فتناقض على هذا النحو بنفسها عبر عرضيّة عين المضمون. - وإذا تمّ في الختام تجويد القضية على نحو أنّه ينبغي إسقاط عرضيّة المعرفة والثقة بالحقيقة، فيجب أيضاً أن تُعرّف الحقيقة، فهذا كان يكون فرضاً يناقض مباشرة ما كان أبتدئ به. ولقد كان ينبغي في الأوّل على العقل السديد أن يمتلك في - الحال القدرة على قول الحقيقة، أمّا ما يُقال الآن فهو أنّه ينبغي عليه أن يعرفها، ومعناه أنّه لا يدري كيف يقولها في - الحال. - وإذا تفحصنا ذلك من جانب المضمون، يكون المضمون قد سقط ضمن اقتضاء معرفة الحقيقة، لأنّ الحقيقة إنّما تتصل بالمعرفة بعامة؛ يجب أن نعرف؛ وعليه فالمطلوب إنّما هو في الأكثر ما يكون في حلّ من كلّ مضمون. ولكنّ الأمر كان يجري ها هنا مجرى مضمون متعيّن،

ويتعلّق بأختلاف عند الجوهر الإتيقي. غير أنّ هذه التعيّنة التي في - الحال لهذا الجوهر إنّما هي مضمونٌ كان اتّضح في الأكثر كعرضيّة تامّة، وما دام هذا المضمون قد رُفِع إلى الكلّيّة والضرورة على نحو أنّ المعرفة يُفصَح عنها كقانونٍ، فإنّه إنّما يزول.

[280]

أما الفرض المشهور الآخر فهو: أحبُّ غيرك كما تحبُّ نفسك. إنّهُ فرضٌ موجّهٌ للفرديّ في علاقته بالفرديّ، ويثبت تلك العلاقة من جهة ما هي علاقة الفرد بالفرد، أو بما هي علاقة شعورٍ؛ فالمحبّة الفاعلة - ما دامت المحبّة غير الفاعلة لا وجود لها، ولذلك لا تخطر على بال - إنّما تُقصد إلى أنّ تدفع شرّاً عن إنسان ما وتجلب له خيراً. لهذا الغرض لا بدّ أن نميّز ما هو في ذلك الإنسان شرّاً ممّا هو الحسن المناسب حيال ذلك الشرّ، وبالجملة ما هو هناؤه؛ ومعناه أنّه يجب عليّ أنّ أحبّ ذلك الإنسان عن ذهنٍ، فالمحبّة التي عن غير ذهنٍ إنّما تؤذيه، ولعلّها تؤذيه أكثر من الكراهية. لكن الفعل الجميل<sup>(83)</sup> الجوهريّ والمذهون في شكله الأثرى والأهمّ إنّما هو الفعل الكلّيّ والمذهون الذي للدولة، - فهو فعلٌ متى قُورن به فعل الفرديّ من جهة ما هو فرديٌّ صار هذا الأخير غير ذي بالٍ حدّ أنّه يكاد يكون من غير الخلق الخوض فيه. إنّ فعل الدولة يكون في هذا الموضع على قدر عظيم من السطوة حتّى إنّهُ متى كان الفعل الفرديّ يشاء التضادّ معه، فإنّما يبتغي أنّ يكون مباشرةً ولذاته جرماً، وإنّما أنّ يخدع - من أجل محبّة الغير - الكلّيّ في ما هو حقٌّ وما هو نصيبه منه، فإنّه إنّما يكون بالجملة فعلاً لا طائل من ورائه ولا فكاك له من أن يتقوّض؛ فلا تبقى للفعل الجميل الذي هو شعورٌ إلّا دلالةً فعل فرديٌّ تماماً، أي دلالةً منجّاة (Nothilfe) تكون عرضيّةً بقدر ما هي حينية. والمصادفة لا تحدّد مناسبة الفعل

(83) Das Wohltun، على معنى الحسنة أو الفعل المُحسِن.



الجميل وحسب، بل تحدد أيضاً هل هو بالجملة أثر، وهل لم ينحل من جديد ولم ينقلب هو نفسه في الأكثر شراً. وعليه فهذا العمل على إسعاد الغير الذي يقال فيه إنه واجب، إنما يكون على صفة الإمكان: ربّما يمكنه أن يوجد، وربّما أيضاً لا يمكنه أن يوجد؛ ومتى يكون ذلك من وجه المصادفة، فلعله يكون أثراً، ولعله يكون أثراً حسناً، ولعله أيضاً لا يكون كذلك. عندئذ لا يكون لهذا القانون إلا قدر حسير من المضمون الكلّي مثلما كان للقانون الأوّل الذي كنّا تفحصناه، فلا يعبر - كما يلزم ذلك في شريعة إتيقية مطلقة - عما هو في ذاته ولذاته. أو: هذا الجنس من القوانين إنما تلبث في ما ينبغي وحسب، لكنّها تعدّم كلّ حقيق؛ فهي ليست بقوانين، بل هي مجرد فرائض.

[281] لكن يتّضح بالفعل من طبيعة الأمر برأسه أنّه لا بدّ من التخلّي عن تعقّب مضمون مطلق وكلّي، لأنّ كلّ تعينيّة توضع في الجوهر البسيط - ذلك أنّ ماهيته كونه بسيطاً -، إنّما تظلّ غير مطابقة له. والفرض على إطلاقه البسيط إنّما ينمّ هو نفسه عن كينونة إتيقية في - الحال؛ أما الاختلاف الذي يظهر فيه فإنّما هو تعينيّة، إذ مضمون يقع ضمن الكلّيّة المطلقة التي لتلك الكينونة البسيطة. ولما كان يجب عندئذ التخلّي عن مضمون كلّي، فإنّ الفرض لا تناسبه إلاّ كلّيّة صوريّة، أو كونه لا يتناقض، لأنّ الكلّيّة العريّة من المضمون إنّما هي الكلّيّة الصوريّة، بل المضمون المطلق إنّما يعني اختلافاً ليس هو بكذلك، فيعدّل انعدام المضمون.

وعليه فما يبقي للتشريع إنّما هي الصورة الخالصة للكلّيّة، أو في واقع الأمر تحصيل الوعي لحاصل يواجه المضمون، فيكون معرفة لا بالمضمون الكائن أو الأصلي، بل معرفة بالماهية أو بالتساوي الذاتي الذي لعين الماهية.

عندئذ لا تكون الماهية الإتيقية نفسها في - الحال مضموناً، بل تكون مجرد قسطاس في تقدير هل بوسع مضمون ما أن يكون قانوناً أو لا يكون، ما لم يتناقض مع نفسه. لقد اختفض العقل المشرّع إلى مجرد عقلٍ مُمتحنٍ.

### 3. العقل الممتحن للشرائع

إن الاختلاف الذي يقع في الجوهر الإتيقي يمثل بالنسبة إليه عرضاً كنا رأيناه ينجم في الفرض المتعين من جهة ما هو عرض معرفةٍ وحقيقٍ وفعلٍ؛ فأما مقارنة تلك الكينونة البسيطة والتعينية التي لا تناظرها فكانت رجعت إلينا؛ وأما الجوهر البسيط فقد بان في ذلك أنه كليّةٌ صوريةٌ أو وعيٌ محضٌ يكون في حلٍّ من المضمون الذي يهلُّ في وجهه، فيمثل معرفةً به من جهة ما هو مضمونٌ متعينٌ. ومن هذا الوجه تظلّ تلك الكليّة ما كان الأمر برأسه؛ لكنّها في الوعي غير ذلك، أعني أنّها لم تعدّ الجنس 282] العاطلّ والعريّ من الفكر، بل تتصلّ بالجزئيّ وتجري مجرى سطوته وحقيقته. - وذلك الوعي إنّما يظهر أولاً على أنه عين الامتحان الذي توخّيناه نحن أنفسنا من قبل، ولا يمكن لفعله أن يكون غير ما قد حدث، أي مقارنة للكليّ بالمتعين كان بانّ منها انعدام تطابُّقهما مثلما كان من قبل هذا. ولكنّ علاقة المضمون بالكليّ في هذا الموضع هي غير ذلك، ما دام هذا الكليّ قد استفاد دلالةً مغايرةً؛ إنه كليّةٌ صوريةٌ يكون مضمونها المتعين قادراً، لأنّ هذا المضمون لا يُتفحص إلا في صلته بنفسه. والجوهر الكليّ والتمكّث كان يواجهه - في الإمتحان الذي كنا أتينا به - التعينية التي كانت تربو كعرضية كان الجوهر يهلّ ضمنها. أمّا في هذا الموضع فقد زال طرفٌ من طرفي المقارنة؛ فالكليّ لم يعدّ الجوهر الكائن والصالح، أو الحق <sup>(84)</sup> في ذاته ولذاته، بل

(84) على المعنى الحقوقي.

صار معرفةً بسيطةً أو صورةً لا تقارن مضموناً إلا بنفسها، فتتفحصه هل هو تحصيل حاصل (Tautologie). فلم يعد الأمر يتعلّق بسنّ القوانين، بل بامتحانها؛ والقوانين تكون بالفعل معطاة للوعي الممتحن؛ إنه يزاوّل مضمونها كما يكون بسيطاً من دون أن يخوض في النظر - كما كتنا نفعلاً - في الفردية والعرضية الملاصقتين لحقيقتها، بل يقف على الفرائض بما هي فرائض، ويسلك حيالها مسلكاً بسيطاً بقدر بساطة كونه قسطاسها.

لهذه العلة لا يتعدى هذا الامتحان ذلك بكثير، أعنى على التدقيق أنه ما دام تحصيل الحاصل هو القسطاس الذي يستوي عنده كلّ مضمون، فإنه إنّما ينطوي فعلاً على هذا المضمون كما على ضده. - هب أنّ الأمر يتعلّق بسؤال هل ثمة قانون في ذاته ولذاته يقضي بوجود الملكية: في ذاتها ولذاتها، وليس لمنفعة مقيدة بغايات أخرى؛ فالأيسية الإتيقية إنّما تقوم على كون القانون لا يعدل إلا نفسه، فلا يتقيّد إذاً بشريطة إذ يتركز عبر هذا التساوي مع نفسه في ماهيته الخاصة. إنّ الملكية في ذاتها ولذاتها لا تتناقض مع نفسها؛ إنها تعينية مفردة، أو توضع فقط معادلةً لنفسها. كذلك اللاملكية أو غياب المالك أو شركة المتاع قلّما تتناقض في حدّ ذاتها، فألاً يكون شيء ملك أحد، أو يكون ملك أول من يُشهر بنفسه مالكا، أو يكون ملك الجميع أو ملك كلّ واحد بحسب حاجاته أو بحسب تناصب متعادل، فذلك إنّما هو تعينية بسيطةً وفكرةً صوريةً تماثلُ ضدها، أي الملكية. - ومتى اعتُبر الشيء المهمل والعاري من المالك فعلاً كأنه موضوع واجب في حاجة، فلا بدّ أن يصير ملكاً لأيّ فرد، وسيكون من التناقض حينئذ أن يتخذ من انعدام مالك الشيء قانوناً. ولكن ما يُذهن من انعدام المالك ليس إهمالاً مطلقاً للشيء، بل ينبغي أن يصير ذلك الشيء ملكاً بحسب حاجة شخص ما، لا ليُحفظ، بل ليُستعمل في - الحال. لكنّ قضاء الحاجة بهذا الشكل ووفق العرضية وحسب،

[283]

إنّما يناقض طبيعة الماهية الواعية التي تمثّل وحدها غرض القول في هذا الموضوع؛ لأنّه لا بدّ لها أن تتصوّر حاجتها على صورة الكلّيّة، فتأتي كفاية وجودها بساره، وتحصل خيراً يدوم. وعليه فالفكرة المتمثّلة في أنّ الشيء يرجع في شطرٍ منه إلى أوّل حيّ واع - بذاته من وجهٍ عرضيّ وبحسب حاجته، ليست فكرة متجانسة في حدّ ذاتها. - في شركة المتاع حيث تتمّ العناية بذلك، إمّا أن يكون نصيب كلّ واحدٍ بقدر ما يحتاج، فيتناقض عندئذ هذا اللاتساوي وماهية الوعي - التي يقوم مبدؤها على تعادل الأفراد - تناقضاً متبادلاً؛ أو تتمّ القسمة متعادلةً بحسب هذا المبدأ الأخير، فلا تكون للنصيب صلةٌ بالحاجة، مع أنّ تلك الصلة هي وحدها التي تمثّل مفهومه.

غير أنّ اللاملكيّة إذا أظهرت على هذا النحو متناقضةً، فالعلة في حدوث ذلك هي أنّها لم تُترك على صفة التعينيّة البسيطة. وكذلك الأمر في الملكيّة متى تُحلّ إلى لحظات، فالشيء المفرد الذي هو ملكي إنّما يجري بذلك مجرى شيء كليّ ومرسّخ ودائم؛ لكنّ ذلك إنّما يناقض طبيعته التي تتمثّل في كونه يُستعمل إلى أن يزول. وذلك الشيء إنّما يجري في الحين ذاته مجرى اللّي (Das Meinig) الذي يعترف به الآخرون ويطرحون منه أنفسهم. ولكن ما يكمن في كوني معترفاً بي إنّما هو في الأكثر كوني أعدل الجميع، وهو ضدّ الطرح. - فما أتملكه هو شيء ما، أي بالجملة كونٌ للغير، من وجهٍ كليّ تماماً ولا يكون لي إلا على نحو غير مقيّد؛ فكوني أنا أتملكه إنّما يناقض شيئيته الكلّيّة. [284] ولذلك فالملكيّة تتناقض من كلّ الوجوه كما اللاملكيّة، فكلتاها تشتملان على هاتيك اللَّحظتين المتضادتين والمتناقضتين، أعني لحظتي الفرديّة والكلّيّة. - لكن إذا ما تُصوّرت كلّ من هاتين التعينيّتين من وجهٍ بسيطٍ كملكيّة أو لاملكيّة من دون فسرٍ آخر، تكون بسيطةً بقدر بساطة الأخرى، أي إنّها لا تتناقض. - لذلك

معيار القانون الذي ينطوي عليه العقل في حد ذاته، إنّما يناسب تماماً كلّ شيءٍ من وجهٍ سواء، ولا يكون عندئذٍ بالفعل معياراً. - وكان يكون من اللازم أن تجري الأشياء على نحو عجيبٍ متى كان ينبغي أن يكون تحصيلُ الحاصل، مبدأً للتناقض الذي لا يُقبل به إلا كمقياسٍ صوريٍّ لمعرفة الحقيقة النظرية - أي كشيءٍ تستوي عنده الحقيقة واللاحقة تماماً -، أكثر من ذلك في معرفة الحقيقة العملية.

لقد أنتسخَ في ما تفحصناه للتوّ من اللَّحظتين اللَّتين لامتلاء الماهية الروحية التي كانت من قبل خاويةً فعلٌ وضع التعيينات الحالية في الجوهر الإتيقيّ، ثم فعل معرفة ما إذا كانت قوانين. والحاصل يبدو عندئذٍ أنّه لا يمكن أن تحصل لا قوانين متعيّنة ولا معرفة بها. غير أنّ الجوهر إنّما هو الوعيُّ بذاته من جهة ما هي أسيّةٌ مطلقةٌ، أي وعيٌّ لا يسعُه عندئذٍ أن يُهمل الاختلاف القائم عند ذلك الجوهر ولا الإلمام بهذا الاختلاف. أمّا أنّ سنّ القوانين وامتحانها قد اتّضحا كلا شيءٍ، فذلك إنّما يدلّ على أنّ كليهما - إذا ما أخذنا مفردَيْن ومعزولين -، لا يمثلان إلا لحظتين للوعي الإتيقيّ لا قوام لهما؛ والحركة التي يهّلان فيها إنّما يكون لها المعنى الصوريّ المتمثل في أنّ الجوهر الإتيقيّ يعرض في غضون ذلك كوعيّ.

ولما كانت هاتان اللَّحظتان جميعاً تعيّنن أكثر دقّةً للأمر برأسه، فإنّه يمكن أن ينظر فيهما كصور للأمانة التي تسري الآن - مثلما كانت سرت سابقاً في لحظاتها الصورية - وبحوزتها مضمونٌ في الحسن والحقّ ينبغي أن يكونَ وامتحاناً لمثل هذه الحقيقة الراسخة، فتظنّ أنّها تجد في العقل السديد وذهن الفاهمة (Verständigen Einsicht) قوّة الأوامر وصلاحتها.

ولكن القوانين من دون تلك الأمانة لا تجري مجرى ماهية الوعي، ولا الامتحان يجري مجرى الفعل الذي يقوم داخله؛ بل

[285]

هاتان اللَّحظتان متى تهلّان كلّ لذاتها في - الحال كأنّها حقيقٌ،  
 إنّما تنمّ الواحدة منهما عن وضع وكونٍ غير صالحين لقوانين  
 حاقةٍ، والأخرى عن تحرّر من القوانين يكون هو أيضاً غير صالح.  
 والقانون إنّما يكون له من جهة ما هو قانون محدّد مضمونٌ  
 عرضيٌّ، - وهذا يدلّ في هذا الموضوع على أنّه قانونٌ وعي فرديٌّ  
 يعي بمضمونٍ عرضيٍّ. وعليه فسّن القوانين الذي في - الحال إنّما  
 هو الجموح الشنيع (Der Frevel) المستبدّ الذي يجعل من الاعتبار  
 قانوناً ومن الإتيقة أنصاعاً لعين الاعتبار، - أي لقوانين ليست  
 هي إلّا بقوانين، ولا تكون في الوقت ذاته أوامرٌ وشرائع. كذلك  
 الشأن في اللَّحظة الثانية إذا ما أخذت مفردةً، أعني لحظة امتحان  
 القوانين وتحريك ما لا يقبل الحركان، والتي تدلّ على جموح  
 المعرفة الذي يماحك (Räsonnieren) في حلّ من القوانين المطلقة  
 ويتخذ منها اعتباطاً غريباً عنه.

إنّ هاتيك اللَّحظتين تمثّلان في الصورتين كليهما علاقة نافيةً  
 بالجوهر أو بالماهية الروحية الحاقة؛ أو: أنّ الجوهر لا يملك  
 بعدّ فيهما واقعهُ، بل الوعي ما زال ينطوي عليه على صورة حالّيته  
 الخاصّة<sup>(85)</sup>، والجوهر لا يكون في الأوّل إلّا إرادةً ومعرفةً لهذا  
 الفرد بعينه، أو «الينبغية» (Das Sollen) التي لفرض غير حاقٍ  
 ومعرفةً للكليّة الصوريّة. ولكن ما دامت هذه الوجوه قد انتسخت  
 فإنّ الوعي قد آب إلى الكليّ، وتلك التقابلات إنّما قد زالت.  
 والماهية الروحية إنّما تسمي جوهرًا حاقًا من حيث إنّ تلك  
 الوجوه لا تصلح منفردةً، بل كمنسوخةٍ وحسب؛ والوحدة التي لا  
 تكون فيها إلّا كَلحظّات، إنّما هي الهو الذي للوعي، أي الهو  
 الذي يجعل من الماهية الروحية - مذ أن يوضع فيها - ماهيةً حاقةً  
 ومفعمةً وواعيةً - بذاتها.

(85) يعني الحالة الخاصّة بالوعي.

عندئذ تكون الماهية الروحية بالنسبة إلى الوعي - بالذات كأنها قبل كل شيء قانونٌ كائنٌ في ذاته؛ أما كلية الاختبار التي كانت الكلية الصورية غير الكائنة في ذاتها فإنما تكون انتسخت. وهي كذلك قانونٌ أزليٌّ لا يرجع قوامه إلى إرادة هذا الفرد بعينه، بل هو في ذاته ولذاته، الإرادة المحض والمطلقة التي للجميع والتي تمتلك صورة الكينونة التي في - الحال. وهذه الإرادة ليست أيضاً فرضاً ينبغي أن يكون وحسب، بل هي كائنةٌ وصالحةٌ؛ إنها الأنا الكلي الذي للمقولة والذي يكون في - الحال الحقيقي، فليس العالم إلا هذا الحقيقي. لكن لما كان هذا القانون الكائن صالحاً على الإطلاق فإن طاعة الوعي - بالذات ليست خدمةً لرئيس كانت أوامره لتكون اعتباراً وحيث لن يعترف الوعي - بالذات نفسه. إنما القوانين أفكارٌ وعيه الخاص والمطلق، أفكارٌ يمتلكها هو نفسه في - الحال. والوعي - بالذات لا يؤمن أيضاً بتلك القوانين، لأن الإيمان كذلك يحدس الماهية، لكنه إنما يحدس ماهيةً غريبةً. والوعي - بالذات الإتيقي يكون عبر كلية الهو الذي له وفي - الحال واحداً والماهية؛ فأما الإيمان فيبدأ بالعكس من الوعي الفردي، فهو حركة عين الوعي الذي يتنزع دوماً إلى تلك الوحدة من دون أن يبلغ حاضر ماهيته. - أما ذلك الوعي فقد انتسخ - على العكس من هذا - من جهة ما هو فردي، وهذا التوسيط إنما قد تم، وذلك الوعي لا يكون وعياً - بالذات في - الحال خاصاً بالجوهر الإتيقي إلا من حيث يتم هذا التوسيط.

وعليه فقد أضحى اختلاف الوعي - بالذات عن الماهية شفيفاً تمام الشفافية. وبذلك لا تكون الاختلافات عند الماهية نفسها تعيّناتٍ عارضةً، بل هي بفضل وحدة الماهية والوعي - بالذات التي كان ليصدر عنها هي وحدها اللاتساوي، إنما تكون كتلَ تمفصل تلك الاختلافات وقد تنفّذت فيها حياتها، وأرواحاً متمحصّة وغير منقسمة، وأشكالاً سماويةً ناصعة تحفظ في

اختلافاتها براءً ماهيتها وإجماعها النقيين. - والوعي - بالذات إنما هو كذلك رابطة بسيطةً وبيّنةً بها. وما يمثل وعيَ علاقته إنما هو كونها كائنةً، لا أكثر ولا أقل. كذلك تجري عند أنتغون سوفوكلس مجرى حق الآلهة الذي لا يُدَوَّن ولا يزيع،

فلا هو من وُلد الآن والأمس، بل على الدوام

يحيا، ولا أحد يعلم في أيّ زمن كان ظهر

إنها كائنة. فإذا سألت عن تكونها فقيّدته بنقطة مصدرها، أكون قد جاوزت ذلك الأمر، لأنّي مذّك أصير الكلّيّ، في حين تظلّ هي المشروط والمقيّد. وإذا كان ينبغي عليها أن تُبرّر في نظر فهمي، أكون إذاً قد حرّكت كونها - في - ذاتها الذي لا يتزعزع، واعتبرتها كشيء كان يكون في نظري صادقاً وكان يكون غير صادق. والمقصد (Die Gesinnung) الإتيقيّ إنّما عمادُه على التدقيق [287] الثابت على الحق<sup>(86)</sup> من دون زيغ والانتهاه فيه عن كلّ تحريك وخلخلة وردّ. - هبّ أنّ شيئاً عُهدَ به إليّ، فهذه العُهدَةُ إنّما هي ملكيّة شخص آخر، وأنا أقرّ بذلك، لأنّ العُهدَةَ إنّما تكون كذلك، فأدوم في هذه العلاقة على هذه الحال من دون تحيّر. وإذا ما احتفظت بالعُهدَةَ لِنفسي فأني لا أرتكب وفق مبدأ الاختبار الذي لي، أعني تحصيل الحاصل، أيّ تناقض على الإطلاق، لأنّي مذّك لم أعد أنظر إلى العُهدَةَ على أنّها ملكيّة الغير؛ فالاحتفاظ بشيء لا أرى فيه ملكيّة مغاير إنّما هو أمرٌ متطابقٌ تماماً. وتغيير النظرة لا يمثل تناقضاً، لأنّ الأمر لا يتعلّق بالنظرة من جهة ما هي زاوية نظر، بل بالموضوع والمضمون اللّذين لا ينبغي أن يتناقضا. كذلك أستطيع أن أبدل - كما أفعل متى أهدي شيئاً ما - زاوية النظر التي يكون شيء ما وفقها ملكي إلى زاوية نظر يكون

(86) على المعنى الحقوقي.



وفَقَّها ملكاً للغير، من دون أن أقع في جريرة التناقض وبقدر ما أستطيع أن أسلك السبيل المعاكسة. - وعليه فليست العلة في أن شيئاً ما حقُّ أني لا أجده متناقضاً، بل العلة في ذلك أن الحقَّ حقُّ. وكون شيءٍ ما ملكيةً للغير، فذلك إنما يقع في الأسر، وليس لي أن أماحك في ذلك ولا أن أتعقب أو ينساق خاطري إلى شتى الأفكار والروابط ووجهات النظر، ولا أن أماحك في سنِّ القوانين وتمحيصها؛ لأنني بمثل هذه الحركات التي لفكري إنما أخلُّ بتلك العلاقة ما دام بوسعي بالفعل أن أجعل وفق هواي من الضدِّ مطابقاً لمعرفتي اللامتعيّنة بتحصيل الحاصل، فأأخذ إذا قانوناً. لكن أن يكون هذا التعيين أو ضده الحقُّ، فذلك مقيّد في ذاته ولذاته؛ أمّا بالنسبة إليّ فبوسعي أن أجعل قانوناً أيّ تعيين أشياء، أو ألا أتخذ أيّاً منها قانوناً، فأسلك من حيث أشرع في التمحيص سبيلاً غيرَ إتيقيّة؛ فأنا لا أنزل الجوهرَ الإتيقيّ إلا من حيث يكون الحقُّ<sup>(87)</sup> في نظري في ذاته ولذاته؛ كذلك يكون هذا الجوهر ماهيةً الوعي - بالذات، لكنّ هذا الوعي - بالذات إنما هو حقيق ذلك الجوهر الإتيقيّ وكيانه، الهو الذي له ومشيئته.

---

(87) الحقُّ في هذا الموضع بساره يسمع على المعنى الحقوقي.

## VI. الرّوح

إنّ العقل رُوحٌ ما أرتفع الإيقانُ من كونه كلِّ واقعٍ إلى الحقيقة وظلِّ واعياً بنفسه كأنْ بعالمه وبالعالم كأنْ بنفسه. - فصيرونةُ الرّوحِ قد أظهرت الحركةَ الفائتةَ في - الحالِ حيث كان أرتقى الموضوع الذي للوعي، أي المقولة المحض، إلى مفهوم العقل. فتعيّنت في العقل المعايين هذه الوحدة الخالصة للأنَا والكينونة، للكون - لذاته والكون - في - ذاته كالذي - في - ذاته أو ككينونة، والوعي الذي للعقل إنّما واجدُها<sup>(1)</sup>. لكنّ حقيقة المعايين تتمثل بالأحرى في نسخ هذه الغريزة الواجدة في - الحال وهذا الكيان العري من الوعي الذي لعين الحقيقة، فالمقولة المحدوسة، الشيء الموجود، إنّما تلج الوعي من جهة ما هي كون الأنَا لذاته، الأنَا الذي يعلم الآن ذاته في الماهية الموضوعية بما هي الهُو. لكنّ هذا التعيين الذي للمقولة من جهة ما هي الكون - لذاته المتضاد مع الكون - في - ذاته إنّما هو كذلك أحاديّ ولحظةً متسيحةً. لذلك فالمقولة تعيّن للوعي كما هي على حقيقتها الكلية، أي كما هي كائنة في - ذاتها ولذاتها. وهذا التعيّن الذي ما زال مجرداً والذي يقوّم ذات الأمر، ليس بعدُ إلا الماهية

(1) لقد تمّ تعديل Sie في الطبقات الأخرى بـ Sich، على معنى أنّ العقل يجد

نفسه، لا الوحدة وحسب.

الروحية، والوعي الذي لهذه الماهية ما انفك معرفةً صوريةً تجتأب شتى المضامين التي لعين الماهية؛ فالوعي من جهة ما هو فردي ما زال يختلفُ بالفعل عن الجوهر، فإما يهب قوانين اعتبارية، وإما يظنُّ أنه يمتلك في معرفته بما هي كذلك القوانين كما هي في ذاتها ولذاتها، ويحسب نفسه القدرة الحاكمة في عين القوانين. - أو إذا تفحصنا الأمر من جهة الجوهر: الجوهر إنما هو الماهية الروحية الكائنة في - ذاتها ولذاتها والتي ليست بعدُ وعياً بذاتها. - لكن الماهية الكائنة في - ذاتها ولذاتها التي تكون بالنسبة إلى ذاتها في الآن نفسه وعياً حاقاً وتتصور ذاتها بذاتها، إنما هي الروح.

لقد أشرنا للتو إلى الماهية الروحية التي للروح من جهة ما هي الجوهر الإيقيني؛ لكن الروح هو الحقيقي الإيقيني. إنه الهو [289] الذي للوعي الحاقٌ والذي يواجهه، أو على الأصح هذا الوعي هو الذي يواجه نفسه كعالم موضوعي حاقٌ فقد مع ذلك كل دلالة لغريب بالنسبة إلى الهو، مثلما خسر الهو كل دلالة لكون - في - ذاته منفصل عن العالم، مضاف أو قائم برأسه. ولما كان الروح هو الجوهر والماهية الكلية والمساوية لذاتها والباقية، - فإنما هو الأسّ اللامختل واللامنحل ومبتدأ فعل الجميع، - وهو غايتهم ومزماهم كألقي - ذاته المُفتكر (Als das gedachte Ansich) الذي لكل وعي - بالذات. - وهذا الجوهر هو كذلك الأثر الكلي الذي يبينُ عبر فعل الجميع وكل واحدٍ بما هو وحدتهم وتساويهم؛ فإنما هو الكون - لذاته والهُو والفعل. والروح كجوهر إنما هو التساوي الذاتي الصارم والعاقل؛ لكن من حيث هو كون - لذاته يكون الجوهر الماهية المنحلة والخيرة المضحية بنفسها التي فيها يتم كل امرئ أثره الخاص ويمزق الكينونة الكلية فيأخذ نصيبه منها. وهذا الانحلال والانفراذ اللذان للماهية إنما هما على التدقيق لحظة الفعل والهُو التي للجميع؛ فهذه اللحظة إنما هي الحركة والنفس التي للجوهر والماهية الكلية والمحقة. أما من جهة أن الجوهر

هو رأساً (Gerade) الكينونة المنحلّة في الهُو، فليس هو بالماهية الميّتة، بل هو حاقٌّ وحيٌّ.

فالرّوح عندئذٍ إنّما هو الماهية الواقعة والمطلقة والحاملة لذاتها. وكلّ أشكال الوعي الفاتية إنّما هي تجريداتٌ له، إنّ هي إلاّ أنّ يتحلّل، ويباين بين لحظاته، فيسكن إلى لحظات فردية. وهذا الأفرادُ لمثل هذه اللحظات إنّما يملكه الرّوحُ نفسه كأفترض ودوامٍ أو: هذا الأفرادُ لا يوجد إلاّ في الرّوح، فالرّوح إنّما هو الوجودُ. وتلك اللحظات - إذ تكون مفردةً على هذا النحو - يكون لها ظاهرٌ أنّها كانت تكون بما هي كذلك؛ لكن كيف أنّها ليست إلاّ لحظاتٍ أو أعظماً أفلةً، ذلك ما يُلوحُّ به ترسلها المستمرّ (Ihre Fortwaltung) ورجوعها إلى أساسها وماهيّتها؛ فهذه الماهية إنّما هي على التدقيق هذه الحركة والانحلال اللذان لتلك اللّحظات. ويمكن لتفكرنا في هذا الموضوع حيث وُضع الرّوحُ أو انعكاسُ عين اللحظات في ذاتها، أنّ يذكّرنا بإيجاز ووفقَ هذا الوجه: لقد كانت وعياً فوعياً - بالذات فعقلاً. وعليه فالرّوح إنّما هو بالجملة ووعيٌّ، وهو ما يتضمّن في ذاته الإيقانَ الحسيّ والدركَ الحسيّ والذهنَ، من جهةٍ أنّه في حلّه ذاته (In der Analyse seiner selbst) إنّما يُمسكُ باللّحظة التي مفادها أنّه يكون لنفسه حقيقةً موضوعياً [290] وكائناً، ويجرد من ذلك أنّ هذا الحقيق إنّما هو الكون - لذاته الخاصّ الذي له، فإنّ أمسك على العكس باللّحظة الأخرى للحلّ، أي كونه موضوعه كونه - لذاته، يكون من ذلك الوجه وعياً - بالذات. ولكنّه من جهة ما هو وعي في - الحال بالكون - في - ذاته ولذاته، ووحدة الوعي والوعي - بالذات، إنّما هو الوعي الذي يكون له عقلٌ، أي - كما يُلوحُّ بذلك أُللهُ (Das Haben) - الذي يكون له الموضوع بما هو متعيّن في ذاته على نحو عقليّ، أو بما هو متعيّن بقيمة المقولة، لكن على نحو أنّ الموضوع ليست له بعدُ بالنسبة إلى الوعي بعين الموضوع

القيمة التي للمقولة. إنّ الرّوح هو الوعي الذي فرغنا للتوّ من تعقّب الفحص عنه. وهذا العقل الذي يملكه الرّوح إنّما هو محدودٌ في النهاية ومن حيث هو كذلك من قبل الرّوح كالعقل الذي يكون، أو: أنّ العقل الذي يكون ضمن الرّوح حاقاً، فيكون عالمه، ذلك هو ما يكون الرّوح على حقيقته؛ إنه الرّوح، وهو الماهية الإتيقية الحاقّة.

والرّوح من جهة ما هو الحقيقة التي في - الحال إنّما هو الحياة الإتيقية التي لشعب بعينه؛ وهو الفرد الذي هو عالم. ولا بدّ له أن يربو ويمضي حتّى الوعي بما يكون في - الحال، فينسخ الحياة الإتيقية الجميلة، ويبلغ عبر سلسلة من الأشكال العلم بما هي ذاته. لكنّ هذه الأشكال إنّما تتميز من الفاتية من حيث إنّها أرواح فعلية وحواق بحق (Eigentliche Wirklichkeiten)، فبدل أن تكون أشكالاً وعي وحسب، إنّما تكون أشكالاً عالم.

إنّ العالم الإتيقي الحيّ هو الرّوح على حقيقته؛ ومتى يبلغ الرّوح العلم المجرد بماهيته تفوت الإتيقية في الكلية الصورية التي للحق<sup>(2)</sup>. والرّوح الذي يكون مذاك في ذاته منفصلاً، إنّما يصف أحد عوالمه على عنصره الموضوعي كأنه في حقيق غليظ، أعني ملكوت الثقافة، ويصف قبالتة في عنصر الفكرة عالم الإيمان، أعني ملكوت الماهية. لكنّ العالمين كليهما اللذين يحيط بهما الرّوح إذ يمضي في ذاته إبتداء من ضياع ذاته هذا، وإذا ما حصلهما المفهوم، إنّما قد أربكا وثوراً عبر التعقل وشيوعه كما من خلال الأنوار؛ والملكوت المفصوم والمبسوط إلى الدنيا والآخرة<sup>(3)</sup>، إنّما يؤوب إلى الوعي - بالذات الذي يلم بنفسه [291]

(2) على المعنى الحقوقي.

(3) Das Diesseits ung Jenseits، وستترجمها في بعض المواضع بـ«الدنيائي

والأخروي».

حينئذٍ - ضمنَ الأخلاقية - من جهة ما هو الأيسية، في حين يحصل الماهية بما هي هُوَ حاقٌ، فلم يعد يضع عالمه وأساس هذا العالم خارج ذاته، بل يترك كل شيء يضمحل فيه قليلاً قليلاً، فمن جهة ما هو إيقانٌ أخلاقي<sup>(4)</sup> إنما هو الروح الموقن من نفسه (Der seiner selbst gewisse Geist).

إذاً العالمُ الإتيقيُّ والعالمُ المفصومُ إلى الدنيا والآخرة والرويةُ الأخلاقيةُ للعالم إنما هي أرواحٌ ستربو حركتها ومضيها في الهُوَ البسيط والكائن - لذاته الذي للروح، وسينبثق منها الوعي - بالذات الحاقٌ الذي للروح المطلق كأنه مقصدها وحاصلها.

## I. الروح الحق، الإتيقية

إنَّ الروحَ على حقيقته البسيطة وعي، فهو يطرح لحظاته بعضها خارج بعض. والفعلُ إنما يفصل الروحَ إلى الجوهر والوعي الذي لعين الجوهر؛ ويفصل الجوهرَ بقدر ما يفصل الوعي. والجوهرُ من جهة ما هو ماهيةٌ كليةٌ وغايةٌ إنما يقابل ذاته كحقيق فاردٍ؛ أما الحدَّ الأوسط اللامتناهي فهو الوعي - بالذات الذي يكون في ذاته وحدةً ذاته والجوهر، ومذاك يصير ذلك لذاته، فيجمع بين الماهية الكلية وبين حقيقه الفارد، ويرفع هذا إلى تلك فيفعلُ من وجهٍ إتيقي، - ويخفُضُ هذه إلى ذاك فينجزُ الهدف، أي الجوهرَ المفتكَّرَ وحسب؛ والوعي - بالذات إنما يُنتج الوحدةَ بين الهو الذي له وبين الجوهر من جهة ما هي أثره، فتكون عندئذٍ بما هي حقيقٌ.

(4) آثرنا ألا نترجم (Das Gewissen) بالضمير الأخلاقي كما جرت العادة بذلك، حتى نبقى على ما يلوح به هيغل من قرابة بين الإيقان الأخلاقي (Gewissen) والإيقان من الذات (Gewissheit seiner selbst) من حيث هما جنسان متساوقان في تدبير الذات.

إنَّ الجوهرَ البسيطَ قد أبقى - من ناحيةٍ - ضمن الشُّقَّاقِ الذي للوعي (In dem Auseinandertreten des Bewußtseins) على التقابلِ حيالِ الوعي - بالذات، وعندئذٍ يُبينُ في حدِّ ذاته - من ناحيةٍ أخرى - طبيعةَ الوعي، أعني أنه يتميَّز من ذاته في ذاته كعالمٍ متمفصلٍ في كتلاته؛ فالجوهر إذاً إنّما ينشُقُّ إلى ماهيةٍ إتيقيَّةٍ منفردةٍ، إلى قانونٍ إنسانيٍّ وقانونٍ إلهيٍّ. كذا الوعي - بالذات الذي يواجهُ الجوهر، إنّما ينقسم بحسبِ ماهيته إلى إحدى هاتين القوتين، وينشطر بما هو معرفةٌ إلى اللامعرفة بما يفعلُ وإلى المعرفة به، وهذه إنّما تكون لذلك معرفةً زوراً<sup>(5)</sup>. وعليه فالوعي - بالذات إنّما يجربُ في فعله التناقضَ الذي بين هاتيك القوتين [292] عينهما أينَ ينفصمُ الجوهرُ، كما يتعنى انتقاضهما المتبادلَ وتناقضَ معرفته بإتيقيَّةٍ فعله مع ما هو إتيقيٌّ في - ذاته ولذاته، فيدرك زواله الخاصَّ. أمَّا الجوهر الإتيقيُّ فيكونُ قد صار عبر هذه الحركة بالفعل إلى الوعي - بالذات الحاقً، أو هذا الهُو بعينه إنّما صار إلى كائنٍ - في - ذاته - و - لذاته، لكنَّ الإتيقيَّةَ إنّما تكون في ذلك قد تصرّمت وأستغرقت في الهوة.

## أ. العالمُ الإتيقيُّ، القانونُ الإنسانيُّ والقانونُ الإلهيُّ، الرجلُ والمرأةُ

[ I. الشعبُ والعائلة. قانونُ النهار وحقُّ الظلِّ ]. - إنّ الجوهرَ البسيطَ الذي للروحِ ينفصمُ كوعي. أو: مثلما يمرّ الوعي بالكينونة المجردة والحسيَّة إلى الإدراك الحسيِّ، كذلك الإيقانُ الذي في - الحال من الكينونة الواقعة والإتيقيَّة؛ ومثلما تصير الكينونةُ البسيطةُ بالنسبة إلى الإدراك الحسيِّ شيئاً ذا خصائصٍ متكرِّرة، كذلك تكون بالنسبة إلى الإدراك الإتيقيِّ حالةُ الفعل حقيقاً

(5) Ein Betrogenes Wissen، على معنى المزورة والمخدوعة.

ذا روابط إتيقيّة متكثّرة. لكنّ التكتّز غير المجدي إنّما ينحصر بالنسبة إلى ذلك الإدراك الحسيّ في التقابل الجوهريّ بين الفردية والكلّية، أمّا بالنسبة إلى هذا الإدراك الإتيقيّ الذي هو الوعيّ الجوهريّ المخلّص فالأمر أكثر من ذلك، فتكثّر اللّحظات الإتيقيّة إنّما يصير ثنائيّة قانون الفردية وقانون الكلّية لكنّ كلّ من هذه الكتلات التي للجوهر يظلّ مطابقاً للروح بأكمله؛ فإذا لم يكن للأشياء في الإدراك الحسيّ من جوهر غير تعيّنّي الفردية والكلّية، فإنّ هذين التعيّنين لا يعبران في هذا الموضوع إلّا عن التقابل السطحيّ الذي بين الوجهين.

[1. القانون الإنسانيّ] - إنّ الفردية تكون لها في الماهية

التي نتعقّب في هذا الموضوع دلالة الوعيّ - بالذات بعامة، لا دلالة وعي عرضيّ فرديّ؛ فالجوهر الإتيقيّ إنّما يكون إذاً في هذا التعيّن الجوّهر الحاقّ، والروح المطلق المتحقّق ضمن تكثّر الوعيّ الكائن؛ فالروح المطلق إنّما هو الماهية المشتركة<sup>(6)</sup> التي كانت مثلت بالنسبة إلينا في صدر التشكّل العمليّ للعقل بالجملة الماهية المطلقة، والتي نجمت هاهنا على حقيقتها لذاتها كماهية إتيقيّة واعية وكالماهية التي بالنسبة إلى الوعيّ، وهذه هي غرضنا. والماهية المشتركة إنّما هي روح هو لذاته ما حفّظ ذاته في الظاهر المتقابل الذي للأفراد، - ويكون في ذاته أو جوهرأ، ما حفّظهم في ذاته؛ فالروح من جهة ما هو جوهر حاقّ، إنّما هو شعب، ومن جهة ما هو وعي حاقّ إنّما هو مواطن شعب. وهذا الوعيّ إنّما يحصل ماهيته في الروح البسيط، أمّا إيقانه من ذاته فيستقيم له في الحقيقيّ الذي لهذا الروح، أي في الشعب كاقّة، وفي ذلك تستقيم له في - الحال حقيقته، إذاً لا في شيء ليس هو بحاقّ، بل في روح يوجد ويصلح (Existiert und gilt).

(6) Das Gemeinwesen، على معنى الجماعة أو الجُمع بعامة.



يمكن أن يسمّى هذا الرّوح القانونَ الإنسانيّ، لأنّه يكون بالجوهر على الصورة التي لحقيقه الواعي - بذاته؛ فهذا الرّوح على صورة الكليّة إنّما هو القانونُ المعروفُ والسُّننُ الإتيقيّةُ الماثلة (Die vorhandene Sitte)؛ أمّا على صورة الفرديّة فهو الإيقان الحاقٌ من الذات الذي يقوم بالجملة في الفرد، أمّا الإيقان من الذات من جهة ما هي فرديّة بسيطة فإنّما يكونه الرّوح بما هو حكومة؛ وحقيقته إنّما هي صلاحيته البيّنة في وضوح النهار؛ وجودٌ يدخل بالنسبة إلى الإيقان الذي في - الحال في صورة الكيان السارح (In die Forme des freientlassenen Daseins).

[2. القانون الإلهي] - لكن تواجه تلك القوّة والتبديّ الإتيقيّين قوّة أخرى هي القانونُ الإلهي. فالسلطة الإتيقيّة للدولة (Die Staatsmacht) يكون لها من حيث هي الحركة التي للفعل الواعي بذاته ضدّها في الماهية البسيطة والحاليّة التي للإتيقيّة؛ إنّ تلك السلطة من جهة ما هي كليّة حاقةً تمثل عنفاً ضدّ الكون - لذاته الفرديّ، أمّا من جهة ما هي بالجملة حقيقٌ فيكون لها أيضاً في الماهية الباطنة آخر مغايرٌ لما تكونُ عليه.

لقد ذكرنا آنفاً بأنّ كلّاً من هذه الوجوه المتقابلة في الوجود الذي للجوهر الإتيقيّ يتضمّن الجوهر كلّه وكلّ لحظات مضمونه. إذا، إذا كانت الماهية المشتركة الجوهر الإتيقيّ بما هو الفعل الواعي بذاته، فإنّ للجانب الآخر صورة الجوهر الذي في - الحال أو الكائن. وهذا الجوهر هو من جهة المفهوم الباطن أو بالجملة الإمكان الكليّ للإتيقيّة، لكنّه ينطوي في حدّ ذاته من جهة أخرى على لحظة الوعي - بالذات أيضاً. وهذه اللّحظة المعبرة عن الإتيقيّة في هذا العنصر من الحاليّة أو الكينونة، أو المعبرة عن [294] وعي في - الحال بالذات كماهية وكذلك كهذا الهو في آخر، أعني ماهية مشتركة إتيقيّة وطبيعيّة، - إنّما هي العائلة. والعائلة إنّما تواجه من جهة ما هي مفهومٌ ما زال باطناً وعريّاً من الوعي،

حقيقتها الواعي بذاته بما هو عنصر الحقيق الذي للشعب، فتواجه الشعب ذاته، أما من جهة ما هي كينونة إتيقية في - الحال، فإنها تواجه الإتيقية المتكوّنة والحافظة لنفسها بواسطة العمل لأجل الكلّي، فتعارض أرباب البيوت (Die Penaten) الرّوح الكلّي.

لكن على الرغم من أنّ الكينونة الإتيقية التي للعائلة تتعيّن كالذي في - الحال، فإنّ العائلة في باطنها ماهية إتيقية، لا من حيث إنّها صلة الطبيعة بين أعضائها، أو إنّ ارتباطهم ارتباط في - الحال لأعيان حاقّة؛ فإنّما الإتيقي في ذاته كلّي، وتلك الصلة التي بالطبيعة هي كذلك بالجواهر رُوح، فلا تكون إتيقية إلاّ من جهة ما هي ماهية رُوحية. وينبغي النظر في ما قوام إتيقيتها الخاصّة. - فنستهلّ ذلك بالقول إنّه لما كان الإتيقي الكلّي الذي في ذاته، فإنّ الرابطة الإتيقية التي لأعضاء العائلة ليست رابطة الشعور أو صلة المحبّة؛ فالإتيقي يبدو حينئذ على أنّه كان يكون ينبغي أن يوضع ضمن صلة العضو العين من العائلة بالعائلة كلّها بما هي جوهر، حتّى إنّ لا يكون لفعله وحقيقه إلّاها غاية ومضموناً. ولكنّ الغاية الواعية التي تكون لفعل هذا الكلّ ومن حيث إنّها تتعلّق رأساً به، إنّما هي ذاتها الفرديّ، فأكتساب القوّة واليسار والمحافظة عليهما لا يجريان من ناحية إلّا مجرى الحاجة، وينتميان إلى الرّغبة؛ ويصيران من ناحية أخرى في أعلى تعيّن لهما شيئاً بتوسيط. وهذا التعيّن لا يقع في العائلة نفسها، بل يتعلّق بالكلّي الصادق، أي بالماهية المشتركة؛ وذلك التعيّن إنّما هو في الأكثر منافٍ للعائلة، فقوامه هو أن يرفع عنها الفرد العين، ويقهر طبيعته وفرديته، فيجلبه إلى الفضيلة والحياة في الكلّي ولأجله. والغاية الموجبة الخاصّة بالعائلة إنّما هي الفرديّ بما هو كذلك. ولكي تكون حينئذ هذه الرابطة إتيقية فإنّ الفردي لا يسعه - لا من جهة أنّه من يمارس، ولا من جهة من يتصلّ به المراس - أن يهمل بحسب عرضيّة ما، كما يحدث في حال أيّ معونة أو أيّ خدمة

مقضية (Dienstleistung) اتفقت. ولا بدّ أن يكون مضمون الممارسة الإتيقيّة<sup>(7)</sup> جوهرياً أو تاماً وكلياً؛ ولذلك لا يمكن أن تتصل هذه الممارسة إلا بالفردية التامة أو به من جهة ما هو كليّ. وذلك لا يكون بدوره على سبيل ما قد يتصوّره المرء فقط من أنّ الخدمة المقضية كانت لتيسرّ سعادته التامة، في حين أنّها على هذا النحو لا تفعلُ فيه - مثلها مثل المراسم الذي في - الحال والحاق - إلا عينياً، - وليس أيضاً على سبيل أنّ الممارسة الإتيقيّة التي تكون حاقّةً من جهة ما هي تربية، كان يكون الفرديّ بجمليته - ضمن سلسلة من الجهود - غرضها، فينتجها كأثر حيث لا يكون للممارسة الحاقّة، خارج الغاية السالبة حيال العائلة، غير مضمون مقيّد، - وفي الختام ليس كذلك على سبيل أنّ الممارسة الإتيقيّة نقيضة (Eine Nothilfe) كان الفرديّ التام على الحقيقة لينجو بواسطتها بالفعل؛ فالممارسة الإتيقيّة نفسها إنّما هي فعلٌ عرضيٌّ بالتّمام، يمثّل اتفاقاً حقيقاً مشتركاً ممكنٌ أن يكون أو ألا يكون أيضاً. إذا الممارسة التي تشتمل على سائر الوجود الذي لذي صلة الرّحم والتي يكون لها هذا الأخير غرضاً ومضموناً - أعني هذا الفرديّ الذي ينتمي إلى العائلة من جهة ما هو ماهيةٌ كليّةٌ مخلصّةٌ من الحقيق الحسيّ أي المفرد؛ لا المواطن، فهذا لا ينتمي إلى العائلة، ولا من ينبغي أن يصير مواطناً فيكف عن صلاحه كهذا الفرديّ -، هذه الممارسة لم تعد تتعلق بالحيّ، بل بالميت الخارج

(7) Die sittliche Handlung، على معنى الممارسة الإتيقيّة: لقد ترجمنا في هذا الموضوع Das Handeln بالمراسم، و Die Handlung بالممارسة، لنميّز بالجملة سجلّ الـ Πράττειν-Πράσσω (الممارسة) من سجلّ الفعل (Die Tat) والصنيع (Das Tun) على الحصر. وما يرجع في نظرنا هذا التمييز هو أنّ الأمر يجري في هذا الموضوع مجرى المباينة بين الفرديّ من جهة ما هو حدّ الفعل الحاقّ وبين الجمع (أو الجماعة) من جهة ما هو حيز المراسم الإتيقيّ، فالمراسم الإتيقيّ يظلّ من حيث حالته دون الفعل الإتيقيّ، ما دام لا يتصل بالفرديّ إلا متى تكملّ وتعيّن كمواطن.

عن السلسلة الطويلة التي لكيانه المنشور والذي يدرك نفسه في تشكّل واحد وكامل فيكون قد ارتفع عن لاسكون الحياة العرضية إلى سكون الكلية البسيطة. - ولما لم يكن الفردي حاقاً وجوهرياً إلا من جهة ما هو مواطن، فإنه من حيث إنه ليس مواطناً وينتمي إلى العائلة، إنما يكون الظلّ غير الحاقّ والعريّ من اللب وحسب.

[3. حقّ الفردي] - هذه الكلية التي أنتهى إليها الفردي بما هو كذلك إنما هي الكينونة المحض، الموت؛ وهذه إنما هي الكون الصائر الطبيعي الذي في - الحال، وليست الفعل الذي لوغي ما. ولهذه العلة فواجب عضو العائلة أن يضمّ إليه هذا الجانب حتى لا تنتمي كينونته الأخيرة، هذه الكينونة الكلية إلى الطبيعة وحدها، وتظلّ شيئاً غير معقول، بل حتى تكون صنيعاً ويتوطد فيها الحقّ الذي للوعي. أو: ما دام السكون والكلية اللذان للماهية الواعية بذاتها لا ينتسبان على الحقيقة إلى الطبيعة، فإن معنى الممارسة هو في الأكثر أن يسقط هذا الظاهر الذي لهذا الجنس من الفعل، وهو ظاهر قد ادّعت الطبيعة، فتستعاد الحقيقة. - [96] فما كانت الطبيعة تفعله به إنما هو الجانب الذي منه تبيّن صيرورته إلى الكلي كالحركة التي لكائن. ولا ريب أن هذا الجانب نفسه يقع داخل الماهية المشتركة الإتيقية، فتكون هذه غاية له؛ والموت إنما هو التمام وأعلى عمل يحتمله الفرد بما هو كذلك لأجل الماهية المشتركة الإتيقية. ولكن ما دام الفرد بالجواهر فردياً فإنه من العرض أن يكون موته قد ارتبط في - الحال بعمله من أجل الكلي، ويكون حاصل عين العمل؛ فإذا ما كان الموت ذلك من جهة، فإنما هو السالبيّة الطبيعيّة والحركة التي للفردي ككائن أين لا يرجع الوعي إلى ذاته ولا يصير وعياً - بالذات، أو: ما دامت الحركة التي للكائن هي أن يُنسخ ويصير إلى الكون - لذاته، فالموت إنما هو جانب الانفصام حيث يغيّر الكون - لذاته الذي

بُلغَ الكائنَ الذي كان دخل في الحركة. - ولَمَّا كانت الإتيقيَّة الرُّوحَ على حقيقته التي في - الحال، فإنَّ الجوانبَ التي ينفصل فيها وعيُهُ إنّما تقع أيضاً في تلك الصورة من الحالِيَّة، والفرديَّة تمرُّ في هذه السالبيَّة المجرّدة التي يجب بالجُوهر أن تقبلَ بها عبر ممارسةٍ حاقّةٍ وبرانيَّةٍ ومن دون عزاء ولا أُنْتلاف في حدِّ ذاتها. - فصلهُ الرّحم إذا إنّما تُتِمُّ الحركة الطبيعيَّة المجرّدة من جهة أنّها تضيفُ حركةَ الوعي، وتقطع أثرَ الطبيعة، وتدفع عن ذي صلة الرّحم التقوّض، أو بالأحرى: لَمَّا كان التقوّض، أي صيرورتها إلى الكينونة المحض، لازماً، فإنّها تحمل على عاتقها فعلَ التقوّض نفسه. - وما يحصلُ عندئذٍ هو أنّ الكينونة الميَّنة والكلِّيَّة تصير هي أيضاً شيئاً أيبأ إلى ذاته، وكوناً - لذاته، أو أنّ الفرديَّة الفاردة والخالصة والعريَّة من القوَّة تُرْفَع إلى الفرديَّة الكلِّيَّة. وما دام الميِّتُ قد أعتق كينونته من فعله أو من واحدِيته النافية، فإنّما هو الفرديَّة الخاوية، ومجرّدُ كونٍ طبعٍ لمغايرٍ، ومُهْمَلٌ لكلِّ فرديَّة عريَّة من العقل وخسيسه كما للقوى ذات الموادّ المجرّدة، فهذه كلّها تكون الآن أقوى منه، فأما تلك الفرديَّة فبسبب الحياة التي لها، وأما هذه القوى فبسبب طبيعتها النافية. وهذا الصنِيعُ المخزي من جرّاء الرغبة اللاواعية والماهيات المجرّدة هو ما تدفعه العائلة عن الميِّت، وتستبدله بفعلها، فتزوِّج ذا القربى بحشى الأرض، [297] بالفرديَّة الأوّلانية التي لا تتصرّم؛ فتجعل منه بذلك قرينَ الماهية المشتركة التي تغلب وتشدّ بالأحرى قوى الموادّ الفرديَّة والحيويّات الوضيعة التي كانت تنزعت إلى التحرّر بإزاء الميِّت وإلى تقويضه.

وعليه فهذا الواجب الأقصى هو ما يمثل القانون الإلهيَّ الكامل، أو الممارسة الإتيقيَّة الموجبة بإزاء الفرديّ. وكلّ ما سوى ذلك من علاقةٍ بإزاء الفرديّ لا تدوم في المحبّة، بل تكون إتيقيَّة، إنّما تنتمي إلى القانون الإنسانيّ، وتكون لها الدلالة السالبة أنّها

ترفع الفرديّ فوق الانخراط في الماهية المشتركة الطبيعية التي ينتمي إليها الفرديّ من جهة ما هو حاقٌّ. لكن إذا كان الجوهرُ الإتيقيُّ الحاقٌّ والواعي بذاته، أي الشعب كلّهُ، يمثلُ فعلاً حينئذٍ مضمونُ الحقِّ الإنسانيّ وقوّته، في حين يكون مضمونُ الحقِّ والقانونِ الإلهيّين الفرديّ الذي يتعالى على الحقيق، فإنّ هذا الفرديّ لا يسمي عرياً من القوّة؛ وقوّته إنّما هي الكلّيّ المجرد والمحض؛ الفردُ الأوّلانيّ الذي يغرسُ الفرديّة التي تجتثُ نفسها من العنصر وتقيمُ الحقيق الواعي بذاته الذي للشعب، في التجريد المحض كما في الماهية التي لها، ويقحمها فيه كلّما ترسخ كونه ركنها. - أمّا كيف تعرضُ هذه القوّة في الشعب، فذلك ما سيتحدّد بنفسه من بعد.

[II. الحركة التي في القانونين] - ثمة الآن في كلّ قانون مثلما في الآخر فروقٌ ودرجاتٌ، فما دامت الماهيتان كلتاهما تنطويان في حدّ ذاتيهما على لحظة الوعي، فإنّ الفرقَ ينبسطُ داخل الماهيتين ذاتيهما؛ وهو ما يمثّل حركتهما وحياتهما الخاصّة. وتفحصُ هذه الفروق يُظهرُ كيفيةَ التفعيل (Die Weise der Betätigung) والوعي - بالذات لكلتا الماهيتين الكلّيتين اللتين للعالم الإتيقيّ كما ترابطهما وتمازّ الواحدة منهما في الأخرى.

[1. الحكومة، الحرب، القوّة السلبية] - إنّ الماهية المشتركة، أي القانون العلويّ والظاهر والصالِح تحت الشمس، تتوقّر لها أسباب الحياة الحاقّة في الحكومة كالذي تكون فيه شخصاً. والحكومة إنّما هي الرّوح الحاقٌّ المتفكّر في ذاته، الهو البسيط الذي للجوهر الإتيقيّ برمته. ولا ريب أنّ هذه القوّة البسيطة تسمح للماهية بأن تنبسط في تمفصلها وأن تهب كلّ جزءٍ قيمومةً وكوناً - لذاته خاصاً. وفي ذلك يكون للرّوح واقعه أو كيانه، والعائلة إنّما هي عنصرُ هذا الواقع. لكنّ الرّوح هو في الوقت ذاته قوّة الكلّ التي تجمع من جديد تلك الأجزاء في

الواحد النافي، وتعطيها الشعور بلاقيوميتها، فتحفظها في الوعي بألا حياة لها إلا في الكلّ. وعليه بوسع الماهية المشتركة من ناحية أن تنتظم في أنساقٍ للاستقلال الشخصي وللملكّية، لحق الأشخاص والأشياء؛ ويمكن كذلك أن تتمفصل وتستقلّ في تجمّعات خاصّة ضروب العمل التي تكون أولاً من أجل أهداف فردية -، أي الكسب والمتعة - والروح الذي للتجمع الكلّي إنّما هو البساطة والماهية النافية لتلك الأنساق المنعزلة. ولكي لا تتركها تتجذّر وتتصلّب في هذا العزل، فينشقّ عندئذٍ الكلّ ويتبخّر الروح، فإنّه ينبغي للحكومة من وقت إلى آخر أن تززعها من الداخل بواسطة الحروب، وأن تُضرب بذلك النظام الذي استوضعتهُ وتُربكه، أما الأشخاص الذين يتنزّعون إذ ينغمسون في ذلك النظام، إلى التنصل من الكلّ وينزعون إلى الكون - لذاته العصي والأمان اللذين للشخصية، فإنها تهبهم في ذلك العمل المفروض الشعور برئيسهم، أي بالموت. والروح إنّما يدفع عنه بواسطة هذا التحلل لصورة الديمومة الانغماس في الكيان الطبيعي خارج الكيان الإتيقي، ويحفظ ثم يرفع الهو الذي لوعيه في الحرية وفي قوته. - والماهية النافية إنّما تلوح كالقدرة الخاصة التي للماهية المشتركة وكقوة حفظها لنفسها؛ وعليه فهذه الماهية المشتركة تستقيم لها الحقيقة واشتداد شوكتها في ماهية القانون الإلهي والملكوت السفلي.

[2. الرابطة الإتيقية بين الرجل وبين المرأة كأخ وأخت] -  
أما القانون الإلهي الذي يسود العائلة فتكون له أيضاً من ناحيته فروق في ذاته، وهي التي يقيم رباطها الحركة الحية التي لحقيقه لكن من بين العلاقات ثلاثتها، علاقة الرجل والمرأة وعلاقة الآباء والأبناء وعلاقة الأخ والأخت، علاقة الرجل والمرأة هي التي تمثل رأساً التعرّف في - الحال على الذات الذي يكون لوعي ما في آخر، ومعرفة الكون المعترف به المتبادل. ولما كانت العلاقة

[299] التعرّف الطبيعيّ لا الإتيقيّ على الذات، فإنّما هي التّصوّر وحسب وصورَةُ الرّوح، وليست الرّوح الحاقاً ذاته. - لكنّ التّصوّر أو الصورة، يكون له حقيقته في آخر مغاير لما يكونه؛ لذلك هذه العلاقة لا تنطوي على حقيقتها في حدّ ذاتها، بل في الابن، - أي في مغاير هي صيرورته وحيث تزولُ هي نفسها؛ وهذا التناوب الذي للأجيال الرابية إنّما يكون قوامه في الشعب. - وعليه فإنّ برّ (Die Pietät) الرّجل والمرأة كلّ منهما بالآخر مختلطٌ برباط طبيعيّ وبإحساس، وعلاقتهما لا تشتمل في حدّ ذاتها على أوبتها إلى نفسها؛ وكذلك الثانیة، أي برّ الآباء والأبناء بعضهم ببعض؛ فبرّ الآباء بأبنائهم يشوبه على التدقيق اضطرابٌ من حيث يكون وعي المرء بحقيقته موقوفاً على مغاير، ويرى الكونَ - لذاته صائراً إليه من دون أن يؤوّل هو إليه، بل يظلّ ذلك الكونَ - لذاته حقيقاً غريباً ومخصوصاً، - أمّا برّ الأبناء بالآباء فيشوبه - على العكس - اضطرابٌ من حيث تكون صيرورة المرء ذاته أو الفي - ذاته، موقوفةً على مغاير يزولُ، فلا يبلغ الكونَ - لذاته والوعي - بالذات الخاصّ إلّا بالقطع مع الأصل قطعاً يُنهك فيه الأصل.

هاتان العلاقتان كلتاها تلبثان ضمنَ التمازّ ولا تكافؤ الجوانب التي تنقسم إليها. - أمّا العلاقة البرية من الاختلاط فتحصلُ بين الأخ والأخت. فهما الدّم نفسه، لكنّه دمّ آل فيهما إلى سكونه واتّزانه. لذلك هما لا يرغب أحدهما في الآخر، ولم يهب أحدهما الآخر ذلك الكونَ - لذاته، ولم يقبله أحدهما من الآخر، بل إنّما هما فرديّة حرّة الواحد منهما بإزاء الآخر. وعليه فإنّ للأنثى من جهة ما هي أختُ الحدس الأرفع بالماهية الإتيقيّة؛ فهي لا تنتهي إلى الوعي ولا إلى حقيق عين الماهية الإتيقيّة، لأنّ قانون العائلة هو الماهية الكائنة - في - ذاتها والباطنة التي لا تقع في نهار الوعي، بل تظلّ شعوراً باطناً وإلهيّ المخلّص من الحقيق. والأنثى مشدودةٌ لأرباب المساكن هؤلاء، وتحس فيهم من ناحية جوهرها الكلّيّ، لكنّها



تتملى فيهم من ناحية أخرى فرديتها، على نحو أن رابطة الفردية هذه لا تكون في الآن نفسه الرابطة الطبيعية التي للمتعة. - أما المرأة من حيث هي بنتٌ فلا بد لها حينئذٍ أن ترى الآباء يزولون بحركة طبيعية وسكونٍ إتيقي، فهي لا تأتي الكون - لذاته الذي بوسعها إلا على حساب هذه الصلة، فلا تحدس إذاً في الآباء كونها لذاتها من وجهٍ إيجابيّ. - أما علاقات الأم والزوجة فتكون لها من ناحية الفردية كشيء طبيعيّ ينتمي إلى المتعة، وتكون لها من ناحية أخرى الفردية كشيء سلبيّ لا يرى في ذلك إلا زواله، وتكون الفردية على التدقيق من ناحية ثالثة شيئاً عرضياً يمكن أن يُستعاضَ بفردية أخرى. وروابط المرأة تلك لا تأسس في بيت الإتيقية على هذا الرجل ولا هذا الولد، بل على الرجل، والأولاد بالجملة، - ولا تقوم على الإحساس، بل على الكلّي. والفرق بين إتيقية المرأة وإتيقية الرجل إنّما يرجع إلى أنّ المرأة من حيث تعيينها للفردية وفي متعتها، تظلّ في - الحال كليّةً وغريبةً عن فردية المتعة في حين أنّ هذين الوجهين ينشقان عند الرجل، وما دام يمتلك من حيث هو مواطن القوة الواعية التي للكلية، فإنما يكسب بذلك حقّ الرغبة ويحتفظ في الوقت نفسه بالحرية حيال عين الرغبة. وعليه فما دامت الفردية في علاقة المرأة هذه مختلطةً ومشوباً، فإتيقيتها ليست بخالصة؛ لكن ما دامت هذه هي حال إتيقيتها فإنّ الفردية سيّانية، والمرأة إنّما تخسر لحظة الاعتراف بها كهذا الهو الذي في آخر. - أما الأخ فيكون للأخت بالجملة الماهية الساكنة والمعادلة، واعترافها به عنده خالصٌ وغير مشوب بالرابطة الطبيعية؛ لذلك سيّانية الفردية كما العرضية الإتيقية لا تمثلان في هذه العلاقة؛ بل لحظة الهو الفرديّ المعترف والمعترف به هي ما يحقّ في هذا الموضوع، لأنها متصلة بتوازن الدم وبالرابطة العرية من الرغبة. وعليه خسارة الأخ لا تعوّض بالنسبة إلى الأخت، وواجبها حياله هو الأرفع.

[3. تقالّب القانون الإلهي والقانون الإنساني] - إنّ تلك

العلاقة تمثل في الآن نفسه الحدّ الذي تتحللُ عنده العائلة المنغلقة على ذاتها، فتخرج على ما هي عليه؛ فالأخ هو الجانب الذي يصير على نحوه روح العائلة إلى الفردية التي تلتفت قبل شيءٍ مغاير، وتمرّ في وعي الكلّية. والأخ إنّما يغادر هذه الإتيقية العائليّة التي في - الحال والأولانية والتي هي لذلك وعلى الحصر نافية، حتّى يكسب وينشئ الإتيقية الواعية - بذاتها والحاقة.

[301]

فالأخ إنّما يمرّ من القانون الإلهي الذي كان يحيا في دائرته إلى القانون الإنسانيّ. أمّا الأخت فتصير، أو الزوجة تظلّ ربّة البيت والحافظة للقانون الإلهي. كذا يجاوز الجنسان ماهيتهما الطبيعيّة ويهلّان على دلالتهما الإتيقية من جهة ما هما تنوعان يقتسمان فيما بينهما الفرقين اللذين يأتيهما الجوهر الإتيقي. وهاتان الماهيتان الكلّيتان اللتان للعالم الإتيقي إنّما تجدان الفردية المتعيّنة في الوعيات - بالذات المختلفة بالطبيعة، لأنّ الرّوح الإتيقي إنّما هو الوحدة الحاليّة للجوهر مع الوعي - بالذات، - حاليّة تظهر إذا وفق جانب الواقع والفرق، وفي الآن نفسه كالكيان الذي لفرقٍ طبيعيّ ما. - وهذا الجانب هو ما كان اتّضح عند شكل الفردية التي تكون في نظر نفسها واقعيّة، وضمن مفهوم الماهية الروحية من جهة ما هي طبيعة أصليّة متعيّنة. وهذه اللحظة إنّما تفقد اللاتعيّنية التي كانت لها في ذلك الموضع كما التنوع العرضيّ للهيئات والقدرات. إنّها الآنّ التقابل المتعيّن للجنسين اللذين تحصل طبيعيتُهما (Deren Natürlichkeit) في الوقت نفسه على دلالة تعيّنهما الإتيقيّ.

لكنّ الفرق بين الأجناس وبين مضمونها الإتيقيّ يلبث في وحدة الجوهر، وحركة الفرق إنّما هي على التدقيق الصيرورة الدائمة التي لعين الجوهر؛ فالرجل إنّما يقذفه روح العائلة في الماهية المشتركة، فيدرّك (Findet) فيها ماهيته الواعية - بذاتها، مثلما تدرّك بذلك العائلة في هذه الماهية جوهرها الكلّي وقوامها،

وكذلك بالعكس يكون للماهية المشتركة في العائلة العنصرُ  
 الصوريُّ الذي لحقيقتها، أمّا في القانون الإلهي فتكون لها قوتها  
 وآيتها، فلا قانون من الاثنين هو وحده في ذاته ولذاته؛ فأما  
 القانون الإنساني فيخرج في حركته الحية من القانون الإلهي، وأما  
 القانون الصالح على الأرض فيصدر عن القانون السفلي، وأما  
 القانون الواعي فيخرج من القانون اللاواعي، والتوسيط إنما يخرج  
 من اللاتوسيط، وكذلك يؤوب كلّ هذا - على التدقيق - إلى حيث  
 خرج؛ في حين أنّ القوة السفلية يكون لها حقيقتها على الأرض،  
 فتصير عبر الوعي كياناً ونشاطاً.

[302]

[III. العالم الإتيقي بما هو لانهائي أو كلّ] - وعليه  
 فالماهيات الإتيقية الكلية إنما هي الجوهر من جهة ما هو وعي  
 كلي، وهي هو بما هي وعي فردي؛ فأما حقيقتها الكلية فيستقيم  
 لها في الشعب والعائلة، وأمّا الهو الطبيعي والفردية الناشطة  
 فيكونان لها في الرجل والمرأة. ونرى في هذا المضمون الذي  
 للعالم الإتيقي أنّ الأهداف قد حُصّلت، وهي التي كانت قامت  
 إليها أشكال الوعي الفاتئة والعريّة من الجوهر؛ فالذي كان العقل  
 ألمّ به كموضوع وحسب، إنّما صار وعياً - بالذات، وما كان  
 ينطوي عليه هذا الوعي - بالذات في دخيلاته وحسب، إنّما صار  
 ماثلاً كحقيق صادق. - وما كانت المعاينة عرفته كموجود حاصل  
 بين يديها لا نصيب فيه للهو، إنّما يكون هاهنا سنناً إتيقية<sup>(8)</sup>  
 حاصلة، لكنها حقيق يكون في الآن نفسه فعل الواجد وأثره. -  
 والفردية الذي يتعقب لذّة التمتع بفرديته إنّما يدركها في العائلة، أمّا  
 الضرورة التي تفوت فيها اللذّة، فإنّما هي الوعي - بالذات الخاصّ  
 الذي لذلك الفردي من جهة ما هو مواطن ينتسب لشعبه؛ -  
 أو هذا إنّما هو أن يُعرف قانون الفؤاد (Das Gesetz des Herzens)

(8) الإيتوس على معنى سنن القوم وعاداتهم المشتركة.

من جهة ما هو قانون الأفئدة جميعاً، والوعى الذي للهو من جهة ما هو نظام كليّ معترف به؛ - إنه الفضيلة التي تتمتع بشمار توضيحيتها؛ وهي تكسب ما تنزع إليه، أعني رفع الماهية إلى الحاضر الحاق، فتمتعها إنما هو تلك الحياة الكلية. - وأخيراً الوعي برأس الأمر هو الذي يصير راضياً ضمن الجوهر الحقيقي (Reale) الذي يشتمل على اللحظات المجردة لتلك المقولة الخاوية ويحفظها على نحو إيجابي. ورأس الأمر إنما يكون له في القوى الإتيقية مضمون صادق حل محل الأوامر العرية من الجوهر التي كان العقل السليم يلتمس إعطاءها ومعرفتها؛ كما يكون له بذلك ميزان متعين من ذاته ومفعم مضموناً، لا لامتحان القوانين، بل امتحان ما يفعل.

إنما الكل توازن ساكن للأجزاء جميعاً، وكل جزء روح متوطن يتعقب قضاءه لا في ما هو متعال عنه، بل يتم له قضاؤه في ذاته، لأنه يكون هو ذاته ضمن ذلك التوازن مع الكل. - وبحق ما لا يكون ذلك التوازن حياً إلا من حيث إن اللاتساوي ينجم فيه، فتسوقه العدالة إلى المساواة. ولكن العدالة ليست ماهية غريبة كانت تكون موجودة متعالية (Ein fremdes jenseits sich

[303] befindendes Wesen)، ولا حقيقاً غير خليق بالماهية من المكر والخيانة ونكران الجميل المتبادل وما جانس ذلك، ولا هي بالعدالة التي تُنفذ الحكم من وجه العرضية العرية من الفكرة كترابط غير مفهوم وفعل وغفلة عاريين من الوعي، بل من حيث هي العدالة التي للحوق الإنساني التي تقود الكون - لذاته الخارج على التوازن والقيام الذاتي الذي للفئات والأفراد إلى الكلي، إنما هي حكومة الشعب التي هي فردية الماهية الكلية الحاضرة لذاتها، وإرادة الجميع الخاصة والواعية بذاتها. - لكن العدالة التي تقود الكلي الذي صار متنفذاً في الأعيان إلى التوازن، تكون كذلك الروح البسيط الذي لمن كابد اللاحق، روح لا يتحلل في من

كابد هذا، ولا هو بماهية فوقية؛ فهو ذاته القوة السفلية، وإيرينا<sup>(9)</sup> التي لهذا الروح هي التي تمارس الثأر؛ فالفردية التي للروح البسيط ودمه ما انفكا يحييان في البيت، وجوهره إنما يكون له حقيقاً يدوم. واللاحق الذي يمكن أن يرتكب حيال الفردي في ملكوت الإتيقية، إنما هو أن يحدث له شيء ما وحسب. والقوة التي تكبد الوعي هذا اللاحق الذي هو أن تجعل منه شيئاً، إنما هي الطبيعة، فليست هي بالكلية التي للماهية المشتركة، بل هي الكلية المجردة للكينونة؛ والفردية لا تنقلب في تحلل اللاحق المتكبد، ضد تلك الماهية المشتركة، فهي لا تتوجع بسببها، بل تنقلب ضد هذه الكينونة. والوعي بالدم الذي للفرد إنما يحل ذلك اللاحق - كما رأينا آنفاً - على نحو أن ما حدث يتصير في الأكثر أثراً، حتى إن الكينونة، أي الأقصى، تتصير أيضاً أمراً م شيئاً، فتكون عندئذ مسرة.

كذا. يكون الملكوت الإتيقي في قوامه عالماً ناصعاً لا يشوبه انفصام. وكذلك تكون حركته صيرورة ساكنة لإحدى قواه إلى الأخرى على نحو أن الواحدة تحتفظ بالأخرى وتنتجها. وإننا لنراها تنقسم إلى ماهيتين كل على حقيقتها (Und deren Wirklichkeit)؛ لكن تقابلهما هو على الأرجح قرينة الواحدة منهما على الأخرى، وهو الذي على سبيله تماس في - الحال من حيث هي حقائق؛ أما وسطها وعنصرها فإنما هو التشابك الذي في - الحال لعين تلك القوى. وأحد الأطراف، أي الروح الكلي الواعي بذاته، إنما يُقرن<sup>(10)</sup> بطرفه الآخر، وقوته وعنصره يُقرنان بالروح العري من الوعي وذلك بواسطة الفردية التي للرجل. أما القانون الإلهي فيكون له على العكس من ذلك أنفاده (Seine

[304]

(9) إلهة العقاب والحساب.

(10) Zusammenschließen بمعنى الاقتران والاجتماع، لكنها تدل أيضاً على معنى المقايسة، بل التقايس المنطقي.

(Individualisierung)؛ أو: الرُّوحُ العرِّيُّ من الوعي يتم له كيانُه في المرأة التي يخرج بمعيتها كحدِّ أوسط من لاحقته إلى حقيقته ومن الذي لا يعرف ومما لا يُعرَف إلى الملكوت الواعي. واقترانُ الرجل والمرأة إنّما يمثل الأوسَطَ الفَعَالِ الذي للكُلِّ، والعنصرَ الذي في تضاعفه في حرفي القانون الإلهي والإنسانيّ هذين، إنّما يمثل كذلك اقترانَهُما الذي في - الحال، وهذا الاقترانُ هو الذي يجعل من هذين القياسين معاً القياس ذاته، فيجمع في واحدٍ تلك الحركة المتضادّة للحقيق وقد خُفِّضَ إلى لاحقٍ، - وحركة القانون الإنسانيّ المنتظم في أطراف مستقلة وقد خُفِّضَ إلى خطر الموت وآيته - وحركة القانون السفليّ وقد رُفِعَ إلى حقيق النهار وإلى الكيان الواعي حيث يتعلّق ذاك بالرجل وهذا بالمرأة.

## ب. المِرَاسُ الإيتيقيّ، العلم الإنسانيّ والإلهيّ، الخطيئة والقدر

[I. تناقض الماهيّة والفرديّة] - لكن إذا نظرنا في الكيفيّة التي يكون عليها التقابلُ في هذا الملكوت لبانَ أن الوعي - بالذات لم يَهْلُ بعدُ ضمنَ حقّه كأنه فرديّة فاردة؛ فمن ناحية لا تجري الفرديّة في هذا الملكوت إلا مجرى إرادة كليّة، ومن ناحية أخرى تكون كأنها دمُ العائلة؛ فهذا الفرديّ لا يجري إلا مجرى الظلّ غير الحاقّ. - فليس ثمة فعل ما شرع فيه، لكنّ الفعل هو الهُو الحاقّ. - فهو يُربكُ التنظيم الساكن والحركة اللذين للعالم الإيتيقيّ، فما يظَهَرُ في هذا العالم الإيتيقيّ كنظام ماهيته واثلاهما جميعاً - وهما اللتان تكون الواحدة منهما آية الأخرى وتماهما - إنّما يصير بمعية الفعل إلى تَمَارِّ المتقابلات، أين تبيّن كلُّ واحدة في الأكثر كليّس ذاتها كما ليس الأخرى أكثر ممّا تكون البيّنة؛ -

(11) أي البساطة التي لضرورة هذا القدر الرهيب.

إنه يصيرُ إلى الحركة النافية أو إلى ضرورة القدر الرهيب الأزليّة التي تغمر في غور بساطتها<sup>(11)</sup> القانونَ الإلهيَّ كما الإنسانيَّ، وكذلك تُغمرُ فيها الوعيّين - بالذات كليهما اللذين يكون فيهما لهذه القوى كيانها، - أما بالنسبة إلينا فإنّما هي ضرورةٌ تمرّ إلى كون الوعي - بالذات الفرديّ الخالص لذاته مطلقاً.

لكنّ الأسّ الذي تصدر عنه هذه الحركة وتنبسط عليه إنّما هو ملكوتُ الإتيقيّة؛ أما نشاط هذه الحركة فإنّما هو الوعي - بالذات. والوعي - بالذات من حيث هو وعيٌ إتيقيٌّ إنّما يكون الوجهة الخالصة والبسيطة قبل الأسيّة الإتيقيّة، أو هو الواجب. وليس فيه اعتباط ولا صراع ولا تردّد ما دام سنّ القوانين وامتحانها قد تُركا، بل الأسيّة الإتيقيّة في هذا الوعي الإتيقيّ تكون في نظر الوعي - بالذات ما هو في - الحال واللامتقلّب والعريّ من التناقض. ولهذه العلة لا يحصل ذلك المشهدُ القبيح الذي يجد المرء نفسه فيه في تقارع الهوى (Die Leidenschaft) والواجب، ولا المشهدُ الكوميديّ الذي يجد نفسه فيه في تقارع الواجب مع الواجب تقارعاً هو بحسب المضمون عينُ التقارع الذي بين الهوى والواجب؛ فالهوى ذو سطوة من حيث يُتصوّر كواجب، لأنّ الواجب ما إن يجنح الوعي إلى ذاته من أسيّته الجوهرية التي في - الحال، إنّما يصير إلى الصوريّ - الكلّيّ الذي ينضوي تحته كل مضمون، ويتكيّف جيّداً كما بان ذلك أعلاه<sup>(12)</sup>. أمّا أنّ تقارع الواجبات كوميديّ فلأنّها تعبّر عن التناقض، ولاسيّما الذي لمطلق متضادّ، وتعبّر إذاً عن مطلق وفي - الحال عن أنعدام هذا المطلق المزعوم أو الواجب. - لكنّ الوعي الإتيقيّ يعلم ما سيفعل؛ ويقرّ العزم على الانتساب إمّا إلى القانون الإلهيّ أو إلى

(12) انظر: (ج) (أ) العقل، III. 3. العقل الممتحن للشرائع، ص 464 من

هذا الكتاب.

القانون الإنسانيّ. وهذه الحالِيَّة التي لإصراره إنّما هي كينونةٌ في - الذات، ولها إذاً في الآن نفسه دلالةٌ كينونةٌ طبيعيّةٌ كما رأينا ذلك؛ إنّها الطبيعيّة، وليس عرضيُّ الملابس أو الاختيارُ ما يسند أحدَ الجنسين إلى أحد القانونين والآخرَ إلى القانون الآخر، - أو إنّهما بالعكس القوتان الإتيقيّتان ذاتهما اللتان تستعطيان في الجنسين كيانهما الفرديّ وتحقّقهما.

أما كَوْنُ الإتيقيّة من ناحية إنّما تقوم بالجوهر على هذا العزم الذي في - الحال، ولذلك فواحدٌ من القانونين فقط هو الماهية بالنسبة إلى الوعي، وكوْنُ القوى الإتيقيّة من ناحية أخرى إنّما هي حُقاقاتٌ ضمن الهُوَ الذي للوعي، فذلك ما به تستفيد هذه القوى 06] دلالةٌ أنّها تتصاّد وتضادُّ؛ - إنّها تكون في الوعي - بالذات لذاتها، مثلما تكون في ملكوت الإتيقيّة في - ذاتها وحسب. ولما كان الوعي الإتيقيُّ عازماً على واحدة من تلك القوى، فهو إنّما يكون بالجوهر طبعاً؛ وأيسيةٌ إحدى القوى لا تعدل في نظر ذلك الوعي أيسيةً القوّة الأخرى؛ ولذلك فإنّ التقابل لا يظهر كتقارع تعيسٍ للواجب إلّا مع الحقيق العريّ من الحقّ<sup>(13)</sup>. والوعي الإتيقيُّ إنّما يكون في هذا التقابل من جهة ما هو وعيٌّ - بالذات، وبما هو كذلك فإنّه ينزع في الوقت نفسه إلى إخضاع هذا الحقيق المتضادّ بالعنف للقانون الذي ينتمي إليه، أو يلتمسُ استيهامه. وما دام هذا الوعي لا يرى الحقّ إلّا من جانبه واللاحقّ من الجانب الآخر، فأحدُ الوعيين الذي يرجع إلى القانون الإلهيّ إنّما يلحظُ على الجهة الأخرى تعتقاً إنسانياً عرضياً؛ أما الوعي الذي يُحمَل على القانون الإنسانيّ فيلحظُ على الجهة الأخرى العنادَ وعصيانَ الكون - لذاته الجوّانيّ؛ ذلك أنّ أوامر الحكومة هي المعنى الجمهوريُّ الواقعُ في وضح النهار والكلّيّ؛ أما الإرادة التي للقانون الآخر

(13) Rechtlosen، الحقّ في دلالة القانونيّة.



فإنّما هي المعنى السّفليّ والمغلّق في الباطن، وتظّهر في كيانها كالإرادة التي للفردية، وهي في التناقض مع القانون الأوّل، إنّما تمثّل الكبيرة والفحشاء (Der Fervel).

عندئذٍ ينجم في الوعي التقابلُ بين المعلوم واللامعلوم، مثلما ينجم في الجوهر التقابلُ بين الواعي والعريّ من الوعي؛ ويدخل الحقّ<sup>(14)</sup> المطلق الذي للوعي - بالذات الإتيقيّ في صراع مع الحقّ الإلهيّ الذي للماهيّة. والحقيقُ الموضوعيّ بما هو كذلك، تكون له ماهيّةٌ بالنسبة إلى الوعي - بالذات من حيث هو وعيٌّ؛ أمّا من حيث جوهره، فالوعي - بالذات إنّما هو الوحدة بينه وبين المتضادّ؛ فالوعي - بالذات الإتيقيّ إنّما هو الوعي بالجوهر؛ لذلك فالموضوعُ من حيث يقابل الوعي - بالذات إنّما قد خسر تماماً دلالة أنّ له لذاته ماهيّةً. ومثلما زالت مذ وقت طويل الدوائر التي كان فيها الموضوع شيئاً وحسب، كذلك زالت هذه الدوائر حيث يثبّت الوعي شيئاً من عنده، فيجعل من لحظة فرديةً ماهيّةً، فالحقيق تكونُ له بإزاء مثل هذه الأحادية قوّةٌ خاصّةٌ؛ فهو يقع في رباط مع الحقيقة ضدّ الوعي، ويعرض لهذا الوعي أولاً ما هي الحقيقة. أمّا الوعي الإتيقيّ فقد شرب من كأس الجوهر المطلق نسيانَ كلّ أحادية للكون - لذاته ولأهدافه ومفاهيمه المخصوصة، ولذلك فهو في الآن نفسه يغمسُ في هذا الماء الستيكسيّ<sup>(15)</sup> كلّ أيسية خاصة ودلالة قائمة برأسها للحقيق الموضوعيّ. وعليه فإنّ حقّ الوعي الإتيقيّ المطلق هو ألا يدرك - متى يعمل بالقانون الإتيقيّ - في هذا التحقّق شيئاً غير استئمام هذا

(14) الحقّ في دلالاته القانونية.

(15) ستيكس (Styx) وأصلها اليونانيّ (Στύξ) نافورة أركاديا التي يميّت ماؤها المحمّد كلّ من يقربها، وهي أيضاً نهر من أنهر الجحيم كانت الآلهة تنهّد به البشر على نحو القسم الذي لا رادّ له، لأنّها جعلت منها النطاق الذي يحيق بملكوت الموتى كما الخالدين الذي يخلفون الميعاد.

القانون عينه، وألا يُظهر الفعلُ غير العمل الإتيقيّ. - ولا يمكن الإتيقيّ بما هو في الوقت نفسه الماهية المطلقة والقدرة المطلقة أن يتكبّد أيّ انقلاب في مضمونه. وإذا كان الإتيقيّ يكون فقط الماهية المطلقة من دون القدرة كان يمكنه أن يتعنى انقلاباً بواسطة الفردية؛ لكنّ هذه بما هي وعي إتيقيّ تلفتت عن الكون - لذاته الأحاديّ إنّما قد انتهت عن القلب (Das Verkehren)؛ وكذلك الحال - على العكس - في القدرة البسيطة، كانت تكونُ الماهية قد عكستُها إذا ما كانت تلك القدرة لم تنقطع عن كونها ذلك الكون - لذاته. وهذه الوحدة هي العلة في أنّ الفردية هي الصورة الخالصة للجوهر التي هي المضمون، وليس الصنيعُ مروراً من الفكرة في الحقيقِ إلا كحركة تقابلٍ عريّة من الماهية، وهي الحركة التي لا يكون للحظاتها مضمونٌ وأسيّةٌ مختلفان عن بعضهما البعض. ولذلك فالحقّ المطلق الذي للوعي الإتيقيّ إنّما هو أن لا يكون الفعلُ، أي الشكلُ الذي لحقيقه، شيئاً آخر غير ما يعرف.

[II. تضادات الفعل الإتيقيّ] - لكنّ الماهية الإتيقية نفسها قد انشقت إلى قانونين، والوعي بما هو سلوكٌ غير منقسم حيال القانون إنّما يُحمّل على واحد منهما وحسب. ومثلما يسكن هذا الوعي البسيط إلى الحقّ المطلق الذي فحواه أنّ الماهية قد أظهرت له من حيث هو إتيقيّ كما هي في ذاتها، تسكن هذه الماهية كذلك إلى حقّ واقعها أو إلى كونها إذا مضاعفة. لكنّ هذا الحقّ الذي للماهية لا يواجه في الآن نفسه الحقّ الذي للوعي - بالذات، فكان يكون في أيّما موضع آخر اتفق، بل إنّه الماهية الخاصة التي للوعي - بالذات، وله في ذلك وحده كيانه وسلطانه؛ أمّا ضدّه فهو الفعل الذي لهذا الأخير. وهذا الوعي - بالذات ما دام لنفسه على الحصر كأنّه هو، فينهض إلى الفعل، إنّما يرتفع عن الحالّة البسيطة، ويضع بنفسه الانفصام. وهو إنّما

يطرح عبر الفعل تعيّنّة الإتيقيّة التي هي كونه الإيقان البسيط من الحقيقة التي في - الحال، ويضع أنقسام ذاته في ذاته كفعالة كما في الحقيقيّ المواجه له والذي يكون في نظره منافياً. وعليه فإنه يصير بواسطة الفعل إلى الخطيئة (Die Schuld). والخطيئة إنّما هي صنيعه، والصنيع إنّما هو ماهيته الأخصّ؛ والخطيئة إنّما تلحقها أيضاً دلالة الجرم (Das Verbrechen): فالوعي - بالذات من حيث هو وعي إتيقيّ بسيط يكون تلتّ قبل أحد القانونين، لكن يكون قد ترك الآخر فينتهكه عبر فعلته. - وليست الخطيئة الماهية الملبسة السيّانية التي وفقها كان يمكن الفعل - كيفما يقع حاقاً في وضوح النهار - أن يكون صنيع الهو الذي لها، أو لا يكون أيضاً، لكأنّ أيّ برّانيّ أو عرضيّ لا يتصل بالفعلة كان يمكن أن يوصل به على نحو كان يكون الصنيع فيه إذا برّياً من الخطيئة. ولكنّ الصنيع نفسه هو ذلك الانفصام، [أي] أن يضع ذاته لذاته ويضع قبالتها حقيقة برّانياً غريباً؛ أمّا أن مثل هذا الحقيقيّ كائن، فذلك إنّما يرجع إلى الصنيع نفسه ويكون عبره. وعليه فليس برّياً من الخطيئة إلاّ اللّاصنيع، مثلما هو الكون الذي لحجرة وليس حتى الذي للطفل. - أمّا المراسم الإتيقيّة فيشتمل في حدّ ذاته بحسب المضمون على لحظة الجرم، لأنّه لا ينسخ القسمة الطبيعيّة للقانونين على الجنسين كليهما، بل هذا المراسم من حيث هو وجهة لا منفصمة قبل القانون إنّما يلبث على الأرجح داخل الحالية الطبيعيّة، ويجعل من حيث هو صنيع من هذه الأحادية خطيئة، هي أن لا يدرك إلاّ أحد جانبي الماهية، فيسلك بشكل نافٍ بإزاء الجانب الآخر، بمعنى أنّه ينتهكه. أمّا أين تقع الخطيئة والجرم، وأين تقع الصناع ويكمن المراسم داخل الحياة الإتيقية الكلّية، فذلك ما سنأتي قوله على التدقيق في ما بعد؛ لكنّ البيّن في - الحال هو أنّه ليس هذا الفرديّ من يتمرّس فيذنب؛ فهو من حيث هو هذا الهو ليس إلاّ الظلّ غير الحاقّ، أو هو ليس إلاّ

كهو كليّ، والفردية تكون بالجملة محض لحظة صورية للصنيع، والمضمون إنما هو القوانين والسُننُ الإتيقيّة التي هي في نظر الفرديّ قوانينُ وسُننُ فتنه؛ فالفرديّ إنّما هو الجوهر من جهة ما هو الجنس الذي يؤوب فعلاً عبر تعيّناته إلى النوع، أما النوع فيظلُّ في الوقت نفسه الكليّ الذي للجنس. أما الوعي - بالذات فلا ينزل داخل الشعب من الكليّ إلّا إلى الجزئية، لا إلى مقام الفردية الفاردة التي تضع في فعلها هوأ صاداً وحقيقاً منافياً لنفسه؛ [309] وإنّما توجد في أساس المراس الذي للوعي - بالذات ثقته الراسخة بالكلّ التي لا يشوبها هجينٌ ولا رهبةٌ ولا عداء.

أما الذي يتعناه الآن الوعي - بالذات الإتيقي عند (An) فعله فإنّما هو الطبيعة الرابية التي للمراس الحاقّ أيان يعهد هذا الوعي - بالذات بنفسه إلى القانون الإلهي كما أيان يعهد بها إلى القانون الإنسانيّ. والقانون الظاهر لهذا الوعي - بالذات إنّما يتصلّ في الماهية بضده؛ والماهية هي وحدة القانونين جميعاً؛ أما الفعل فلم يُنجزُ إلّا أحدَ القانونين ضدّ الآخر. لكن لما كان إنجاز أحد القانونين مرتبطاً في الماهية بهذا الآخر، فإنّه يثير الآخر من الوجه الذي كان آتاه الفعل، أي كماهية منتهكة باتت عدائية مطالبةً بالتأر. ولا يقع من المراس في وضوح النهار إلّا جانب واحد، هو بالجملة جانب العزم؛ لكنّ العزم يكون في ذاته السلبيّ الذي يضع قبالته شيئاً آخر وغريباً بالنسبة إليه، هو المعرفة. ولذلك يحتفظ الحقيقُ بالجانب الغريب المغاير للمعرفة مخفياً في ذاته، فلا يتضح للوعي كما هو في ذاته ولذاته، - فلا يُلوحُ للإبن بالأب في المعتدي الذي يقتله، - ولا بالأُم في الملكة التي يتخذها زوجاً. كذا تنتصب قوّة تخشى النور (Eine lichtscheue Macht) تترصدُ الوعي - بالذات الإتيقيّ، ولا تنجم إلّا متى يقع الفعل، فتستبدُّ بالوعي - بالذات الإتيقيّ حينَ يفعل؛ ذلك أنّ الفعل المُنجزُ إنّما هو التقابلُ المنسوخُ بين الهو الذي يعرفُ والحقيق الذي يواجهه.

والمُتمرس لا يسعه أن ينفي الجرمَ وخطيئته، - فالفعل إنما هو تحريك اللامتحرّك وإخراج ما هو في أول حاله منغلّق في الإمكان، وهو بهذا شدُّ اللاواعي إلى الواعي واللاكائن إلى الكينونة. وإنه لعلّى هذه الحقيقة يهلُّ الفعلُ في وضّح النور، - كشيء يتصل فيه واع ما بلاواع، والخاصُّ بغريب، وكماهيّة منفصمة يتعنّى الواعي وجهها الآخر كالوجه الذي له أيضاً، لكنّه يتعنّاه كالقوّة الهياجة التي أنتهكها الوعي واستعدّاها.

من الممكن أن لا يمثل الحق<sup>(16)</sup> الذي كان سكن إلى كمين على شكله المخصوص بالنسبة إلى الوعي المُمارس، بل يمثّل في ذاته وحسب، وفي الخطيئة الباطنة للحسم والمراس. ولكن الوعي الإتيقيّ أكمل من ذلك، وخطيئته أخلصّ لما يعرف باكرأ ذلك [310] القانون والقوّة التي يواجهها، فيأخذها مأخذ العنف واللاحق، ويعتبرها عرضاً إتيقيّاً، فيأتي الجرم عن دراية به مثل أنتيغون. والفعل المنجز يقلب رؤية هذا الوعي للأشياء؛ فالإنجاز نفسه ينم عن كون الإتيقيّ كان لا بد أن يكون الحاقّ؛ لأنّ حقيق الغاية هو غاية المراس. والمراس ينم رأساً (Gerade) عن الوحدة بين الحقيق والجوهر؛ إنه يفصح عن أنّ الحقيق ليس عرضياً بالنسبة إلى الماهية، بل الحقيق من حيث هو في رباط مع تلك الماهية لا يُعطى إلى أيّ حق ما لم يك الحقّ الصادق. ويجب عن هذا الحقيق أن يعترف الوعي الإتيقيّ بضده، كما يجب عن صنيع هذا الوعي أن يعترف بخطيئته كالتالي له (Als die seinige)؛

فنحن نعرف بأننا قد أذنبنا لأننا نتألم<sup>(17)</sup>.

(16) بالدلالة الحقوقيّة والقانونيّة.

(17) انظر البيت 925 وما يتلوّه من: Sophocle, «Antigone,» dans: *Théâtre complet*, traduction préface et notes par Robert Pignarre (Paris: Garnier-Flammarion, 1964), p. 91.

هذا الاعتراف إنّما يعبر عن الشقاق المنسوخ بين الغاية الإيتيقية والحقيق، إنه يعبر عن الرجوع إلى الطوية<sup>(18)</sup> الإيتيقية التي تعلم أن لا شيء يصلح إلّا الحق. ولكن بهذا يتلفت المتمرس عن طبعه وعن الحقيق الذي لهوّه، فيكون استغرق في الهاوية. فكون المتمرس كذلك إنّما هو أن ينتسب إلى قانونه الإيتيقي كما إلى جوهره؛ لكنّ هذا القانون لم يعد في الاعتراف بالمتضادّ يمثل في نظره الجوهر؛ وبدل الحقيق الذي له يكون قد حصل اللاحقيق، أي الطوية. - ولا ريب أنّ الجوهر يظهر عند الفردية من جهة ما هو استيهاء<sup>(19)</sup> عين الفردية، والفردية تظهر كالذي يحيي الجوهر، وعليه كالذي يقوم فوق الجوهر؛ لكنّ الجوهر استيهاء هو في الآن نفسه طباع المتمرس؛ فالفردية الإيتيقية إنّما تكون في - الحال، فهي في ذاتها واحدة والكلّي الذي لها، ولا وجود لها إلّا فيه، ولا يسعها أن تدوم مع التصرم الذي تشكو منه هذه القوة الإيتيقية من جرّاء القوة المعارضة.

لكنّ الفردية الإيتيقية إنّما تكون في ذلك على إيقان من أنّ تلك الفردية التي تكون استيهاءها تلك القوة المتضادة، لا تتألم من شرّ أكثر ممّا تحتل. والحركة التي للقوى الإيتيقية بعضها حيال بعض والفرديات الواضعة إياها في الحياة كما في المراس، لم تدرك نهايتها الحقّ إلّا حيث يكون الجانبان قد خبرا كلاهما التصرم عينه؛ فلا واحدة من القوى يكون لها ما به تتقدّم الأخرى لتكون اللّحظة الأهمّ للجوهر. والأيسية المتكافئة والدوام السياني<sup>[1]</sup> لكلتيهما الواحدة حذو الأخرى إنّما يمثلان كيانهما العري من الهو؛ فهذه القوى إنّما تكون في الفعل كماهيّة ذاتية

(18) Sittlichen Gesinnung، مجرد الشعور الباطن والدفين الذي ليس هو بغد

العزم والنية.

(19) Das Pathos، على معنى الهوى الجارح والفعال.

(Als Selbstwesen)، لكنّها ماهيّة ذاتيّة متنوّعة، وذلك ما يناقض الوحدة التي للهو ويمثّل ارتفاع الحقّ عن تلك القوى وتصرّمها الواجب. كذلك الطبع فإنّه لا ينتمي، من ناحية، من حيث استيهائه أو جوهره إلّا إلى واحدة من تلك القوى، أمّا من الناحية الأخرى وحسب جانب المعرفة فإنّ الطبع الواحد كما الآخر قد انفصما إلى واع ولاواع؛ وما دام كلّ واحد يثير هو نفسه هذا التقابل، وتكون اللامعرفة أيضاً أثره الذي بواسطة الفعل، فهو إنّما يضع نفسه في الخطيئة التي تُنهكّه. وعليه فانتصار إحدى القوى وطبيعتها وانهزام الناحية الأخرى كانا يكونان القسط والأثر اللامكتمل الذي يربو بلا رادّ نحو توازن الاثنين. وإنّه لفي خضوع الجانبين خضوعاً متساوياً يستتبّ الحقّ المطلق ويهملُ الجوهر الإيتقيّ من جهة ما هو قوّة نافية تغمرُ الجانبين، أو القدرُ الجبارُ والعاذلُ.

[III. تحلّل الماهية الإيتقية] - فإذا اعتُبرت القوتان بحسب مضمونهما المتعين وتفرّده تمثّل الصورة (Das Bild) التي لصراعهما المتشكّل من وجهها الصوريّ كأنّه صراع الإيتقية والوعي - بالذات مع الطبيعة العرية من الوعي وعرضيّة تحضر بواسطتها، - وهذه العرضيّة يكون لها حقٌّ إزاء ذلك الوعي - بالذات، لأنّ ذلك الوعي - بالذات ليس إلّا الرّوح الصّادق، ولا يكون إلّا في وحدة في - الحال مع جوهره، - أمّا من جهة المضمون، فتلك الصورة تعرض كأنّها انفصام القانون الإلهيّ والإنسانيّ. والشابُّ إنّما يخرج من الماهية العرية من الوعي، من روح العائلة، فيصير الفردية التي للماهية المشتركة؛ أمّا كونه لا يزال ينتمي إلى الطبيعة التي انتزع نفسه منها، فذلك يتضح من أنّه ينجم في العرضيّة التي لأخوين يستحكما - بواسطة عين الحقّ - الماهية المشتركة نفسها؛ أمّا لاتساوي المولد السابق واللاحق بما هو فرق الطبيعة فلا دلالة له في نظر الأخوين اللذين يلجان الماهية الإيتقية. لكنّ الحكومة بما هي النفس البسيطة أو الهو الذي لروح الشعب، لا تحتمل ثانياً

للفردية؛ والضرورة الإتيقية لهذه الوحدة إنما تواجهها الطبيعة بما هي عرض الكثرة. ولذلك فإنّ هاذيك الأخوين ينشقان، وحقهما المتساوي في سلطة الدولة<sup>(20)</sup> يقسم ظهر اثنينهما اللذين يسفهان [312] من وجهٍ سواء. وإذا نُظر في ذلك على نحو إنسانيّ فإنّ هذا الذي ارتكب الجرم - وهو ليس في مُلك - هو مَنْ قد أنتهك الماهية المشتركة التي يرأسها الآخر؛ أما الذي يكون له - على العكس من ذلك - الحق من جهته فهو مَنْ قد عرف كيف يدرك الآخر كفردٍ وحسب، وفي حلٍّ من الماهية المشتركة، فيطرده أثناء انعدام السلطة ذاك؛ فهو لم يؤذ إلا الفرد بما هو كذلك، لا تلك الماهية المشتركة ولا ماهية الحق الإنساني. والماهية المشتركة المنتهكة والمصون بالفرد الخاوي إنما تحفظ نفسها، فيجد الأخوان كلاهما هلاكهما المتبادل الواحد منهما عبر الآخر؛ فالفردية التي تربط هلاك الكلّ بكونها لذاتها قد أنسلخت بنفسها عن الماهية المشتركة وتحلّت في ذاتها؛ فأما مَنْ كان وجد نفسه في صفها فتكرمه وتُعزّه، وأما الآخر الذي كان قد جهر على الجدران بخرابها فإنّ الحكومة، أي البساطة المسترّدة التي لهو الماهية المشتركة، ستعاقبه بحرمانها إياه من التكريم الأخير؛ فمن آل به الأمر إلى الاعتداء على الروح الأسنى للوعي، وهو الخبيث، فلا بدّ أن يُسلب من شرف سارٍ ماهيته التامة، وشرف الروح الذي فات.

لكن عندما يثلم (Abstöbt) الكلّي بيسر القمة النقية لهرمه بهذا الشكل ويفوز حقاً بالنصر على المبدأ المتعنت للفردية، أي العائلة، فإنه لم يأت في ذلك إلا الصراع مع القانون الإلهي، بمعنى أنّ الروح الواعي - بذاته نفسه لم يأت إلا الصراع مع العري من الوعي؛ وهذا العري من الوعي إنما هو القوّة الأخرى

(20) أي السلطة السياسية بعامة.



المهمة التي لم تقوِّضها إذاً تلك القوَّة الأولى، إن هي إلاً قوَّة مُنتَهَكَةٌ. ولكن ليس للروح الواعي - بذاته حيال القانون ذي السطوة النافذة في وضح النهار من مهرب للإنجاز الحاقاً إلاً في الظلِّ النازف دماً. لذلك فهو من حيث إنَّه قانون الضعف والظلمة إنَّما يخضع أولاً لقانون النهار والقوَّة، فهذا العنف إنَّما يكون في [العالم] التحتيِّ، لا على وجه البسيطة؛ إلاً أنَّ الحقيق الذي قبض عن الباطن عظمتَه وقوَّته إنَّما يُنهك بذلك ماهيته. أما الروح الظاهر فيكون مغرس قوَّته في العالم التحتيِّ؛ أما الإيقانُ الواثق من ذاته والمؤثَّق بذاته الذي للشعب فليست له الحقيقة التي ليمينه الرابط لكلِّ في واحدٍ (Die Wahrheit ihres Alle in Eins bindenden Eides) إلاً في جوهر الكلِّ الصامت والعارى من الوعي، وفي مياه النسيان. عندئذٍ [313] ينقلبُ اكتمالُ الروح الظاهر إلى الضدِّ، فيتعنَّى أنَّ حقَّه الأعلى إنَّما هو اللاحقُّ الأعلى، وأنَّ نصرَه إنَّما هو في الأكثر أفروله الخاصُّ به. ولهذه العلة فالميث الذي أهيَّن حقَّه يعرف كيف يدرك أدواتِ ثأره التي تعدل القوَّة التي انتهكتُه حقيقاً وعنفاً. أما تلك القوى فهي ماهيات مشتركةٌ أخرى، وهي التي دنست هياكلها الكلابُ أو الطيورُ بالجنَّة التي لم تُرفع إلى مصاف الكلية العرية من الوعي بواسطة استعادة الفرد الأولانيِّ الخلق بها، بل ظلَّت ملقاةً على الأرض في ملكوت الحقيق، فأستفادت مذكاً من حيث هي قوَّة القانون الإلهيِّ كليةً حاقةً وواعيةً - بذاتها. وهذه القوى إنَّما تتصير عدوانيةً، فتقوِّض الماهية المشتركة التي أذلت وأطاحت بما لها من قوَّة، أعني ورع العائلة<sup>(21)</sup>.

أما حركة القانون الإنسانيِّ والإلهيِّ فتكون عبارةً وجوبها في هذا التصوُّر عند أفرادٍ يظهرون فيهم الكليَّ كاستيهاءٍ ونشاط الحركة كصنيعٍ فرديٍّ يعطي لضرورة عين النشاط ظاهر العرضية. ولكن

Sophocle, «Antigone».

(21) انظر البيت 26 وما يتلوه في:

الفردية والصنيع يمثلان بالجملة مبدأ الانفراد الذي كان سُمي في كليتته الخالصة القانونَ الإلهيَّ الباطنَ. وهذا القانونُ من حيث هو لحظة للماهية المشتركة البيّنة ليست له فقط هذه الفعالية السّفلية أو البرّانية التي تقع ضمنَ كيانه، بل له كيانٌ وحركةٌ ظاهران وحقيقتان مثلما في الشعب الحاقّ. وما كان قد تُصوّرَ كحركة بسيطة للهوى المنفرد فإنّه إذا أخذ على هذه الصورة بان أنّه يحمل وجهاً آخرَ، فالجرمُ والتقويضُ القائمُ على ذلك للماهية المشتركة إنّما يحملان الصورةَ الخاصّةَ بكَيانهما. - إذا القانونُ الإنسانيُّ من وجه كيانه الكلّيّ، أعني الماهيةَ المشتركةَ، ومن وجه تفعيله بالجملة، أعني الرجولة، ومن وجه تفعيله الحاقّ، أعني الحكومةَ، إنّما يكون ويتحرّك ويحفظ نفسه من حيث إنه يستغرق في ذاته تعيّنَ أرباب المنازل أو التفرّد القائمَ في العائلات التي ترأسها الأنثى فيحفظها متحلّلةً في اتّصال سيلانه (In der Kontinuität seiner Fließigkeit).

لكنّ العائلة هي في الوقت نفسه وبالجملة عنصرُ ذلك القانون الإنسانيّ، والوعي الفرديّ إنّما هو الأسُّ الفعّال والكلّيّ. وما [314] دامت الماهية المشتركة لا تتعطى قوامها (Sich sein Bestehen gibt) إلّا بإرباك السعادة الأسرية وبتحلل الوعي - بالذات في الكلّيّ، فإنّها تنسلُ في هذا الذي تغلبه والذي هو في الآن نفسه مهمّ بالنسبة إليها، أعني بالجملة في الأنثوية، عدوها الباطن. وهذه الأنثوية من جهة ما هي الهزء الأزلّي الذي للماهية المشتركة إنّما تحوّل عبر الدسيسة الغاية الكلّية للحكومة إلى غاية شخصية، فنقلب نشاطها الكلّيّ إلى أثر لهذا الشخص بعينه، فتغيّر الملكية الكلّية التي للدولة إلى تملكٍ ورونتٍ للعائلة. إنّها تجعل عندئذٍ من الحكمة الصارمة التي ليسنّ النضج الذي لا يفكر - مع فناء الفردية واللذة والمتعة مثلما النشاط الحاقّ - إلّا بالكلّي ولا ينهم إلّا به، تهجاءً (Zum Spotte) لكياسة الشباب غير الناضج ومدعاةً للاستخفاف بحماسته؛ وبالجملة فإنّها ترفعُ قوّة الشباب إلى ما هو

ذو صلاحية، - قوّة الابن الذي أنجبت فيه الأمُّ رئيسها، وقوّة الأخ الذي يكون للأخت فيه الرجل مساوياً لها، وقوّة الشاب الذي بواسطته تحصل البنث إذ تتخلص من تبعيتها المتمعة وشرف الاستحالة زوجة. - لكنّ الماهية المشتركة لا يسعها أن تدوم إلاّ بواسطة جور هذا الرّوح الذي للفردية، ولما كان هذا الرّوح لحظةً جوهريةً، فإنها تنسلُّ على التدقيق من هذا الوجه، وذلك إنّما يكون بواسطة الموقف الجائر حيال عين الرّوح بأعتباره مبدأً معادياً. ولكنّ هذا المبدأ من حيث إنّهُ إذ يقطع مع الغاية الكلية، لا يكون إلاّ قبيحاً وفي حدّ ذاته عدماً، لا يسعه ابتغاء أيّ شيءٍ ما لم تكن الماهية المشتركة ذاتها تعترف بقوّة الشباب والرجولة التي ما انفكت باقيةً في باطن الفردية، كالقوّة التي للكلّ. والماهية المشتركة إنّما هي شعبٌ، وهي ذاتها فرديةً، وليست بالجوهر في ذاتها إلاّ من حيث إنّ فرديّاتٍ أخرى تكون بالنسبة إليها، فهي التي تصدّها عن ذاتها وتعلم أنّها مستقلة عنها. أمّا الجانب النافي للماهية المشتركة من حيث تقهرُ صوب الباطن انفراد الأشخاص، في حين تكون صوب الخارج فعالةً، فإنّما تكون له أسلحته عند الفردية. والحرب إنّما هي الرّوح والصورة أين تكون اللحظة الجوهريّة للجوهر الإتيقي، أعني الحرية المطلقة للماهية الذاتية الإتيقية التي لكلّ كيان، حاضرةً على حقيقتها ووثاقتها. وما دامت الحرب من ناحية تجعل الأنساق الفردية للملكية وللقيمومة الشخصية كما الشخصية العينية تشعر بقوّة السلب، فإنّ هذه الماهية السلبية من ناحية أخرى تقوم هي نفسها على التدقيق داخل الماهية المشتركة كالذي يحفظ الكلّ؛ فالشاب ذو المروءة الذي تكون للأنوثة فيه لذتها، مبدأ السّفه المغلوب، إنّما يخرج إلى وضح النهار، فيكون الساري الصالح. والذي يحسم حينئذٍ في كيان الماهية الإتيقية كما في الضرورة الروحية، وما يظّهر كأنّه عرضُ البخت، فإنّما هو القوّة الطبيعيّة؛ ولما كان كيان الماهية الإتيقية يقوم على الحسم والبخت،

[315]

فإنه قد حُسمَ بعدُ في أتها قد بادت في الغور. - ومثلما لم تَبْدُ من قَبْلُ  
 إلا المنازلُ في روح الشعب، كذلك تبيد الآن أرواح الشعب الحيّة  
 في ماهية مشتركة كليّة، وتُستغرَق في الهاوية عبر فرديتها، وهي  
 أرواح الشعب التي كليتها البسيطة عريّة من الروح وميتة والتي حياتها  
 إنما هو الفردُ الفاردُ من جهة ما هو فرديّ. لقد باد الشكل الإتيقي  
 الذي للروح، فحلَّ محله شكلٌ آخر.

هذا الفوات الذي للجوهر الإتيقي ومروره في شكل آخر إنما  
 يتعيّن على نحو أن الوعي الإتيقي كان موجّهاً بالجوهر وفي -  
 الحال قَبْلَ القانون؛ أما كون الطبيعة تتدخل في المراس الإتيقي،  
 فهذا إنما يكمن في ذلك التعيين الذي للحاليّة. والحقيق الذي لهذا  
 المراس إنما يكشف فقط تناقض وعلة فساد الوفاق الجميل  
 والتوازن الساكن اللذين للروح على الرغم من ذينك السكون  
 والجمال؛ لأنّ للحاليّة دلالة متناقضة، أعني كونها السكون العاري  
 من الوعي الذي للطبيعة والسكون اللاساكن والواعي بذاته الذي  
 للروح. - فهذا الشعب<sup>(22)</sup> إنما يكون بالجملة بسبب هذه الطبيعيّة  
 فردية متعينة عبر الطبيعة، إذاً فردية مقيّدة، وعليه فإنّها تدرك  
 نسختها عند فردية مغايرة. ولكن ما دامت هذه التعينية - التي تمثل  
 إذ توضع في الكيان تقييداً، وهي كذلك السلبيّ بعامة وهو الذي  
 للفردية - تزول، فإن الحياة التي للروح وهذا الجوهر الواعي -  
 بذاته في الكلّ إنما يكونان في خسران. وهذا الجوهر إنما ينجم  
 بينهم من جهة ما هو كليّة صوريّة، فلم يعد يسكنهم من حيث هو  
 روح حيّ، بل الصلابة البسيطة التي لفرديته إنما تكون تناثرت إلى  
 نكت متكررة.

### ج. حالة الحق

[I. صلاحية الشخصي] - إن الوحدة الكليّة التي تؤوب إليها

(22) يعني في الأكثر اليونان.

الوحدة الحية والتي في - الحال بين الفردية والجوهر إنما هي الماهية المشتركة العرية من الروح التي انقطعت عن كونها جوهر الأفراد الذي يعدم الوعي - بالذات، وحيث<sup>(23)</sup> يصلح أولئك الأفراد حينئذ بحسب الكون - لذاته العيني الذي يتم لهم كأنهم ماهيات ذاتية وجواهر. والكلّي المبتوث في ذرات الأفراد المتكثرين على الإطلاق، هذا الروح الميت، إنما هو المساواة حيث يصلح الكل كواحد، أي كأشخاص. - وما كان سُمّي في العالم الذي للإتيقية القانون الإلهي الخفي قد خرج بالفعل من باطنه إلى الحقيق، وفي ذلك العالم لم يك الفرد حاقاً ولم يكن يصلح إلا من جهة ما هو دم العائلة الكلّي؛ فهو من جهة ما هو هذا الفردي بعينه إنما كان الروح المتصرّم والعماري من الهو؛ أما الآن فقد نجم من لاحقيقه. ولما لم يكن الجوهر الإتيقي إلا الروح الصادق، فالفردي إنما يؤوب لهذه العلة إلى الإيقان من ذاته؛ وهذا الفردي إنما يكون ذلك الجوهر الإتيقي من حيث إن الجوهر الإتيقي هو الكلّي الموجب، لكن حقيقه إنما هو أن يكون الهو الكلّي السالب. - لقد رأينا القوى والأشكال التي للعالم الإتيقي وهي تدثر في الضرورة البسيطة التي للقدر الخاوي. وهذه القوة التي له إنما هي الجوهر الذي يتفكر ذاته على بساطته؛ لكن الماهية المطلقة المتفكرة في ذاتها، هذه الضرورة التي للقدر الخاوي، ليست شيئاً غير الأنا الذي للوعي - بالذات.

بهذا المعنى فإنّ هذا الأنا يصلح مُذاك كأنه الماهية الكائنة في ذاتها ولذاتها؛ وهذا الكون المعترف به (Dieses Anerkanntsein) إنما هو الجوهرية التي للأنا؛ لكن هذه الجوهرية إنما هي الكلية المجردة، لأنّ مضمونها هو هذا الهو الصلّب، لا الهو المتحلل في الجوهر.

(23) أي في الوحدة الكلية.

إذاً الشخصيةً قد خرجت هاهنا على الحياة التي للجوهر الإتيقي؛ إنها قيمومة الوعي الصالحة على نحو حاق. والفكرة اللاحاقة لعين القيمومة والتي تصير إلى الذات بالتلقّت عن الحقيقي، إنّما قد عرضت سابقاً كوعي - بالذات رواقّي؛ ومثلما [317] كان هذا الوعي - بالذات الرواقّي صدر عن الرياسة والخدمة كأنه الكيان في - الحال الذي للوعي - بالذات، كذلك تصدر الشخصية عن الروح الذي في - الحال الذي يكون الإرادة الكلية التي ترأس الجميع، فيكون أيضاً الخضوع الخدم (Ihr dienender Gehorsam) الذي لهم. والذي لم يكن الفي - ذاته (Das Ansich) في نظر الرواقية إلا في التجريد، إنّما يكون الآن عالماً حاقاً؛ فالرواقية ليست إلا الوعي الذي يذهب بالمبدأ الذي لحالة الحق والقيمومة العرية من الروح إلى صورته المجردة؛ فهي لم تكن بلغت بإدبارها خارج الحقيقي إلا فكرة القيمومة الذاتية؛ فالوعي إنّما يكون فيها لذاته على الإطلاق من حيث إنه لا يربط ماهيته بأيما كيان، بل يتلقّت عن كلّ كيان، ويضع ماهيته في الوحدة التي للتفكير المحض وحدها. والشاكلة نفسها لا يكون حق الشخص مربوطاً لا بكيان أكثر غنى ونفوداً للفرد بما هو كذلك، ولا أيضاً بروح حيّ وكلّي، بل بالأحرى بالواحد الخالص الذي لحقيقه المجرد، أو بالواحد من حيث هو بالجملة وعي - بالذات.

[II. عرضية الشخص] - كما كانت القيمومة المجردة التي للرواقية عرضت تحقّق الشخصية، كذلك الآن ستعيد هذه الأخيرة<sup>(24)</sup> الحركة التي للقيمومة المجردة الأولى. وتلك القيمومة المجردة إنّما تمرّ في التحير الرئبي للوعي، وفي أباطيل السلبّي التي تتيه عريّة من الشكل، فتضلّ من عرضية الكيان والفكرة إلى عرضية أخرى، ولا ريب أنّها إنّما تحلّها في القيمومة المطلقة،

(24) يعني القيمومة التي للحق.

لكنّها تنسُلُ مثلها من جديد، فلا تكون بالفعل إلا التناقض بين قيمومة الوعي ولاقيُمومتيه. - كذلك القيمومة الشخصية للحق<sup>(25)</sup> تكون في الأكثر هذا التحير الكلي المتساوي والتحلل المتبادل. وما يجري مجرى الماهية المطلقة إنما هو الوعي - بالذات بما هو الواحد الخاوي والمحض الذي للشخص. وللجوهر حيال هذه الكلية الخاوية صورة الامتلاء والمضمون، أما هذا المضمون فيُتْرَك الآن وشأنه تماماً وبلا انتظام؛ لأنّ الروح لم يعد حاضراً حتى يُخضعه، فيُمسك بجمعه في هذه الوحدة. - لذلك هذا الواحد الخاوي للشخص إنما يكون في واقعه كياناً عرضياً وحراكاً وفعلاً عاريين من الماهية لا يستقران على حال. إذا صورته الحق مثلها مثل الربية إنما تكون بحسب مفهومها بلا مضمون خاص، فتجد بين يديها قواماً متكثرأ، أعني التملك، فتطبعه - مثلما فعلت الربية - بالكلية المجردة نفسها التي من خلالها يُسمى ملكية. لكن إذا كان الحقيق المتعين على هذا النحو في الربية يُسمى بالجملة ظاهراً، فلا تكون له إلا قيمة سلبية، فإنّ هذا الحقيق تكون له في الحق قيمة إيجابية. وتلك القيمة السلبية إنما ترجع إلى أنّ للحاق دلالة الهو من جهة ما هو تفكير، أي الكلي الذي في - ذاته، في حين ترجع هذه الإيجابية إلى كون الحقيق حقيقي (Mein) على معنى المقولة، ومن جهة ما هو صلاحية حاقّة ومعترف بها. والقيمتان كلاتهما هما عين الكلي المجرد؛ أما المضمون الحاق أو تعيّن اللّي (Des Meinen) - سواء تعلق الأمر الآن بملك براني أو أيضاً بغنى أو فقر جواني للروح وللطبع - فلا يكون متضمناً في هذه الصورة الخاوية ولا شأن له بها. وهذا المضمون إنما يرجع إذاً إلى قوّة خاصة غير الكلي الذي على نحو صوري، وهي المصادفة والاعتباط. - ولذلك فالوعي الذي للحق إنما يتعنى في

[318]

(25) في معناه الحقوقي.

الأكثر في صلاحه الحاق نفسه حُسرانَ واقعه ولا ماهيته التامة، أما الإشارة إلى فردٍ على أنه شخصٌ فإنما هي عبارة الاحتقار.

[III. الشخص المجرد، سيد العالم] - إن القدرة الحرة

للمضمون تتعين على نحو أن الشتات في الكثرة المطلقة التي للذرات الشخصية يُجمع في الآن نفسه من حيث طبيعة هذه التعينية في نكتة واحدة عرية من الروح تكون غريبة عن تلك الذرات، فهي من ناحية حقيق عيني محض يعدل صلابة الشخصية التي للذرات، لكن تكون لهذه النكتة بالنسبة إلى هذه الذرات وضد عينيها الخاوية دلالة كل مضمون، فتكون لها بذلك دلالة الماهية الواقعة، فهذه النكتة إنما هي الاقتدار الكلي والحقيق المطلق ضد حقيق الذرات الشخصية المظنون فيه أنه مطلق والذي يعرى في ذاته من الماهية. ورئيس العالم هذا إنما يكون لنفسه على هذا النحو الشخص المطلق الذي يحيط - في الوقت نفسه - في ذاته بكل كيان، وهو الذي لا يوجد بالنسبة إلى وعيه أي روح أعلى. وهذا الرئيس إنما يكون شخصاً؛ لكنه شخص متوحد يواجه الجميع؛ وهذا الجمع هو ما يمثل الكلية الصالحة التي للشخص، لأن الفردي بما هو كذلك ليس صادقاً إلا من جهة ما هو كثرة كلية للفردية، وهو المتوحد إذ يفرد من هذه الكثرة، إنما يكون في واقع الأمر هو غير الحاق والعري من القوة. - إنه في الوقت نفسه الوعي بالمضمون الذي واجه تلك الشخصية الكلية. لكن هذا المضمون إذ يُحرر من قدرته السلبية، إنما يكون شواش القدرات [319] الروحية التي تتدافع أياً هيجانها كماهيات أولانية الواحدة منها ضد الأخرى في إفراط وحشي وبشكل مسعور وهدام؛ أما وعيها - بالذات العاري من القوة فإنما هو المحيط العاري من القدرة والأرضية اللذين لجلبتها. إن رئيس العالم ذاك إذ يعرف نفسه من حيث هو لب مفهوم<sup>(26)</sup> القدرات الحاقاً جميعها، إنما يكون الوعي -

Der Inbegriff (26)، قارن: العقل، الهامش رقم (76) ص 441 من هذا



بالذات المَسِيحَ (Das ungeheure Selbstbewußtsein) الذي يعلم من نفسه أنه الربُّ الحاقُّ؛ لكن من حيث لا يكون إلا الهو الصوريُّ الذي لا يسعه أن يروِّضَ تلك القدرات، فإنَّ حرَّكته والتَّذادَه يكونان كذلك جَلْبَةً ممسوخةً.

إنَّ رئيس العالم يكون له الوعيُّ الحاقُّ بما هو كما بالقدرة الكلِّية التي للحقيق، وذلك إنَّما يتمُّ له في العنف الهدَّام الذي يستعمله ضدَّ الهو الذي لرعاياه والذي يواجهه. وسطوةً رئيس العالم هذا ليست من قبيل وحدة الرُّوح الجامعة حيثُ يعترف الأشخاصُ ووعيهم بذواتهم الخاصَّ، بل هؤلاء من حيث هم أشخاصٌ إنَّما يكونون في الأكثر لذواتهم، فيصدِّون الاتصال مع الآخرين خارج الصلابة المطلقة التي لنكَّتَهم (Ihrer Punctualität)؛ فلا يكونون إذًا إلا على علاقة نافية فيما بينهم كما في صلَّتَهم برئيس العالم، وهو الذي يكون رباطهم أو اتَّصالهم. ورئيس العالم من حيث هو هذا الاتصال يكون الماهية ومضمون صورانيتهم؛ لكنَّه مضمونٌ غريب عنهم وماهيةٌ معاديةٌ تنسخ بالأحرى مباشرةً هذا الذي هو صالحٌ بالنسبة إليهم كماهيتهم، أي الكونَ - لذاته الخالي من المضمون؛ - أمَّا من حيث هو اتَّصال شخصيتهم فهو إنَّما يقوِّض حالاً هذه الشخصيّة. وعليه فإنَّ الشخصيّة الحقيقية إنَّما تتعنى في الأكثر ارتفاعَ الجوهر عنها من حيث إنَّ المضمون الغريب عنها يجعل من نفسه صالحاً فيها، وهو يفعل ذلك فيهم لأنَّه واقعهم. والحفرُ الهدَّامُ في هذه الأرض العرية من الماهية إنَّما يهب نفسه على العكس الوعيِّ بأستحكامه (Seiner Allherrschaft)، لكن هذا الهُوَ إنَّما هو الخرابُ البسيطُ، لذلك لا يكون إلا خارج ذاته، فهو في الأكثر طرحٌ لوعيه - بالذات.

كذلك تكون صفةُ الجانب الذي يكون فيه الوعيُّ - بالذات بما هو ماهيةٌ مطلقة، حاقاً. ولكنَّ الوعيُّ المطرودُ إلى ذاته اتِّقاءً لهذا الحقيق إنَّما يتفكَّر هذه اللاأيسية التي له؛ ولقد كنَّا رأينا

أعلاه القيمومة الرواقية التي للتفكير المحض تعبر بالرؤية لتجد حقيقتها في الوعي الشقي، وهي حقيقة الكيفية التي لها في كونها [320] في ذاتها ولذاتها. وإذا كانت هذه المعرفة لم تظهر آنذاك إلا كزاوية النظر الأحادية التي للوعي بما هي زاوية نظر وعي، ففي هذا الموضوع إنما تمثل الحقيقة الحاققة التي لزاوية النظر تلك. وهذه الحقيقة تتمثل في أن هذا الصلاح الكلي للوعي - بالذات إنما هو الواقع المغترب بالنسبة إليه. وهذا الصلاح إنما هو الحقيق الكلي الذي للهو، لكن هذا إنما هو في - الحال الانقلاب أيضاً، فهو خسران الماهية التي لهذا الهو. - فحقيق الهو غير الحاضر في العالم الإتيقي إنما قد حصل بواسطة أيلولته إلى الشخص، وما كان في هذا العالم اتحاداً ووفقاً إنما يهل الآن يافعاً نامياً، لكن كمغترب عن ذاته.

## II. الروح المغترب ذاتياً؛ الثقافة

إن الجوهر الإتيقي كان استفاد التقابل متضمناً في الوعي البسيط الذي له، وكان كسبه في وحدة حالية مع ماهيته. ولهذه العلة تكون للماهية التعيينية البسيطة التي للكينونة بالنسبة إلى الوعي الذي يقصدها في - الحال، والإتوس الذي لهذا الوعي إنما كان تلك الماهية؛ فلا الوعي يجري لنفسه مجرى هذا الهو الصاد، ولا الجوهر له دلالة كيانٍ مصدودٍ عن الهو، ما كان ليستوضع وإياه ذاته إلا عبر تغريب ذاته كان يكون لا بد له في الوقت نفسه أن ينتج. لكن مثل هذا الروح الذي يكون الهو الذي له المنفصل المطلق إنما يستوجه (Sich gegenüber haben) مضمونه كحقيق يكون هو بدوره غليظاً، أما العالم فيكون له هاهنا تعيين كونه شيئاً برانياً، السلبي الذي للوعي - بالذات. لكن هذا العالم ماهية روحية، وهو في ذاته تناقض الكينونة والفردية؛ وهذا الكيان الذي له إنما هو أثر الوعي - بالذات؛ لكنه أيضاً حقيق غريب عن

الوعي - بالذات ومائلٌ في - الحال، فهو الحقيق الذي له كينونة خاصةٌ وحيث لا يَعْتَرِفُ الوعي - بالذاتِ نفسَه. وهذا الحقيقُ إنّما هو الماهيةُ البرانيةُ والمضمون الحرُّ الذي للحقّ؛ لكنّ هذا الحقيقَ البرانيّ الذي يلمُّ به رئيسُ العالمِ الحقوقيّ في دخيلته لا يكون فقط هذه الماهيةُ الأولائيّةُ الحاضرةُ عرضياً بالنسبة إلى الهُو، بل هذا الحقيقُ هو عمله، لكنّه ليس عمله الإيجابي، بل بالأحرى عمله السلبي. والحقيق إنّما يحصلُ كيانَه عبر الاختراع الخاصّ بالوعي - بالذات وأنصرام الماهية<sup>(27)</sup> الذي يظهر ذلك الوعي أنّه يتكبّده من جرّاء العنفِ البرانيّ للعناصر الهائجة في الخراب الذي يسود عالمِ الحقّ. وهذه العناصر الهائجة إذا اعتُبرتْ لذاتها، لا تكون إلاّ التخريبُ المحض والتحلُّل الذي لها هي نفسها؛ لكنّ هذا التحلُّل، هذه الماهية السلبية التي لها، إنّما هو على التدقيق الهُو؛ وهذا الهُو إنّما هو الذات/ الحامل التي لها وصنيعها وصيوروتها. أمّا هذا الصنيعُ وهذه الصيرورةُ اللذان يتصيرُ بهما الجوهرُ حاقاً فإنّما هما أغترابُ الشخصية، لأنّ الهُو الصالح في - ذاته ولذاته وفي - الحال، أعني الذي بلا اغترابٍ، إنّما يعدمُ الجوهرَ، إنّ هو إلاّ لعبةٌ تلك العناصر الصاخبة؛ فجوهره إنّما هو اختراجه ذاته، والاختراعُ هو الجوهر، أو: هو القوى الروحية المنتظمة إلى عالمٍ والقائمةُ برأسها من خلال ذلك.

والجوهرُ من هذا الوجه إنّما يكون روحاً، أعني وحدةً واعية - بذاتها بين الهُو والماهية، لكن تكون لكليهما أيضاً دلالةُ الاغترابِ الواحدُ منهما بالنسبة إلى الآخر. والروح إنّما هو وعي حقيقٍ موضوعيٍّ وحرٌّ ولذاته؛ لكنّ هذا الوعي تواجهُه تلك الوحدةُ بين الهُو والماهية، والوعي الحاقٌ إنّما يواجهه الوعي المحض. فمن

Die Entwesung (27) : خسران الماهية وتصرّمها اللذان من الباطن، وليس

قسراً متأتياً من الخارج.

ناحية يمرّ الوعي - بالذات الحاقاً بمعيّة اختراجه في العالم الحاقاً، ويؤوب هذا إلى ذاك؛ لكن من ناحية أخرى ذلك الحقيق والشخص كما الموضوعيّة إنّما تمثّل على التدقيق ما قد نُسخ؛ فهي كلّها كليّات خالصة. وهذا الاغتراب الذي لها هو الوعي المحض أو الماهيّة. أمّا الحاضر فيكون له في - الحال ضدّه في الأخرويّ الذي هو تفكيره وكونه المفتكر؛ مثلما يكون لهذا الأخرويّ ضدّه في الدنيويّ الذي هو حقيقه المغترب عنه.

لذلك فهذا الرّوح لا يكوّن لنفسه عالماً واحداً وحسب، بل عالماً مضاعفاً ومنفصلاً ومتضاداً. - وعالم الرّوح الإتيقيّ إنّما هو الحاضر الخاصّ بذلك الرّوح، ولهذه العلة تكون كلّ قوّة لهذا العالم ضمن تلك الوحدة، ومن حيث إنّ القوتين تختلفان تكونان في التوازن مع الكلّ، فلا شيء له دلالة السلبّيّ الذي للوعي - بالذات؛ ووحده الرّوح المتصرّم يكون حاضراً في دم القرابة وفي الهو الذي للعائلة، والسلطان الكلّيّ الذي للحكومة إنّما هو الإرادة، الهو الذي للشعب. أمّا في هذا الموضع فلا يدلّ الحاضر إلّا على الحقيق الموضوعيّ الذي يكون له وعيه في الأخرويّ؛ وكلّ لحظة فرديّة من جهة أنّها ماهيّة إنّما تستفيد هذه الماهيّة والحقيق من لدن مغاير، ولما تكون تلك اللحظة حاقة فإنّ ماهيتها تغاير حقيقها. ولا شيء له في حدّ ذاته روح متأسّس ومحايث، بل كلّ شيء يكون خارج ذاته في غريب، - فليس توازن الكلّ الوحدة الدائمة قرب ذاتها وطمأنينتها الراجعة في ذاتها، بل توازن يقوم على اغتراب المتضادات. ولذلك فالكلّ مثله مثل أيّ لحظة فرديّة إنّما هو واقع مغترب عن ذاته؛ فينشقّ إلى ملكوت حيث يكون الوعي - بالذات حاقاً، هو كمثل موضوعه، وإلى ملكوت مغاير، هو ملكوت الوعي المحض ليس له من حاضر حاقّ فوق الملكوت الأوّل، بل يكوّن في الإيمان. أمّا الآن فكما يؤوب العالم الإتيقيّ من انفصال القانون الإلهيّ والإنسانيّ

ومن أشكاله<sup>(28)</sup>، فيؤوب وعيه من الانفصال في المعرفة وفي ارتفاع الوعي إلى القدر الذي له، إلى الهو من حيث هو القدرة السلبية التي لهذا التقابل، كذلك سيؤوب أيضاً هذان الملكوتان كلاهما اللذان للروح المغترب عن ذاته إلى الهو؛ لكن إذا كان ذلك هو الهو الأول الصالح في - الحال، أعني الشخص الفردي، فإن هذا الثاني الذي آل إلى ذاته من اختراجه سيكون الهو الكلي، أعني الوعي الذي يلمّ بالمفهوم؛ وهذه العوالم الروحية التي تثبت كل لحظاتها أنها حقيقاً راسخ وقوام غير روحي إنما ستتحلل في التعقل المحض. وهذا التعقل هو الذي يُتمّ الثقافة من حيث هو الهو الملمّ بذاته؛ وهو لا يحيط بشيء سوى الهو، وبكل شيء كأنه الهو، أي إنه يفهم كل شيء، فيبطل كل موضوعية ويحوّل كل كون - في - ذاته إلى كون - لذاته؛ فالتعقل إذ ينقلب ضد الإيمان من حيث هو ملكوت الماهية الغريب الذي يقع في الأخرى، إنما هو الأنوار. وهذه إنما تكمل الاغتراب في هذا الملكوت أيضاً حيث ينجو الروح المغترب بنفسه كأن في وعي السكون المساوي لذاته؛ إنها تفسد عليه تدبير البيت الذي يحكمه هاهنا من حيث إنها تدخل عليه الأدوات التي للعالم التحتي والتي لا وسع له بتكذيب كونها مُلكه، لأن وعيه ينتسب كذلك إلى هذا العالم. - فالتعقل المحض إنما يتحقق في الوقت نفسه ضمن هذا الانشغال السلبي، وينتج موضوعه الخاص، أي الماهية المطلقة واللامعروفة والنافع. وما دام الحقيق [323] قد خسر من هذا الوجه كل جوهرية فلا شيء فيه يظل في ذاته، فإن ملكوت العالم الفعلي، مثله مثل ملكوت الإيمان، إنما قد تقوض، وهذه الثورة تنتج الحرية المطلقة التي بمعيتها يكون الروح المغترب سابقاً قد أتمّ أوبته إلى ذاته، فيهجر موطن الثقافة ليمر في موطن آخر، أي في موطن الوعي الأخلاقي.

(28) يعني الأشكال التي للانفصال.

## 1. عالم الرّوح المغترب ذاتياً

إنّ العالم الذي لهذا الرّوح يتحلّل في عالم مضاعف؛ فأما الأوّل فهو عالم الحقيق أو عالم اغتراب الرّوح نفسه، وأما الآخر فالعالم الذي استشاده، إذ ارتفع على العالم الأوّل، في أثير الوعي المحض. لذلك هذا العالم المتضادّ مع ذلك الاغتراب لا يكون على التدقيق في حلّ منه<sup>(29)</sup>، وإتما هو في الأكثر الصورة الأخرى للاغتراب التي تتمثل على الحصر في أن يكون له الوعي في عالمين من جنسين اثنين ويحيط بكليهما. وعليه فليس الوعي - بالذات الذي للماهية المطلقة كما هو في - ذاته ولذاته، وليس الدين ما سنتعقب هاهنا، بل الإيمان من حيث إنّه الإِدبار من أمام العالم الحقيق، إذاً من حيث إنّه ليس في - ذاته ولذاته. لذلك فإنّ هذا الإِدبار من ملكوت الحاضر هو في حدّ ذاته في - الحال إدبار مضاعف، فالوعي المحض إتما هو العنصر الذي يرتفع فيه الرّوح؛ لكنّه ليس عنصر الإيمان وحسب، بل هو كذلك عنصر المفهوم؛ ولهذه العلة يهلّ كلاهما متآيين، والإيمان لا يدخل في الاعتبار إلّا في التضادّ مع المفهوم.

### أ. الثقافة وملكوت الحقيق

إنّ روح هذا العالم إتما هو الماهية الرّوحية المتنفّذة (Durchdrungne) بوعي - بالذات يعلم نفسه كهذا الوعي - بالذات الحاضر في - الحال والكائن لذاته، ويعلم أنّ الماهية حقيقّ يواجهه. ولكنّ الكيان الذي لهذا العالم، مثله مثل حقيق الوعي - بالذات، إتما يقوم على الحركة التي بحسبها يخرج هذا الوعي - بالذات من حيث يخلع عنه شخصيته، فينتج بذلك عالمه، [324] ويسلك ضده كأنّ بإزاء عالم غريب على نحو أنّه يسعى مذكاً إلى

(29) أي في حلّ من الاغتراب.

الاستحكام فيه. لكنّ التخلّي عن الكون - لذاته الذي للوعي - بالذات هو نفسه نجمُ الحقيق، وإنّه لَبِه يتنفذ في - الحال عينِ الحقيق. - أو: ليس الوعي - بالذات إلا شيئاً ما، وليس له واقعٌ إلا من حيث إنّه هو نفسه يغترب ذاتياً؛ وبذلك فهو إنّما يستوضع ذاته ككليّ، وهذه الكليّة التي له إنّما هي صلاحه وحقيقه. ولذلك فمضاهاة الجميع ليست ذلك التساوي الحقوقيّ، وليس هذا الكون المعترف به وهذا الصلاح اللذان يكونان في - الحال للوعي - بالذات لعلّة أنّه يكون؛ بل أن يصلح الوعي - بالذات، فذلك يرجع إلى أنّه جعل من نفسه طبقاً للكليّ عبر التوسيط المغرّب. والكليّة العريّة من الرّوح التي للحق إنّما تحتل في حدّ ذاتها كلّ وجه طبيعيّ للطبع كما للكيان وتبرّره، لكنّ الكليّة التي تصلح هاهنا إنّما هي الكليّة الصائرة، لذلك هي حاقة.

[I]. الثقافة بما هي تخارج الكينونة الطبيعيّة] - وعليه فإنّ ما به يكون للفرد هاهنا صلاحٌ وحقيقٌ إنّما هو الثقافة. فطبيعته الأصليّة وجوهره الصادقان إنّما هما الرّوح الذي لاغتراب الكينونة الطبيعيّة. ولذلك فإنّ هذا الاختراج هو على التدقيق غاية عين الفرد بقدر ما هو كيانه؛ وهو في الوقت نفسه الوسيلة أو تمارُّ الجوهر المفتكر إلى الحقيق بقدر ما هو بالعكس تمارُّ الفرديّة المتعيّنة إلى الأيسية. وهذه الفرديّة تثقف ذاتها حتّى تبلغ ما هي في - ذاتها، فهي لا تكون في ذاتها ولا يستقيم لها كيانٌ حاقٌ إلاّ بذلك؛ وعلى قدر ما تتزيد تكويناً وثقافةً، يكون لها حقيقٌ وقدرة. ومع أنّ الهو يعلم هاهنا أنّه حاقٌ كهذا الهو بعينه، فإنّ حقيقه إنّما يقوم على نسخ الهو الطبيعيّ وحده؛ لذلك فإنّ الطبيعة المتعيّنة أصلياً إنّما ترتدّ إلى اختلاف العظم غير الجوهريّ، وإلى طاقة أكبر أو أصغر للإرادة. ولكنّ غاية عين الإرادة ومضمونها لا ينتميان إلاّ إلى الجوهر الكليّ ذاته، ولا يمكنهما أن يكونا إلاّ كليّاً؛ وجزئيةً طبيعة ما التي تصير غاية ومضموناً إنّما تكون شيئاً

غير قادرٍ وغير حاقٍ؛ إنَّها نحوُ (Eine Art) يجاهد عبثاً وبشكل مضحك حتَّى يضع نفسه في الأثر؛ فالنحو تناقضٌ من حيث إنَّه يهب الجزئيَّ الحقيقي الذي هو في - الحال الكلِّي. لذلك إذا وُضعت الفردية من وجهٍ باطل في الجزئية التي للطبيعة والطبع، 325] فإنَّه لا وجود في العالم الواقع للفرديات والطبائع، بل يكون للأفراد كيانٌ متساوٍ في ما بينهم؛ وهذه الفردية المظنون فيها ليست على التدقيق إلَّا الكيان الذي فيه رأيٌ، وهو الذي لا بقاء له في هذا العالم حيث لا يحمل الحقيقي إلَّا المتخارجُ بذاته، إذًا الكلِّي وحسب. - ولذلك فالمظنون فيه (Das Gemeinte) إنَّما يوافق ما هو ذلك الكيان، ويجري مجرى نحو ما. وليس النحو (Art) مطابقاً لما هو Espèce<sup>(30)</sup> - نوعٌ «كلُّ الكُنَيَات الأكثر رُبْعاً، لأنَّه يفيد السطحية ويعبّر عن أعلى درجات الاحتقار»<sup>(31)</sup>. لكنَّ «Art» و«in seiner Art gut sein»<sup>(32)</sup> عبارةٌ ألمانيةٌ تضيف إلى تلك الدلالة السيمة المفتخرة، كأنَّ النيةَ لم تك على هذه الدرجة من القبح، أو ما زالت لا تتضمَّن في حدِّ ذاتها - في واقع الأمر - الوعي بما هو النحو ولا بما هي الثقافة ولا بما هو الحقيقي.

أمَّا في ما يتعلَّق بالفرد العين، فالذي يظَّهر من جهة ما هو ثقافته إنَّما هو اللَّحظة المهمَّة للجوهر ذاته، أعني المرور في - الحال لكلَّيته المفتكِّرة في الحقيقي، أو النفس البسيطة لعين الحقيقي التي بها يصبحُ ألفي - ذاته معترفاً به وكياناً. لذلك حركةُ الفردية التي تتكوَّن وتتشكَّف (Sich bildenden) إنَّما هي في - الحال

(30) كُتِبَتْ بالفرنسية في النصِّ الألماني.

(31) انظر ص 114-115 من: Denis Diderot, *Le Neveu de Rameau* (Paris: Flammarion, 1983),

«C'est ce que nous appelons des espèces, de toutes les épithètes la plus redoutable, parce qu'elle marque la médiocrité, et le dernier degré du mépris. Un grand vaurien est un grand vaurien, mais n'est point une espèce.»

(32) أن يكون المرء على جبلته/ سليلته بما هي نحوه في الكون.



صيرورتها من جهة ما هي ماهية موضوعية وكلية، أي صيرورة العالم الحاق. ومع أنّ هذا العالم قد صار بواسطة الفردية، فإنه يكون بالنسبة إلى الوعي - بالذات غريباً في - الحال، وتكون له في نظر هذا الوعي صورة الحقيق غير المختل (Unverrückter). أما الوعي - بالذات فيقوم إذ يوقن من أنّ هذا العالم جوهره، إلى التنفّذ من عين الجوهر؛ فهو إنّما يبلغ هذا الإستحكام فيه عبر الثقافة التي تظهر من هذا الجانب كأنّ الوعي - بالذات يسمي طبق الحقيق ما سنحت له طاقة الطباع الأصلي والموهبة بذلك. وما يظهر في هذا الموضع كأنه عنف الفرد كان يكون الجوهر حاصلًا تحته، فكان يكون عندئذ نسخ، إنّما هو عين ما هو التحقق الذي لهذا الجوهر. وسطوة الفرد إنّما ترجع إلى كونه يجعل من نفسه طبق الجوهر، أعني أنه يتخارج على الهو الذي له، فيستوضع ذاته إذا كانت جوهر كائن وموضوعي. لذلك ثقافته وحقيقه الخاص إنّما هما تحقق الجوهر ذاته.

[326] 1. الحسن والقبيح، سلطة الدولة والثروة] - إنّ الهو لا يكون لنفسه حاقاً إلا من حيث يُنسخ. ولذلك فهو لا يأتي لأجل نفسه الوحده بين الوعي الذي لذاته وبين الموضوع؛ بل هذا الموضوع يكون في نظره منافياً له. - وعليه فالجوهر إنّما يتكوّن ضمن لحظاته بمعية ذلك الهو من جهة ما هو النفس، على نحو أنّ المتضادّ ينفخ في الآخر من روحه، فيهب كل واحد من المتضادات عبر اغترابه الآخر قواماً، ثم يستوهبه كذلك منه. وفي الوقت نفسه فإن لكل لحظة حيال الأخرى تعينية كصلاح لا يقهر وحقيق راسخ. والتفكير إنّما يثبت هذا الاختلاف على الطريقة الأكثر كلية عبر التضادّ بين الحسن والقبيح (Gut und Schlecht) اللذين لا يتصيران - إذ يدبران - سيئين بأي شكل من الأشكال. لكنّ هذه الكينونة الراسخة إنّما يكون لها المرور في - الحال في المتضادّ نفساً؛ والكيان إنّما يكون بالأخرى انقلاب كل تعينية إلى

ضدّها، ووحده هذا الاغترابُ هو الماهية والحفظ اللذان للكلّ. والذي ينبغي تعقب الفحص عنه الآن هو هذه الحركة وهذا التنفس المحقّقان للحظات؛ فالاغتراب ذاته سيغترب، والكلّ سيؤول بواسطته إلى المفهوم الذي له.

ما يجب تفحصه أولاً هو الجوهر البسيط ذاته في التنظيم الحاليّ للحظاته الكائنة وغير المتنفّسة بعدد. - ومثلما تنبسط (Auslegen) الطبيعة بنفسها في الأسطقسات الكلّية، ومنها الهواء وهو الماهية الباقية والكلّية بشكل محض والشفيفة، - أمّا الماء فهو الماهية التي تُقدّم دوماً قرباناً، - والنار بما هي وحدة الأسطقسات المنفّسة (Beseelende) التي تحلّ دوماً تقابلها كما تضاعف فيه بساطتها، - وأخيراً التراب الذي هو العقدة الراسخة لهذا التمثيل والذات/ الحامل لهذه الماهية كما لمسراها، ولخروجها كما لإيابها، - كذلك تنبسط بنفسها الماهية الباطنة أو ينبسط بنفسه الروح البسيط للحقيق الواعي - بذاته كعالم في الكتل الكلّية نفسها، لكنّها كتلٌ روحية، - في الكتلة الأولى، أي الكلّي في ذاته، والماهية الروحية المساوية لذاتها، - وفي الكتلة الأخرى، أي الماهية الكائنة لذاتها والتي صارت لامتساوية في ذاتها والمضحية بنفسها والواهبة نفسها، وفي الماهية الثالثة التي هي الذات/ الحامل كوعي - بالذات، وتنطوي في - الحال على قوّة النار؛ - فأمّا في الماهية الأولى فالوعي - بالذات يكون واعياً بنفسه من جهة ما هو كونٌ - في - ذاته؛ وأمّا في الثانية فتكون بها صيرورة الكون - لذاته عبر التضحية بالكلّي. أمّا الروح ذاته فإنّما هو الكون في - ذاته ولذاته الذي للكلّ، وهذا الكون إنّما ينقسم إلى الجوهر من حيث هو الباقي، والجوهر من حيث يضحى بنفسه، مثلما يسترجع الجوهر مرّة أخرى في الوحدة التي له، كأنه الشعلة التي تلتهب وتلتهم هذا الجوهر والشكل الباقي الذي لعين الجوهر. - وإنّا نرى أنّ هذه الماهيات تناظر الماهية المشتركة

والعائلة التي للعالم الإتيقي من دون أن تملك مع ذلك الرّوح المتوّطن الذي لتلك؛ لكن إذا كان هذا الرّوح غريباً عن القدر، فالوعي - بالذات إنّما يعلم ها هنا كونه القدرة الحاقّة التي لعين تلك الماهيات.

ينبغي تفحص هذه الأطراف كما تُصوّرت بادئ ذي بدء داخل الوعي المحض كأفكار أو كماهيات كائنة - في - ذاتها، وكذلك كما تُصوّرت في الوعي الحاقّ كماهيات موضوعية. - فالماهية الأولى بما هي المساوية بذاتها لذاتها والتي تكون في - الحال وثابتة ولكلّ وعي، إنّما تكون على هذه الصورة من البساطة الحسن، - قدرة الفي - ذاته الرّوحية والقائمة برأسها؛ أمّا الحركة التي للوعي الكائن - لذاته فلا تكون عندها إلّا تلعب جوار (Beiherspielt). وأمّا الأخرى فهي على العكس من ذلك الماهية الطيبة، أو الكلّي ما دام يُنْعَطي بلا ثمن ويترك الأفراد يسترقون منه الوعي بعينيتهم؛ إنّها الماهية المتليسة (Das nichtige Wesen، أي القبيح. - وهذا الاستحلال<sup>(33)</sup> المطلق الذي للماهية يكون هو نفسه الباقي؛ وكما تكون الماهية الأولى عماد الأفراد ومبتدأهم ونتيجتهم، وفي ذلك يكون هؤلاء محض كليين، تكون الثانية - بالعكس - من ناحية الكون لأجل مغاير الذي يضحّي بنفسه، أمّا من ناحية أخرى فتكون على التدقيق لهذا السبب أيلولة الأفراد الدائمة إلى الذات من جهة ما هي فردي، وصيرورتهم لذواتهم (Das Fürsichwerden) الباقية.

لكنّ هذه الأفكار البسيطة للحسن والقبيح تكون أيضاً في - الحال مغتربة ذاتياً؛ فهي حاقّة، وتكون عند الوعي الحاقّ كأنها لحظات موضوعية. كذا تكون الماهية الأولى سلطة الدولة، أمّا الثانية فهي الثروة (Der Reichtum). - وكما يكون الجوهر

(33) الاستحالة متحللاً ومنفكاً (Das Aufgelöstwerden).

البيسط، تكون سلطة الدولة كذلك الأثر الكليّ، أي رأس الأمر المطلق حيث تُقال للأفراد ماهيتهم، وأين لا تكون الفردية التي لهم سوى الوعي بكليتهم؛ - وسلطة الدولة هي كذلك الأثر والنتاج البسيط الذي منه يزول كون هذا الأثر حاصلًا عن صنيعهم؛ فالأثر يظلّ العماد المطلق والقوام الذي لسار صنيعهم. - [328] هذا الجوهر الأثريّ البسيط الذي لحياتهم إنّما هو من حيث هذا التعيين الذي لمساواتهم الدائمة ذواتهم، كينونة، وبذلك كينونة لأجل آخر وحسب. وعليه فهذا الجوهر إنّما يكون في ذاته وفي - الحال ضدّ ذاته، أي الثروة. ومع أنّ الثروة تكون بالفعل الطبع والمنفعِل أو المنعِدِم فإنّها كذلك ماهيةً روحيةً كليّة، وهي كذلك النتاج الصائر دوماً لعمل وصنيع الجميع، مثلما تتحلّل تلك الماهية مرّةً أخرى في متعة الجميع. وبحقّ ما تصير الفردية في المتعة لذاتها أو كفردية؛ لكنّ هذه المتعة ذاتها إنّما تكون نتاج الصنيع الكليّ، مثلما تُنتج في المقابل العمل الكليّ ومتعة الجميع. أمّا الحاقّ فتكون له على الإطلاق الدلالة الروحية أنّه في - الحال كليّ. وكلّ فرديّ يظنّ فعلاً في هذه اللحظة أنّه يمترسُ (Handeln) لصالحه الخاصّ (Eigennützig)؛ لأنّ الأمر يتعلّق باللحظة التي يعطي أثناءها الفرديّ ذاته الوعي بأنّه لذاته، فلا يأخذ اللحظة لهذه العلة مأخذ شأن روحيّ؛ لكن حتّى وإن لم يُنظر فيها إلّا على نحو برّانيّ، فإنّه يتّضح أنّ كلّ واحد في متعته إنّما يعطي الجميع ما يتمتّعون به، وأنّه في عمله كذلك إنّما يعمل للجميع مثلما لذاته، وأنّ الجميع يعملون لأجله. لذلك فإنّ الكون - لذاته الذي لكلّ فرديّ إنّما هو في ذاته كليّ، فلا تكون المصلحة الخاصةً إلّا مظنوناً فيه ليس له أن يبلغ ما يجعل المظنون حاقاً، أعني أن يمترسَ أمراً لا يصلح بالجميع.

[2. حُكم الوعي - بالذات: الوعي النبيل والوعي الوضعي] -  
وعليه فالوعي - بالذات إنّما يعرف في هاتيك القوتين الروحيّتين

جوهره ومضمونه وغايته؛ إنه يحدس في ذلك ماهيته المضاعفة، فأما في الأولى فيحدس كونه - في - ذاته، وأما في الأخرى فيحدس كونه - لذاته. - لكن الوعي - بالذات من حيث إنه الروح إنما يكون في الوقت نفسه الوحدة النافية بين دوام القوتين وبين الفصل بين الفردية والكلي، أو بين الحقيق والهؤ. لذلك الرياسة والثروة إنما تكونان بين أيدي الفرد كموضوعات، أعني هذه التي يعلم أنه في حل منها، فيظن أنه بوسعه أن يختار بينها، بل وبوسعه ألا يختار أيًا منها. والفرد من حيث هو هذا الوعي الحر والمحض يقابل الماهية كمقابلته شيئاً لا يكون إلا بالإضافة إليه. ومن ثمة فإنه يشتمل في حد ذاته على الماهية من جهة ما هي ماهية. - ولحظات الجوهر لا تمثل بالنسبة إلى الفرد في هذا الوعي المحض سلطة الدولة والثروة، بل هي أفكار الحسن والقبیح. - لكن زائداً إلى هذا يكون الوعي - بالذات وصل وعيه المحض بوعيه الحاق ووصل المفكر بالماهية الموضوعية، أي إنه بالجوهر الحكم. - ولقد بان من جانبي الماهية الحاقه عبر تعييناتهما التي في - الحال أي الجانبين هو الحسن وأيهما هو القبیح؛ فذاك هو سلطة الدولة، وهذا هو الثروة. ولكن هذا الحكم الأول لا يمكن أن يُنظر فيه كحكم روحي، فأحد الجانبين يقيد فيه من جهة ما هو الكائن - في - ذاته أو كالموجب وحسب، والآخر يقيد كأنه الكائن - لذاته أو كالسلب وحسب؛ لكنهما من حيث هما ماهيتان روحيتان إنما ينفذ الواحد منهما في اللحظتين كليهما، وليسا هما بالمستنفذين في هذه التعيينات؛ والوعي - بالذات الذي يتصل بهما إنما يكون في ذاته ولذاته؛ فلا بد إذاً أن يتصل هذا الوعي بكل منهما على النحو المضاعف الذي بمعيته ستبين طبيعتهما، وهي أن يكونا لذاتيهما تعين مغربين ذاتياً.

أما الموضوع الذي يكون في نظر الوعي - بالذات حسناً وفي ذاته فهو ذلك الذي يدرك فيه هذا الوعي نفسه؛ وأما

الموضوعُ الذي يكون قبيحاً فهو الذي يُدرك فيه ضده؛ فالحسنُ  
 إنّما هو تساوي الواقع الموضوعي مع الوعي - بالذات، وأما  
 القبيح فهو لاتساويهما. وفي الآن نفسه ما يكون بالنسبة إلى الوعي -  
 بالذات حسناً وقبيحاً يكون في ذاته حسناً وقبيحاً، لأنّ الوعي -  
 بالذات هو على التدقيق ما تهوى فيه هاتان اللحظتان للفي - ذاته  
 وما هو كونٌ في نظره؛ فالوعي - بالذات إنّما هو الرّوح الحاقُ  
 الذي للماهيات الموضوعية، والحكمُ آيةُ سلطانه عليها الذي يفعل  
 بها ما تكون في ذاتها. ومكياُ الماهيات الموضوعية وحقيقتها لا  
 يرجعان إلى النحو الذي تكون عليه في - الحال وفي ذاتها  
 المساوي أو اللامساوي، أعني الكون - في - ذاته أو الكون -  
 لذاته المجردين، وإنّما مكياها وحقيقتها ماذا تكون في صلة الرّوح  
 بها، أي تساويها أو لاتساويها معه. إنّ صلة الرّوح بالماهيات  
 الموضوعية التي وُضعت في بادئ الأمر بما هي موضوعات،  
 وتصير من خلاله إلى الفي - ذاته، إنّما تصير في الآن نفسه  
 تفكرها في ذاتها الذي به تستفيد الكينونة الروحية الحاقّة، فينجمُ  
 ما هو روحها. ولكن مثلما باينَ تعيُنُها الأوّل الذي في - الحال  
 اتّصال الرّوح بها، كذلك سبباين اللّحظة الثالثة، أي الرّوح  
 الخاصّ الذي لعين الماهيات الموضوعية، اللّحظة الثانية. - والفي -  
 ذاته الثاني الذي للماهيات الموضوعية نفسها والذي ينجم رأساً  
 بواسطة اتّصال الرّوح بها، لا بدّ أن يقع بشكل مغاير للفي - ذاته  
 الذي في - الحال؛ لأنّ هذا التوسيط الذي للرّوح إنّما يحرك في  
 الأكثر التعيُنّة التي في - الحال فيجعل منها شيئاً مغايراً.

330]

وبالتالي فالوعي الكائن في ذاته ولذاته إنّما يدرك حينئذٍ حقاً  
 ماهيته البسيطة وقوامه بالجملة في سلطة الدولة؛ لكنّه لن يلقى فيها  
 فرديته بما هي كذلك؛ إنّهُ يدرك فيها فعلاً الفي - ذاته الذي له، إلّا  
 أنّه لا يطلّ كونه - لذاته، بل يدرك بالأحرى في هذا الموضع الصنيع  
 منفياً من جهة ما هو صنيعٌ فرديٌّ وخاضعٌ للامتثال. وعليه فالفردُ

يتفكر في ذاته بإزاء تلك السلطة؛ فهي إنما تكون في نظره الماهية الغالبة والقبیح؛ لأنه بدل أن تكون المساوي للفرديّة تكون اللامساوي لها على الإطلاق. - أما الثروة فتكون على العكس من ذلك الحسن، فهي تؤدي إلى المتعة الكلية، وتداول وتهدب الجميع الوعي بهوهم. إنها في - ذاتها الإحسان (Allgemeines Wohltun) الكلي؛ ومتى تقبض الثروة أي فعل حسن (Eine Wohltat) فلا توافق كلما حاجة، فذلك أمر عارض لا يطال ماهيتها الواجبة والكلية التي مفادها أنها تُفاد كل فرديّ وأنها المُجزية لآلاف الأيدي.

هذان الحكمان يعطيان لفكرتي الحسن والقبیح مضموناً هو ضدّ ما كان لهما من مضمون بالنسبة إلينا. - لكنّ الوعي - بالذات لم يتصلّ أوّل الأمر بموضوعاته إلا بشكل غير تام، أعني وفق قسطاس الكون لذاته وحسب. ولكنّ الوعي هو كذلك ماهية كائنة - في - ذاتها، ولا بدّ له أن يجعل من هذا الجانب أيضاً مكيالاً به يكتمل أولاً الحكم الروحي. وسلطة الدولة هي التي تعبر لهذا الوعي عن ماهيته وفق ذلك الجانب؛ فهذه السلطة إنما تكون في شطر القانون الساكن، وتكون في شطر آخر حكومة ورياسة تسوس الحركات الفرديّة للمراس الكليّ؛ فأما الشطر الأوّل فهو الجوهر البسيط ذاته، وأما الآخر فهو صنيع هذا الجوهر المحيي والحافظ له وللجميع. وعليه فالفرّد إنما يدرك في ذلك عمادته وماهيته إذ قيلت ونضدت وفعلت. - وعلى العكس من ذلك لا يتعنى الفرد بواسطة متعة الثراء ماهيته الكلية، بل لا يحصل إلا الوعي الأفل وتمتعه بذاته كأنّ بفرديّة كائنة - لذاتها واللاتساوي مع ماهيته. - إن مفهومي الحسن والقبیح يستفيدان إذاً في هذا الموضوع [331] المضمون المتضادّ مع المضمون الفائق.

هذان الجنسان من الحكم يلقي كلّ منهما تساويًا ولاتساويًا؛ فأما الوعي الحاكم الأوّل فيلقى سلطة الدولة لامساوية له ومتعة الثروة مساوية له؛ أما الثاني فيجد على العكس من ذلك الأولى

مساوية له والأخيرة لامساوية له. وثمة هاهنا مؤجدة مضاعفة للشيء مساوياً (Ein Gleichfinden) ومؤجدة مضاعفة للشيء لامساوياً (Ein Ungleichfinden)، أي صلة متضادة بالأيستيتين الفعليتين. - ولا بد أن نحكم في هذا الحكم المتنوع عييه معتمدين القسطاسَ الموضوعَ بعدُ. وصلة الوعي التي تلقى مساوياً (Die gleichfindende Beziehung) تكون من هذا الوجه الحسن، أما الصلة التي تلقى لامساوياً فتكون القبيح؛ وهذان الوجهان للصلة يُحفظان مذكاً كأشكال متنوعة ومتباينة للوعي. والوعي ذاته إنما ينضوي من حيث إنه يسلك وفق وجوه متنوعة، تحت تعيين التنوع، أعني كونه حسناً أو قبيحاً، وليس يحصل هذا عن أنه كان يكون له إماماً مبدأ الكون لذاته وإماماً مبدأ الكون - في - ذاته المحض، لأن كليهما لحظتان جوهريتان على حد سواء؛ فالحكم المضاعف الذي تفحصنا كان يتمثل المبادئ منفصلة، لذلك لا يحتوي إلا على وجوه مجردة للحكم. أما الوعي الحاقُ فينطوي في حد ذاته على المبدأين، والفرق لا يقع إلا ضمن ماهيته، ولاسيما في اتصاله الذاتي بالواقع.

إن ضرب هذه الصلة هو التضاد بين وجه هو السلوك حيال سلطة الدولة والثروة كالذي بإزاء مساوٍ وبين وجه آخر من السلوك كالذي بإزاء لامساوٍ. - والوعي الذي للصلة التي تجد مساوياً إنما هو الوعي النبيل. وهذا الوعي إنما يعتبر في السلطة العمومية المساوي له من حيث تستقيم له فيها ماهيته البسيطة وتفعيلها، فيقوم في خدمة الامتثال الفعلي مثلما في الاحترام الباطن إزاء الماهية. وكذلك الأمر في الثروة من حيث إنها تُكسب ذلك الوعي النبيل الوعي بجانبه الجوهرية الآخر، أعني جانب الكون - لذاته؛ لذلك يعتبر الثروة أيضاً كماهية على اتصال به، ويعترف بأن من يمتعه بها مُحسِنٌ، فيوجب على نفسه شكرانه.

على العكس من ذلك، يكون الوعي بالصلة الأخرى الوعي



الوضيعة الذي يرسخ اللاتساوي مع الماهيتين كليهما؛ ويرى إذاً في عنف السيادة غلاً للكون - لذاته واستبداداً به، ولذلك فهو يكره الرئيس، ولا يمثّل إلا على مضض، ويُعدّ دوماً العُدّة للمشاورة (Immer auf dem Sprunge zum Aufruhr steht)، - فهو لا يعتبر كذلك في الثروة الذي يطال بواسطتها التمتع بكونه - لذاته إلا اللاتساوي، أعني اللاتساوي مع الماهية الباقية؛ وما دام هذا الوعي لا ينتهي عبر الثروة إلا إلى الوعي بالفردية وبالمتعة الآفلة فإنه يحبها، لكنّه يكرهها أيضاً، وهو يرى مع فوات المتعة والزائل في ذاته أنّ صلته بالثري هي أيضاً زائلة.

هذه الصلات لا تعبر في مبتدأ الأمر إلا عن الحكم، أي تعيين ما هي كلتا الماهيتين من جهة ما هي موضوعات في نظر الوعي، وما زالت لا تعبر عماذا هي في ذاتها ولذاتها. والتفكر الذي يُتمثّل في الحكم إنّما يكون فقط، من ناحية، وبالنسبة إلينا وضعاً لأحد التعيينات كما للآخر، لذلك يكون أيضاً نسخاً للواحد كما للآخر جميعاً، وليس هو بعد في نظر الوعي تفكر عين التعيينات. ومن ناحية أخرى هذه التعيينات تكون فقط ماهيات في - الحال، فلا هي بصائرة ما هي، ولا هي في ذاتها وعي - بالذات؛ والذي من أجله تكون، ليس هو بعد ما يُحييها؛ إنّ هي إلا محمولات ليست بعد هي نفسها ذوات/ حاملة. أمّا جملة الحكم الروحي فما انفكت بسبب هذا الفضل تنشطر إلى وعين يقع كلّ منهما تحت طائلة تعيين أحادي. - لكنّ مثلما كانت ارتفعت أول الأمر سيّانية جانبي الاغتراب - أعني جانب الفي - ذاته الذي للوعي المحض، لاسيّما الذي للأفكار المتعينة للحسن والقيح، وجانب كيان هذه الأفكار كسلطة دولة وكثورة - إلى صلة الجانبين معاً، أي إلى الحكم، كذلك ينبغي أن ترتفع تلك الصلة البرّانية إلى الوحدة الجوانية، أو ينبغي من حيث هي صلة تفكير أن ترتفع إلى الحقيقي، وأنّ ينجم الروح الذي لجانبي الحكم

كليهما. وهذا إنما يحدث ما تصير الحكم قياساً وحركة موسّطة  
أين تنجم ضرورةً جانبي الحكم وحدهما الأوسط.

[3. الخدمة والتّصّح] - وعليه فإنّ الوعي النبيل يجد نفسه  
في الحكم بإزاء سلطة الدولة على نحو أنها ليست بعُدّ بالفعل هو  
ما، بل تكون في بادئ الأمر الجوهر الكليّ وحسب، لكن الوعي  
النبيل يعي بهذا الجوهر كأنّ بماهيته وبالغاية والمضمون المطلق.  
والوعي النبيل إنّما يسلك - إذ يتصل على هذا النحو بسلطة الدولة  
إيجابياً - من وجوهٍ سلبيةٍ إزاء غاياتها الخاصة ومضمونه وكيانه [333]  
الجزئيين، فيدعها تزول. إنّهُ بطولهُ الخدمة، - أي الفضيلة التي  
تضحي بالكينونة الفردية لأجل الكليّ، وتسوّفهُ بذلك إلى الكيان، -  
والشخصُ الذي يزهد من تلقاء ذاته في التملك والمتعة، فيكون  
في نظر السلطة الماثلة حاقاً يمارسُ.

إنّ الكليّ يصير عبر هذه الحركة مقترناً  
(Zusammengeschlossen) بالجملة بالكيان، مثلما يتكوّن الوعي  
الكائنُ بمعية هذا الاختراع فيترقى إلى الأيسية. أمّا ما يغترب عنه  
هذا الوعي ذاتياً في الخدمة فإنّما هو وعيه المغموسُ في الكيان؛  
لكنّ الكينونة المغتربة ذاتياً هي الفي - ذاته؛ وعليه فهذا الوعي  
إنّما يستفيد بواسطة ذلك التكوين تقدير نفسه كما تقدير الآخرين  
له. - لكنّ سلطة الدولة التي لم تكن في بادئ الأمر إلاّ الكليّ  
المفتكّر، أيّ الفي - ذاته، إنّما تتصيرُ على التدقيق عبر هذه  
الحركة الكليّ الكائن والسلطة الحاقّة. وهي لا تكون هذه الحاقّة  
إلاّ في الامتثال الفعليّ الذي تبلغه بواسطة الحكم الذي للوعي -  
بالذات بأنّها الماهية، كما بواسطة التضحية الحرّة التي لعين  
الوعي - بالذات. وهذا الصنيع الذي يقرن الماهية بالهو يُنتج  
الحقيق المضعف، أعني الذات (Sich als das, welches..) كالذي  
له حقيقٌ صادقٌ، وسلطة الدولة كالحقّ الذي يصلح.

لكن سلطة الدولة هذه التي تكون بواسطة الاغتراب ما زالت لم تصر وعياً - بالذات يعرف ذاته من جهة ما هو سلطة دولة؛ وما يصلح إنما هو قانونها وحسب، أو الفي - ذاته الذي لها؛ فهي لا تمتلك بعد إرادة جزئية؛ لأن الوعي - بالذات الخادم لم يتخرج بعد هو الصرف الذي له، ولم يبت من روجه في سلطة الدولة؛ بل لم يفعل ذلك أولاً إلا مع كينونته؛ فلم يضح للسلطة إلا بكيانه، لا بكونه - في - ذاته. - هذا الوعي - بالذات إنما يصلح كوعي - بالذات يطابق الماهية، وهو معترف به لعل كونه - في - ذاته. والآخر يلقون فيه ماهيتهم مفعلة لا كونهم لذواتهم، فيدركون فيه تفكيرهم أو وعيهم المحض متكماً، لا فرديتهم. لذلك هو يصلح في أفكارهم، ويحظى بالشرف. وهذا الوعي - بالذات إنما يكون التابع المتفاخر الذي يكون نشيطاً بالنسبة إلى سلطة الدولة ما لم تكن هذه إرادة خاصة، بل إرادة ماهية؛ إنه التابع المتفاخر الذي لا يرى له من صلاح إلا في هذا الشرف وفي التصور الماهوي للرأي الكلي وحسب، وليس في التصور الشكار (Dankbaren) للفردية، لأنه لم يساعدها في بلوغها 334 كونها - لذاتها. أما لغة هذا الوعي - بالذات متى كان ينتسب إلى الإرادة الخاصة بسلطة الدولة فكانت تكون النصح الذي تنشره هذه الإرادة لصالح الأحسن الكلي (Das allgemeine Beste).

لذلك لا تزال سلطة الدولة عريّة من الإرادة بإزاء النصح، وما زالت لم تحسم أمرها في الآراء المتنوعة في الأحسن الكلي. فهي ليست بعد حكومة، وبذلك ليست بعد على الحقيقة سلطة دولة حاقّة. - فالكون - لذاته، أي الإرادة التي لم يضح بها بعد كإرادة، إنما هو الروح الجواني المفرد الذي للفئات (Der Stände) والذي يحتفظ إزاء قوله في الأحسن الكلي بأحسنه الجزئي، فيميل إلى اعتبار هذا اللغو في الأحسن الكلي معوضاً للمراس. أما التضحية بالكيان التي تحدث في الخدمة فتكتمل بلا ريب متى

تكون سيقتُ حدَّ الموت؛ لكنَّ خطر الموت الدائم الذي يحيا المرء وإياه إنّما يترك كياناً متعيّناً ويُبقي بذلك على لذاته (Fürsich) جزئيّ يجعل من النُصح بالأحسن الكلّيّ ملتبساً ومشبوهاً، فيحتفظ في واقع الأمر بالرأي الخاصّ والإرادة الجزئية حيال سطوة الدولة (Die Staatsgewalt). لذلك يسلك الكونُ - لذاته من وجهٍ لامتساوٍ حيال عين السطوة، فيقع تحت تعيين الوعي الوضيع، أعني إعداد العُدّة الدائم للمثاورة.

هذا التناقض الذي ينبغي على الكون - لذاته نسحُه إنّما يحتوي في الآن نفسه وعلى هذه الصورة التي يجب أن يظلّ فيها الكونُ - لذاته على لاتساوٍ إزاء كلية سلطة الدولة، على الصورة التي وفقها يكون ذلك الاختراعُ للكَيان من حيث إنّه يتمّ، ولاسيّما في الموت، هو ذاته اختراجاً كائناً، فلا يكون اختراجاً آيباً إلى الوعي، - أعني أنّ الوعي لا يحيا من بعد موتٍ فيكون في ذاته ولذاته، وإنّما يمرّ فقط في الضدّ الذي لا ائتلاف معه. ولذلك فالتضحية الصادقة بالكون - لذاته إنّما تكون فقط من جنس التي يهب فيها الكونُ - لذاته نفسه على نحو تامّ كما في الموت، لكنّ أن يدوم كذلك ضمن ذلك الاختراع؛ وبذلك يصير كآته حاقّ من حيث يكون ما هو في ذاته، وكأنّه الوحدة المتطابقة بينه وبين ذاته بما هي وحدة المتضادّ. ولما كان الرّوح الجوانيّ المفردُ، أي الهو بما هو كذلك، إنّما ينجم ويغترب ذاتياً، فسلطة الدولة تُرْفَع في الآن نفسه إلى الهُو الخاصّ؛ مثلما أنّ فعّال الشرف والوعي النبيل والنصائح التي تصدر عن فاهمته، كانت لتظلّ من دون ذلك الاغتراب أمراً ملتبساً لا يزال يُضمّر هذا الكُمون المتنائي للنية الجزئية والإرادة الخاصة.

[335]

[II]. اللّغة بما هي حقيقُ الاختراع أو حقيقُ الثقافة] - لكنّ ذلك الاغتراب إنّما يحدث فقط في اللّغة التي تهلُّ هاهنا في دلالتها الأخصّ. - فاللّغة في العالم الإيتقيّ إنّما هي قانونٌ وأمرٌ، -

أما في عالم الحقيقِ فهي في أوّل الأمر النُصْحُ، وتكون الماهية مضمونها، وهو صورتها؛ أما في هذا الموضوع فاللغة إنما تستفيد هي نفسها الصورة التي تكونها كمضمون، فتصلحُ كلغة؛ إنها قوّة الكلام بما هو كذلك، قوّة الكلام التي تنجز ما يُنجز. واللغة إنما هي الكيان الذي للهو الصرف من جهة ما هو الهو؛ إذ في اللغة تلج الفردية الكائنة - لذاتها التي للوعي - بالذات بما هو كذلك، الوجود على نحو أنها تكون للأخرين. أما الأنا من حيث هو هذا الأنا المحض فلا يكون هنا من غير هذا الوجه؛ فهو في كلّ خُراج آخر إنما يكون منغمساً في حقيقِ ما وفي شكل ما يمكن له أن ينسحب منه؛ إنه متفكّر في ذاته خارجَ مراسه كما خارجَ تعبيره الفيزيونيومي، فهو يترك مثل هذا الكيان المخروم هامداً، وهو كيانٌ يستوي فيه دوماً الكثير كما القليل، لكنّ اللغة تتضمّن هذا الأنا على خلوصه، فهي وحدها تقول الأنا في حدّ ذاته. وهذا الكيان الذي للأنا من حيث هو كيانٌ إنما هو موضوعيّة تنطوي على الطبيعة الحقّ التي للأنا، فالأنا إنما يكون هذا الأنا المشار إليه، - لكنّه كذلك أنا كليّ؛ وكذلك اظهاره يكون في - الحال اختراج هذا الأنا وزواله، أي عندئذٍ دوامه على الكليّة التي له. إنّ الأنا الذي ينقالُ إنما يُسمعُ ويذهنُ<sup>(34)</sup>، وهو عدوى يكون فيها قد مرّ في - الحال في الوحدة مع الذين يكون بالنسبة إليهم هاهنا، وفي هذه الوحدة إنما يكون وعياً - بالذات كليّاً. - أما الكيان الذي للأنا في حدّ ذاته فإنه يكون في - الحال تلاشياً من حيث إنه مسموع ومذهون؛ وكونه مغايراً إنما يُسترجع في ذاته؛ فذلك على التدقيق كيانه من جهة ما هو الآن الواعي - بذاته، أي كونه لا يكون أيان يكون هاهنا، وكونه هاهنا بواسطة ذلك الزوال. وعليه فهذا الزوال نفسه إنما هو في - الحال دوامه؛ إنه علمه

(34) Vernehmen على معنى الجمع بين السماع والإدراك المجرد.

الخاصُّ بنفسِه، وعلمُه بنفسه كشيء مرّ في هو آخر كان سُمِع  
وُدُهْن، ويكون كليّاً.

إنّ الرّوحَ يستفيدُ في هذا الموضوع ذلك الحقيق، لأنّ  
الطرفين اللّذين هو وحدتُهما يكون لهما أيضاً في - الحال تعيّن  
أنّهما لذاتيهما حقيقان خاصان. أمّا وحدة الطرفين فقد انحلت إلى  
جانبيين متصلّين يكون كلُّ جانب منهما بالنسبة إلى الآخر موضوعاً  
حاقاً يصدّه عنه. ولذلك فالوحدة إنّما تحصلُ كحدّ أوسط يكون [336]  
مُطرحاً ومخالفاً للحقيق المنفصل الذي للجانبين؛ وعليه فالوحدة  
نفسها تكون لها موضوعيّة حاقّة مبيّنة لجانبَيْها، فهي وحدة  
برأسها، أي إنّها كائنٌ ما. والجوهرُ الرّوحِيّ بما هو كذلك لا يلج  
الوجودَ أولاً إلّا إذا ما استفادَ مثل هذه الوعيات - بالذات لتكون  
جوانبه التي تعرف أنّ هذا الهو المحض حقيقٌ صالحٌ في -  
الحال، وتعرف أيضاً في - الحال أنّها لا تكون كذلك إلّا بمعيّة  
التوسيطِ المغرّب. بتلك المعرفة الأولى تكون اللّحظات قد خلّصت  
وفُسرَتْ إلى أنّ صارت المقولة العالمة بنفسها، وإلى أنّ يتبيّن أنّها  
لحظات الرّوح؛ وأمّا بالمعرفة الثانية فالرّوح يلج الكيانَ كروحيّة. -  
كذا يكون الرّوحُ الحدّ الأوسط الذي يفترض ذينك الطرفين،  
فينجم بواسطة الكيان الذي له، - لكنّه يكون أيضاً الكلّ الرّوحِيّ  
الناجم بين الطرفين والذي ينقسم فيهما، فلا يُحدث واحداً منهما  
في المبدأ الذي له إلّا بمعيّة التماسٍ مع الكلّ. - أمّا كون الطرفين  
كليهما قد نُسخَا بعد في ذاتيهما وتحللاً، فذلك ما ينتج وحدتُهما؛  
وهذه إنّما هي الحركة التي تقرن بينهما، وتبادل تعيّناتيهما بعضاً  
ببعض، فتقرن بينهما بالفعل في كلّما طرف. عندئذ يضع هذا  
التوسيط المفهوم الذي لكلّ واحد من هاذيك الطرفين ضمن  
الحقيق الذي له، أو يجعل ممّا عليه كلُّ واحد في ذاته الرّوح  
الذي له.

الطرفان كلاهما، أي سلطة الدولة والوعي النبيل، قد انحلاً

عبر هذا الوعي؛ فأما سلطة الدولة فَأَنْفَتَتْ في الكلِّيِّ المجرّد الذي يُمثّل له المرء، وفي الإرادة الكائنة - لذاتها التي لا تؤوب مع ذلك إلى الكلِّيِّ؛ وأما الوعي النبيل فَأَنْفَتَتْ في الامتثال الذي للكيان المنسوخ أو في الكون - في - ذاته الذي لتقدير الذات ذاتها وللشرف، - وفي الكون - لذاته الصرف الذي لم يُنسخ بعد، وفي الإرادة التي ما أَنْفَكْتَ لابثةً في مكمناها. واللحظتان كلتاها اللتان يُخَلَّصُ إليهما الجانبان معاً واللّتان هما لذلك لحظتا اللّغة، إنّما هما الكلِّيُّ المجرّد الذي يُسمّى الأحسنَ (Das Beste) الكلِّيِّ، والهَوُّ الصّرفُ الذي تخلّى في الخدمة عن وعيه المنغمس في الكيان المتكثّر. كلاهما في المفهوم الشيء نفسه، لأنّ الهو الصرف يكون على الحضر كلياً من وجهٍ مجرّد، ولذلك فإنّ وحدتهما وُضعتْ كالحَدِّ الأوسط الذي لهما. ولكنّ الهُو لا يكون حاقاً إلاّ عند طرف الوعي، - أما الفبي - ذاته فلا يكون حاقاً إلاّ عند طرف سلطة الدولة؛ فأما ما يعوزُ الوعي فهو أنّ سلطة الدولة كانت تكون مضتْ فيه لا كشراف وحسب، بل على نحو حاق، - وأما ما يعوز سلطة الدولة فهو أنّه لا يُمثّل لها كما للمسمّى الأحسنَ الكلِّيِّ وحسب، بل كما يُمثّل للإرادة، أو أنّها الهُو الذي أقرّ العزم. ووحدة المفهوم التي ما زالت سلطة الدولة تكمنُ فيها والتي آل إليها الوعي إذ توضّح، إنّما تصير في هذه الحركة المُوسّطة حاقّة، وهي الحركة التي كيانها البسيط بما هو حدّ أوسط، إنّما هو اللّغة. - إلاّ أنّ هذه الوحدة لا تمتلك بعد كجانين لها هويّن حاضرين كأنهما الهُو؛ لأنّ سلطة الدولة لم تُرفع في مبتدأ الأمر إلى مصافّ الهُو إلاّ من وجهٍ روحيّ؛ وعليه فهذه اللّغة ليستْ بعد الرّوح كما يعلم ذاته ويُقال بالتمام.

1. الزُلْفى (Die Schmeichelei) - لَمّا كان الوعي النبيلُ طرفَ الهُو فهو إنّما يظْهَرُ كالذي تبتدئ من عنده اللّغة التي يتشكّل من خلالها جانبا العلاقة من حيث هما كلان متنفّسان. - فتصير

بطولة الخادم الأبيكم بطولة الزلفى. وهذا التفكر المتكلم الذي للخدمة يمثل الحد الأوسط الروحي المنفتح، فلا يعكس في ذاته طرفه الخاص وحسب، بل يعكس أيضاً على ذلك الطرف نفسه طرف العنف الكلي، فيجعل من هذا العنف بعد أن كان في أول أمره في ذاته، كوناً - لذاته وفردية للوعي - بالذات. عندئذ يصير الروح الذي لهذه القوة غير مقيّد حتى يصبح ملكاً لا قيد له، - من حيث إن لغة الزلفى ترفع القوة إلى كليتها المخلصة، - فأما هذه اللحظة أعني إحداث اللغة وتخليص الكيان حدّ وضح الروح فإنما هي تساوي ذاتي مخلص، - وأما الملك فمن جهة أنّ اللغة ترفع كذلك الفردية إلى ذروتها؛ وأما الذي يخترج عنه الوعي النبيل وفقّ هذا الجانب الذي للوحدة الروحية البسيطة فإنما هو الفي - ذاته الصرف الذي لتفكيره، أي الأنا ذاته الذي له. واللغة ترفع على التدقيق الفردية التي كانت في الأول مظنوناً فيه (Ein Gemeintes) إلى خلوصها الكائن من حيث إنها تعطي للملك الاسم الخاص؛ ذلك أنّ الفرق بين الفردي والآخرين جميعهم يكون مظنوناً إلا في الاسم، بل فيه يكون الفرق سارياً على الكل من وجه حاق؛ ففي الاسم يجري الفردي مجرى فردي صرف، لا في وعيه وحسب، بل في وعي الجميع. وعليه بالاسم يصير الملك على الإطلاق منفرداً عن الجميع ومفرداً ووحيداً؛ وفي الاسم يكون الملك الذرة التي لا تفيد لأحد شيئاً من ماهيتها ولا يمكن أحداً أن يشارك فيها، فلا يكون لها من كفاء أحد. - فهذا الاسم إنّما يكون عندئذ التفكر في الذات، أو الحقيق الذي ينطوي في حدّ ذاته على القوة الكلية؛ وبالاسم تكون هذه القوة الملك. والملك، هذا الفردي، إنّما يعلم على العكس أنّه هذا الفردي من جهة ما هو قوة كلية من حيث إن النبلاء ليسوا فقط مستعدين لخدمة سلطة الدولة، بل يقفون من حوله كزينات للعرش، ويقولون دوماً لمن استوى عليه ما هو.

38]



كذا تكون لغةٌ مديحهم الرّوحَ الذي يقرُنُ في سلطةِ  
 الدولةِ نفسها بين الطرفين كليهما؛ إنّها تعكس في ذاتها  
 القوّةَ المجرّدةَ وتعطيها لحظةَ الطرف الآخر، أي الكون - لذاته  
 المرید والذی یقرّ العزمَ، فتَهَبُها بذلك وجوداً واعياً - بذاته؛ أو إنّ  
 هذا الوعي - بالذات الحاقاً والفردياً إنّما ينتهي بذلك إلى  
 معرفة ذاته من وجه الإيقان بما هي قوّة. إنّما اللّغة نكتةُ الهُوَ الذي  
 تكون فيه النُكتُ المتكثّرةُ مقترنةٌ بواسطة تخارج الإيقان الباطنيّ. -  
 لكنّ ما دام ذلك الرّوح الخاصُّ بسلطة الدولة يتمثّل في أنّ حقيقته  
 وقُوته يكونان له من جهة التضحية بالصنيع والتفكير التي للوعي  
 النبيل، فاللّغة إنّما هي القيمومَةُ المغترَبَةُ ذاتياً؛ والوعي النبيلُ، أي  
 طرف الكون - لذاته إنّما يسترجع طرفَ الكلّيةِ الحاقّةِ لأجل  
 كَلّية التفكير التي كان اختُرج عليها؛ أمّا سلطة الدولة فتكون قد  
 مرّت إلى ذلك الوعي النبيل. وغلبة الدولة إنّما تكون عند هذا  
 الوعي فعالةٌ بحقٍّ؛ فهي تتخلّى في كونها - لذاتها عن كونها  
 الماهيةَ العاطلةَ كما كانت تجلّت كطرف الكون - في - ذاته  
 المجرّد. - وسلطة الدولة المنعكسة على نفسها إذا ما اعتُبرت في  
 حدّ ذاتها، فإنّها لا تعني، أو: ليس يعني كونها تصيرت روحاً  
 شيئاً سوى أنّها صارت لحظة من لحظات الوعي - بالذات، أي  
 إنّها لا تكون إلّا من جهة ما هي منسوخةٌ. مذّاك تمسي الماهيةَ  
 كشيءٍ كونٌ روحه أنّه يُضحى به ويُهملُ، أو أنّها توجد كثروة. -  
 ولا ريب أنّ سلطة الدولة تظلّ قائمةً في الوقت نفسه كأنّها حقيقٌ  
 يواجهُ الثروة التي ما تنفكّ - وفق المفهوم - تبيض إليها؛ لكنّه  
 حقيقٌ يتمثّل مفهومه على التدقيق في هذه الحركة التي هي التمارُّ  
 عبر الخدمة والتوقير حيث يصير ذلك الحقيقٌ إلى ضده وإلى  
 تخارج القوّة. وعليه فالهُوُ المخصوصُ الذي هو إرادةُ سلطة الدولة  
 إنّما يصير عبرَ ابتخاس الوعي النبيل إلى كَلّيةٍ تخترجُ من نفسها  
 وفرديةً تامّةً وعرضيةً مُلقاةً لأيّ إرادة أقوى اتفقّت؛ فلا يدوم له

[339]

من قَوْمته المعترف بها كَلِيًّا والتي لا يناصره فيها أحدٌ غيرُ الاسم الخاوي.

إذاً إذا ما كان الوعي النبيل تعيّن كالذي كان يكون ارتبط بالقوّة الكليّة على قدم المساواة، فإنّ الحقيقة التي لعين الوعي إنّما هي بالأحرى أن يحتفظ في خدمته بكونه - لذاته الخاصّ به، فيكون مع ذلك في تنازله عن شخصيّته النسخ الحاقّ للجوهر الكليّ، فيقطع أوصاله. وروح هذا الوعي إنّما هو علاقة اللاتساوي على التمام، وهي أن يحفظ من ناحية في الشرف الذي له إرادته، ومن ناحية أخرى أن يغرب - في شطر - أيّان يتركها باطنه تغريباً ذاتياً، فينتهي إلى اللاتساوي الأقصى مع نفسه، وأن يقهر بذلك - في شطر آخر - الجوهر الكليّ، فيجعله لامساوياً لذاته على التمام. - والبيّن أنّ تعيّن هذا الوعي التي كانت له في الحكم ضدّ ما كان يُسمّى وعياً وضيعاً، إنّما قد زالت، فزال معها بذلك أيضاً هذا الوعي الوضيع. لقد أصاب هذا الأخير مرماء، أعني إدراج القوّة الكليّة تحت الكون - لذاته.

كذا يوجد الوعي - بالذات إذ يثرى بمعيّة القوّة الكليّة كنعمة كليّة، أو: القوّة الكليّة إنّما هي الثروة التي تكون بدورها موضوعاً للوعي. ولا ريب أنّ الثروة هي الكليّ الخاضع لهذا الوعي، لكنّه كليّ لم يؤبّ بعد بإطلاق بواسطة ذلك النسخ الأوّل إلى الهو. - فالهو ما زال لم يتخذ من ذاته كهو موضوعاً، بل موضوعه الماهيّة الكليّة المنسوخة. وما دام هذا الموضوع قد صار للتو، فقد وُضِع الارتباط في - الحال الذي يصل الوعي به، وعليه فالوعي لم يعرض بعد لاتساويه معه؛ فالوعي النبيل هو الذي يستفيد عند الكليّ الذي صار غير ذي شأن كونه - لذاته، وبالتالي هو الذي يعترف بالموضوع، ويكون شكوراً للمُحسِن.

إنّ الثروة تنطوي في حدّ ذاتها على لحظة الكون - لذاته، فليست هي كليّ سلطة الدولة العريّ من الهو، أو طبيعة الرّوح

اللاعضوية والسفيفية، بل هي سلطة الدولة من الوجه الذي تترسخ به في ذاتها عبر الإرادة ضد من يبتغي الاستحواذ عليها لأجل المتعة. ولكن ما دامت الثروة ليست لها إلا صورة الماهية، فإنها هذا الكون - لذاته الأحادي الذي هو ليس في ذاته، لكنه في الأكثر الفي - ذاته المنسوخ، وهو رجوع الفرد إلى ذاته في المتعة التي له رجوعاً عارياً من الماهية. وعليه فالثروة نفسها تقتضي الإحياء؛ والحركة التي لانعكاسها إنما ترجع إلى أنها تنتهي إذ لا تكون إلا لذاتها، إلى الكون في - ذاته ولذاته، وأن تؤول وهي الماهية المنسوخة، إلى الماهية؛ كذلك تستفيد الثروة روحها الخاص بها في حد ذاتها. - وبما أن الصورة التي لهذه الحركة قد شُرحت آنفاً، فحسبنا هاهنا تحديد المضمون الذي لعين الصورة.

إن الوعي النبيل لا يرتبط إذاً هاهنا بالموضوع من جهة ما هو بالجملة ماهية، بل الكون - لذاته نفسه هو الذي يكون في نظره غريباً؛ فهو يجد بين يديه الهو بما هو كذلك مغترباً من جهة ما هو حقيق موضوعي راسخ، ينبغي له أن يتلقاه من كون - لذاته راسخ مغاير. وموضوعه إنما هو الكون - لذاته؛ وهو إذاً كونه - لذاته الذي يملكه؛ لكن من حيث إن الكون - لذاته موضوع فهو في الوقت نفسه وفي - الحال حقيق غريب هو كون - لذاته خاص وإرادة خاصة، ومعناه أن هذا الوعي يرى الهو الذي له رهن إرادة غريبة يكون بيدها إن شاءت أن تتركه له.

إن الوعي - بالذات يكون بوسعه أن يتجرد من كل جانب فردي، وهو لهذه العلة إنما يحفظ ضمن الإضافة المتعلقة بمثل ذلك الجانب كونه معترفاً به (Das Anerkanntsein) وصلاحه في ذاته (Das Ansichgelten) كأنهما لماهية كائنة لذاتها. ولكنه هاهنا إنما يرى نفسه من الجانب الذي لحقيقه الصرف الأخص، أو جانب الأنا الذي له، خارج ذاته وكأنه ينتمي إلى آخر، فيرى

شخصيته بما هي كذلك تابعةً لشخصية عرضية لمغاير ومصادفة لحظ عيني (Dem Zufall eines Augenblicks) واعتباط ما، أو حتى موقوفة على أيما ظرف اتفق. - إن ما يكون تحت سطوة الماهية الموضوعية في حالة الحق يظهر كمضمون عرضي يمكن تجريده، [341] فالسطوة لا تتعلق بالهوى من حيث هو كذلك، بل هذا الهوى يكون في الأكثر معترفاً به. أما في هذا الموضوع فإن الهوى يرى الإيقان من ذاته بما هو كذلك يمسي الأعرى من الماهية، والشخصية الخالصة تصبح لاشخصية مطلقة. ولذلك فروح عرفانه<sup>(35)</sup> إنما هو الشعور بهذه الرذالة الأعمق كما بالمعصية الأعمق أيضاً. وما دام الأنا الخالص ذاته يحسد ذاته خارج ذاته ويكون ممزقاً فإن جميع ما يكون له اتصال وكلية، وما يُسمى قانوناً وخيراً وعدلاً، إنما يكون في الحين ذاته ضمن ذلك التمزق قد تصرّم وفات في الهاوية؛ وكلّ مساو يكون قد تحلّل، لأنّ اللاتساوي الأنقى واللااهمية المطلقة لما هو مهمّ على الإطلاق والكون خارج ذاته للكون - لذاته هي ما يمثّل؛ أما الأنا الخالص ذاته فقد انفتت على الإطلاق.

إذا متى يستعيد هذا الوعي بالفعل من الثروة موضوعية الكون - لذاته، ثم ينسخها، فإنه لا يكون مكتملاً وفق المفهوم الذي له وحسب، مثلما هو التفكير الفائق، لكنه لا يرضى لنفسه بذلك؛ ولما كان الهوى يلقي نفسه كشيء موضوعي، فالتفكير إنما يكون التناقض الذي في - الحال الموضوع في الأنا الخالص نفسه. ولكن هذا الوعي من جهة ما هو هو إنما يعلو في الوقت نفسه وفي - الحال ذلك التناقض، فيمسي المرانة المطلقة (Absolute Elastizität) التي تنسخ من جديد كون الهوى منسوخاً، فيطرّح تلك الرذالة المتمثلة في أنّ كونه - لذاته صار

(35) Seines Dankes، على معنى الشكران.

غريباً بالنسبة إليه، ليصير - من بعد أن ثارت ثائرته ضدّ هذا الاستقبال لذاته - لذاته في الاستقبال نفسه.

[2. لغة التمزّق] - وعليه فما دامت علاقة هذا الوعي مرتبطةً بهذا التمزّق المطلق، فالفرق الذي لعين الوعي، أعني كونه متعيناً كوعي نبيل حيال الوعي الوضع، إنّما يقع في روحه، فالوعيان كلاهما سيّان. - وزائداً إلى ذلك أنّه يمكن تمييز الروح الذي للثروة المُنعمّة من الروح الذي للوعي المتلقّي للنعمة، وهو ما ينبغي تفحّصه بخاصّة. - لقد كان مثل روح الثروة الكون - لذاته العريّ من الماهيّة، أو الماهيّة المهمّلة. ولكنّه صار عبر إذاعه (Durch seine Mitteilung) إلى الفيّ - ذاته؛ أمّا من حيث إنّ الثروة كانت أتمّت تعينها في توضيحها بنفسها، فإنّها تنسخ الفردية التي لا تكون إلّا التمتع لأجل الذات، فالثروة من جهة ما هي فرديةٌ منسوخةٌ إنّما تكون الكليّة أو الماهيّة. - أمّا ما تفيده الثروة وما تهبه الآخرين فهو الكون - لذاته. لكنّ الثروة لا تُعطي كطبيعة عارية من الهو وشريطة الحياة المهمّلة سفهاً، بل كماهيّة واعية بذاتها وقائمة لذاتها: فليست هي بالقدرة اللاعضوية التي للعنصر التي يعلمها الوعي المتلقّي كفاتنة في ذاتها، وإنّما هي السطوة على الهو التي تعلم أنّها قائمة برأسها وأنّها اعتباراً، وتعلم في الوقت نفسه أنّ الذي تُنعم عليه إنّما هو الهو الذي لمُغايير. - الثروة إذاً تقتسم الرذالة مع الحريف، لكنّه التكبر ما يحلّ محلّ المعصية. وهي تعلم من وجه ما - مثلما يعلم الحريف - أنّ الكون - لذاته شيء عرضيٌّ؛ لكنّ الثروة نفسها هي هذه العرضيّة التي تقع الشخصية تحت وطأتها. والثروة إنّما تغضّ النظر عن العصيان الجواني الذي للآخر في هذا التكبر الذي يخال أنّه حصل ذاتاً أنا (Ein Ichselbst) غريباً بواسطة وليمة، فيظن أنّه اكتسب بذلك التنفذ من ماهيته الأكثر باطنية؛ إنّها تغضّ النظر عن التبرؤ التام من كلّ قيد وعن هذا التمزّق الصرف الذي يكون في نظره كلّ

[342]

مساو وكلّ قوام متمزّقاً من حيث إنّ التساوي الذاتي الذي للكون - لذاته صار بالنسبة إليه لامساوياً على الإطلاق؛ لذلك فهذا التمزّق إنّما يمزّق غالباً أوصال الرأي وزاوية النظر اللذين لصاحب التعم. والثروة إنّما تقف في - الحال قدام الهوة الأكثر جوانية وقدام العمق الذي لا قاع له حيث زال كلّ موقف وكلّ جوهر؛ فلا ترى في ذلك العمق غير شيء مشترك ولعبة لمزاجها ومصادفة لهواها؛ وروحها إنّما هو كونها رأياً عارياً من الماهية تماماً والسطح الذي تلتفت عنه الروح.

كما كانت للوعي - بالذات لغته ضدّ سلطة الدولة أو كما كان الروح نجم بين هذين الأقصيين كحدّ أوسطٍ حاقّ، كذلك تكون للوعي - بالذات لغة أيضاً ضدّ الثروة، بل الأكثر من ذلك هو أنّ لعصيانه لغته. وهذه اللغة التي تهب الثروة الوعي بأيسيتها والتي بذلك تتمكّن منها إنّما هي من وجهٍ سواء لغة الزلفى، لكنّها الزلفى غير النبيلة، - فالذي تقوله كماهية تعلم أنّه ماهية مهملة وغير كائنة في ذاتها. لكنّ لغة الزلفى، كما ذكرنا به أعلاه، هي الروح الذي ما زال أحادياً؛ فلحظاته هي بالفعل الهو المخلص حدّ الوجود الخالص بواسطة ثقافة الخدمة، وهي الكون - في - ذاته الذي للسلطة؛ إلا أنّ المفهوم الصرف أين يكون الهو البسيط وألّفي - ذاته، هذا الأنا الخالص وتلك الماهية الخالصة أو [343] التفكير الخالص، سيّين، - هذه الوحدة التي للجانبين اللذين يقع بينهما التفاعل، لا تكون في الوعي الذي لهذه اللغة؛ فالموضوع ما زال بالنسبة إليه<sup>(36)</sup> الّفي - ذاته المقابل للهو، أو: الموضوع لا يكون بالنسبة إليه وفي الوقت نفسه الهو الخاص الذي له بما هو كذلك. - لكنّ لغة التمزّق هي اللغة التامة والروح الحقّ والموجود الذي لجملته هذا العالم من الثقافة. وهذا الوعي - بالذات الذي

(36) يعني الروح الذي ما زال أحادياً.

يرجع إليه العصيان الذي يلعن رذيلته إنَّما هو في - الحال التساوي الذاتي في التمزق المطلق والتوسيط الخالص للوعي - بالذات الخالص مع ذاته نفسها. والوعي - بالذات يكون التساوي الذي لحكم الهوهو (Des identischen Urteils)، حيث تكون عينُ الشخصية الواحدة الذات/ الحامل كما المحمول. لكنَّ هذا الحكم الهوييَّ إنَّما يكون في الوقت نفسه الحكم اللامتناهي؛ لأنَّ هذه الشخصية منقسمة على الإطلاق، والذات/ الحامل والمحمول هما على الإطلاق كوائن سيائية لا صلة لبعضها ببعض وبلا وحدة واجبة، حتى إنَّ كلاً منها يكون القدرة التي لشخصية خاصة. والكون - لذاته يكون له كونه - لذاته موضوعاً كآخر على الإطلاق، ويكون في الوقت نفسه وفي - الحال كذاته عينها، - كونه الذات آخر لا من حيث إن هذه كان يكون لها مضمون آخر، بل المضمون هو عينُ الهُو في صورة تضاد مطلق وكيان سيائي خاص تماماً. - وعليه فما يمثل هاهنا إنَّما هو روح هذا العالم الواقعي الذي للثقافة، وهو الرُّوح الواعي بنفسه على حقيقته ومفهوميته.

هذا الرُّوح إنَّما هو هذا الانقلاب المطلق والكلِّي واغتراب الحقيقي والفكر؛ أي الثقافة الصرف. أمَّا ما يُتعلَى في هذا العالم فهو أنَّه لا الماهيات الحاقة التي للسلطة والثروة ولا مفاهيمها المتعينة، الحسنُ والقبیح، أو الوعي بالحسن والقبیح، الوعي النبيلُ والوعي الوضعي، تمتلك حقيقة؛ بل كلَّ تلك اللحظات تنقلب في الأكثر بعضها في بعض، وكلَّ واحدة منها إنَّما تكون ضدَّ نفسها. - فالسلطة الكلية التي هي الجوهر لا تتلقَى الهُو ذاته من حيث إنَّها انتهت إلى الروحية الخاصة عبر مبدأ الفردية إلا كالاسم الذي يُطلق عليها، أمَّا من حيث إنَّها سلطة حاقة فتكون في الأكثر الماهية التي لا حول لها ولا قوة والتي تضحي بنفسها. [344] ولكنَّ هذه الماهية العريّة من الهُو والمهملة، أو الهُو الذي

اُسْتَشْيَا (Zum Dinge gewordne)، إِنَّمَا تَكُون فِي الْأَكْثَرِ رَجُوعَ  
الْمَاهِيَةِ فِي ذَاتِهَا عَيْنِهَا؛ إِنَّهَا الْكُونُ - لِذَاتِهِ الْكَائِنُ - لِذَاتِهِ، أَيْ  
الْوَجُودُ الَّذِي لِلرُّوحِ. - كَذَلِكَ تَتَقَالَبُ أَفْكَارُ تِلْكَ الْمَاهِيَّاتِ، أَعْنِي  
أَفْكَارَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ؛ فَمَا يَتَعَيَّنُ كَحَسَنِ يَكُونُ  
الْقَبِيحِ، وَالْمَتَعَيَّنُ كَقَبِيحِ يَكُونُ الْحَسَنِ؛ فَإِنَّ حُكْمَ فِي الْوَعْيِ الَّذِي  
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّحْظَاتِ كَوَعْيِ نَبِيلٍ وَوَعْيِ وَضِيعٍ فَإِنَّهَا  
تَكُونُ فِي الْأَكْثَرِ وَعَلَى حَقِيقَتِهَا قَلْبٌ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ هَذِهِ  
التَّعْيِنَاتُ، فَالنَّبِيلُ وَضِيعٌ وَمُسَقَّطٌ مِثْلَمَا أَنَّ الرِّذَالَةَ تَنْقَلِبُ شَرَفَ  
الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ لِلْحَرِيَةِ الْأَكْثَرِ تَكْوِيناً لِلْوَعْيِ - بِالذَّاتِ. - وَإِذَا مَا  
اعْتَبَرَ صَوْرِيّاً فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ كَذَلِكَ فِي نَزْوَعِهِ نَحْوَ الْخَارِجِ قَلْبٌ  
لَمَا هُوَ لِذَاتِهِ، وَمَا هُوَ لِذَاتِهِ لَا يَكُونُ أَيْضاً مِنْ جَدِيدٍ عَلَى  
الْحَقِيقَةِ، بَلْ يَكُونُ شَيْئاً آخَرَ غَيْرَ مَا يَشَاءُ أَنْ يَكُونَ، وَالْكَوْنُ -  
لِذَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْأَكْثَرِ خَسْرَانُ الذَّاتِ، وَاعْتِرَابُ الذَّاتِ إِنَّمَا هُوَ  
فِي الْأَكْثَرِ الْإِحْتِفَازُ بِالذَّاتِ. - فَمَا يَمْتَلُ هُوَ إِذَا كَوْنُ كُلِّ اللَّحْظَاتِ  
تَسْتَعْمَلُ عَدَالَةً كَلِيَّةً بَعْضُهَا ضِدَّ بَعْضٍ، فَكُلٌّ يَغْتَرِبُ فِي ذَاتِهِ ذَاتِيّاً  
مِثْلَمَا يَتَخَيَّلُ ذَاتَهُ فِي ضِدِّهِ ثُمَّ يَقْلِبُهُ عَلَى هَذَا النِّحْوِ. - لَكِنِ الرُّوحُ  
الصَّادِقُ إِنَّمَا يَمْسِي الْآنَ هَذِهِ الْوَحْدَةَ الَّتِي لِلْمَنْفَصَمَاتِ بِإِطْلَاقٍ؛  
فَهُوَ يَنْتَهِي حَقّاً إِلَى الْوَجُودِ بِمَعْنَى الْحَقِيقِ الْحَرِّ الَّذِي لَعَيْنِ هَذِهِ  
الْأَطْرَافِ الْعَارِيَةِ مِنَ الْهُوِّ كَالْأَوْسَطِ الَّذِي لَهَا. وَكَيْانُهُ إِنَّمَا هُوَ  
التَّكَلُّمُ الْكَلِّيُّ وَالْحَكْمُ الْمُمَزَّقُ الَّذِي تَتَحَلَّلُ مِنْ جَرَائِهِ تِلْكَ  
اللَّحْظَاتِ جَمِيعُهَا الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَجْرِي مَجْرَى مَاهِيَّاتِ وَأَطْرَافِ  
حَاقَةٍ لِلْكُلِّ، وَذَانِكَ التَّكَلُّمُ وَالْحَكْمُ إِنَّمَا هُمَا أَيْضاً هَذَا التَّلَاعِبُ  
بِالذَّاتِ الَّذِي يَتَحَلَّلُ هُوَ نَفْسُهُ. وَلِذَلِكَ فَهَمَا إِنَّمَا يَكُونَانِ الْحَقُّ  
وَالَّذِي لَا غَالِبَ لَهُ (Das Unbezwingbare) مَتَى يَقْهَرَانِ كُلَّ شَيْءٍ؛  
وَذَلِكَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَلِيقُ بِالنَّظَرِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْوَاقِعِيِّ. وَكُلُّ قَسْطٍ  
مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِنَّمَا يُوْجِبُ إِلَى هَذَا مِنْ جِهَةٍ أَنْ رُوحَهُ يُقَالُ، أَوْ  
مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ يُقَالُ فِيهِ بَرُوحٌ وَيُقَالُ فِيهِ مَا هُوَ. - أَمَّا الْوَعْيِ الشَّرِيفِ



فيأخذ كلّ لحظة مأخذَ الأيسية الدائمة، فهو العاري من الفكرة واللامتكون الذي لا يعلم أنه يأتي العكس أيضاً. أما الوعي الممزق فيكون وعي القلب والعكس، وهو بحق وعي القلب المطلق؛ والمفهوم إنما يكون ضمنَ هذا الوعي الرئيس الذي يجمع الأفكار التي تكون بالنسبة إلى الشرف متناثية بعضها عن بعض، فتكون لغته لذلك لغةً روحانيةً شديداً (Geistreich).

[345]

[3. عبث الثقافة] - وعليه فمضمون القول الذي يأتيه الروح في ذاته ومن ذاته إنما يكون قلب المفاهيم والوقائع جميعها، وهو المخاتلة الكلية لذاته كما للآخرين، ووقاحة القول بهذه المخاتلة إنما تكون لذلك الحقيقة الأشد. وهذا القول إنما هو شذوذ الموسيقي «الذي كان ركم وخلط ثلاثين نغماً إيطالياً وفرنسياً وتراجيدياً وكوميدياً من كلّ حذب وصوب، فتارةً كان ينزل بصوت خافت إلى مصاف الجحيم وطوراً يقطع بأعلى صوته - مبدلاً النشار - أوصال الهواء، فإذا هو على التوالي ساخط، متلطف، متصلف، هازئ»<sup>(37)</sup>. - بالنسبة إلى الوعي الساكن الذي يضع بشكل شريف لحن الحسن والصدق في تساوي الأصوات أي في نغمة واحدة يبدو هذا القول كـ«حشو من الحكمة والجنون وخليط من البصيرة والخسة ومن الأفكار الصائبة التي تعقبها أفكار كاذبة ومن الفساد العام للمشاعر والدناءة التامة والصراحة غير المألوفة. فهو لن يستطيع أن يزهد في المرور بكلّ هذه الألوان والطواف بسلم المشاعر كلّه من أعلاه إلى أدناه، من الاحتقار الأعماق والحقارة الأعماق إلى الإكبار الأكبر والانفعال الأسنى، إلا أن مسحة من السخرية ستنصهر في هذه المشاعر الأخيرة لتمسخها»، أما المشاعر الأولى فتكون لها في صراحتها مسحة ائتلاف، فيكون لها في عمقها المنزلزل الطبع الجبار الذي يستوهبه الروح ذاته.

فإذا تفحصنا إزاء قول الخلط الذي هو لذاته واضح، القول الذي لهذا الوعي البسيط بالصدق والحسن، لا تضح أن هذا القول لا يمكن أن يكون حيال الفصاحة البيّنة والواعية بذاتها التي لروح الثقافة إلا موجز اللفظ (Einsilbig)، لأنّ هذا الوعي ليس بوسعه أن يقول شيئاً لا يعرفه الرّوح فلا يقوله بنفسه. وهب أنّه جاوز إيجازه، فسيقول لذلك عين ما يتكلّمه الرّوح، إلا أنّه يزيد إلى ذلك سفّه (Die Torheit) الظنّ بأنّه يقول جديداً وأمرأ مغايراً؛ فحتّى مقاطع الكلمات التي تكون له، ومثالها: قبيح، وضع، ما زالت من قبيل ذلك السفّه، فالرّوح يقولها من تلقاء ذاته. وعندما يقلب هذا الرّوح في قوله كلّ ما هو ذو لون واحد لأنّ هذا المتساوي ليس إلا تجريداً، لكنّه على التحقيق القلب في ذاته، [346] وعندما يذبّ الوعي المستقيم - على العكس من ذلك - ووفق الوجه الممكن الأوحى في هذا الموضع عن الحسن والنبيل، أعني ما يبقى مساوياً لذاته في خُراجه على نحو أنّه لا يخسر قيمته لعلّة أنّه مرتبط بالقبيح أو مختلط به، فذاك شريطته ووجوبه، وفي هذا تكمن حكمة الطبيعة، - عندئذ لم يُكنّ هذا الوعي من حيث كان يظنّ أنّه يناقض، أجمل إلا مضمون قول الرّوح على نحو متهافت وعار من الفكرة من جهة أنّه جعل من ضدّ النبيل والحسن شرط ووجوب النبيل والحسن، فظنّ قول شيء مغاير للقول إنّ ما يسمّى نبيلاً وحسناً يكون في ماهيته عكس ذاته، مثلما يكون القبيح - على العكس - السنيّ.

وإنّ عوض الوعي البسيط هذه الفكرة العريّة من الرّوح بالتحقيق الذي للسنيّ من حيث أنّه يشخص عين السنيّ في مثال لحالة متخيّلة أو لظرفه حقيقيّة، ثمّ يبيّن على هذا النحو أنّ السنيّ ليس اسماً خاوياً، بل هو بين أيدينا، فإنّ التحقيق الكلّي يقابل فعل القلب الذي لسار العالم الواقعيّ حيث لا يمثل هذا المثال إذاً إلا شيئاً مفرداً تماماً، نوعاً ما (Eine Espèce)؛ أمّا عرض كيان

الحسن والقيبح كظرفة مفردة سواء كانت متخيَّلة أم حقيقةً، فذلك هو أغلظ الفساد في ما قد يُقال فيه. - وإذا اقتضى هذا الوعي البسيط في النهاية انحلالَ جملة ذلك العالم من القلب، لم يكن بوسعهُ أن يطلب من الفرد الابتعاد عن ذلك العالم، فديوجين في البرميل يكون مقيداً به، إذ اقتضاء الفرديّ إنّما هو مباشرة ما يجري مجرى القبيح، أعني الاعتناء بالذات كفراديٍّ. ولكن لما كان مطلب هذا التناهي موجَّهاً صوب الفردية الكلية، فإنّه لا يمكن أن تكون له دلالةٌ أنّ العقلَ كان يكون تخلى من جديد عن الوعي الروحي المتكوّن الذي انتهى إليه، وأنّه كان يكون عاداً ليغمس الشراء المرسلَ للحظاته في البساطة التي للفؤاد الطبيعيّ (Des natürlichen Herzens)، فيكون وقع من جديد في حالة الوحشية وفي جوار الوعي الحيواني، وهي الطبيعة التي تُسمى براءة؛ وإنّما مطلب هذا التحلل لا يمكنه أن يتّجه إلا صوب روح الثقافة على نحو أنّ الرّوح يؤوّل إلى ذاته من حيث هو رُوْح انطلاقاً من الخلطة التي له، فيكسب أيضاً وعياً أرفع.

[347]

ولكنّ الرّوح إنّما قد حقّق بعْدُ في حدّ ذاته هذا الأمر؛ فالتمزّق الذي يكون للوعي والذي هو واع - بذاته والناطق بذاته إنّما هو القهقهة (Das Hohngelächter) من الكيان كما من الخلطة التي في الكلّ ومن الذات عينها؛ والقهقهة تكون في الوقت نفسه الصدى المتباعد الذي ما زال مسموعاً والذي هو صدى تلك الخلطة بجملتها. - وهذا البُطول المدرك لذاته الذي لكلّ حقيقي كما لكلّ مفهوم متعيّن، إنّما هو التفكير المضاعف للعالم الواقعيّ في عين ذاته؛ فيكون مرّةً في هذا الهُو الذي للوعي بما هو هذا الهُو بعينه، ومرّةً أخرى يكون في الكلية الخالصة التي لذات الهُو، أو في التفكير. والرّوح الذي انتهى إلى ذاته إنّما يحدّق ببصره من تلك الناحية في عالم الحقيقي، فتكون له فيه بعْدُ غايته ومضمونه الذي في - الحال؛ أمّا بحسب هذه الناحية فقد اتّجه

بصره من جهة إلى ذاته وحسب، وضد هذا العالم بشكل سلبي،  
ومن جهة أخرى يبعد عنه بصره صوب السماء فيكون معتالي عين  
العالم موضوعه.

في ذلك الجانب من الرجوع إلى الهو يكون بطول كل شيء  
من بطلان الهو بخاصة، أو الهو يكون باطلاً. إنه الهو الكائن -  
لذاته الذي لا يعلم فقط أن يحكم ويتكلم طويلاً، بل أن يقول  
عن روح الماهيات الراسخة للحقيق كما التعيينات الراسخة التي  
يضعها الحكم، وهو إنما يقولها على تناقضها، وهذا التناقض إنما  
هو حقيقتها. - فإذا نُظر فيه بحسب الصورة، فإنه يعلم أن كل  
شيء مغترّب ذاتياً، والكون - لذاته مفصولاً عن الكون - في -  
ذاته، والمظنون والغاية مفصولان عن الحقيقة، والكينونة لأجل  
آخر مفصولاً عن كليهما من جديد، والمزعوم مفصولاً عن الرأي  
الخاص كما عن الشيء الصادق والطوية الصادقة. - وعليه فهذا  
الهو يعلم كيف يقول بسداد كل لحظة ضد الأخرى، ويعلم  
بالجملة قلب الكل رأساً على عقب، بل يعلم أكثر مما هي كل  
لحظة، وأنها مقيدة كيفما يشاء. ومن حيث إنه يعرف الجوهرى من  
وجه اللاوحدة والصراع اللذين يجمع بينهما في ذاته، لكن لا  
يعرفه من وجه هذه الوحدة، فإنه يظن أنه يحسن كثيراً الحكم في  
الجوهرى، إلا أنه يكون فقد المقدرة على إدراكه. - وهذا البطلان  
يقنضي عندئذ بطلان الأشياء كلها حتى يستعطي منها الوعي بالهو،  
ولذلك فهو نفسه الذي ينتجها، وهو النفس التي تحملها. والسلطة<sup>[48]</sup>  
والثروة إنما هما الغايتان القصويان اللتان لطلبة الهو، وهو يعلم  
أنه يتكون بواسطة التنازل والتضحية حتى الكلبي وحتى يبلغ تملكه،  
فيكون له في عين التملك صلاح كلي؛ فالسلطة والثروة إنما هما  
القوتان الحاققتان المعترف بهما؛ إلا أن ذلك الصلاح الذي للهو  
يكون هو نفسه باطلاً، إذ من حيث إنه على التدقيق يتحوّز تينك  
القوتين إنما يعلم أنها ليست بماهيات قائمة برأسها، بل يعلم أنه

هو الذي يكون في الأكثر قوتها، وأما هما فتكونان باطلتين. أما كونُ الهو خرج عليها أيان تملكها ذاته فذلك ما يعرضه في لغة غنية بالروح، هي التي تمثل مصلحته العليا وحقيقة الكل؛ فهذا الهو من حيث هو هذا الهو الصرف الذي لا يتعلق لا بتعيينات حاقة ولا بتعيينات متفكرة إنما يؤول في اللغة إلى الهو الروحي والصالح بحق صلاحاً كلياً؛ فالهو إنما يكون الطبيعة التي تقطع بنفسها كل الأوصال، وهو التقطع الواعي بعين الأوصال؛ لكنه لا يعلم تمرقه الخاص به إلا من جهة ما هو وعي - بالذات عصي، وفي هذا العلم بعين التمرق إنما يكون الهو قد فات هذا التمرق في - الحال. وفي ذلك البطلان إنما ينتهي كل شيء إلى سلب لا يمكن أن يدرك من بعد ذلك إيجابياً؛ فالموضوع الموجب لا يكون إلا الأنا الخالص نفسه، والوعي المتمرق إنما يكون في ذاته هذا التساوي الذاتي الصرف الذي للوعي - بالذات الآيب إلى ذاته.

## ب. الإيمان والتعقل المحض

[I. فكرة الإيمان] - إن روح الاغتراب الذاتي يكون له كيانه في عالم الثقافة؛ لكن ما دام هذا الكل قد اغترب ذاتياً فإن عالماً غير حاق للوعي الخالص أو للتفكير يقوم متنائياً عن (Jenseits) عالم الثقافة؛ فيكون مضمونه المفتكر الصرف، والتفكير أسطقسه المطلق. لكن الوعي لا تكون له من حيث إن التفكير هو أولاً أسطقس هذا العالم إلا هذه الأفكار، لكنه ما زال لا يتفكرها، أو هو لا يعلم أنها أفكار، بل تكون في نظره على شاكلة التصور، فالوعي يخرج من الحقيق ليدخل في الوعي الخالص، إلا أنه ما زال بالجملة هو ذاته ضمن دائرة الحقيق وتعيينته. والوعي الممرق إنما يكون في ذاته أولاً التساوي الذاتي الذي للوعي الخالص، ويكونه بالنسبة إلينا لا بالنسبة إليه هو ذاته. وعليه فهذا الوعي لا يكون إلا الارتقاء الذي في - الحال، لا الارتقاء التام في ذاته، [349]

ويكون له مبدؤه المضاد الذي يكون مقيداً به من دون أن يصير  
بمعنى الحركة الموسّطة رئيساً على هذا المبدأ. لذلك فإنّ الماهية  
التي لفكره لا تجري عنده مجرى الماهية التي ليست إلا على  
صورة الفي - ذاته المجرد، وإنّما تكون على صورة حقيقي  
مشترك (Eines Gemeinwirklichen)، أي حقيق لم يكن رُفَع إلا في  
عنصر آخر، من دون أن يكون فقد في هذا العنصر التعيّن التي  
للحقيق غير المفتكر. - ويتحمّم بالجواهر تمييز الوعي الممزّق من  
الفي - ذاته الذي هو ماهية الوعي الرواقّي؛ فعند هذا الأخير لم  
تكن تصلح إلا صورة الفكر بما هو كذلك، وهو الفكر الذي  
يمتلك في ذلك أيّ مضمون غريب عنه منتزَع من الحقيق؛ أمّا عند  
هذا الوعي الممزّق فليست صورة الفكر ما يصلح؛ ويتحمّم كذلك  
تمييزه من الفي - ذاته الذي للوعي الفاضل والذي تقوم الماهية  
بالنسبة إليه فعلاً في الاتصال بالحقيق، فهي عنده ماهية الحقيق  
ذاته، - لكنّها رأساً ماهية غير حاقة؛ - أمّا عند هذا الوعي الممزّق  
فإنّ ما يصلح هو كونه بلا ريب متعالياً على الحقيق، وكونه مع  
ذلك ماهية حاقة. كذلك لا يكون للعادل والحسن في ذاته اللذين  
للعقل المشرّع ولا للكلي الذي للوعي الممتحن للقانون تعين  
الحقيقي. - لذلك إذا كان التفكير الخالص داخل عالم الثقافة عينه  
وقع كوجه للاغتراب، أعني كمكيالٍ للحسن والقيح المجردين في  
الحكم، فإنّه يكون له أن يحيط بحركة الكلّ من بعد أن يكون  
تزيد ثراءً بلحظة الحقيق فتزيد بذلك مضموناً. ولكنّ هذا الحقيق  
الذي للماهية لا يكون في الوقت نفسه إلا حقيقاً للوعي الخالص،  
فلا يكون للوعي الحاقّ، وما زال هذا الحقيق إذ يُرَفَع فعلاً إلى  
أسطقس التفكير، لا يجري في نظر الوعي مجرى فكرة، بل يكون  
عنده بالأحرى فوق الحقيق الخاصّ به؛ فذاك الوعي إنّما هو  
الإدبار من أمام هذا الحقيق.

ما دام الدين يهله في هذا الموضوع - وبين نفسه أنه غرض

القول - من جهة ما هو الإيمان الذي لعالم الثقافة، فإنّه ما زال لا يمثّل مثلما هو في ذاته ولذاته. - فالدينُ كان تبدّى لنا في تعيّناتٍ أخرى، لاسيّما من جهة ما هو وعي شقيّ، أي كشكل للحركة العريّة من الجوهر التي للوعي ذاته. - وتبدّى أيضاً عند الجوهر الإتيقيّ كإيمان بالعالم السفليّ، إلّا أنّ الوعي الذي للروح المتصرّم ليس على الحصر إيماناً، وليس هو الماهيّة الموضوعيّة في عنصر الوعي الخالص على تعالٍ على الوعي الحاقّ، بل يكون للإيمان حضوراً في - الحال؛ وأسطقسه إنّما يكون العائلة. - أمّا هاهنا فالدين - من جهة - إنّما نجم عن الجوهر، وهو الوعي الخالص الذي لعين الجوهر؛ ومن جهةٍ أخرى هذا الوعي الخالص قد اغترب عن الوعي الحاقّ، والماهية اغتربت عن كيانهما. وعليه فلا ريب أنّ الدين لم يعدّ الحركة العريّة من الجوهر التي للوعي، لكنّه ما زالت له تعيّناتٌ التقابل حيال الحقيقي من جهة ما هو بالجملة هذا الحقيقي، وحيال الحقيقي الذي للوعي - بالذات بخاصّة، ولذلك فالدينُ إنّما هو بالجوهر إيمانٌ وحسب.

[350]

هذا الوعي الخالص بالماهية المطلقة إنّما هو وعي مغترب. وينبغي أن نرى عن كثب كيف يتعيّن الذي تكون الماهية آخره، فينبغي أن لا تُتفحص إلّا في ارتباطها بهذا الآخر. وهذا الوعي الخالص إنّما يظهر من أول أمره أنّ ليس قدامه إلّا العالم الذي للحقيق؛ لكن من جهة أنّه الإدبار من هذا العالم وأنّه بذلك تعيّناتٌ التقابل، فهو إنّما ينطوي في حدّ ذاته على هذه التعيّنات؛ ولذلك فالوعي الخالص إنّما هو بالجوهر وفي حدّ ذاته مغترب ذاتياً، والإيمان لا يمثّل إلّا جانباً من عين الوعي. أمّا الجانب الآخر فقد أنبثق في الوقت نفسه أمامنا. وبحقّ ما يكون الوعي الخالص التفكير انطلاقاً من العالم الذي للثقافة، على نحو أنّ جوهر عين العالم كما الكتل التي يتمفصل فيها كانت اتّضحت مثلما هي في

ذاتها، أي كأبسيات روحية وحركاتٍ أو تعيناتٍ غير ساكنة على الإطلاق تنتسخ ذاتياً في ضدها. وما هيئتها، الوعي البسيط، إنما تكون إذا البساطة التي للفرق المطلق الذي لا يكون في - الحال فرقا. بذلك يكون الوعي الخالص الكون - لذاته الخالص، لا كهذا الفردي، بل يكون هو الكلّي في حد ذاته كحركة لا تسكن وتحتاج الماهية الساكنة التي للشيء فتتفد فيها. وما يمثّل في هذا الوعي هو إذا الإيقان الذي يعلم ذاته في - الحال كحقيقة، التفكير الخالص بما هو المفهوم المطلق في عنفوان ساليته التي تنقض كلما ماهية موضوعية وجب عليها أن تقف قدام الوعي، فتجعل منها كينونة للوعي. - هذا الوعي الخالص إنما يكون كذلك في الوقت نفسه بسيطاً لأنّ فرقاً ما هو بفرق. لكنّه من حيث هو هذه [351] الصورة للتفكر البسيط في ذاته إنما يكون أسطقس الإيمان أين تكون للروح تعيّن الكليّة الموجبة والكون - في - ذاته إزاء ذلك الكون - لذاته الذي للوعي - بالذات. - والروح إذ يرتد إلى ذاته عن العالم العاري من الماهية والمتحلل بذاته وحسب، إنما يكون على الحقيقة وفي وحدة غير منقسمة الحركة المطلقة والسالية التي لأظهاره، مثلما يكون ماهيته القريرة في ذاتها وسكونه الموجب؛ إلا أنّ هاتين اللحظتين اللتين تقعان بالجملة تحت تعيّن الاغتراب إنما تنفصلان الواحدة عن الأخرى كوعي مضاعف. أما تلك فهي التعقل المحض كالمسرى الروحي المتجمع في الوعي - بالذات، وهو المسرى الذي يكون له قبالته وعي الموجب وصورة الموضوعية أو التصور، والذي يتجه ضده، وأما موضوعه الخاص فهو الأنا الخالص وحسب. - وعلى العكس من ذلك تكون للوعي البسيط بالموجب أو التساوي الذاتي الساكن الماهية الباطنة من حيث هي ماهية موضوعاً. ولذلك فالتعقل الخالص لا يكون فيه أوّل الأمر مضمون، لأنّه الكون - لذاته السالب، أما الإيمان فيكون له على العكس مضمون من دون تعقل. وإذا كان ذلك



التعقل لا ينبثق من الوعي - بالذات، فإنّ هذا الإيمان يكون له مضمونه حقاً في عنصر الوعي - بالذات الخالص، لكن في التفكير لا في المفاهيم، في الوعي الخالص لا في الوعي - بالذات الخالص. وبحق ما يكون الإيمان عندئذٍ وعياً خالصاً بالماهية، أعني بالباطن البسيط، فيكون بالتالي تفكيراً، - اللحظة الأم في طبيعة الإيمان التي عادة ما يُعَضُّ النظرُ عنها. والحالية التي بها تكون الماهية في ذاتها إنما ترجع إلى كون موضوعها ماهيةً، ومعناه كونها محض فكرة. إلا أنّ هذه الحالية تستفيد من جهة أنّ التفكير يلجُ الوعي أو أنّ الوعي الخالص يلجُ الوعي - بالذات، دلالة كينونية موضوعية تقع متعالية على الوعي الذي للهو. أن تسقط ماهية الإيمان من التفكير لتقع في التصوّر فذلك يتم بواسطة هذه الدلالة التي تفيد حالية وبساطة التفكير المحض في الوعي، فتصير تلك الماهية عالماً فوق الحسّ يكون بالجواهر مغايراً للوعي - بالذات. - أما في التعقل المحض فإنّ تمارّ التفكير الخالص في الوعي تكون له على العكس الدلالة المضادة؛ فالموضوعية لا تكون لها إلا دلالة مضمونٍ سلبيّ منتسخ بذاته وراجع في الهو، ومعناه أنّ الهو فقط هو الذي يكون على الحصر لنفسه الموضوع، أو أنّ الموضوع ليست له حقيقةً إلا من حيث تكون له صورة الهو.

[II. موضوع الإيمان] - مثلما ينتسب الإيمان والتعقل المحض بالاشتراك إلى أسطقس الوعي الخالص، يكونان كذلك بالاشتراك الرجوع انطلاقاً من العالم الحقيقي الذي للثقافة. لذلك يعرضان بحسب وجوه ثلاثة؛ فمرة يكون كلُّ واحد خارج كلِّ صلة في ذاته ولذاته؛ ومرة أخرى يتصل كلُّ واحد بالعالم الحاقّ المقابل للوعي الخالص؛ ومرة ثالثة يتصل كلُّ واحد بالآخر داخل الوعي الخالص.

أما وجه الكينونة التي في ذاتها ولذاتها فيكون الموضوع

المطلق في الوعي المؤمن، وهو الموضوع الذي شرحنا مضمونه وتعيينه. والموضوع بحسب مفهوم الإيمان لا يكون إلا العالم الواقعي المرفوع إلى كلية الوعي الخالص. لذلك يقيمُ تفصل هذا العالم أيضاً تنظيم العالم الأول<sup>(38)</sup>؛ إلا أن الأجزاء فيه ليست تغرب في رَوْحها (Ihrer Begeistung)، بل هي ماهيات كائنة في ذاتها ولذاتها وأرواح آيبة إلى ذاتها ولابثة لذن ذاتها. - لذلك فالحركة التي لتمازها ليست إلا بالنسبة إلينا اغتراباً للتعيينية أين تكون في الفرق الذي لها، وليست إلا بالنسبة إلينا سلسلة واجبة؛ أما بالنسبة إلى الإيمان ففرقها إنما يكون تنوعاً ساكناً، وحركتها إنما هي حدثان.

وإن شئنا تسميتها بإيجاز بحسب التعيين البراني الذي لصورتها فإنه مثلما كانت سلطة الدولة أو الحسنُ الطرف الأول في عالم الثقافة، كذلك هاهنا الأول إنما يكون الماهية المطلقة، الروح الكائن في ذاته ولذاته من جهة أنه الجوهر البسيط الأزلي؛ إلا أن الجوهر في تحقيق مفهومه، وهو كونه روحاً يمر في الكون لأجل آخر وتساويه الذاتي، إنما يؤول إلى الماهية المطلقة الحاقة والمضحية بنفسها؛ فالماهية إنما تؤول إلى الهو، لكن إلى هو متماض. ولذلك فالثالث إنما هو أيلولة هذا الهو المغترب والجوهر المحفوض إلى بساطته الأولى، وإنه لهذا الشكل رأساً [353] يكون الجوهر متصوراً كروح.

هذه الماهيات المتباينة المستردة في ذاتها عبر التفكير وانطلاقاً من تغير العالم الحقيقي إنما تكون أرواحاً أزلية عريّة من التغير، وهي التي كونها أن تتفكر الوحدة التي تقيمها. ومثلما انتزعت من الوعي - بالذات فإنها مع ذلك تنفذ فيه؛ فلو كانت الماهية غير مختلة في صورة الجوهر البسيط الأولاني، لظلت

(38) يعني عالم الإيمان.

غريبةً عن الوعي - بالذات؛ إلا أن تخارج هذا الجوهر، ومن ثمة روحه، تكون لهما في الوعي - بالذات لحظةً الحقيقي، فيصيان عندئذٍ سهماً من الوعي - بالذات المؤمن، أو: الوعي المؤمن ينتمي إلى العالم الحقيقي.

إن الوعي المؤمن نفسه يكون له بحسب هذه الرابطة الثانية ومن جهة أولى حقيقته في العالم الفعلي الذي للثقافة، فيكون روح هذا العالم وكيانه اللذين كنا اعتبرنا؛ لكنّه من جهة أخرى يواجه ذلك الحقيقي الذي له مواجهته لباطل، فيكون حركةً نسخه. وهذه الحركة لا تتمثل في أنّ ذلك الوعي المؤمن كان يكون له وعيٌ روحانيٌّ شديداً بصدد قلب العالم الفعلي؛ إنّ هو إلا الوعي البسيط الذي يعتبر باطلاً الروحانيّ الشديد (Das Geistreiche)، لأنّ هذا الروحانيّ الغليظ ما زال يتعقب العالم الواقعيّ غايةً له. بل ما ينتصبُ قبالةً الملكوت الساكن الذي لتفكير هذا الوعي المؤمن إنّما هو الحقيقي من جهة ما هو كيانٌ عار من الروح تنبغي إذاً مجاوزته على نحو برانيّ. وهذا الامتثال الذي للخدمة والمديح إنّما يُنتجُ عبر نسخ المعرفة والصنيع الحسيين الوعي بالوحدة مع الماهية الكائنة في ذاتها ولذاتها، فلا يكون مع ذلك كوحدة حاقّة ومحدوسة، بل هذه الخدمة إنّما هي الإحداث الدائم الذي لا يبلغ على التمام هدفه في الحاضر. والجماعة (Die Gemeine) إنّما تنتهي إلى ذلك فعلاً، لأنّها الوعي - بالذات الكلّي؛ لكن لا بدّ أن يظلّ ملكوت التفكير المحض في نظر الوعي - بالذات الفرديّ متعالياً على الحقيقي الذي له، أو: ما دام هذا المتعالي دخل الحقيقي بمعية اختراع الماهية الأزليّة، فإنّ هذا الحقيقي حقيقٌ حسيّ غير مفهوم مفهوماً؛ إلا أنّ الحقيقي الحسيّ يظلّ على سيّانية إزاء الحقيقي الآخر، والمتعالي لم يحصل في ذلك إلا على تعين الإدبار في المكان والزمان. - لكنّ المفهوم، أي الحقيقي الحاضر لذاته بذاته الذي للروح، إنّما يظلّ في الوعي المؤمن [354]

الباطن الذي هو كلُّ شيء ويفعل كلَّ شيء، لكنّه هو ذاته لا  
ينجم.

[III. معقوليّة التعقّل المحض] - أمّا في التعقّل المحض  
فالمفهوم وحده يكون الحاق؛ وهذا الوجه الثالث الذي للإيمان،  
أي كونه غرضاً للتعقّل المحض إنّما هو الرابطة الخاصّة التي يهلُّ  
فيها الإيمان هاهنا. - والتعقّل المحض ذاته ينبغي تفحصه كذلك  
من جهة في ذاته ولذاته، وينبغي من جهة أخرى النظر فيه من  
حيث يكون على رابطةٍ بالعالم الحاق، ما دام حاضراً بعد بشكل  
إيجابيّ، لاسيّما كوعي باطل؛ وينبغي في الختام تعقّب الفحص  
عنه من جهة ثالثة في هذه العلاقة بالإيمان.

لقد كنّا رأينا ما هو التعقّل المحض في ذاته ولذاته؛ فكما  
يكون الإيمان الوعيّ الخالص والساكن الذي للروح كأنّه بالماهية،  
كذلك يكون التعقّل المحض الوعيّ - بالذات الذي لعين الروح؛  
لذلك لا يعلم الماهية من جهة ما هي ماهية بل من جهة ما هي  
هو مطلق. وعليه فالتعقّل المحض إنّما يتنزّع إلى نسخ كلّ قوّة  
مغايرة للوعي - بالذات وإن كانت التي للحاق أو للكائنات - في -  
ذاتها حتّى يجعل منها المفهوم. وليس التعقّل المحض الإيقان  
الذي للعقل من كونه كلّما حقيقة، بل هو يعلم كونه ذلك.

لكن إذا نظرنا كيف يهلّ المفهوم الذي لعين التعقّل، لبان  
أنّ هذا المفهوم ما زال لم يتحقّق. وبالتالي فوعيه به ما زال يظهر  
كوعي عرضيّ وفرديّ، وما يكون في نظره الماهية إنّما يظهر كغاية  
ينبغي أن يسعى في تفعيلها. والوعي تكون له في بادئ الأمر النيّة  
في جعل التعقّل المحض كلياً، ومعناه أن يجعل من كلّ ما هو  
حاقّ المفهوم، بل مفهوماً في الوعيات - بالذات. والنيّة تكون  
خالصة، لأنّ التعقّل المحض يكون لها مضموناً؛ كذلك هذا  
التعقّل يكون خالصاً، لأنّ مضمونه ليس إلّا المفهوم المطلق الذي

ليس له من تقابل في موضوع ولا يكون في حد ذاته مقيداً. أما في المفهوم غير المقيّد فيقع في - الحال الجانبان كلاهما اللذان يفيدان أنّ كلّ موضوعي لا تكون له إلا دلالة الكون - لذاته والوعي - بالذات، وأن لهذا الأخير دلالة كليّ، وهي أن يصير التعقل المحض مُلكاً لكلّ الوعيات - بالذات. هذا الجانب الثاني للثية إنّما هو نتاج الثقافة من حيث إنّ الفروق التي تبدت كطبائع أصلية ومتعيّنة مثلها مثل الفروق التي للروح الموضوعي كما أجزاء وتعيّنات الحكم الذي لعالمه إنّما قد استغرقت في الهوة. والعبقريّة والموهبة وبالجملة القدرات الجزئية إنّما تنتمي إلى عالم الحقيقي [355] من حيث إنّ ما زال ينطوي على الجانب الذي يكون على نحوه ملكوت الحيوان الروحيّ الذي يتصارع ويتوهم في شأن ماهيات العالم الفعليّ في سياق نشاطٍ عنيفٍ متبادلٍ وخبطة. - ولا ريب أنّه لا مكان للاختلافات في هذا العالم كأنواع شريفة؛ فالفردية لا تكفي برأس الأمر غير الحاق، بقدر ما لا تمتلك مضموناً جزئياً ولا غاية خاصة. وإنّما لا تصلح إلا كشيء صالح - كلياً (Als ein Allgemeingültiges)، ولاسيما كمتكوّن؛ أما الاختلاف فيرتد إلى الطاقة الأصغر أو الأكبر، - إلى اختلاف العظم، أي اختلاف ما لا شأن له؛ لكنّ هذا التنوع الأخير قد فات في الهوة من جهة أنّ الاختلاف كان أنكفاً في التمزق التام الذي للوعي على ما هو كفيّ بإطلاق. وما يكون في هذا آخر عند الأنا ليس إلا الأنا نفسه. لقد أبطلت في هذا الحكم اللامتناهي كلّ أحادية وملكيّة للكون - لذاته الأصليّ؛ وهو إنّما يعلم بنفسه كيف يكون موضوعه كهو خالص؛ وهذا التساوي المطلق للجانبين كليهما هو أسطقس التعقل المحض. - لذلك يكون التعقل المحض الماهية البسيطة وغير المختلفة في ذاتها، وهو كذلك الأثر الكليّ والمُلك الكليّ. والوعي - بالذات في هذا الجوهر الروحيّ البسيط إنّما يتعطى ويستحفظ في كلّما موضوع وعي الفردية التي له أو وعي

الصنيع، مثلما تكونُ - على العكس من ذلك - فرديةً عينِ الوعي - بالذات مساويةً لذاتها وكنيةً. - وعليه فهذا التعقل المحض إنما هو الرّوح الذي ينادي على مسمع كلّ وعي: كُونُوا لأنفسِكُمْ ما أنتم في أنفسِكُمْ، - أي كونوا عقلاء.

## 2. الأنوار

إنّ الموضوع المخصوص الذي يوجّه ضده التعقلُ المحضُ قوّة المفهوم هو الإيمانُ من جهة أنّه صورة الوعي الخالص المواجهة له في عين الأسطقس؛ إلّا أنّ التعقلُ المحضُ يكون على اتّصال بالعالم الحاقّ، فهو مثله مثل الإيمان، أيلولةً من عين العالم إلى الوعي الخالص. وسنرى بادئ ذي بدء كيف يقوم نشاطه ضدّ النيات المُعتكّرة والأفهام المتقلّبة التي لعين العالم.

لقد أشرنا أعلاه إلى الوعي الساكن الذي يواجه هذه الدوامّة <sup>56]</sup> التي ما تنفك تنفضُ وتنبثقُ؛ فهذا الوعي يمثل جانبَ التعقلُ المحض كما النية. ولكن لا يقع في هذا الوعي الساكن - كما كنّا رأينا - أيّ تعقلٍ جزئيٍّ لعالم الثقافة، بل هذا العالم يكون له الشعورُ الأكثر إيلاماً والتعقلُ الأحقّ بصدد ذاته، - الشعورُ بأنّه انفضاضُ كلّ مترسّخ، وأنّ الإنهاك قد اشتدّ عليه في كلّ لحظة من لحظات كيانه حتّى انكسر في كلّ عظم من عظامه، - كذلك يكون هذا العالم لغةً ذلك الشعور والقولُ الحاكم المليء روحاً في كلّ وجوه الوضع الذي له. لذلك لا يمكن التعقلُ المحضُ هاهنا أن يكون له نشاطٌ خاصّ وموضوع خاصّ، وعليه فهو لا يسلك إلّا كإحاطةٍ صوريةٍ أمانةٍ لهذا التعقلُ الخاصّ والمليء روحاً الذي للعالم وللغته. وما دامت هذه اللّغة تناثرت، والحكمُ صار لغواً في لحظ عيْنِ سرعان ما يُنسى، والكلُّ لا يكون إلّا بالنسبة إلى وعيٍ دخيلٍ، فلا فرق عند هذا الوعي كتعقلُ محضٍ

إلا من حيث يجمع تلك الملامح المتناثرة في صورة كلية، ثم يجعل منها تعقلاً لكلّ شيء.

بهذه الوسيلة البسيطة سيحملُ التعقلُ المحضُ خلبطةً هذا العالم على التحلّل. ولقد بان أنه لا الكتل ولا المفاهيم والفرديات المتعيّنة تكون الماهية التي لهذا الحقيق، بل بان أنّ جوهره ورسوخه يكونان له من الروح وحده، وهو الذي يوجد كحكم وتقاويل (Als Urteilen und Besprechen)، وأنّ الانشغال بتعقّب مضمونٍ لهذه المماحكة وهذه الثرثرة هو وحده ما يحفظ الكلّ والكتل التي لتمفصله. أمّا الوعي - بالذات الذي للتعقل فيكون في نظره في هذه اللغة كائناً لذاته، أي هذا الفرديّ؛ إلا أنّ بطلان المضمون يكون في الوقت نفسه بطلان الهو العالم بأنّه باطل. وما دام الوعي الذي يلمُّ بشكل هادئ بجملة تلك الثرثرة الغنية روحاً التي للباطل ينتج عندئذ جُمع الأفهام الثاقبة والحاسمة في الأمر، فإنّ النفس التي ما انفكت تحفظ الكلّ وبطلان الحكم الغنيّ بالروح إنّما يتماديان في مزيد من بطلان الكيان، أي يفوتان في الهاوية. والتجميع إنّما يُظهر للأغلبية بصيرةً أحسن، أو على الأقلّ يُظهر للجميع بصيرةً أكثر تنوعاً من التي لهم، كما يُظهر المعرفة بالأحسن، فيُظهر بالجملة الحكم كأنه شيء كليّ صار ذائع [357] المعرفة على نحو كليّ؛ بذلك يبطلُ الشاغلُ المفردُ الذي كان بعد حاضراً، فتحلّلُ البصيرة الفردية في التعقل الكليّ.

وزائداً إلى ذلك تثبتُ المعرفة بالماهية فوق المعرفة الباطلة، والتعقلُ المحضُ يُظهرُ أولاً في نشاط مخصوصٍ من حيث إنه ينبعث ضدّ الإيمان.

### أ. صراعُ الأنوار للمعتقدات الجمهوريّة

[I. السلوك السلبيّ للتعقل إزاء الإيمان] - إنّ الوجوه المتنوعة التي للسلوك السلبيّ للوعي، أعني وجه الرّبيبة من جهة،

ووجه المثاليّة النظرية والعملية من جهة أخرى، تسمى أشكالاّ تابعةً بالنظر إلى الشكل الذي يكون لهذا **التعقل المحض** والذي لشيوعه، أي شكل **الأنوار**؛ فالتعقل وُلد من صلب الجوهر، ويعلم أنّ **الهُو** الصرف للوعي مطلقٌ، فيحصّله مع الوعي الخالص بالماهية المطلقة التي لكلّ حقيقٍ. - ومن حيث إنّ الإيمان والتعقل يكونان عينَ الوعي الخالص، مع أنّهما متضادان من حيث الصورة، وأنّ الماهية بالنسبة إلى الإيمان تكون كفكرةٍ لا كمفهوم، فتكون إذاً مقابلةً مطلقاً للوعي - بالذات في حين أنّ الماهية بالنسبة إلى التعقل المحض إنّما هي **الهُو**، فإنّ التعقل والإيمان يكون الواحدُ منهما حيالَ الثاني سلبياً الآخر مُطلقاً. - ولَمّا يمثّلان الواحدُ قدامَ الآخر، يؤول كلّ مضمونٍ إلى الإيمان، لأنّ كلّ لحظة برأسها إنّما تستفيد دوماً في عنصر التفكير الساكن الذي للإيمان؛ - أما التعقل المحض فيكون قبل كلّ شيء عارياً من المضمون، بل هو في الأكثر زوالُ عين المضمون؛ لكنّه سيتحقّق عبر الحركة السالبة ضدّ ما هو سلبياً بالنسبة إليه، وسيستعطي مضموناً.

[1. شيوع التعقل المحض] - هذا التعقل إنّما يعلم الإيمان كمتضادّ معه ومع العقل والحقيقة. ومثلما يكون الإيمان بالنسبة إلى التعقل المحض بالجملة نسيج خرافات وابتسارات وضلالات، فإنّ الوعي بهذا المضمون يتنظّم قُدماً بالنسبة إلى التعقل المحض في ملكوت من الضلال أين يكون التعقل الكاذبُ مرّةً أولى كالكتلة الكليّة للوعي في - الحال وسفياً ومن دون تفكّر في ذاته نفسها، لكن تكون له أيضاً لحظة التفكّر في الذات أو لحظة الوعي - بالذات مفصولةً عن السّفه، وذلك كتعقل يدوم لنفسه من تحت العماد وطويّة خبيثةٍ يغترُّ هذا الوعي بها. وهذه الكتلة إنّما تكون ضحيّة خداع الكهنوت الذي يطلق عنان باطله الحسود حتّى يبقى وحده متمكناً للتعقل مثلما يطلق عنان مصالحه الشخصية، فيتأمر



في الحين ذاته مع الاستبداد الذي ينتصب كالوحدة الرابطة والعريّة من المفهوم بين الملكوت الفعلّي وهذا الملكوت المثاليّ، - وإنّها لعمرى ماهيّة هجينة ومتهافئة -، ثمّ يتحكّم في التعقّل الفاسد الذي للجمهور والنيّة القبيحة التي للكهنة، ويجمع أيضاً بين الاثنين في ذاته، فيغنم من حمق الشعب وخبلته بواسطة الكهنوت الماكر - وهو يحقرهما معاً - الرياسة الهادئة واستتمام ملذاته واعتباطه، لكنّ هذا الاستبداد يكون في الوقت نفسه عين الحماقة التي للتعقّل ونفس المعتقد الجمهوريّ والضلال.

إنّ الأنوار لا تخوض المعركة ضدّ هذه الوجوه الثلاثة التي للعدوّ من دون تمييز؛ فما دامت ماهيتها محض تعقّل، أي الكليّ الذي في ذاته ولذاته، فإنّ صلتهما الحقّ بالطرف الآخر هي التي تتجه فيها صوب المشترك (Das Gemeinschaftliche) والمتساوي اللذين يكونان في الطرفين معاً. فالوجه الذي يكون للفردية المنعزلة عن الوعي الكليّ المبتدئ إنّما هو المتضادّ مع الأنوار الذي لا يكون بوسعها أن تلامسه في - الحال. ولذلك لا تكون الإرادة التي للكهنوت المخادع وللمستبدّ الطاغية الموضوع المباشر لفعل الأنوار، بل التعقّل العاري من الإرادة الذي لم يتفرّد في الكون - لذاته، أو مفهوم الوعي - بالذات العاقل هو الذي يكون له كيان لدن الجمهور، على الرغم من أنّه ما زال لم يمثل في الأنوار كمفهوم. ولكن ما دام التعقّل المحض ينتزع هذا التعقّل الشريف وماهيته المبتدئة من الابتسارات والضلالات، فإنّه ينزع من بين الأيدي الواقع والسطوة اللذين لخداع النيّة القبيحة، وهي التي يكون مغرّس ملكوتها وموادّه في الوعي العريّ من المفهوم الذي للعامة الكليّة - أعني الكون - لذاته الذي يكون له جوهره بالجملة في الوعي البسيط.

حينئذٍ يكون لازتباط التعقّل المحض بالوعي المبتدئ الذي للماهية المطلقة وجه مضاعف، فمن جهة يكون التعقّل المحض

في ذاته سَيِّ<sup>(39)</sup> الوعي، أمّا من جهة أخرى فإنّ هذا الوعي يترك [359] في العنصر البسيط الذي لفكرته الحبل على الغارب للماهية المطلقة كما لأجزائها، فهب لنفسها قيمومةً، فلا يدعها تصلح إلّا كالفي - ذاته الذي له، وبالتالي إلّا على نحو موضوعي، لكنّه في هذا الفي - ذاته إنّما يلغي كونه - لذاته. - ولما كان هذا الإيمان في ذاته - بحسب ذلك الوجه الأوّل - بالنسبة إلى التعقل المحض وعياً - بالذات خالصاً، وكان لا يصير إلى هذا إلّا في ذاته، فإنّ التعقل المحض في هذا المفهوم الذي لعين الإيمان يكون له العنصر حيث يتحقّق بدلّ التعقل الفاسد.

أمّا من جهة أنّهما بالجواهر سيّان، وأنّ صلة التعقل المحض تحدث عبر العنصر نفسه وفيه، فإنّ تواصلهما تواصل في - الحال، وإفادتهما كما استفادتهما إنّما هما ترسل الواحد منهما في الآخر بلا شائبة. غير أنّه أيّاً كانت الأوتاد التي قد تُضرب قدماً في الوعي، فالوعي في ذاته إنّما هو هذه البساطة التي يكون فيها كلّ شيء متحللاً ومنسياً وساذجاً، فتستفيد لذلك المفهوم على الإطلاق. ولهذه العلة تمكن مقارنة إفادة التعقل المحض بالانبساط الساكن أو بالذيعان مثل عطر ما في الجوّ الذي يعرى من كلّ مقاومة. إنّها عدوى نافذة لا تظهر مذّ أول وهلة كمتضادّ إزاء العنصر السيّانيّ الذي تتسلّل إليه، ولذلك لا حيلة في دفعها. ومتى تنفّس العدوى، حينئذ فقط تكون بالنسبة إلى الوعي الذي ينساق إليها من دون احتراس. ولا ريب أنّ الماهية البسيطة والمساوية لذاتها هي ما كان الوعي قد استفاده في دخيلته، لكنّه استفاد في الحين ذاته بساطة السالبيّة المتفكّرة في ذاتها التي تنبسط أيضاً من بعد ذلك وبحسب طبيعتها كمتضادّ، فتذكّر الوعي من خلال ذلك بوجهه الفائت؛ فهذه البساطة إنّما هي المفهوم الذي هو العلم

(39) Dasselbe mit...، أي هو هو.

البيسط الذي يعلم ذاته، ويعلم في الوقت نفسه ضده، إلا أنه يعلمه من جهة ما هو منسوخ فيه. وبمجرد أن يستقيم التعقل المحض للوعي، يكون لذلك قد شاع حقاً؛ والمعركة ضده إنما تخون العدوى الحادثة؛ فهي إنما تأتي فُتبطى، وكل وسيلة إنما تجعل الداء يشتد، فهو قد طال لب الحياة الروحية، أعني الوعي في مفهومه أو ماهيته الخاصة ذاتها، ولذلك ما من قوة في الوعي كانت لتغلب الداء. ولما كان التعقل المحض يقوم داخل الماهية ذاتها، فإن خُراجاته التي ما زالت مفردة إنما يتسر كبح جماحها، والأمارات السطحية إنما يسهل طمسها. وذاك يعزز جانبه أيما تعزيز؛ لأنه حينئذ لا يبذر قوته من دون طائلة، ولا يبين غير خليق بالماهية التي له، مثلما هي الحال لما ينصدع إلى علامات وثور فردية ضد المضمون الذي للإيمان وجملة الحقيق البراني الذي له. أما وقد صار التعقل المحض روحاً لامرئياً وخفياً، فهو إنما يشيع في الأجزاء النبيلة طويلاً وعرضاً، فيكون قيد التنفذ بشكل أساسي من كل أحشاء وأطراف الأوثان العارية من الوعي، ثم «ذات صباح جميل يدفع بمرفقه صاحبه فتحدث ضجة، وإذا الوثن يهوي أرضاً»<sup>(40)</sup>. - ذات صباح جميل لا يكون ظهره دامياً عندما تكون العدوى تفتت في كل أعضاء الحياة الروحية؛ ووحدها الذاكرة ما زالت تحفظ - ولا أحد يدري كيف - الوجه الميت الذي لشكل الروح الفات كآته حكاية ولت؛ وثعبان الحكمة الجديد الذي رُفِع إلى مصاف العبادة لم يفعل على هذا النحو إلا أن يضع من دون وجع جلده الذابل.

[360]

[2. معارضة التعقل للإيمان] - لكن هذا الحيك المتصل (Das Fortweben) والصموت الذي في الباطن البسيط لجوهر الروح الذي يستخفي فعله إنما هو جانب واحد من التحقق الذي

للتعقل المحض. فشيوعُ هذا التعقل لا يرجع فقط إلى أنّ المساوي يجتمع بالمساوي. بل إنّ صنيعَ الماهية النافية هو أيضاً بالجوهر حركةً رابيةً تنفرق بذاتها وفي ذاتها، ولا بدّ لها من جهة ما هي صنيعٌ واعٌ أنّ تعرض لحظاتها في كيانٍ بائنٍ ومتعينٍ، وتكون حاضرةً كقعةٍ ضجوجٍ ومعركةٍ حاميةٍ مع الضدّ بما هو كذلك.

لذلك ينبغي أن ننظر كيف يسلك التعقل المحض والنية بشكلٍ سلبيٍّ ضدّ الآخر المتضادّ معهما الذي وجدانه حاصلًا عندهما. - ولما كان مفهومُ التعقل المحض والنية اللذين يسلكان مسلكاً نافياً كلّاً أيسيةً، فلم يمكن أن يخرج شيءٌ عليهما، فإنه ليس بوسعهما إلا أن يكونا سلبيّ ذاتيهما. ولذلك إنّما يصيران من جهة كونهما تعقلًا إلى سلبيّ التعقل المحض، فيمسي لاحقيقةً ولاعقلًا، وأما من جهة كونهما نيةً، فإنهما يستحيلان سلبيّ النية، فتمسي كذباً وكدرًا في الغاية.

إنّ التعقل المحض يرتبك في هذا التناقض من حيث إنه يدخل الصراع، ويظنُّ أنه يصارع شيئاً مغايراً. - لكنّه إنّما يظنّ [361] ذلك وحسب، لأنّ ماهيته من جهة ما هي سالبةٌ مطلقةٌ إنّما هي أن ينطوي في حدّ ذاته على كونه آخر. والمفهوم المطلق إنّما هو المقولة؛ إنه كون المعرفة وموضوع المعرفة متهووين. لذلك لا يمكن أن يكون ما ينطق به التعقل المحض على أنه آخره وأنه الضلال أو الكذب شيئاً آخر غير نفسه؛ ولا يسعه إلا أن يذمّ ما يكونه. وما لا يكون معقولاً لا حقيقة له، أو ما لا يفهم مفهوماً لا يكون البتّة؛ وعليه فما دام العقل يتحدّث عن مغايرٍ لما هو عليه، فإنه لا يتحدّث في واقع الأمر إلا عن نفسه؛ وفي ذلك لا يخرج على ذاته. - ولهذه العلة ذلك الصراع مع الضدّ يجمع في حدّ ذاته دلالةً كون العقل التحقّق الذي له. وهذا التحقّق إنّما يقوم بخاصّةٍ على حركةٍ إنماء اللّحظات واستردادها في الذات، فشطرٌّ من هذه الحركة هو الاختلاف الذي يستوجه فيه التعقل الفاهم

نفسه بما هي موضوع؛ فهو مغترب ذاتياً ما طالت مدته في هذه اللحظة. أما من جهة ما هو تعقل محض فإنه يظل من دون أي مضمون؛ وحركة تحققه تتمثل في أن يتصير هو ذاته كمضمون، لأنه لما كان هذا التعقل الوعي - بالذات الذي للمقولة لم يمكن أن يحدث له مضمون آخر. ولكنه ما دام لا يعرفه في بادئ الأمر في الضد إلا من جهة ما هو مضمون، فلا يعرفه بعد كأنه هو ذاته، فإنه يجهل ذاته فيه. ولذلك يكون لاكتمال هذا التعقل هذا المعنى، وهو أن يعترف المضمون الذي يكون في نظره أول الأمر موضوعياً كأنه المضمون الذي له (Ihriger Inhalt). ولكن نتاجه لن يكون بذلك لا استصلاحاً للضلالات التي يقاومها، ولا مفهومه الأول وحسب، بل تعقلاً يعرف ساليته الذاتية المطلقة من جهة ما هي حقيقته الخاص، وكأنها ذاته نفسها، أو هي مفهومه الذي يعترف ذاته نفسها. - هذه الطبيعة التي لصراع الأنوار مع الضلالات، أعني أن الأنوار تصارع نفسها ضمن تلك الضلالات، فتستنكر ما تذهب إليه، إنما تكون بالنسبة إلينا، أو هي ما تكون الأنوار وما يكون صراعها في ذاته؛ إلا أن الجانب الأول لعين الصراع، أعني تكدر الأنوار من جراء تلقي المسلك السلبي على خلوصه المساوي لذاته، إنما يمثل كيف تكون الأنوار موضوعاً للإيمان؛ وهذا الأخير إنما يخبرها إذا كانت كذباً ولا عقل ونية فاسدة، مثلما يكون هو في نظر الأنوار ضلالاً وابتساراً. - أما إذا نظرنا في مضمون الأنوار، فهي قبل كل شيء تعقل خاو يظهر له مضمونه كآخر، لذلك هي تجده حاصلها على هذا الشكل الذي ما زال وفقه لا يكون مضمونها، أي كيان مستقل عنها يقع في الإيمان.

[3]. إستخفاف الأنوار بنفسها] - الأنوار إذا تلم بموضوعها أولاً وبشكل عام على نحو أنها تأخذه مأخذ التعقل المحض، فتوضحه إذ لم تجهل ذاتها، على أنه كذب. والوعي في التعقل

بما هو كذلك إنما يعقلُ (FaBt) موضوعاً ما على نحو أنه يصير له ماهيةً الوعي أو موضوعاً ينفذُ فيه، فيحفظ نفسه ضمنه، ويدومُ فيه حدو ذاته وحاضراً فيها، وما دام الوعي يُمسي عندئذٍ حركة ذلك الموضوع، فإنه يُنتجُه. والأنوار إنما تكون على سدادٍ متى تصف الإيمان من حيث هو على التدقيق من جنس ذلك الوعي، فتقول فيه إن ما يكون بالنسبة إليه الماهية المطلقة إنما هو كينونةً وعيه الخاص، فكرته الخاصة، أي نتاج وعي. فالأنوار تُفسر عندئذٍ الإيمان من جهة ما هو كذب وأفتراء في عين الذي هي به ما هي. - إن الأنوار إذ تلمسُ تعليمَ الإيمان الحكمة الجديدة لا تقول له جديداً؛ لأنَّ غرض الإيمان هو أيضاً بالنسبة إليه وبشكل مباشر هذا: أعني محضَ ماهيةً لوعيه الخاص، على نحو أن هذا الوعي لا يضع في الإيمان ذاته ضائعةً ومنفيةً، بل يثق به، ومعناه على الحصر أنه يدركُ نفسه فيه من جهة ما هو هذا الوعي، أو كوعي - بالذات. إن من أثق به وأطمئنَّ إليه يكون إيقانه من ذاته في نظري إيقاني من ذاتي؛ فأنا أعترف فيه كوني لأجل ذاتي من حيث يعترف به، فيمسي كوني لذاتي في نظره غايةً وماهيةً. ولكنَّ الإيمان إنما هو ثقة، لأنَّ وعيه يتصل في - الحال بموضوعه، وعليه فهو يحدس أيضاً أنه فيه وإياه واحداً. - وزائداً إلى ذلك أنه لما كان الموضوع في نظري هذا الذي أعترف فيه نفسي، فأنا بالجملة إنما أكون لنفسي في الوقت ذاته كوعي - بالذات معاً، أي كوعي - بالذات صار في ذلك مغترباً عن فرديته الجزئية، ولاسيما عن طبيعته وعرضيته، لكنَّه في ذلك إنما يظلُّ من جهةً وعياً - بالذات، ويكون من جهة أخرى وعياً جوهرياً كمثُل التعقل المحض. - فالذي يشتمل عليه مفهوم التعقل ليس فقط كون الوعي يعترف ذاته في موضوعه المتعقل، وأنه في - الحال مُلك نفسه من دون إهمال المفتكر والخروج عليه حتى يؤوب أولاً إلى ذاته، بل الوعي وعيٌ بنفسه من حيث يكون كذلك وعياً بالحركة الموسطة،

أو هو واع بنفسه من جهة ما هي صنيعٌ أو إنتاجٌ؛ بذلك تتم له في الفكر هذه الوحدة التي له كالتي بين الهو وبين الموضوع. - فالإيمان إنما هو على التدقيق هذا الجنس من الوعي؛ والامتثال والصنيع هما لحظةٌ واجبةٌ يستقرّ بمعيتها إيقانُ الكينونة إلى الماهية المطلقة. ولا ريب أنّ صنيع الإيمان ذاك لا يظهر على نحو أنّ الماهية المطلقة ذاتها تكون مُحدثةً من هذا الوجه. ولكنّ ماهية الإيمان المطلقة ليست بالجوهر الماهية المجردة التي كانت تكون متعاليةً على الوعي المؤمن، فإنّما هي روح الجماعة، الوحدة بين الماهية المجردة وبين الوعي - بالذات. أن تكون الماهية المطلقة هذا الرّوح الذي للجماعة، فذلك ما يمثل فيه صنيع الجماعة لحظةً جوهريةً؛ وهذا الرّوح لا يكون تلك الماهية إلا عبر الإنتاج الذي للوعي، - أو هو لا يكونها بالأحرى من دون أن يكون الوعي أنتجته؛ لأنّه بقدر ما يكون الإنتاج جوهريةً، بقدر ما لا يكون أيضاً من وجهٍ جوهريةٍ العماد الأوحّد للماهية، بل يكون مجرد لحظة، فالماهية تكون في الوقت نفسه في ذاتها ولذاتها.

أما من الناحية الأخرى فالمفهوم الذي للتعلّل المحض يكون لنفسه مغايراً لموضوعه، لأنّ هذا التعيين السلبي هو الذي يمثل على التدقيق قوام الموضوع. كذا يفصحُ التعلّل المحض من الناحية الأخرى عن ماهية الإيمان من جهة ما هو شيء غريب عن الوعي - بالذات كان لا يكون ماهيته، بل كان يكون أقجم فيه كفرخٍ مُسوخ. غير أنّ الأنوار في هذا الموضوع تهذي تماماً؛ فالإيمان إنّما يتعناها كقول لا يدري ما يقول ولا يذهن الأمر لما يتحدث عن خداع الرهبان وتضليل الشعب. إنّ الأنوار تتكلم في ذلك كما لو أنّ شيئاً هجيناً ومغايراً على الإطلاق قد أقجم في الوعي على سبيل الماهية بواسطة تعويذة من تعويذات الكهنة المشعوذين، فتقول في الوقت نفسه إنه كان يكون من ماهية الوعي

أن يعتقد في ذلك، ويثق به، ويسعى في أستمالته إلى جانبه، - ومعنى ذلك أن الوعي كان يكون حدس في ذلك ماهيته الخالصة كما فرديته الفاردة والكلية، فيكون أنتج بصنيعه هذه الوحدة بين ذاته وبين ماهيته. والأنوار إنما تقول في - الحال في ما تعلن أنه غريب عن الوعي إنه خصيصة عين الوعي. - ما حيلتها إذاً في [364] الكلام عن الخداع والتضليل؟ ولما كانت الأنوار نفسها تقول في - الحال في الإيمان عكس ما تقرّ به في شأنه، فإنها تلوح له على الأرجح ككذبة واعية، إذ كيف ينبغي أن يقع التضليل والخداع حيث يكون للوعي في - الحال وعلى حقيقته الإيقان من ذاته؟ وأين يمتلك هذا الوعي زمام ذاته نفسها في موضوعه ما دام يجد نفسه فيه مثلما يحدث فيه؟ فالاختلاف لم يعد حاضراً حتى في الكلمات. - عندما كان طرح السؤال العام عما إذا كان يجوز تضليل شعب ما، كان ينبغي أن تكون الإجابة في واقع الأمر أنه لا طائل من وراء السؤال لأنه محال في هذا الموضع أن يضل شعب<sup>(41)</sup>. - يمكن للنحاس بدل الذهب وللعملة الفاسدة بدل الحقيقية أن تُباع كل على حدة، ويمكن لمعركة خسرت أن تُقدّم للجمهور كمعركة رُبحت، وأن تكون أكاذيب أخرى في الأشياء المحسوسة، وأحداث فردية قابلة للتصديق لبرهة من الزمن؛ لكن في المعرفة بالماهية حيث يكون للوعي في - الحال إيقانه من ذاته، إنما ترتفع تماماً فكرة التضليل.

[II. مذهب الأنوار] - فلنمعن النظر كيف يخبر الإيمان الأنوار في لحظات وعيه المختلفة، وهو الأمر الذي ذهبت فيه

(41) يشير هيغل هاهنا إلى غرض المناظرة الذي نظمتها الأكاديمية الملكية للعلوم والآداب ببرلين بإشراف فريدريك الثاني في 1778، وهو سؤال كان وضعه دالامبير: «Est-il utile au peuple d'être trompé, soit qu'on l'induisse dans de nouvelles erreurs, ou qu'on l'entretienne dans celles où il est?»

انظر ص 14 من: *Nouveaux mémoires de l'académie royale des sciences et belles-lettres. Année 1780* ([Berlin, 1782]).



زاوية النظر المبيّنة على سبيل التعميم وحسب. أمّا هذه اللّحظات فهي التفكير الصرف؛ أو من جهة الموضوع، الماهية المطلقة في ذاتها ولذاتها نفسها؛ ثم ارتباط، ذلك الوعي من جهة ما هو معرفة بهذا الموضوع، عماد إيمانه؛ وأخيراً ارتباطه به ضمن صنيعه أو خدمته؛ فكما جهل التعقل المحض نفسه والتعنى بالجملة في الإيمان، كذلك سيسلك في هذه اللّحظات بشكل معكوس.

[1. مسخ الإيمان لواقعة الأنوار] - إنّ التعقل المحض يسلك إزاء الماهية المطلقة التي للوعي المؤمن بشكل ناف، فهذه الماهية هي تفكير صرف، والتفكير الصرف إنّما يوضع في دخيلته كموضوع أو كالماهية؛ وهذا الوعي - ذاته الذي للتفكير إنّما يستفيد في الوقت نفسه ضمن الوعي المؤمن وفي نظر الوعي الكائن لذاته الصورة، لكنّه لا يستفيد أيضاً إلا الصورة الخاوية للموضوعية؛ فالوعي - ذاته يكون على تعين متصوّر ما؛ إلا أنه ما دام التعقل المحض الوعي - بالذات وفق جانب الهو الكائن لذاته، فإنّ الآخر يظهر لهذا التعقل من جهة ما هو سلبّي الوعي - بالذات. وهذا الأخير كان يمكن أن يُعتبر بعدد إمّا كالوعي - ذاته المحض الذي للتفكير أو أيضاً كالكينونة التي للإيقان الحسيّ. لكن من حيث إنه يكون في الوقت نفسه لأجل الهو، ويكون هذا الهو من جهة أنّ له موضوعاً، وعياً حاقاً، فإنّ الموضوع المخصوص الذي للتعقل المحض بما هو كذلك إنّما هو شيء مشترك وكائن للإيقان الحسيّ. وهذا الموضوع الذي للتعقل المحض يظهر له في التصوّر الذي للإيمان؛ والتعقل المحض يذم هذا الأخير، وفيه يذم موضوعه الخاصّ. لكنّه إنّما يرتكب إزاء الإيمان مظلمة الإحاطة بموضوعه من وجهه أنّه موضوعه هو. وعليه فهو يقول في الإيمان إنّ ماهيته المطلقة هي قطعة حجر، وإنّها ركام خشب له أعين ولا يُبصر، أو أيضاً شيء من عججين الخبز كان قد نما في الحقل وحوله البشر ثمّ ألقى به حيث كان، - أو كيفما اتفق من الوجوه

[365]

التي على نحوها يُؤنَّسُن (Anthropomorphosieren) الإيمان الماهية، فيجعلها لنفسه موضوعة ومتصورة.

إن الأنوار التي تزعم أنها الخالص الصرف، تجعل في هذا الموضوع ممّا هو بالنسبة إلى الرّوح حياةً أزليةً وروحٌ مقدّس شيئاً حاقاً فاسداً، ثمّ توسّخه برؤية الإيقان الحسّي التي هي في حدّ ذاتها لاشيء، - تُدرنه برؤية هي ليست قطّ حاضرة عند الإيمان الذي يخزّ ساجداً، فتنسبها له افتراءً وبهتاناً. فالذي يُجلّه الإيمان لا يكون في نظره على الإطلاق لا حجراً ولا خشباً ولا عجين خبز، فليس هو رأساً بشيءٍ حسّيٍّ وزمنيٍّ. وإنّ صادف الأنوار أن تقول إنّ موضوع الإيمان هو أيضاً ذلك، أو حتى إنّ ذلك في ذاته وعلى الحقيقة، فالإيمان من جهة إنّما يعرف بدوره هذه «الأيضاً» بقدر ما تعرفها الأنوار، لكنّ «الأيضاً» تخرج في نظره على إجلاله؛ لكن من جهة أخرى ليس شيءٌ من مثل الحجر وما إليه بالجملة ما يكون في نظره في ذاته، بل ما يكون في نظره في ذاته إنّما هو ماهية التفكير المحض.

أما اللّحظة الثانية فهي ارتباط الإيمان بما هو وعي عارف بهذه الماهية. وهذه الماهية إنّما تكون في - الحال في نظره من جهة ما هو وعيٌ خالصٌ وعارفٌ؛ لكنّ الوعي الخالص إنّما يكون كذلك ارتباطاً موسوطةً للإيقان بالحقيقة، أعني ارتباطاً يمثّل عماد الإيمان. وهذا العماد يمسّي على التدقيق في نظر الأنوار معرفةً عرضيةً بمعطياتٍ عرضيةً؛ إلا أنّ عماد المعرفة إنّما هو الكلّي العارف، وهو على حقيقته الرّوح المطلق الذي لا يكون في الوعي الخالص والمجرد، أو في التفكير بما هو كذلك، إلا ماهية مطلقة، أمّا من جهة ما هو وعيٌ - بالذات فهو المعرفة بالذات. والتعقل المحض إنّما يضع من نفس الوجه هذا الكلّي العارف، هذا الرّوح البسيط العارف بذاته نفسها، كسلبّي للوعي - بالذات. ولا ريب أنّ التعقل المحض ذاته هو الموسوطة الصرف، أي

التفكير المتوسط بمعية نفسه، فهذا التعقل هو المعرفة الخالصة؛ لكن من جهة ما هو محض تعقلٍ ومحض معرفةٍ ما زالت لا تعرف نفسها، أعني المعرفة التي ما زال لم يحصل لها كونُ التعقل المحض هذه الحركة الموسّطة، فإنّ هذه الحركة، كما جميع ما به هو ما هو، إنّما يظهر له كمغاير. فإذا فهم التعقل المحض ضمنَ تحقّقه، فإنّه ينمي تلك اللّحظة الجوهرية التي له، لكنّها تظّهر له كأنّها تنتمي إلى الإيمان، وأنها تكون في تعيّنيتها خارجةً عليه وكمعرفة عرضية بهذا الجنس من الأخبار الحاقية على نحو مشترك. وعليه فهو في هذا الموضع إنّما ينسب زوراً إلى الاعتقاد الديني أنّ يقينه يرجع إلى بعض الشهادات التاريخية الفردية التي - إذا ما اعتبرت كشهادات تاريخية - ما كانت لتضمن فعلاً في ما يتعلّق بمضمونها درجة اليقين التي تعطينا إياها أخبار الصحيفة بصدد أيّما حادثة؟ - وأنّ يقينه بالإضافة إلى ذلك كان يكون موقوفاً على مصادفة حفظ تلك الشهادات، - حفظاً يكون - من جهة - بواسطة الورق، ومن جهة أخرى بواسطة المهارة والأمانة في نقل الورق إلى طرف آخر، ويتمّ في الختام عبر الإحاطة السديدة بكلمات وحروف مميّنة. ولكن لا يخطر بالفعل على بال الإيمان أنّ يربط يقينه بمثل تلك الشهادات والمصادفات؛ فهو يكون ضمن إيقانه علاقةً تلقائيةً بموضوعه المطلق ومحض معرفةٍ به لا تخلط وعيها بالماهية المطلقة بحروف وورق ومكتّبين، فلا تتوسّط ذاتها بهذا الجنس من الأشياء. فإنّما هذا الوعي عمادُ معرفته الذي يتوسّط ذاته بذاته؛ إنّه الرّوح ذاته الذي يكون شهادةً ذاته في باطن الوعي الفرديّ كما عبر الحضور الكلّيّ لإيمان الجميع فيه. ولما يبتغي الإيمان انطلاقاً من التاريخيّ استعطاءً مثل هذا التأسيس، أو على الأقلّ توطيد مضمونه الذي تتحدّث عنه الأنوار فيظنّ فيه ويفعل كما لو أنّ الأمر يرجع إليه، [367] فإنّه إنّما يكون في واقع الأمر قد عوّثه الأنوار؛ ومساعيه في

التأسس بهذه الشاكلة، أو في الترسخ، ليست إلا شهادة على أنّ عدوى الأنوار قد أصابته.

بقي الوجه الثالث، أعني اتصال الوعي بالماهية المطلقة بما هو صنيع. هذا الصنيع إنّما هو نسخ جزئية الفرد، أو نسخ الوجه الطبيعي الذي لكونه لذاته، حيث يحدث له الإيقان من أنه وعي - بالذات خالص، وأنه بحسب صنيعه، أي من جهة ما هو وعي فردي كائن - لذاته، هو والماهية واحد. - وما دامت مشاكلة الغاية (Die Zweckmäßigkeit) تتميز عند الصنيع من الغاية، والتعقل المحض يسلك كذلك على نحو سلبي في صلته بهذا الصنيع، فيلتغي مثلما في اللحظات الأخرى، فإنه يتحتم عليه - بالنظر إلى مشاكلة الغاية - أن يتبين كلاً ذهن، من حيث إنّ التعقل المرتبط بالنية بما هي توافق الغاية والوسيلة إنّما يظهر له كمغاير، بل بالأحرى كنقيض؛ في حين أنه لا بدّ له بالنظر إلى الغاية أن يجعل من القبيح والمتعة والتملك غاية من جهة أنّ النية الخالصة تكون هي كذلك كمغاير نية غير خالصة.

إنّا نرى بالتالي في ما يتعلّق بمشاكلة الغاية أنّ الأنوار تجد الأمر شاداً متى يعطي الفرد المؤمن لنفسه الوعي الأسنى بأنّه ليس مربوطاً بأغلال المتعة والملذات الطبيعية من حيث إنه يزهد على نحو حاقّ في المتعة والملذات الطبيعية، ويبرهن عبر الفعل أنّ ازدراءه لها ليس كذبة، بل هو ازدراء صادق. - كذلك ترى الأنوار أنّه من الشذوذ أن يتحلل الفرد من تعيّنّه في أن يكون فردياً على الإطلاق وصاداً للآخرين ومتمكلاً للمتاع من حيث إنه يتحلل من ملكيته؛ فهو في ذلك إنّما يُظهر على الحقيقة أنه لا يأخذ توحده مأخذ الجدّ، بل أنه يترقّع عالياً فوق ضرورة الطبيعة التي تلزمه بأن يلتمس التوحد، ويلغى في هذا التوحد المطلق الذي لكونه - لذاته الآخرين من حيث إنهم سواسية مع ذاته. - إنّ التعقل المحض يجد الأمرين كليهما غير مشاكليين للغاية مثلما يجدهما

غير عادلتين، - فأما عدم مشاكلة الغاية، فلِكَيْ يظهرَ في حِلٍّ من المِلذَّاتِ والتَمَلُّكِ، ويزهد في المِلذَّاتِ ويتنازل عن متاع ما؛ إذا التَعَقُّلُ المحضُ سيعتبر على العكس سفيهاً من يريد أن يأكل فيمَسِكُ فعلياً بوسيلة الأكل. وهو يجد كذلك غيرَ عادلِ الامتناعِ عن الغذاء وعدم إعطاء الزبدة والبيض مقابل المال، أو المالَ مقابل الزبدة والبيض، بل يرى أنه يلزم التنازل عنه مباشرةً من دون تحصيل شيء مقابل ذلك؛ إنه يعلن أن الغذاء، أو امتلاك أشياء من هذا القبيل، هو غايةٌ في ذاتها، فيشهر بذلك أنه بالفعل نيَّةٌ غير خالصة إلى الغاية تهتمُّ بشكل جوهريٍّ تماماً بمثل تلك المتعة وذلك الامتلاك. إنه يقرُّ من جديد كنيَّة خالصة وجوبَ الارتفاع عن الوجود الطبيعي والطمع في وسائله، إلا أنه يعتبر وجوب البرهنة على هذا الارتفاع بواسطة الفعل أمراً من قبيل السفه والظلم؛ أو هذه النيَّة الخالصة إنما هي على الحقيقة خدعةٌ تزعمُ ارتفاعاً باطنياً وتقتضيه، إلا أنها تعتبر حملَ هذا الأمرِ محملاً الجدِّ وتوجيهه فعلياً نحو الأثر وتقديم الحجَّة على حقيقته شأنًا سطحيًا وسفيهاً، بل غيرَ عادلٍ في حدِّ ذاته. - وعليه فالتعقلُ المحضُ إنما يلتغي بما هو كذلك، لأنه يلغي الفعلَ المشاكلة للغاية الذي في - الحال، مثلما يلتغي كنيَّة خالصة لأنه يلغي نيَّة الإتيان بالبيَّة على التحرُّر من الغايات التي للفردية.

[2. القضايا الموجبة التي للأنوار] - كذا تتأهب الأنوار لتجربة الإيمان. إنها تهلُّ على ذلك الوجه القبيح، لأنها تعطي لنفسها على التدقيق واقعاً سلبياً عبر العلاقة بمغاير، أو هي تبيِّن كنفوضها؛ لكنه لا بدَّ للتعقل المحض وللنيَّة أن يستعطيا تلك العلاقة، فإنما هي تحقُّقهما. - هذا التحقُّق كان إظْهَرَ أولاً من جهة ما هو واقع سلبيٍّ. ولعلَّ واقعه الإيجابيُّ يكون على هيئة أحسن؛ فلننظرُ أيَّ منحى ينحو. - عندما يُقصى كلُّ ابتسار وكلَّ معتقد جمهوريٍّ فإنَّ السَّؤال الذي يمثلُ هو: وماذا بعدُ؟ أيَّ

حقيقة نشرتها الأنوار بدل هذا وذاك؟ - لقد أعلنت الأنوار بعدُ عن هذا المضمون الإيجابي في أجتثاثها لأسباب الضلال، فهذا الاغتراب الذي للأنوار ذاتها إنما هو كذلك واقعها الإيجابي. - إنها تدرك في هذا الذي هو بالنسبة إلى الإيمان الرّوح المطلق ما تكتشفه بصدد التعيّن من خشب وحجر وما إليه، كأشياء فردية حاقّة؛ وما دامت تدرك بالجملة كلّما تعيّنّة، أي كلّ مضمون واستكمال لعين المضمون على هذا النحو كتناه وماهيّة إنسانية وتصوّر، فإنّ الماهيّة المطلقة تصير بالنسبة إليها خلاء (Vakuum) لا يمكن أن تنضاف إليه أيّ تعيّنات ولا أيّ محمولات. ومثل هذا الحمل كان يكون في حدّ ذاته مدعاةً للقصاص، وهو على التدقيق الذي أنسلت ضمنه مسوخات الاعتقاد الباطل. وبحقّ ما لا يكون العقل، التعقل المحض، خاوياً في حدّ ذاته، ما دام السلبي الذي لذاته إنما يكون لأجله فيكون مضمونه، بل هو غنيّ، لكن بالفردية وبالقيّد؛ فكون التعقل لا يسمح بحدوث شيء للماهيّة المطلقة ولا بأن يُحمل عليها شيء، ذلك إنّما هو جنس حياته المليء تعقلاً الذي يعرف كيف يتحيّز ويحيّز ثراه في التناهي، فيخوض في المطلق على النحو الخليق به.

أما هذه الماهيّة الخاوية فتواجهها - كلحظة ثانية للحقيقة الإيجابية للأنوار - الفردية التي تكون بالجملة مقصيّة من ماهيّة مطلقة ما، فردية الوعي وكلّ كينونة من جهة ما هي كون مطلق في ذاته ولذاته. والوعي الذي هو في أوّل حقيقه إيقان حسّي ورأيّ إنّما يؤوب هاهنا إليهما انطلاقاً من جملة الدرب الذي لتجربته، فيكون من جديد معرفةً بالسلبي المحض الذي لذاته، أو بالأشياء الحسيّة، أعني الكائنة التي تواجه بشكل سيّانيّ كونه - لذاته. ولكنّه لا يكون في هذا الموضع وعياً طبيعياً في - الحال، بل إنّما استحال لنفسه كذلك. لقد كان ترك أوّل أمره إلى الانشباك الذي

انغمسَ فيه من جرّاء انبساطه، أمّا وهو يُردُّ الآنَ عبرَ التعقّلِ المحضِ إلى شكله الأوّلِ، فهو إنّما يتعنى هذا الشكلَ كأنه الحاصلُ. وذلك الإيقانُ الحسيُّ لم يعد رأياً بعد أن أُسسَ على تعقّلِ انعدامِ جميعِ أشكالِ الوعي الأخرى، وبذلك انعدامِ كلّ متعالٍ على الإيقانِ الحسيّ، بل باتَ في الأكثرِ الحقيقةَ المطلقةَ. ولا ريبَ أنّ هذا الانعدامَ لكلِّ ما يجاوزُ الإيقانَ الحسيّ ليس إلّا البيّنةَ السلبيةَ على هذه الحقيقة؛ لكنّ هذا الإيقانَ لا وسعَ له بيّنةَ أخرى، لأنّ حقيقته الموجبة إنّما هي في حدِّ ذاتها الكونُ - لذاته غيرِ الموسوطِ الذي للمفهومِ ذاته من حيث هو موضوعٌ والذي يكونُ بحقٍّ على صورة كونه آخر، وهي التي مفادها أنّ كلّ وعي يكونُ على إيقانٍ على الإطلاقِ من أنّه يكون، وأنّ أشياءَ حاقةً أخرى تكونُ خارجَه، ومن أنّه في كيانه الطبيعيّ، مثله مثل هذه الأشياءِ، إنّما يكونُ في ذاته ولذاته أو مطلقاً. [370]

أمّا اللحظة الثالثة للحقيقة الإيجابية للأنوار فهي في الختام علاقةَ الماهيات الفردية بالماهية المطلقة، أي صلة اللحظتين الأوليين كليهما. فالتعقّل بما هو تعقّل محض للمساوي أو لغير المقيّد إنّما يجاوز أيضاً اللامساوي، ولاسيما الحقيق المتناهي، أو يجتاز ذاته من جهة ما هي كون مغايرٌ بسيطٌ. والتعقّل يكون له الخواءُ متعالياً على عين الكون المغاير، وهو<sup>(42)</sup> الذي به يصلُ إذاً الحقيق الحسيّ. إنّ الجانبين لا يدخلان ضمنَ التعيين الذي لهذه العلاقة ما دام أحدهما هو الفراغُ، فلا يكون ثمّة مضمونٌ ما إلّا بواسطة الجانب الآخر، أعني الحقيق الحسيّ. ولكنّ صورة الصلة التي يعرّز تعينها جانبُ الفي - ذاته، يمكن أن تُأتى كيفما اتفق؛ لأنّ الصورة هي السليبيّ الذي في ذاته، ولهذه العلة هي المتضادُّ وذاته؛ إنّها الكينونة بقدر ما هي العدم، والفي - ذاته مثلما

(42) أي الخواء.

المقابل؛ أو - وهو الشيء نفسه - أن اتصال الحقيق بالفي - ذاته من جهة ما هو المتعالي يكون نفيًا بقدر ما يكون كذلك وضعاً لعين الحقيق. ولذلك يمكن أن يؤخذ الحقيق المتناهي على الحضر كيفما احتاج المرء إليه. وعليه فالمحسوسُ يمسي الآن موصولاً بالمطلق كما بالفي - ذاته من وجهٍ موجبٍ، والحقيقُ الحسيُّ يصبح هو ذاته في ذاته؛ فالمطلقُ هو الذي يقده ويعتني به ويرعاه. والحقيقُ الحسيُّ بدوره يكون أيضاً موصولاً بالمطلق كأن بالضدّ أو بليسيه؛ وهو حسب هذه العلاقة لا يكون في ذاته، بل يكون لمغايرٍ وحسب. وإذا كانت مفاهيم التقابل تعيّنت في الشكل الفائق للوعي من جهة ما هي حسنٌ وقبيحٌ، فإنها تصير على العكس بالنسبة إلى التعقل الخالص تجريداتٍ أكثر خلوصاً، أعني تجريدات الكون في ذاته والكون لمغايرٍ.

[3]. المنفعة بما هي مفهومٌ رئيسٌ للأنوار] - لكنّ جنسيّ المعالجة كليهما، أعني الصلة الإيجابية للمتناهي بالفي - ذاته كما الصلة السلبية، واجبان بالفعل على حدّ سواء، وكلّ شيء يكون إذاً في ذاته بقدر ما يكون لمغايرٍ، أو كلّ شيء إنّما يكون نافعاً. - إنّ كلّ شيء مُتتارِكٌ للأشياء الأخرى، فيضحى حينئذٍ بين أيدي الآخرين ليستعملوه، إنّ هو إلّا لهم؛ ثمّ ها إنّ كلّ شيء - إنّ جاز القول - ينتصب الآن على رجليه من جديد ويعارض الآخر بصلف، ويكون لذاته، فيستعمل من ناحيته الآخر. - أما بالنسبة إلى الإنسان من جهة ما هو الشيء الواعي بهذه الصلة، فعن ذلك [371] تحصل ما هيته ووضعه. والإنسان كما هو في - الحال، كوعي طبيعيّ في ذاته، إنّما يكون حسناً، وهو من جهة ما هو فرديّ يكون مطلقاً، وما هو مغايرٌ إنّما يكون على إضافةٍ إليه؛ ولا ريب أنّه لما كانت للحظات في نظره دلالة الكليّة من جهة ما هو حيوانٌ واع بنفسه، فإنّ كلّ شيء يكون مسخراً لتمتعه وملهاته، فهو كما كان خرج من يد الرّب، فإنّه يسير في العالم كما في جنّة



زُرعت لأجله. - ويلزم أيضاً أنه يكون قد قَطَفَ من شجرة المعرفة بالخير والشر؛ إنه يمتلك في ذلك نفيعةً تميّزه من الآخرين جميعاً، لأن طبيعته التي هي في ذاتها حسنة، تكون مهياةً أيضاً من وجهٍ عرضيٍّ على نحو أن الإفراط في الملهاة يصيبه منه الضرر، أو أن فديته بالأحرى تشتمل في حد ذاتها أيضاً على متعاليتها، ويمكنها أن تتجاوز ذاتها بذاتها فتتقوّض. وفي المقابل يكون العقل في نظر الإنسان وسيلةً نافعةً حتى يقيد بالشكل الخلق به تلك المجاوزة، أو بالأحرى حتى يستحفظ ذاته فيها فوق المتعین؛ فتلك إنما هي قوّة الوعي. ولا يجب أن تكون متعة الماهية الواعية التي هي في ذاتها كليّة، شيئاً مقيداً بحسب التنوع والديمية، بل تكون في حد ذاتها كليّة؛ لذلك يكون للاعتدال تعين أن يدفع الانقطاع عن المتعة في تنوعها ودوامها؛ ومعناه أن تعين الاعتدال إنما هو للاعتدال. - وكما يكون كلُّ شيء نافعاً للإنسان، كذلك يكون الإنسان بدوره نافعاً، وتعيته هو كذلك أن يجعل من نفسه عضوَ مجموعةٍ نافعاً بمنفعةٍ مشتركة وقابلاً للاستعمال بشكل كليّ. ويجب عليه أن يعطي للآخرين بقدر ما يخشى على نفسه، ولا بدّ له أن يرضى نفسه على قدر ما يهب نفسه: كلّ يد تغسلُ أخرى؛ لكنّه حيثما يوجد يسدُّ، فينتفع بالآخرين ويصير نافعاً.

إن المغاير يكون من وجهٍ مغايرٍ نافعاً بمنفعةٍ متبادلة؛ إلا أن كلّ الأشياء تكون لها بواسطة ماهيتها هذا التبادل في المنفعة، أعني بخاصة أن تكون موصولةً بالمطلق على نحو مضاعف: فأما الإيجابيُّ فإنّ تكونَ بذلك في ذاتها ولذاتها، وأما السلبيُّ فإنّ تكونَ بذلك لأجل الآخرين. ولذلك إنّما يكون الارتباط بالماهية المطلقة أو الدين، من بين كلّ نفيعة الأنفع للجميع؛ إنّه هو إلا النفع المحض ذاته، وهو هذا القوام الذي لكلّ الأشياء، أو كونها في ذاتها [372] ولذاتها، وسقوط الأشياء كلّها، أو كونها لأجل مغاير.

وبحَقِّ ما يكون هذا الحاصل الإيجابيِّ للأنوار في نظر الإيمان قبيحةً بقدر ما يكون سلوكاً سلبياً إزاءه؛ فذلك التعقُّل النافذ في الماهية المطلقة الذي لا يرى فيها بالضبط إلا الماهية المطلقة، الكونَ الأسنى أو الخواء، - وتلك النيَّة التي تقرّ أنّ كلّ شيء في كيانه الذي في - الحال يكون في ذاته أو حسناً، وأنَّ ارتباط الكينونة الواعية والفردية بالماهية المطلقة، أي الدين، هو في النهاية ما يعبر عنه قصارى التعبير مفهوم المنفعة، كلّ هذا بالنسبة إلى الإيمان إنّما يكون على الإطلاق فاحشاً. وتلك الحكمة الخاصّة بالأنوار تظهر له في عين الآن وبالضرورة كالسطحية برأسها وكالاعتراف بالسطحية؛ لأنّها إنّما ترجع إلى الجهل بالماهية المطلقة، أو - وهو الشيء نفسه - إلى أنّ تُعرف عنها إلاّ هذه الحقيقة السطحية تماماً، ألا وهي أنّها ليست على التدقيق إلاّ الماهية المطلقة، فلا يُعرف في المقابل إلاّ هذا التناهي، ويُعرف فعلاً كأنه الحقُّ، فتُعرف هذه المعرفة بالتناهي كأنّها المعرفة بالحقِّ وكأنّها الشأن الأسنى.

[III. حقُّ الأنوار] - إنّ الإيمان يمتلك ضدَّ الأنوار الحقِّ الإلهيِّ، حقَّ التساوي الذاتيِّ المطلقِ أو حقَّ التفكير المحض، وهو إنّما يتعنى من جرّائها الجورَ على الإطلاق؛ لأنّها تمسخه في لحظاته كلّها، وتجعل منها غيرَ ما تكونه ضمنه. أمّا الأنوار فلا تمتلك ضدَّ الإيمان إلاّ الحقَّ الإنسانيَّ حقيقةً لها؛ لأنّ الجورَ الذي تقترفه إنّما هو حقُّ اللاتساوي، ويقوم على قلب وتبديل حقِّ يرجع إلى طبيعة الوعي - بالذات في تقابل مع الماهية البسيطة أو التفكير. ولكن ما دام الحقُّ الذي للأنوار هو حقُّ الوعي - بالذات، فإنّها لن تكتفي بألا تحفظ أيضاً سوى حقّها على نحو أنّ حقّين للروح متساويين يظلان متقابلين من دون أن يأتي واحد منهما كفاية الآخر، بل ستثبّت الحقَّ المطلق، لأنّ الوعي - بالذات إنّما هو سلبية المفهوم التي لا تكون لأجل ذاتها

وحسب، بل تطالّ ضدّها وتغلّبهُ؛ ولَمّا كان الإيمان وعياً، فإنّه لن يستطيع أن يمنع عن الأنوار حقّها.

[373] [1. التحرك الذاتي للفكر] - فالأنوار لا تسلك ضدّ الوعي المؤمن بمبادئ خاصّة، بل بمبادئ ينطوي عليها ذلك الوعي ذاته؛ فهي لا تفعل سوى أن تجمع أفكاره الخاصّة التي تتناثر في نظره على نحوٍ عرّيٍّ من الوعي؛ إنّها تذكّره وحسب بصدد واحد من تلك الوجوه بالوجوه الأخرى التي يشتمل عليها أيضاً، مع أنّه ما ينفكّ ينسى الواحد منها لَمّا يكون بصدد الآخر. بذلك تتضح الأنوار بإزاء الوعي المؤمن من جهة ما هي محض تعقلٍ من حيث إنّها على التدقيق ترى الكلّ عند لحظة متعيّنة، فتقحم المتقابل المتصلّ بهذه اللّحظة، ثمّ تدفع قُدماً - إذْ تقلب هذا على ذلك - الماهيّة النافية للفكرتين كليهما، أي المفهوم. ولهذه العلة فهي تبدو للإيمان كتزييف وكذب، لأنّها تُظهر الكون المغاير الذي لللحظة؛ فتبدو الأنوار للإيمان عندئذٍ على أنّها تفعل في - الحال بتلك اللّحظات غير ما هي في فرديّتها؛ إلاّ أنّ هذا الغير يكون هو كذلك جوهرياً، وهو على الحقيقة حاضرٌ في الوعي المؤمن ذاته، إلاّ أنّ هذا الوعي لا يتفكّره، بل يكون لديه حيثما اتّفق؛ فما هو لذلك بغريب عنه، ولا هو يكون بوسعه أن يبلغه.

لكنّ الأنوار ذاتها التي تذكّر الإيمان بالمتضادّ مع لحظاته المفصولة، إنّما تكون هي أيضاً قليلة الاستنارة بصدد ذاتها. إنّها تسلك حيال الإيمان من وجهٍ سلبيٍّ صرفٍ من حيث إنّها تدفع مضمونها عن خلوصها وتأخذها مأخذ السلبيّ الذي لها هي ذاتها. فلذلك هي لا تعترف نفسها ضمن هذا السلبيّ، أي في مضمون الإيمان، ولهذه العلة لا تجمع بين الفكرتين معاً، بين الفكرة التي تُقحمها وبين الفكرة التي تأتي بها ضدّ تلك. وما دامت الأنوار لا تعرف أنّ ما تدمّه في الإيمان إنّما هو في - الحال الفكرة الخاصّة

بها، فإنها هي ذاتها تقع في تضاد اللَّحظتين كلتيهما اللَّتين لا تعترف إلا بالواحدة منهما، أعني المقابلة في كلِّ مرّة للإيمان، أما الأخرى فتفصلها مباشرة عنها مثلما يفعل الإيمان. ولذلك هي لا تنتج الوحدةَ بينهما كوحدة لهما، أي المفهوم، لكنّه المفهومُ هو الذي ينجُم لها، أو هي إنّما تجده ما بين يديها وحسب. ذلك أنّ تحقّق التعقّل المحض إنّما هو في ذاته أن يتصير هذا التعقّل - وهو الذي ماهيته المفهومُ - لنفسه آخر على الإطلاق، فيلتغي، لأنّ تقابل المفهوم هو التقابل المطلق، ثمَّ يؤوب إلى ذاته، أو إلى مفهومه انطلاقاً من ذلك الكون المغاير. - لكنّ الأنوار ليست [374] إلا هذه الحركة، فهي نشاط المفهوم المحض الذي ما زال عرياً من الوعي، وهو نشاطٌ يؤوب بلا ريب إلى ذاته كموضوع، لكنّه يأخذه مأخذ آخر، ولا علم له أيضاً بطبيعة المفهوم، أعني بخاصّة أنّ اللَّامختلف هو الذي ينفصم على الإطلاق. - وعليه فالتعقّل المحض هو حيال الإيمان قدرة المفهوم ما دام التعقّل الحركة والوصل في وعيه بين اللَّحظات الواقعة خارج بعضها البعض، وصلٌ يبيّن فيه التناقض الذي لعين اللَّحظات. هاهنا يكمنُ حقُّ العنف المطلق الذي يمارسه التعقّل المحض بشأن الإيمان؛ لكنّ الحقيقُ الذي يسوق إليه التعقّل ذلك العنف يستقيم له من حيث إنّ الوعي المؤمن هو ذاته المفهومُ، فيعترف إذاً من نفسه بهذا المتضاد الذي يقحمه فيه التعقّل. ولهذه العلة يحتفظ التعقّل بحقه إزاء الوعي المؤمن، لأنّ التعقّل هو الذي يجعل صالحاً في ذلك الوعي ما يكون ضرورياً بالنسبة إليه وما ينطوي عليه في حدّ ذاته.

[2. نقد مواقف الإيمان] - إنّ الأنوار تُثبتُ في بادئ الأمر لحظة المفهوم على معنى أنّه صنيع الوعي؛ وهي إنّما تثبت ذلك ضدّ الإيمان، - فثبت أنّ الماهية المطلقة التي للإيمان إنّما هي ماهية الوعي الذي له من جهة ما هو هو، أو أنّها حادثةٌ بواسطة

الوعي. أما بالنسبة إلى الوعي المؤمن فكما تكون ماهيته المطلقة في نظره بمثابة الفي - ذاته، لا تكون في الوقت نفسه مثل شيء غريب كان لينتصب فيه من غير أن ندري كيف ولا من أين، بل ثقة هذا الوعي إنما تقوم مباشرة على كونه يلقي نفسه بما هو هذا الوعي الشخصي، وأمثاله كما خدمته إنما يرجعان إلى كونه ينتج عبر صنيعه تلك الثقة بما هي ماهيته المطلقة. والأنوار لا تفعل في الأصل إلا أن تذكر الإيمان بذلك عندما يقول إن الفي - ذاته الصرف الذي للماهية المطلقة متعالٍ على صنيع الوعي. - لكن متى تضيف الأنوار حقاً إلى أحادية الإيمان اللحظة المقابلة لصنيعه بإزاء الكينونة - وهي وحدها ما يتفكره في هذا الموضع -، فهي نفسها لا تجمع مع ذلك بين أفكارها، إذ تعزل اللحظة الخالصة التي للصنيع، وتقول في الفي - ذاته الذي للإيمان إنه ليس إلا نتاج الوعي. إلا أن الصنيع المفرد والمتضاد مع الفي - ذاته إنما هو صنيع عرضي، ومن جهة ما هو تصوّري فهو اختلاق أباطيل، - تصورات لا تكون في ذاتها؛ كذا تعالج الأنوار مضمون الإيمان. - [375] لكن على العكس يقول التعقل المحض بضد ذلك أيضاً. وما دام هذا التعقل يقرّ بلحظة الكون المغاير التي يشتمل عليها المفهوم في حد ذاته، فإنه إنما يقول ماهية الإيمان كأنها ما كانت لتهم الوعي في شيء، وكانت تكون متعالية فوقه وغريبة عنه وغير معروفة منه. وكذا الأمر بالنسبة إلى الإيمان، فالماهية من ناحية إنما تكون على التدقيق كيفما يسكن إليها، فيحصل له عنها إيقانه بذاته، وأما من ناحية أخرى فدروبيها عصية الفهم، وكونها محالّ تحصيله.

وبالإضافة إلى ذلك تثبت الأنوار بإزاء الوعي المؤمن حقاً هو نفسه يقرّ به، عندما تعتبر موضوع إجلاله كحجر أو خشب أو بشكل آخر كتعيّنية إنسوية (Anthropomorphische Bestimmtheit) متناهية. ولما كان الوعي المؤمن هذا الوعي المنفصم من حيث

يكون له الفُوق المتعالي على الحقيق والتحت المحض الذي لذلك الفوق، فإنّ ما يمثّل فيه بالفعل أيضاً هو هذه الرؤية للشيء الحسيّ التي على نحوها يصلح في ذاته ولذاته؛ إلا أنّ هذا الوعي لا يجمع بين هاتيك الفكرتين للكائن في ذاته ولذاته الذي يكون في نظره مرّةً محضّ ماهيّة، ومرّةً أخرى شيئاً حسيّاً مشتركاً. - وحتىّ وعيُه الخالص ذاته يتأثر بهذه الرؤية الأخيرة، ذلك أنّ اختلافات ملكوته الذي فُوق الحسّ إنّما يكون من حيث إنّهُ يعدم المفهوم، سلسلةً من الأشكال القائمة برأسها، وحركتها إنّما هي حدثان، ومعناه أنّها لا تكون إلاّ في التصوّر، وتنطوي في داخلها على وجه الكينونة الحسيّة. - أمّا الأنوار فتعزل من ناحيتها الحقيق أيضاً كأنه ماهيّة أهملها الرُوح والتعيّنة كأنها تناه غيرُ مختلّ ما كان ليكون لحظةً في الحركة الرُوحية للماهيّة نفسها، فما هو بليس ولا بشيءٍ ما كائن في ذاته ولذاته، بل شيءٌ فاتٌ وتصرّم.

وبيّن من هذا أنّ الشيء نفسه هو ما يقع بشأن عماد المعرفة؛ فالوعي المؤمن يعترف من نفسه بمعرفة عرضيّة، لأنّ له علاقةً بالعرضيّات، والماهية المطلقة ذاتها تكون بالنسبة إليه على صورة حقيقيّ متصوّرٍ مشتركٍ، فالوعي المؤمن عندئذٍ هو أيضاً يقان لا ينطوي في حدّ ذاته على الحقيقة، ويشهد بأنّه كمثل الوعي غير المهمّ، وأنّه دون الرُوح الموقن والمتحقّق من ذاته. - لكنّ الوعي [376] المؤمن إنّما ينسى هذه اللّحظة في معرفته الرُوحية التي في - الحال بالماهية المطلقة. - أمّا الأنوار التي تذكّره بها، فلا تتفكّر إلاّ المعرفة العرضيّة، وتنسى الأخرى، - لا تتفكّر إلاّ التوسيط الذي يحدث بثالثٍ غريبٍ، لا التوسيط حيث يكون الذي بلا توسيطٍ لنفسه الثالث الذي بواسطته يتوسّط الآخر، لاسيّما مع ذاته نفسها.

ختاماً تجد الأنوار ضمنَ نظرتها لصنيع الإيمان أنّ الانتهاء عن المتعة والكسب غيرُ عادل وغيرُ مُشاكلٍ للغاية. - فأما ما تراه

الأنوارَ غيرَ عادل، فإنَّها تحصل على تسليم الوعي المؤمن به من حيث يعترف من نفسه أنه يملك ملكيةً ويحفظها ويتمتع بها؛ إنه يسلك في ترسيخ الملكية بقدر كبير من العزل والعناد مثلما يسلك في تمتعه بقدر كبير من الغلظة والإهمال، حتَّى إنَّ صنيعه الدينيّ - الذي يتخلَّى عن الملكية والتمتع - يقع متعالياً على هذا الحقيق، فيكسبه الحرّية من هذه الجهة. وهذه الشعائرُ في التضحية بالنزوع والمتاع الطبيعيين لا تكون لها في واقع الأمر حقيقةٌ عبر ذلك التقابل؛ والاحتفاظ إنّما يقع جنب التضحية؛ فهذه ليست إلّا علامةً لا تأتي التضحية الحاقّة إلا في قسط ضئيل، ولذلك هي في واقع الأمر إنّما تتصوّر التضحية وحسب.

أما في ما يتعلّق بمشاكله الغاية فإنَّ الأنوارَ ترى سفهاً في ترك المرء لملك ما حتَّى يعرف ويتبيّن أنه في حلٍّ من الملكية، كما في أنتهائه عن متعة ما ليعرف ويتبيّن أنه في حلٍّ من المتعة. والوعي المؤمن ذاته يدرك الصنيع المطلق كصنيع كليّ؛ فليس مراسم ما هيته المطلقة من جهة ما هو موضوعه هو وحده الذي يكون في نظره شأنًا كلياً، بل ينبغي أن يظهر الوعي الفرديّ لنفسه في حلٍّ من ماهيته الحسيّة من وجه تامّ وكليّ؛ إلّا أن ترك ملكٍ فرديّ أو الانتهاء عن متعة فرديّة، ليس هو ذلك المراسم الكليّ؛ ولما كان يكون من اللازم في المراسم أن تقع بالجواهر الغاية التي هي كليّة، والإنجاز الذي هو فرديّ، أمام الوعي في لامطابقتها، فإنّه يتضح كمثّل المراسم الذي لا نصيب فيه للوعي، فيكون عندئذ على الحصر مراسماً سفيهاً شديداً ما كان ليكون مراسماً بحق؛ وإنّه لمن السّفه بمكان أن يصوم المرء حتّى يكون في حلٍّ من لذة الأكل، وأن يقتلع مثله مثل أوزجين لذة أخرى من جسده حتّى يقدم البيّنة على أنّها لذة لاغية. والمراسم ذاته يتضح كصنيع برّانيّ وفرديّ؛ لكن الرّغبة منغرسه في الباطن، وهي كليّ؛ ولذتها لا تزول لا مع الآلة ولا عبر الامتناع الفرديّ.

[377]

لكنّ الأنوار من ناحيتها إنّما تُفردُ في هذا الموضع الباطن واللاحيقُ بإزاء الحقيق، مثلما كانت رسخت برآنية الشيثية بإزاء باطن الإيمان في حدسه وتنسكه. إنّها تضع الجوهرى في النيّة والفكر، وتقتصد بذلك تحقيق التحرّر من الغايات الطبيعيّة؛ وفي المقابل تكون هذه الباطنيّة الصوريّ الذي يكون له تمامه في المنازع الطبيعيّة وهي تُبرّرُ على سبيل أنّها باطنةٌ وأنّها تنتمي إلى الكينونة الكلّية، أي إلى الطبيعة.

[3]. الإيمان المفرغ من مضمونه] - وعليه فإنّ للأنوار على الإيمان سلطاناً لا رادّ له من حيث إنّ اللّحظّات التي تجعلها صالحةً إنّما توجد في دخيلة وعيه، فإذا تفحصنا عن كذب أثر هذه القوّة لبان أنّ سلوكها إزاء الإيمان يمزق الوحدة الجميلة للثقة والإيقان الذي في - الحال، ويوسخ وعيه الرّوحى بأفكار وضيعة في الحقيق الحسى، ويقوّض قرّه الهادئ والرّاسخ في امثاله بواسطة عبث الذهن والإرادة الخاصّة والإنجاز. ولكنّ الأنوار في واقع الأمر إنّما تُدخل في الأكثر نسخ الفصم العريّ من الفكر، أو بالأحرى العريّ من المفهوم، وهو نسخٌ يكون مائلاً في الإيمان. والوعي المؤمن يسوسُ مكيايين وقسطاسين، ويمتلك جنسين من الأعين وجنسين من الآذان وجنسين من الألسن واللّغات، وكلّ تصوّرات إنّما تكون له مضاعفةً من دون أن يقارن هذا المعنى المضاعف. أو بعبارة أخرى: الإيمان يحيا في جنسين من الإدراكات، الواحد منهما هو جنس إدراك الوعي النائس الذي يحيا في محض أفكار عريّة من المفهوم، وأمّا الجنس الآخر فإدراك الوعي المتيقظ الذي يحيا في محض الحقيق الحسى، وفي كلّ من الجنسين يتدبّر الإيمان أمره على نحو مخصوص. - إنّ الأنوار تثيرُ هذا العالم السماويّ بتصوّرات من [378] العالم الحسى؛ فهي كانت وضحت لذلك العالم هذا التناهي الذي لا يمكن الإيمان أن ينفيه، لأنّه وعي - بالذات، وهو عندئذ



الوحدة التي ينتمي إليها جنسا التصورات معاً، وحيث لا يقع كل منهما خارج الآخر، لأنهما ينتميان إلى عين الهُو البسيط وغير المنفصم الذي فات فيه الإيمان ومضى.

بذلك يكون الإيمان قد خسر المضمون الذي كان يملأ عنصره، فيغمس داخل ذاته في انجباك صامت للروح. إنه أُطرد من مملكته، أو: هذه المملكة قد نُهبت، ما دام الوعي المتيقظ قد أُستجلب منها كل ما اختلف وانبساط خاص بها، وطالب بسار أجزائها، ثم وهبها للأرض كأنها مُلكها. ولكن الإيمان لا يرضى بذلك، إذ لم تنجم بواسطة هذا التنوير إلا ماهية فردية في كل موضع، على نحو أن الروح لا يستدعيه إلا حقيق عار من الماهية وتناو كان قد أهمله. - وما دام الإيمان بلا مضمون، ولا يسعه أن يظل على هذا الخواء، أو ما دام لا يلقي إلا الخواء، متى يجاوز التناهي الذي هو مضمونه الأوحد، فإنما يكون محض شوق؛ وحقيقته إنما هي متعالٍ خاوٍ ما عاد يلقي مضموناً مطابقاً، لأن كل شيء أضحي تناسباً من وجهٍ مغاير. - فالإيمان في واقع الأمر قد صار عندئذ عين ما هي الأنوار، ولاسيما وعي اتصال المتناهي الكائن - في - ذاته بالمطلق العري من المحمولات واللامعروف والعصي المعرفة، بأستثناء أن هذه هي أنوار ترضى بذلك، في حين أن ذاك أنوار لا ترضى به. ولكن سيتضح من أمرها هل يمكنها أن تدوم على هذه الحال راضية؛ فذلك الشوق الذي للروح الكدير الذي يحزن لفوات عالمه الروحي لا يزال بالمرصاد. إن الأنوار تنطوي في حد ذاتها على هذه النجاسة التي للشوق غير المرضي، - كموضوع خالص ضمن ماهيتها المطلقة الخاوية، - وكصنيع وحركة عند مجاوزة ماهيتها الفردية صوب المتعالي غير الممتلى، - كموضوع ممتلى للنافع عند ارتفاع الهُو. إن الأنوار ستسوخ هذه النجاسة؛ وسيتبين من تعقب الفحص عن الحاصل الإيجابي الذي هو الحقيقة في نظرها أن النجاسة في ذاتها قد أتسخت فعلاً.

إنَّ الحَبْكَ الأَصَمَّ للرَّوح الذي لم يعد يميّز شيئاً في دخيلته، قد نفذ إذاً في ذاته ومن فوق الوعي الذي تصيّر - على العكس من ذلك - على بَيِّنَةٍ من نفسه. واللَّحْظَةُ الأولى لهذا الوضوح إنّما تتعيّن في وجوبها وشريطتها على معنى أنّ التعلُّق المحض، أو التعلُّق بما هو في ذاته المفهوم، إنّما يتحقّق ذاتياً؛ والتعلُّق إنّما يفعل ذلك من جهة أنّه يضع داخله الكونَ المغايرَ أو التعيّنيّة. كذا يكون هذا التعلُّقُ محضَ تعلُّق سالب، أي نفيّاً للمفهوم؛ لكنّ هذا النفي هو كذلك خالصٌ؛ بذلك يتصيّر الشيءُ المحضُ، الماهيةُ المطلقةُ التي لم يعد لها تعيّنٌ آخرٌ. وإذا تعقّبنا تقييد هذا، بان أنّ التعلُّق المحض بما هو مفهومٌ مطلق إنّما هو فصلٌ بين اختلافات لم تعد بعد اختلافاتٍ، وبين تجريدات أو مفاهيم خالصة لم تعد تقوى على حمل ذاتها، بل ليس لها من قومية وتمايزٍ إلا عبر جملة الحركة. وهذه المباينة لما لا يتباين إنّما ترجع مباشرة إلى أنّ المفهوم المطلق يجعل من ذاته موضوعه، فيستوضعها كأنها الماهية بإزاء تلك الحركة. بذلك تعدم هذه الماهية النحو الذي تظلّ وفقه التجريدات أو الفروق مجاورة بعضها لبعض، فلذلك إنّما تتصير الماهية التفكير المحض كشيء محض. - هو ذا إذاً على التدقيق الحَبْكَ الأَصَمُّ والعريُّ من الوعي الذي للرَّوح في ذاته والذي تصرّم فيه الإيمان من حيث خسر المضمون المختلف؛ - وهو في الآن نفسه تلك الحركة التي للوعي - بالذات الخالص والتي ينبغي أن يكون هذا الوعي - بالذات بإزائها المتعالي الغريب على الإطلاق. ولما كان هذا الوعي - بالذات الخالص الحركة في المفاهيم الخالصة وفي الاختلافات التي هي ليست باختلافاتٍ، فهو في واقع الأمر إنّما يهوي في الحَبْكَ العاري من الوعي، أي في الشعور المحض، أو في الشيئية المحض. - لكنّ المفهوم المتغرّب عن ذاته - ما دام يلازمُ بعد درك هذا الاغتراب - لا

يعترف هذه الماهية المتساوية التي للجانبين، أعني جانب حركة الوعي - بالذات وجانب ماهيته المطلقة، فلا يعترف ماهيتهما المتعادلة التي هي بالفعل جوهرهما وقوامهما. ولما كان ذلك المفهوم لا يعترف هذه الوحدة، فإن الماهية لا تجري عنده إلا مجرى صورة المتعالي الموضوعي، أما الوعي المميز الذي يكون له من هذا الوجه الفي - ذاته خارجة، فإنما يجري عنده مجرى وعي متناه.

[380]

إن الأنوارَ نفسها تدخل في صراع مع نفسها بشأن تلك الماهية المطلقة، وهو عين الصراع الذي كان لها من قبل مع الإيمان، فتنقسم إلى فرقتين. فرقة لا ترجح رأساً كالفرقة الغالبة إلا من حيث تنقسم إلى فرقتين؛ فهي تُظهر في ذلك أن المبدأ الذي كانت صارعته إنما تملكه في حد ذاتها، وأنها بذلك قد نسخت الأحادية التي كانت هلت فيها من قبل. والشاغل الذي كانت تقتسمه والفرقة الأخرى إنما يرجع حينئذ إليها بالجملة، فتنسى الأخرى، لأنها تلقى عندها وحدها التقابل الذي يشغشؤها. ولكن التقابل كان في الوقت نفسه رُفع إلى العنصر الأعلى والغالب حيث يتضح على خلوِّه. كذا يمسى إذا الفساد الذي ينجم عند إحدى الفرقتين فيبدو على أنه بؤس، نعيماً عند الفرقة الأخرى.

[I. الفكر المحض والمادة المحض] - إن الماهية الخالصة ذاتها لا تشتمل على فرق في حد ذاتها، والفرق إنما يحصل لها بالتالي إما من حيث تنجم للوعي ماهيتان من هذا الجنس، أو من حيث ينجم وعي مضاعف بعين الماهية. - فالماهية المحض المطلقة ليست إلا في الفكر المحض، أو بالأحرى إنما هي الفكر المحض ذاته، وهي إذاً على الإطلاق متعالية على المتناهي والوعي - بالذات، فلا تكون إلا ماهية نافية. ولكنها من هذا الوجه هي على التدقيق الكينونة، السلبي الذي للوعي - بالذات. ومن جهة ما هي سلبي عين الوعي - بالذات، فهي إنما تكون

أيضاً موصولةً به؛ إنها الكينونة البرآنية الموصولةً بالوعي - بالذات الذي تقع فيه الاختلافات والتعيينات، والتي تستفيد الاختلافات التي تصير فيها متذوقة ومرئية وما إليه؛ والعلاقة إنما هي الإيقان الحسي والإدراك الحسي.

وإذا أبتدأنا بهذه الكينونة الحسية التي يمرّ فيها بالضرورة ذلك المتعالي السلبي، وتجرّدنا مع ذلك من هذه الوجوه المتعيّنة لصلة الوعي، فلنْ يبقى إذأً إلاّ المادّة الصّرف بما هي الحبك الأصمّ والتحرك في الذات ذاتها. وإنه لمن رأس الأمر أن نتفحص في هذا الصدد أنّ المادّة الصّرف ليست إلاّ ما يتبقى عندما نتجرّد من البصر والإحساس والذوق، ومعناه أنّها ليست المرئيّ والمتذوق والمحسوس؛ فالمادّة ليست ما يرى ويحس ويتذوق، بل اللون وخشب وملح وما إليه؛ إنّها بالأحرى التجريد المحض؛ وبذلك تمثل الماهية المحض التي للفكر، أو الفكر المحض ذاته بما هو المطلق العري من المحمولات وغير المختلف في ذاته وغير المتعين.

[381]

طائفة من طوائف الأنوار تسمي الماهية المطلقة هذا المطلق العري من المحمولات الذي يكون متعالياً على الوعي الحاق في التفكير الذي كنّا أبتدأنا به؛ وطائفة أخرى تسميه المادّة. فإذا ما فرقنا بينهما كطبيعة وروح أو الله، لكان يعوز الحبك العري من الوعي ثراء الحياة المنبسطة حتى يكون طبيعة، - وكان يكون ينقص الروح أو الله الوعي المختلف في ذاته. كلاهما - كما رأينا ذلك - يكونان على البساطة المفهوم نفسه؛ والفرق لا يكمن في الشيء، بل فقط في المبتدأ المتنوع الذي للثقافتين، ويتمثل في أنّ كلّ واحدة تسكن ضمن حركة التفكير إلى نقطة خاصة. وإذا ما كانت الطائفتان تخطتا ذلك فإنهما كانتا تكونان التقنا وعرفنا أنّه الشيء نفسه ما يبدو للواحدة - مثلما تخال ذلك - قبيحة، وللأخرى شذوذاً؛ لأنّ الماهية المطلقة إنّما تكمن بالنسبة إلى

إحداهما في التفكير المحض الذي لها، أو تكون في - الحال لأجل الوعي الخالص وخارج الوعي المتناهي، فتكون المتعالي النافي لعين الوعي. وإذا شاءت أن تتفكر في أنّ هذه الحالبة البسيطة للتفكير ليست هي من جهة إلا الكينونة المحض، وأنّ ما هو سلبي بالنسبة إلى الوعي إنّما يتصل من جهة أخرى وفي الوقت نفسه بكون الواصلة في الحكم النافي تجمع كذلك بين الحدين المنفصلين، إذا شاءت التفكير في ذلك، فإنّ اتصال هذا المتعالي بالوعي كان يكون أتضح ضمن تعيين كائن براني، وعندئذ كالشيء نفسه الذي سُمّي مادةً صرفاً؛ أما لحظة الحاضر التي كانت مفقودة فإنّها كانت تكون اكتسبت. - أما الأنوار الأخرى فتبدأ من الكينونة الحسيّة، ثمّ تتجرد من الصلة الحسيّة للذوق والإبصار وما إليه، فتجعل منه الفي - ذاته الصرف والمادة المطلقة، أي ما ليس بمحسوس ولا متذوق؛ وهذه الكينونة إنّما تكون من هذا الوجه صارت البسيط العري من المحمولات، وماهيّة الوعي الخالص؛ إنّها المفهوم المحض من جهة ما هو كائن في ذاته، أو التفكير المحض في حدّ ذاته. هذا التعقل لا يخطو في الوعي الذي له الخطوة المقابلة من الكائن الذي هو محض كائن إلى المُفتكر الذي هو سيّ محض الكائن (das Reinseiende)، أو لا يخطو من الإيجابي الصرف إلى السلبي الصرف، والحال أنّ الإيجابي ليس صرفاً على الإطلاق إلاّ بواسطة السلب؛ أما السلبي الصرف من حيث أنّه شيءٌ صرفٌ فإنّما يكون في ذاته مساوياً لذاته، ويكون بذلك على التدقيق إيجابياً. - أو بعبارة أخرى: الطائفتان كلتاهما لم تبلغا مفهوم الميتافيزيقا الديكارتية الذي مفاده أنّ الكينونة والتفكير في ذاتيهما الشيء نفسه، ولم تنتهيا إلى فكرة أنّ الكينونة، الكينونة المحض ليست حاقاً عينياً، بل محض تجريد؛ وأنّ التفكير المحض، التساوي - الذاتيّ أو الماهيّة، إنّما هو - بالعكس - في شطر سلبيّ الوعي - بالذات، فهو عندئذ كينونة،

[382]

وفي شطرٍ آخر ليس هو من حيث إنّه البساطةُ التي في - الحال شيئاً غيرَ الكينونة؛ فالتفكيرُ إنّما هو شيءٌ، أو الشبئيةُ إنّما هي تفكير.

[II. عالم المنفعة] - إنّ الماهيةَ في هذا الموضوع تنطوي أولاً في حدّ ذاتها على الانفصام من جهة أنّها تنتمي إلى جنسي المعالجة؛ فمن ناحية لا بدّ للماهية أن تشمل في حدّ ذاتها على الفرق، ومن ناحية أخرى يجتمع جنسا المعالجة بهذا الصدد في واحد؛ ذلك أنّ اللَّحظتين المجردتين للكينونة المحض وللشبيئيّ اللتين يختلف بواسطتهما ذاك الجنسان، إنّما قد اتحدتا من بعد ذلك في موضوعهما. - والكلّيّ المشترك إنّما هو تجريد الارتجاف الخالص داخل الذات، أو التفكير المحض بالذات. ولا بدّ لهذه الحركة البسيطة التي تدور حول محورها أن تنفتّ، لأنّها هي ذاتها لا تكون حركةً إلّا من حيث تُباين بين لحظاتها. وهذه المباينة للحظات تترك عَقَبَهَا اللَّامتحركُ كأنّه القشرة الفارغة للكينونة المحض التي لم تعد في ذاتها تفكيراً حاقاً ولا حياةً؛ ذلك أنّ المباينة من حيث هي الفرق، إنّما هي كلُّ مضمون. ولكنّها من حيث تستوضع نفسها خارج تلك الوحدة إنّما تكون عندئذٍ تعاقب اللَّحظات الذي لا يؤوب إلى ذاته، تعاقب الكون في ذاته والكون لمغاير الكون لذاته، - إنّها الحقيق كما يكون موضوعاً للوعي الحاقّ الذي للتعلّل المحض، - أي المنفعة.

ومهما بدتْ المنفعةُ قبيحةً في نظر الإيمان أو الوجدان، أو التجريد الذي يسمي نفسه تأملاً ويرسّخُ لنفسه الفي - ذاته، فإنّها هي ما يتمُّ التعلّلُ المحض تحقّقه فيه، فيكون لنفسه موضوعه الذي لم يعدْ مذكاً ينفيه، ولم تعدْ له في نظره قيمةُ الخواء أو المتعالي الصرف. فالتعلّلُ المحض - كما كتنا رأينا - إنّما هو<sup>3]</sup> المفهوم الكائنُ ذاته، أو الشخصيةُ الصرف المساوية لذاتها، والتي تختلفُ في ذاتها على نحو أنّ كلّ واحدة من المتباينات هي ذاتها

مفهوم محض، ومعناه أنها في - الحال لامتباين؛ فالتعقل إنما هو وعي - بالذات خالص وبسيط يكون لذاته مثلما هو في ذاته في وحدة حالية. لذلك ليس كون هذا الوعي في - ذاته كينونة تدوم، بل يكف في - الحال عن كونه ضمن الاختلاف شيئاً ما؛ إلا أن مثل هذه الكينونة التي لا دوام لها في - الحال ليست في ذاتها، بل هي بالجواهر لأجل آخر هو القدرة التي تستغرقه؛ لكن هذه اللحظة الثانية المقابلة للأولى، أي للحظة الكون - في - ذاته، إنما تزول كذلك في - الحال كمثل الأولى، أو من حيث إنها كينونة لأجل آخر وحسب إنما هي بالأحرى الزوال ذاته، إنها الكينونة التي تروب إلى ذاتها، الكون لذاته الذي وضع. ولكن هذا الكون لذاته البسيط بما هو التساوي الذاتي، إنما هو كينونة، أو هو بذلك كينونة لأجل آخر. - هذه الطبيعة التي للتعقل المحض في أنبساط لحظاته، أو التعقل المحض من جهة ما هو موضوع، إنما النافع هو الذي يعبر عنهما. والنافع هو في ذاته قائم برأسه أو هو شيء، وهذا الكون - في - ذاته هو في الوقت نفسه لحظة صرف وحسب؛ إن النافع يكون حينئذٍ لأجل الغير على الإطلاق، لكنه ليس للغير إلا بقدر ما هو في ذاته؛ وهذه اللحظات المتضادة قد آلت إلى الوحدة غير المنفصمة للكون - لذاته. ولكن إذا كان النافع يعبر فعلاً عن مفهوم التعقل المحض، فهو ليس هذا التعقل بما هو كذلك، بل من جهة ما هو تصوّر أو بما هو موضوعه؛ فهو ليس إلا التقالِب الدائب لهذه اللحظات التي تكون الواحدة منها الكون الآيب إلى ذاته (Das in sich Zurückgekehrtsein) ذاته، لكن ككون - لذاته وحسب، أي كلحظة مجردة تنحو جانباً حيال اللحظات الأخرى. وليس النافع ذاته الماهية النافية التي تتمثل في أن تكون لها تلك اللحظات في تقابلها وفي الوقت نفسه غير منفصلة في ذات النظرة الواحدة، أو تكون لها كتفكير في ذاته، مثلما تكون كتعقل محض؛ فلا ريب أن النافع يشتمل على

لحظة الكون - لذاته، لكن ليس على نحو أنها تغلب اللحظات الأخرى، أعني الفي - ذاته والكينونة للغير حتى كانت تكون الهو. وعليه فموضوع التعقل المحض عند النافع إنما هو مفهومه الخاص مبسوطاً على لحظاته الخالصة؛ فالتعقل هو الوعي الذي لهذه الميتافيزيقا، لكنه ليس بعد فعل الفهم الذي لعين الميتافيزيقا؛ فالوعي لم ينته بعد إلى الوحدة بين الكينونة والمفهوم ذاته. ولما كان النافع ما زال في نظر التعقل المحض على صورة موضوع ما، فإن هذا التعقل يكون له عالم لا ريب في أنه لم يعد كائناً في ذاته ولذاته، لكنه ما أنفك عالماً يجعله مختلفاً عنه؛ إلا أنه لما كانت المتقابلات قد طالت سنام المفهوم، فإن الخطوة القادمة ستمثل في أن تتهافت كلها وأن تخبر الأنوار ثمرات أفعالها.

[III. الإيقان من الذات] - إذا ما تفحصنا الموضوع الذي بلغناه من وجه صلته بهذه الدائرة، لانتضح أن العالم الحاق للثقافة كان قد تجمع في عبث الوعي - بالذات، - في الكون - لذاته الذي ما أنفكت خلبطته تمثل مضموناً له، والذي ما فتئ المفهوم الفردي، وما زال لم يصر المفهوم الذي يكون لذاته الكلي. ولكنه ما إن يؤب إلى ذاته يصبح التعقل المحض، - الوعي الخالص كآته الهو المحض، أو السالبيّة، مثلما يصبح الإيمان على الحضر التفكير المحض أو الإيجابية. والإيمان إنما تكون له في ذلك الهو اللحظة المكملّة له؛ - لكنه إنما يفوت عبر ذلك التكمّل، ونرى مذكّ اللّحظتين تحصلان لدى التعقل المحض، كالماهية المطلقة التي هي محض مفتكر أو سلبيّ، - وكمادة هي الكائن الإيجابي. - أما الذي ما زال يُعور ذلك الاكتمال فإتما هو هذا الحقيق الذي للوعي - بالذات الذي ينتمي إلى الوعي المتهافت (Das eitel Bewußtsein)، - العالم الذي ترقى منه التفكير ليلبغ ذاته. وهذا الناقص إنما قد بلغه [الوعي] في المنفعة من حيث إن التعقل



المحض كان طالَ فيها الموضوعيةَ الإيجابيةَ؛ بذلك يكون التعقل وعياً حاقاً وكفياً بنفسه. أما هذه الموضوعيةُ فتقيمُ مذاكَ عالمها؛ إنها أمسَتْ حقيقةَ جملةِ العالمِ الفائقِ، المثاليِّ كما الواقعيِّ؛ فالعالمُ الأوَّلُ للروحِ يكونُ الملكوتُ المنبسطُ الذي لكيانه المتشتمِّتِ وللإيقانِ من الذاتِ المُنفردِ، كما تنثُرُ الطبيعةُ حياتها في أشكالٍ متكررةٍ إلى ما لا نهايةٍ فيه من غير أن يكون جنسُ عين الأشكالِ ماثلاً. أما العالمُ الثاني فيتضمَّنُ الجنسَ، وهو ملكوت الكونِ - في - ذاته، أو الحقيقةَ المتضادةَ مع ذلك الإيقانِ. وأما الملكوتُ الثالثُ، أي ملكوتُ المنفعةِ، فإنما هو الحقيقةُ التي هي كذلك الإيقانُ من الذاتِ. وما يُعوِّزُ ملكوتَ حقيقةِ الإيمانِ إنما هو مبدأُ الحقيقِ، أو الإيقانُ من الذاتِ من جهةٍ ما هو هذا الفرديُّ. وأما ما يعوِّزُ الحقيقِ أو الإيقانَ من الذاتِ كهذا الفرديِّ، فإنما هو الفي - ذاته. والعالمانِ إنما يجتمعانِ في موضوعِ التعقلِ المحضِ. والنافعُ هو الموضوعُ من حيث إن الوعيَ - بالذاتِ يتملأه، فينتطوي في داخله على الإيقانِ الفرديِّ من ذاته، وتمتعه، أي (كونه - لذاته)؛ كذا يتعقلُ الوعيَ - بالذاتِ ذلك الموضوعَ، وهذا التعقلُ إنما يتضمَّنُ الماهيةَ الصادقةَ للموضوعِ (التي هي كونه يُتملَى أو كونه للغيرِ)، وعليه فالتعقلُ إنما هو ذاته معرفةً صادقةً، والوعي - بالذاتِ إنما يمتلكُ كذلك في - الحالِ الإيقانَ الكلِّيَّ من ذاته، ووعيهَ المحضِ ضمناً هذه العلاقةَ حيث تجتمعُ إذاً الحقيقةُ كما الحاضرُ والحقيقُ. لقد ائتلفَ العالمانِ، وسيقت السماءُ إلى الأرضَ لتُغرَسَ فيها.

### 3. الحرّية المطلقة والرّعب

[1. الحرّية المطلقة] - لقد وجدَ الوعيُّ مفهومه في المنفعة. غيرَ أنّ هذا المفهومَ لا يزالُ في شطرٍ منه موضوعاً، ولهذه العلةُ ما ينفكُ في شطرٍ آخرٍ غايةً لا يجدُ الوعيُّ نفسه بعدُ متملّكاً إياها في - الحالِ. ما زالت المنفعةُ محمولاً على الموضوعِ وليست

الحامل ذاته، أو حقيقته الذي في - الحال والأوحد. إنه الأمر نفسه الذي كان أظهر من قبل، ألا وهو أن الكون - لذاته ما كان ليتضح لنفسه بعد كالجوهر الذي للحظات المتبقية، فكان بذلك لا يكون النافع في - الحال غير الهو الذي للوعي، وعندئذ كان يكون ذاك الهو في حوزته. - لكن هذه الاستعادة لصورة الموضوعية التي للنافع إنما قد حدثت حقاً في ذاتها، ومن هذا الانقلاب الباطني ينجم الانقلاب الحاق للحقيق، والشكل الجديد للوعي، أعني الحرية المطلقة.

386] إن ما يمثل في واقع الأمر ليس أكثر من ظاهر خاو من الموضوعية يفصل الوعي - بالذات عن الحوزة. وكل دوام وصلاح للأطراف المتعينة التي لنظام العالم الحاق كما عالم الإيمان قد آبا بالجملة - من ناحية - إلى هذا التعيين البسيط بما هو عمادهما وروحهما؛ أما هذا التعيين فلم تعد له - من ناحية أخرى - خصيصة لذاته، بل بات في الأكثر محض ميتافيزيقا، ومحض مفهوم أو معرفة للوعي - بالذات. والوعي إنما يعترف من كون النافع في - ذاته و - لذاته كموضوع أن كونه - في - ذاته هو بالجوهر كون للغير؛ والكون - في - ذاته على معنى العاري من الهو (Das Selbstlose) إنما هو على الحقيقة الطبع، أو ما هو لهو مغاير. غير أن الموضوع يكون في نظر الوعي على هذه الصورة المجردة للكون - في - ذاته المحض، لأن الوعي إنما هو تعقل محض تكمن فروقه في الصورة الخالصة للمفهوم. - لكن الكون - لذاته الذي يؤول إليه الكون للغير، الهو، ليس بهو خاص بما يسمى موضوعاً، ولا بمختلف عن الأنا؛ فالوعي من جهة ما هو تعقل محض ليس هوأً فردياً كان يكون الموضوع تموضع حياله (gegenüberständen) كهو خاص أيضاً، بل الوعي هو المفهوم المحض وتأمل الهو في الهو، والرؤية المطلقة والمزدوجة للذات؛ والإيقان من الذات إنما هو الذات الكلية، ومفهومها العالم إنما

هو ماهية كل حقيقي. وعليه إذا لم يكن النافع إلا تغاير اللحظات الذي لا يؤول إلى وحدته الخاصة وكان لا يزال موضوعاً للمعرفة، فإن الموضوع يكف الآن عن كونه ذلك، لأن المعرفة هي ذاتها الحركة التي لتلك اللحظات المجردة، فالمعرفة هي الهو الكلّي، هو الذات بقدر ما هو الموضوع، وهذا الهو من جهة ما هو الكلّي، إنما يكون الوحدة الراجعة في ذاتها التي لتلك الحركة.

عندئذ يمثّل الرّوح من جهة ما هو حرّية مطلقة؛ إنّه الوعي - بالذات الذي يدرك نفسه على نحو أنّ إيقانه من ذاته يكون ماهية جملة الكتل الروحية للعالم الواقعي كما عالم ما فوق الحس، أو بالعكس على نحو أنّ الماهية والحقيق إنما يكونان معرفة الوعي بذاته. - فهذا الوعي يعي بشخصيته الخالصة، وفي ذلك إنما يعي بكلّ واقع روحيّ، وكلّ واقع ليس إلا روحياً؛ والعالم في نظره إنما هو إرادته على الإطلاق، وهذه إنما هي إرادة كلّيّة. ولا ريب أنّ الإرادة الكلّيّة ليست فكرة خاوية للإرادة تُوضع في قبول صامت أو قبول من وجه التفويض والتمثيل (Repräsentierte Einwilligung)، بل إرادة كلّيّة واقعية، إرادة الأفراد جميعهم من حيث هم كذلك. والإرادة إنما هي في ذاتها الوعي الذي للشخصية أو لامرئ ما، ومن جهة ما هي هذه الإرادة الحاقّة [387] والصادقة إنما ينبغي أن تكون كأنها الماهية الواعية - بذاتها التي لجملة الشخصيات شخصيةً شخصيةً على نحو أنّ كلّ امرئ يفعل دوماً كلّ شيء بلا أنفصام، وأنّ ما يهمل كصنيع للكلّ إنما يكون الصنيع الواعي وفي - الحال الذي لكلّ واحد.

هذا الجوهر اللامنقسم للحرّية المطلقة يترقى إلى عرش العالم من دون أن يكون بوسع أيّ قوة أن تعارضه مقاومة؛ لأنّه لما كان الوعي وحده على الحقيقة الأسطقس حيث يكون للماهيات أو القوى الروحية جوهرها، فإنّ كلّ نسقها الذي كان

تنظّم ودام عبر الانشقاق في الكُتَل، قد تهاوى من بعد أن أدرك الوعي الفردي الموضوع على نحو أنه ليس له من ماهية أخرى غير الوعي - بالذات عينه، أو على نحو أنه المفهوم على الإطلاق. وما كان يجعل من المفهوم موضوعاً كائناً إنما كان شقافه في كُتَلٍ منعزلة وقائمة برأسها؛ لكن من حيث إنّ الموضوع يتصير إلى المفهوم، لم يعد يتضمّن قائماً يدوم؛ فالسالبية إنما قد نفذت في لحظاته كلّها. إنّ الموضوع يدخل في الوجود على نحو أنّ كلّ وعي فرديّ يترقى من الدائرة الذي كان مُنِحَ إيّاه، فلم يعد يجد في هذه الكُتَلِ الجزئية ماهيته وأثره، بل يدرك الهو الذي له كالمفهوم الذي للإرادة، وكلّ الكُتَلِ كماهية لهذه الإرادة، فلا يسعه عندئذ أن يتحقّق أيضاً إلا في عملٍ هو العملُ كلّهُ. وعليه فقد أُلغيت كلّ الفئات (Die Stände) التي هي الماهيات الروحية حيث يتمفصل الكلُّ؛ والوعي الفرديّ الذي كان ينتمي إلى طرفٍ تكتل من ذلك القبيل وكان يريد وينجز في نطاقه إنما قد نسَخَ حرفه: فغايتُه هي الغاية الكليّة، ولغته هي القانون الكليّ، وأثره هو الأثر الكليّ.

إنّ الموضوع والفرق قد خسرا في هذا الموضوع دلالة المنفعة التي كانت تمثّل محمول كلّ كينونة واقعيّة؛ والوعي لا يشرع في حركته لدنّ نفسه كأنّ لدنّ (An) غريب ما كان ليؤول إلى نفسه إلا ابتداءً به، بل الموضوع بالنسبة إليه إنما هو الوعي ذاته؛ وعليه فالتقابل إنما يتمثّل رأساً في الفرق بين الوعي الفرديّ وبين الوعي الكليّ؛ غير أنّ الوعي الفرديّ يكون في - الحال لنفسه الذي لم يكن يمتلك إلا ظاهر التقابل، إنه وعي كليّ وإرادة كليّة. والمتعالي على هذا الحقيق الذي له لا يحوم فوق جثة القيمومة [388] الذاتية (Die Selbstständigkeit) المتصرّمة التي للكينونة الواقعة أو كينونة الإيمان إلا بما هو تبخّر غازٍ لا رائحة له، تبخّر الكون الأسنى الخاوي (Das leeren Etre suprême).

[II. الرّعب] - لم يُعدّ حاضراً من بعد نسخ الكتل الروحية المختلفة والحياة المقيّدة للأفراد كما عالمي هذه الحياة إلا حراك الوعي - بالذات الكلّي داخل نفسه على نحو التفاعل الذي يكون له على صورة الكلّيّة والوعي الشخصي؛ أما الإرادة الكلّيّة فتمضي في نفسها (In sich gehen)، فتصبح إرادةً فرديةً يواجهها القانون والأثر الكلّيّان. غير أنّ هذا الوعي الفرديّ يكون هو كذلك في - الحال واعياً بذاته كإرادة كلّيّة؛ فهو ذاته يعي بأن موضوعه قانون هو أعطاه وأثر هو أنجزه؛ إنّه إذ يمرّ في الفاعليّة وينشئ الموضوعيّة، لا يفعل إذا شيئاً فرديّاً، بل يأتي قوانين وأفعال دولة (Die Staatsaktionen) وحسب.

بذلك تسمي تلك الحركة تفاعل الوعي مع ذاته حيث لا يترك شيئاً على شاكلة موضوع حرّ حادثٍ أمامه. والحاصل عن ذلك هو أنه لا يستطيع الانتهاء إلى أيّ أثر إيجابيّ، ولا إلى آثار كلّيّة لا في اللّغة ولا في الحقيق، ولا إلى قوانين ومؤسّسات كلّيّة للحرية الواعية، ولا إلى أفعال وآثار للحرية المريدة. - إنّ الأثر الذي كان يكون بوسع الحرية التي تهب الوعي أن تتعاطاه، كان يكون متمثلاً في أنها كجوهر كلّيّ تجعل من نفسها موضوعاً وكيونةً تدوم. وكان يكون هذا الكون المغاير الاختلاف الذي يقوم عندها، والذي بحسبه كانت تكون أنقسمت إلى كتلٍ روحية قائمة برأسها وأطراف القوى المتنوّعة على نحو أنّ هذه الكتل كانت تكون من ناحية كوائن الفكر (Die Gedankendinge) التي لسلطة منقسمة إلى تشريعية وقضائية وتنفيذية، ومن ناحية أخرى الماهيات الواقعية التي كانت حصلت في العالم الواقعيّ للثقافة، فكانت تكون من حيث يُعتبّر عن كئيب المضمون الذي للصنيع الكلّيّ الكتل الجزئية للعمل التي ستباين من بعد ذلك كفتات أكثر تخصيصاً. - فالحرية الكلّيّة التي كانت تكون أنفرقت بهذا الشكل إلى أطرافها وجعلت بذلك من نفسها جوهرًا كائناً، كانت تكون

من خلال ذلك في حلّ من الفردية المتعيّنة، وكانت لتقسّم جمهور الأفراد بين أطرافها المتنوّعة. إلا أنّ صنيع الشخصية وكيونتها كانا [389] يكونان موقوفين على فرع من الكلّ وعلى ضرب بعينه من الصنيع والكيان، فهذه الشخصية إذ توضع في أسطقس الكينونة، كانت تكون دلالة شخصية مقيدة، وكانت تكون على الحقيقة كفتّ عن كونها وعياً - بالذات كلياً. وهذا الوعي - بالذات لن يقبل عندئذ أن يغرّر به الحقيقي بواسطة تصوّر الامثال لقوانين تنسّ من نفسها فتمنحه قسطاً ما، ولا بواسطة تمثيلته (Seine Repräsentation) لدى مشرّع القوانين والصنيع الكليّ، - إنه لن يقبل أن يغرّر بحقيق أن يعطي هو ذاته القانون، وألاً يُنتج أثراً فردياً، بل الأثر الكليّ ذاته؛ لأنّه حيثما لا يكون الهو إلا ممثلاً ومتصوّراً، لم يك حاقاً؛ وحيث يكون منوباً، لم يك شيئاً.

كما أنّ الوعي - بالذات لا يلقى نفسه في ذلك الأثر الكليّ للحرية المطلقة بما هي جوهر كائن، فإنّه قلّما يجد نفسه كذلك في الأفعال التي هي على الأصل أفعالاً والأعمال الفردية التي لإرادته؛ فلا بدّ للكلي حتى يأتي فعلاً ما أن يتكثّل في الواحد الذي للفردية، ويضع على القمة وعياً - بالذات فردياً؛ لأنّ الإرادة الكلية ليست إرادة حاقّة إلا في هو ما هو الواحد. ولكن بذلك يُطرَح كلّ الأفراد الآخرين من الكلّ الذي لهذا الفعل، فلا يكون لهم منه إلا نصيب محدودّ على نحو أنّ الفعل ما كان ليكون فعل الوعي - بالذات الكليّ والحاق. - وعليه فما من أثر إيجابيّ ولا فعل يستطيع أن يُنتج الحرية الكلية؛ فلا يبقى لها إلا الصنيع السلبيّ؛ وهي ليست إلا هيجان الزوال.

غير أنّ الحقيقي الأرفع والأشدّ تضاداً مع الحرية الكلية، أو بالأحرى الموضوع الوحيد الذي ما انفك يحدث لها، إنّما هو الحرية والفردية اللتان للوعي - بالذات الحاقّ ذاته. وتلك الكلية التي لا تقبل بالانتهاء إلى واقع التمثيل العضويّ، فتلمس حفظ

نفسها ضمنَ الاتصال غير المنفصم، إنَّما تختلف في داخلها في الوقت نفسه، لأنَّها بالجملة حركةٌ أو وعيٌ. وبحقِّ ما تنشقُّ تلك الكلية - من جرَّاء تجريدِها الخاصِّ - إلى أطرافٍ تعدُّها تجريداً، إلى الكلية الباردة والبسيطة والصلبة وإلى الجُسوءِ (Die Sprödigkeit) الغليظ والمطلق والمنفصل والاحتدادِ العنيد (Eigensinnige Punktualität) اللَّذين للوعي - بالذات الحاقٌ. ومن بعد أن تكون تلك الكلية فرغت من إلغاء النظام الفعلي، فتقوم مذكاً لذاتها، فإنَّ ذاك يمسي موضوعها الأوحد، - موضوعٌ لم يعد له أيّ مضمون آخر ولا مُلك آخر ولا كيان آخر ولا امتداد برّانيّ آخر، بل ليس هو إلَّا هذا العلم بالذات بما هي هو فرديٌّ وخالصٌ وحرٌّ على الإطلاق. أمَّا تحصيل ذلك الموضوع فلا يمكن أن يتمَّ بالجملة إلَّا عند كيانهِ المجرد. - ولما كان هذان الطرفان لذاتيهما على الإطلاق وبريئين من أيّ انقسام، فلا يمكنهما أن يُسقطا في الحدِّ الأوسط أيّ قسطٍ كانا يكونان به مرتبطين، فإنَّ علاقتهما تكون إذاً النفي المحض والذي يكون في جملته بلا توسيط؛ وهي لا محالة نفي الفرديّ من جهة ما هو كائن في الكلّي. لذلك فالأثر والفعل الوحيدان للحرية الكلية إنَّما هو الموت، وعلى الحصر موتٌ لا يكون له مدى ولا أمْتلاء جوائيان، لأنَّ ما يُنفي إنَّما هو النكته (Der Punkt) غير الممتلئة التي للهو الحرّ على الإطلاق (Das absolutfreie Selbst)؛ إنَّه إذاً الموت الأكثر سطحية وبرودة الذي لا تكون له من دلالة أبلغ من قطع رأس الكُرْنب أو جرعة ماء.

إنَّ حكمة الحكومة وذهنَ الإرادة الكلية التي تلتمسُ التنبُّجُز إنَّما ترجعان إلى السطحية التي لذلك اللَّفظ. الحكومة نفسها ليست شيئاً غير النكته المترسِّخة، أو فردية الإرادة الكلية. إنَّها من جهة ما هي إرادةٌ وإنجازٌ بيدان من نكته، تريد وتنجز في الوقت نفسه تنظيمًا محددًا وممارسةً محدَّدة. وبذلك فهي من ناحية تقصي من

فعلها بقيّة الأفراد، ومن ناحية أخرى تتأسس بواسطة ذلك حكومة هي إرادة متعيّنة وبذلك متضادّة مع الإرادة الكلّية؛ فلذلك لا وسع لها بأيّ شيء آخر سوى أن تعرض كعُصبةٍ (Als eine Faktion). ووحدها العُصبةُ الغالبة تُسمّى حكومةً، ووجوبُ زوالها إنّما يكمن في - الحال في كونها على الحصر عُصبةً؛ أمّا كونها حكومةً فيجعل منها على العكس عُصبةً، بل عُصبةً مذنبّةً. ومتى وقفت الإرادة الكلّية عند المراس الحاقّ الذي للحكومة كأنّ عند الجرم الذي ترتكبه الحكومة ضدها، فإنّه لا يكون للحكومة حيال ذلك شيءٌ محدّد وخارجيّ كان ليعرض به ذنب الإرادة المقابلة لها؛ لأنّه لا تنتصب قدّام الحكومة بما هي الإرادة الكلّية والحاقّة إلاّ الإرادة الصّرف غير الحاقّة، أي النية. ولذلك [391] فأستحالة [المرء] متهماً (Verdächtig werden) تحلّ محلّ، أو لها دلالة ووقّع أن يكون مذنباً (Das Schuldigsein)، وردّ الفعل البرّانيّ ضدّ ذلك الحقيق الذي يقع في الباطن البسيط الذي للنية إنّما يتمثّل في الإلغاء الغليظ لهذا الهو الكائن الذي لا يُنتزَع منه شيءٌ غير كينونته ذاتها.

III. يقظة الذاتيّة الحرّة] - إنّ الحرّية المطلقة تستحيل

لذاتها الموضوع في هذا الأثر الذي تختصّ به، والوعي - بالذات إنّما يتعنى ويخبر ما هي. والحرّية المطلقة إنّما تكون على التدقيق في ذاتها ذلك الوعي - بالذات المجرّد الذي ألغى في دخيلته كلّما أختلاف وقوام للاختلاف. والحرّية المطلقة أيضاً كمثّل هذا الوعي - بالذات، تكوّن لنفسها الموضوع؛ أمّا رُعب الموت فإنّما هو حدس هذه الماهية النافية التي لها؛ إلاّ أنّ الوعي - بالذات الحرّ على الإطلاق يجد واقعه ذلك مغايراً تماماً لما كان عليه مفهوم ذلك الواقع بصدد نفسه، ولاسيّما أنّ الإرادة الكلّية ليست إلاّ الماهية الإيجابية للشخصية، وأنّ هذه لا تعرف أو تحفظ ذاتها فيها إلاّ على نحو إيجابي. أمّا ما يمثّل في هذا الموضوع بالنسبة



إلى الوعي - بالذات الذي يفصل على الإطلاق من جهة ما هو محض تعقل بين ماهيته الإيجابية وبين السلبية - بين المطلق العري من المحمولات كتفكير محض وبينه كمادة محض -، فإنما هو التمازُّ المطلق من ماهية إلى أخرى على حقيقه. - أما الإرادة الكلية كوعي - بالذات حاق وإيجابي على الإطلاق ولما كانت هذا الحقيق الواعي - بالذات المرفوع إلى مصاف التفكير المحض أو المادة المجردة، فإنما تنقلب إلى الماهية السالبة، فتتضح على أنها هي أيضاً نسخاً للتفكير الذاتي أو للوعي - بالذات.

وعليه فالحرية المطلقة بما هي التساوي الذاتي الصرف الذي للإرادة الكلية إنما تنطوي في حد ذاتها على النفي، لكنها بذلك إنما تشتمل أيضاً بالجملة على الاختلاف، وتنميه من جديد من جهة ما هو اختلاف حاق؛ فالسلبية الصرف يكون لها في الإرادة الكلية المتساوية مع نفسها عنصر الدوام، أو الجوهر حيث تتحقق لحظاتها، وتكون لها المادة التي بوسعها أن تستثمرها في تعيينيتها؛ وما دام ذلك الجوهر قد توضح في نظر الوعي الفردي كأنه السلبي، يتكون إذاً من جديد تنظّم الكتل الروحية التي أضيفت إليها زمرة الوعي الفرديّة. هذه الوعيات التي شعرت بالخوف من رئيسها المطلق، أي الموت، إنما ترضى من جديد بالنفي والاختلاف، فتتنظّم ضمن الكتل، وتؤوب إلى أثر منفصم ومحدود، غير أنها بذلك إنما تؤوب إلى حقيقتها الجوهرية. [392]

أما الروح فكان يكون قُذِف به انطلاقاً من هذه الخلطة إلى مبتدئه، أي إلى العالم الإتيقي والواقعي للثقافة الذي كان يكون أنتعش وتشبب بواسطة الفرق من الرئيس الذي دب في الأنفس من جديد. وكان يكون واجباً على الروح أن يجوب من جديد هذا الدور الذي للضرورة فيعيده على الدوام، لو لم يتعدّ الحاصل التنافذ التام بين الوعي - بالذات والجوهر، - تنافذ ما كان الوعي - بالذات فيه، من بعد أن تعنى ضدّ الحاصل القوة السلبية لماهيته

الكلية، أن يشاء معرفة ذاته، فيجدها لا كهذا الجزئي، بل كالكلّي وحسب، فكان يكون بوسعه إذاً أن يحتمل أيضاً التحقيق الموضوعي الذي للروح الكلّي الذي يصده كجزئي. - لكن لا الوعي الذي أنغمس في تنوع الكيان أو رسخ لنفسه غايات وأفكاراً مقيدة، - ولا العالم البراني الذي يصلح، سواء كان عالم التحقيق أم عالم التفكير، لا هذا ولا ذاك كانا في تفاعل متبادل ضمن الحرية المطلقة، بل هو العالم على البساطة وفي صورة الوعي، كإرادة كلية، وكذلك الوعي - بالذات المخلص (Zusammengezogen aus) انطلاقاً من كل كيان منسبط أو غاية وحكم متعدّد والمركّز في الهو البسيط. ولذلك تكون الثقافة التي يبلغها الوعي - بالذات في التفاعل مع تلك الماهية الأجل والأسنى، وهي التي مفادها أن يرى حقيقته البسيط والخالص يزول في - الحال، ويمرّ في العدم الخاوي. والوعي - بالذات لا ينتهي في عالم الثقافة ذاته إلى حدس نفيه أو تغرّبه على تلك الصورة من التجريد المحض؛ بل نفيه إنّما هو النفي المفعّم؛ فيكون إمّا الشرف وإمّا الثراء اللذين يكسبهما بدل الهو الذي تغرّب عنه؛ - أو لغة الروح والتعقل التي يستفيدها الوعي الممزّق؛ أو ذلك النفي يكون سماء الإيمان أو منفعة الأنوار. كلّ هذه التعيينات إنّما ضلّت ضمن الضياع الذي يتعناه الهو في الحرية المطلقة؛ ونفيه إنّما هو الموت العري من المعنى، الرعب المحض الذي للسلبّي والذي لا ينطوي في حد ذاته على شيء إيجابي ومفعّم. - لكن في الوقت ذاته هذا النفي لا يكون ضمن حقيقته شيئاً غريباً؛ فما هو بالضرورة الكلية الكامنة في المتعالي (Die allgemeine jenseits liegende Notwendigkeit) وحيث يتصرّم العالم الإتيقي، ولا بالمصادفة الفردية للملك الفردي أو لأهواء المتملك التي يرى الوعي المتمزّق أنّه تابع لها، - بل إنّما هو الإرادة الكلية التي لا يكون لها من إيجابي في هذا التجريد الأخير الذي لها، فلا يمكنها إذاً أن تعطي شيئاً للتضحية، - غير أنّ الإرادة الكلية هي لهذه العلة ومن دون توسط واحد والوعي - بالذات، أو

هي الإيجابيُّ المحضُ لأنها السلبِيُّ المحضُ؛ أمّا الموت العريّ من المعنى، السالبيّة غير المفعمة التي للهو، فإنّما ينقلب في المفهوم الباطن منقلب إيجابيّة مطلقّة. وبالنسبة إلى الوعي فإنّ الوحدة التي في - الحال بين الذات وبين الإرادة الكلّيّة ومطلوبه المتمثّل في أنّ يعرف ذاته كهذه النكته المتعيّنة في الإرادة الكلّيّة، إنّما ينقلبان إلى التجربة المقابلة على الإطلاق. وما يزول بالنسبة إليه في هذا، إنّما هو الكينونة المجرّدة أو الحالّيّة التي للنكته العريّة من الجوهر، وهذه الحالّيّة الزائلة إنّما هي الإرادة الكلّيّة ذاتها التي يعرف مذكاً أنّه هي، ما دام حالّيّة منسوخةً ومحصّ معرفة أو محصّ إرادة. بذلك يعرف الوعي الإرادة المحض كذاته نفسها، ويعرف ذاته كماهيّة، لكنّ لا كالماهيّة الكائنة في الحال، فلا يعرف الإرادة من جهة ما هي حكومة ثوريّة أو فوضى تنزع إلى تأسيس الفوضى، ولا يعرف ذاته بما هي مركزُ هذه العُضبة أو العُضبة المتضادة معها، بل الإرادة الكلّيّة هي معرفته وإرادته الخالصتان، فيكون الإرادة الكلّيّة كهذه المعرفة المحض وهذه الإرادة المحض. والوعي في ذلك لا يخسر نفسه، لأنّ المعرفة والإرادة الخالصتين هما في الأكثر هو من جهة ما هو النكته الذريّة للوعي؛ فإنّما هو إذا تفاعل المعرفة المحض مع ذاتها؛ والمعرفة المحض كماهيّة إنّما هي الإرادة الكلّيّة؛ غير أنّ هذه الماهيّة ليست إلّا المعرفة المحض على الإطلاق. إذا الوعي بالذات إنّما هو المعرفة المحض بالماهيّة كأنّ بمعرفة محض. وزائداً إلى ذلك ليس هذا الوعي من حيث إنّهُ الهو الفرديّ إلّا الصورة التي للذات أو للصنيع الحاق، وهذه الصورة إنّما يعرفها كصورة؛ كذلك يكون في نظره الحقيقي الموضوعي، الكينونة، صورة عريّة من الهو على الإطلاق؛ لأنّ هذا الحقيق كان يكون غير المعروف؛ أمّا هذه المعرفة فتعرف المعرفة كأنّها الماهيّة.

[394]

وعليه فإنّ الحرّية المطلقة قد تكافأت مع التقابل بين الإرادة

الكلية والإرادة الفردية؛ والروح المغترب ذاتياً الذي حُمِلَ إلى سنام تقابله حيث لا تزال الإرادة المحض والمريد المحض متباينين، إنما يختفض بالتقابل إلى مقام الصورة الشفيفة، فيلقى ذاته في ذلك. - ومثلما مرّ ملكوتُ العالم الحاقٍ في ملكوت الإيمان والتعقل، كذلك الحرية المطلقة تمرّ من حقيقتها المتقوّض بنفسه إلى موطن آخر للروح الواعي - بذاته حيث تجري في هذا اللاحقيق مجرى الحقّ الذي يسكن فيه الروحُ إلى فكرته من حيث إته فكرةً ويظلُّ فكرةً، فيعلم تلك الكينونة المنغلقة في الوعي - بالذات من جهة ما هي الماهية الكاملة والتامة. كذا يكون نجم الشكل الجديد الذي للروح الأخلاقيّ.

### III. الروح الموقن من ذاته. الأخلاقيّة

لقد كان العالمُ الإتيقيُّ أظهرَ الروحَ الذي يفوت فيه وحسب، وهو الفرديُّ كأنه قدره وحقيقته<sup>(43)</sup>. لكنّ ذلك الشخصَ الحقوقيَّ كان جوهره وأمتلاؤه يقعان خارجه. والحركة التي لعالم الثقافة والإيمانِ إنما تنسخ ذلك التجريد للشخص، والجوهرُ إنما ينتهي بالنسبة إلى هوَ الروحِ أولاً وعبرَ الاغتراب التام والتجريد الأقصى، إلى الإرادة الكلية، وفي النهاية إلى ملكية ذلك هو. وعليه فالعلمُ يظهر في هذا الموضوع على أنه قد صار في النهاية مضاهياً تماماً (vollkommen gleich geworden zu sein) لحقيقته؛ فحقيقته إنما هي هذا العلم ذاته، وكلُّ تقابل بين الجانبين إنما قد زال؛ والآكدُ أن ذلك لا يكون بالنسبة إلينا ولا في ذاته، بل يتم بالنسبة إلى الوعي - بالذات عينه. لقد صار الوعي - بالذات فعلاً رئيساً على التقابل الذي للوعي ذاته. وهذا الوعي إنما يقوم على التقابل بين الإيقان من ذاته وبين الموضوع؛ غير أن الموضوعَ

(43) يقصد قدرَ العالمِ الإتيقيِّ وحقيقته.

أمسى مذاك لنفسه الإيقانَ من الذات، أو العلم، - مثلما أن الإيقانَ من الذات بما هو كذلك لم تعد له غاياتٌ خاصّة، ولم يعد يقعُ إذًا في التعيّنة، بل باتَ محضَ علمٍ.

وعليه فالعلمُ الذي للوعي - بالذات إنّما يقومُ عنده مقامَ الجوهرِ نفسه. وكذلك الجوهر في نظره إنّما يكون في - الحالِ موسوًطاً على الإطلاق في وحدةٍ لا تنفصمُ. في - الحال: من حيث إنّ الوعي - بالذات - مثله مثل الوعي الإتيقيّ - يعلم ويفعل هو نفسه الواجب، وينتمي إليه من جهة ما هو طبيعته؛ لكنه ليس طبعاً كما هو الوعيّ الإتيقيّ الذي يكون من جرّاء حالّيته روحاً محدّداً، ولا ينتمي إلاّ لواحدة من الأسيّات الإتيقيّة (Die sittliche Wesenheiten)، ويكون له جانبٌ أنّه لا يعلم. - والوعي - بالذات توسيطٌ مطلقٌ مثل الوعي المتكوّن والمؤمن؛ لأنّه بالجوهر حركةُ الهو، أعني نسخُ التجريد الذي للكيان الذي في - الحال، والتصيرُ كلياً؛ - لكنّ ذلك لا يتمّ لا بواسطة التغرّب المحض وتمزق هُوّه والحقيق، - ولا بواسطة الإدبار [من هذا الحقيق]. وإنّما الوعي - بالذات يكون في - الحال حاضراً لذاته في الجوهر الذي له، لأنّ الجوهرَ هو علمه والإيقانُ من الذات الخالصُ والمحدوسُ؛ وتلك الحالّية التي هي حقيقه إنّما هي على التدقيق كلُّ حقيق، لأنّ الذي - في - الحال (Das Unmittelbare) إنّما هو الكينونة ذاتها، ومن حيث هي الحالّية المحضُ والمخلّصةُ (Die reine geläuterte Unmittelbarkeit) عبر السالبيّة المطلقة، فالحالّية إنّما هي محض كينونة، وهي بالجملة الكينونة، أو هي كلُّ كينونة.

لذلك لا تكون الماهية المطلقة مستغرقةً في تعيّن كونها الماهية البسيطة التي للتفكير، بل هي كلُّ حقيق، وليس هذا الحقيق إلاّ من جهة ما هو علمٌ؛ أمّا الذي ما كان الوعي ليعلمه، فما كان ليكون له من معنى، ولا يمكنه أن يكون في نظره قدرة؛ فكلُّ موضوعيّة وعالمٍ إنّما قد أنجرّاً إلى إرادته العالمة. إنّهُ حرٌّ

على الإطلاق من حيث إنه يعلم حرّيته، وهذا العلم بحرّيته إنّما هو جوهره وغايته ومضمونه الأوحد.

## أ. الرّؤية الأخلاقية للعالم

[I]. المصادرة على تلاؤم الواجب والحقيق] - إنّ الوعي - بالذات يعرف الواجب كأنه الماهية المطلقة؛ فلا يكون مرتبطاً إلاّ به، وهذا الجوهر إنّما هو وعيه المحض الخاص؛ ولا يمكن للواجب أن يتخذ صورة غريب بالنسبة إليه. لكنّ الوعي - بالذات الأخلاقيّ إذ ينغلق بهذا الشكل على نفسه، ما زال لم يُوضَع ولم يُعالج من جهة ما هو وعي. والموضوع إنّما هو معرفة في - [396] الحال، ومتى ينفذ فيه الهو من هذا الوجه الخالص فإنّه لا يكون موضوعاً. ولكنّ لما كان الوعي - بالذات بالجوهر توسيطاً وسالبيّة، فإنّه يشتمل في مفهومه على الصلة بكون مغاير، فيكون وعياً. وما دام الواجب يمثّل غايته الجوهرية الوحيدة وموضوعه، فإنّ ذلك الكون المغاير إنّما يكون من ناحية في نظره حقيقة عارياً من المعنى تماماً. ولكنّ لما كان هذا الوعي منغلقاً على نفسه بشكل تام، فإنّه يسلك كذلك بإزاء ذلك الكون المغاير بشكل تامّ الحرّية والسيانّة، ولذلك فالوعي - بالذات من ناحية أخرى إنّما يهمل تماماً سبيل (Ein freigelassenes Dasein) الكيان، فلا يكون إلاّ كياناً متّصلاً بذاته؛ ويقدر ما يتزيّد الوعي - بالذات حرّية بقدر ما يصير الموضوع النافي لوعيه حرّاً. كذا يكون الموضوع عالمياً مكتملاً في ذاته حدّ الفردية الخاصّة، وهو كلّ قائم برأسه من القوانين المخصوصة، مثلما هو مجرى قائم برأسه وتحقّق حرّ لعين القوانين، - إنّه بالجملة طبيعة، قوانينها مثل صنيعها، لا تنتمي إلاّ إليها كأنّ إلى ماهية لا تأبه بالوعي - بالذات الأخلاقيّ، مثلما لا يأبه هذا الأخير بتلك.

إنطلاقاً من هذا التعيين تتكوّن رؤية أخلاقية للعالم تقوم على

الإرتباط بين الكون - في - ذاته و - لذاته الأخلاقيّ وبين الكون - في - ذاته و - لذاته الطبيعيّ. وعماد ذلك الارتباط إنّما تكمنُ فيه السّيانيّة التامة والقيومةُ الخاصّة المتبادلتان بين الطبيعة والغايات والأفعال الأخلاقيّة، بقدر ما يكمنُ فيه من الناحية الأخرى الوعيّ بالأيسيّة الفريدة (Die alleinige Wesenheit der Pflicht) للواجب كما بلاقيومة الطبيعة التامة وبلاأيسيّتها (Die Unwesenheit der Natur). والرؤية الأخلاقيّة للعالم إنّما تشتملُ على ربو اللّحظات المتضمّنة في ذلك الارتباط الذي للمفترضات المتعارضة شديداً.

إنّ الوعيّ الأخلاقيّ يكون إذاً في بادئ الأمر وبالجملة مفترضاً؛ والواجب يجري عنده مجرى الماهيّة، في حين أنّه هو الذي يكون الحاقّ والفاعل، ويُنجزُ في حقيقه وفعله الواجب. ولكن توجد في الوقت ذاته بالنسبة إلى هذا الوعيّ الأخلاقيّ الحرّيّة المفترضة التي للطبيعة، أو هو يتعنى أنّ الطبيعة لا تأبه بإعطائه الوعيّ بالوحدة بين حقيقه وبين حقيقها، عسى أن تتركه يتصير سعيداً وعسى أيضاً ألا تتركه يصير سعيداً. أمّا الوعيّ غير الأخلاقيّ فقد يجد على العكس من ذلك تحقّقه من وجه العرض أين لا يلقي الوعيّ الأخلاقيّ إلاّ الباعث على الفعل، لكنّه لا يرى نفسه يكسب من خلال هذا الفعل سعادة الإنجاز وامتعة الإتمام. ولذلك فهو يجد في الأكثر علّةً للشكوى بصدد هذا الوضع من عدم التشاكل بينه وبين الكيان، كما من المظلمة التي تجبره على ألا يكون له موضوعه إلاّ كواجبٍ محض، وتقبض عنه أن يرى عينَ الموضوع وذاته متحقّقين.

[397]

إنّ الوعيّ الأخلاقيّ لا يمكنه أن يتنازل عن التماس الغبطة (Die Glückseligkeit)، فيهمل هذه اللّحظة خارج غايته المطلقة. والغايّة التي قيلت على معنى الواجب المحض إنّما تنطوي بالجواهر في حدّ ذاتها على كونها تتضمّن هذا الوعيّ - بالذات الفرديّ؛ فالقناعة الفرديّة كما العلمُ بها كانا يمثلان لحظة

مطلقة من الأخلاقية. هذه اللحظة المتعلقة بالغاية التي صارت موضوعية والواجب المنجز إنما هي الوعي الفردي الذي يحدس ذاته من جهة ما هي متحققة، أو المتعة التي لا ريب في أنها لا تقع عندئذ في - الحال ضمن مفهوم الأخلاقية من حيث تُعتبر كنية (Die Gesinnung)، بل ضمن المفهوم وحده الذي لتحقيق عين القصد. ولكن المتعة بذلك إنما تقع أيضاً ضمن الأخلاقية من جهة ما هي نية، فالنية تنزع لا إلى أن تظل في تعارض مع الفعل، بل إلى أن تفعل أو أن تتحقق. وعليه فالغاية التي تُقال على معنى الكل الذي يُضاف إليه الوعي بلحظاته إنما هي أن يكون الواجب المنجز ممارسة أخلاقية صرفاً (Die reinmoralische Handlung) بقدر ما يكون فردية مُحققة، والطبيعة بما هي جانب الفردية الذي يواجه الغاية المجردة إنما هي وتلك الغاية واحد. - ويقدر ما تكون تجربة التلاؤم بين الجانبين ضرورية، لأن الطبيعة حرة، يقدر ما يكون الواجب وحده الجوهرية (Das Wesentliche)، وتكون الطبيعة حياله العاري من الهو. وتلك الغاية كلها التي يبتني عليها التلاؤم، إنما تتضمن في داخلها الحقيق ذاته. إنها في الوقت نفسه فكرة الحقيق. والتلاؤم بين الأخلاقية والطبيعة، - أو من حيث إن الطبيعة لا يُنظر فيها إلا متى يتعنى الوعي وحدتها معه - التلاؤم بين الأخلاقية والغبطة، إنما يكون مفكراً من جهة ما هو كائن بالضرورة، أو يكون مصادراً عليه، فالطلبية (Das Fodern) تعبر عن أن شيئاً كائناً يُفكر وما زال لم يصر حاقاً؛ أي تدل على [398] ضرورة ليست للمفهوم بما هو مفهوم، بل هي للكينونة؛ إلا أن الضرورة هي في الوقت نفسه وبالجوهر الارتباط بمعية المفهوم. وعليه فالكينونة المطلوبة لا تنتسب إلى التصور الذي للوعي العرضي، بل تقع في مفهوم الأخلاقية ذاته الذي مضمونه الصادق إنما هو الوحدة بين الوعي الخالص والوعي الفردي؛ وهذا الوعي الأخير إنما ينتسب إليه كون تلك الوحدة في نظره تكون كأنها



حقيقاً، وذلك هو ما يكون في مضمون الغاية غبطةً، وأما في صورتها فبالجملة كياناً. - فلذلك ليس هذا الكيان المطلوب، أو وحدتُهما، تمنياً، أو إذا أُعتبرناه غايةً، ليس هو بغايةٍ كان ليظلَّ تحصيلُها غيرَ متأكدٍ بعدُ، بل هي مطلب العقل، أو الإيقان الذي في - الحال والافتراض اللذان لعين العقل.

هذه التجربة الأولى وهذه المصادرة ليستا الوحيدتين، بل يحصل دورٌ كاملٌ من المصادرات. والطبيعة ليست فقط هذا النحو البرانيّ والحرّ تماماً الذي كان يكون فيه للوعي أنْ يحقق غايته كأنْ في موضوع محض. وهذا الوعي هو في قرارة نفسه (An ihm selbst) وبالجوهر وعيٌّ على نحو أنْ هذا الحاقّ الحرّ والمغاير إنّما يكون لأجله، ومعناه أنّ الوعي ذاته وعيٌّ عرضيٌّ وطبيعيٌّ. وهذه الطبيعة التي هي في نظره طبيعته الخاصة إنّما هي الحاسة (Die Sinnlichkeit) التي تكون لها لذاتها في شكل الإرادة وبما هي نوازع وميولات، أيسيةً مقيدةً خاصةً أو غاياتٌ فرديةً، فتكون إذاً متضادةً مع الإرادة الخالصة وغاياتها الخالصة. ولكنّ الماهية - حيال ذلك التضادّ - إنّما تكمن بالأحرى في نظر الوعي الخالص في أرتباط الحاسة به وأتّحادها المطلق به. وكلاهما، أي التفكير المحض والحاسة اللذان للوعي، هما في ذاتيهما وعيٌّ واحدٌ، والتفكير المحض إنّما هو على التدقيق ما من أجله وما فيه تكون تلك الوحدة الخالصة؛ لكنْ ما يكون بالنسبة إلى الوعي كوعي إنّما هو التقابل بين ذاته وبين النوازع. فالماهية في هذا الصراع بين العقل والحاسة إنّما تكون عند العقل أنْ يتحلل الصراع، فتنجم وحدتُهما كحاصل، وحدةً ليست هي بتلك الوحدة الأصلية المتمثلة في أنّ كليهما يكونان في فرد واحد، بل وحدةً تنجم عن التقابل الذي يعلمه كلاهما. ومثّل تلك الوحدة هي التي تكون أولاً الأخلاقية العاقبة، لأنها تتضمّن التقابل الذي يكون الهو من خلاله وعياً، أو يكون رأساً هو حاقاً، فيكون بالفعل هو وفي الوقت [399]

نفسه كلياً؛ أو لأنه في ذلك إنما يُفصح عن ذلك الجنس من التوسيط الذي كنا رأينا أنه جوهرى بالنسبة إلى الأخلاقية. - ومن حيث إن الحاسة هي التي تمثل من بين كلتا لحظتي التقابل الكون المغاير أو السلبي على الإطلاق، في حين أن التفكير المحض للواجب هو بالعكس الماهية التي لا شيء منها يكون مُهملاً، فإن الوحدة الناتجة تظهر على أنه لا يمكنها أن تحصل إلا بواسطة نسخ الحاسة. ولكن لما كانت الحاسة ذاتها لحظة من هذه الصيرورة، أعني لحظة الحقيقي، فإنه سينبغي على المرء أن يكتفي في عبارة الوحدة بالقول إن الحاسة مشاكلة للأخلاقية. - وتلك الوحدة هي من ذات الوجه كينونة مصادر عليها، إنها ليست هنا؛ فما هو هنا إنما هو الوعي، أو التقابل بين الحاسة وبين الوعي الخالص. لكن في الوقت نفسه ليست تلك الوحدة من قبيل الفي - ذاته مثلما هي المصادر الأولى حيث تمثل الطبيعة جانباً ويقع تلاؤم عين الطبيعة مع الوعي الأخلاقي خارج هذا الأخير؛ بل الطبيعة في هذا الموضع إنما هي الطبيعة التي ينطوي عليها الوعي الأخلاقي في حد ذاته، والأمر هاهنا يجري مجرى الأخلاقية بما هي كذلك ومجرى تلاؤم هو التلاؤم الخاص بالهو الفاعل؛ لذلك ينبغي للوعي ذاته أن يُقيم هذا التلاؤم وترسل في الأخلاقية أبداً. غير أنه ينبغي إرجاء استكمال عين الأخلاقية إلى ما لانهاية فيه، لأنه لو كان ثمة استكمال يحصل حقيقاً، لكان الوعي الأخلاقي قد أنتسخ؛ فالأخلاقية لا تكون الوعي الأخلاقي إلا كالماهية النافية التي لا تكون الحاسة بالإضافة إلى واجبها المحض إلا دلالة سلبية، أي إلا ما هو ليس مشاكلاً. لكن في التلاؤم تزول الأخلاقية كوعي، أو يزول حقيقتها مثلما يزول في الوعي الأخلاقي أو حقيقه تلاؤمه؛ فلذلك لا يكون الاستكمال يُدرك بالفعل، بل ليتفكر كهممة مطلقة وحسب، ومعناه كهممة ما تفكك مهمة على الإطلاق. وينبغي في الحين ذاته أن يُتفكر مضمون

المهمة كمضمون يجب أن يكون على الإطلاق، وألا يبقى مهمة، سواءً تصوّر المرء الوعي منسوخاً تماماً في هذا الهدف أم لم يتصوّر؛ أما كيف للمرء أن يتدبّر هذا الأمر، فذاك ما لا يبين بعدُ بنفسه في الأفاصي المظلمة للانهاثي أين ينبغي لهذه العلة إرجاء إدراك الهدف. وقد ينبغي أن يُقال حُصراً إنَّ التصوّر المتعيّن يجب ألا يكون ذا شأنٍ ويُتعمّق، لأنّ هذا يسوق إلى تناقضات، - تناقض مهمة ينبغي أن تبقى مهمةً وينبغي مع ذلك أن تُنجز، - وتناقض أخلاقيّة ينبغي ألا تكون بعدُ وعياً ولا حقيقةً. لكنّ اعتبار الأخلاقيّة التامة من حيث كانت لتتضمّن تناقضاً، كان يكون جارحاً لجلال الأيسية الأخلاقيّة، وكان يكون الواجب المطلقُ ظهر على أنّه شيء غيرُ حاقٍ.

لقد كانت فحوى المصادرة الأولى في التلاؤم بين الأخلاقيّة وبين الطبيعة الموضوعيّة، أي الغاية القصوى (Der Endzweck) للعالم؛ أما المصادرة الأخرى ففي التلاؤم بين الأخلاقيّة وبين الإرادة الحاسّة، أي الغاية القصوى للوعي - بالذات بما هو كذلك؛ بالتالي الأولى هي في التلاؤم على صورة الفي - ذاته، أما الأخرى فعلى صورة الكون - لذاته. أما ما يصل طرفي هاتيك الغائتين القصويين المُفتكرتين كالحَدّ الأوسط فإنّما هو حركة الممارسة الحاقّة ذاتها. وهما تلاؤمان لم تصرّ لحظّاتهما على اختلافيّتها المجردة موضوعاً؛ وهذا إنّما يحدث في الحقيق حيث تهلّ الجوانب في الوعي بخاصّة، كلّ جانبٍ هو غيرُ الآخر. والمصادرات الناجمة على هذا النحو مثلما كانت تتضمّن سابقاً التلاؤمات المنفصلة إمّا الكائنة في ذاتها وإمّا الكائنة لذاتها وحسب، إنّما تتضمّن الآن تلاؤماتٍ كائنة في - ذاتها و - لذاتها.

III. المشرّع الإلهي والوعي - بالذات الأخلاقيّ الناقص] -  
 إنّ الوعي الأخلاقيّ بما هو العلم البسيط والإرادة البسيطة للواجب المحض، يكون موصولاً في الممارسة بالموضوع

المتضادّ مع بساطته - والحقيقِ الذي للحالة المتعدّدة الوجوه، فتكون له بذلك رابطةً أخلاقيةً متعدّدة الوجوه. في هذا الموضع تنجم بالجملة - وحسب المضمون - القوانين المتكثّرة، وتنجم بحسب الشكل القوى المتناقضة للوعي العالم وللعريّ من الوعي. - أمّا في ما يتعلّق أولاً بالواجبات المتكثّرة، فلا يصلح منها في نظر الوعي الأخلاقيّ بالجملة إلاّ الواجب المحض الذي فيها؛ والواجبات المتكثّرة من حيث هي متكثّرة إنّما تكون مقيّدة، فليست هي بما هي كذلك شأنًا مقدّساً بالنسبة إلى الوعي الأخلاقيّ. ولكن في الوقت نفسه ينبغي ضرورةً أن تُعتبر الواجبات المتكثّرة ككائنة [401] في ذاتها ولذاتها بواسطة مفهوم الفعل الذي يتضمّن في ذاته حقيقةً متعدّد الوجوه، وإذا رباطاً أخلاقياً متعدّد الوجوه. وزائداً إلى ذلك أنّه لما كانت تلك الواجبات لا توجد إلاّ في وعيٍ أخلاقيّ، فهي توجد في الوقت نفسه في وعي مغايرٍ لذلك الذي يكون في نظره الواجب المحض وحده من حيث هو المحض في ذاته ولذاته ومقدّساً.

وعليه فما هو مصادِرُ عليه هو أنّه ثمّة وعيٍ آخرٍ يقدّسها أو يعلمها ويريدها كواجباتٍ، فالوعي الأوّل يحفظ الواجب المحض على سيّانية حيال كلِّ مضمون متعيّن، فليس الواجب سوى تلك السيّانية حياله. أمّا الوعي الآخر فيتضمّن الاتصال بالفعل الذي هو كذلك اتّصالٌ جوهريّ أيضاً وضرورةً المضمون المتعيّن؛ وما دامت الواجبات تجري عنده مجرى واجبات مقيّدة فإنّ المضمون بما هو كذلك يكون عنده مهمّاً قدر أهميّة الشكل الذي به يكون المضمون الواجب. وهذا الوعي هو بذلك وعيٌ يكون فيه الكلّيّ والجزئيّ واحداً على الإطلاق، ومفهومه هو عينُ المفهوم الذي لتلاؤم الأخلاقية والغبطة. وذلك التقابل إنّما يعبر أيضاً عن انفصال الوعي الأخلاقيّ المساوي لذاته عن الحقيقِ الذي يعاند من حيث هو الكينونة المتعدّدة الوجوه الماهية البسيطة للواجب.

لكن إذا لم تعبّر المصادرُ الأولى إلا عن التلاؤم الكائن بين الأخلاقية والطبيعة من جهة أنّ الطبيعة في ذلك هي هذا السليبي الذي للوعي - بالذات، أي لحظة الكينونة، فإنّ هذا الفي - ذاته قد وُضِعَ الآنَ على العكس وبالجوهر كوعي. والكائنُ تكون له مذكاً صورةً المضمون الذي للواجب، أو هو التعيّنة عند الواجب المتعيّن. وعليه فالفي - ذاته وحدةً أيسيات تكون بما هي أيسيات بسيطة الأيسيات التي للتفكير، إذا الأيسيات التي لا تكون إلا في وعي ما. هذا الوعي هو مذكاً رئيس العالم وسيّده الذي يأتي التلاؤم بين الأخلاقية والغبطة، ويُجَلُّ في الوقت نفسه الواجبات متكررة. وهذا القول الأخيرُ معناه على الأرجح أنّ الواجب المتعيّن لا يمكن أن يكون في - الحال مقدساً بالنسبة إلى الوعي الذي للواجب المحض؛ لكن لما كان الواجب المتعيّن ضرورياً كذلك بسبب الفعل الحاقّ الذي هو فعل متعيّن، فإنّ ضرورته تقع خارج ذلك الوعي وفي وعي آخر الذي هو الموسّط (Das Vermittelnde) للواجب المتعيّن والواجب المحض وعماد كون الواجب المتعيّن صالحاً أيضاً.

غير أنّ الوعي يسلك في الممارسة الحاقّة كهذا الهُو، كوعي فرديّ شديداً؛ إنه يقصد<sup>(44)</sup> إلى الحقيق بما هو كذلك، ويكون له هذا الحقيق غايةً؛ لأنّه يريد أن يُتمّ أمراً ما. وعليه فالواجب يقع بالجملة خارجّه في ماهية مغايرة هي الوعي والمشرع المقدّس للواجب المحض. وبالنسبة إلى الوعي الذي يمارس من حيث إنه على الحصر ممارس، ما يصلح في الحال إنّما هو الآخر الذي للوعي المحض، وعليه فهذا الواجب المحض مضمونٌ لوعي آخر، ولا يكون مقدساً في نظر ذلك الوعي الأول إلا بتوسيط، ولاسيما في هذا الوعي الأخير.

(44) Auf etwas gerichtet sei، بمعنى القصد والوجهة.

ولمّا كان وُضع بذلك أنّ صلاح الواجب كمقدّسٍ في ذاته ولذاته يقع خارج الوعي الحاقّ، فالحاصل عن ذلك هو أنّ هذا الأخير ينتصب بالجملة على حِدّةٍ كوعي أخلاقيّ ناقصٍ. وكما يعرف الوعي وفقّ المعرفة التي له أنّه إذاً وعيٌ تكون معرفته وأقتناعه غير كاملين وعرضيين، كذلك يعرف وفقّ الإرادة التي له أنّه وعيٌ غايته متأثرةٌ بالحاسّة. ولذلك لا يستطيع أن يرى بسبب عدم أهليّته (Die Unwürdigkeit) الغبطة ضروريّةً، بل يراها شيئاً عرضياً ولا يرتقبها إلا ارتقاب نعمة وفضلٍ.

لكن على الرّغم من أنّ حقيقّ الوعي الأخلاقيّ ناقصٌ، فالواجب إنّما يجري بالنسبة إلى إرادته المحض ومعرفته مجرى الماهية؛ أمّا في المفهوم من حيث هو متضادّ مع الواقع، أو في التفكير، فيكون ذلك الوعي الأخلاقيّ إذاً كاملاً؛ لكنّ الماهية المطلقة إنّما هي على التدقيق هذا المفتكرٌ أو المصادِر على أنّه متعالٍ على الحقيقّ؛ فلذلك هي الفكرة التي تجري فيها المعرفة والإرادة الناقستان من وجهٍ أخلاقيّ مجرى معرفة وإرادة كاملتين، وهي عندئذٍ من حيث إنّها تأخذ تلك المعرفة والإرادة مأخذ ما هو بالغ الأهميّة (Vollwichtig)، إنّما تُسند الغبطة وفقّ الأهليّة، ولاسيّما وفقّ الفضل الذي يرجع إليها.

[III. العالم الأخلاقيّ بما هو تصوّر] - بهذا تتيمّ رؤية العالم؛ إذ في مفهوم الوعي - بالذات الأخلاقيّ إنّما قد وُضع الجانبان، الواجب المحض والحقيقّ، في وحدةٍ وِحدةٍ، وبذلك لم يوضع لا هذا ولا ذاك ككائنين في ذاته ولذاته، بل كِلحظةٍ أو منسوخ. ذاك هو ما يطرأ على الوعي في الشطر الأخير من الرؤية الأخلاقيّة للعالم؛ فهو يضع على الحصر الواجب المحض في ماهية أخرى غير التي هو هي، ومعناه أنّه يضع الواجب المحض في شطر كمتصوّرٍ، وفي شطر آخر كشيء ليس هو ما يصلح في ذاته ولذاته، بل اللاأخلاقيّ هو الذي يجري في الأكثر مجرى

شأن تام. كذلك يستوضع الوعي ذاته كوعي يكون حقيقه الذي هو غير مطابق للواجب منسوخاً، ومن جهة ما هو منسوخ أو في تصوّر الماهية المطلقة، فإنه لم يعد مناقضاً للأخلاقية.

لكن بالنسبة إلى الوعي الأخلاقي ذاته لا تكون لرؤيته الأخلاقية للعالم دلالة أنه ينمي فيها مفهومه الخاص، فيجعل منه موضوعاً لنفسه؛ فليس له وعي بهذا التعارض الذي بحسب الشكل، ولا بالتعارض الذي بحسب المضمون، فلا يصل ولا يقارن بين أجزاء المضمون، وإنما يترسل الوعي الأخلاقي في ربوه من دون أن يكون المفهوم المستغرق للحظات؛ فهو لا يعلم إلا الماهية المحض، أو الموضوع ما دام الموضوع الواجب، وما دام موضوعاً مجرداً لوعيه الخالص بما هو علم خالص، أو من جهة ما هو سيئه ذاته. وعليه فالوعي الأخلاقي لا يتصرف إلا كمفكر، لا كمن يفهم. لذلك ما زال الموضوع الذي لوعيه الحاق لم يصر في نظره شفيفاً (Durchsichtig)، فليس الوعي الأخلاقي بالمفهوم المطلق الذي وحدته يدرك الكون المغاير من حيث هو كذلك، أو نقيضه المطلق كأنه ذاته. وحقيقه مثله مثل كل حقيق موضوعي إنما يجري عنده مجرى اللاجوهري (Als das Unwesentliche)؛ لكن حرّيته هي حرّية التفكير المحض التي نجمت قدامها في الوقت نفسه الطبيعة كشيء يعدله حرّية. ولما كانت حرّية الكينونة وكونها متضمنة في الوعي يقعان كلاهما من وجه سواء في الوعي الأخلاقي، فإن موضوعه يصير كأنه كائن، ليس هو في الوقت نفسه إلا كمفتكر؛ أما في الشطر الأخير من رؤيته للعالم، فإن المضمون يوضع بالجوهر على نحو أن كونه متصور، وأن عبارة هذا الوصل بين الكينونة وبين التفكير تكون ما يكون ذلك الوعي بالفعل، أعني التصور.

فإذا أولينا النظر في الرؤية الأخلاقية للعالم على نحو أن هذا الوجه الموضوعي لا يكون إلا مفهوم الوعي - بالذات

الأخلاقيّ ذاته الذي يجعله لنفسه موضوعياً، لحصل لدينا عبر هذا الوعي شكلٌ آخرٌ لبيانه في ما يتعلّق بصورة أصله. - إنّ أوّل ما أبتدأنا به هو الوعي - بالذات الأخلاقيّ الحاقّ، أو ما شرعنا فيه أولاً هو أنّه ثَمّةٌ وعيٌ - بالذات من ذلك القبيل. فالمفهوم يضع هذا الوعي في التعيين الذي مفاده أنّ كلّ حقيق بالجملة تكون له في نظره ماهيةٌ ما طابَقَ الواجب، ويضع هذه الماهية من جهة ما [404] هي علمٌ، أي في وحدة حالية مع الهو الحاقّ؛ بذلك تكون هذه الوحدة هي نفسها حاقةً، فتكون وعياً أخلاقياً حاقاً. - أمّا هذا الأخير من جهة ما هو وعيٌ، فيتصوّر مذكاً مضمونه كموضوع، ولاسيما كأنه الغاية القصوى للعالم، وكتلاؤم بين الأخلاقية وكلّ حقيق؛ لكنّ ذلك الوعي ما دام يتصوّر تلك الوحدة كموضوع، وما زال هو نفسه لم يصرّ إلى المفهوم الذي تكون له سطوةٌ على الموضوع بما هو كذلك، لم تكن تلك الوحدة في نظره إلّا سلبياً الوعي - بالذات، أو هي تقع خارجه كأنها متعالٍ على الحقيق الذي له، لكن في الوقت نفسه كمتعالٍ من جنس الذي يُفكّر فيه أنّه كائنٌ أيضاً، لكنّه مُفكّرٌ وحسب.

أمّا ما يتبقّى عندئذ في نظر ذلك الوعي من جهة ما هو كوعي - بالذات غير الموضوع فإنّما هو الالاتلاؤم بين الوعي بالواجب وبين الحقيق، وبخاصّة حقيقه الخاصّ. حينئذ تصاغ القضية على النحو التالي: ليس ثَمّةٌ وعي - بالذات حاقٌ وكاملٌ أخلاقياً؛ - ولما كان الأخلاقيّ بالجملة لا يكون إلّا كاملاً، لأنّ الواجب هو الفي - ذاته الخالص والعاري من كلّ شائبة (Das reine unvermischte Ansich)، والأخلاقية لا تقوم إلّا على التطابق مع هذا الخالص، فإنّ القضية الثانية تصاغ بالجملة على نحو أنّه ليس ثَمّة حاقٌ من وجهٍ أخلاقيّ.

لكن من حيث إنّ الوعي بالذات هو ثالثاً هو واحدٌ (Ein Selbst)، فهو إنّما يكون في ذاته وحدة الواجب والحقيق؛



وعليه فهذه الوحدة تصير في نظره موضوعاً، كأنها الأخلاقية التامة، -  
لكن كمتعالٍ على حقيقه، لكنّه ينبغي أن يكون بدوره متعالياً حاقاً.

إنّ الحقيق الواعي - بذاته مثلما الواجب لا يوضعان في هذا  
الهدف الذي للوحدة المؤلفة بين القضيتين الأوليين، إلا كالحظة  
منسوخة؛ فلا واحد منهما يكون مفرداً، بل الطرفان اللذان تعينهما  
الجوهري أن يكون كل واحد في حل من الآخر، لم يعد كل  
منهما في الوحدة في حل من الآخر، فكل منهما إنما قد نسخ  
إذاً، وبذلك فقد صارا بحسب المضمون موضوعاً، حيث يصلح  
كل منهما للآخر. أما بحسب الشكل فقد صارا موضوعاً على نحو  
أن هذا التقابل (Diese Austauschung derselben) الذي بينهما ليس  
في الوقت نفسه إلا متصوراً. - أو بعبارة أخرى: ما لا يكون  
الأخلاقي من وجه حاق ما دام محض تفكير ومرفوعاً فوق حقيقه  
إنما هو مع ذلك أخلاقي في التصور، ويؤخذ مأخذ ما هو صالح  
تماماً. بذلك تصح القضية الأولى التي مفادها أنه ثمة وعي -  
بالذات أخلاقي، لكنها تصح موصولةً بالثانية التي مفادها أنه ليس [405]  
ثمة وعي - بالذات أخلاقي، أعني أنه ثمة وعي - بالذات  
أخلاقي، لكن في التصور وحسب؛ أو: ليس ثمة البتة وعي من  
هذا الجنس، لكنّه ثمة وعي - بالذات مغايرٌ يجري عنده ذلك  
الوعي هذا المجري.

#### ب. التستر [والنقائ] (45)

إنّا نرى في الرؤية الأخلاقية للعالم أن الوعي من ناحية  
ينسل هو ذاته موضوعه بوعي؛ ونرى أنه لا يلقى عين الموضوع  
كغريب ولا يحصل له الموضوعُ بشكل عارٍ من الوعي، بل الوعي

---

(45) Die Verstellung التستر بمعنى الكتمان والخفية. ولكن هيجل يُقصد أيضاً  
إلى معنى إفساد وضع تعين ونُصبه (aufstellen) على نحو نقله ومناقشته (verstellen)  
مناقلة في - الحال يتخفى فيها الوعي إذ يتناقل من تعين إلى آخر.

يباشر الأمر في كلما موضع وفق عمادٍ يضع استناداً إليه الماهية الموضوعية؛ وعليه فهو يعلم عين الماهية الموضوعية كأنها ذاته، لأنه يعلم ذاته كالفعل الذي ينسلُ عين الماهية. بهذا يظهر الوعي في هذا الموضع على أنه انتهى إلى طمأنينته (Seine Ruhe) ورضاه، فهو لا يستطيع أن يجدهما إلا حيث لم يعد في حاجة إلى مجاوزة موضوعه، لأن موضوعه لم يعد يجاوزه؛ لكن من الناحية الأخرى الوعي ذاته هو الذي يضع في الأكثر الموضوع خارجة كمتعالٍ عليه؛ إلا أن هذا الكائن في - ذاته و - لذاته إنما يوضع أيضاً على نحو أنه ليس في حلٍ من الوعي - بالذات، بل يكون مسخراً لهذا الوعي وبواسطته.

[I. تناقضات الرؤية الأخلاقية للعالم] - إذا ليست الرؤية الأخلاقية للعالم بالفعل سوى إنماء ذلك التناقض الواقع في الأسس وفق جوانبه المختلفة؛ إنها حتى نستعمل عبارة كانطية<sup>(46)</sup> تطابق هنا المقام تماماً، وكرُّه بأكمله من التناقضات العرية من الفكرة. والوعي يتصرف في هذا الربو على نحو أنه يثبت وضع (Festsetzen) لحظة ما، ثم يمرّ منها في - الحال إلى أخرى فينسخ الأولى، لكن ما إن يُنصب هذه الثانية، ينقلها<sup>(47)</sup> هي أيضاً ليجعل في الأكثر من الضدّ ماهية. والوعي في الحين ذاته واع بتناقضه وبتناقله أيضاً، فهو يمرُّ في - الحال من لحظة وفي صلةً بهذه اللحظة عينها إلى اللحظة المقابلة؛ ولما لم يكن واقع لأي

---

«Ich habe kurz vorher gesagt, daß in diesem kosmologischen (46) Argumente sich ein ganzes Nest von dialektischen Anmaßungen verborgen halte, welches die transzendente Kritik leicht entdecken und zerstören kann».

«لقد قلت سابقاً بإيجاز أنّ في هذه البراهين الكوسمولوجية يتخفى وكرُّه بأكمله من الدعاوى الديالكطيقية، وكرُّه يمكن للنقد الترنسندنالي أن يكشفه ويدكّه بيسر».

انظر: Immanuel Kant, *Kritik der reinen Vernunft*, Hrsg. von Wilhelm Weischedel, B. 637 (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974), p. 540.

(47) انظر الهامش رقم (45) من هذا الفصل.

لحظة عنده، فإنّه يضعها لذلك كأنّها واقعيّة، أو - وهو الشيء نفسه -: لكي يقرّ لحظةً ما ككائنة في ذاتها، يقرّ بضدّها كالكائن - في - ذاته. بذلك فهو يشهد أنّه لا يأخذ بالفعل أيّاً منهما مأخذ الجدّ. وهذا هو ما ينبغي تعقّب الفحص عنه في اللّحظات التي لهذه الحركة المخاتلة.

لنُغْفَلُ الافتراضَ القائل إنّه ثمة وعي أخلاقيّ حاقٌّ ولنشره على حاله، لأنّه لم يُصعْ في - الحال في إضافة إلى شيء يتقدّمه، ولنشتغل على تلاؤم الأخلاقيّة والطبيعة، أي على المصادرة الأولى. هذا التلاؤم ينبغي أن يكون في - ذاته، لا بالنسبة إلى الوعي الحاقّ، ولا حاضراً، بل ليس الحاضر في الأكثر إلّا تناقض الاثنين معاً. في الحاضر الأخلاقيّة إنّما تؤخّذ على أنّها ماثلة بين أيدينا (vorhanden)، والحقيق إنّما يُنزَل على نحو أنّه ليس في تلاؤم معها؛ لكنّ الوعي الأخلاقيّ الحاقّ وعي يمارس؛ وفي ذلك إنّما يكمن على التدقيق حقيق أخلاقيّته. ولكن في الفعل ذاته يستتر هذا الوضع في - الحال وينقلب؛ فليس الفعل سوى تحقّق الغاية الأخلاقيّة الباطنة، وليس هو إلّا إنتاج حقيقيّ متعيّن بواسطة الغاية أو إنتاج التلاؤم بين الغاية الأخلاقيّة والحقيق ذاته. وفي الوقت نفسه إتمام الفعل إنّما يكون بالنسبة إلى الوعي، إنّهُ حاضرٌ هذه الوحدة بين الحقيق وبين الغاية؛ ولما كان الوعي يتحقّق في الفعل المنجز كهذا الفرديّ، أو يحدث الكيانَ الراجع إليه، فتحصل المتعة، فهذه الصورة التي له تكون في الوقت نفسه متضمّنة في حقيق الغاية الأخلاقيّة، وهي التي تُسمّى متعة وغبطة. - وعليه فالفعل يُثمّ بالفعل وفي - الحال هذا الذي كان نُصِبَ على أنّه ما كان ليقع والذي لا ينبغي أن يكون إلّا مصادرةً ومتعالياً. والوعي يقول إذاً بواسطة الفعل إنّهُ لا يأخذ المصادرة مأخذ الجدّ، لأنّ معنى الفعل هو في الأكثر أن يُقَادَ إلى الحاضر ما كان لا ينبغي أن يكون في الحاضر. وما دام التلاؤم مصادراً عليه

لأجل الفعل، لأنَّ ما ينبغي أن يصير بواسطة الفعل يجب أن يكون في ذاته، وإلا ما كان ليكون الحقيقي ممكناً، فإنَّ ائتلاف الفعل والمصادرة يحصل على نحو أنه بسبب الفعل، أي بسبب التلاؤم الحاق بين الغاية والحقيقي، يوضع هذا التلاؤم لا كحقيقي، بل كمتعالٍ.

07] وما دام الفعل يُفعل، فإنَّ اللانطباق بين الغاية وبين الحقيقي بعامة لا يؤخذ مأخذ الجد، ويظهر بالعكس أنَّ الفعل ذاته هو ما يؤخذ مأخذ الجد؛ لكنَّ الفعل الحاق ليس في واقع الأمر إلا فعل الوعي الفردي، وعليه فالفعل ليس إلا شيئاً فردياً والأثر إلا عرضياً. غير أنَّ غاية العقل كغاية كليّة تحيط بكلّ شيء، ليست أقلّ من العالم برمته؛ غايةً قصوى تجاوز بكثير المضمون الذي لذلك الفعل الفردي، ولذلك ينبغي أن تنتصب بالجملة فوق كلِّ فعلٍ فرديٍّ. ولما كان ينبغي إنجاز الأحسن الكليّ (Das allgemeine Beste)، فإنه لا خير يُفعل؛ لكنَّ انعدام (Die Nichtigkeit) الفعل الحاق وواقع الغاية الكاملة وحدها اللذان نُصِبَا الآن إنما يتمّ نقلهما من جديد في شتى الأنحاء. والفعل الأخلاقيّ ليس عرضياً ومحدوداً، لأنه يكون له الواجب المحض ماهيةً تخصّه؛ وهذا الواجب يمثل جملة الغاية الوحيدة؛ والفعل كتحقيق لعين الغاية وعلى الرغم من كلّ تقييد (Die Beschränkung) آخر للمضمون إنما هو إذاً إتمام الغاية المطلقة بجملتها؛ أو، إذا أخذ الحقيقي من جديد مأخذ الطبيعة التي تكون لها قوانينها الخاصّة، وتتضادّ مع الواجب المحض على نحو أنَّ الواجب لا يمكنه إذاً أن يحقّق قانونه ضمنها، فإنَّ الأمر لا يتعلّق فعلاً باستتمام الواجب المحض الذي هو كلّ الغاية من حيث إنّ الواجب بما هو كذلك هو الماهية؛ فغاية الاستتمام ما كانت لتكون في الأكثر الواجب المحض، بل ضده، أي الحقيقي. ولكن كون الأمر لا يتعلّق بالحقيقي، فذاك ما يُخفى ويُنقل (verstellen) من جديد؛ لأنَّ

الواجب المحض هو بالجواهر ووفق مفهوم الفعل الأخلاقيّ وعيّ فعّال، فينبغي إذاً في كلّ الأحوال أن يُفعل الفعل، ويُفصَح عن الواجب المطلق في الطبيعة بسارها، ويصير القانون الأخلاقيّ قانوناً طبيعياً.

هَبْ إِذَا أَنْ هَذَا الْخَيْرَ الْأَسْنَى يَجْرِي مَجْرَى الْمَاهِيَةِ، حِينَئِذٍ لَنْ يَحْمَلَ الْوَعْيُ الْبَتَّةَ الْأَخْلَاقِيَّةَ مَحْمَلَ الْجَدِّ، فَلَيْسَ لِلطَّبِيعَةِ فِي هَذَا الْخَيْرِ الْأَسْنَى قَانُونٌ غَيْرَ الَّذِي لِلْأَخْلَاقِيَّةِ. وَبِذَلِكَ فَالْفِعْلُ الْأَخْلَاقِيّ ذَاتُهُ إِنَّمَا يَرْتَفِعُ (Hinwegfallen)، لِأَنَّ الْفِعْلَ لَيْسَ إِلَّا ضَمَنَ افْتِرَاضِ سَلْبِيٍّ يَنْبَغِي نَسْخُهُ بِوَسْطَةِ الْفِعْلِ. وَلَكِنْ إِذَا كَانَتِ الطَّبِيعَةُ مُطَابِقَةً لِقَانُونِ الْأَخْلَاقِ، كَانَ يَكُونُ هَذَا الْقَانُونُ قَدْ انْتَهَكَ [408] عِبْرَ الْفِعْلِ، أَيْ عِبْرَ نَسْخِ الْكَائِنِ. - إِذَا مَا يُقْبَلُ بِهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْافْتِرَاضِ كَوْضَعُ جَوْهَرِيٍّ إِنَّمَا هُوَ وَضَعٌ يَكُونُ فِيهِ الْفِعْلُ الْأَخْلَاقِيّ سَطْحِيّاً، فَلَا يَكُونُ لِذَلِكَ الْفِعْلِ فِيهِ مَوْقِعُ الْبَتَّةِ. وَالْمَصَادِرَةُ عَلَى تَلَاوُمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْحَقِيقِ تَلَاوُماً يَوْضَعُ بِوَسْطَةِ مَفْهُومِ الْفِعْلِ الْأَخْلَاقِيّ حَتَّى يَنْسَجِمَا، إِنَّمَا عِبَارَتُهَا أَيْضاً عَلَى النِّحْوِ التَّالِيِ: مَا دَامَ الْفِعْلُ الْأَخْلَاقِيّ الْغَايَةَ الْمَطْلُوقَةَ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْمَطْلُوقَةَ هِيَ إِلَّا يَكُونُ الْفِعْلُ الْأَخْلَاقِيّ حَاضِراً حَاصِلاً الْبَتَّةَ.

وَإِنْ نَصَبْنَا مَعاً تِلْكَ اللَّحْظَاتِ الَّتِي كَانِ الْوَعْيُ بِمَعِيَّتِهَا يَدُولُ<sup>(48)</sup> فِي تَصَوُّرِهِ الْأَخْلَاقِيّ، بَانَ أَنَّ الْوَعْيَ إِنَّمَا يَنْسَخُ كَلَّاماً مِنْهَا مِنْ جَدِيدٍ فِي ضِدِّهَا. إِنَّهُ يَبْدَأُ مِنْ كَوْنِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْحَقِيقِ عِنْدَهُ لَيْسَا مِتْلَائِمَيْنِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ هَذَا الْأَمْرَ مَاخُذَ الْجَدِّ، لِأَنَّ حُضُورَ ذَلِكَ التَّلَاوُمِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي نَظَرِهِ ضَمَنَ الْمِمَارَسَةِ؛ لَكِنَّهُ لَا يَأْخُذُ أَيْضاً تِلْكَ الْمِمَارَسَةَ مِنْ وَجْهِ الْجَدِّ طَالَمَا أَنَّهَا شَيْءٌ فَرْدِيٌّ، لِأَنَّ الْوَعْيَ غَايَةً رَفِيعَةً بِهَذَا الْقَدْرِ، أَعْنِي الْخَيْرَ الْأَسْنَى. وَلَكِنْ لَا

Fortwälzen (48) بمعنى دار ودال قُدماً خروجاً على ما هو فيه أو نفاذاً إلى

داخل مما هو فيه.

يكون في هذا مرّةً أخرى إلّا إخفاء الأمر ونقائه، لأنّ في ذلك إنّما ترتفع كلّ ممارسةٍ وكلُّ أخلاقيّة. أو أنّه على الحصر لا يأخذ الممارسة الأخلاقيّة مأخذ الجدّ، وإنّما المرغوب فيه أكثر من غيره، المطلق، هو أن يُنجزَ الخير الأسنى، وتظلّ الممارسة الأخلاقيّة سطحيّة.

[II. إنحلال الأخلاقيّة في ضدّها] - لا بدّ للوعي أن يدوّل (Fortwälzen) انطلاقاً من هذا الحاصل، فيترسّل في حركته المتناقضة، كما يلزم بالضرورة أن يُستَرَّ نسخُ الفعل الأخلاقيّ فينقل (Verstellen) من جديد؛ فالأخلاقيّة إنّما هي ألفي - ذاته؛ ولكي تكون الأخلاقيّة، يمكن الهدف الأقصى للعالم ألا يُنجزَ، لكن لا بدّ للوعي الأخلاقيّ أن يكون لذاته، ويجد بين يديه (Vorfinden) طبيعّة متضادّة معه؛ إلّا أن الوعي الأخلاقيّ يجب أن يكون كاملاً في حدّ ذاته. ذاك ما يؤدّي إلى المصادرة الثانية على تلاؤم الوعي الأخلاقيّ والطبيعة التي تكون فيه في - الحال، أي الحاسة. والوعي - بالذات الأخلاقيّ إنّما ينصب غايته خالصةً وبريئةً (Unabhängig) من النوازع والميولات، حتّى إنّها تكون ألغت فيها غايات الحاسة. - غير أنّه سرعان ما يكتم ذلك النسخ المنصوب للماهيّة الحسيّة، فينقله. إنه يفعلُ فيسوقُ غايته إلى الحقيقي، والحاسة الواعيّة - بذاتها التي ينبغي نسخها تكون مباشرةً 09] هذا الحدّ الأوسط بين الوعي المحض وبين الحقيقي، إنّها آله الأوّل في تحقّقه، أو العضو وما يُسمّى ميلاً ونزوعاً. لذلك لا يأخذ الوعي - بالذات من وجه الجدّ نقض النوازع والميولات، لأنّها إنّما هي الوعي - بالذات المتحقّق. لكن لا ينبغي كذلك أن يُكبح جماحها (Unterdrücken)، بل ينبغي فقط أن تكون طبق العقل. وإنّها لمطابقّة للعقل أيضاً، لأنّ الممارسة الأخلاقيّة ليست سوى الوعي المتحقّق، إذًا الواهب لنفسه شكل ميل ما، لاسيّما أنّه يكون في - الحال التلاؤم الحاضر بين الميل وبين الأخلاقيّة.

لكن الميل ليس بالفعل ذلك الشكل الخاوي وحسب الذي كان يكون له دافع آخر غير الذي هو به ما هو، فكان يكون مدفوعاً به. والحاسة إنما هي طبيعة تنطوي في حد ذاتها على قوانينها ودوافعها المحركة الخاصة؛ لذلك لا يمكن لأخلاقية أن تحمل محملاً الجد كونه الميل الدافع للميولات وزاوية أنعطاف النوازع؛ فطالما أن لهذه تعيينيتها الراسخة الخاصة ومضمونها المخصوص، فإن الوعي الذي كانت تكون مطابقة له هو الذي كان يكون في الأكثر المطابق لها، وهي مطابقة يمتنع عنها الوعي - بالذات الأخلاقي. وعليه فتلاؤم الاثنين ليس إلّا في ذاته ومصادراً عليه. - إن التلاؤم الحاضر بين الأخلاقية والحاسة كان نصب للتو ضمن الممارسة الأخلاقية، لكن كل ذلك يُنقل مذكاً فيكم؛ فالتلاؤم إنما هو متعالٍ على الوعي في قصي غائم حيث لم يعد أي شيء بيتاً ولا مفهوماً؛ وألتماس فهم هذه الوحدة الذي سعينا إليه أعلاه إنما باء بالفشل. - إلّا أن الوعي في هذا الفي - ذاته؛ إنما يُهمل ذاته. فهذا الفي - ذاته هو اكتماله الأخلاقي حيث أرتفعت معركة الأخلاقية والحاسة، وطابقت هذه تلك على نحو لا تمكن الإحاطة به. - ولهذا العلة ليس ذلك الاكتمال إلّا نقلاً للأمر (Eine Verstellung der Sache) وإخفاء له من جديد؛ فالأخلاقية في واقع الأمر إنما كانت في الأكثر أغفلت ذاتها فيه، إن هي إلّا الوعي بالغاية المطلقة من جهة ما هي خالصة، إذًا في تقابل مع كل الغايات الأخرى؛ وهي أيضاً نشاط هذه الغاية الخالصة بقدر ما هي واعية بالارتفاع عن الحاسة كما بأختلاط هذه بها وبتقابلها وصراعها معها. - أما كون الوعي لا يحمل محملاً الجد الكمال الأخلاقي، فذاك ما يقوله بنفسه في - الحال من جهة أنه ينتقل به إلى اللامتناهي، أي يقرّ أنه لن يكتمل البتة.

[410]

وعليه فإن الصالح عند هذا الوعي ليس في الأكثر إلّا هذه المنزلة بين المنزلتين (Ein Zwischenzustand) التي للاكتمال؛

لكنها منزلة ينبغي أن تكون على الأقلّ تزيداً في الاكتمال ودنوّاً منه. لكنّ تلك المنزلة قد لا تكون كذلك، لأنّ التزيّد في الأخلاقية كان يكون في الأكثر سعيّاً في تصرّم عين الأخلاقية. والهدف إنّما كان يكون العدم الذي أشرنا إليه أعلاه<sup>(49)</sup>، أو نقض الأخلاقية والوعي ذاته؛ ذلك أنّ مجاورة العدم أكثر فأكثر إنّما تعني النقصان. وبالإضافة إلى ذلك قد يفترض التزيّد بعامة مثله مثل النقصان، اختلاف أعظام في الأخلاقية؛ لكنّ ذلك ما لا يمكن أن يكون من غرض القول فيها، فمحالّ أن نفكر أنّ في الأخلاقية بما هي الوعي الذي تكون الغاية الإتيقية عنده الواجب المحض، تنوعاً، والمحالّ الأشدّ من ذلك هو أن نفكر أنّ فيها اختلافات عظم سطحية؛ فليس ثمة إلاّ فضيلة واحدة وواجب محض واحد وأخلاقية واحدة.

وعليه فما دام الكمال الأخلاقي لا يؤخذ مأخذ الجدّ، بل ما يؤخذ من وجه الجدّ إنّما هو بالأحرى المنزلة الوسطى، أي - كما بان للتوّ - اللأخلاقية، فإنّا نؤوب بهذا الشكل ومن جهة أخرى إلى مضمون المصادرة الأولى. إنّا لا نرى فعلاً كيف تلتمس الغبطة لهذا الوعي الأخلاقيّ بعلة أهليته. إنه واع بنقصه، ولا يستطيع لذلك أن يلتمس بالفعل الغبطة من وجه الاستحقاق (Als Verdienst)، أي كشيء كان يكون له أهلاً، بل يرتقبها كنعمة مرسله، أعني طلبه الغبطة بما هي كذلك في ذاتها ولذاتها رأساً، وأنّه لا يرتقبها على سبيل ذلك الأساس المطلق، بل على سبيل المصادفة والاعتباط. - واللأخلاقية إنّما تُفصح في هذا عمّاذا هي: إنّ الأمر لا يجري مجرى الأخلاقية، بل يتعلق بالغبطة في ذاتها ولذاتها من دون أيّ صلة بالأخلاقية.

بهذا الوجه الثاني للرؤية الأخلاقية للعالم إنّما يُنسح أيضاً

(49) انظر ص 620-622 من هذا الكتاب، في إنعدام الفعل الأخلاقي.



الإقرار الآخر للوجه الأوّل حيث أفترض اللاتلاؤم بين الأخلاقية وبين الغبطة. - فالذي تمت تجربته هو أنّ الأمور كانت تكون غالباً سيئة في هذا الحاضر بالنسبة إلى الأخلاقيّ؛ أمّا اللاأخلاقيّ فغالباً ما كانت تكون شؤونُه حسنة؛ إلّا أنّ المنزلة الوسطى للأخلاقيّة اللامكتملة التي برزت كأنّها الجوهرية، إنّما تكشف بوضوح أنّ هذا الإدراك والتجربة التي يلزم أن تكون (Die seinsollende Erfahrung) ليساً إلّا نقالاً وكتماناً للأمر. وما دامت الأخلاقيّة لامكتملة، ومعناه أنّها بالفعل ليست شيئاً، ما الذي يمكن أن يوجد في التجربة وكان يكون من شأنه أن يُفسدها؟ - وفي الوقت نفسه ما دام قد حصل أنّ الأمر يتعلّق بالغبطة في ذاتها ولذاتها، فإنّه قد بان أنّ في الحكم بأنّ اللاأخلاقيّ على نصابه، لم يُقصد إلى مظلمة كانت لتجد موضعها هاهنا. وما دامت الأخلاقيّة بالجملة غير مكتملة، فإنّ وصف فردٍ ما باللاأخلاقيّ يسقط في ذاته، فلا يكون له إذاً إلّا أساسٌ إعتباطي. وبذلك فمعنى حكم التجربة ومضمونه ليساً إلّا القول إنّ الغبطة في ذاتها ولذاتها ينبغي ألا تكون من نصيب بعضهم، ومعناه أنّ معنى هذا الحكم ومضمونه إنّما هو الحسد الذي يتخفى بثوب الأخلاقيّة. غير أنّ العلة في أن يكون للآخرين نصيبٌ ما ممّا يُسمى السعادة إنّما هي الصحبة الحسنة التي تتمنى بلا حسد (Gönnen und wünschen) لهم ولأنفسنا هذه النعمة، أي هذا الحظ.

### III. حقيقة الوعي - بالذات الأخلاقيّ] - إذاً الأخلاقيّة

في الوعي الأخلاقيّ غير مكتملة، وذلك هو ما يُنصب الآن، لكنّ ماهية الأخلاقيّة هي ألا تكون إلّا الخالص الكامل؛ بالتالي تلك الأخلاقيّة الناقصة إنّما هي غير خالصة، أو هي لأخلاقيّة. إذاً الأخلاقيّة ذاتها تكون في ماهية أخرى غير الوعي الحاقّ؛ وهذه الماهية إنّما هي مشرّع أخلاقيّ مقدّس. - والأخلاقيّة اللامكتملة

في الوعي التي هي عماد هذه المصادرة، تكون لها قبل كل شيء دلالة أنّ الأخلاقية من حيث توضع في الوعي كحاقّة إنّما تقوم في الإضافة إلى آخر، إلى كيان، وعليه فهي تستفيد في حد ذاتها الكون المغاير أو الاختلاف الذي تنجم من خلاله شتى التشايع الأخلاقية. لكن الوعي - بالذات الأخلاقيّ يعتبر في الوقت نفسه هذه الواجبات المتكثّرة غير جوهرية؛ فالأمر لا يتعلّق إلّا بالواجب المحض الواحد، أمّا الواجبات المتكثّرة فلا حقيقة لها بالنسبة إليه ما دامت واجبات محدّدة. ولا تستقيم حقيقة هذه الواجبات إلّا عند مغاير، فتكون - وذاك ما لا تكونه بالنسبة إلى الوعي - بالذات - مقدّسة بمشرّع مقدّس. - غير أنّ ذلك في حد ذاته ليس هو مرّة أخرى إلّا نقالاً للأمر. والوعي - بالذات الأخلاقيّ يكون [412] لنفسه المطلق، وليس الواجب على الإطلاق إلّا ما يعلمه هو كواجب، لكنّه لا يعلم إلّا بالواجب المحض كواجب؛ وما ليس عنده بمقدّس ليس مقدّساً في ذاته، وما ليس مقدّساً في ذاته لا يمكن أن يقدّس بواسطة الماهية المقدّسة. بذلك ليس من الجادة أن يقدّس الوعي الأخلاقيّ شيئاً ما بواسطة وعي آخر غيره؛ لأنّه لا يكون مقدّساً في نظره على الإطلاق سوى ما كان عنده مقدّساً بذاته وبالنسبة إليه. - وعليه فليس من الجادة كذلك أنّ تلك الماهية الأخرى ماهية مقدّسة، لأنّه كان ينبغي حينها أن ينتهي إلى الأيسية ما يكون عند الوعي، أي في ذاته، عريّاً من كلّ أيسية.

وإذا كانت الماهية المقدّسة مصادراً عليها على نحو أنّ الواجب فيها ما كان ليجري مجرى واجب محض، بل كتكثّر لواجبات مقيدة، فلا بدّ لذلك أنّ يكون فيه نقالاً من جديد، كما يجب ألا تكون الماهية الأخرى مقدّسة إلّا من حيث إن الواجب المحض وحده تكون له فيها صلاحية. والواجب المحض أيضاً لا صلاحية له بالفعل إلّا في ماهية أخرى، لا في الوعي الأخلاقيّ.

وعلى الرغم من أن الأخلاقية الخالصة تبدو وحدها سالحة عند هذا الوعي، فإنه يجب فيه أن يُنصَب على نحو مغاير، لأنه في الوقت نفسه وعيٌ طبيعيٌّ. والأخلاقية عنده إنما تتأثر وتتقيد بالحاسة، فهي إذاً ليست في ذاتها ولذاتها، بل هي عرضٌ من أعراض الإرادة الحرة؛ لكنّها عند الوعي بما هو إرادة خالصة، إنما هي عرضٌ معرفيٌّ؛ فلذلك إنما تكون الأخلاقية في ذاتها ولذاتها في ماهية أخرى.

هذه الماهية هي إذاً في هذا الموضع الأخلاقية المكتملة بشكل محض، والعلّة في ذلك هي أن الأخلاقية عندها لا تقوم على إضافة إلى الطبيعة والحاسة؛ لكن واقع الواجب المحض إنما هو تحقُّقه في الطبيعة والحاسة. والوعي الأخلاقي إنما يضع أنخرامه (Seine Unvollkommenheit) في أن للأخلاقية عنده صلة إيجابية بالطبيعة والحاسة، والحال أن ما يصلح عنده كلحظة جوهرية إنما هو ألا تكون له بها إلا صلة سلبية على الإطلاق. أما الماهية الأخلاقية الخالصة فما دامت قد أرتفعت فوق الصراع مع الطبيعة والحاسة، فإنها لا تقوم على صلة سلبية بهاتين الأخيرتين. وعليه فلا تبقى لها بالفعل إلا الصلة الإيجابية بهما، ومعناه على الحصر هذا الذي جرى للتو مجرى اللامكتمل والأخلاقي. لكن [413] الأخلاقية المحض إذ تنفصل تماماً عن الحقيق على نحو أنها تكون كذلك من دون صلة إيجابية به، لن تكون إلا تجريداً عارياً من الوعي وغير حاقٍ حيث يرتفع على الإطلاق مفهوم الأخلاقية المتمثل في كونه فكر الواجب المحض وإرادةً وفعالاً. لذلك فالماهية التي هي أخلاقية بهذا الشكل المحض إنما هي نقالٌ للأمر من جديد، وينبغي تركها.

لكن في هذه الماهية الأخلاقية بشكل محض إنما تتجاور لحظات التناقض حيث يطوف هذا التصوُّر التوليفي وهذه الأيضاً المتضادة التي يسوقها ذلك التصوُّر «أيضاً» تلو «أيضاً»، فيفك

دائماً التقابلَ بواسطة التقابل الآخر من دون أن يجمع بين هذه الأفكار التي له، حدّ أنّه يجب على الوعي هاهنا أن يتلقت عن رؤيته الأخلاقية للعالم، ويجد في ذاته ملاذاً (Zurückfliehen).

وإذا كان الوعي يعرف أخلاقية من جهة ما هي غير مُكتملة، فالعلة في ذلك أنه منفعلٌ من حاسةٍ وطبيعةٍ متضادةٍ مع أخلاقية، وهذه الحاسة والطبيعة تكدران من ناحية الأخلاقية ذاتها بما هي كذلك، وتنسلان من ناحيةٍ أخرى واجباتٍ شتى تُدخل الإرباك على الوعي في الحالة المتجسدة للممارسة الحاقّة؛ فكلّ حالةٍ إنّما هي تجسّد روابط أخلاقيةٍ متكرّرة، مثلما يكون موضوع الإدراك الحسّي بالجملة شيئاً ذا خاصيّاتٍ متكرّرة؛ وما دام الواجب المحدّد غايةً فله مضمونٌ، ومضمونه إنّما هو جزءٌ من الغاية، والأخلاقية ليست خالصةً. - وعليه فهذه يكون لها واقعها في ماهيةٍ أخرى؛ إلا أنّ هذا الواقع ليس شيئاً غير أن تكون الأخلاقية هاهنا في ذاتها ولذاتها، - لذاتها بمعنى أنّها أخلاقيةٌ وعي ما، وفي ذاتها بمعنى أن يكون لها كيانٌ وحقيقٌ. - إنّ الأخلاقية لم تُنجز في ذلك الوعي غير المكتمل الأول؛ لذلك فهي الفي - ذاته بمعنى كائنٍ فكري (Ein Gedankending)؛ لأنها على شركةٍ مع الطبيعة والحاسة ومع حقيق الكينونة والوعي الذي يمثّل مضمونها، لكن الطبيعة والحاسة هما المنعدم أخلاقياً. - أمّا في الوعي الثاني فالأخلاقية حاضرةٌ كمكتملة، وليس ككائنٍ فكري غير منجز؛ لكن ذلك الاكتمال إنّما يرجع على التدقيق إلى أنّ الأخلاقية يكون لها حقيقٌ في وعي ما، مثلما يكون لها بالجملة حقيقٌ حرٌّ وكيانٌ، فليست هي بالخواء، بل هي تمامُ المضمون الممتلئ؛ - ومعناه أنّ [414] اكتمال الأخلاقية قد وُضع في كَوْن هذا الذي قيّد للتوّ كالمنعدم أخلاقياً حاضراً فيها وبين جنبئها (In ihr und an ihr). والأخلاقية ينبغي ألا تكون لها في المرّة ذاتها صلاحيةٌ على الإطلاق إلا ككيان الفكر غير الحاقّ الذي للتجريد المحض، ومع ذلك ينبغي

ألا تكون لها على هذا النحو صلاحية البتة؛ وحقيقتها إنما ينبغي أن تقوم على مقابلتها للحقيق، وعلى كونها في حلّ منه تماماً وخاوية، وكونها من جديد في ذلك حقيقاً.

إنّ تَلْفِيحَ هذه التناقضات الذي ينسبط في الرؤية الأخلاقية للعالم إنما يهوي على عقبيه (In sich zusammenfallen) ما دام الفرق الذي يقوم عليه، وهو الفرق الذي بموجبه كان ليُوضع شيء ما ويُفتكّر ضرورةً وكان يكون مع ذلك في الحين ذاته غير جوهريّ، إنما يصير فرقاً ما عاد يكمن حتى في الألفاظ. وما يوضع في النهاية كمتنوّع، مثل المنعدم كمثّل الواقعيّ، إنما هو على التدقيق عين الشيء الواحد، أي الكيان والحقيق؛ وما ينبغي ألا يكون مطلقاً إلا كمتعالٍ عن الكينونة الحاقّة والوعي، وينبغي كذلك ألا يكون إلا في الوعي، فيكون بما هو متعال المنعدم، إنما هو الواجب المحض والعلم به كأنّ بالماهية. والوعي الذي يأتي ذلك الفرق - الذي هو ليس بفرقٍ -، ويجعل من الحقيق في الحين ذاته المنعدم والفعليّ، - ويقول إنّ الأخلاقية المحض هي في الوقت نفسه الماهية الحقّ والعماري من الماهية، إنما يقول قولاً يجمع (Aussprechen zusammen) الأفكار التي كان فصل بينها من قبل، ويعبّر عن نفسه على نحو أنّه لا يأخذ مأخذ الجدّ هذا التعيين وتناصب (Die Auseinanderstellung) لحظات الهو والفي - ذاته، بل ما يقول به إنّ الكائن المطلق خارج الوعي، إنما يحفظه في الأكثر مغلقاً في الهو الذي للوعي - بالذات، وما يقول إنّ المفتكّر على الإطلاق أو الفي - ذاته المطلق، إنما يأخذه لهذا السبب مأخذ ما لا حقيقة له. - ويبين للوعي أنّ تناصب تلك اللحظات إنما هو نقالاً وتسترّاً، وإنّه كان يكون على رياءٍ إنّ كان يكون مع ذلك تمسك بها. ولكنّه كمحض وعي - بالذات أخلاقيّ إنما يلوذ بذاته مُدبراً ونافراً من هذا اللاتساوي الذي لتصوره مع ما هو ماهيته، ومن هذه اللاحقيقة التي تقول إنّ ما يجري عندها

مجري اللاحققي حقيقي. إنه الإيقان الأخلاقي<sup>(50)</sup> المحض الذي يزدري مثل ذلك التصور الأخلاقي للعالم؛ وهو في قرارة ذاته [415] (In sich selbst) الروح البسيط الموقن من ذاته الذي يفعل في - الحال وفق إيقانه من ذاته ومن دون توسط مثل تلك التصورات، وتكون له في هذه الحال حقيقته. - لكن عندما لا يكون هذا العالم من النقال والتستر إلا رُبُو الوعي - بالذات الأخلاقي في لحظاته، وبذلك واقعه، فإنه بإيابه إلى ذاته لا يصير شيئاً مغايراً من حيث ماهيته؛ بل إيابه إلى ذاته ليس هو في الأكثر إلا الوعي المحصل بأن حقيقته حقيقة مزعومة؛ فقد يلزمه أن يوهم على الدوام بأنها حقيقته، فكان يكون لا بد له أن يعرض ويقول إنه تصور موضوعي، لكنه كان ليعلم أن ذلك إلا نقال وتستر؛ فكان يكون عندئذ بالفعل رياءً، وما ذلك الازدراء لمثل هذا التستر إلا أول خراج للرياء.

### ج. الإيقان الأخلاقي، النفس الجملاء، الشرّ وغفرانه

إن نقيضة الرؤية الأخلاقية للعالم المتمثلة في أنه ثمة وعي أخلاقي وليس ثمة وعي أخلاقي، - أو أن صلاحية الواجب تكون متناقضة عن الوعي وأنها على العكس لا توجد إلا فيه، كانت لخصت ضمن التصور الذي كان الوعي للأخلاقي جرى فيه مجرى الأخلاقي، وُعدت معرفته وإرادته العرضيتان ذاتي شنان (Für vollwichtig annehmen)، وأنعم عليه بالغبطة. والوعي - بالذات الأخلاقي لم يكن يحمل عبء هذا التصور المناقض لذاته، بل كان نقله في ماهية مغايرة بالنسبة إليه. لكن هذا الوضع خارج ذاته (Außer sich selbst Hinaussetzen) لما يجب أن يفكر فيه الوعي - بالذات كضروري إنما هو التناقض الذي بحسب

(50) Das Gewissen، القناعة الأخلاقية التي تنجم عن إيقان قار من الذات،

لكنه إيقان سرعان ما يتجسد في الفعل.

الشكل، مثلما أن ذلك الأول تناقض بحسب المضمون. ولكن لما كان الذي يظهر كمتناقض هو في ذاته عين الذي تتحير الرؤية الأخلاقية للعالم في فضمه كما في إعادة فكّه، أعني أن الواجب المحض بما هو المعرفة المحض ليس إلا الهو الذي للوعي، وأن الهو الذي للوعي ليس إلا الكينونة والحقيق، - ولم يكن ما ينبغي أن يكون متعالياً على الوعي الحاق أيضاً إلا التفكير المحض، وكان إذاً بالفعل الهو، فإن الوعي - بالذات بالنسبة إلينا أو في ذاته إنما يؤوب إلى ذاته، ويعلم الماهية التي يكون فيها الحقيق في عين الوقت معرفة محضاً وواجباً محضاً كأنها ذاته. إن الوعي - بالذات الأخلاقي ذاته هو في نظر نفسه ما يكون في عرضيته ذا صلاحية تامة، ويعلم فرديته التي في - الحال كمعرفة محض وفعل محض، وكالحقيق والتلازم الصادقين.

[I]. الإيقان الأخلاقي بما هو الحرية التي للهو من باطنه] - إن ذلك الهو الذي للإيقان الأخلاقي، الروح الموقن من ذاته في - الحال كمن الحقيقة المطلقة والكينونة، إنما هو الهو الثالث الذي نجم لنا من العالم الثالث الذي للروح والذي ينبغي مقارنته بإيجاز مع ما فات من هو؛ فالجملة (Die Totalität) أو الحقيق، التي تعرض من جهة ما هي حقيقة العالم الإتيقي، إنما هي الهو الذي للشخص؛ وكيانه إنما هو كونه معترفاً به (Das Anerkanntsein). وكما يكون الشخص الهو الخالي من الجوهر، كذلك يكون هذا الكيان الذي له الحقيق المجرد؛ فالشخص يصلح، بل يصلح في - الحال؛ والهو إنما هو النكتة التي تسكن في - الحال إلى عنصر كينونتها؛ وهذه النكتة تكون من دون الانفصال عن كليتها، ولذلك لا يكون كلاهما<sup>(51)</sup> في تحارك وترابط، والكلي إنما يكون من دون اختلاف يقع في داخله، فلا

(51) أي الهو والكليته.

هو بالمضمون الذي للهو، ولا الهو بممتلئ بذاته. - أما الهو الثاني فهو عالم الثقافة وقد انتهى إلى حقيقته أو روح الانفصام المردود إلى ذاته (Der sich wiedergegebene Geist der Entzweiung)، - الحرية المطلقة. وتلك الوحدة الأولانية بين الفردية والكلية إنما تنفصم في هذا الهو؛ فالكلّي الذي ما زال من وجه سواء ماهية روحية محضاً وكوناً معترفاً به أو إرادة ومعرفة كليتين، إنما هو موضوع الهو ومضمونه وحقيقه الكلّي. لكن ليست للكلّي صورة الكيان الذي يكون في حلّ من (Frei vom) الهو، فلذلك هو لا ينتهي في هذا الهو إلى أيّ امتلاءٍ ولا أيّ مضمونٍ إيجابيٍّ ولا أيّ عالم. والوعي - بالذات الأخلاقيّ إنّما يترك كليته حرةً حتى إنّها تصير طبيعة خاصة، ويحتفظ بها أيضاً منسوخة في ذاته. ولكن الوعي - بالذات الأخلاقيّ ليس إلاّ اللعبة المناقلة التي لتعاقب ذنك التعيين؛ فلا يكون له المضمون في إيقانه الذاتيّ أولاً إلاّ من جهة ما هو إيقانٌ أخلاقيّ، وهو المضمون الذي لأجل الواجب الذي كان خاويّاً كما لأجل الحقّ الخاوي والإرادة الكلية الخاوية؛ ولما كان هذا الإيقان الذاتيّ هو كذلك الذي - في - الحال، فإنّه يكون للوعي - بالذات الأخلاقيّ الكيان نفسه.

[417]

1. الإيقان الأخلاقيّ بما هو حقيق الواجب] - وعليه فالوعي - بالذات الأخلاقيّ إذ ينتهي إلى هذه الحقيقة التي له، إنّما يترك، أو في الأكثر ينسخ في ذاته ذلك الانفصال الذي كان نجم منه النقال، انفصال الفي - ذاته والهو، وانفصال الواجب المحض بما هو الغاية المحض والحقيق بما هو طبيعة وحاسة مقابلتان للغاية المحض. كذا يكون هذا الوعي - بالذات إذ يؤوب إلى نفسه روحاً أخلاقياً متجسداً (Konkreter Geist) لا يلتمس في الوعي بالواجب المحض قسطاً خاويّاً كان يكون مقابلاً للوعي الحاق، بل الواجب المحض مثله مثل الطبيعة المقابلة له، إنّما هما لحظتان منسوختان؛ وهذا الروح إنّما يكون في وحدة حالته



ماهية أخلاقية تتحقق بذاتها، والممارسة إنما تكون في - الحال شكلاً أخلاقياً متجسداً.

هَبْ أَنْ فَعَلًا بَعَيْنَهُ يُفَعَلُ (Es ist ein Fall des Handelns vorhanden) هذه الحالة هي حقيقٌ موضوعيٌ بالنسبة إلى الوعي العارفي. وهذا الأخير بما هو إيقانٌ أخلاقيٌ يعرف الحالة في - الحال ومن وجهٍ بعينه، وفي الوقت نفسه ليست الحالة إلا كما يعرفها الوعي. والمعرفة إنما هي عرضيةٌ ما كانت غيرَ الموضوع؛ لكنَّ الرّوح الموقن من ذاته لم يعدْ مثلما هذه المعرفة العرضية، ولا أبتداعاً جوائياً لأفكارٍ كان يكون حقيقها مختلفاً، بل من حيث إنّ الفصل بين الفي - ذاته وبين الهو قد نُسخ، فإنَّ تلك الحالة تقع في - الحال في الإيقان الحسيّ الذي للمعرفة كما هي الحالة في - ذاتها، وليست في - ذاتها إلا كما هي في هذه المعرفة. - بذلك يكون الفعلُ بما هو التحققُ الصورةَ المحضَ التي للإرادة؛ إنّه التحويلُ البسيطُ للحقيق بما هو حالةٌ كائنةٌ إلى حقيقٍ مفعولٍ، وتحويلُ النحو البسيط الذي للمعرفة الموضوعية إلى نحو المعرفة بالحقيق كشيءٍ يُنتجُه الوعي. وكما أنّ الإيقان الحسيّ مستغرقٌ، أو في الأكثر محوّلٌ في الفي - ذاته الذي للرّوح، كذلك يكون ذلك التحويلُ أيضاً بسيطاً وغيرَ مَوْسُوطٍ، ومروراً عبر المفهوم المحض من دون تغيير المضمون المتعيّن بواسطة مصلحة الوعي العالم به. - وزائداً إلى ذلك أنّ الإيقان الأخلاقي لا يفصم ملاسبات الحالة إلى واجباتٍ متنوّعة. ولا يتصرّف كوسيطٍ كليّ إيجابيٍ تستفيد فيه [418] الواجبات المتكثّرة، كلٌّ واجب على حدة، جوهريةٌ غيرَ مختلّةٍ حتّى إنّه إمّا أنّ الفعل ما كان يكون ممكناً، لأنّ كلّ حالة عينية تتضمّن بالجملة التقابل، وتتضمّن بما هي حالةٌ أخلاقيةٌ تقابل الواجبات، فكان يكون دوماً إخلالاً (Verletzen) في تعيّن الفعل بجانب ما وبواجب ما، - أو إنّ فُعل الفعل، كان يكون قد حلَّ من وجهٍ حاقٍ الإخلالُ بأحد الواجبات المتضادة؛ فالإيقان

الأخلاقيّ إنّما هو بالأحرى الواحدُ السلبيّ، أو الهو المطلقُ الذي يُلغى تلك الجواهرَ الأخلاقيّةَ المتنوّعةَ؛ إنّهُ فعلٌ بسيطٌ ومطابقٌ للواجب لا يقوم لهذا الواجب أو ذاك، بل يعلم ويفعلُ الحقّ العينيّ (Das konkrete Rechte). لذلك هو بالجملة وقبل كلّ شيء الفعل الأخلاقيّ بما هو فعلٌ حيث مرّ وعيُ الأخلاقيّة الفائن والعاري من الفعل. - ويمكن الشكل المتجسّد للفعل أن يُحلّه الوعي المُباينُ إلى خاصيّات متنوّعة، أي في هذا الموضوع إلى صلات أخلاقيّة متنوّعة، وهذه إمّا تُقالُ صالحةً على الإطلاق، كلّ صلة على حدة مثلما يجب ذلك إنّ كان ينبغي أن تكون واجباً، وإمّا يُقارَن فيما بينها كلّها ويُتحقّقُ منها. والواجبات إنّما يختلط بعضها ببعض في الفعل الأخلاقيّ البسيط الذي للإيقان الأخلاقيّ حتّى إنّ ضراً يلحق في - الحال هذه الماهيّات الفرديّة كلّها، وإنّ الهزّة الممتحنّة الواقعة في الواجب لا تقع البتّة في الإيقان الراسخ الذي للإيقان الأخلاقيّ.

ومما لا يحضر أيضاً في الإيقان الأخلاقيّ هو هذا اللايقين المراوحُ للوعي الذي تارة يضع ما يُسمّى أخلاقيّة محضاً خارجه وفي ماهيّة مقدّسة أخرى فيعتبر نفسه كأنه اللامقدّس، وطوراً يضع في ذاته من جديد الخلوّص الأخلاقيّ وارتباط الحسّيّ بالأخلاقيّ في ماهيّة أخرى.

والإيقانُ الأخلاقيّ إنّما يُعرض عن كلّ تلك الأوضاع والنقالات (Stellungen und Verstellungen) التي للرؤية الأخلاقيّة للعالم ما دامّ يعرض عن الوعي الذي يدرك الواجب والحقيق كمتناقضين. ووفق ما يذهب إليه هذا الوعي فإنّي أفعل أخلاقياً ما دمّت واعياً بأنّي لا أقوم إلا بالواجب المحض وليس بأيّ شيء سواه، وهذا معناه في واقع الأمر: ما دمّت لا أفعل. لكن ما دمّت أفعل من وجهٍ حاقٍ وأعي بطرفٍ مغايرٍ، بحقيقٍ حاضرٍ بين يديّ وآخرٍ أريدُ إنتاجه، فإنّ لي غايةً معيّنةً وأقوم لواجبٍ معيّنٍ؛

وفي ذلك ثمة شيء آخر غير الواجب المحض الذي ينبغي وحده  
اعتباره. - أما الإيقان الأخلاقي فهو على العكس الوعي بأن هذه  
الغاية الخالصة عندما يقول الوعي الأخلاقي إن الواجب المحض  
هو الماهية التي لفعله، إنما هي يقال للأمر؛ لأن الأمر ذاته إنما  
هو أن يقوم الواجب المحض على التجريد الخاوي للتفكير  
المحض، وألا يكون له واقعه ومضمونه إلا في حقيقتي معين هو  
حقيق الوعي ذاته، لا ككيان فكر بل كفردية. والإيقان الأخلاقي  
تكون له لذاته الحقيقة عند الإيقان من ذاته الذي في - الحال.  
وهذا الإيقان من الذات المتجسد والذي في - الحال إنما هو  
الماهية؛ وإذا نظرنا فيه وفق تقابل الوعي، فإن الفردية الخاصة  
والتي في - الحال هي مضمون الفعل الأخلاقي؛ أما صورة عين  
الفعل فإنما هي هذا الهو كحركة خالصة، ولاسيما كمعرفة أو  
اقتناع خاص.

وإذا تعقبتنا الفحص عن ذلك وفق وحدته ودلالة اللحظات،  
بان أن الوعي الأخلاقي كان أدرك ذاته كألقي - ذاته أو الماهية  
وحسب؛ أما كإيقان أخلاقي فإنما يدرك كونه - لذاته أو الهو  
الذي له. - والتناقض الذي للرؤية الأخلاقية للعالم إنما يتحلل،  
أي إن الفرق الذي يحل منها محل العماد إنما يظهر أنه ليس  
بفرق، وأنه يصب (Zusammenlaufen in) في السالبة المحض؛  
لكن هذه إنما هي على التدقيق الهو؛ إنها هو بسيط هو محض  
معرفة مثلما هو معرفة بالذات كأن بهذا الوعي الفردي. ولذلك  
هذا الهو إنما يمثل مضمون الماهية التي كانت من قبل خاوية، إن  
هو إلا الحاق الذي لم تعد له دلالة طبيعة غريبة عن الماهية  
وقائمة برأسها في قوانين خاصة. إنه من حيث يكون السلبي،  
الفرق الذي للماهية المحض ومضمون ما، وإنه لمضمون من  
جنس الذي يصلح في ذاته ولذاته.

وزائداً إلى ذلك أن ذلك الهو من حيث هو معرفة خالصة

ومضاهية لنفسها، إنّما هو الكلّي على الإطلاق، على سبيل أنّ هذه المعرفة بما هي معرفته الخاصّة به وبما هي اقتناع إنّما هي الواجب. والواجب لم يعد الكلّي المواجه للهو، بل معلوم في هذه الانفصاميّة (Die Getrenntheit) أنّ ليست له صلاحية؛ [420] فالقانون الآن هو الذي يكون بفضل الهو، وليس الهو ما يكون بفضل القانون؛ لكنّ القانون والواجب ليست لهما دلالة الكون - لذاته وحدها، بل أيضاً دلالة الكون - في - ذاته، لأنّ هذه المعرفة إنّما هي على التدقيق بفضل تساويها الذاتيّ الفي - ذاته. وهذا الفي - ذاته إنّما ينفصل أيضاً في الوعي عن تلك الوحدة الحاليّة مع الكون - لذاته؛ إنّهُ إذ يحلّ مواجهاً، كينونةً، أي كينونةً لأجل مغاير. - أمّا الواجب من حيث إنّهُ واجب أغفله الهو، فإنّما يصير معلوماً الآن أنّه ليس إلا لحظة؛ إنّهُ اختفض من دلالاته التي هي كونه ماهيةً مطلقةً، إلى الكينونة التي ليست بهو، وليست لذاتها، وبالتالي كينونة لأجل آخر. ولكنّ تلك الكينونة لأجل آخر إنّما هي لهذه العلة لحظةً جوهريةً، لأنّ الهو بما هو وعي إنّما يمثّل التقابل بين الكون - لذاته وبين الكينونة لأجل مغاير، والواجب عنده إنّما يكون الآن حاقاً في - الحال، ولم يعد ببساطة الوعي المحض المجرد.

[2. الاعتراف بالقناعة] - وعليه فتلك الكينونة التي لأجل آخر إنّما هي الجوهر الكائن - في - ذاته والمختلف عن الهو. والإيقان الأخلاقيّ لم ينسخ الواجب المحض أو الفي - ذاته المجرد، بل الواجب المحض هو اللّحظة الجوهريّة المتمثّلة في السلوك إزاء الآخرين مسلك كليّة. إنّ ذلك الإيقان هو العنصر الجماعيّ المشترك الذي للوعيات - بالذات، وهذا العنصر إنّما هو الجوهر حيث يكون للفعل قوامٌ وحقيقٌ؛ إنّهُ لحظة الاستحالة معترفاً به (Das Anerkanntwerden) من قبل الآخرين. والوعي - بالذات الأخلاقيّ لا تكون له تلك اللّحظة من الكون المعترف به،

لحظة الوعي المحض الذي يكون هنا؛ وبذلك لا يكون البتة لا فاعلاً ولا محققاً. والفي - ذاته الذي له يكون في نظره إمّا ماهية مجردة وغير حاقّة، وإمّا الكينونة التي لا تكون من جهة ما هي حقيقاً ما، روحية. أمّا الحقيق الكائن الذي للإيقان الأخلاقي فحقيق من وجه أنه الهو، أي الكيان الواعي بذاته، العنصر الرّوحي الذي للاستحالة معترفاً به. ولذلك ليس الفعل إلا نقلاً<sup>(52)</sup> لمضمونه الفرديّ إلى العنصر الموضوعيّ حيث يكون المضمون كلياً ومعترفاً به، وكون المضمون معترفاً به هو ما يجعل الفعل على التدقيق حقيقاً. كذا يكون الفعل معترفاً به وحقاقاً، لأنّ الحقيق الكائن مرتبط في - الحال بالافتناع أو بالمعرفة، أو المعرفة بغايته إنّما هي في - الحال عنصر الكيان، الاعتراف الكليّ. ذلك أنّ ماهية الفعل، الواجب، إنّما يقوم على اقتناع الإيقان الأخلاقيّ به؛ وهذا الاقتناع إنّما هو من وجه الحضر الفي - ذاته نفسه؛ فالإيقان الأخلاقيّ إنّما هو الوعي - بالذات الكليّ في ذاته، أو الكون - المعترف - به، وهو عندئذ الحقيق. وعليه فالمفعول عن اقتناع بالواجب إنّما هو في - الحال ما يكون له قيام وكيان. إذا ما من مجال هاهنا للقول في طوية حسنة ما كانت لتتعيّن، أو في أنّ الخير ساءت أحواله؛ بل للقول إنّ ما يُعلم كالواجب إنّما يتم وينتهي إلى الحقيق، لأنّ المطابق للواجب إنّما هو الكليّ الذي لكلّ الوعيات - بالذات، وهو المعترف به، إذا الكائن؛ لكنّ إذا فصل وأفرد من دون المضمون الذي للهو، فذلك الواجب إنّما هو الكينونة لأجل آخر، الشفيّف الذي لا تكون له إلاّ دلالة الأسيّة التي تكون بالجملة عرية من القوام.

فإذا رجعنا بالنظر إلى الدائرة التي هلّت فيها الواقعة الروحية، بأنّ أنّ المفهوم كان تمثل في أنّ تُقال الفرديّة على معنى

(52) Das Übersetzen، على معنى النقل والترجمان.

الفي - ذاته - و - لذاته (Das Anundfürsich). أمّا الشكل الذي كان عبّر في - الحال عن هذا المفهوم فهو الوعي الشريف الذي كان طاف (Herumtreiben) بالأمْر ذاته المجرد. وهذا الأمر ذاته كان في ذلك الموضوع المحمول؛ أمّا في الإيقان الأخلاقيّ فإنّما هو أولاً الذات/ الحامل التي وُضعت بين جنبيها كلّ لحظات الوعي التي تكون في نظره كلّ هذه اللّحظات، أعني الجوهرية بعامة والكيان البرانيّ وماهية التفكير، متضمّنة في هذا الإيقان من الذات. والجوهرية بالجملة تكون للأمْر ذاته في الإتيقيّة، أمّا الكيان البرانيّ فيكون له في الثقافة، وأمّا أسيّة التفكير العالمة بذاتها ففي الأخلاقيّة، وأمّا في الإيقان الأخلاقيّ فالأمْر ذاته إنّما هو الذات التي تعرف أنّ تلك اللّحظات تقع فيها في حدّ ذاتها. وإذا لم يدرك الوعي الشريف إلّا الأمر ذاته الخاوي، فالإيقان الأخلاقيّ إنّما يحصل على العكس من ذلك على تمامه الذي يهبه إياه بنفسه. وهو هذه القوّة من حيث إنّه يعلم اللّحظات التي للوعي من جهة ما هي لحظات، ويرأسها من حيث هو ماهيتها النافية.

[3. الحرّية المطلقة التي للاقتناع] - إذا نظرنا في الإيقان الأخلاقيّ على ارتباطه بالتعيينات الفردية للتقابل التي تظهر في الفعل، وتفحصنا وعيه بطبيعة عين التعيينات، بان لنا أنّه يتصرّف أول الأمر كعارفٍ بالنسبة إلى حقيق الحالة التي ينبغي فيها الفعل. [422] ومن حيث إنّ لحظة الكلّية إنّما تكون في تلك المعرفة، فإنّه يرجع إلى المعرفة التي للفعل الموقن أخلاقياً<sup>(53)</sup> أن يحيط بشكل لا قيّد فيه بالحقيق المائل أمامه، وعليه أن يعرف عن كَثب ملابسات الحالة ويقدرها حقّ قدرها. لكن لما كانت تلك المعرفة تعرف

---

Das gewissenhafte Handeln (53)، لقد خرجنا في هذا الطور الأخلاقيّ من تجربة الوعي على ما أعتمدناه سابقاً في ترجمة Handeln و Handlung بالمراس والممارسة، فنقلناهما وفق عبارة الفعل ترجيحاً للتقييد الذاتيّ المفترض في الإيقان الأخلاقيّ (والذي به يتميّز من الإيقان الإتيقيّ).

الكليّة كـلحظة، فهي لذلك معرفة بهذه الملابس من قبيل التي تعي بأنّها لا تحيط بها، وأنّها ليست هاهنا موقنةً أخلاقياً. وكان يكون الارتباط الحقّ والكليّ والمحض الذي للمعرفة ارتباطاً بما هو ليس متقابلاً، بالذات نفسياً؛ أمّا الفعل فيرتبط بمعيّة التقابل الذي هو فيه بالجواهر بالسلبيّ الذي للوعي، بتحقيق كائن في ذاته. وحيال البساطة التي للوعي المحض، الآخر على الإطلاق، أو التكثر في ذاته، يمثل التحقيق تكثرًا مطلقاً للملابسات ينقسم ويمتدّ إلى ما لا نهاية فيه، إلى الخلف في شرائطه وعلى جانبه في ما يجاوره وإلى الأمام في تبعاته. - والوعي الموقن أخلاقياً إنّما يعي تلك الطبيعة التي للأمر وصلته بها، ويعلم أنّه لا يعرف الحالة التي يفعل فيها وفق هذه الكليّة المطلوبة، وأنّ زعمه في تقدير جميع الملابس بإيقانٍ زعمٌ باطلٌ. ومع ذلك فهذه المعرفة وهذا التقدير لجميع الملابس ليسا غائبين تماماً؛ لكنهما لا يمثلان إلاّ كـلحظة، كشيء ما ليس إلاّ للآخرين؛ ولما كانت المعرفة الناقصة التي لذلك الوعي المعرفة التي له، فهي إنّما تجري عنده مجرى معرفة كاملة وكافية.

هذا الوعي إنّما يتصرّف من عين الوجه مع الكليّة التي للماهية، أو مع تعين المضمون بواسطة الوعي المحض. - والإيقان الأخلاقيّ الذي يقصد الفعل إنّما يتعلّق بشئى جوانب الحالة. وهذه الحالة تتفكّك إلى عناصر متباينة (Sich auseinanderschlagen)، وكذلك الشأن في صلة الوعي المحض بالحالة حيث يكون تكثر الحالة كثرةً من الواجبات. - والإيقان الأخلاقيّ يعلم أنّه ينبغي عليه أن يختار بينها ويحسم أمره فيها، فلا واحد من الواجبات مطلقٌ في تعيّنّيته أو في مضمونه إلاّ الواجب المحض. ولكنّ هذا التجريد قد بلغ في واقعه دلالة الأنا الواعي - بذاته. والروح الموقن من ذاته إنّما يسكنُ إلى ذاته كإيقان أخلاقيّ، وكليّته الفعلية، أو واجبه، إنّما تكمنُ في اقتناعه المحض بالواجب. وهذا [423]

الاقتناع المحض بما هو كذلك خاوٍ قَدَرٍ خواء الواجب المحض، ومحضٌ بمعنى أن لا شيءَ فيه ولا مضمون متعيّنًا يمثل الواجب. ولكنّ الفعل ينبغي أن يُفعلَ، ولا بد أن يعيّنَه الفردُ؛ والروح الموقن من ذاته الذي بلغ فيه الفي - ذاته دلالة الأنا الواعي - بذاته، إنّما يعلم أنّه يملك ذلك التعيّن والمضمونَ ضمنَ الإيقان من ذاته الذي في - الحال. وهذا الإيقان من الذات كتعيين ومضمونٍ إنّما هو الوعي الطبيعيُّ، أي النوازع والميولات. - والإيقان الأخلاقي لا يعرف أيّ مضمونٍ يكون في نظره مطلقاً، إنّ هو إلا السالبيّة المطلقة التي لكلّ متعيّن. إنّهُ يعيّن من نفسه؛ لكنّ دَوْرَ (Der Kreis) الهو الذي تقع فيه التعيّنة بما هي كذلك إنّما هو المسمّى حاسّةً، ولا شيء تطوّلُه اليد (Bei der Hand) مثل الحاسّة حتّى يكون مضمونٌ عن الإيقان في - الحال من الذات. - وكلّ ما تبيّن في الأشكال الفاتئة كحسن وقبيح وكقانون وحقّ إنّما هو مغايرٌ للإيقان من الذات الذي في - الحال؛ وما هو الآن كينونة لأجل آخر إنّما هو كليُّ، أو - إذا نظرنا في الأمر من وجهٍ مخالفٍ - موضوعٌ يوسّطُ الوعي وذاته، ثمّ ينتصب بينه وبين حقيقته الخاصّة، فيفصله عن ذاته أكثر من كونه حالّيته. - أمّا بالنسبة إلى الإيقان الأخلاقي فالإيقان من الذات هو الحقيقة المحض التي في - الحال؛ فإذا هذه الحقيقة هي إيقانه من ذاته الذي في - الحال والمتصوّر كمضمونٍ، أي بالجملة اعتباراً الفرديّ وعرضيّة كينونته الطبيعيّة العارية من الوعي.

إنّ هذا المضمون يجري في الوقت نفسه مجرى أيسيةٍ أخلاقيّة أو واجب. فالواجب المحض - كما بان عند فحص القوانين<sup>(54)</sup> - سيّان عنده أيّ مضمونٍ، لا بل يحتمل أيّما

(54) انظر الفقرة المتعلّقة بالعقل الفاحص أو الممتحن للقوانين التي تختّم شكل

إيقان العقل وحقيقته (ص 465-472 من هذا الكتاب).



مضمون. أما في هذا الموضوع فالواجب تكون له في الآن نفسه الصورة الجوهرية التي للكون - لذاته، وهذه الصورة التي للاقتناع الفردي ليست سوى الوعي بخواء الواجب المحض، وبأنه ليس إلا لحظة، وأن جوهريته محمولٌ له يكون حامله عند الفرد الذي يهب اغتباطه الواجب مضمونه، وبوسعه أن يضيف إلى تلك الصورة أي مضمونٍ ويلصق به إيقانته. - فالفرد العين إنما يعزز خصوصيته من وجهٍ متأكد؛ وإنه لواجبٌ أن يرعى كل امرئ نفسه [424] مثلما يرعى أيضاً عائلته، وليس أقل واجباً من ذلك أن يرعى إمكان أن يصير نافعاً لبني جنسه، ويفعل خيراً بالمحتاجين. والفرد واع بأن هذا الأمر واجبٌ، لأن هذا المضمون متضمنٌ في - الحال في إيقانه من ذاته؛ وهو يدرك كذلك أنه يقوم بهذا الواجب في هذه الحالة. ولعل البعض الآخر يعتبر هذا الشكل المتأكد خداعاً، فيقفون على وجوه أخرى للحالة المتعينة، في حين أن ذلك الفرد لا يقف إلا على ذلك الوجه من حيث إنه يعي بالتزايد (Die Vermehrung) من الخصوصية كواجب محض. - كذلك يُتم ما يسميه البعض الآخر نشاطاً عنيفاً ومظلمةً (Der Unrecht) واجبٌ إثبات المرء لقيومته حيال الآخرين؛ فأما ما يسمونه جُبناً فيتم واجب الحفاظ على الحياة وإمكان نفع بني جنسه؛ وأما ما يسمونه مروءةً فإنما يُفسد في الأكثر الواجبين كليهما. ولكن الجبن ينبغي ألا يسقط في الغباوة حد أنه يجهل أن المحافظة على الحياة وعلى إمكان نفع الآخرين هي واجبات، فلا يقتنع بمطابقة فعله للواجب، ولا يعرف أن المطابق للواجب إنما يقوم على المعرفة، وإلا كان يكون وقع في مغبة كونه لأخلاقياً. ولما كانت الأخلاقية تكمن في الوعي بإتمام الواجب، فهذا الوعي لن يعوزه الفعل الذي يسمى جُبناً ولا الذي يُسمى مروءة؛ أما التجريد الذي يسمى واجباً فبوسعه تحصيل أي مضمونٍ كمثل ذلك المضمون بعينه، وعليه فالوعي يعلم ماذا يفعل كواجب،

ومن حيث هو يعلم ذلك، وما دام الاقتناع بالواجب هو المطابق للواجب ذاته، فإن الآخرين يعترفون به؛ والفعل إنما يصلح بذلك، فيكون له به كيانٌ حاق.

إزاء هذه الحرّية التي تُفجّم في الوسط الكلّي والمُنفعَل للواجب المحض والمعرفة أيّما مضمونٍ، سواء كان هذا أم ذلك، لا طائل من إثبات أنه ينبغي إقحام مضمونٍ آخر؛ لأنه أيّاً كان المضمون، فكلّ مضمونٍ إنما يحملُ فيه شامّة التعيّن التي تكون المعرفة المحض في حلّ منها، فتزديدها بقدر ما تحتلُّ أيّاً من التعيّنات. وكلّ مضمونٍ من حيث هو متعيّنٌ إنما يكون على سوية مع أيّ مضمونٍ آخر، والحال أنه يظهر أيضاً على أنه يمتلك مباشرةً طابع أن الجزئيّ فيه قد نُسخ. وما دام الواجب ينفصم بالجملة في الحالة الحاقة داخل التقابل، فيقع بذلك في تقابل الفردية والكلية، فقد يظهر أن هذا الواجب الذي مضمونه هو [5] الكلّي ذاته ينطوي في حدّ ذاته في - الحال على طبيعة الواجب المحض، وأن الشكل والمضمون يصيران عندئذٍ متطابقين تماماً، حتى إنه كان يكون لازماً إذاً على سبيل المثال ترجيح الفعل من أجل الأحسن الكلّي على الذي لأجل الأحسن الفرديّ. غير أن ذلك الواجب الكلّي هو بعامة ما هو حاضرٌ كجوهرٍ كائنٍ في ذاته ولذاته وكحقّ وقانونٍ، ويصلح قائماً برأسه وغير موقوف (Unabhängig) على المعرفة والاقتناع ولا على المصلحة المباشرة التي للفرديّ؛ إن هو إذاً إلا ما تتجه ضدّ شكله الأخلاقيّة بعامة. أمّا في ما يخصّ مضمونه فإنه هو أيضاً مضمونٌ متعيّنٌ من حيث يقابلُ الأحسن الكلّي الأحسن الفرديّ؛ وقانونه عندئذٍ هو ما يعلم الإيقان الأخلاقيّ أنه في حلّ منه، فيجوز لنفسه مطلقاً أن يزيد عليه وي طرح منه، ويتركه كما أن يُتمّه. - وزائداً إلى ذلك أن هذه المباينة في الواجب بين ما هو حيال الفرديّ وما هو حيال الكلّي ليست براسخة إذاً اعتبرنا بالجملة طبيعة التقابل، بل إن ما

يفعله الفرديُّ لنفسه إنَّما يعضدُ في الأكثر الكليِّ؛ وكلَّما أنشغل الفرديُّ بنفسه لم يعظُم فقط الإمكانُ الذي له في أن ينفع غيره، بل حقيقتهُ ذاته ليس إلاَّ كونه وحياته في اتِّساقٍ مع الآخرين؛ ومتعته الفرديَّة تكون لها بالجواهر دلالَةٌ أن يهبَ الآخرين ما عنده ويعينهم في تحصيل متعتهم. وعليه فإنَّ الواجب حيالَ الكليِّ يتمُّ أيضاً في إتمام الواجب حيالَ الفرديِّ، إذاً حيالَ الذات. - إنَّ تقويم الواجبات ومقارنتها للذات كانا ليحصلاً هاهنا، كانا يكونان أدباً إلى حسابان الفائدة التي كانت تكون للكليِّ من جرَّاء الفعل؛ لكن بذلك ترزح الأخلاقيَّة - من ناحية - تحت وطأة العرضيَّة الضروريَّة التي للتعقل، أما من ناحية أخرى فإنَّ ماهيَّة الإيقان الأخلاقيِّ تسمي على التدقيق متمثلةً في انقطاع هذا الإيقان عن ذلك الحُسابان والتقويم، فيحسَم أمره من تلقاء ذاته من دون أن يسكن إلى تلك الأسباب.

كذا يفعل الإيقان الأخلاقيُّ فيدوم إذاً في وحدة الكون - في - ذاته والكون - لذاته، وفي وحدة التفكير المحض والفرديَّة، ويكون الرُوحُ الموقن من ذاته الذي ينطوي في حدِّ ذاته على حقيقته، [426] ويظلُّ في الهو الذي له وفي المعرفة التي له بما هي المعرفة بالواجب. والرُوحُ الموقن من ذاته إنَّما يحفظ ذاته من حيث إنَّ ما هو موجبٌ في الفعل، المضمونُ مثلما الشكل الذي للواجب والمعرفة التي به، إنَّما ينتسبُ إلى الهو والإيقان من الذات؛ أمَّا الذي يشاءُ مقارعةً (Gegenübertreten) الهو كأنه الفي - ذاته الخاصَّ، فلن يجريَ إلاَّ مجرى ما هو غير صادق (Als nicht Wahres) ومنسوخ، إنَّ هو إلاَّ لحظة. ولذلك ما يصلح ليست بالجملة المعرفة الكليَّة، بل إحاطته (Seine Kenntnis) بالظروف والوضعيَّات، فالهو إنَّما يُقحَمُ في الواجب بما هو الكون - في - ذاته الكليُّ المضمونُ الذي ينتزعه من فرديته الطبيعيَّة، لأنَّ هذا المضمون هو المضمونُ الحاضرُ عنده في حدِّ ذاته؛ وهذا

المضمونُ إنّما يصير بمعية الوسط الكلّي الذي يكون فيه، الواجب الذي يمارسه، والواجب المحض الخاوي إنّما يوضع بذلك كمنسوخ أو كلحظة؛ وذلك المضمون إنّما هو خواؤه المنسوخ أو الإتمام. - لكنّ الإيقان الأخلاقيّ يكون أيضاً في حلّ من كلّ ما مضمونٍ بعامةٍ؛ فهو يتحلّل (Sich absolvieren von) من كلّ واجبٍ متعيّن ينبغي أن يجري مجرى القانون؛ فالإيقان الأخلاقيّ إنّما تكون له في قوّة الإيقان من الذات جلاله التنقذ الذاتي المطلق والقدرة على الحلّ والعقد. ولهذه العلة يكون هذا الاستغيان (Die Selbstbestimmung) في - الحال المطابق للواجب على الإطلاق؛ فالواجب إنّما هو المعرفة ذاتها؛ أمّا هذه الهويّة (Die Selbstheit) البسيطة فإنّما هي الفي - ذاته، لأنّ الفي - ذاته إنّما هو محض مضاهاة الذات لذاتها؛ وهذه إنّما تقع في هذا الوعي.

II. الكلّيّة التي للإيقان الأخلاقيّ] - إنّ تلك المعرفة المحض هي في - الحال الكينونة لأجل آخر؛ فهي كمحض مضاهاة الذات لذاتها إنّما هي الحالّيّة، أو الكينونة. ولكنّ هذه الكينونة هي في الوقت نفسه الكلّيّ المحض، الهويّة التي للجميع، أو كون الفعل معترفاً به، فلذلك هو حاق. وتلك الكينونة إنّما هي العنصر الذي بواسطته يكون الإيقان الأخلاقيّ في - الحال على صلة سويّة بكلّ الوعيات - بالذات؛ ودلالة هذه الصلة ليست القانون العاري من الهو، بل الهو الذي للإيقان الأخلاقيّ.

[1. لاتعيّن الاقتناع] - لكن لما كان هذا الحقّ السديد (Dies Rechte) الذي يفعله الإيقان الأخلاقيّ في الوقت نفسه كينونة لأجل آخر، فإنّه يظهر على أنّ لاتساوياً يحصل له. والواجب الذي يُتمّه إنّما هو مضمون متعيّن؛ ولا ريب أنّ هذا المضمون هو الهو الذي للوعي، ويكون في ذلك علمه بذاته وتساويه مع ذاته، إلّا أنّ هذا التساوي إذا ما تمّ ووُضِع في الوسط الكلّي للكينونة، لم

يعدّ علماً، ولا هذه المباينة التي تنسخ في - الحال مبايناتها؛ بل المباينة توضع في الكينونة دائماً أبدأً، والفعل متعيّناً ولا مساوياً لعنصر الوعي - بالذات الذي للجميع، إذ ليس معترفاً به ضرورةً. الجانبان كلاهما، الإيقان الأخلاقيّ الفاعلُ والوعي الكليّ المعترفُ بهذا الفعل كواجبٍ، هما على حدّ سواء في حلّ من التعيّنات التي لذلك الفعل. ويسبب هذه الحرّية يصبح الارتباط في الوسط المشترك للتقارن (Des Zusammenhangs) في الأكثر صلةً لاتساوٍ تامّ؛ وبذلك فالوعي الذي يكون الفعل لأجله يجد نفسه في لايقانٍ تامّ بصدد الرّوح الموقن من ذاته والفاعل؛ فهذا الرّوح يفعلُ ويضع تعيّناتٍ ما ككائنة؛ وفي هذه الكينونة بما هي حقيقته يقف الآخرون فيكونون فيها موقنين من أنفسهم؛ والرّوح في ذلك إنّما قد قال ما يجري عنده مجرى الواجب؛ إلا أنّه في حلّ من أيّما واجب متعيّن؛ إنّهُ خارجُ الموضع الذي يظنّ الآخرون أنّه يكون فيه حاقاً؛ وذلك الوسط الذي للكينونة ذاتها والواجب ككائن في ذاته إنّما يجريان عنده مجرى لحظةٍ وحسب. وعليه فما يضعه لهم هاهنا إنّما ينقله من جديد، أو كان في الأكثر قد نقله في - الحال، فحقيقته لا يكون في نظره هذا الواجب والتعيّن الموضوعين في الخارج، بل هو الواجب والتعيّن اللذان يكونان له من إيقانه المطلق بذاته.

وعليه فالآخرون لا يعلمون إنّ كان هذا الإيقان الأخلاقيّ حسناً أم قبيحاً أخلاقياً، أو في الأكثر هم ليسوا عاجزين عن العلم بذلك وحسب، بل يجب أن يعتبروه قبيحاً. ومثلما يكون الإيقان الأخلاقيّ في حلّ من تعيّنات الواجب ومن الواجب ككائن في ذاته، كذلك يكونون. وما يعرضه عليهم الإيقان الأخلاقيّ إنّما يعلمون من أنفسهم كيف ينقلونه؛ إنّهُ فقط ما يعبر عن الهو الذي لغيرهم وليس عن الهو الخاصّ بهم؛ فهم لا يعلمون أنّهم في حلّ من ذلك وحسب، بل يجب عليهم حلّه في وعيهم الخاصّ وجعله لاشياً بواسطة الحكم والشرح حتّى يحفظوا الهو الذي لهم.

غير أنّ الفعل الذي للإيقان الأخلاقيّ ليس فقط تعيين الكينونة الذي يغفله هو المحض. وما ينبغي أن يصلح ويُعترف به كواجب لا يكون كذلك إلّا بواسطة المعرفة والافتناع به كأن بالواجب، وبواسطة المعرفة بالهو الذي له في الفعل، فإذا ارتفع [428] عن الفعل كونُ الهو فيه، ارتفع كونه ما هو رأساً ماهيته. أمّا كيانه الذي أهمّله ذلك الوعي فكان يكون حقيقاً مشتركاً، حتّى إنّ الفعل يكون ظهرَ لنا كأنّه إتمام لمتعة ذلك الوعي ورغبته. وما ينبغي أن يكون هناك لا يكون أسيّةً هنا إلّا من حيث إنه يُعرّف كفراديّة مُفصّحة بنفسها؛ وهذا الكون المعروف إنّما هو المعترفُ به، وما ينبغي بما هو كذلك أن يكون له كيانٌ.

إنّ الهو يلج الكيانَ كهو؛ والرّوح الموقن من ذاته يوجد بما هو كذلك لأجل آخرين؛ وفعله الذي في - الحال ليس يصلح وما هو بحاقّ؛ وليس المتعيّن ولا الكائن - في - ذاته المعترفُ به، بل الهو العالم بذاته وحده وبما هو كذلك. وعنصرُ القوام إنّما هو الوعي - بالذات الكلّيّ؛ أمّا ما يدخل في هذا العنصر فلا يمكن أن يكون أثرُ الفعل، فهذا لا يدوم ولا يحصل بقاءً، بل الوعي - بالذات فقط هو المعترفُ به، وهو وحده الذي يكسب الحقيق.

[2. لغة الافتناع] - إنّنا لنرى عندئذ من جديد كيف أنّ اللّغة كيانُ الرّوح. إنّها الوعي - بالذات الكائن لأجل آخرين، وعي - بالذات حاضرٌ في - الحال بما هو كذلك، ويكون كليّاً كهذا المشار إليه. واللّغة إنّما هي الهو المنفصل عن ذاته الذي يصير لنفسه موضوعياً كمحض أنا = أنا، ويحفظ نفسه في هذه الموضوعيّة كهذا الهو مثلما يختلطُ في - الحال بالآخرين، فيكون الوعي - بالذات الذي لهم؛ إنّهُ يسمع ذاته ويدركها مثلما يسمعه الآخرون ويُدرّكونه، والسّماع (Das Vernehmen) إنّما هو الكيانُ الذي صار إلى الهو.

إنّ المضمون الذي أَسْتَفَادْتَهُ اللّغَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لَمْ يَعْذُ  
 الْهُوَ الْمَقْلُوبَ وَالْمَتَقَلَّبَ وَالْمَتَمَرِّقَ الَّذِي لِعَالَمِ الثَّقَافَةِ، بَلْ هُوَ  
 الرُّوحُ الْآيِبُ إِلَى ذَاتِهِ وَالْمَوْقِنُ مِنْ ذَاتِهِ، وَالْمَوْقِنُ فِي الْهُوَ الَّذِي  
 لَهُ مِنْ حَقِيقَتِهِ أَوْ مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِهِ، وَالْمَعْتَرَفُ بِهِ أَنَّهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ،  
 فَلِغَةُ الرُّوحِ الْإِتِّبَاقِيّ إِنَّمَا هِيَ الْقَانُونُ وَالْفَرَضُ الْبَسِيطُ وَالشُّكُوى  
 الَّتِي هِيَ دَمْعَةٌ تُذَرَّفُ بِإِزَاءِ الضَّرُورَةِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. أَمَّا  
 الْوَعِي الْأَخْلَاقِيّ فَمَا زَالَ عَلَى الْعَكْسِ أَيْكُمْ وَمَنْحَسِباً بَيْنَ جَنْبِيهِ  
 فِي جَوَانِبِيَّتِهِ، لِأَنَّ الْهُوَ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَعِي كِيَانٌ بَعْدَ، بَلْ  
 الْكِيَانُ وَالْهُوَ لَا يَقَعَانُ إِلَّا فِي صِلَةٍ بَرَانِيَّةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا خَارِجَ  
 الْآخَرَ. لَكِنَّ اللّغَةَ لَا تَنْبَثِقُ إِلَّا كَوَسْطَ لِلْوَعِيَّاتِ - بِالذَّاتِ الْقَائِمَةِ [429]  
 بِرَأْسِهَا وَالْمَعْتَرَفُ بِهَا، وَالْهُوَ الْكَائِنُ إِنَّمَا هُوَ فِي - الْحَالِ كَوْنٌ  
 مَعْتَرَفٌ بِهِ كَلِّيٌّ وَمَتَكَثِّرٌ وَبَسِيطٌ فِي هَذَا التَّكَثُّرِ. أَمَّا الْمَضْمُونُ الَّذِي  
 لِلغَةِ الْإِيْقَانِ الْأَخْلَاقِيّ فَهُوَ الْهُوَ الْعَالِمُ بِنَفْسِهِ كَمَا هِيَ. وَاللّغَةُ لَا  
 تُفْصَحُ إِلَّا عَنِ ذَلِكَ، وَهَذَا الْإِفْصَاحُ إِنَّمَا هُوَ الْحَقِيقُ الصَّادِقُ  
 لِلْعَمَلِ وَلِصَلَاحِيَّةِ الْفِعْلِ. وَالْوَعِيّ إِنَّمَا يُفْصَحُ عَنِ اقْتِنَاعِهِ؛ وَهَذَا  
 الْاِقْتِنَاعُ هُوَ وَحْدَهُ مَا يَكُونُ فِيهِ الْفِعْلُ وَاجِباً؛ وَالْفِعْلُ لَا يَجْرِي  
 أَيْضاً مَجْرَى الْوَاجِبِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْاِقْتِنَاعَ يُفْصَحُ عَنْهُ. وَالْوَعِيّ -  
 بِالذَّاتِ الْكَلِّيّ إِنَّمَا هُوَ فِي حِلٍّ مِنَ الْفِعْلِ الْمَتَعَيَّنِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ  
 وَحَسْبُ، فَهَذَا الْفِعْلُ كَكِيَانٍ لَا يَصْلُحُ عِنْدَهُ فِي شَيْءٍ، بَلْ الْاِقْتِنَاعُ  
 أَنَّ الْفِعْلَ وَاجِبٌ؛ وَهَذَا الْوَاجِبُ يَكُونُ حَاقِقاً فِي اللّغَةِ. - وَلَيْسَ  
 يَعْنِي تَحْقِيقُ الْفِعْلِ هَاهُنَا نَقْلَ مَضْمُونِهِ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي لِلغَايَةِ أَوْ  
 لِلْكَوْنِ - لِذَاتِهِ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي لِلْحَقِيقِ الْمَجْرَدِ، بَلْ مِنَ الصُّورَةِ  
 الَّتِي لِلإِيْقَانِ مِنَ الذَّاتِ الَّذِي فِي - الْحَالِ الَّذِي يَعْرِفُ عِلْمَهُ أَوْ  
 كَوْنَهُ - لِذَاتِهِ كَمَا هِيَ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي لِلإِقْرَارِ بِأَنَّ الْوَعِيّ مَقْتَنَعٌ  
 بِالْوَاجِبِ وَيَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ الْوَاجِبَ كإِيْقَانِ أَخْلَاقِيّ؛ وَعَلَيْهِ فَهَذَا  
 الْإِقْرَارُ إِنَّمَا يُوَكِّدُ أَنَّ الْإِيْقَانِ الْأَخْلَاقِيّ مَقْتَنَعٌ أَنَّ اقْتِنَاعَهُ هُوَ  
 الْمَاهِيَّةُ.

أما هل إقرارُ الفعلِ بمعِيةِ الاقتناعِ بالواجبِ حقيقيٌّ، وهل ما يُفعلُ هو الواجبُ بشكلِ حاقٍ، فتلك هي أسئلةٌ وشكوكٌ لا معنى لها في نظر الإيقان الأخلاقيِّ. - في ذلك السؤال هل الإقرار حقيقيٌّ إنّما قد يُفترضُ أنّ النيةَ الباطنةَ كانت تكون مخالفةً للنيةَ التي يُشهرُ بها، أي إنّهُ يمكنُ إرادةَ الهو الفرديّ أن تنفصلَ عن إرادةِ الوعيِ المحضِ والكلّيِّ، فهذه الأخيرةُ كانت تكون كامنةً في القول، في حين أنّ الأولى كانت تكون فعلاً الداعي الحقيقيِّ للفعل. غير أنّ ذلك الاختلاف بين الوعيِ الكلّيِّ وبين الهو الفرديّ هو على التدقيق ما قد انتسخ، ونسخهُ إنّما أضحى الإيقان الأخلاقيِّ. والمعرفة التي في - الحال بالهو الموقن من ذاته إنّما هي قانونٌ وواجبٌ؛ وطويةُ الهو من حيث هي الطوية التي له إنّما هي الحقُّ<sup>(55)</sup>؛ ولا يُقتضى إلا أن يعلم هذا، ويقول إنّهُ الاقتناعُ بأنّ معرفته وإرادته هما الحق. والإفصاحُ بهذا الإقرار إنّما ينسخ 430] في حدّ ذاته الصورةَ التي لجزئيةِ الهو؛ وبذلك إنّما يعترف بالكليةِ الواجبة التي للهو؛ وما دام يسمي نفسه إيقاناً أخلاقياً فإنّه يسمي نفسه معرفةً بالذات محضاً وإرادةً مجردةً ومحضاً، أي يسمي نفسه معرفةً وإرادةً كلّيتين تعترفان بالآخرين، فيكون وإياهم سواسيةً، إنّ هُم على التدقيق إلا تلك المعرفة بالذات والإرادة الخالصتان اللتان يعترفون بها أيضاً. أما ماهيةِ الحق فتقع في الإرادة التي للهو الموقن من ذاته وفي هذه المعرفة بأنّ الهو إنّما هو الماهية. - بالتالي من يقول إنّهُ يعمل بالإيقان الأخلاقيِّ، فإنّما هو يقول الحقّ، لأنّ إيقانه الأخلاقيّ إنّما هو الهو العارف والمريد. ولكنّه لا بدّ أن يقول ذلك بشكلِ جوهريّ، لأنّه لا بدّ لذلك الهو أن يكون في الوقت نفسه هواً كلياً. والهو لا يكون ذلك في المضمون الذي للفعل، فهذا المضمونُ في حدّ ذاته

(55) على معنى العدل.



سيانتي بسبب تعينته: بل الكلية توجد في الصورة التي لعين الفعل، وهذه الصورة هي ما ينبغي وضعه كحاق؛ فإنما هي الهو الذي يكون بما هو كذلك حاقاً في اللغة، ويُقال (Sich aussagen) من جهة ما هو الصادق، وفي ذلك إنما يعترف على التدقيق بكل هو ويعترف به كل هو.

[3. النفس الجملاء] - وعليه فالإيقان الأخلاقي في جلالة تعالیه عن كل قانون متعين وكل مضمون للواجب، إنما يضع أي مضمون يشاء في معرفته وإرادته؛ فإنما هو العبقرية الأخلاقية التي تعلم الصوت الباطني لعلمها الذي في - الحال كأنه صوت إلهي؛ وما دامت في ذلك العلم تعلم أيضاً في - الحال بالكيان، فهي قوة الخلق الإلهية التي تمتلك في مفهومها الحيوية. وهي كذلك الفرض الإلهي (Der Gottesdienst) في حد ذاته؛ فعملها إنما هو حدس تلك الألوهية التي تخصها.

هذا الفرض الإلهي المفرد إنما هو في الوقت نفسه وبالجوهر فرض إلهي لجماعة ما، والمعرفة المحض والباطنة بالذات والسماع إنما يترسلان إلى أن يمسيا لحظة من لحظات الوعي. فحدس الذات لذاتها إنما هو كيانها الموضوعي، وهذا العنصر الموضوعي هو الإفصاح بمعرفتها وإرادتها كأنه كلي. والهو إنما يصير بهذا الإفصاح الهو ذو الصلاحية، والممارسة تستحيل الفعل المنجز. أما الحقيق والقوام اللذان لفعل الهو فإنما هما الوعي - بالذات الكلي؛ لكن الإفصاح الذي للإيقان الأخلاقي يضع الإيقان من الذات كهو محض، وبذلك كهو كلي؛ أما الآخرون فإنهم يتركون الممارسة على صلاحيتها بسبب هذا القول الذي يفصح فيه ويعترف بالهو كأنه الماهية. وعليه فالروح والجوهر الذي لارتباطهما إنما هما إقاراهم المتبادل لإيقانيتهم الأخلاقية (Die Gewissenhaftigkeit) ونياتهم الحسنة والابتهاج بذلك الصفاء المتبادل والانشراح لعظمة المعرفة والإفصاح

[431]

والاعتناء بمثل هذه النعمة. - ومن حيث إن هذا الإيقان الأخلاقي ما زال يمايز بين وعيه المجرد وبين الوعي - بالذات الذي له، فإن حياته لا تكون له إلا مخفية في الله؛ ولا ريب أن الله حاضر في - الحال عند روح ذلك الإيقان وفؤاده وهو الذي له؛ لكن المتبدّي، أي وعيه الحاق والحركة الموسّطة التي لعين الوعي، إنما يكون في نظره غير هذه الجوانية المخفية والحالية التي للماهية الحاضرة. والاختلاف بين الوعي المجرد الذي للإيقان الأخلاقي والوعي - بالذات الذي له لا يتسوخ إلا في أكتمال هذا الإيقان. إنه يعلم أن الوعي المجرد هو على الحضر هذا الهو، هذا الكون - لذاته الموقن من ذاته، وأن الماهية المجردة إنما تكون في الصلة الحالية للهو بالفِي - ذاته الذي وضع خارج الهو، وأن ما هو مخفي عنه، أعني التنوع، إنما قد نُسخ. أما الصلة التي هي موسّطة فهي التي لا تكون فيها الأطراف المتصلة عين الشيء الواحد، بل كل طرف غير ما هو الآخر، فلا تكون واحداً إلا عند طرفٍ ثالث؛ لكن الصلة التي في - الحال لا تعني بالفعل سوى الوحدة. والوعي إذ يُرفع فوق أنعدام الفكر (Die Gedankenlosigkeit) الذي ما زال يعتبر اختلافات تلك التي هي ليست باختلافات، إنما يعرف أن الحالية التي لحاضر الماهية تكون فيه كوحدة بين الماهية وهو الذي له، ويعرف إذا الهو الذي له كالفي - ذاته الحي، وهذه المعرفة التي له على أنها الدين الذي من حيث هو معرفة محدوسة أو كائنة إنما هو قول الجماعة في الروح الذي لذلك الوعي.

إننا نرى في هذا الموضع أن الوعي - بالذات أب عندئذ إلى أعمق ما في جوانيته (In sein Innerstes) حيث تزول كل برانية بما هي كذلك، - ورجع إلى حدس الأنا = الأنا حيث يكون هذا الأنا كل أيسية وكل كيان. إنه يغور في ذلك الفهم لذاته (In diesem Begriffe seiner selbst)، لأنه قد دُفع إلى حرف أطرافه

حَتَّىٰ إِنَّ اللَّحْظَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي بِمَعْنِيَّتِهَا يَكُونُ فِعْلِيًّا (Real) أَوْ لَا يَزَالُ وَعِيًّا، لَيْسَتْ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْنَا هَذِهِ الْأَطْرَافَ الْخَالِصَةَ وَحَسْبُ، بَلْ إِنَّ مَا هُوَ الْوَعْيِي - بِالذَّاتِ لِدَاثِهِ، وَمَا يَكُونُ فِي نَظَرِ هَذَا الْوَعْيِي - بِالذَّاتِ فِي ذَاتِهِ وَكَيْانًا، إِنَّمَا تَبَخَّرَ فِي تَجْرِيدَاتٍ لَمْ يَعُدْ لَهَا لَا قَوَامٌ وَلَا جَوْهَرٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَىٰ هَذَا الْوَعْيِي عَيْنِهِ؛ وَكُلَّ مَا كَانَ إِلَىٰ الْآنَ مَاهِيَّةً فِي نَظَرِ الْوَعْيِي إِنَّمَا آلَ إِلَىٰ تِلْكَ التَّجْرِيدَاتِ. - وَالْوَعْيِي إِذْ يَخْلَصُ إِلَىٰ هَذَا الْخُلُوصِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ وَجْهِهِ الْأَكْثَرُ مَفْقَرَةً، وَالْمَفْقَرَةُ الَّتِي تَمَثَّلُ مُلْكُهُ الْأَوْحَدَ إِنَّمَا هِيَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا زَوَالٌ؛ وَذَلِكَ الْإِيْقَانُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي تَحَلَّلَ فِيهِ الْجَوْهَرُ إِنَّمَا هُوَ الْوَعْيِي الْمَطْلُوقُ الَّتِي تَهْوِي فِي ذَاتِهَا؛ إِنَّهُ الْوَعْيِي - بِالذَّاتِ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يَغُورُ فِيهِ الْوَعْيِي.

فَإِذَا تَفَحَّضْنَا ذَلِكَ الْغُورَ (Dies Versinken) فِي بَاطِنِ الذَّاتِ بَانَ أَنَّ الْجَوْهَرَ الْكَائِنَ - فِي - ذَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي نَظَرِ الْوَعْيِي الْمَعْرِفَةُ بِمَا هِيَ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي لَهُ. وَالْوَعْيِي بِمَا هُوَ وَعْيِيٌّ إِنَّمَا يَنْفَصِمُ بَيْنَ ذَاتِهِ وَبَيْنَ الْمَوْضُوعِ الَّذِي هُوَ فِي نَظَرِهِ الْمَاهِيَّةُ؛ لَكِنَّ ذَلِكَ الْمَوْضُوعَ إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ الْحَصْرِ الشَّقِيفُ التَّامُّ، إِنَّهُ الْهُوَ الَّذِي لَهُ؛ وَوَعْيُهُ لَيْسَ إِلَّا الْعِلْمَ بِالذَّاتِ. وَكُلَّ حَيَاةٍ وَأَيْسِيَّةٍ رُوحِيَّةٍ إِنَّمَا آلَتْ إِلَىٰ هَذَا الْهُوَ وَخَسِرَتْ تَنَوُّعَهَا بِالنَّظَرِ إِلَىٰ الْأَنَا ذَاتِهِ (Das Ichselbst). وَلِذَلِكَ تَمَسِي لِحِظَاتِ الْوَعْيِي تِلْكَ التَّجْرِيدَاتِ الْقَصُورِيَّةِ الَّتِي مَا مِنْ تَجْرِيدٍ مِنْهَا يَقُومُ بِرَأْسِهِ، بَلْ يَضِلُّ فِي الْآخِرِ وَيَنْسَلُهُ. إِنَّهُ تَبَادُلُ الْوَعْيِي الشَّقِيقِي مَعَ ذَاتِهِ، لَكِنَّهُ تَبَادُلٌ يَحْصُلُ فِي نَظَرِهِ فِي بَاطِنِ الذَّاتِ، فَيَكُونُ وَعَايَاً بِكَوْنِهِ مَفْهُومَ الْعَقْلِ الَّذِي لَا يَكُونُهُ هَذَا الْوَعْيِي الشَّقِيقِي إِلَّا فِي ذَاتِهِ. وَعَلَيْهِ فَالْإِيْقَانُ الْمَطْلُوقُ مِنَ الذَّاتِ يَرْتَدُّ فِي - الْحَالِ بِالنَّسْبَةِ إِلَىٰ ذَلِكَ الْوَعْيِي إِلَىٰ صَدَى زَائِلٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ كُونِهِ - لِدَاثِهِ؛ لَكِنَّ هَذَا الْعَالَمَ الْمُخْتَرَعَ إِنَّمَا هُوَ قَوْلُهُ الَّذِي سَمِعَهُ الْوَعْيِي أَيْضًا فِي - الْحَالِ، وَالَّذِي لَا بَدَّ لَصَدَاهُ أَنْ يَتَنَاهَىٰ إِلَيْهِ. إِذَا هَذَا الرَّجْعُ لَا تَكُونُ لَهُ دَلَالَةٌ أَنَّ الْوَعْيِي يَكُونُ فِيهِ فِي ذَاتِهِ وَلِدَاثِهِ؛ لِأَنَّ الْمَاهِيَّةَ

ليست عنده من قبيلِ **الفي** - ذاته، بل هو ذاته الماهية؛ وأقلُّ من ذلك أن يستقيمَ للوعي **كيانٌ**، لأنَّ الموضوعيَّ لا ينتهي إلى كونه السلبيَّ الذي للهو الحاقُّ مثلما لا ينتهي هذا الهو إلى الحقيق. وما يُعوز هذا الوعي إنما هو قوَّةُ التخارج، قوَّةُ الاستشياءِ (Sich zum Dinge zu machen) وأحتمالِ الكينونة. إنه يحيا في الخيفة من تدنيس سنوِّ باطنه بالفعل وبالكيان، ويولّي عن كلِّ اتّصالٍ بالحقيق بغيَّةَ الإبقاء على خلوص سريرته، ويستميثُ مكابراً في عوزه [433] المستديم وقصوره عن ترك هُواه الذي يستغرقه إلى قصارى التجريد، كما عن الكفت عن طلبه الجوهرية أو تحويلِ تفكيره إلى كينونةٍ وتسليم أمره إلى الاختلاف المطلق. ولذلك هو لا يملأ الموضوعَ الأجوف الذي ينسُله إلا وعياً بالخواء؛ وفعله إنما هو الشوقُ الذي لا فكاك له من أن يضلَّ في استحالته موضوعاً عرياً من الماهية، فلا يجد نفسه إلا ضالاً من بعد أن يقع إلى ذاته من فوق هذا الضلال، - وفي ذلك الخلوص الشفيف للحظاتها تنطفئ غلواء ما يُسمّى نفساً جملاءً شقيةً، ثم تضمحلُّ كبخار بلا وجه يتحلل في الهواء.

[III. الشرّ وغفرانه] - لكن ينبغي أن يُقالَ هذا الاختلاط الهادئ للأسيات العرية من اللبّ التي للحياة المتبخرة على المعنى الآخر الذي لحقيق الإيقان الأخلاقي، ويؤخذُ وفق الظهور الذي لحركته، وينبغي تفحص الإيقان الأخلاقي من حيث هو فاعلٌ. - لقد تعيّنت اللحظة الموضوعية أعلاه<sup>(56)</sup> في هذا الوعي كوعي كليّ؛ والمعرفة التي تعرف ذاتها قد اختلفت من حيث هي هذا الهو عمّا سواها من هو؛ واللغة التي يعترف فيها الجميع بعضهم ببعض كفاعلين وفق الإيقانية الأخلاقية، ذلك التساوي

(56) انظر ثاني الفقرات الخاصة بـ 3. النفس الجملاء، ص 648 من هذا

الكتاب، حيث يحصل الوعي عنصره الموضوعي.

الكَلْبِيُّ، إنَّما تنحلُّ في لاتساوي الكون - لذاته، وكلُّ وعي إنَّما يتفكَّر في ذاته على الإطلاق انطلاقاً من الكَلْبِيَّة التي له؛ بذلك تهلُّ ضرورةً مقابلةً الفرديَّة للفرديَّات الأخرى وللکَلْبِيِّ، وينبغي تعقُّب الفحص عن تلك الصلة وحركتها. - أو بعبارة أخرى: تلك الكَلْبِيَّة والواجب تكون لهما على الإطلاق الدلالة المتضادَّة للفرديَّة المتعيِّنة الخارجة على (Sich ausnehmenden von...) الكَلْبِيِّ والتي لا يكون الواجب المحض عندها إلَّا الكَلْبِيَّة الطافية على السطح والمتلفَّة صوب الخارج؛ فالواجب لا يكمن إلَّا في الألفاظ ولا يجرى إلَّا مجرى كينونةٍ لأجل آخر. والإيقان الأخلاقيُّ إذ يقف على الواجب في أوَّل أمره بشكل سلبيٍّ وحسب بما هو هذا الواجب المتعيَّن والمائلُ بين يديه إنَّما يعلمُ أنَّه في حلٍّ منه؛ لكنَّه ما دام يُفعمُ الواجبَ الخاوي بمضمونٍ يأتي به من نفسه، فإنَّما يكون له وعي موجبٌ بأنَّه هو كهذا الهو من يجعل لنفسه المضمون؛ [434] والهو المحض الذي له كمعرفة خاوية إنَّما هو العريُّ من المضمون والتعيَّن؛ والمضمون الذي يعطيه الإيقان الأخلاقيُّ لذلك الهو إنَّما يُنتزَعُ من الهو الذي له من حيث هو هذا الهو المتعيَّن، ومن ذاته من حيث هي فرديَّةً طبيعيَّةً، وهو واعٍ بحقِّ بالهو المحض الذي له عند الإفصاح عن طابع الإيقانية الأخلاقية الذي لمُراسه، لكنَّه في الغاية التي لمُراسه بما هي مضمونٌ حاقٌّ إنَّما يكون واعياً بذاته كهذا الفرديُّ الجزئيُّ وبالتقابل بين ما هو لذاته وبين ما هو للغير والتقابل بين الكَلْبِيَّة أو الواجب وبين كونه المفتكَّر انطلاقاً منها.

[1. التعارض بين الإيقانية الأخلاقية والرياء] - إذا أنفصح (Sich ausdrücken) التقابل الذي يمثُل فيه الإيقان الأخلاقيُّ بما هو فاعلٌ فوقعت عبارته على ذلك النحو في الباطن الذي له، يكون ذلك التقابل في الوقت نفسه اللاتساوي صوب الخارج في عنصر الكيان، اللاتساوي الذي لفرديَّة الإيقان الجزئية حيال فرديُّ

مغاير. - وفرديته إنما تتمثل في أنّ اللحظتين المكوّنتين لوعيه، الهو والفي - ذاته، تصلحان عنده حسب قيمة لامتساوية، وعلى سبيل الحصر بحسب التعيّن الذي مفاده أنّ الإيقان من الذات إنّما هو الماهية إزاء الفي - ذاته أو الكلّي الذي لا يصلح إلّا كلحظة. وعليه فذلك التعيّن الباطني إنّما يواجهه العنصر الذي للكيان أو الوعي الكلّي، أمّا الكلّيّة والواجب عند هذا الوعي فيكونان في الأكثر الماهية، في حين أنّ الفردية التي تكون لذاتها حيال الكلّي لا تصلح إلّا كلحظة منسوخة. والوعي الأوّل إنّما يجري بالنسبة إلى هذا التمسك الغليظ بالواجب مجرى الشرّ، لأنّه يكون لاتساوي كونه دخيلته (Das Insichsein) مع الكلّي، وما دام هذا الوعي يفصح في الوقت نفسه عن فعله كتساوٍ مع ذاته وكواجب وإيقانية فإنّه يجري مجرى الرّياء.

إنّ الحركة التي لهذا التقابل تتمثل في بادئ الأمر الاستصلاح الصوريّ لتساوي ما هو شرٌّ في حدّ ذاته وما يتمّ عنه؛ ولا بدّ أن يتّضح أنّه شرٌّ وأنّ كيانه يعدلُ بهذا الشكل ماهيته، فلا بدّ أن يُكشَف الرّياء. - وهذا الإيابُ للتساوي الحاضر في الرّياء إلى التساوي ما زال لم يتمّ من حيث إنّ الرّياء، كما يُقال عادةً، يقدّم البيّنة على احترامه للواجب والفضيلة من جهة أنّه يتّخذهما مظهرًا، فيستعملهما كقناع لوعيه الخاصّ كما للوعي الغريب اعترافاً بالضدّ الذي كان يكون مشتملاً في ذاته على التساوي<sup>35]</sup> والاتّفاق. - لكنّ الرّياء يخرجُ في الوقت نفسه على هذا الاعتراف الذي للغة بقدر ما ينعكس في ذاته، ومن حيث إنّه لا يستعمل الكائن - في - ذاته إلّا ككيانٍ لأجل الغير فإنّ ذلك يتضمّن في الأكثر خالص الاستخفاف بعين الكائن - في - ذاته كما يعرض أرتفاع الماهية عنه عرضاً للجميع، فما يقبل الاستعمال كآلة برآنية ينكشف كشيء لا يكون له ثقل في حدّ نفسه.

ذلك التساوي لا يتمّ أيضاً لا بالتشديد الأحادي للوعي

القبیح على ذاته ولا بمعیة الحكم الذي للكلّيّ. - وإذا كان هذا الوعي القبیح يلتغي حیاال الوعي بالواجب، ويثبت ما يقول هذا الأخير إنه قُبِحَ ولا تساوٍ مطلقٍ مع الكلّيّ، أنه مراسٍ وفق القانون الباطن والإيقان الأخلاقيّ، فإنّ لا تساويه مع الغير باقي في هذا التأكيد الأحاديّ للتساوي ما دام لا يعتقد ولا يعترف به. أو: لَمَّا كان التشديدُ الأحاديّ على طرفٍ واحدٍ يتحلل بنفسه، فإنّ الشرّ في ذلك كان سيقراً لا محالة بأنّه شرٌّ، لكنّه بذلك كان يكون أنتسخ في - الحال، وما كان ليكون رياءً، بل ما كان لينكشف أيضاً كرياءً. وإنّه ليقرُّ بنفسه شراً من حيث يثبت إذ يقابل الكلّيّ المعترف به، أنه في واقع الأمر يفعل وفق قانونه الباطن وإيقانه الأخلاقيّ؛ فإنّ لم يكن هذا القانون وهذا الإيقان الأخلاقيّ القانون الذي لفرديته وأعتباطه، ما كان الشرّ ليكون شيئاً باطنياً وخاصاً، بل كان يكون الكلّيّ المعترف به. ولذلك من يقول إنه يفعل ضدّ الآخرين وفق القانون الذي له وإيقانه الأخلاقيّ، فإنّما يعاملهم بقبح؛ لكنّ الإيقان الأخلاقيّ الحاقّ ليس التشديد على المعرفة والإرادة الذي يتضادّ مع الكلّيّ، بل الكلّيّ هو عنصر الكيان الذي لذلك الإيقان، ولغته إنّما تفيّد فعله واجبا معترفاً به.

كذلك تشديد الوعي الكلّيّ على حكمه لا يكون أكثر فضحاً ولا حلاً للرياء. - وما دام هذا الوعي يشهر بالرياء معلناً قبحه وخسّته وما إليه، فإنّه يرجع في مثل هذا الحكم إلى قانونه مثلما يرجع الوعي القبیح إلى القانون الذي له؛ فذاك يدخل في تقابل مع هذا، وبذلك يمثل كقانون جزئيّ. وعليه لا يكون له ما به [436] يفضّل الآخر بل في الأكثر يشرّعه، وهذا الاختماس (Der Eifer) يفعل مباشرة عكس ما يظنّ أنه فاعلٌ، - لاسيّما لزوم إظهار ما يسمّيه الواجب الحقّ وما ينبغي أن يُعترف به على معنى كلّيّ، على أنه غير معترف به، وبذلك التخلّي للآخر عن الحقّ المساوي في الكون - لذاته.

[2. الحُكْمُ الأخلاقيُّ] - لكنَّ هذا الحكم يكون له في الوقت نفسه جانب آخر يصير من خلاله الفاتحة في حلِّ التقابل الرَّاهن. - فالوعي بالكلمِي لا يتصرّف كوعي حاقِّ وفاعلٍ حيالَ الوعي الأوّل، لأنَّ هذا إنّما هو في الأكثر الحاقُّ، - بل يتصرّف إذ يقابله، تصرّف وعي لا يُربكه التقابل بين الفردية والكلية الذي يهله في الفعل. إنّه يلبث في كلية التفكير، ويتصرّف كمُدركٍ يُحيط، وأوّل فعله إنّما هو الحُكْمُ وحسب. - وهو بهذا الحكم إنّما يتحيّز الآن، مثلما أُشيرَ إليه سابقاً، في جوار الأوّل؛ وهذا الأوّل إنّما ينتهي بواسطة ذلك التساوي إلى حدس ذاته في ذلك الوعي الآخر. ذلك أنّ الوعي بالواجب يسلك من وجه الإحاطة والانفعال؛ لكنّه بذلك في تناقض مع نفسه كإرادة مطلقة للواجب، وفي تناقض مع نفسه بما هو المعين من تلقاء نفسه على الإطلاق. وخيراً يفعل هذا الوعي حين يصون نفسه في الخلوص لأنّه لا يفعل؛ فالرّياء هو الذي يبتغي أن يُؤخذَ الحكمُ مأخذَ الفعل الحاقِّ، والذي يدل أن يُبينَ الصلاحَ (Die Rechtschaffenheit) بواسطة الفعل، بيّنه بواسطة الإفصاح عن صدق نيّاته. وعليه فهو على أتمّ الاستعداد مثله مثل الوعي الذي يُعاب عليه أنّه لا يضع الواجب إلّا في قوله. فجانب الحقيق عند هذين الوعيين يخالف على الفور القولَ مخالفةً تقوم عند الواحد منهما من خلال المصلحة الشخصية التي في غاية الفعل، وأما عند الآخر فمن حيث أنعدام العمل بالجملة، وهو الذي تكمن ضرورته في القول ذاته في الواجب، فالواجب من دون الفعل لا دلالة له البتّة.

لكن ينبغي تفحصُ الحكم أيضاً كالفعل الموجب الذي للفكر، فللحُكْم مضمونٌ موجّبٌ؛ والتناقضُ الحاضر في الوعي المُدرك كما تساويه مع الوعي الأوّل إنّما يصيران من خلال هذا البعد أكثر اكتمالاً. - فالوعي الفاعل يُفصح عن هذا الفعل المتعيّن الذي له كواجبٍ، فلا يسع الوعي الحاكِم أن يجادله في ذلك، 71



لأن الواجب نفسه هو الصورة العريضة من المضمون والقابلة لأيما مضمون، - أو: الفعل المتعين والمتنوع في حد ذاته من حيث تكثُر جوانبه يشتمل في حد ذاته على الجانب الكلّي الذي يؤخذ مأخذ الواجب، مثلما يكون له جانب الجزئي الذي يمثل حصة الفرد ومصالحته. أما الوعي الحاكم فلا يقف حينئذ عند ذلك الجانب الذي للواجب وللمعرفة التي للفاعل بأن هذا هو واجبه وإضافة حقيقه ووضعهُ. وإنما يقف عند الجانب الآخر، ويؤدّي الفعل في باطن الجوانبيّة (Hineinspielen in das Innere) ويفسّره انطلاقاً من طويته المختلفة عن الفعل ذاته وبواعث المصلحة الشخصية التي له. وكما أنّ كلّ فعل قابل للاعتبار من حيث مطابقته للواجب، فإنّه قابل أيضاً لهذا الاعتبار الآخر بحسب الجزئية، فإنّما هو كفعل الحقيق الذي للفرد. - وعليه فذلك الحكم يضع الفعل خارج الكيان الذي له، ثمّ يعكسه في الجوانبيّة أو في صورة الجزئية الخاصة. - فإنّ كان الفعل مصحوباً بجاء عرف الحكم تلك الجوانبيّة كطلبة جاء، وإن وافق الفعل ظرف الفرد بعامة ولم يتعدّه وكان على نحو أنّ الفردية لا تحمل هذا الظرف حملها لتعين برّاني يعلّق بها، بل تُفعم هذه الكليّة بنفسها فتظهر بذلك قدرة على ما هو أسنى، عرف الحكم إذاً جوانبيّة ذلك الفعل كطلبة شرف وعزّة وما إليه. وما دام الفاعل ينتهي بالجملة في الفعل إلى حدس ذاته في الموضوعيّة أو الشعور الذاتيّ بنفسه في كيانه، فيحصل إذاً المتعة، فإنّ الحكم يعرف الجوانبيّة كشوق إلى الغبطة الخاصة حتّى وإن لم تتمثل هذه إلا في العبث الأخلاقيّ الجوانيّ وتمتّع الوعي بفضله الخاصّ وأستذاقة (Dem Vorschmake) الرّجاء في غبطة آتية. - فما من فعل بوسعه أن يخرج على مثل ذلك الحكم، لأنّ الواجب من أجل الواجب، هذه الغاية المحض، إنّما هو غير الحاق؛ أما الحقيق الذي للغاية فيكون لها في الفعل الذي للفردية، وبذلك يكون للفعل في حدّ

ذاته جانبُ الجزئية. - فليس ثمة بطلٌ بالنسبة إلى الفراش؛ لكن ليس بسبب أن ذاك بطلٌ، بل لأنّ هذا فراشٌ لا شأنٌ للبطل به من حيث هو بطلٌ، بل من حيث هو يأكل ويشرب ويلبس، وبالجملة من حيث فردية الحاجة والتصوّر. وكذلك ليس ثمة بالنسبة إلى الحكم من فعلٍ لا يستطيع أن يقابل فيه جانبُ الفردية الذي للفرد بجانب الكليّة الذي للفعل، ويسلك حيالَ الفاعل مسلك فراش الأخلاقية.

عندئذٍ يكون هذا الوعي الحاكم هو ذاته وضيعاً، لأنه يقسم الفعل، فينتجُ لاتساويَ الفعل مع نفسه، بل يشدّد على ذلك اللاتساوي. وهو بالإضافة إلى ذلك رياءً، لأنه لا يقول إنّ مثل ذلك الحكم هو نحو آخر في كونه قبيحاً، بل يقول إنه الوعي المستقيم الذي للفعل، ثم يستوضع نفسه في هذا اللاحق والعبث اللذين للمعرفة بالحسن والأحسن (Des Gut-und Besserwissens) فوق الأفعال المُختَفِضَةِ، وبيتغي أن يؤخِّدَ قوله العريُّ من الفعل مأخِذَ الحقيقِ الفائقِ. - وعليه فهذا الوعي الحاكم إذ يجعل من نفسه سيِّ الفاعل الذي يحكم في أمره إنّما يصير معترفاً به من قبل هذا الأخير كسيِّ له. وهذا الفاعل لا يجد نفسه مدركاً من قبل ذلك الوعي الحاكم كغريب ولا متساوٍ معه وحسب، بل يجد هذا الوعي في الأكثر مضاهياً له من حيث هيئته الخاصة. إنه يشهد له بنفسه وهو يحدث هذا التضاهي ويُفصحُ عنه، ثم ينتظر كذلك من الآخر بعد أن جعل من نفسه بالفعل سيّاً له، أن يكرّرَ قوله ويفصح فيه عن مضاهاته له حتّى يمثّلَ الكيانَ المعترفُ. وأعترافُ الفاعل ليس تذللاً ولا إهانةً ولا أحتقاراً في الاتصال بالآخر، فهذا الإفصاح ليس العبارة الأحادية التي بها يثبت لاتساويه مع الآخر، بل هو يفصحُ فقط بسبب حدس مضاهاة الآخر له؛ إنه يفصحُ من ناحيته عن تضاهيهما في اعترافه، وهو يفصح عنه لأنّ اللّغة هي الكيان الذي للروح كالمهو الذي في - الحال، وعليه فهو ينتظر أن يساهم الآخر من ناحيته في ذلك الكيان.

غير أن الاعتراف بالقبیح: «ها أنا ذا»<sup>(57)</sup> لا يتبعه الجواب بعين الاعتراف. وليس ذلك ما يُظنُّ في هذا الحكم، بل العكس تماماً! فالوعي الحاكم يدفع عنه تلك الشَّرْكَة، فهو القلب المتحجّر الذي يكون لذاته ويصدُّ الاتصال بالآخر. بذلك ينقلبُ المشهَدُ؛ فالوعي الذي كان أقرَّ بذنوبه<sup>(58)</sup> يرى نفسه مصدوداً، والآخر يراها في مظلمة وهو الذي يمتنع عن إخراج جَوَانِيته إلى الكيان الذي للقول، فيقابلُ القبیحَ بجمال نفسه، أما الإقرار بالذنب فيقابلُه بالرقبة الغليظة (Den steifen Nacken) للطبع الذي يظلُّ مساوياً لنفسه وبالصمت المتمثل في إمساك النفس لنفسها وآلا تتذلل لآخر. إنَّ ما يوضع هاهنا هو أغلظ العنقوان الذي للروح الموقن من ذاته، فهو يحدس نفسه في الآخر كهذا العلم البسيط بالهو، وهو يحدس ذلك على نحو أن الشكل البراني لهذا الآخر ليس العري من الماهية ولا مجرد شيء كما هي الحال في الثروة، بل هو الفكر والعلم ذاته ما يقابلُه، إنَّه الاتصال المرسل على الإطلاق الذي للعلم المحض والذي يمتنع عن التواصل معه، - وهو الذي كان تخلى فعلاً في الإقرار بذنوبه عن الكون - لذاته المفرد، وأستوضع نفسه كجزئية منسوخة، وبذلك كاتصال بالآخر وككلي. ولكن الآخر في حد ذاته إنما يحتفظ لنفسه بكونه - لذاته الذي لا يُفاد، أما عند المقرِّ بذنوبه فيحتفظ على الحصر بعين ما كان تخلى عنه حقاً هذا الأخير. وبذلك فالوعي الحاكم يبين كالوعي المَهْمَل من قِبَل الروح والمكذب بالروح، فهو لا يعرف أن الروح في إيقانه المطلق بذاته إنما هو رئيس كلِّ فعلٍ وحقيق، وأنَّه بوشعه أن يتركها كلها ويعمل على ألا تُفعل. وهو لا يعرف

(57) Ich bins على معنى «أنا من فعل هذا...».

(58) Sich bekennen، الأمر هاهنا أكثر من مجرد شهادة واعتراف (Geständnis, Eingeständnis) لأنه يجري مجرى إقرار الوعي وإشهاره بأنَّه قد أذنب وأتى القبیح.

في الوقت نفسه التناقض الذي يأتيه من حيث لا يخلي سبيلَ التراك (Die Abwerfung) الحادث في القول حتى يكون تراكاً صدوقاً، في حين أنه هو ذاته له إيقانه من روحه لا في فعل ما حاق، بل في جوانيته، وله كيانه في القول الذي لحكمه. وعليه فهو نفسه من يكبح جماح إياب الآخر من الفعل إلى الكيان الروحي الذي للقول وإلى التساوي الذي للروح، فينتج بتلك الغلظة اللاتساوي الذي ما زال حاضراً هاهنا .

140] ما دام الروح الموقن من ذاته لا يملك مذاك بما هو نفسٌ جملاءً قوّة إخراج العلم بنفسها وهو العلم الذي يقف على نفسه شديداً، فإنه ليس بوسع هذه النفس الجملاء أن تبلغ التساوي مع الوعي المصدود، فلا يمكنها إذاً بلوغ الاتحاد المحدوس لنفسها في الآخر ولا بلوغ الكيان؛ فلذلك لا يحصل التساوي إلا من وجهٍ سلبيّ، أي ككينونةٍ عرية من الروح. وعليه فالنفس الجملاء العريّة من الحقيق إذ تقع في التناقض بين الهو المحض الذي لها وبين الوجود الذي لعين الهو بأن يتخارج حتى الكينونة وينقلب حقيقاً، وفي الحالّة التي لهذا التقابل الراسخ، - حالّةً ليست هي إلا الوسط والائتلاف بين التقابل المرفوع إلى تجريده المحض وبين ما هو كينونة محض أو ليس خاوٍ، هذه النفس بما هي الوعي بذلك التناقض على حالّته اللامؤتلفة، إنّما تهلك حتى الخبل، ثم تذوب في لوعة الحُسران. وبذلك فالوعي يتخلّى بالفعل عن الإمساك الغليظ بكونه - لذاته، لكنّه لا يأتي إلا وحدة الكينونة العرية من الروح.

[3. الغفران والتسوية] - أمّا التسوية (Die Ausgleichung)

الحق، ولاسيما التسوية الواعية بذاتها والكائنة، فهي متضمّنة في واقع الأمر وفق وجوبها في ما تقدّم. تحطيم القلب المتحجّر ورفعهُ إلى الكلّيّة إنّما هو عين الحركة التي كان أفصح عنها في الوعي الذي يقرّ بذنوبه. وجراح الروح تُشفى من دون أن تبقى أنداب؛ وليس الفعل ممّا لا يفسد، بل الروح يرده إلى ذاته،

وجانبُ الفرديةِ الحاضرُ في الفعلِ سواءَ كانَ نيةً أو سالبيةً كائنةً وحرَفاً لعينِ السالبيّةِ، إنّما هو في - الحالِ الزائلُ. والهُو المحقّقُ، الصوَرَةُ التي لفعلها، ليس إلاّ لحظَةً من الكلِّ، وهو أيضاً العلمُ المحدّدُ بواسطةِ الحكمِ والواضعُ المرسّخُ للفرقِ بينِ الجانبِ الفرديّ وبينِ الجانبِ الكلّيّ للفعلِ. وذلكَ الشرُّ إنّما يضعُ ذلكَ التّخارجِ الذي له، أو يستوضعُ ذاتهَ كلحظةٍ، إذ يجدُ نفسَه مجذوباً في الكيانِ المعترفِ من خلالِ حدسِ ذاته في الآخرِ. ولكن مثلما يلزمُ في ذلكَ الشرِّ الأوّلِ تحطُّمُ كيانهِ الأحاديّ وغيرِ المعترفِ بهِ الذي للكونِ - لذاتهِ الجزئيّ، يلزمُ في هذا الآخرِ تحطُّمُ حكمهِ الأحاديّ وغيرِ المعترفِ بهِ؛ وكما يعرضُ ذاكَ سطوةَ الرّوحِ على الحقيقِ الذي له، يعرضُ هذا سطوةَ الرّوحِ على مفهومهِ المتعيّنِ.

لكنّ هذا المغايرَ يتخلّى عن الفكرِ القاسمِ كما عن غلظةِ الكونِ - لذاتهِ التي يتمسّكُ بها، والعلّةِ في ذلكَ هي أنّه يحدسُ ذاته فعلياً في الأوّلِ. وهذا الذي يرمي بالحقيقِ الذي له، فيجعلُ من نفسه الهدأ (Zum aufgehoben Diesen) المنسوخَ، إنّما يعرضُ بذلكَ فعلياً ككلّيّ؛ إنّهُ يؤوبُ من حقيقه البرانيّ إلى ذاته كماهيّةٍ؛ وعليه فالوعيِ الكلّيّ إنّما يعترفُ نفسَه في ذلكَ. - والغفرانِ الذي يسمحُ هذا الوعيُّ بأنَّ يحصلَ للوعيِ الأوّلِ إنّما هو التنازلُ عنِ الذاتِ وعنِ ماهيتهِ اللاّحاقّةِ التي يضعها على سويّةِ مع ذلكَ الوعيِ الآخرِ الذي كانَ فعلاً حاقّاً، وهو يعترفُ بما كانَ سَميَ شراً بحسبِ التعيّنِ الذي أَسْتفادهِ الفعلُ في الفكرِ أنّه حسنٌ، أو أنّه في الأكثرِ يخلي سبيلَ (Fahren lassen) هذا الفرقِ بينِ الفكرِ المتعيّنِ وبينِ حكمهِ المعيّنِ والكائنِ - لذاتهِ، مثلما يخلي الآخرُ سبيلَ التعيّنِ الكائنِ - لذاتهِ الذي للفعلِ. - ولفظُ المؤالفةِ (Die Versöhnung) إنّما هو الرّوحِ الكائنُ الذي يحدسُ العلمِ المحضِ بذاتهِ كماهيّةِ كليّةٍ في ضدها، في العلمِ المحضِ بالذاتِ كفرديةِ كائنةِ في حدِّ ذاتها على الإطلاقِ، - إنّهُ اعترافٌ متبادلاً هو الرّوحِ المطلقُ.

[441]

فالرُّوحُ المطلق لا يلج الكيان إلا عند هذه القمّة حيث يكون علمه المحض بذاته التقابل والتبادل مع ذاته. إنه إذ يعلم بأنّ علمه المحض إنّما هو الماهيّة المجرّدة، هذا الواجب العالم في تقابلٍ مطلقٍ مع العلم الذي يعلم من حيث هو الفردية المطلقة التي للهو كونه الماهيّة. أمّا ذلك العلم فهو الاتصال المحض الذي للكليّ الذي يعلم أنّ الفردية العارفة بذاتها كماهيّة إنّما هي المتليّس في ذاته، والشّر. وأمّا هذا العلم الثاني فهو الانفصال المطلق الذي يعلم على الإطلاق أنّه في الواحد المحض الذي له، وأنّ هذا الكليّ كاللّاحقيق لا يكون إلاّ للآخرين. والجانبان قد شُرِحَا حتّى هذا الخلوص حيث لم يعد ثمة فيهما أيّ كيانٍ عريٍّ من الهو ولا أيّ سلبيٍّ للوعي، بل هذا الواجب إنّما هو الطبع الذي لا يزال مساوياً لنفسه والذي لعلم الذات بذاتها، وذلك الشّر تكون له كذلك غايته في كونه - داخل - ذاته، وله حقيقه في قوله؛ ومضمون هذا القول إنّما هو جوهر قوامه؛ فهذا القول إنّما هو إقرارٌ إيقانٍ الرُّوح في ذاته. - والرُّوحان الموقنان من نفسيهما ليس لكليهما من غاية سوى الهو المحض الذي لهما، ولا من واقع وكيان سوى هذا الهو المحض حضراً. لكنهما ما زالا متباينين، والتباين إنّما هو تباينٌ مطلق، لأنّه موضوعٌ في هذا الأسطقس الذي للمفهوم المحض. وليس هو بتباينٍ مطلق بالنسبة إلينا 42] وحسب، بل بالنسبة إلى المفاهيم ذاتها التي تقع في ذلك التقابل. ولا ريب أنّ هذه المفاهيم متعيّنة بعضها حيال بعض، لكنّها في الوقت نفسه كليّة في ذاتها على نحو أنّها تُفَعِّم الانبساط التامّ الذي للهو، فلا يكون لهذا الهو من مضمونٍ سوى هذه التعيّنة التي له، فلا تفوّته ولا تكون دونه، والواحدة من هاتين التعيّنتين، الكليّ على الإطلاق، إنّما هي محض علم الذات بذاتها مثلما هي التعيّنة الأخرى، الانفصال المطلق الذي للفردية، وكتاهما ليستا إلاّ هذا العلم المحض بالذات. وعليه فكلتا التعيّنتين هي المفاهيم

الخالصة والعالمة التي تعيُنِيَّتُها في - الحال إتما هي العلم، أو  
 التي ترابطُها وتقابلها إتما هو الأنا. وبذلك فإنما تكون بعضها  
 لبعض هذه المتقابلات على الإطلاق، فذلك هو الباطن التام الذي  
 يواجه بهذا الشكل ذاته، فيكون بصددها ويُدخَلُ الكيان، وهذه  
 المفاهيم هي قوام العلم المحض الذي يوضع من خلال هذا  
 التقابل كوعي. لكنّه ليس بعدُ وعياً - بالذات. وهذا التحقُّقُ إتما  
 يكون له في الحركة التي لهذا التقابل. وهذا التقابل ذاته إتما هو  
 بالأحرى الاتصال المنفصل والتساوي الذي للأنا = الأنا، وكلُّ  
 أنا لذاته إتما ينتسخ في حد ذاته بمعية التناقض الذي لكلّيته  
 الخالصة التي ما زالت تعاندُ في الوقت نفسه تساويه مع الآخر  
 وتفصل عنه. وهذا العلم المنفصم في كيانه إتما يؤوب بمعية هذا  
 التخارج إلى الوحدة التي للهو؛ إنه الأنا الحاق، العلم الكلّي  
 بالذات في ضده المطلق، وفي العلم الكائن - داخل - نفسه الذي  
 يكون هو ذاته بفضل خلوص كونه - داخل - ذاته المفرد كلياً  
 بالتمام. والنعم المؤالفة (Das versöhnende JA) حيث يكون  
 الأنايان في حلّ من كيانهما المتضاد، إتما هي الكيان الذي للأنا  
 والمبسوط حتى الثاني، والأنا في ذلك ما ينفك مساوياً لذاته،  
 وله في تخارجه التام وضده الإيقان من ذاته؛ - إنه الله المظهر بين  
 تلك الأنايات جميعها، وهي التي تعرف أنّها محض علم.

## VII. الدّين

لا ريب أنّنا قد لقينا الدّينَ أيضاً ضمنَ التشكّلات<sup>(1)</sup> التي تباينت بالجملة إلى الآن كوعي ووعي - بالذات وعقل وروح، فحصل من جهة ما هو بعامةٍ وعيٌّ بالمَاهِيَةِ المطلقة؛ وتمّ ذلك فقط من زاوية النظر التي للوعي الذي يعي الماهية المطلقة؛ لكنّ ليست الماهية المطلقة في ذاتها ولذاتها، ولا الوعي - بالذات الذي للروح، ما أظهرَ ضمن تلك الصور.

وبحقّ ما يتصير الوعي من حيث هو ذهنٌ، وعياً بالذي فوق الحسّ، أو بالباطن الذي للكيان الموضوعي. لكنّ الذي فوق الحسّ أو الأزليّ، أو ما شئت فسمّه، إنّما يكون عريّاً من الهو، فلا يكون في أول أمره إلّا الكلّيّ، شتّانَ بينه وبين الرّوح العالم بنفسه كروح. - ثمّ الوعي - بالذات الذي أكتمل في شكل الوعي الشقيّ، فلم يكن إلّا وجع الرّوح الذي يصارع من جديد ويسعى في طلبه الموضوعيّة من دون أن يبلغها. ولذلك الوحدة بين الوعي - بالذات الفرديّ وبين ماهيته غير المتحوّلة، وهي الوحدة التي ينزع إليها هذا الوعي - بالذات، إنّما تظلُّ شأنًا متعالياً

(1) Die Gestaltungen بمعنى التشاكل الجواني بين الأشكال والإظهارات التي للوعي مثلما هي الحال في التشكّل الذي للوعي حيث تتشاكل أظهاراته كإيقان حسّي وإدراك وقوّة وذهن.



(Ein Jenseits) عنه. أما الكيان الذي يكون في - الحال للعقل - وهو الذي نجم بالنسبة إلينا من ذلك الوجد -، وأشكاله الخاصة، فلم يكن لها دين، لأن الوعي - بالذات الذي لها إنما يعرف أنه يكون ويبحث عن نفسه في الحاضر الذي في - الحال.

أما في العالم الإتيقي فقد رأينا ديناً، لاسيما دين العالم السفلي؛ وهذا الدين إنما هو الإيمان بالليل المرعب والمجهول الذي للقدر وبزبانية<sup>(2)</sup> الروح المتصرم، - فأما ذلك الليل فيكون السالبيّة المحض في صورة الكلّيّة، وأما هذه الزبانية فتكون عين السالبيّة في صورة الفرديّة. ولا ريب أن الماهية المطلقة تكون إذاً في هذه الصورة الأخيرة الهو وشيئاً حاضراً، فالهو لا يكون غير ذلك؛ إلا أن الهو الفرديّ يكون هذا الظلّ الفرديّ الذي فصم عنه الكلّيّة التي هي القدر. إنه لا محالة ظلّ، لهذا المنسوخ (Aufgehobner Dieser)، وبذلك هو كليّ؛ لكن تلك [444] الدلالة السالبة ما زالت لم تنقلب إلى هذه الدلالة الموجبة، فلذلك ما زال الهو المنسوخ يعني في الوقت نفسه وفي - الحال هذا الظلّ الجزئيّ والعارى من الوعي. - أما القدر من دون الهو فيظلّ الليل العري من الوعي الذي لم ينته في داخله إلى الاختلاف ولا إلى الوضوح الذي للعلم بالذات.

إن هذا الإيمان بليس (Das Nichts) الضرورة وبالعالم السفليّ يصير إلى الإيمان بالسماء، لأنه لا بدّ للهو المتصرم أن يتحد بكلّيته، ويفتّ فيها ما يحتويه، فيصير من هذا الوجه جلياً لنفسه، لكننا لم نر هذا الملكوت الذي للإيمان يسط مضمونه بلا مفهوم إلا في أسطقس التفكير، فرأيناه إذاً يفوت في قدره، نعني فواته في دين الأنوار. وفي

(2) Die Eumenide، الأومينيدات صفة خرافيّة عوّضت الاسم الأصليّ للإيرينيّات الثلاثة - وهنّ ألكتو وتيزيفون وميغائيرا - وهي آلهة كانت تضرب في الأرض شرقاً وغرباً متعبّة الكفرة بالآلهة والمذنبين، وهي أيضاً زبانية العالم السفليّ.

هذا الدين إنما ينتصب من جديد المتعالي عن الحس الذي للذهن، لكن على نحو أن الوعي - بالذات يظل راضياً بالدنيا، فلا يعلم ما فوق الحس، أي المتعالي الخاوي الذي ما كان ليُعلم ولا ليُرهب، لا بما هو هو ولا بما هو قدرة.

أما الذي أَسْتَعَادَ قِيَامَهُ - في الختام - ضمنَ دين الأخلاقية فهو أن الماهية المطلقة أصبحت مضموناً موجِباً، لكنّه مضمونٌ متحدٌ بسالبية الأنوار. وهذا المضمون إنما هو كينونةٌ مستردّةٌ في الهو بقدر ما تظلُّ منغلقةً فيه، فيكون هذا المضمون أيضاً مضموناً منفرداً (Ein unterschiedner Inhalt) تُلغى أجزاءه في - الحال ما إن توضع في - الحال. أما القدر الذي تنغمس فيه هذه الحركة المتناقضة، فإنما يكون الهو الواعي بنفسه من جهة ما هو قدرُ الأيسية والحقيق.

أما الرّوحُ العالمُ بذاته فإنه يكون في - الحال ضمنَ الدين الوعي - بالذات المحض والخاصّ به. وأشكال عين الرّوح التي أولينا النظر فيها، أعني الرّوح الصادق والرّوح المغترب ذاتياً والرّوح الموقن من ذاته -، إنما تقيمه جميعاً في الوعي الذي له، وهو الوعي الذي لا يعرف ذاته في عالمه من بعد أن قابله. أما في الإيقان الأخلاقيّ فذلك الرّوح إنما يُخضع بالجملة عالمه الموضوعيّ مثلما يخضع تصوّره ومفاهيمه المتعيّنة، فيصبحُ مذاكُ وعياً - بالذات كائناً لدن ذاته. والرّوح ضمنَ هذا الوعي إنما تكون له لذاته، إذ يُتصوّر موضوعاً، دلالة كونه الرّوح الكلّي الذي ينطوي في حد ذاته على كلّ ماهيةٍ وحقيقٍ؛ لكنّه لا يكون على صورة الحقيق الحرّ أو الطبيعة المظّهرة التي تقوم برأسها. وهذا [45] الرّوح يكون له لا محالةً شكلاً، أو تكون له صورة الكينونة ما دام موضوعاً لوعيه، لكنّ لما كان هذا الوعي يوضع ضمنَ الدين على تعين جوهريّ هو كونه وعياً - بالذات، فإنّ الشكل يكون لذاته شفيفاً تاماً؛ أما الحقيق الذي يتضمّنه الرّوح فيكونُ محبوساً فيه،

أو يكون منسوخاً فيه على حدة، تماماً كعند قولنا «كلّ حقيق»؛  
فهذا حقيقٌ مفتكّرٌ وكلّيٌّ.

وعليه فما دام تعيّن الوعي الذي يختصُّ به الرّوح لا تكون له في الدين صورة الكون المتغير الحرّ، فإنّ الكيان الذي للرّوح مختلفٌ عن وعيه - بالذات، وحقيقه الخصوصيُّ يقع خارج الدين؛ وبحقّ ما يكون روحاً واحداً في كليهما، لكنّ وعيه لا يحيط بهما مرّة واحدة، فيظنّ الدين كأنه شطرٌ من الكيان والأفعال والأعمال، في حين يكون الشطر الآخر الحياة في عالمها الحاقّ. وما دمنا نعلم الآن أنّ الرّوح في عالمه والرّوح الواعي بذاته كروح أو الرّوح في الدين، إنّما تعني الشيء نفسه، فإنّ اكتمال الدين يقوم على كون هذا وذاك يصيران سيّين، يغلّد أحدهما الآخر، ولا يعني ذلك أنّ يكون الدين أدرك حقيق الرّوح وحسب، بل - على العكس - أنّ يصير هذا الرّوح بما هو روح واع بذاته حاقّاً وموضوعاً لوعيه. - فالرّوح من حيث يتصوّر ذاته بذاته (Sich ihm vorstellt) في الدين إنّما يكون وعياً بلا ربّ، والحقيق المنحبس في الدين إنّما يكون الشكل واللباس اللذين لتصوّره. ولكنّ الحقيق لا تحصل له في ذلك التصوّر كفاية حقّه، أعني كونه ليس مجرد لباس، بل كياناً حرّاً قائماً بنفسه، ولما كان التمام يعوز ذلك الحقيق في حدّ ذاته، فإنّه يكون على العكس شكلاً متعيّناً لا يبلغ ما ينبغي عليه بيانه، ولاسيما الرّوح الواعي - بذاته. ولكي يعبر شكل الرّوح عنه في حدّ ذاته، كان يكون من اللازم ألاّ يخالف ذلك الشكل ما هو الرّوح، كما كان يكون من اللازم أنّ يكون الرّوح أظهر لنفسه، أو يكون حاقّاً من ذلك الوجه، كما يكون في ماهيته. من ذلك الوجه وحده كنا نكون بلغنا أيضاً ما قد يظهر على أنّه اقتضاء الضدّ، أعني أنّ موضوع وعي الرّوح تكون له في الوقت نفسه صورة الحقيق الحرّ؛ أمّا الرّوح الذي يكون لنفسه من جهة ما هو روحٌ مطلقٌ، موضوعاً،

فهو وحدَه الذي يكون لنفسه حقيقةً حرّاً بقدر ما يظلّ ضمنَ ذلك الموضوع واعياً بذاته.

[446] ما دامَ قد تمّ في بادئ الأمر تمييز الوعي - بالذات من الوعي بخاصة، والدين من الروح في عالمه، أو الكيان الذي للروح، فإنّ هذا الكيان الذي للروح إنّما يقيم الكلّ الذي للروح من جهة أنّ لحظاته تعرضُ كمنفصلة بعضها عن بعض، فتعرض كلُّ لحظة لذاتها. أمّا اللّحظات فهي الوعي والوعي - بالذات والعقل والروح؛ - أعني على التدقيق الروح الذي ما زال من حيث هو روحٌ في - الحال لم يتصيّر الوعي الذي للروح. ووحدها جملةً تلك اللّحظات إذ تدركُ محصّلةً (Zusammengefaßte Totalität) هي التي تمثّل بعامة الروح في كيانه العالَميِّ (In seinem weltlichen Dasein) فالروح من حيث هو كذلك إنّما يشتمل على التشكّلات التي عرضت إلى الآن وفق التعيّنات الكلّيّة، أي على اللّحظات التي ذكرنا للتوّ. أمّا الدينُ يفترضُ سارَ المجرى (Der Ablauf) الذي لعين اللّحظات، فيكون جمليتها البسيطة، أو الهو المطلق الذي لها. - وزائداً إلى ذلك أنّ أجتياّب (Der Verlauf) تلك اللّحظات من حيث صلّتها بالدين، لا ينبغي تصوّره في الزمان. والروح بجملته هو وحدَه الذي يكون في الزمان، أمّا الأشكال التي هي أشكال الروح برمته من حيث هو كذلك، فإنّما تعرضُ على تعاقب؛ ذلك أنّ الكلّ وحدَه هو الذي يكون له حقيقةً بخاصة، فتكون له إذا صورة الحرّية المحض بإزاء غيره، وهذه الصورة هي التي عبارتها الزمان. أمّا اللّحظات التي لعين الكلّ، أعني الوعي والوعي - بالذات والعقل والروح، فلا لحظة منها - ما دامت لحظاتٍ - يكون لها كيانٌ متميّز من الأخرى. - ومثلما تمّ تمييز الروح من لحظاته، يلزم ثالثاً تمييز هذه اللّحظات نفسها من تحديدها المتعيّن. لقد رأينا كلّ لحظة من هذه اللّحظات تختلف من جديد في حدّ ذاتها وفق مجرى خاصّ،

ثم تتشكّل أشكالاً متنوّعة؛ ومثاله الوعي أين تباينَ الإيقانِ الحسيّ والإدراكِ الحسيّ. وهذه الوجوه الأخيرة إنّما تنفصل في الزمان، وتنتسب إلى كلِّ جزئيٍّ. - فالرّوح إنّما ينزلُ عبرَ التعيّن من كليّته إلى الفرديّة. والتعيّن أو الحدّ الأوسط إنّما يكون الوعي، والوعي - بالذات إلخ. أمّا الذي يقيمُ الفرديّة فهي أشكالُ تلك اللّحظات. فلذلك تعرض تلك اللّحظات الرّوح على فرديّته أو حقيقه، فتتباينُ في الزمان، لكن من وجهٍ أنّ الشكل اللاحقَ يحفظ بين جنبيه الأشكالَ الفائتة.

وعليه إذا كان الدينُ تمامَ الرّوح أين توجب اللّحظات الفرديّة التي لعيّن الرّوح - أعني الوعي والوعي - بالذات والعقل والرّوح - [447] وتكون آبتْ أوبتها إلى عمادها، فهذه اللّحظات إنّما تمثّل مجتمعةً الحقيق الكائن الذي للرّوح برمته، وهذا الرّوح لا يكون إلّا الحركة المباينة والآيبة إلى ذاتها التي لجوانبه تلك. وصيرورة الدين بعامة إنّما تكون متضمّنة في الحركة التي للّحظات الكليّة. ولكن من جهة أنّ كلّ محمول من هذه المحمولات قد عُرضَ لا من حيث يتعيّن بالجملة وحسب، بل من حيث يكون في ذاته ولذاته، أي من حيث يترسّل في حدّ ذاته ككلّ، فإنّ الذي نجم بذلك ليست صيرورة الدين بعامةً وحسب، بل هذه المُسريّات التامة التي للجوانب الفرديّة إنّما تتضمّن في الوقت نفسه تعيّنات الدين ذاته. والرّوح برمته، [أو] الرّوح الذي للدين، إنّما يكون من جديد الحركة التي يترسّل فيها من حالّيته حتّى يبلغ العلم بما هو في ذاته أو ما هو في - الحال، ويحصل مضاهاة الشكل الذي يظهر فيه لوعيه مضاهاة تامة لماهيته، فيحدس ذاته كما يكون. - وعليه فهذا الرّوح في هذه الصيرورة إنّما يكون في أشكالٍ متعيّنة هي التي تقيم اختلافات هذه الحركة؛ وبذلك فالدين المتعيّن يكون له أيضاً في الوقت نفسه روحٌ متعيّنٌ وحاقٌ. وعليه فإذا كان الوعي والوعي - بالذات والعقل والرّوح تنتمي بالجملة إلى الرّوح العالم

بنفسه، فإنّ الصور المتعيّنة التي ربّت ضمن الوعي والوعي - بالذات والعقل والروح ونمت في كلّ من هذه من وجهٍ جزئيّ، إنّما تنتمي إلى الأشكال المتعيّنة التي للروح العالم بذاته. أمّا الشكل المتعيّن للدين فإنّما ينتزِع من الأشكال التي لكلّ لحظة من تلك اللحظات التي للروح ما يناظره لأجل روحه الحاقّ. والتعيّنة الواحدة التي للدين إنّما تنفِذ في كلّ جوانب كيانه الحاقّ، ثمّ تطبعها بهذا الطابع المشترك.

كذا تنتظم الآن الأشكال التي كانت هلّت إلى هذا الحين، وترتّب على نحوٍ مغاير لما كانت أظهرت عليه ضمن سلسلتها، وذلك ما يجب فيه بعد أن نوجز في الإشارة مسبقاً إلى لوازمه. - كلّ لحظة من السلسلة التي تفحصنا إنّما كانت تكوّنت إذ تتجذّر في نفسها، في هيئة كلّ ضمن المبدإ الذي تختصّ به؛ والمعرفة إنّما كانت العمق، أو الروح أين كان لتلك اللحظات - وهي التي تعدّم لذاتها القوام - جوهرها. أمّا هذا الجوهر فقد خرج مذاك [448] عمّا كان عليه؛ إنّ عمق الروح الموقن من نفسه الذي لا يجرى للمبدإ الفرديّ أن ينزل فيقوم في ذاته مقام الكلّ، بل هذا الجوهر إذ يضمّ في ذاته تلك اللحظات فيحفظ بها مجمعةً، إنّما يترسّل في جملة هذا الثراء الذي للروح الحاقّ، واللحظات الجزئية التي لهذا الروح إنّما تتخذ وتستفيد مشتركة عين التعيّن التي للكل. - فهذا الروح الموقن من نفسه وحركته إنّما هما الحقيق الصادق الذي لتلك اللحظات، وهما الكينونة في ذاتها ولذاتها التي ترجع إلى كلّ لحظةٍ فرديّة. - وعليه إذا كانت السلسلة الواحدة الحادثة حدّ الآن تشير في ربّوها إلى الارتدادات (Die Rückgänge) التي تحضّل فيها بواسطة معاقد (Durch Knoten)، لكنّها كانت تستأنف الترسل انطلاقاً منها في شكل امتدادٍ خطّيّ، فإنّها من هذا الوجه تكون على التحقيق متكسرة عند تلك المعاقد، أي عند اللحظات الكلّية، ومفكّكة إلى خطوط متكرّرة، وهذه الخطوط إذ تضمّ في

حزمة إنما تجتمع في ذات الحين متناظرةً على نحو أن الفروق المتساوية أين يتشكل كلُّ خطٍّ جزئيٍّ داخل ذاته، إنما تتلاقى. - وزائداً إلى هذا أنه بيّن بنفسه من خلال هذا التقديم بجملته كيف ينبغي فهمُ أنظام (Beiordnung) الوجيهات الكلّية المعروض هاهنا، حتّى إنّه يكون من غير اللازم الإشارةُ إلى أنّه يجب دَرُكُ تلك الفروق بالجواهر من جهة ما هي لحظاتٌ صيرورةٌ وحسب، لا كأجزاء؛ فتلك الفروق إنما تكون في الرّوح الحاقّ الصفاتِ التي لجوهره؛ أمّا في الدين فلا تكون بالأحرى إلاّ محمولاتِ الذات. - كذلك تكون كلُّ الأشكال بالجملة في ذاتها أو بالنسبة إلينا متضمّنةً فعلاً في الرّوح وفي كلِّ روح؛ لكنّ الأولى بالنظر في ما يتعلّق بحقيقِ هذا الرّوح بعامةٍ إنّما هو معرفة أيّ تعينيّة تكون عنده في وعيه، وفي أيّ تعينيّة يُعبّر عن الهو الذي له، أو في أيّ شكلٍ يعلمُ ماهيّةه.

أما الفرقُ الذي أوتي ما بين الرّوح الحاقّ وبين الرّوح الذي يعلم نفسه كروح، أو ما بين ذاته كوعي وبينها كوعي - بالذات، فإنّما قد نُسخَ في الرّوح الذي يعلم نفسه على الحقيقة، فوعيه ووعيه - بالذات إنّما قد تظاهريا (Sind ausgeglichen). لكنّ ذلك الفرق ما زال لم يؤبّ إلى الرّوح من جهة أنّ الدين في أوّله يكون هاهنا في - الحال. ذلك أنّه لم يُوضَعُ إلاّ مفهومُ الدين؛ والماهيةُ إنّما تكون في هذا المفهوم الوعيّ - بالذات الذي يكون لذاته كلّ حقيقةٍ ويتضمّنُ في هذه الحقيقة كلّما حقيقٍ. وهذا الوعي - بالذات إنّما تكون له، من جهة أنّه وعيٌّ، ذاته موضوعاً؛ وعليه فالرّوحُ الذي يعلم ذاته أولاً في - الحال، إنّما يكون لنفسه روحاً على صورة الحالّية، وتعينيّة الشكل أين يظهرُ إنّما تكون التعينيّة التي للكينونة. أمّا هذه الكينونة فلا يُفعمُّها لا الإحساسُ أو الهيولى المتكرّرة، ولا لحظاتٌ أخرى وغاياتٌ وتعيينات أحاديّة، بل يُفعمُّها الرّوحُ، فتصير واعيةً بنفسها كأنّ بكلِّ حقيقةٍ وحقيقٍ.

[449]

وبهذا النحو لا يعدلُ هذا الإفعامُ (Die Erfüllung) شكله، ولا الروحُ بما هو ماهيةٌ يعدلُ وعيه، فالروحُ لا يكون حاقاً كروح مطلقٍ إلا من حيث يكونُ لنفسه على حقيقته أيضاً كما يكون في إيقانه من نفسه، أو من حيث إنَّ الأطراف التي ينفصمُ فيها كوعي تكون بعضها لبعض في شكل روح (In Geistsgestalt). والتشكُّلُ الذي يتخذه الروحُ بما هو موضوعٌ وعيه إنما يظلُّ مُفعماً بإيقان الروح كما بالجواهر؛ أمّا كَوْنُ الموضوع اختفض إلى موضوعية محض وصوره السالبة التي للوعي - بالذات، فإنما يزول من خلال ذلك المضمون. وأتحد الروح الذي في - الحال بذاته إنما يكون العماد أو الوعي المحض الذي يتفكك الوعي داخله. والروح إذ ينحبس من هذا الوجه في وعيه - بالذات الخالص لا يوجد في الدين كخالقٍ لطبيعة ما بعامة، بل ما يُنتجُه في هذه الحركة إنما هي أشكاله بما هي أرواح، وهذه مجتمعة إنما تقيمُ اكتمالَ ظاهريته، وهذه الحركة نفسها تكون صيرورة حقيقه الكامل من خلال الجوانب الفردية التي لعين الحقيقي، أو من خلال هذه الحقاقت الناقصة.

أمّا الحقيقي الأول الذي لعين الروح فإنما يكون مفهوم الدين ذاته، أو الدين بما هو في - الحال، إذا الدين الطبيعي؛ فالروح ضمن هذا الدين إنما يعلم نفسه كموضوع نفسه في شكل طبيعي أو حالي. وأمّا الحقيقي الثاني فيكون بالضرورة الحقيقي الذي يعلم فيه الروح ذاته على شكل الطبيعية المنسوخة أو شكل الهو. وهذا الحقيقي هو إذا دين الفن (Die künstliche Religion)، لأنَّ الشكل إنما يترقى من خلال إنتاج الوعي إلى صورة الهو، وهو إنتاج يحدث بمعيته الوعي - ضمن موضوعه - فعله الخاص أو الهو. وأمّا الحقيقي الثالث - في الختام - فينسوخ الأحادية التي للحقيقتين [450] الأولين معاً؛ فالهو إنما يكون حالياً بقدر ما تكونُ الحاليتُ الهو. وإذا كان الروح بالجملة في الحقيقي الأول على صورة الوعي،



وكان في الثاني على صورة الوعي - بالذات، فإنه يكون في الثالث على صورة الوحدة بينهما؛ فالرّوح يكون له شكل الكون في - ذاته ولذاته؛ أمّا من جهة أنه متصوّرٌ إذاً كما هو في ذاته ولذاته، فذلك إنّما هو الدينُ الظاهرُ (Die offenbare Religion). وعلى الرّغم من أنّ الرّوح يكون قد بلغ فعلاً في هذا الدين شكله الصادق، فإنّ الشكل نفسه والتصوّر ما زال أيضاً الوجه اللامتجاوز الذي لا بدّ للرّوح أن يمرّ منه إلى المفهوم وفيه، لكي يفتّ تماماً صورة الموضوعيّة التي فيه، وهو الذي يحتوي كذلك بين جنبه هذا الضدّ الذي له. عندئذ يكون الرّوح أدرك المفهوم الذي لذاته كما كنا ألمنا به في أوّل الأمر وحسب، أمّا شكله أو الأسطقس الذي لكيانه فإنّما يكون - من جهة أنّ هذا الشكل هو المفهوم - الرّوح ذاته.

## I. الدين الطبيعيّ

الرّوح العالمُ بالرّوح إنّما هو الوعيّ بنفسه، ويكون لنفسه على صورة الموضوعيّة، أي إنه يكون؛ وهو في ذات الحين الكون - لذاته. إنه يكون لذاته، وهو وجه الوعي - بالذات، ويكوّنه لا محالة بإزاء جانب وعيه، أو جانب الارتباط بالذات من جهة ما هي موضوع. والتضادّ إنّما حاصلٌ في وعيه، فتحصل بذلك تعينيّة الشكل الذي يظّهر فيه ويعلم ذاته. والأمر يتعلّق بهذه التعينيّة رأساً في هذا التفحص للدين، لأنّ ماهيته اللامتشكّلة، أو مفهومه المحض قد أنفّسر (Sich ergeben) بعدد. لكنّ الفرق ما بين الوعي والوعي - بالذات إنّما يقع في الوقت نفسه داخل هذا الأخير؛ وشكل الدين لا يتضمّن كيان الرّوح كما يكون طبيعة في حلّ من الفكر، ولا كما يكون فكراً في حلّ من الكيان؛ بل ذلك الشكل إنّما هو الكيان المحفوظ في التفكير، مثلما يكون مفتكراً يقوم لنفسه هنا. - فالدين إنّما يختلف عن دين آخر وفق التعينيّة

التي لذلك الشكل حيث يعلم الرّوح ذاته؛ لكنّ ما تنبغي الإشارة إليه في الوقت ذاته هو أنّ بيانَ هذا العلم بالذات الذي يكون له بحسب تلك التعيّنة الفرديّة لا يستغرق بالفعل الكلّ الذي لدينٍ حاقّ. وسلسلة الأديان المتنوّعة التي ستبين، إنّما تفسّر فقط [451] الجوانب المتنوّعة التي لدينٍ أوحدٍ، نعني أيّ دينٍ بعينه، والتصوّرات التي ظاهرها الممايزة بين دين حاقّ وبين آخر إنّما تمثّل ضمن كلّ دين. ولكن يجب في الوقت ذاته اعتبار التنوّع أيضاً من وجه تنوّع الدين. وما دام الرّوح يحصل في الفرق بين وعيه وبين وعيه - بالذات، فالحركة إنّما ترمي إلى نسخ ذلك الفرق الرئيسيّ، وإعطاء الشكل الذي هو موضوع الوعي صورةً الوعي - بالذات؛ لكنّ ذلك الفرق لا يكون منسوخاً حقّاً من جهة أنّ الأشكال التي يتضمّنّها ذلك الوعي تنطوي في حدّ ذاتها على لحظة الهو، وأنّ الله يتصوّر من جهة ما هو وعي - بالذات. فالهو المتصوّر ليس بالهو الحاقّ. ولكي يتسبب هذا الهو، مثله مثل أيّ تعيين أدقّ للشكل، إلى هذا الشكل على الحقيقة، لا بدّ أن يوضع من ناحية في ذلك الشكل عبر فعل الوعي - بالذات، ولا بدّ من ناحية أخرى أن يُنسخ التعيين الأدنى فيفسّر كونه فهم من قبل التعيين الأعلى. والمتصوّر لا يكفّ عن كونه متصوّراً وغريباً عن معرفته إلّا من حيث يكون الهو من أنتجته، فيحدس تعيين الموضوع كأنه التعيين الذي له، ويحدس بذلك نفسه فيه. - والتعيين الأدنى إنّما يزول في الوقت ذاته بمعيتة هذا النشاط، لأنّ الفعل هو السلبّي الذي ينجز على حساب مغاير؛ فأما إذا عرض التعيين الأدنى من جديد، فإنّه يُردّ إلى مصاف ما لا شأن له (In die Unwesentlichkeit zurückgetreten)؛ وأما متى يظلّ التعيين الأدنى - على العكس - يرأس، لكن يحصل معه التعيين الأعلى، فإنّ كلّاً منهما يتحيّز في جوار الآخر عارياً من الهو. ولذلك إذا أبانت بالفعل التصوّرات المتنوّعة داخل دين بعينه جملة الحركة

التي لصوره، فإن الطابع الذي لكل صورة منها يكون مقيداً بمعية الوحدة الجزئية بين الوعي والوعي - بالذات، أي من حيث إن هذا الوعي الأخير يكون أحاط في دخيلته بتعيين موضوع الوعي الأول، ثم تملكه تماماً عبر فعله الخاص وعلم أنه التعيين الجوهري بالنظر إلى التعيينات الأخرى. - أما حقيقة الإيمان بتعيين ما للروح الديني فإنها تظهر من جهة أن الروح الحاق يكون على مثل الصفة (So beschaffen ist wie..) التي للشكل الذي يحدث فيه [452] هذا الروح ذاته في الدين، - كما أنسنة الله - على سبيل المثال - التي تحصل في الديانة الشرقية، تعدم كل حقيقة، لأن روحها الحاق يكون عارياً من ذلك الائتلاف. - وليس يلزم هذا الموضع أن نرجع القهقري من جملة التعيينات إلى التعيين الفردي فنظهر على أي شكل تكون الجملة التامة للتعينات المتبقية متضمنة داخل ذلك التعيين والدين الجزئي الذي له. والصورة الأرفع إذ تدرج ضمن الصورة الأدنى، إنما تخسر دلالتها بالنسبة إلى الروح الواعي - بذاته، فلا تنتسب إليه وإلى تصوّره إلا من وجه سطحي. وينبغي تعقب الفحص عن تلك الصورة الأرفع في الدلالة التي تختص بها وأين تكون المبدأ لهذا الدين الجزئي ويتم تصديقها بمعية روحه الحاق.

### أ. الماهية النورانية<sup>(3)</sup>

إن الروح بما هو الماهية التي تكون وعياً - بالذات، - أو الماهية الواعية - بذاتها التي تكون كل حقيقة وتعلم كل حقيق علمها بنفسها، لا يكون في بادئ الأمر بإزاء الواقع الذي يتعطاه في حركة وعيه إلا مفهومه، وهذا المفهوم إنما يكون حيال النهار

(3) Das Lichtwesen، بمعنى الماهية المشبعة والمحيطة نوراً، وهي كما سيبين واقعة جوانية وليلية تنزع إلى التعيين والانبساط في وضع النهار. إنها ديانة النور الفارسية.

الذي لهذا الانبساط ليلَ ماهيته، أما حيال كيان لحظاته بما هي أشكال قائمة برأسها، فإنما يكون اللغز الخالق لمولده. وهذا اللغز إنما يشتمل في حد ذاته على انكشافه (Seine Offenbarung)؛ فالكيان يكون له وجوده في ذلك المفهوم، لأن المفهوم إنما هو الروح العالم بنفسه، وتكون له إذاً في ماهيته لحظة كونه وعياً وتصوّر ذاته من وجه موضوعي. - إنه الأنا المحض من يكون له في تخارجه، أي ينطوي في حد ذاته بما هو موضوع كلي، على الإيقان من ذاته، أو هذا الموضوع إنما يكون بالنسبة إليه التناقد بين كل تفكير وكلّ حقيق.

إنّ شكلَ الروح المطلق العالم بنفسه يكون له ضمن الانقسام الأوّل الذي في - الحال هذا التعيين الذي يرجع إلى الوعي الذي في - الحال، أو إلى الإيقان الحسيّ. وهذا الروح يحدث نفسه على صورة الكينونة، لا الكينونة العريّة من الروح والمفعمة بتعيينات الإحساس العرضيّة والتي تنتمي إلى الإيقان الحسيّ، بل هذا الروح إنما هو الكينونة المفعمّة روحاً. وهذه الكينونة إنما تحصر (Schließt in sich..) كذلك بين جنبئها الصورة التي كانت حصلت عند الوعي - بالذات الذي في - الحال، صورة الرئيس حيال الوعي - بالذات الذي للروح إذ يرتدّ عن موضوعه. وعليه فهذه الكينونة المفعمّة بمفهوم الروح إنما تكون الشكل الذي للاتصال البسيط للروح بنفسه، أو الشكل الذي لانعدام الشكل (Gestaltlosigkeit)؛ فهذا الشكل يكون بفضل هذا التعيين ماهية الفجر النورانية المحض التي تتضمّن وتُفعم كلّ شيء، فندوم ضمن جوهريتها العريّة من الصورة. أما كونها المغاير فيكون بدوره السلبيّ البسيط أيضاً، أي الظلمة (Die Finsternis)؛ وأما الحركات التي لتخارجها الخاصّ وخلانقها ضمن العنصر الطيع الذي لكونها المغاير فإنما تكون سيول نور (Lichtgüsse)، وتكون في ذات الحين استحالة تلك الماهية لذاتها وإيابها من كيانها ودُفقات

النار (Feuerströme) التي تأكلُ التشكّلَ. أمّا الفرق الذي تتعّطاه هذه الماهية النورانية فيربو بالفعل في الجوهر الذي للكيان ويتشكّل في صور الطبيعة؛ لكنّ البساطة الجوهرية التي لتفكيرها إنّما تطوف في هذه الصور ضالّةً بلا قرارٍ ولا دَهْنٍ، فتبسّط حدودها إلى ما لا قيس فيه، ثمّ تحلّ جمالها المرفوع إلى البهاء في الجلال الذي لها.

ولذلك يكونُ المضمونُ الذي تنميه تلك الكينونة المحض، أو الدركُ الذي لها، لعباً عريّاً من الماهية حذو ذلك الجوهر الذي يسبّزغ (Aufgeht) وحسب، من دون أن يغرب (Niederzugehen) في ذاته، فيستحيل ذاتاً ويرسخ فروقه بمعية الهو. والتعيينات التي لهذا الجوهر لا تكون إلا صفاتٍ لا تربو إلى القيام الذاتي، بل تظلّ مجرد أسماء للواحد ذي الأسماء المتكثّرة. وهذا الواحد يكون مدثراً بالقوى المتنوّعة التي للكيان كما بأشكال الحقيق كأنّ بزينة عريّة من الهو؛ وهذه القوى والأشكال ليست إلا رُسل قدرته الذين تُعوزهم الإرادة الخاصّة، والتحديد في رياسته والتسييح بحمده.

لكن لا بدّ أن تتعيّن هذه الحياة المترنّحة وتتيقّد بالكون - لذاته، فتهدّب أشكالها المضمحلّة قواماً ورسوخاً. أمّا الكينونة التي في - الحال التي تواجه فيها تلك الحياة وعيها فإنّما هي القدرة النافية التي تحلّ فروقها. وعليه فهذه الكينونة إنّما هي على الحقيقة الهو؛ والروح إنّما يمرّ لهذه العلة إلى العلم بنفسه على صورة الهو. [454] والثور المحض إنّما ينشر بساطته كلامتاه من الصور، ويهب نفسه ضحيّة للكون - لذاته لكي يتخذ الفرديّ عند الجوهر الذي له قواماً ودواماً.

## ب. النبات والحيوان

إنّ الروح الواعي - بذاته الذي مضى في ذاته انطلاقاً من

الماهية العرية من الروح، أو حالته التي رُفعت بالجملة إلى الهو، إنما يعين بساطته كتكثير للكون - لذاته، فيمسي ديانة الإدراك الروحي حيث ينقسم هذا الروح إلى كثرة (Die zahllose Vielheit) لا تُحصى من الأرواح الأكثر شدة أو ضعفاً وثراءً أو مفقرةً. وهذه الحلولية (Dieser Pantheismus) إنما تؤول من بعد أن كانت في أولها الدوام الهادي لتلك الذرات الروحية، في حد ذاتها إلى حركة عدائية؛ فبراءة ديانة الأزهار (Blumenreligion) التي ليست هي إلا التصور العري من الهو للهو، إنما تمر إلى جادة الحياة الصراعية وخطية ديانة الحيوان، وسكون الفردية المتأملة وعجزها إنما يمران إلى الكون - لذاته المقوض. - ولا طائل من انتزاع موت التجريد من أشياء الإدراك الحسي ورفعها إلى مصاف ماهيات الإدراك الروحي؛ أما تنفس (Die Beseelung) هذا الملكوت من الأرواح فيشتمل على الموت عبر التعينية والسالية اللتين تطغيان على السياتية البرية التي لعين الأرواح. وبهما<sup>(4)</sup> يصير الشتات ضمن تكثر الأشكال النباتية الساكنة حركة عدائية أين تُفنيها الكراهية التي لكونها - لذاتها. - أما الوعي - بالذات الحاق الذي لهذا الروح المتشتت فإنما يكون زمرة من أرواح الشعوب المفردة وغير المستأنسة، وهي شعوب تتقاتل في كراهيتها حد الموت، فتصير واعية بالأشكال الحيوانية كأن بماهيتها، فليست هذه الشعوب إلا أرواحاً حيوانية وحيوات حيوانية منفردة وواعية بنفسها من دون كلية.

لكن تعينية الكون - لذاته السلبى التي تكون على نحو خالص إنما تفنى في تلك الكراهية، والروح إنما يلج عبر هذه الحركة التي للمفهوم شكلاً آخر، فالكون - لذاته المنسوخ يكون صورة الموضوع التي يُنتجها الهو، أو التي تكون بالأحرى الهو

(4) أي بالتعينة والسالية.

[455] المنتَج والفاني، أي الهو المُسْتَشْيِيء. ولذلك يحفظ العامل اليد الطُولَى (Die Oberhand) على الأرواح الحيوانية التي ليس لها إلا أن يأكل بعضها بعضاً، وفعلُهُ ليس سالباً وحسب، بل مسكُنٌ وموجِبٌ. وعليه فوعي الرّوح يمسي مذكاً الحركة التي تجاوزُ الكونَ - في - ذاته الذي في - الحال مثلما الكونَ - لذاته المجردَ. وما دام الفي - ذاته قد أنزلَ عبر التقابل إلى تعينية ما، فإنه لم يعد الصورة الخاصة بالرّوح المطلق، بل هو حقيقٌ يلقاه وعي الرّوح بين جنبه متضاداً مع ذاته ككيانٍ جمهوريٍّ فينسخه، وهذه الصورة ليست أيضاً هذا الكون - لذاته الناسخ وحسب، بل تُنتجُ التّصوّر الذي لهذا الرّوح والكون - لذاته المُخرَج<sup>(5)</sup> على صورة موضوع. وهذا الإنتاجُ مع أنّه لا يزال ناقصاً إنّما هو نشاطٌ موقوفٌ على شيءٍ<sup>(6)</sup> وتصويرٌ لما هو ماثلٌ.

### ج. صانع الأثر<sup>(7)</sup>

إذا الرّوح إنّما يظهُرُ هاهنا من جهة ما هو صانع الأثر؛ وصنيعه الذي يتتجّج هو نفسه فيه كموضوع، لكن من دون أن يدرك فكرة ذاته، إنّما يكون عملاً غريزياً مثلما يبني النحلُ نخاريه.

ولما كانت الصورة الأولى الصورة التي في - الحال، فإنّما تكون الصورة المجردة للذهن، والرّوح ما زال لم يُفعم الأثر في حد ذاته؛ فزجاج الأهرامات والنُصب العمودية والروابط البسيطة للخطوط العمودية المضافة إلى سطوح مستوية وعلاقات متساوية

(5) Herausgesetzte، على معنى الخراج والإخراج.

(6) Bedingte Tätigkeit، النشاط الذي يعنيه هيغل هاهنا لا يخرج على فلك الاستشياء الذي تبه على سبيله أعلاه (Bedingung - Ding - Dingheit)، فلذلك ليس هو بنشاط موقوف على شرائط عامة، بل نشاط محكوم بمثولٍ ماثلٍ له صفة الشيء، وهذه التشيئة تطال جميع الخراج.

(7) Der Werkmeister، صانع الأثر الذي يكون الأثر آيةً عليه (Das Werk lobt den Meister).

بين الأجزاء، تلك هي الأعمال التي لصانع الأثر ذاك من جهة ما هو صانع الصورة الصارمة. ولا تعدلُ هذه الصورة دلالتها في حد ذاتها، ولا تكون الهو الروحيّ بسبب المذهونية (Die Verständigkeit) البسيطة التي لها. بالتالي ليس للآثار إلا أن تستفيد الرّوح؛ فإما تستفيدة في داخلها كروح متصرّم وغريب قد أهمل تنافذه الحيّ مع الحقيق، فيحلُّ هو نفسه مَيّتاً في هذا الزجاج الذي ارتفعت عنه الحياة، - أو تتصل به برّائياً كأن بشيء يوجد هو نفسه برّائياً فلا يكون كروح -، فترتبط به كأن بالتور البازغ الذي يعكس عليها دلّاته.

[456] إن الانفصال الذي يبتدئ منه الرّوح العامل، أعني انفصال الكون - في - ذاته الذي صار المادّة التي يشتغل عليها والكون - لذاته الذي يمثل جانب الوعي - بالذات العامل، إنّما صار للرّوح موضوعياً في أثره. ولا بدّ للرّوح أن يلتمس في جهده اللاحق نسخ ذلك الانفصال بين النفس والجسد، فيلبس تلك النفس ويشكلها ممّا أوتيت في حد ذاتها، ويحيي هذا الجسد ويُنفسه. والجانبان كلاهما من حيث هما يتجاوران إنّما يحفظ كل واحد منهما حيال الآخر تعيّن الرّوح المتصورّ وغطاءه الذي يحيط به؛ فأتحد الرّوح بذاته إنّما يتضمّن هذا التقابل بين الفردية وبين الكلّية. وبينا يدنو الأثر من ذاته ضمن جوانبه، يحدث في الوقت ذاته دنوه الآخر من الوعي - بالذات العامل، فينتهي هذا الوعي - بالذات في الأثر إلى العلم بنفسه كما يكون في ذاته ولذاته. ولكن من هذا الوجه لا يمثل الأثر في أول أمره إلا الجانب المجرد لنشاط الرّوح، فهذا النشاط ما زال لا يعلم مضمونه في حد ذاته، بل يعلمه عند (An) أثره الذي يكون شيئاً. وصانع الأثر نفسه، أي جملة الرّوح، ما زال لم يظهر، وإنّما يكون الماهية الخفية التي لا تزال باطنة، وهذه الماهية من جهة ما هي كلٌّ إنّما تمثّل مفككة إلى وعي - بالذات فعّالٍ وموضوعه الناتج.



وعليه فصانع الأثر إنّما يشتغل على الدار المحيطة (Die umgebende Behausung)، أي الحقيق البرّاني الذي لا يُرْفَع أولاً إلّا في الصورة المجرّدة التي للذهن حتّى يجعل منها صورة أكثر تنفّساً. وهو يستعمل في ذلك حياة النبات التي لم تعد مقدّسة مثلما كانت من قبل في الحلوليّة العاجزة، بل يأخذها وهو الذي يدرك نفسه كالماهية الكائنة - لذاتها، مأخذ ما يُستعمل، فتردّ إلى مجرد واجهة خارجيّة وبهرج. ولكنّ تلك الحياة النباتيّة لا تُستعمل من دون أن تتبدّل، وإنّما الذي يعمل الصورة الواعية - بذاتها يُلغي في الوقت ذاته الفساد الذي يحمله في ذاته كون تلك الحياة في - الحال، فيقرّب صورهُ العضويّة من صور الفكر الأكثر صرامةً وكليّةً. والصورة العضويّة إذ تُترك وشأنها إنّما تتنامى في الجزئيّة، فتخضع من ناحيتها لصورة الفكر، وترفع من جهة أخرى تلك الأشكال المستقيمة والمستوية حدّ الاستدارة الأكثر تنفّساً، - فيمسي هذا الخليط معرق فنّ العمارة الحرّ.

[457] هذا المسكّن [بما هو] جانبُ العنصر الكليّ أو الطبيعة اللاعضويّة للروح إنّما يحتوي حينئذٍ في داخله شكل الفردية التي تقرّب الروح المنفصل في ما سبق عن الكيان والذي يكون له برّانياً أو جوائياً، فيدنو به من الحقيق، وبذلك يجعل الأثر أكثر مضاهاةً للوعي - بالذات الفعّال. والعامل إنّما يرجع أولاً وبالجملة إلى صورة الكون - لذاته، أي إلى الشكل الحيواني. أمّا كونه لم يعد واعياً بذاته في - الحال ضمن الحياة الحيوانية فإنّما يأتي البيّنة عليه (Beweist er) من حيث إنّه يقوم حيالها كالقوة المنتجة ويعلم نفسه فيها كما في الأثر الذي له، وبذلك يصير الشكل الحيواني شكلاً منسوخاً وحرفاً هيرغليفيّاً لدلالة أخرى، أي لفكرة. ولذلك لن يستعمل العامل مرّة أخرى هذا الشكل مفرداً وبتمامه، بل يستعمله مختلطاً بشكل الفكر وبالشكل الإنسانيّ. لكن ما زال الشكل والكيان حيث يوجد الهو كهو يُعوّزان الأثر؛ - فما زال

يُعوزه التعبيرُ من تلقاء ذاته عن كونه يحتوي في حد ذاته دلالةً جَوَانِيَّةً، أي تعوزه اللِّغَةُ، الأسطقس الذي يحضر فيه المعنى المفْعِمُ ذاته. ولذلك فالأثرُ أَيْانَ يكون خُلصَ تماماً من الحيوانِيّ فيحمل في حد ذاته شكل الوعي - بالذات وحده، إنّما يظلّ شكلاً عريّاً من الصوت يلزمه شعاع الشمس المشرّقة حتّى يكون له صوتٌ، أمّا هذا الصوتُ الناجم عن التّور فلا يزال مجردَ صدَى، وليس هو بلغةٌ، فلا يُظهر إلّا هوأُ برانِيّاً لا الهوَ الجوانِيّ.

أمّا هذا الهوَ البرانِيّ الذي للشكل فيواجههُ الشكلُ الآخرُ الذي يُعلنُ بأنّه يمتلكُ في حد ذاته باطناً ما. والطبيعةُ الآيَةُ إلى ماهيتها إنّما تُخففُ تكثّرَها الحيّ الذي يتعيّنُ ويتحرّرُ في حركته، فتنزّل به إلى ما هو سَكَنٌ غيرُ ذي بالٍ يكون غطاءً الباطن؛ فهذا الباطن لا يزال في أوّل أمره الظلمةُ البسيطةُ واللامتحرّكُ، إنّ هو إلّا الحجر الأسود العريُّ من الصورة.

والعَرْضان كلاهما يتضمّنان الجوانِيَّةَ والكيانَ، - أي كلتا اللَّحظَتَيْن اللَّتَيْنِ للروح؛ والعرضان كلاهما يتضمّنان في الحين ذاته كلتا اللَّحظَتَيْنِ في علاقة متضادّة، أي يتضمّنان الهوَ كباطنٍ كما كبرانِيّ. وينبغي الجمع بين ذينك العرضيّن. - فالنفس التي للتمثال المصوّر بشراً ما زالت لا تصدر عن الباطن، وليست بعد اللِّغَةُ، ولا الكيانَ الذي يكون في حد ذاته باطنياً، - والباطنُ الذي للكيان المتكثّر الصور ما زال العريُّ من الصوت الذي لا يختلف [458] في ذاته والمنفصلَ عن برانِيّته التي ينتسبُ إليها كلُّ اختلاف. - لذلك صانع الأثر إنّما يجمع بين اللَّحظَتَيْنِ في الممازجة بين الشكل الطبيعيّ وبين الشكل الواعي - بذاته، أمّا تلك الماهياتُ المُلتبسةُ والمُلغزةُ في حدّ ذاتها، حيث يصارع الواعي العاريّ من الوعي والباطنُ البسيطُ البرانِيّ المتشكّل كثيراً، وتساوق ظلمةُ الفكر وضوحَ الخُراج (Äußerung)، فإنّما تنبثق في اللِّغَةُ وتنجّم عن حكمةٍ يعسر دَهْنُها شديداً.

في هذا الأثر إنما يكفّ العمل الغريزيّ الذي كان نسلَ حيالٍ الوعي - بالذات الأثرَ العاريّ من الوعي؛ ففي هذا الأثر يعارضُ نشاطُ صانع الأثر الذي يقيم الوعي - بالذات باطنٌ معبرٌ عن ذاته يضاهاي ذلك النشاط وعياً - بالذات. أمّا صانع الأثر فقد عمل في ذلك على الترقّي إلى انفصام وعيه حيث يلقي الرّوحَ الرّوحَ. وعليه فتلك الخلوط بالضرب العريّ من الوعي الذي للشكل الطبيعيّ الذي في - الحال إنّما تخلّص في ذلك الاتّحاد الذي للرّوح الواعي - بذاته بذاته نفسها من حيث يكون لذاته الشكلَ والموضوعَ اللّذين لوعيه. أمّا تلك المسوخات من حيث الشكل والقول والفعل فإنّما تتحلّل وتنتهي إلى تشكّل روحيّ، - إلى برانيّ مضى في ذاته، - وباطنٍ يخترجُ داخلَ ذاته ويخرجُ عليها، فتؤول تلك المسوخات إلى فكرٍ هو كيّانٌ جليّ يلد نفسه بنفسه ويحفظ شكله على مشاكلته له؛ فالرّوح إنّما أمسى فناً.

## II . دينُ الفنِّ

لقد رفع الرّوحُ شكله الذي يكون فيه لوعيه إلى صورة الوعي ذاته، فهو يُنتجُ لنفسه مثلَ تلك الصورة. وصانع الأثر إنّما أهملَ العملَ التوليفيّ، أعني خلط الصور الغريبة التي للفكر والطبيعيّ؛ وما دام الشكل قد اكتسبَ الصورة التي للنشاط الواعي - بذاته، فإنّ صانع الأثر قد تصيرَ عاملاً روحيّاً.

وإن سألنا أيّ روح حاقّ يكون له في دين الفنِّ الوعيّ بماهيته المطلقة، بأنّ أنه الرّوح الإتيقيّ أو الرّوح الحقّ. وهذا الرّوح ليس الجوهرَ الكلّيّ لكلّ الأفراد وحسب، بل ما دام لهذا [459] الجوهر عند الوعي الحاقّ شكلُ الوعي، فذلك يعني أيضاً أنّ الجوهر الذي يكون له الانفراد (Die Individualisation) إنّما يكون معروفاً من قبل الأفراد كماهيّتهم الخاصّة وأثرهم الخاصّ. وليس

الجوهر عندهم بالماهية النورانية التي لا تتضمن وحدتها الكون - لذاته الذي للوعي - بالذات إلا من وجهٍ سلبيٍّ ومتصرِّمٍ، فيحدث رئيسَ حقيقته، - وما هو بالاستيعار المتقد (Das rastlose Verzehren) للشعوب التي يكره بعضها بعضاً، ولا بإخضاع عين هذه الشعوب إلى أشياغ يغلب عليها مجتمعةٌ ظاهرٌ تنظيم لكلِّ تامٍّ، لكن تُعوزُه الحرّية الكليّة للأفراد. وإنما الرّوح هو الشعب الحرُّ حيث تقيّم السنن الإتيقيّة جوهرَ الجميع، وهو جوهرٌ يعلم الجمعُ وكلُّ فردٍ حقيقته وكيانه كأنهما إرادته وفعله.

لكنّ الدينَ الذي للرّوح الإتيقيّ إنّما هو أنْ يَعْلُوَ على حقيقته، ويؤوبَ من حقيقته إلى العلم المحض بذاته. وما دام الشعب الإتيقيّ يعيش في وحدةٍ حاليّةٍ مع جوهره فلا يشتملُ في حدّ ذاته على مبدأ الفردية الخالصة الذي للوعي - بالذات، فإنّ دينه لا يهملُ على تمامه إلا منفصلاً عن قوام. والحقيقُ الذي للجوهر الإتيقيّ إنّما يرجع في شطر منه إلى لاتبديله الساكن إزاء الحركة المطلقة للوعي - بالذات، فيرجع عندئذٍ إلى أنّ هذا الوعي - بالذات لم يمضِ بعدُ إلى ذاته ابتداءً من إيتوسه الساكن وثقته الراسخة؛ ويرجع ذلك الحقيقُ في شطرٍ آخرٍ إلى تنظّمه في [شكل] زمرة من الحقوق والواجبات، كما تنظّمه ضمنَ اقتسام (In die Verteilung) الكتل التي للفئات وفعليها الجزئيّ الذي يعضد الكلّ، - فيرجع عندئذٍ إلى أنّ الفرديّ راضٍ هانٍ بتقييد كيانه وأنّه ما زال لم يدرك الفكرة العريّة من التقييد التي لهوَاه الحرّ. ولكنّ ذلك الاتكال الساكن وفي - الحال على الجوهر إنّما يؤوب إلى الاتكال على الذات والإيقان من الذات، وكثرة الحقوق والواجبات مثلها مثل الفعل المقيّد، تكون في الإتيقيّ نفسَ الحركة الديالكطيقيّة التي لكثرة الأشياء وتعييناتها، - أي حركة لا تلقى سكونها ورسوخها إلا ضمنَ بساطة الرّوح الموقن من ذاته. - لذلك تكمّلُ الإتيقيّة إلى مصافّ الوعي - بالذات ومصيرُ العالم

الإتيقيّ إنّما يكونان الفرديّة التي تمضي في ذاتها، الإنسياب (Der Leichtsin) المطلق للروح الإتيقيّ، وهو الروح الذي حلّ في ذاته جميع الفروق الرّاسخة التي لقوامه والكتل التي لتمفصله العضويّ، فأنتهى واثقاً من نفسه كلّ الثقة إلى السرور العاري من التقييد والتمتّع الأكثر حرّيةً بذاته. أمّا ذلك الإيقان البسيط الذي للروح في حدّ ذاته فهو الملتبس الذي يكون القوام الساكن والحقيقة الرّاسخة مثلما يكون اللاسكون المطلق للإتيقيّة وفواتها. ولكنّ ذلك الإيقان يسقط في هذا الأخير<sup>(8)</sup>، لأنّ حقيقة الروح الإتيقيّ ليست بعدّ في أوّل أمرها إلّا هذه الماهيّة والثقة الجوهريّتين حيث لا يعلم الهو نفسه كفردية حرّة فيستغرق في هذه الجوانية أو في الاستحالة حرّاً التي للهو ثمّ يغور في الهوة. وعليه فما دامت الثقة قد ارتفعت والجوهر الذي للشعب قد انكسر في ذاته، فإنّ الروح الذي كان الحدّ الأوسط للحدود العارية من القوام إنّما يكون مذكاً بثقّ في حدّ الوعي - بالذات الذي يلمّ بذاته كماهيّة. وهذا الوعي - بالذات هو الروح الموقن في ذاته الذي يحزن لضياح عالمه، فينتج مذكاً من الخلوص الذي للهو ماهيته مرفوعة فوق الحقيق.

إنّ الفنّ المطلق إنّما يمثل في هذا الجنس من العضر؛ في السابق كان هذا الفنّ العمل الغريزيّ الذي ينغمس في الكيان فيشتغل عليه وفيه، فلم يكن يمتلك جوهره عند الإتيقيّة الحرّة، ولم يكن إذاً يمتلك أيضاً النشاط الروحيّ الحرّ من الوجه الذي للهو العامل. من بعد ذلك فاق الروح الفنّ وعلاه لكيّ يكسب بيانه الأعلى؛ - ولاسيما بيانه لا من جهة ما هو جوهر يولد من الهو وحسب، بلّ ضمن بيانه بما هو موضوع، ومن جهة كونه هذا الهو بعينه، لا كونه ينجم من مفهومه وحسب، بلّ أن يكون

---

(8) يعني الفوات.

مفهومُهُ ذاته شكلاً له، على نحو أنّ المفهوم والأثر الفنّي يعرفان  
سويّةً أنّهما الشيء عينه.

إذا ما دام الجوهر الإتيقيّ قد استرجع ذاته من كيانه وردّها  
إلى وعيه - بالذات المحض، فإنّ هذا الوعي - بالذات يكون  
جانب المفهوم أو النشاط الذي ينتجُ به الرّوح كموضوع. وهذا  
الجانب هو صورةٌ محضٌ، لأنّ الفرديّ قد استغرق بالعمل ضمن  
الامتثال والخدمة الإتيقيّين كلّ كيانه عارٍ من الوعي وتعيّن راسخ  
مثلما تصيّر الجوهر نفسه هذه الماهيّة المرسلّة. وتلك الصورة إنّما  
هي الليل الذي كان أفسسيّ فيه سرُّ (Verraten ward) الجوهر،  
فكان جعل من نفسه ذاتاً؛ من هذا الليل الذي للإيقان الذاتيّ [61]  
الخالص من الذات ينبعثُ الرّوح الإتيقيّ شكلاً متحرّراً من الطبيعة  
ومن كيانه الذي في - الحال.

أما وجود المفهوم المحض الذي يلوذ به الرّوح إداراً من  
بدنه، فإنّما يكون فرداً يختاره وعاءً لوجعه، فالرّوح عند هذا الفرد  
إنّما يكون بمثابة كليّه وقدرته اللذين يحتمل منهما الفرد العنّف، -  
بمثابة الهوى<sup>(9)</sup> الذي يتقاد له فيخسرَ وعيه - بالذات الحرّية. ولكن  
هذه القدرة الموجبة التي للكليّة سيقهرها الهو المحض الذي للفرد  
من جهة ما هو القدرة السالبة. وهذا النشاط المحض الواعي بقوّته  
التي لا تضيع إنّما يصارع الماهيّة اللامتشكّلة؛ ومتى يتصير  
رئيسها، فإنّه يكون قد جعل من الهوى مادّةً واستعطى مضمونه،  
أما هذه الوحدة فتتجم بما هي الأثر والرّوح الكليّ فardاً مُتصوّراً.

(9) الباثوس (Pathos). لقد اخترنا ترجمة الباثوس بالهوى لعلّتين على الأقلّ؛

فأما الأولى فهي دفع الخلط بين الباثوس والانفعال أو مجرد التأثير: ليس الباثوس  
انفعالاً وإن كان فيه جموحٌ وميلانٌ شديداً. وأما الثانية فهي ما يحمله لفظ «الهوى»  
من لُبس غليظ يجعل دلالته تتراوح بين المهويّ المحمود والمذموم (وإن غلبت في  
الاستعمال الدلالة المذمومة).

## أ. الأثر الفني المجرد

إنّ الأثر الفنّي الأوّل يكون من جهة ما هو الأثر الذي في - الحال الأثر المجردّ والفرديّ. وينبغي من ناحيته أن يتحرّك ابتداءً من النحو الموضوعيّ والذي في - الحال، ويتّجه قبّل الوعي - بالذات، مثلما يلتمس الوعي - بالذات لذاته من الناحية الأخرى ضمن الطقوس نسخّ المباشرة التي يتعطاها أوّل الأمر حيال الروح الذي له، فيطلب من خلال ذلك إنشاء الأثر الفنّي الذي يتمّ إحياءه في حدّ ذاته.

[I. صورة الآلهة] - إنّ الطريقة الأولى الذي يباعد وفقها الروح الفنّان شكله عن وعيه النشط بعداً شديداً، هي الطريقة التي في - الحال، الطريقة التي يكون فيها ذلك الشكل بالجملة ماثلاً هنا من جهة ما هو شيء. - وتلك الطريقة إنّما تتفكك في ذاتها إلى الفرق ما بين الفردية التي تنطوي في حدّ ذاتها على شكل الهو وبين الكلية التي تعرض الماهية اللاعضوية في ارتباطها بالشكل بما هو محيطها وسكنها. وهذا الشكل إنّما يكسب عبر الارتفاع بالكلّ إلى المفهوم المحض صورته الخالصة التابعة للروح؛ فما هو بالزجاج الذهنيّ الذي يقيم فيه ما هو ميتّ، أو تثيره نفس برآئية، - ولا بالتمازج الناجمة رأساً من النبات بين صور الطبيعة والفكر الذي لا يزال نشاطه في ذلك الموضع مجرد محاكاة. بل يجتث المفهوم من المعرق والغصنة والأوراق ما يعلّق بعدد بالصور ويخلصها، فيجعل منها تكوينات يُرْفَع فيها الخطّ المستقيم والسطح المستوي للزجاج إلى صلات لا تُقاس، على نحو أن تنفيس العضويّ يُدرج في الصورة المجردة التي للذهن، فتُحفظ للذهن في الوقت ذاته ماهيته، أعني اللاقياسية (Die Inkommensurabilität).

أمّا الإله المحايث فهو الحجر الأسود المستخرج من غلاف

الحيوان والذي ينفذ فيه نورُ الوعي. والشكل الإنسانيّ إنّما ينزح عنه الشكلَ الحيوانيّ الذي كان مختلطاً به؛ فالحيوان لا يكون بالنسبة إلى الإله إلّا غطاءً عرضياً؛ إنّهُ يمثُلُ جانبَ شكله الحقّ ولم يعد صالحاً لذاته، بل ينزّل إلى دلالةٍ مغايرٍ، [أي] إلى مجرد علامة. وبذلك شكل الإله يخلعُ عنه في حدّ ذاته فاقّةَ الشرائط الطبيعيّة التي للكّيان الحيوانيّ، فيشير إلى الهيئات الباطنة للحياة العضويّة المختلطة بسطحه والتي لا تنتسب إلّا إلى هذا السطح. - لكنّ ماهيّة الإله هي وحدة الكيان الكلّي الذي للطبيعة والروح الواعي - بذاته الذي يظهُرُ في حقيقه على مقابلةٍ لذلك الكيان. وما دام في الوقت نفسه وفي أوّل أمره شكلاً فرديّاً، فكَيانه إنّما هو أحد عناصر الطبيعة مثلما يكون حقيقه الواعي - بذاته روح شعب فرديّ. أمّا هذا الكيانُ فيكون ضمن هذه الوحدة الأسطقس المنعكس في الروح، والطبيعة الموضّحة بمعيّة الفكر والمقترنة بالحياة الواعية - بذاتها. لهذه العلة العنصر الطبيعيّ الذي لشكل الآلهة إنّما يكون فيه كمنسوخ وكذكّر (Eine Erinnerung) عايم. أمّا الماهيّة الشواشيّة والصراع المختلط للكّيان الحرّ الذي للعناصر والملكوت اللائقيّ الذي للجبايرة، كلّ هذا إنّما يُقهرُ ويلقى به إلى حاشية الحقيق الذي صار بيناً لنفسه، ويُبعد إلى التخوم المعتكرة للعالم الذي يوجد في الروح ويسكن إليه؛ فهذه الآلهة القديمة حيث تناسلت الماهيّة النورانيّة مع الظلمة ثمّ تعيّنّت أوّل أمرها سماءً وأرضاً ومحيطاً وشمساً ونارَ الأرض المدبّرة والعمياء وما إليه، إنّما تُستبدلُ بالأشكال التي لم يعد فيها إلّا الصدى العاتم والتذكاريّ لأولئك الجبايرة، فلم تعد تلك الأشكال ماهياتٍ طبيعيّة، بل أمست أرواحاً إتيقيّة جليّة لشعوب تعي ذواتها.

وعليه فهذا الشكل البسيط قد ألغى في ذاته اضطراب الانفراد (Die Vereinzlung) الذي لا نهاية فيه، ثمّ جمعه في الفردية الساكنة، - أعني اضطراب الانفراد كعنصر طبيعيّ لا يسلك



وفق الضرورة إلا كماهية كلية، لكنه في كيانه وحركته يسلك عرضياً، مثلما اضطراب تفرّد الشعب الذي يتشتت إلى كتل فعل جزئية ونكت فردية من الوعي - بالذات، فيكون له كيان متكثراً المعنى والفعل - لذلك تواجه ذلك الشكل لحظة الاضطراب، ويواجهه - أي يواجه الماهية - الوعي - بالذات الذي لم يُبق - من جهة ما هو مؤلّد عين الشكل - على شيء لنفسه، إلا كونه محض نشاط. أما الذي ينتسب إلى الجوهر فإن الفنان قد أفاده تماماً أثره، وأما الفنان ذاته بما هو فردية متعينة فلم يُفد في أثره أيّ حقيق؛ ولم يكن يقدر على إعطاء الأثر تمامه إلا من جهة أنه يخرج على جزئيته ويتجرّد من جسميته (Sich entkörperte)، فيترقى إلى تجريد الفعل المحض. - والفصل في هذا الإنشاء الأول الذي في - الحال ما بين الأثر وبين نشاطه الواعي - بذاته، ما زال لم يوحّد؛ فلذلك لا يكون الأثر لذاته المتنفّس الحاق، بل لا يكون كلاً إلا مقترناً بصيرورته. والمشترك في الأثر الفني، أعني كونه ينشأ في الوعي وقدّ بأباید بشرية، إنما هو لحظة المفهوم الموجود كمفهوم يواجه الأثر. ومتى كان هذا المفهوم، من جهة ما هو الفنان أو المشاهد، برياً من المصلحة حتى إنه يعلن أنّ الأثر الفني متنفّس في حدّ ذاته على الإطلاق، فينسى نفسه وهو الفاعل أو المشاهد، فإنه يجب على العكس من ذلك التمسك بمفهوم الروح الذي لا يسعه أن يزهّد في لحظة كونه واعياً بذاته. ولكن هذه اللّحظة تواجه الأثر، لأنّ المفهوم إنما يعطي - ضمن انفصامه الأول ذاك - للجانبين معاً تعيينيهما المجرّدين والمتقابلين، أعني تعيين الفعل وتعيين كونهما شيئاً (Dingseins)؛ واللّحظة تواجه الأثر ثانياً لأنّ إياب الجانبين إلى الوحدة التي ابتدأ منها، ما زال لم يتم.

وعليه فالفنان إنما يتعنى ضمن أثره كونه لم يكن ينتج ماهية مضاهية له. ولا ريب أنّ وعياً ما يؤول إليه من ذلك الأثر من

464] حيث إنَّ جمهوراً معجباً يجلُّ (Verehren) الأثرَ إجلاله الرَّوحَ الذي يمثِّل ماهيَّته. لكنَّ هذا التَّروُّحَ (Beseelung) من جهة أنَّه لا يردُّ للفنان وعيَه - بالذات إلا كإعجاب، إنَّما يكون في الأكثر شهادةً للفنان بأنَّ ذلك التَّروُّحَ ليس ضهيَّةً. وما دام ذلك الوعي - بالذات إنَّما يؤوِّل إلى الفنان بالجملة كبهجة، فإنَّ الفنان لا يجد في ذلك وجعَ تكوينه وإنشائه ولا عناءَ عمله؛ فإنَّ شاء أولئك فليُمعنوا في الحكم على الأثر، أو يقدِّموا له القرابين وكيفما اتَّفَق نحوُ وضع وعيهم فيه، - فإنَّ أسْتَوْضَعُوا أنفُسَهُمْ بمعرفتِهِمْ من فوقه، علِمَ الفنانُ كم وكيف يفضِّلُ فعله ذَهْنَهُمْ وقولَهُمْ؛ وإنَّ أسْتَوْضَعُوا أنفُسَهُمْ من تحته، وأقرَّوا في ذلك بماهيَّتهم التي ترأسُهُمْ، علِمَ هو أنَّه سيُدِّ عين الماهيَّة.

II. التسبيح بالآلهة] - لذلك يقتضي الأثرُ الفنيُّ عنصراً آخرَ لكيانه، والآلهة تلتَمِسُ أنتجاً مغايراً للذي تسقط فيه من عمق ليلها الخلاق في ضدِّها، أي في البرانيَّة وتعيين الشيء العريِّ من الوعي. أمَّا ذلك العنصر الأرفع فهو اللِّغَةُ، - كيانٌ إنَّما هو وجود (Existenz) يعي ذاته في - الحال. ومثلما يكون الوعي - بالذات الفرديُّ في اللِّغَة منتصباً هاهنا، كذلك يكون فيها في - الحال كسريانٍ (Als eine Ansteckung) كليِّ؛ والانفراد التامُّ للكون - لذاته يكون في الحين ذاته السَّيْلانيَّة والوحدة المُفادَة كلياً اللَّذين لجمع الهو المتكثَّر؛ إنَّه النفس الموجودةُ من جهة ما هي نفسٌ. وعليه فالآلهة التي تكون اللِّغَةُ أسطقس شكلها إنَّما تكون الأثرُ الفنيُّ المتنفَّس في حدِّ ذاته الذي يملكُ في - الحال في كيانه النشاط المحض الذي كان واجه الآلهة لما كانت توجد كشيء؛ أو الوعي - بالذات إنَّما يبقى في - الحال عند ذاته في الصيرورة الموضوعيَّة ل ماهيَّته. والوعي - بالذات إذ يكون من هذا الوجه عند ذاته، هو تفكيرٌ محضٌ، أو هو الذَّكْرُ (Die Andacht) التي يكون لباطنه في الوقت نفسه كيانٌ في التسبيح بالآلهة. والتسبيحُ إنَّما يحفظ في

داخله فردية الوعي - بالذات، وهذه الفردية إذ تُدرك وتُسمع (Vernommen)، إنما تكون هنا في الوقت نفسه ككلية؛ فالتسبيح لما يتقد ويتفشى عند الجميع، يكون السيل الروحي الذي يعي بنفسه في تكثر الوعي - بالذات من جهة ما هو صنيع متساو للجميع وكيوناً بسيطة؛ أما الروح من جهة ما هو ذلك الوعي - بالذات الكلي الذي للجميع، فيكون له في وحدة وحادّة باطنه المحض كما الكيونات لأجل الغير والكون - لذاته الذي للأعيان.

إن تلك اللغة تتميز من لغة أخرى للآلهة ليست هي بلغة الوعي - بالذات الكلي. فاللغة الأولى الواجبة للآلهة إنما هي معبد آلهة ديانات الفن بقدر ما هي معبد آلهة الديانات الفاتية، لأن في مفهوم الآلهة إنما يكمن كونها الماهية التي للطبيعة كما التي للروح، وبالتالي كونها ليس لها كياناً طبيعياً وحسب، بل لها أيضاً كياناً روحياً. وما دامت هذه اللحظة تكمن في مفهوم الآلهة، ولم تتحقق بعد في الدين، فإن اللغة بالنسبة إلى الوعي - بالذات الديني إنما تكون من هذا الوجه لغة وعي - بالذات غريب. والوعي - بالذات الذي ما زال غريباً عن جماعته ليس بعد هنا مثلما يقتضيه مفهومه. وهو إنما يكون كونه - لذاته البسيط وبذلك الكلي على الإطلاق؛ أما ذلك الذي يفصل عن الوعي - بالذات الذي للجماعة، فلا يكون أولاً إلا هواً فردياً. - ومضمون هذه اللغة الخاصة والفردية إنما يحصل عن التعينية الكلية حيث يوضع الروح المطلق بعامة في الدين الذي له. - وعليه فالروح الكلي للشروق الذي ما زال لم يعين كيانه، إنما يقول في الماهية قضايا بسيطة وكلية، وهي التي يكون مضمونها الجوهرية على حقيقتها البسيطة جليلاً، لكنّه في الوقت نفسه وبسبب هذه الكلية إنما يبدو مبتدلاً للوعي - بالذات الذي يترسل ويمضي في التكوين (Weiter sich fortbildenden).

أما الهو الذي يتكوّن قداماً فيترقى إلى الكون - لذاته فإنما

يكون سيّد الهوى المحض الذي للجوهر وسيّد موضوعيّة الماهيّة النورانيّة المشرّقة، ويعلمُ تلك البساطة التي للحقيقة كالكائن - في - ذاته الذي لا تكون له صورة الكيان العرضيّ بواسطة لغة غربيّة، بل يعلمها كقانون الآلهة الحقّ وغير المكتوب الذي يحيا أزليّاً ولا أحد يعلم من أمره مذمتي كان أظهرًا. - ومثلما آبت هاهنا الحقيقة الكليّة التي كانت كُشِفَتْ من قِبَل الماهيّة النورانيّة إلى الباطن أو إلى التحت (Untre)، فتخلّصت بذلك من صورة الظاهرة العرضيّة، كذلك بالعكس في دين الفنّ، فإنّه لما كان شكل الآلهة قد قَبِلَ بالوعي، ثمّ جنحَ بالجملة إلى الفرديّة، فإنّ اللّغة الخاصّة بتلك الآلهة التي هي روح الشعب الإتيقيّ إنّما تكون المعبّد الذي يعلمُ الشؤن والظروف الجزئيّة التي لعين الشعب، ويُخبرُ بما هو صالح في هذا الشأن. ولكن لما كانت الحقائق الكليّة تُعرَف كالكائن - في - ذاته، فإنّ التفكير العالم إنّما يطالب بها لنفسه، واللّغة التي لها لم تعدّ عنده لغة غربيّة، بل تضحى اللّغة الخاصّة به. ومثلما كان يلتبس ذلك الحكيم في العصر القديم ضمن تفكيره الخاصّ ما هو حسنٌ وجميلٌ، في حين يترك - في المقابل - للجنّ معرفة المضمون القبيح والعرضيّ للمعرفة، وهل يحسن به أن يعاشر هذا أو ذاك، وهل يحسن بأحد المشاهير أن يقوم بهذه السّفرة وما شابه من الأشياء العريّة من الدلالة<sup>(10)</sup>، كذلك يطلبُ الوعي الكليّ المعرفة بالعرضيّ من الطيور أو الشجر أو الأرض المتخمّرة التي تقبض أبحرُتها عن الوعي - بالذات رشادُهُ (Seine Besonnenheit)؛ فالعرضيّ إنّما هو اللّارشيّد والغريب، وعليه فالوعي الإتيقيّ إنّما ينساق أيضاً، كأنّ بلعب النرد، إلى التعيّن بكيفيّة غير رشيدة وغربيّة. ولما يتعيّن الفرديّ بمعيّة ذهنه، ويختار بالروية (Mit Überlegung) ما يكون له نافعاً، فإنّ التعيّنيّة التي للطبع الجزئيّ إنّما تقوم مقام الأسّ من هذا التعيّن

(10) يعني سقراط، قارن: أفلاطون، التيتانوس، 150هـ - 151د.

الذاتيّ؛ وهذا التعيّن الذاتيّ إنّما هو ذاته العرضيّ؛ فلذلك تلك المعرفة الذهنيّة، معرفة ما هو نافع للفرديّ، إنّما تكون من جنس وحي المعبد أو البخت، مع أنّ مَنْ يسألُ المعبدَ أو البختَ إنّما يعبرُ بذلك عن الطويّة الإتيقيّة التي للسيانّة إزاء العرضيّ، والحال أنّ تلك المعرفة إنّما تعالجُ العرضيّ في حدّ ذاته كشاغلِ جوهريّ لتفكيرها ومعرفتها. ولا ريب أنّ المنحى الأرفع من ذينك المنحيين هو أنّ يُجعلَ من الرويّة معبدَ الصنيعِ العرضيّ، فتلزمُ معرفة ذلك العملِ المتروّي ذاته كشيء من قبيل العرضيّ بسبب وجه الصلة التي له بالجزئيّ كما بسبب نفاعه.

إنّ الكيانَ الحقّ والواعي - بذاته الذي يستفيذه الرّوحُ في اللّغة التي ليست هي بلغة الوعي - بالذات الغريبِ وإذاً العرضيّ وغير الكلّيّ، إنّما هو الأثرُ الفنّي الذي نظرنا فيه سابقاً؛ فالأثرُ الفنّيّ إنّما يقابلُ الشّيئيّ (Dem dinglichen) الذي للتمثال. وكما يكون التمثالُ الكيانَ الساكنَ، يكون الأثرُ الفنّيّ الكيانَ الزائلَ؛ وكما تعدّم الموضوعيّة التي تُركت وشأنها في التمثالِ الهو الخاصّ، تظلّ هذه الموضوعيّة في الأثر الفنّيّ منحبسةً شديداً في الهو، فلا تأتي إلّا نزرًا من التشكّل، فلم تعدّ - مثلها مثل الزمان - في الحال هنا متى تكون هنا.

[III. العبادة] - إنّ حركة الجانبين التي يهملُ فيها الشكلُ الإلهيّ المحرّكُ في العنصر المحض الحاسّ الذي للوعي - بالذات [467] والشكلُ الإلهيّ الساكنُ في عنصر الشّيئيّة تعينُهُما المتنوّعَ إهمالاً متبادلاً، والتي تنتهي فيها الوحدةُ إلى الكيان، وهي الوحدة التي تكون مفهومَ ماهيّتهما، هذه الحركة هي التي تقيّمها العبادة (Der Kultus). وهو إنّما يتعطى في العبادة الوعي بنزول الماهيّة الإلهيّة إليه من تعاليها (Aus seiner Jenseitigkeit)، وهذه الماهيّة التي كانت من قبل هذا اللاحاقة والموضوعيّة إنّما تكسبُ بذلك الحقيقيّ الخاصّ الذي للوعي - بالذات.

مفهوم العبادة هذا متضمّن وحاضرٌ في حدّ ذاته في مجرى مدائح التسبيح. وهذا الذّكرُ إنّما هو الرّضوان المحض وفي - الحال الذي للوعي - بالذات في حدّ ذاته وبمعنيّة ذاته. إنّها النفسُ المخلّصةُ التي تكونُ في - الحال ضمنَ ذلك الخلوصِ الماهيّةِ وحسب، إنّ هي والماهيّةُ واحدٌ. وهي ليست بسبب هذا التجريد الذي لها الوعي الذي يميّز من ذاته الموضوع، فلا تكون إذاً إلّا الليل الذي لكّيان ذلك الوعي والحيزُ المهيأً لشكله. فلذلك ترفع العبادةُ المجردةُ الهو إلى أن يكونَ هذا العنصرَ الإلهيَّ المحض. والنفسُ إنّما تأتي هذه الطهارةُ بوعي؛ إلّا أنّها ليست بعدُ الهو الذي يعلم إذ ينزل في أعماقه، أنّه الشّرُّ؛ لكنّ هذا الهو إنّما هو كائنٌ، نفسٌ تطهّر برانيتها بالوضوء وتغطيها بثياب بيضاء، أمّا جوانيتها فتجوبُ بالجملة السبيلَ المتصوِّرة للأعمال والعقاب والثواب، سبيل التكوين المُخرجة للجزئيّ، وعبر تلك السبيل إنّما تؤول إلى سكن وشركة السعادة الأبدية.

إنّ تلك العبادة لا تكون في أوّل أمرها إلّا اكتمالاً سرّيّاً، أي متصوِّراً وغير حاقٍّ؛ لكن لا بدّ لها أن تكون ممارسةً حاقّةً، فالممارسة غير الحاقّة إنّما تتناقض في حدّ ذاتها. والوعي على حصر المعنى إنّما يترقى بذلك إلى الوعي - بالذات المحض الذي له. أمّا الماهيّة فتنتطوي في حدّ ذاتها على دلالة موضوع حرّ، وهذا الموضوع إنّما يؤوب بمعنيّة العبادة الحاقّة إلى الهو، - ومن جهة أنّه تكون له عند الوعي دلالة الماهيّة المحض التي تسكن إلى ما يتعالى على الحقيق، فتلك الماهيّة إنّما تنزل من كليّتها، فتقترن بالحقيق.

468] أمّا كيف يندرج الجانبان ضمن الممارسة فذلك يتعيّن على نحو أنّ الماهيّة تعرضُ كالطبيعة الحاقّة بالنسبة إلى الجانب الواعي - بذاته ما دامَ وعياً حاقّاً؛ فمن ناحية تنتمي تلك الطبيعة إلى الوعي كملكٍ وملكيّةٍ وتجري مجرى الكيان غير الكائن -

في - ذاته، - ومن ناحية أخرى تكون تلك الطبيعة حقيقه الخاص الذي في - الحال وفرديته التي يعتبرها أيضاً كلامهية، فينسخها. لكن تلك الطبيعة البرانية تكون لها في الوقت ذاته عند الوعي المحض الذي للماهية الدلالة المقابلة، لاسيما كونها الماهية الكائنة - في - ذاتها التي يضحي الهو إزاءها بلاأيسيته (Seine Unwesentlichkeit)، مثلما يضحي - على العكس - لذاته بوجه اللاأيسية الذي للطبيعة. بذلك تكون الممارسة حركة روحية، لأنها إنما تكون ذا الوجهين (Doppelseitige) الذي يتمثل [من ناحية] في نسخ تجريد الماهية كيفما يعين الذكر الموضوع وجعل الماهية حاقاً، [ومن ناحية أخرى] رفع الحاق إلى الكلية من الوجه الذي به يتعين الممارس ويتعين الموضوع.

لذلك تبدأ ممارسة العبادة ذاتها بترك المملك الذي يهدره<sup>(11)</sup> المالك، أو يهمله أدرج الرياح (In Rauchaufsteigen läßt) من دون منفعة ظاهرة. بذلك يتنازل المالك أمام الماهية التي لوعيه المحض عن المملك وحق الملكية والتمتع بها كما عن الشخصية وإياب الفعل إلى الهو، فيعكس الممارسة في الأكثر على الكلّي أو الماهية، بدل أن يعكسه على ذاته. - لكن على العكس من ذلك الماهية الكائنة إنما تمضي بذلك أيضاً إلى الهوة. والحيوان الذي قُدم أضحية إنما هو آية آلهة، والثمار التي تُؤكل إنما هي سيريس وباخوس الحيان ذاتهما؛ - فأما في الحيوان فتموت القوى التي للحق العلوي الذي يكون له الدم والحياة الحاقّة، وأما في الثمار فتموت قوى الحق السفلي الذي يملك بلا دم القوة الماكرة والسرّية. - والتضحية بالجواهر الإلهي ترجع من جهة ما هي فعل إلى الجانب الواعي - بذاته؛ ولا بد أن تكون الماهية ذاتها قد

(11) Vergießt بمعنى السفك والإهدار، ولكن هيغل يُقصد أيضاً هاهنا إلى

القرابة من معنى الغفلة والنسيان: Vergessen.

قدّمت أضحيةً في ذاتها حتّى يكون ذلك الفعل الحاقاً ممكناً. وذلك هو ما فعلته من جهة أنّها استعطت كياناً، فجعلت من نفسها حيواناً فردياً أو ثماراً. وهذا التنازل الذي تأتبه الماهية إذاً في ذاتها إنّما يعرضه الهو الذي يمارس ضمن كيانه ولأجل وعيه، فيستبدل ذلك الحقيق الذي للماهية في - الحال عبر الحقيق [469] الأرفع، لاسيّما الحقيق الذي لذاته. فالوحدة الناجمة التي هي حاصل الفردية المنسوخة والفصل ما بين الجانبين ليست المصير السلبى وحسب، بل تكون لها دلالة موجبة. أمّا القربان المقدم للماهية السفلية المجردة فلا يعطى تماماً إلّا لها، وبذلك إنّما يُشار إلى انعكاس الملك والكون - لذاته على الكلّي في مباينته للهو بما هو كذلك. ولكن في الوقت ذاته ليس ذلك إلّا جزءاً ضئيلاً، فالتضحية الأخرى لا تكون إلّا تفويض ما لا مستعمل، وبالأحرى إعداد القربان للوليمة التي تقبض مآدبها عن الممارسة دلالتها النافية. والمضحى إنّما يحتفظ في هذه التضحية الأولى بالجزء الأعظم، وأمّا من الجزء الآخر فيحتفظ بما يصلح لمتعته. وهذه المتعة إنّما هي القدرة النافية التي تنسخ الماهية كما الفردية، وهي في الوقت نفسه الحقيق الموجب الذي يحوّل فيه الكيان الموضوعي للماهية إلى واع - بذاته، وأين يكون للهو الوعي بوحدته مع الماهية.

وزائداً إلى ذلك أنّه إذا كانت تلك العبادة لا محالة ممارسةً حاقةً، فدلالتها إنّما تكمن في الأكثر في الذكر وحسب؛ وما يرجع إلى هذا الذكر لا يُنتج موضوعياً، تماماً كما يعرى (Berauben) الحاصل نفسه من كيانه في المتعة. ولذلك تذهب العبادة إلى أبعد من ذلك، فتعوض ذلك النقص أولاً من جهة أنّها تهبّ لذكرها قواماً موضوعياً ما دامت عمل الجماعة أو الفرد الذي بوسع كلّ امرئ، وهو العمل الذي يُنتج منزل الآلهة وزخرفه حتّى يسبح بأسمها. - بذلك تُنسخ من ناحية موضوعيةً



التمثال، لأنَّ العاملَ إنّما يتملّك الآلهةَ عبر تقديم القرابين والأعمال، فيحُدس هُوأهُ من حيث ينتسب إليها؛ ومن ناحية أخرى لا يكون ذلك الصنيع العملَ الفرديّ الذي للفنان، بل هذا الجزئيّ إنّما يكون تحلّلَ في الكلّيّة؛ لكن ليس فقط سنو الآلهة وشرفها ما يحصلُ، وبركاتُ رحمتهِها لا تعمّ العامل في التصرّو، وإنّما العمل تكون له الدلالةُ المعاكسةُ حيال الدلالة الأولى التي للتخارج والسنو الغريب. ومنازل الآلهة وأروقتهِها إنّما تكون مسخرةً للإنسان، [470] والكنوز المحفوظة فيها إنّما تمسي عند الحاجة كنوزهُ التي له (Die Seinige)؛ والسنو الذي تتمتع به هذه الآلهة في زينتهِها إنّما هو سنو الشعب الفنان والشريف، فهذا الشعب يزيّن كذلك عند الإحتفال منازلهُ ووثيابه كما أعماله بحلّة جميلة. كذا يستفيدُ مقابل عطاياه المعاملةً بالمثل من الآلهة الشكور كما آياتِ رحمتهِها التي ارتبط فيها بها بمعية العمل، ولا يكون ذلك بالرجاء والحقيق المتأخّر، بل يكون له في - الحال ضمن الشرف المشهود به وإيتاء الهبات، التمتعّ بيساره الخاصّ وبهائه.

### ب. الأثر الفنيّ الحيّ

إنّ الشعب الذي يتقرّب من آلهته في شعائر دين الفنّ هو الشعب الإتيقيّ الذي يعلم أنّ دولته وممارساتها إنّما هي بمثابة إرادته وأكتماله هو ذاته. لذلك فهذا الرّوْح الذي يهلُّ قدام الشعب الواعي - بذاته ليس الماهية النورانية التي لا تنطوي في حدّ ذاتها - وهي العريّة من الهو - على إيقان الأفراد، بل إنّ هو في الأكثر إلّا ماهيتهم الكلّيّة والقوة الغالبة أين يزولون. وشعائر الدين الذي لتلك الماهية البسيطة والعريّة من الشكل لا تهب بالجملة إذّا أتباعها في المقابل إلّا كونهم شعب آلهتهم؛ ولا تُكسبهم إلّا قوامهم وجوهرهم البسيط بعامة، لا الهو الحاقّ الذي لهم، والذي يكون في الأكثر مسقطاً، فالأفراد إنّما يُجلّون آلهتهم من جهة ما هي عمقُ خاؤ، لا من جهة ما هي روج. لكن ما يرتفع

عن الشعائر التي لدين الفن من ناحية أخرى إنّما هو تلك البساطة  
المجرّدة التي للماهية، إذاً العمق الذي لعين الماهية. أما الماهية  
التي تكون متّحدة في - الحال بالهو، فإنّما هي في ذاتها الرّوح  
والحقيقة العالمة، وإن لم تك بعد الحقيقة المعلومة، أو العالمة  
بذاتها في العمق الذي لها. ولما كانت الماهية إذاً تشتمل في حدّ  
ذاتها في هذا الموضوع على الهو، فإنّ ظاهرتها  
مستحبّة (Freundlich) عند الوعي، وهذا الوعي لا يكسب في  
الشعائر التبرير الكليّ لقوامه وحسب، بل أيضاً كيانه الواعي -  
بذاته فيه؛ مثلما أنّ الماهية - على العكس - لا يكون لها حقيق  
عارٍ من الهو في شعبٍ مهمّلٍ لا يُعترفُ إلاّ بجوهره، بل في  
شعبٍ يُعترفُ هوأه ضمن جوهره.

471]

إنّ الوعي - بالذات الذي يرضى بماهيته والآلهة التي تحلُّ  
فيه حلولها في منزلها، إنّما يصدران عن [تلك] الشعائر. وذلك  
المنزل هو لذاته ليل الجوهر، أو فرديته المحض، لكنّها لم تعد  
فردية الفنّان النافرة التي ما زالت لم تأتلف مع ماهيتها المتصيرة  
موضوعيّة، بل هي الليل الهانئ الذي ينطوي في حدّ ذاته على  
هواه (Ihr Pathos) ومن وجه غير مقضيّ، لأنّه يؤوب من الحدس  
والموضوعيّة المنسوخة. - هذا الهوى إنّما هو لذاته ماهية  
الشروق، لكنّها ماهية تكون مذكاً قد غرّبت في ذاتها، فتشتمل في  
حدّ ذاتها على غروبها كما الوعي - بالذات، فيكون لها مع ذلك  
الكيان والحقيق. - لقد اجتأبت تلك الماهية هاهنا حركة تحقّقها،  
فهي كيان لأجل مغاير، وللهو الذي يستهلكها إذ تختفض من  
أيسيتها المحض إلى قوّة طبيعيّة موضوعيّة كما إلى خراجاتها.  
والماهية الهادئة التي للطبيعة العرية من الهو إنّما تكتسب في  
ثمارها الدرجة التي تقدّم فيها نفسها - حيث تستعدّ الطبيعة لتُهضم -  
للحياة الهويّة (Selbstischen)؛ فالطبيعة إنّما تبلغ كمالها الأقصى  
في الفائدة المتمثلة في كونها تُؤكل وتسرّب؛ لأنّها تكون في ذلك

إمكان وجود أرفع، فتطال الكيان الروحي؛ - والروح الأرضي إذ يصير ضمن انقلابه وتبدله في شطر جوهرأ ذا قوة هادئة، وفي شطر آخر غلياناً روحياً، إنما يربو هناك حد المبدئ الأنثوي للإطعام، وهاهنا حد المبدئ الذكري للقوة المندفعة التي للكيان الواعي - بذاته.

وعليه ففي هذه المتعة إنما يفسى أمر تلك الماهية النورانية المشرقة، فيعلن ما هي؛ فالمتعة إنما هي لغز عين الماهية، فالمُغزُ ليس مواراةً لسراً أو عدمَ دراية، بل المُغزُ يقوم من حيث يعلم الهو أنه والماهية واحد، وأن تلك الماهية بالتالي قد انكشفت. والهو وحده منكشف لذاته، أو ما هو منكشف لا يكون إلا في الإيقان من الذات الذي في - الحال. لكن الماهية البسيطة إنما وُضعت بمعية العبادة في ذلك الإيقان؛ وليس لها فقط من جهة أنها شيء مستعمل، الكيان الذي يرى ويلمس ويحس ويذاق، بل هي أيضاً موضوع رغبة، فتستحيل بمعية المتعة الحاقة واحدة والهو، وبذلك تكون بينة تماماً ومنكشفة له. - أما ما يُقال [472] فيه إنه ظاهر للعقل ومنكشف للوجدان، فإنه لا يزال في واقع الأمر سرّياً، لأنه لا زال يُعوزُ الإيقان الحاق الذي للكيان في - الحال، الإيقان الموضوعي كما الإيقان المتمتع به، وهذا الإيقان الأخير لا يكون في الدين الإيقان العري من الفكر والذي - في - الحال وحسب، بل هو في الوقت نفسه الإيقان العالم بشكل محض الذي للهو.

أما ما يكون عندئذ قد أنكشف في حد ذاته للروح الواعي - بذاته عبر الشعائر فهو الماهية البسيطة من جهة ما هي الحركة حيث تخرج من ناحية من تخفيها الليلي لترقى إلى الوعي حتى تكون جوهره المُطعم الهادي، وحيث تتوه - من ناحية أخرى - من جديد في الليل السفلي والهو، فلا تنجح إلى السطح إلا بشوق الأمومة الهادي. - لكن النزوع النقي إنما هو ماهية الشروق

النورانية ذات الأسماء المتكثرة وحياتها المتمائلة التي تدارك أولاً -  
 إذ تُغفلها أيضاً كينونتها المجردة - ضمن الكيان الموضوعي  
 للشمرة، ثم تنتهي ضمن الوعي - بالذات إذ تهب نفسها له، إلى  
 الحقيق الأصلي، - فتضرب حينئذ في الأرض شرقاً وغرباً<sup>(12)</sup>  
 كأنها جمع نسوة مهتاجة، أو هتر الطبيعة الجموح في شكل واع -  
 بذاته.

لكن ما ذاع سره عند الوعي ليس بعد إلا الروح المطلق  
 الذي هو تلك الماهية البسيطة، لا الروح من جهة ما هو الروح  
 في حد ذاته، أو ليس هو إلا الروح الذي في - الحال، أي روح  
 الطبيعة. لذلك ليست حياته الواعية بذاتها إلا لغز الخبز والخمر،  
 لغز سيريس وباخوس<sup>(13)</sup>، لا لغز الآلهة الأخرى، [أي] الآلهة  
 العلوية بحق التي تنطوي فرديتها في حد ذاتها من جهة ما هي  
 لحظة جوهرية على الوعي - بالذات بما هو كذلك. وعليه فالروح  
 بما هو روح واع - بذاته ما زال لم يضح بنفسه لهذا الوعي -  
 بالذات، ولغز الخبز والخمر لم يتصير بعد لغز الجسد والدم.

إن هتر الآلهة ذاك الذي لا يخدر البتة لا بد له أن يسكن  
 إلى موضوع ما، ولا بد للحماسة التي لم تنته إلى الوعي أن تُنتج  
 أثراً ما يواجهه - مثله مثل التمثال الذي واجه حماسة الفنان الفائت -  
 تلك الحماسة من جهة ما هو أيضاً أثر مكتمل، لكن لا كهو عري  
 من الحياة في حد ذاته، بل كهو حي. - هذا الجنس من الشعائر

(12) Umherschweifen - ثمة هاننا فيض حياة غليظة لا راد له ولا حيلة  
 للمفهوم بعد في تديره أو إدارته منطقياً، وتلك آية الأثر الفتي الحي.

(13) سيريس (Ceres) آلهة لاتينية قديمة تناظر ديميتر (Demeter) عند اليونان،  
 وهي آلهة السوائل المائية المختلطة بالأملاح التي تهب أسباب النمو والربو والنضج  
 والفلاح. أما باخوس (Bacchus) فهو الاسم الروماني لديونيزوس آلهة الخمر  
 والانتشاء والاحتفاء كانت تصاحبه زبانيته (Bacchantes) وهن اللاتي كان الناس  
 مولعين بهن إذ كنّ يشربن الخمر ويرقصن في شكل جوقات تذهب بالباب المشاهدين.

إنّما هو الاحتفالُ الذي يُقيّمهُ الإنسانُ تكريماً لسنوّه، لكن من دون أن يضع بُعد في مثل تلك الشعائر دلالة الماهيّة المطلقة؛ لأنّ الماهيّة هي التي تنكشف له أولاً، أمّا الرّوح فما زال لم يتبدّد، فالماهيّة لم تنكشف له من حيث تتخذُ بالجوهر شكلاً بشرياً. لكنّ تلك الشعائر تقوم مقام الأسّ من هذا الانكشاف، وتُفردُ لحظاته لحظةً لحظةً. كذا تكون هاهنا اللّحظةُ المجرّدة التي للجسديّة الحيّة للماهيّة، كما كانت من قبل الوحدة التي لكليهما في جموح عارٍ من الوعي. وعليه فالإنسانُ يحلُّ بنفسه محلّ التمثال على نحو شكل لا يزال يتكوّن ويعتمل حتى يصير حركةً حرّةً تماماً مثلما يكون التمثال السكون الحرّ تماماً. وإذا علم كلُّ فردٍ كيف يعرضُ كحامل للمشعل، فإنّ واحداً يبرزُ من بين الأفراد، فيكون الحركة المتشكّلة والاعتماد الجليّ والقوّة السيّالة التي للأطراف جميعهم، - أثرٌ فنيّ حيّ متنفّسٌ يضيف الصرامة إلى جماليه، فيحصل في المقابل - ثمناً لقوّته - الزينة التي كان يُجلُّ بها التمثال وشرف كونه عند شعبه - بدل الآلهة التي من حجرٍ - العرض الجسديّ الأسنى لماهيّته.

إنّ وحدة الوعي - بالذات والماهيّة الرّوحية تكون حاضرةً في العرّضين اللّذين بانا لنا للتوّ<sup>(14)</sup>، لكن ما زال يعوزهما توازنهما؛ فالهو إنّما يكون في الحماسة الباخوسية خارج نفسه، أمّا في الجسديّة الجميلة فالماهيّة الرّوحية هي التي تكون خارج ذاتها. ولا بدّ أن يُدرج صمّم الوعي هذا وتمتمته البريّة (Ihr wildes Stammeln) ضمنّ الكيان الجليّ الذي لتلك الجسديّة، ويُدرج وضوحها العريّ من الرّوح ضمنّ جوانيّة الحماسة الباخوسية؛ فالأسطقس الذي تكون فيه الجوانيّة برانيّة مثلما تكون فيه البرانيّة جوانيّة إنّما هو من جديد اللّغة، لكن ليست لغة المعبد

(14) يعني الحماسة التي لم تنته إلى وعيٍ والجسديّة الجميلة الحيّة.

التي تكون في مضمونها عرضيةً وفرديةً شديداً، ولا التسبيح من جهة ما هو إحساسٌ لا يمدح إلا إلهاً عينياً، ولا التمتمة العريّة من المضمون التي للهيجان الباخوسي؛ بل اللّغة إنّما تكون كسبت مضمونها الجليّ والكلّيّ؛ فأما مضمونها الجليّ فمن جهة أنّ الفنّان خرج على الحماسة الأولى التي هي جوهريةً على التمام، واعتمل فترقى إلى الشكل الذي هو كيانٌ خاصٌّ مستغرقٌ في كلّ خلجاته بالنفس الواعية - بذاتها ومتعايشٌ والآخرين (Mitlebendes Dasein)؛ - وأما مضمونها الكلّيّ فمن جهة أنّ أحادية التماثيل التي لا تنطوي إلا على روح قوم وطبع مقيّد للألوهية، إنّما تزول في ذلك الاحتفال الذي يمثل عزّة الإنسان. والمبارز الجميل إنّما [474] يكون فخر شعبه بعينه، لكنّه فرديةً جسديةً تصرّم فيها انبساط الدلالة وصرامتها كما الطبع الجوّاني للروح الذي يحمل الحياة الجزئية والمطلوبات والحاجات وسُنن (Sitten) شعبه الإتيقيّة. والروح الذي يخرجُ حدّ الجسدية التامة إنّما يكون طرح الانطباعات الجزئية وأصداء الطبيعة التي كان انطوى عليها من جهة ما هو الروح الحاقّ للشعب. ولذلك لم يعد شعبه واعياً فيه بجزئيّته، بل يعي بالأحرى بطرح عين الجزئية كما بالكلية التي لكيانه الإنسانيّ.

### ج. الأثر الفنيّ الروحيّ

إنّ أرواح الشعب التي تصير واعيةً بشكل ماهيتها في حيوان جزئيّ إنّما تتجمّع في روح واحد؛ كذا تتحدّ أرواح الشعب الجميلة والجزئية في بانثيون<sup>(15)</sup> واحد تكون اللّغة أسطقسه ومنزله. والحدس الخالص للذات من جهة ما هي إنسانيةً كليّةً إنّما تكون له في حقيق روح الشعب الصورة التي على نحوها يرتبط هذا

(15) In ein Pantheon، مجمع الآلهة، ويعني أيضاً مسجد (مدفن) عظماء

الأمة وأجلاتها.

الروح بالآخرين من أجل شأن جماعي، وهم الذين يكون معهم بالطبيعة أمة واحدة فيُنشئ لأجل هذا الأثر شعباً برمته (Ein Gesamtvolk) وسماء برمتها (Einen Gesamthimmel). غير أن هذه الكلية التي يبلغها الروح ضمن كيانه ليست إلا هذه الكلية الأولانية التي تصدر عن فردية الإتيقي، فلم تجاوز بعد حالتها، ولم تجعل من تلك الأقوام (Aus diesen Völkerschaften) دولة واحدة. والإتيقية التي لروح الشعب الحاق إنما تقوم في شطر على ثقة الأعيان التي في - الحال في الكل الذي لشعبهم، وفي شطر آخر على المشاركة المباشرة للجميع - بغض النظر عن اختلاف الفئات والطبقات - في قرارات الحكومة وأعمالها. وحرية المشاركة تلك التي للجميع ولكل واحد إنما توضع جانباً أثناء التوحيد الذي لا يكون في أول الأمر في شكل نظام دائم، بل لأجل عمل مشترك وحسب. لذلك فهذه الشركة الأولى إنما هي جمعٌ للفرديات أكثر من كونها رياسة الفكر المجرد التي كانت تكون سلبت الأعيان مشاركتهم الواعية - بذاتها في إرادة الكل وفعله. [475]

I. الإبوس<sup>(16)</sup> - I. عالمه الإتيقي] - إن ضمّ أرواح الشعب يكون دوراً من الأشكال يحيط الآن بجملة الطبيعة كما بجملة العالم الإتيقي. وتلك الأرواح إنما تقع أيضاً تحت الإمرة العليا (Oberbefehl) التي للواحد أكثر من أن تكون تحت رياسته العليا (Oberherrschaft). وهي إنما تكون لذاتها الجواهر الكلية لما تكون الماهية الواعية - بذاتها وتفعل في ذاتها. أما هذه الماهية فتمثل القوة وفي أول الأمر على الأقل النقطة المركز التي تتدافع حولها تلك الماهيات الكلية، وظاهر هذه النقطة أولاً أنها

(16) Έπος، وتعني تأليلاً الخطاب والكلام والقص، لكنها تدل أيضاً على غرض القول أياً كان، وتعني اصطلاحاً الشعر الملحمي.

لا تربط شواغل هذه الماهيات إلا بنحوٍ عرضيٍّ. ولكنَّ أيلولة الماهية الإلهية إلى الوعي - بالذات هي ما ينطوي فعلاً على علة كون هذا الوعي - بالذات يمثل النقطة المركزَ بالنسبة إلى تلك القوى الإلهية، ويخفي في أول الأمر الوحدة الجوهرية تحت صورة رابطة ودية برآنية بين العالمين.

عين الكلية التي تحصل لهذا المضمون إنما تكون لها أيضاً بالضرورة صورة الوعي التي يهلُّ فيها هذا المضمون؛ فالفعل لم يعد الفعل الحاق للعبادة، بل أمسى فعلاً لا ريب أنه ما زال لم يُرفع إلى المفهوم، لكنه رُفِعَ رأساً إلى التصوّر والربط التوليفي بين الكيان الواعي - بذاته والكيان البرآني. والكيان الذي لهذا التصوّر، أي اللغّة، إنما هو اللغّة الأولى، الإيوس بما هو كذلك الذي ينطوي على المضمون الكلي على الأقل من جهة ما هو جملة العالم وإن لم يكُ كالكلية التي للفكر. والشاعر المنشد هو الفردي والحاق وحامل العالم الذي منه ينبجُم العالم وعليه يُحمَل. أما فصاحته<sup>(17)</sup> فليست قدرة الطبيعة المخدرة، بل هو أميموسين<sup>(18)</sup>، يقظة الوعي والجوانية الصائرة واستذكار الماهية التي كانت من قبل في - الحال. والمنشد إنما هو العضو الزائل في مضمونه، فليس هو الخاص به ما يهَم، بل آلهة الفن التي له وإنشاده الكلي. وما هو حاضرٌ بالفعل إنما هو القياس الذي يصلُ حدَّ الكلية - أعني عالم الآلهة - بالفردية - أعني المنشد - بواصلة الجزئية. والحد الأوسط إنما هو الشعب في أبطاله الذين هم بشرٌ أعيانٌ مثلهم مثل المنشد، لكنهم بشرٌ يتصورون وحسب، وبذلك

(17) Sein Pathos، باب من أبواب الخطابة غرضه التأثير على السمع بمعية التفخيم والتشديد في النطق والحركة.

(18) Die Mnemosyne، بنت أورانوس وغايا وأم الإلهات التسع الشقيقات الحاميات لأسباب الخلق والإبداع الفني واللاتي أنجبتهن أيان قضت تسع ليالٍ متوالية مع زوئس. وهي رمز الذاكرة.



هم في ذات الحين كَلَيون مثلما هو الحدّ الحرُّ للكَلِيَّة، أي الآلهة.

[2. البشر والآلهة] - وعليه فالذي يعرضُ بالجملة للوعي ضمن ذلك الإبوسُ إنّما هو ما يحصلُ في ذاته في الشعائر، أي اتصال الإلهيِّ بالإنسانيِّ. والمضمون إنّما هو ممارسةُ الماهية الواعية - بذاتها نفسها (Seiner Selbstbewußten Wesens) فالمراسُ يشوُّسُ سكونَ الجوهرِ ويهيِّجُ الماهيةَ، وبذلك تنفصمُ بساطتها فتفتحُ على العالمِ المتنوعِ للقوى الطبيعيّة والإتيقيّة. والممارسةُ هي إيذاءُ الأرضِ الساكنةِ، الحفرةُ التي تتنفسُ دماً، فتصدقُ ببناء الأرواحِ المتصرّمةِ التي تلهثُ وراءَ الحياة، فتحصلها في صنيع الوعي - بالذات. والشأن الذي يشغلُ الاجتهادَ الكليَّ إنّما يحصلُ له الجانبان، الجانبِ الهُوويِّ الذي به يُنجزُ من قِبَلِ جَمعٍ من الشعوبِ الحاقّةِ والفرديّاتِ التي ترأسُها، والجانبِ الكليِّ الذي فيه يُنجزُ من قِبَلِ قواها الجوهريةِ. أمّا الصلّةُ بين الجانبين فكانت تعيّنُ من قِبَلِ على نحو أنّها الرَبطُ التوليفيُّ بين الكليِّ والفرديِّ، أو التصرُّوُّ. والحكم على هذا العالمِ إنّما يكونُ موقوفاً على هذه التعيينيّة. - بذلك تكونُ العلاقةُ بينهما خلطاً يقسّمُ وحدةَ الفعل بلا قيّد وكيفما اتَّفَق، ويقلِّبُ المراسَ من جهة إلى أخرى بشكلٍ سطحيِّ. أمّا القدراتِ الكليّةُ فتشتملُ في حدِّ ذاتها على شكلِ الفرديّةِ، وبذلك مبدأُ المراسِ؛ فلذلك تظَّهرُ فعاليتها كصنيعِ صادرٍ عنها تماماً وحرّاً مثله مثل صنيعِ البشرِ. وعليه ما فعلته الآلهةُ وفعله البشرِ إنّما هو الشيءُ عينه. وجادّةُ تلك القدراتِ إنّما هي وفرّةٌ مضحكةٌ، ما دامت في واقعِ الأمرِ قوّةَ الفرديّةِ التي تمارِسُ؛ - ومجاهدةُ هذه الفرديّةِ وعملها إنّما هما جهدٌ لا طائلَ منه، ما دامت تلك القدراتِ هي التي تديرُ كلَّ شيءٍ. - والأمواتُ الفعالون الذين هم اللّيسُ إنّما يكونون في الوقتِ ذاته الهو القادرُ الذي يتنفَّذُ الماهياتِ الكليّةَ ويؤدّي الآلهةَ ويحدثُ لها بالجملة الحقيق

وهمّ الفعل؛ أما هذه الكلّيّات العاجزة التي تربو بعطايا البشر فلا تفعل شيئاً إلا بمعيتها، فإنما تكون - على العكس من ذلك - الماهية الطبيعية ومادة كل الأحداث، وكذلك تكون المادة الإتيقيّة [477] وباتوس الفعل. وإذا ما كانت طبائعها الأوّلانية لا تقاد إلى الحقيق والعلاقة الفعلية إلا بمعية الهو الحرّ الذي للفردية، فإنها كذلك الكلّي الذي يطرح هذا الرباط، فيبقى لامقيداً في تعينه، ويفسخ بمعية مرانته وحدته التي لا تُقهر إفراد الفعّال (Die Punktualität des Tätigen) وتشكّلاته، ثم يحفظ نفسه خالصاً، ويحلّ كلّما فرديّ في سيّلاته.

[3. الآلهة في ما بينها] - مثلما تسقط تلك الكلّيّات في هذه الصلة المتناقضة مع الطبيعة الهويّة التي تواجهها، كذلك تدخل كليّتها في صراع مع تعينها الخاصّ وعلاقته بكلّيّات أخرى؛ فإنما هي الأفراد الأزليّون والجميلون الذين يسكنون إلى كيانهم الخاصّ فيبرؤون من الفساد والعنف الغريب. - لكنّها في الوقت نفسه عناصر متعيّنة وآلهة جزئيّة وترتبط بالتالي بالهة أخرى. أما هذا الارتباط بالآخرين الذي يكون بحسب تضاده صراعاً معهم فإنما يكون تناسياً كوميدياً للطبيعة الأزلية التي لتلك الكلّيّات الإلهية. - والتعيّنة إنّما تكون متجذرة في القوام الإلهي، ويكون لها في تقييد هذا القوام القيام الذاتي للفردية بجملتها؛ وطبائع تلك الكلّيّات إنّما تخسر من جرّاء هذه الفردية الحدة التي لخصّياتها، فتختلط في تكثّر دلالاتها. - وأيّ مقصد للنشاط بل نشاطها نفسه ما دام يوجّه ضدّ آخر وإذا ضدّ قوّة إلهية لا تُقهر، إنّما يكون تباحثاً عرضياً وخاويّاً سرعان ما يزول فيحوّل الجديّة الظاهرة التي للمراس إلى لعب واثق وغير خطر وعارٍ من الحاصل والفلاح. لكن إذا ما لم يظهر السلبّي أو التعيّن التي لطبيعة تلك الكلّيّات عند ألوهيتها إلا كسفه لنشاطها وتناقض المقصد والفلاح، وإذا ما حفظ هذا الأمان القائم بنفسه الرجّاح على المتعين، فالحاصل عن

ذلك هو أنّ القوّة المحض للسلبّي إنّما تقابلها كأنها قدرتها الأخيرة التي لا وسع لها بها. وتلك الكلّيات الإلهيّة إنّما تكون الكلّيّ والموجّب إزاء الهو الفرديّ الذي للأموات والذي لا طاقة له بالصمود أمام قدرتها، لكن لهذه العلة يحوم الهو الكلّيّ من فوقها ومن فوق جملة هذا العالم الذي للتصوّر والذي يرجع إليه المضمون كلّهُ، كأنه خلاء الضرورة العاري من المفهوم، - حدثان (Ein Geschehen) تسلك إزاء تلك الكلّيات متشكّية وعريّة من الهو، فهذه الطبائع المتعيّنة لا تلقى نفسها في هذا الخلوّص. [478]

أمّا تلك الضرورة فإنّما هي وحدة المفهوم التي تدعُن لها الجوهرية المتناقضة للحظات الفرديّة، وحيث ينظم اتّفاق فعلها وعرضيّة ويستفيد لعب صُنْعها (Das Spiel ihrer Handlungen) في حدّ ذاتها الشدّة والقيمة اللّتين لتلك الوحدة. والمضمون الذي لعالم التصوّر إنّما يلعب حركته لذاته وفي حلّ من كلّ قيد عند الحدّ الأوسط، فيضمّ حول الفرديّة التي لبطل ما، لكنّ هذا البطل إنّما يشعر في قوّه وجماله بأنّ حياته تحطّمت، فيحزن من مباغثة موت مبكّر. والفرديّة الحاقّة والرّاسخة في ذاتها إنّما تُطرَح عند الطرف الأقصى، وتُفصم إلى لحظاتها التي لم توجد ولم تجتمع بعد. والواحد من الفرديّات، أعني اللاحق المجرد، إنّما هو الضرورة التي لا نصيب لها من حياة الحدّ الأوسط، مثلها مثل الآخر، أي الفرديّ الحاقّ، أعني المنشد الذي يقوم خارج ذاته فيتصرّم في تصوّره. ولا بدّ للطرفين أن يجاورا المضمون؛ فأحدهما، أعني الضرورة، ينبغي أن يُفعم بالمضمون، والآخر، أعني لغّة المنشد، ينبغي أن يكون له نصيب من ذاته؛ أمّا المضمون المهمل لنفسه من قبل فينبغي أن يستفيد في حدّ ذاته الإيقان والتعيّن الرّاسخ للسلبّي.

[II. التراجيديا] - وعليه فهذه اللّغة العليا، أعني التراجيديا،

إنما تجمع وتضمّ شتات اللحظات التي للعالم الجوهريّ والعالم المُمترس؛ وجوهرُ الآلهة إنّما يتفكك وفق طبيعة المفهوم إلى أشكاله، فتكون حركتها كذلك طبق عين المفهوم. أمّا في ما يتعلّق بالصورة فإنّ اللّغة تكفّت عن كونها سرديّة من جهة أنّها تلج المضمون، مثلما يكفّت المضمون عن كونه متصوّرًا. فالبطل هو نفسه المتكلّم، والتصوّر إنّما يُظهرُ للسّامع أنّه في الوقت ذاته مشاهدٌ، أي بشرٌ يعون ذواتهم ويعلمون حقّهم وغايتهم والقدرة والإرادة اللّتين لتعبيّتهم، كما يعلمون قولَ هذه الأمور جميعاً. إنهم فنانون لا يقولون البرانيّ الذي لقراراتهم ومشاريعهم بكيفيّة [479] عريّة من الوعي وطبيعيّة وساذجة مثلما هي حال اللّغة المصاحبة للفعل المشترك في الحياة الحاقّة، بل يُخرجون الماهيّة الباطنة، ويأتون الحجّة على أنّ مراسهم حقٌّ، ثمّ يثبتون برويّة ويفصحون بكيفيّة مقيّدة عن الباثوس الذي يرجعون إليه على فرديّة الكلّيّة وفي حلٍّ من الظروف العرضيّة وجزئيّة الأشخاص. إنهم في الختام بشرٌ حاقون يمثلون الكيان الذي لتلك الطبائع، بشرٌ يتقمّصون شخصيات الأبطال فيعرضونهم في كلام حاقٍ، ليس هو بكلام قصٍّ، بل كلام خاصٍّ بهم. وبقدر ما يكون جوهريّاً في التمثال أنّ يُقدّ بأيدي بشرية، يكون القناع جوهريّاً أيضاً بالنسبة إلى الممثل، - لا كشرية برانيّة كان يكون من اللازم أن يتجرّد منها الاعتبار الفنيّ، - أو إذا لزم مع ذلك تجريد هذا الاعتبار من ذلك، فهذا إنّما يُقصد على التدقيق إلى القول إنّ الفنّ ما زال لا ينطوي في حدّ ذاته على الهو الصادق والأصليّ.

[1. فرديات الجوقة والأبطال والقدرات الإلهيّة] - إنّ الأرضيّة الكلّيّة التي ترسل عليها الحركة التي لهذه الأشكال الناجمة من المفهوم هي الوعي باللّغة التصوريّة الأولى ومضمونها العري من الهو والمتروك على انفكاكه (Auseinandergelassen). إنّهُ بالجملة الشعب المشترك الذي تأتي حكمته اللّغة في جوقة

القديم<sup>(19)</sup>؛ والشعب إنّما يكون له ممثله في ضعف هذه الجوقة، لأنّه هو نفسه الذي يكوّن المادّة الموجبة والطيّعة لفردية الحكومة المقابلة لها. وليس بوسعها إذ تفوته قوّة السليبي، أن يجمع ويخضع الشراء والفيض الوافر اللذين للحياة الإلهية، بل يتركها تتشتت، فيجلب في أناشيده المقدّسة كلّ لحظة فردية كآلهة قائمة برأسها، فتارةً يجلب هذه الآلهة وطوراً تلك الأخرى. لكن حينما يشعر الشعب بجادّة المفهوم على النحو الذي يطأ به هذا الأخير تلك الأشكال فيمشي فوقها ويهدمها، فينتهي ذلك الشعب إلى رؤية أيّ مصير قبيح تشهده الآلهة التي يُجلّها والتي تغامر بنفسها على هذه الأرضية التي يرأسها المفهوم، فإنّ الشعب ذاته لا يكون القوّة النافية التي تتدخل بشكل فعّال، بل يسكن إلى الفكرة العرية من الهو التي لعين القوّة وإلى الوعي بالمصير الغريب، فيأتي بالرجاء الخاوي في التهدئة والقول المتهاف في الاطمئنان. والشعب إذ يخشى القوى العليا التي تكون أذرع الجواهر التي في - الحال، ويقف حيال تقاطعها بعضها مع بعض كما حيال الهو البسيط الذي للضرورة الذي يفتتها مثلما يفتت الأحياء المرتبطين [480] بتلك القوى، ويشفق على هؤلاء الأحياء الذين يعلم في الوقت نفسه أنّهم يضاؤونه، لا يلقي إلّا الروع العاطل الذي لتلك الحركة والأسف القنوط، فلا يكون له في النهاية إلّا السكون الخاوي الذي للتسليم بالضرورة التي لا يدرك أثرها في حدّ ذاته من جهة ما هو المراسم الواجب للطبع ولا من جهة ما هو صنيع الماهية المطلقة.

إنّ الرّوح يهلّ على تكثّره اللامشتت، بل على الانقسام البسيط الذي للمفهوم، فيحضر قدام ذلك الوعي المشاهد من جهة ما هو الأرضية السيانية التي للتصوّر. ولذلك لا يظهر جوهر الرّوح

(19) In dem Chore des Alters ويمكن نقل Chore وفق عبارة - الخورس.

إلا متمزقاً بين قوتيه القسويين. وهذه الماهيات الكلية الأولانية إنما تكون في الوقت نفسه فرديّاتٍ واعيةً - بذاتها، - فهي أبطال يضعون وعيهم في واحدة من القوتين، فتكون لهم فيها تعينية الطبع، فيجعلونها فعالةً وحاقةً. - هذا الانفراد (Individualisierung) الكليّ إنما ينزل كذلك - كما ذكرنا به - حدّ الحقيق الحائيّ الذي للكيان على الأصل، ثمّ يعرضُ لجمهورٍ من المشاهدين تكون له في الجوقة صورته المعاكسة، أو بالأحرى تصوّره الخاصّ الذي يُقال.

أما المضمون والحركة اللذان للروح الذي يكون هاهنا لنفسه موضوعاً، فقد اعتُبراً بعدُ كطبيعة الجوهر الإتيقيّ ونَجْزِهِ. وهذا الروحُ إنما يبلغُ ضمنَ دينه الوعيّ بصدد ذاته (Bewußtsein über sich)، أو يعرضُ لوعيه على صورته الأنقى وتشكّله الأبسط. وعليه فإذا كان الجوهر الإتيقيّ أنفصم عبر مفهومه - وبحسب المضمون الذي له - إلى القوتين اللتين قُيدتا كحقّ إلهيّ وحقّ إنسانيّ، أو حقّ سفليّ وحقّ سماويّ (Oberes Recht)، فيكون ذلك العائلة وهذا سلطة الدولة، - فمثلَ أولهما طبع الأنثى والثاني طبع الذكر، فإنّ دائرة الآلهة التي كانت من قبل متكرّرة الصور ومتحرّرة في تعيناتها، إنما تتقيّد إذا بتينك القوتين اللتين جاورتا عبر هذا التعيين الفرديّة الأصليّة، لأنّ الشتات الفاتت للكلّ في القوى المجرّدة والمتكرّرة وجوهها التي كانت أظهرت متجوّهةً إنّما هو تحلّل الذات التي لا تفهم تلك القوى إلا من حيث تكون لحظات في الهو الذي لها، فلذلك ليست الفرديّة إلا الصورة السطحيّة التي [481] لتلك الماهيات. أمّا الإسهاب والتدقيق في اختلاف الطبائع، فإنّما يُحسب - على العكس - للشخصيّة العرضيّة والبرانيّة في حدّ ذاتها.

[2]. المعنى المزدوج الذي لوعي الفرديّة] - إنّ الماهيّة تنقسم في الوقت ذاته وفق صورتها أو وفق المعرفة. والروح الجارحُ إنّما

يقابل من جهة ما هو وعي الموضوع، فيكون فاعلاً فيه، وبذلك يكون الموضوع متعيّناً كالسليبي الذي للعارف؛ أما الجارح فيجد نفسه بذلك على مقابلة المعرفة واللامعرفة، فهو يتخذ مقصده من طبعه، ويعلم أن مقصده أيسيةً إتيقيةً، لكنّه لا يعلم بمعية تعيينية الطبع إلا واحدةً من قوتَي الجوهر، أما القوّة الأخرى فمحبوبةً عنه. لذلك فالحقيقُ الحاضر إنّما يكون في - ذاته مغايراً، كما يكون مغايراً بالنسبة إلى الوعي؛ والحقّ السماويّ والحقّ السفليّ إنّما يستفيدان في هذه الصلة دلالة القوّة العالميّة والمنكشفة للوعي ودلالة القوّة المتسترة الكامنة والمترصّدة. أمّا الواحدة من تيّنك القوتين فهي وجه التور (Die Lichtseite)، آلهة الموحى التي تعلم وتكشف كلّ شيءٍ إذ تنجم من الشمس المنيرة طبقاً للحظتها الطبيعيّة، - فيبوس وزوئوس الذي هو أبوها. ولكن أوامر هذه الآلهة الصّدوق وإشهارها بما هو كائنٌ، إنّما تكون في الأكثر مُضِلّةً. وهذه المعرفة إنّما تكون في - الحال في مفهومها لامعرفةً، لأنّ الوعي في حدّ ذاته يصبح ضمن المراسم تلك المقابلة، فمن كان بوسعه حلُّ لغز سفنكس ذاته مثله مثل من كان واثقاً ثقة الصبيان<sup>(20)</sup>، إنّما يُلقى بهما لهذه العلة للتهلكة عبر ما كشفت لهما الآلهة. وهذه الكاهنة التي تنطق بلسانها الآلهة الجميلة، ليست إلا راهبات القدر<sup>(21)</sup> الملتبسات اللّاتي يدفعن بنوءتهن إلى الجريمة، فيخدعن بلبس ما كانت تعرضهن كأنّه ثابتٌ، من ينساق للمعنى الظاهر. لذلك فالوعي الذي يكون أنقى من هذا الأخير، أعني الذي يؤمن بالساحرات، والذي يكون أصوب وأعمق من الأوّل، أعني الذي يثق بالكاهنة والآلهة الجميلة، إنّما يتردّد في الانتقام متى يكشف له روح الأب نفسه ما يتعلّق بالجريمة التي

(20) يقصد أوديب وأوريست.

(21) الساحرات الثلاث اللّاتي يرتصن بماكيث الملك (Macbeth) فيظهُرن له

في شكل أخوات راهبات غريبات.

كانت قتلته، فلا يكف عن طلبة قرائن أخرى، - والعلة في ذلك هو أن ذلك الروح الكاشف إنما كان يكون الشيطان.

ولذلك فالتوقي في ذلك واجب، لأن الوعي العالم إنما يستوضع نفسه في المقابلة بين الإيقان من ذاته وبين الماهية الموضوعية. وحق<sup>(22)</sup> الإيقاني الذي يتمثل في أن الحقيق لا يكون شيئاً في حد ذاته في مقابلة القانون المطلق إنما يتعنى كون علمه أحاديًا وقانونه ليس إلا قانون طبعه، وإنه لم يدرك إلا واحدة من قوتَي الجوهر. والمراس ذاته إنما يكون هذا القلب للمعلوم إلى عكسه، أي الكينونة؛ إنه انقلاب الحق الذي للطبع والعلم إلى حق المتضاد الذي يكون ذلك الحق الأول مرتبطاً به في ماهية الجوهر، - انقلاب إلى إيرينا القوة الأخرى والطبع الآخر المفتونين بالعداوة. وهذا الحق السفلي إنما يستوي على العرش مع زؤيس ويتمتع بالتقدير نفسه مع الحق المكشوف والآلهة العالمية.

إن الفردية التي تمارس تقيّد عالم الآلهة الذي للجوقة بهذه الماهيات الثلاث. واحدة من هذه هي الجوهر، قدرة المنبع والروح الذي لورع العائلة مثلما تكون السلطة الكلية التي للدولة والحكومة. وما دام هذا الفرق ينتمي إلى الجوهر بما هو كذلك، فإنه<sup>(23)</sup> لا ينفرد عند التصور إلى شكلين متباينين، بل تكون له في الحقيق الشخصيتان اللتان لطباعه. وفي المقابل يقع الفرق بين المعرفة واللامعرفة في كل واحد من الوعيات - بالذات الحاقّة - ولا ينقسم إلى شكلين فرديين إلا في التجريد وعنصر الكلية. فالهو، أي البطل، لا كيان له إلا من جهة أنه وعي كامل، ولذلك هو بالجوهر الفرق الكامل الذي ينتسب إلى الصورة؛ أما جوهره فيكون متعيناً، ولا ينتسب إليه إلا وجه واحد من فرق

(22) الحق على المعنى الحقوقي.

(23) يعني الفرق.



المضمون. إذاً جانبا الوعي كلاهما اللذان لا تكون لهما في الحقيقى فردية مفارقة (Getrennte) خاصة بكلّ منهما إنّما يحصل كلّ منهما في التصوّر شكله الجزئى؛ فأما أحدهما فيحصل شكل الآلهة الكاشفة، وأما الآخر فيكسب شكل إيرينا التي تبقى محجوبة. وكلاهما إنّما يتمتّع من ناحية بالقدر نفسه من الشرف، ومن ناحية أخرى يكون شكل الجواهر، زويس، ضرورة الوصل بينهما. والجواهر إنّما هو الصلة حيث يكون العلم لذاته، أما حقيقته فتكون عند البسيط أين يكون للفرق - الذي به يكون الوعي الحاق - عماده في الماهية الجوانية التي تلغيه، وأين يكون للتوكيد البين لذاته الذي للإيقان رسوخه في النسيان.

[483]

[3. دُثور الفردية] - لقد فتح الوعي هذه المقابلة بمعية المراس؛ والوعي إذ يمارس وفق المعرفة المكشوفة، إنّما يتعنّى خدعة عين المعرفة، ومن جهة أنّه قد تعاطى بحسب المضمون صفة واحدة للجواهر، فإنّما يكون قد طعن في الأخرى فسلم لها من خلال ذلك بالحقّ ضده. وهو إذ يتبع الآلهة العالمة إنّما يدرك في الأكثر اللامنكشاف، ويكفر عن كونه سكن إلى المعرفة التي كان ينبغي - وتلك هي طبيعتها - أن يحضر لبسها عنده أيضاً فيكون نذيراً. وهيجان الكاهنة والهيئة اللإنسانية التي للساحرات وصوت الشجر والطيور والحلم وما إليه، ليست وجوهاً تظهر فيها الحقيقة، بل آيات منذرة بالخدعة واللاروية كما بفردية المعرفة وعرضيتها؛ أو وهو الشيء نفسه: القوة المقابلة التي ينتهكها الوعي إنّما تكون حاضرة من جهة ما هي قانون معلن وحقّ سار إن كان قانون العائلة أو قانون الدولة؛ أما الوعي فإنّما اتبع على العكس المعرفة الخاصة، فحجب عن نفسه المنكشاف. لكن حقيقة قوتى المضمون والوعي اللتين تهلان مواجهتين إنّما هي الحاصل الذي مفاده أنّ كليهما لهما عين الحق، ولهما إذاً في تقابلهما الذي يُنتجه المراس عين الجور. وحركة الفعل إنّما تأتي

البينة على وحدتها في الدثور المتبادل للقوتين والطباع الواعية - بذاتها. أما ائتلاف التقابل مع نفسه فإنما هو اللثية<sup>(24)</sup> التي للعالم السفلي في الموت، - أو اللثية التي للعالم العلوي من جهة ما هي تبرئة لا من الذنب فهذا لا وسع للوعي بنفيه إذ كان يمارس، بل تبرئة من الجرم وسكينته المكفرة. وكلاهما إنما هما النسيان، الكينونة المتصرمة للحقيق والفعل اللذين لقوى الجوهر وفردياته وقوى الفكر المجردة للخير والشر، فلا قوة من هذه تكون لذاتها الماهية، بل الماهية تكون الكل إلى ذاته والوحدة اللامتحركة للمصير والكيان الساكن، وعليه لانشاط ولاحيوية العائلة والحكومة والشرف المتساوي، إذاً اللاحقيق [484] السياني الذي لأبولون وإيرينا<sup>(25)</sup> وأيلولة رَوْحهما ونشاطهما إلى زويس البسيط.

هذا المصير يكمل إقفار (Die Entvölkerung) السماء، - ويخلي خليط الفردية والماهية العري من الفكر، - وهو خليط يظهر به صنيع الماهية كصنيع سفيه وعرضي وغير خليق بها؛ فالفردية التي ترتبط بالماهية من وجه سطحي وحسب إنما هي الفردية غير الجوهرية. ونبدأ مثل هذه التصورات العرية من الماهية الذي كان طالب بها فلاسفة العصر القديم إنما يبدأ إذاً بالجملة في التراجيديا من جهة أن المفهوم هو الذي يرأس قسمة الجوهر، والفردية تسمى عندئذ الجوهرية، والتعيينات تكون الطبائع المطلقة. فالوعي - بالذات الذي يتمثل في التراجيديا لا يعرف ولا يعترف لهذه العلة إلا بقوة عليا واحدة، فلا يعرف ولا يعترف بزويس ذلك

(24) Die Lethe (ἡ Λήθη)، اللثية: ابنة إيريس (إلهة الفتنة). إلهة النضارة

واليقاع في العالم السفلي واسم لنهر من أنهر الجحيم الخمسة، وهو نهر النسيان.

(25) Apolls und Erinnye: أبولون ابن ليتو وزويس، ويكتى بالفيبوس، أي

الساطع أو البارق. حامى الموسيقى والفنون وإله التنبؤ. أما إيرينا فهي آلهة العقاب والحساب، تتعقب المذنبين على وجه البسيطة وتتولى حساب الموتى.

إلا من جهة ما هو قوة الدولة أو الموطن، ولا يرى فيه في التقابل مع المعرفة إلا أبا المعرفة بالجزئي التي تصير إلى الشكل، - وكزويس الذي للقسَم وإيرينا والكلي والجواني الذي يسكن المزمَل (Im Verborgnen wohnenden Innern). أما اللحظات الباقية من المفهوم والتي ما تنفك تشتت في التصور، وتؤثرها الجوقة الواحدة تلو الأخرى، فليست هي - على العكس من ذلك - بائوس البطل، بل تفسد فيه، فتمسحُ إلى أنفعال، - أي إلى لحظات عرضية وعريّة من الماهية لا ريب أن الجوقة العريّة من الهو تُجلّها، لكنّها لا تستطيع أن تقيم طبع الأبطال، ولا أن يفصحوا عنها ويقدروها كأنها ماهيتهم.

لكن شخصيات الماهية الإلهية ذاتها مثلها مثل طبائع الجوهر إنما تجتمع أيضاً في بساطة العاري من الوعي (Des Bewußtlosen). وهذه الضرورة إنما يكون لها حيال الوعي - بالذات تعين كونها القوة النافية لكل الأشكال الهالّة، وألا تعترف نفسها فيها، بل بالأحرى أن تدثر فيها. والهو لا يهلُّ إلا محمولاً على الطبائع ومنقسماً بينها، لا كالحذ الأوسط الذي للحركة. ولكن الوعي - بالذات، الإيقان البسيط من الذات، يكون في واقع الأمر القوة النافية، وحدة زويس والماهية الجوهرية والضرورة المجردة، فالوعي - بالذات هو الوحدة الروحية التي يؤول إليها كل شيء. ولما كان الوعي - بالذات الحاق لا يزال مغايراً [485] للجوهر والمصير، فهو في شطر الجوقة، أو في الأكثر الجمع المشاهد الذي تفعمه تلك الحركة التي للحياة الإلهية من جهة ما هي غريب فرقا وذعراً، أو الجمع الذي لا تنتج فيه الحركة من حيث هي شيء قريب إلا تأثر الإسفاق الذي لا يصنع شيئاً. في الشطر الآخر يكون ذلك التوحيد - من حيث إن الوعي يشارك في المراس، فينتسب إلى الطبائع - توحيداً برانياً ورياءً، ما دام التوحيد الصادق الذي هو توحيد الهو والمصير والجوهر، ما زال

لم يمثل؛ فالبطل الذي يدخل الرّكح أمام المشاهد إنّما ينفث بين قناعه والممثل، وبين الشخصية وهو الحاق.

لا بدّ أن يخرج الوعي - بالذات الذي للأبطال على قناعه، فيعرض من حيث يعلم ذاته كالمصير الذي لآلهة الجوقة كما الذي للقوى المطلقة ذاتها، كما من حيث إنّه لم يعد منفصلاً عن الجوقة والوعي الكليّ.

III. الكوميديا] - وعليه فالكوميديا يكون لها قبل كل شيء الجانب الذي يبيّن الوعي - بالذات على نحوه كالمصير الذي للآلهة. وتلك الماهيات الأولانية إنّما تكون بما هي لحظات كليّة، فليست هي بهو ولا هي بحاقّة. إنّ تلك الماهيات لا محالة معدّة بصورة الفرديّة، لكنّ هذه الصورة ليست إلّا متخيّلة فيها، فلا تحصل لها في ذاتها ولذاتها؛ أمّا الهو الحاقّ فلا تكون مثل تلك اللّحظة المجرّدة جوهره ومضمونه. لذلك فهو، أي الذات/ الحامل، إنّما قد رُفِع فوق مثل تلك اللّحظة كأنّ فوق خصيّة فرديّة، ثمّ يعبرُ إذ يحمل ذلك القناع عن الهُزء (Die Ironie) بعين الخصيّة التي تنزِع لذاتها إلى أن تكون شيئاً ما. وزعم الأيسية الكليّة إنّما يُذاع أمره عند الهو، فيظهر حبيس حقيق ما، ثمّ يسقط القناع من جهة أنّه يتغي أن يكون ذا حقّ<sup>(26)</sup>. فالهو إذ يهلّ هاهنا على دلّته كحاقّ إنّما يتلاعب بالقناع الذي يحصل له أن يحمله تارة حتّى يمسي شخصيّة، - لكنّه سرعان ما يخرج على ذلك الظاهر، فيبيّن تارة أخرى عرياً وعلى جبلّته التي تُظهره غير مختلّف عن الهو الأصليّ، عن الممثل كما المشاهد.

هذا التحلّل الكليّ للأيسية التي تتشكّل بالجملة إلى فرديتها إنّما يستحيل في مضمونه أكثر جادّة، فيصير بذلك أكيس وأمر من حيث

(26) Etwas Rechtes sein will، بالمعنى الحقوقيّ.

تكون لذلك المضمون دلالة الأشد والأوجب. والجوهر الإلهي  
[486] إنما يجمع بين جنبه دلالة الأيسية الطبيعية والأيسية الإتيقية.

[1. ماهية الكيان الطبيعي] - أما في ما يتعلق بالطبيعي فالوعي - بالذات الحاقاً إنما يظهر - ضمن استعمال عين الطبيعي في زينته وسكنه وما إليه، كما في وليمة أضحيتيه - كالمصير الذي يُكشَف له السر المتعلق بحال الأيسية الذاتية (Selbstwesenheit) التي للطبيعة؛ فهو إنما يتملك في لغز الخبز والخمر عين الأيسية، فيقرنها بدلالة الماهية الجوانية، ويعي بالجملة في الكوميديا بما في هذه الدلالة من سخرية. - أما من جهة أن هذه الدلالة تنطوي حينئذ على الأيسية الإتيقية، فإنما تكون في شطر الشعب في جانبيه كليهما، جانب الدولة أو جانب الديموس (Demos) على الحصر، وجانب فردية العائلة؛ - وتكون في شطر آخر العلم الخالص الواعي - بذاته، أو التفكير العقلي الذي للكلي. - وذلك الديموس، الكتلة الكلية التي تعلم أنها الأسياد والحكام مثلما تعلم أنها الذهن والتعقل الواجب احترامهما، إنما يضطر فيغتر بجزئية حقيقه، فيظهر التعارض المضحك بين رأيه في ذاته وبين كيانه الذي في - الحال، بين وجوبه وبين عرضيته، بين كليته وبين جمهوريته (Gemeinheit). ولما يحصل مبدأ فرديته المفصولة عن الكلي في الشكل الأخص الذي للحقيق، فيزعم جهاراً الحق في تأسيس الماهية المشتركة التي يمثل ضررها السري، فإن التعارض يُفصح إذاً بشكل أكثر حالية، وهو التعارض بين الكلي بما هو نظرية وبين غرض البراكسيس، فينكشف التحرير الكامل لأهداف الفردية التي في - الحال من النظام الكلي وسخرية تلك الفردية من هذا النظام.

[2. لاجوهريته فردية الإلهي المجردة] - إن التفكير العقلي يخلص الماهية الإلهية من شكلها العرضي، وهو إذ يقابل الحكمة العربية من المفهوم للجوقة التي تأتي أقوالاً شتى في السنن الإتيقية

(Mancherlei Sittensprüche) وتشرع زمرة من القوانين والمفاهيم المقيّدة في الواجب والحق، إنّما يحمل كلّ هذه الأمور على أفكار الجميل والخير البسيطة. - وحركة هذا التجريد إنّما هي الوعي بالديالكطيقا التي تشتمل عليها تلك الحكّم والقوانين في حدّ ذاتها، وهي بالتالي الوعي بزوال الصلاحية المطلقة التي كانت أظهرت عليها من قبل. وما دام التعيين العرضي والفردية السطحية التي أعارها التصور الأيسيات الإلهية قد زالاً، فإنّ هذه الأيسيات 487] لم يعد لها وفق وجهها الطبيعيّ إلاّ عري كيانها الذي في - الحال، فإنّما هي غيوم، ضبابٌ يضمحلّ كمثل تلك التصورات. وهي إذ باتت بحسب أيسيتها المفتكرة أفكاراً بسيطةً في الجميل والخير إنّما تحتل أن تصير مفعمةً بأيّما مضمونٍ اتفق. وقوة المعرفة الديالكطيقية إنّما تهمل القوانين المقيّدة وحكم الممارسة، فتركها لمتعة الشباب وطيشه إذ يصير عندئذٍ بذلك مغويّاً، ثمّ تضع أسلحة المخاتلة بين يدي الخيفة وقلق الشيخوخة المقيّدة بفردية الحياة. وعليه ففكرتا الجميل والخير الخالصتان إنّما تُظهران المشهد الكوميديّ المتمثّل في كونهما تصيران خاويتين من حيث تحرران من الرأي الذي ينطوي على تعيّنيتها كمضمون كما على تعيّنيتها المطلقة، أعني رسوخ الوعي، فتصيران بذلك لعبة الرأي والاعتباط الذي للفردية العرضية.

[3. الهو الفرديّ الموقن من ذاته كماهية مطلقية] - في هذا الموضوع إذا يتحد بالوعي - بالذات المصير الذي كان من قبل عرياً من الوعي والقائم على السكون والنسيان الخاويين والمفصول عن عين الوعي - بالذات؛ فالهو الفرديّ إنّما هو القوة النافية التي تفوت فيها وتضمحلّ من جرّائها الآلهة كما لحظاتها والطبيعة الكائنة كما أفكار تعيّناتها؛ وليس الهو في ذات الحين خواء الفوات، بل يقوم وهذه الليسية (Die Nichtigkeit) نفسها، فيكون لذن ذاته، ويمسي الحقيق الوحيد. ودين الفنّ إنّما يتكمل في

الهو، فيكون آل على التمام إلى ذاته. أما كون الوعي الفرديّ ما يبيّن في الإيقان من الذات كهذه القدرة المطلقة، فالحاصلُ عنه أنّ هذه القدرة قد خسرت الصورة التي تكون بالجملة لمتصوّرٍ ما ومفارقٍ للوعي وغريبٍ عنه، مثلما كانت حال التماثيل والجسدية الجميلة الحيّة أيضاً أو مضمون الإبوس والقوى والشخصيات التي للتراجيديا، - والوحدة ليست كذلك الوحدة العريّة من الوعي بين الشعائر والألغاز، - بل هو الخاصّ الذي للممثل إنّما يطابق شخصيته، مثلما هي حال المشاهد الذي يكون بين أهليه في ما يُعرض أمامه، فيرى ذاته تؤدّي الدور. أما ما يحدثه ذلك الوعي - بالذات فهو أنّ ما يتخذ داخله صورة الأيسية التي تقابله إنّما يتحلّل في الأكثر، فيهمّل في فكره وكيانه وصنيعه، إنه أيلولة كلّ كليّ إلى الإيقان من الذات الذي يصير بذلك هذا الضرب من انعدام الخوف واللاأيسية التامّين بإزاء كلّ غريب، حُسن حال (Ein Wohlsein) الوعي وأنسياقه إلى حسن الحال كما لا نظير لهذا وذاك خارج هذه الكوميديا.

### III. الدينُ الظاهر<sup>(27)</sup>

لقد تحوّل الرّوح عبر دين الفنّ عن صورة الجوهر ليدخل في صورة الذات، لأنّ دين الفنّ ينتج شكل الرّوح، فيضع هذا الدين إذاً في داخله الفعل أو الوعي - بالذات الذي لم يك له في الجوهر المخيف إلا أن يزول ولم يدرك ذاته ضمن الطمأنينة. وهذه الاستحالة بشراً (Menschwerdung) للماهية الإلهية إنّما تصدر عن التماثيل التي لا تشتمل في حدّ ذاتها إلا على الشكل البرانيّ

(27) Die offenbare Religion، الدين الظاهر والشفيف والبيّن بنفسه لكلّ وعي وليس الدين المنزّل أو المكشوف (Geoffenbare Religion) الذي يختصّ بباطن لا وسع للوعي به ما لم يرسخ في ظاهره.

للهو؛ أما الجوّانيّ، أعني نشاط الهو، فإنّما يقع خارجها؛ أمّا في الشعائر فالجانبان يُمسيان واحداً؛ وفي حاصل دين الفنّ تمرّ الوحدة على تمامها وفي الوقت ذاته إلى طرف الهو؛ أمّا في الرّوح الذي يوقن تماماً من نفسه ضمن فردية الوعي، فكلّ أسيّة إنّما تكون عُمرت. والقضية التي تقول ذلك الطيش (Leichtsinn) يكون مضمونها كالتالي: إنّما الهو الماهية المطلقة؛ فالماهية التي كانت جوهرًا وكان الهو يمثل عندها العرضية، إنّما تُنزل إلى محمول، والرّوح إنّما فقد وعيه في هذا الوعي - بالذات الذي لا شيء يواجهه على صورة الماهية.

[1. مفترضات مفهوم الدين الظاهر] - هذه القضية «إنّما الهو الماهية المطلقة» ترجع - كما هو بيّن بنفسه - إلى الرّوح اللادينيّ والحقّ، وينبغي التذكير أيّ شكل لعين هذا الرّوح الحقّ يعبر عنه؛ فهذا الشكل سينطوي في الوقت نفسه على الحركة وقلب عين القضية الذي يخفض الهو إلى محمول ويرفع الجوهر إلى ذات/ حامل. وذلك يكون لا على نحو أنّ القضية المقلوبة تجعل من الجوهر في ذاته أو بالنسبة إلينا الذات/ الحامل، أو أنّها - وهو الشيء نفسه - تستعيد الجوهر من جديد حتّى إنّ وعي الرّوح يُساق إلى بدايته، أي إلى الدين الطبيعيّ، وإنّما على نحو أنّ ذلك القلب يحصل للوعي - بالذات نفسه وبمعيته. وما دام هذا الوعي - 489] بالذات يُغفل نفسه من وجه واع، فإنّه يُحفظ في تخارجّه، فيظلّ الذات/ الحامل التي للجوهر، لكن يكون له في الحين ذاته من جهة أنّه خارج على ذاته، الوعي بعين ذلك الجوهر؛ أو بعبارة أخرى: ما دام هذا الوعي - بالذات يُنتج بتضحيتّه الجوهر كذات/ حامل، فإنّ هذه الذات/ الحامل إنّما تظلّ الهو الخاصّ الذي له. وإذا كان الجانبان إذاً مائلين في القضيتين بقيمة متفاوتة تفاوتاً متضاداً - ولاسيّما إذا كانت الذات/ الحامل تزول في قضية الجوهرية الأولى، ولم يكن الجوهر في الثانية إلّا محمولاً -، فإنّ



ما يحصلُ عن ذلك هو حدوث اقتران الطبيعتين وتنافيهما حيث تكون الطبيعتان جوهريتين (Wesentlich) بالقيمة نفسها، فليستا هما إلا لحظتين؛ وعليه فالروح إنما يكون بذلك وعياً بذاته<sup>(28)</sup> من جهة ما هي جوهره الموضوعي، مثلما يكون وعياً - بالذات بسيطاً يبقى داخل ذاته.

إن دين الفن ينتمي إلى الروح الإتيقي الذي كنا رأيناه يفوت في حالة الحق<sup>(29)</sup>، أي في القضية التالية: الهو بما هو كذلك، الشخص المجرد إنما هو الماهية المطلقة، فالهو في الحياة الإتيقية منغمس في روح شعبه، فهو الكلية المفعمة. أما الفردية البسيطة فتترقى انطلاقاً من هذا المضمون، فتخلص طيشها حدّ الشخص والكلية المجردة التي للحق. إن الروح الإتيقي يفقد واقعه ضمن هذه الكلية، والأرواح الخالية من المضمون التي لأعيان الشعب إنما تجمع في بانثيون واحد، لا في بانثيون<sup>(30)</sup> التصور الذي تترك صورته العاجزة كل امرئ يأتي ما يشاء، بل في بانثيون الكلية المجردة والفكر الخالص الذي يقبض عنهم الحياة (Entleiben)، فيحمل الكون - في - ذاته و - لذاته على الهو العري من الروح والشخص الفردي.

لكن هذا الهو إنما ترك بخوائه المضمون حرّاً؛ والوعي لا يكون الماهية إلا داخل ذاته؛ فكأنه الخاص، أعني كون الشخص

---

(28) Bewußtsein seiner، لا حيلة لنا في المباشرة بين هذا المقام من الوعي بالذات ومقام الوعي - بالذات (Selbstbewußtsein) إلا على سبيل «نحت» العبارة الثانية بمعينة المظة؛ فالمقام الأوّل يحيل إلى وعي ما زال لم يتبطن موضوعه، فيظل موقوفاً على موضوعية ما. أما المقام الثاني فينتسخ فيه تخارج الذات والموضوع، فتعي الذات أنها موضوع حاقّ لنفسها.

(29) انظر طور الروح الحق، الإتيقية، ج. حالة الحق، ص 507 من هذا الكتاب.

(30) انظر الهامش رقم (15)، ص 701 من هذا الكتاب.

معترفاً به من وجهٍ حقوقيٍّ، إنّما هو تجريدٌ خاوٍ، وعليه فالووعي لا يملك بالأحرى إلّا فكرةً ذاته، أو كما يكون هنا ويعرف ذاته كموضوع، إنّما هو اللاحاق. ولذلك ليس هو إلّا قيمومة التفكير الرواقية، فهذه إذ تجوب حركة الوعي الربوبي، إنّما تلقى حقيقتها في هذا الشكل الذي كان سمّي الوعي - بالذات الشقي.

[490]

هذا الوعي - بالذات يعلم ما يجري عليه الأمر في الصلاحية الحاقّة للشخص المجرد، وكذلك في صلاحية عين الشخص في الفكر الخالص. فهو يعلم مثل تلك الصلاحية من حيث تكون في الأكثر الضلال المبين، وهو نفسه يكون هذا الضلال الواعي بذاته وتخرج علمه بذاته. - إنّنا نرى أنّ هذا الوعي الشقيّ يمثل عكس وتتمّة الوعي الذي يكون في دخيلته سعيداً كلّ السعادة، أي الوعي الكوميدي، فالماهية الإلهية تؤوب إلى هذا الوعي الأخير، أو هي التخرج التام للجوهر. أما ذلك الأوّل<sup>(31)</sup> فهو على العكس المصير التراجمي للإيقان من الذات الذي يجب أن يكون في ذاته ولذاته؛ فهو الوعي بضلال كلّ أيسية في هذا الإيقان من الذات، وعلى الحصر الواعي بضلال هذا العلم بالذات -، ضلال الجوهر كما هو، إنه الوجع الذي يُقال بحسب العبارة الغليظة: إنّ الله قد مات.

إذاً العالم الإتيقي والدين الذي لعين العالم، قد أنّغما - في حالة الحق - في الوعي الكوميدي، أما الوعي الشقيّ فهو العلم بهذا الضلال كاملاً، فتكون ضاعت بالنسبة إلى هذا الوعي القيمة الذاتية لشخصيته التي في - الحال كما القيمة الذاتية لشخصيته الموسوطة والمفتكرة. وكذلك تكون بكتت الثقة بقوانين الآلهة الأزلية كما المواحي التي كانت تعلم الجزئي؛ فالتماثيل أضحت الآن جثاً فرّث منها النفس المحيية، وكذلك أمست الأناشيد

(31) يعني الوعي الشقيّ.

كلمات ارتفع عنها الإيمان بها، وموائد الآلهة خلت من المأكل والمشرب الروحانيين، والوعي لم يعد يلقي اتحادَه الجذَل بالماهية حاصلًا من لعبه وأحتفاله. أما صنُع آلهة الخلق فتعوزها قوَّة الرّوح التي نجم لها الإيقان من الذات من تساحق (Zermalmung) الآلهة والبشر. وهذه الصُّنُع باتت مذآك ما تكون عليه بالنسبة إلينا، - فأمست ثماراً جميلةً تنتزع من الشجرة ويناولنا إياها مصيرٌ حميميُّ كما تعرضُ صبيّةٌ مثل تلك الثمار؛ فلم تعدْ توجد لا الحياةُ الحاقّةُ التي لكيان تلك الثمار ولا الشجرة التي حملتها ولا التربة ولا العناصر التي كوَّنت جوهرها ولا الطقس الذي قوِّمَ تعيُّنتها، أو تعاقبُ فصولِ السنة الذي يرأس سيرورةَ أيّضها. - كذا القدرُ لم يعد يعطينا آثار ذلك الفنِّ مجتمعاً بعالمها، فلا يهبنا ربيع الحياة الإتيقيّة وصيفها حيث كانت أزهرت وأينعت تلك الآثار، بل لا يهبنا إلا الذكرى المتحجّبة التي لذلك الحقيقي. - لذلك فإنّ ما نفعله أيّانَ نتمتع بتلك الآثار ليس ممّا يرجع إلى خدمة الآلهة وعبادتها التي كانت لتحصل بهما للوعي حقيقته التامة والمفحمة، بل هو صنيعُ برّانيّ ذاك الذي يمسح - على سبيل المثال - عن تلك الثمار بعض قطرات المطر والغبار العالق، فيضغ - مكان العناصر الجوانبيّة لحقيق الإتيقيّ المحيط والباعث والمنفس - التخت الممتد للعناصر الميَّتة التي لوجودها البرّانيّ كما للغة والتاريخيّ وما إليه، لا ليحيا منغرساً فيها، بل ليمثلها فيه وحسب. لكن مثلما تفوقُ الصبيّةُ التي تقدّم الثمار المجنيّة طبعاً عين الثمار المنسطة في شرائطها وعناصرها، أعني الشجرة والهواء والنور وما إليه، والتي تهبها في - الحال على علاتها، والحال أنّ الصبيّة إنّما تجمع كلّ هذا من وجهٍ أرفع في بريق عينيها الواعي - بذاته كما في الحركة التي تهب الثمار، كذلك يفوقُ روحُ المصير الذي يهبنا تلك الآثار الفنيّة، الحياةُ الإتيقيّة والحقيق اللذين لذلك الشعب، لأنّه استذكار

واستبطان<sup>(32)</sup> الرّوح الذي ما أنفك مخترجاً (Noch veräußerten) عليهما<sup>(33)</sup>، - فإنّما هو روح المصير التراجيديّ الذي يجمع كلّ تلك الآلهة المفردة وصفات الجواهر في بانثيون واحد، في الرّوح الواعي - بذاته كروح.

لقد اجتمعت كلّ أسباب نجم (Hervorgang) هذا الرّوح، وجملة هذه الأسباب إنّما تمثل الصيرورة والمفهوم أو النجم الكائن - في - ذاته الذي لعين الرّوح. - ودائرة إنشاءات الفن إنّما تحيط بصور خراجات الجوهر المطلق، والجوهر في صورة الفرديّة إنّما يكون كشيء، كموضوع كائن للوعي الحسيّ، - إنّهُ كاللغة المحض أو صيرورة الشكل التي لا يخرجُ كيانها على الهو، فهو كموضوع زائل محض زوال، - كالوحدة في - الحال مع الوعي - بالذات الكلّيّ في ولّعه، وكوحدة موسوّطة في صنيع الشعائر؛ - إنّهُ كالجسديّة الهويّة الجميلة، وهو في الختام كالكيان المرفوع في التّصوّر وأنبساط عين الكيان إلى عالم يرتدّ في نهاية المطاف إلى [492] الكلّيّة التي هي أيضاً محض إيقان من ذاتها. - هذه الصور، ومن ناحية أخرى عالم الشخص والحقّ والوحشيّة المخربّة لعناصر المضمون السائبة، وكذلك الشخص المفتكر للرواقية ولاسكون الوعي الريبيّ الذي لا قرار له، إنّما تمثل جميعاً محيط (Peripherie) الأشكال التي تجتمع مترقبةً ومتزاحمةً حول مهد الرّوح إذ يتصير وعياً - بالذات؛ أمّا وجع الوعي - بالذات الشقيّ وحينه النافذان في كلّ شيء فإنّما هما نقطة المركز التي لتلك الأشكال، وآلام الوضع المشتركة التي لنجم ذلك الرّوح، - بساطة المفهوم المحض الذي يتضمّن تلك الأشكال لحظات له.

(32) Die Er-Innerung، وهيغل إذ يفصل بين شقيّ اللفظة إنّما يقصد إلى معنى بعينه: إنّما الاستبطان استذكارٌ جوانيٌّ به يتمكّ الرّوح ما خرج على وعيه وفاته.

(33) يعني الحياة الإتيقيّة والحقيق اللذين للشعب.

[II]. المضمون البسيط الذي للدين المطلق: تحقيق استحالة الله بشراً] - إنَّ المفهوم ينطوي في حدّ ذاته على الجانبين اللّذين تُصوِّراً في ما سبق<sup>(34)</sup> كقضيّتين متعاكستين؛ فأما أحد الجانبين فهو أنّ الجوهر يتخارجُ، فيصير إلى الوعي - بالذات، وأما الجانب الآخر فهو أنّ الوعي - بالذات يتخارج فيجعل من نفسه - على العكس من ذلك - الشّيئة أو الهو الكلّي. كذا ألتقى الجانبان معاً، فنشأ عن ذلك اقتترانهما الصادق. أمّا تخارج الجوهر وصورته إلى الوعي - بالذات فإنّما يعبران عن المرور في المتضادّ، أي المرور العريّ من الوعي الذي للضرورة، أو عن كون الجوهر في ذاته وعياً - بالذات. وأمّا تخارج الوعي - بالذات فيعبّر على العكس عن كونه في ذاته الماهية الكلّية، أو: لما كان الهو الكون - لذاته المحض الذي يظلُّ لدنّ ذاته في ضده، فإنّ التخارج ينمّ عن أنّ كونَ الجوهر وعياً - بالذات وبذلك روحاً إنّما يكون في نظر الوعي - بالذات ولأجله (Für es). ولذلك يجوز القول في هذا الرّوح الذي ترك صورةَ الجوهر، ودخل في الكيان في شكل الوعي - بالذات - إنّ شئنا استعمل الصلوات المستعارة من الكون الطبيعيّ - إنّ له أمّا حاقّةً، لكنّ له أباً كائناً - في - ذاته؛ لأنّ الحقيقة أو الوعي - بالذات والفي - ذاته من جهة ما هو الجوهر إنّما يكونان معاً لحظتيّ ذلك الرّوح اللّتين يلج - من خلال تخارجهما المتقابل حيث تصير الواحدة منهما إلى الأخرى - الكيان، فيصبح هذه الوحدة التي لهما.

[I]. كيان الوعي - بالذات الإلهيّ الذي في - الحال] - ما دام الوعي - بالذات لا يحيطُ أحاديّاً إلاّ بالتخارج الخاصّ الذي له، وإنّ كان موضوعه إذاً في نظره كينونةً وهواً، وعلمَ كلّما [493]

(34) انظر: III. الدين الظاهر، الفقرة الثانية وما يتلوها، ص 718 من هذا

كيانٍ من حيث هو ماهيةٌ روحيةٌ، فإنَّ الرُّوحَ الصادقَ ما زال بذلك لم يحدثْ عنده، لاسيَّما من جهة أنَّ الكينونة بالجملة أو الجوهرَ من ناحيته لم يتخارجْ بالمثلِ في ذاته ولم يخرجْ على ذاته، فلمْ يصرْ إلى الوعي - بالذات. عندئذٍ لا يكون كلَّ كيانٍ ماهيةً روحيةً إلا من زاوية نظر الوعي، لا في ذاته نفسها. والرُّوح لا يقوم من هذا الوجه في الكيان إلا متخيلاً؛ أمَّا هذا التخييلُ (Einbliden) فإنَّما هو حميةٌ الهيام (Schwärmerei) التي تحمل على الطبيعة كما على التاريخ وكذلك على العالم كما على التصورات الميثولوجية التي للأديان الفاتئة معنىً باطناً مغايراً للمعنى الذي تقدّمه أيان تظَهَّر وفي - الحال للوعي، وهي في ما يتعلّق بالأديان إنّما تنسبُ معنى مغايراً للمعنى الذي كان يعلمه في ذلك الوعي - بالذات الذي كانت هذه الأديان أديانه. لكنَّ تلك الدلالة دلالةٌ مستعارةٌ وثوبٌ لا يغطي عورةَ الظاهرة، فلا تحصّل لا إيماناً ولا إجلالاً، بل تظللُ الليلَ الكديرَ والجذَلَ (Verzückung) الخاصَّ بالوعي.

لا بدّ أن تكون تلك الدلالة التي للموضوعي في ذاتها لكي لا تكون إذاً مجردَ خيالٍ، ومعناه أن تنجمَ من المفهوم دفعةً للوعي، فتحدتْ ضمنَ وجوبها. كذا نجمَ لنا الرُّوحُ العالمُ بذاته عبر حركته الواجبة من جهة معرفة<sup>(35)</sup> الوعي الذي في - الحال أو الوعي بالموضوع الكائن. وهذا المفهوم الذي كان له أيضاً من جهة ما هو في - الحال شكلُ الحالّيّة عند الوعي إنّما تعطى ثانياً الشكل الذي للوعي - بذاته في ذاته، أيّ إنّه على التدقيق يتخارج وفق ضرورة المفهوم مثلَ الكينونة أو مثل الحالّيّة التي تكون الموضوع العريّ من المضمون الذي للوعي الحسيّ، فيصير في نظر الوعي أنا. - لكنّ الفي - ذاته الذي في - الحال ذاته، أو

Das Erkennen (35) ويعني فعلٌ أن يعرف.

الضرورة الكائنة، مختلفٌ عن الفي - ذاته المفكّرِ أو معرفة  
الضرورة، - اختلافاً لا يكمن مع ذلك خارجَ المفهوم، لأنّ وحدة  
المفهوم البسيطة إنّما هي الكينونة ذاتها التي في - الحال؛  
والمفهوم إنّما هو ما يتخارجُ بنفسه، أو هو صيرورةُ الضرورة  
المحدوسّة من جهة أنّه يكون فيها لدنّ نفسه، فيعلمها ويفهمها. -  
ولا يعني الفي - ذاته الذي يكون في - الحال للروح - والذي [494]  
يتعطى شكل الوعي - بالذات - سوى كون روح العالم قد بلغ  
ذلك العلم من نفسه؛ عندئذ فقط يلج ذلك العلم الوعي الذي  
له، فيهلّ فيه كحقيقة. أمّا كيف حدث ذلك، فقد بيّناه في ما  
سبق<sup>(36)</sup>.

أن يكون الروح المطلق قد تعطى في ذاته شكل الوعي -  
بالذات، وأستعطاها بذلك لأجل وعيه، فذلك يظهر الآن من جهة  
أنّ ذلك هو إيمان العالمين، أي إنّ الروح يكون هنا كوعي -  
بالذات، أي كبشرٍ حاقّ، فيكون للإيقان في - الحال، وإنّ الوعي  
المؤمن يرى ويلمس ويسمع تلك الألوهيّة. وليس الوعي - بالذات  
بخيالٍ، بل إنّما هو حاقّ عنده (Wirklich an dem)، فالوعي لا  
يخرج بالتالي على جوانبته ابتداءً بالفكرة، ولا يقرن في دخيلته  
فكرة الله بالكيان، بل يخرج على الكيان الحاضر والذي في -  
الحال، فيعرف أنّ الله فيه. - ولحظة الكينونة التي في - الحال  
إنّما تكون حاضرة في مضمون المفهوم على نحو أنّ الروح الدينيّ  
صار - ضمن أيلولة كلّ أيسية إلى الوعي - الهو الموجب والبسيط،  
مثلما تصير الروح الحاقّ بما هو كذلك في الوعي الشقيّ تلك  
السالبية الواعية - بذاتها والبسيطة. بذلك تكون للهو الذي للروح  
الكائن صورة الحاليّة التامة، فلا يوضع الهو لا كمفكّرٍ أو  
متصوّرٍ، ولا كنتاجٍ مثلما كان عليه الأمر في الهو الذي في -

(36) انظر ص 724 من هذا الكتاب.

الحال في الدين الطبيعي من ناحية ودين الفن من ناحية أخرى. وإنما يُحدس هذا الله من وجه محسوس وفي - الحال كهو وكبشرٍ عَيْنٍ وحقاً، فإنما كذلك يكون وعياً - بالذات.

2. استكمال مفهوم الماهية الأسنى في تطابق التجريد والحالية بمعية الهو العيني] - هذه الاستحالة بشراً للماهية الربانية، أو كونها لها بالجواهر وفي - الحال شكل الوعي - بالذات، إنما هو المضمون البسيط الذي للدين المطلق. والماهية إنما تُعرف في الدين المطلق كروح، أو الدين المطلق إنما هو وعي هذه الماهية بذاتها كونها روحاً. والروح إنما هو العلم بذاته نفسها في تخارجِه؛ إنه الماهية التي تكون حركة الإبقاء على التساوي مع الذات في كونها المغاير، لكن ذلك هو الجوهر ما كان أيضاً في عرضيته متفكراً في ذاته، فلا يستوي عنده هذا الأمر مثلما يستوي

[495] إزاء لاجوهري (Gegen ein Unwesentliches) وفي غريب، بل الجوهر يكون في ذلك ضمن ذاته، أي طالما أن الجوهر ذات أو هو. - لهذه العلة تكون الماهية الربانية في هذا الدين مكشوفة<sup>(37)</sup>.

وكونها ظاهرة وبيئة (Sein Offenbarsein) إنما يرجع على التدقيق إلى أنه يُعرف ما هي. ولكنها تُعرف على الحضر ما إن تُعرف كروح وماهية هي بالجواهر وعي - بالذات. - أما عند الوعي فثمة في موضوعه شيء سرّي لما يكون هذا الموضوع في نظر ذلك الوعي مغايراً أو غريباً، ومتى لا يعلم به الوعي علمه بنفسه. وهذا الكون سرّاً (Dieses Geheimsein) إنما يرتفع متى تكون الماهية المطلقة من جهة ما هي روح موضوع الوعي؛ لأنه كذلك يكون الموضوع مثل هو في علاقته بالوعي، أي هذا الوعي إنما يعلم في ذلك (Darin) ذاته في - الحال، أو يكون لنفسه بيتاً فيه. والوعي ذاته لا يكون بيتاً لنفسه إلا في الإيقان الخاص من

(37) Geoffenbart، راجع الهامش رقم (27)، ص 718 من هذا الكتاب.



الذات؛ وذلك الموضوع الذي له إنَّما هو **الهُو**، غير أنَّ الهو ليس غريباً، بل هو الوحدة اللامنفصلة مع الذات والكلِّي الذي في - الحال. والهو إنَّما هو المفهوم المحض والتفكير المحض أو **الكون** - لذاته، الكينونة التي في - الحال، وبذلك الكينونة للغير، ومن جهة ما هو هذه الكينونة للغير فهو الآيب في - الحال إلى ذاته والقائم لِدُنْ ذاته؛ إنَّه إذاً وحده البين الصدوق. والخير والعدل والقُدوس وخالق السماء والأرض وما إليه، إنَّما هي **محمولاتٌ لذاتٍ/ حامل**، - لحظاتٌ كلِّيَّةٌ يكون لها قيامها عند تلك النكته، فلا تكون أولاً إلا في أيلولة الوعي إلى التفكير. - وبيننا تَمسي تلك **المحمولات معلومة**، فإنَّ عمادها وماهيَّتها، **الذات/ الحامل ذاتها**، ما زالت لم تبين، وكذلك تعيينات الكلِّي ما زالت لم تصرَّ هذا الكلِّي نفسه. أما **الذات/ الحامل نفسها**، وكذلك هذا **الكلِّي المحض**، فظاهران كهو، لأنَّ الهو هو على التدقيق هذا الباطن المتفكِّر في ذاته والذي يكون في - الحال هنا، وهو الإيقان الخاصُّ لذلك الهو الذي يكون هنا لأجله. وهذا أعني كونه البين والظاهر وفق المفهوم الذي له - إنَّما هو إذاً الشكل الصادق الذي للروح، وهذا الشكل الذي له، المفهوم، إنَّما هو وحده ماهيَّته وجوهه. والمفهوم يُعرف كوعي - بالذات، فيكون لذلك ظاهراً في - الحال، إنَّ هو إلا ذلك الوعي - بالذات ذاته؛ والطبيعة الربانيَّة هي عين ما هي الطبيعة البشريَّة، وهذه الوحدة هي التي تُحدسُ.

وعليه فالوعي في هذا الموضوع، أو الوجه الذي على نحوه تكون الماهيَّة لنفسها شكلها، إنَّما يعدلُّ بالفعل الوعي - بالذات الذي له؛ فهذا الشكل نفسه وعي - بالذات، فإنَّما هو في الوقت ذاته موضوعٌ كائنٌ، وهذه الكينونة تكون لها في - الحال دلالة التفكير المحض والماهيَّة المطلقة. - والماهيَّة المطلقة التي تكون هنا مثل وعي - بالذات حاقٌّ إنَّما تظهر كأنها نزلت من بساطتها

[496]

الأزلية، لكنّها بذلك تكون بلغت في واقع الأمر ماهيتها الأسمى. ومفهومُ الماهية لا يكون التجريدَ المطلقَ إلا من جهة أنه بلغَ خلوصه البسيط، وهذا التجريد إنما هو تفكيرٌ محضٌ، ويكون بذلك فرديةً الهو الخالصةً، مثلما يكون من جرّاء بساطته الحالّيّ أو الكينونة. - وما يُسمّى الوعي الحسيّ إنّما هو على التدقيق هذا التجريدُ المحضُ، وهو هذا التفكيرُ الذي تكونُ له الكينونةُ والحالّيّ. وعليه فالأدنى إنّما يكون في الوقت ذاته الأرفع، والظاهرُ المنبسطُ تماماً على السطح إنّما يكون في ذلك الأعمق. أمّا كونُ الماهية الأسمى تُرى وتُسمع إلخ.، كوعي - بالذات كائن، فذلك إنّما هو في واقع الأمر اكتمالٌ مفهومها؛ والماهية إنّما تكون فعلاً بمعيتها اكتمالها ذاك في - الحال هنا من جهة ما هي ماهيةً.

[3. العلم التأمليّ بما هو تصوّر الجماعة في الدين المطلق] - إنّ ذلك الكيان الذي في - الحال لا يكون في ذات الحين مجردَ وعي في - الحال وحسب، بل يكون وعياً دينياً؛ والحالّيّة لا تكون لها من وجهٍ غير منفصل دلالةٌ وعي - بالذات كائنٍ وحسب، بل تكون لها دلالة الماهية المفتكرة من وجهٍ خالص أو المطلقة. وما نحن به واعون في مفهومنا، أعني أنّ الكينونة ماهيةً، إنّما يعي به الوعي الدينيّ. وهذه الوحدة بين الكينونة والماهية، وحدة التفكير الذي هو في - الحال كيان، إنّما هي كذلك العلم في - الحال الذي للوعي الدينيّ مثلما يكون التفكيرُ فكرَ ذلك الوعي أو علمه الذي بتوسيط؛ لأنّ وحدة الكينونة والتفكير هذه إنّما هي الوعي - بالذات، وهي نفسها تكون هنا، أو: الوحدة المفتكرة إنّما يكون لها في الحين ذاته هذا الشكل الذي لما تكون عليه. وعليه فالله هاهنا ظاهرٌ كما يكون؛ إنه هنا كما يكون في ذاته؛ وهو هنا كروح. والله لا يدركُ إلا في العلم التأمليّ، فلا يكون إلا فيه، فإنّما هو عينُ هذا العلم، لأنّه الرّوح؛ وهذا العلم

التأملي إنما هو العلم الذي للدين الظاهر. وهذا العلم إنما يعلم الله بما هو تفكيرٌ أو ماهيةٌ خالصة، وهذا التفكير بما هو كينونةٌ وكيانٌ، والكيان بما هو سلبيةٌ للذات، وعندئذٍ كهو، أي كهذا الهو والهو الكلّي؛ ذلك هو على التدقيق ما يعلمه الدين الظاهر. - فالرجاء ورُقى العالم الفائت لم تكن تحت حَوْل ذلك الظهور إلا لتحسس ما هي الماهية المطلقة فتلقى نفسها فيها؛ وهذه الغبطة إنما تحصل للوعي - بالذات وتطال العالم بأسره، أعني غبطة النظر إلى الذات في الماهية المطلقة، لأن هذه الماهية إنما هي الرّوح، إنها الحركة البسيطة لتلك اللحظات الخالصة التي تعبر عن كون الماهية لا تُعلم كروحٍ إلا من جهة أنها تُحدس مثل وعي - بالذات في - الحال.

هذا المفهوم الذي للرّوح العالم بذاته ذاته كروحٍ إنما هو نفسه المفهوم الذي في - الحال والذي ما زال لم ينم ولم يُفسر؛ فالماهية روح، أو الماهية أظهرت، فهي ظاهرةٌ وبيّنة؛ وهذا الكون الظاهر الأوّل إنما يكون هو ذاته في - الحال؛ لكنّ الحائيّة هي أيضاً التوسيط المحض أو التفكير، فلهذا لا بدّ أن تعرض الحائيّة في حدّ ذاتها هذا الأمر بما هو كذلك. - فإنّ تفحصناه من وجهٍ أكثر تقييداً يكون الرّوح في حاليّة الوعي - بالذات هذا الوعي - بالذات الفرديّ الذي يتضادّ مع الوعي - بالذات الكلّي؛ فالرّوح إنما هو الواحد الصادّ الذي تكون له في نظر الوعي - الذي يكون عنده الواحد حيث هو - صورةٌ مغايرٍ حسّي ما زالت لم تتحلّل؛ وهذا المغاير ما زال لا يعلم أنّ الرّوح روّحه، أو الرّوح ما زال لا يوجد هنا مثلما يكون هوأً فردياً، وكما يكون كذلك هوأً كلياً وكلّ هو. أو أنّ الشكل ما زال لم يكسب صورة المفهوم، أي صورة الهو الكلّي، الهو الذي يكون في حقيقه الذي في - الحال هوأً منسوخاً ومرفوعاً وتفكيراً وكليّة من دون أن يخسر في هذه ذلك الحقيق. - أما الصورة الأقرب والحائيّة في حدّ ذاتها التي

لهذه الكلّية فليست هي بصورة التفكير ذاته والمفهوم بما هو مفهوم، بل كلّية الحقيق وجملته ما تكثّر من هو وأزْتقاء الكيان إلى التصوّر؛ وحتى نضرب على ذلك مثلاً بعينه وكما يكون الأمر في كلّ ما موضع نقول إنّ هذا المشار إليه الحسّي المنسوخ إنّما يكون في أول أمره الشيء الذي للإدراك الحسّي، وليس هو بعد كلّيّ الذهن.

إذاً هذا الإنسان الفرديّ الذي تبيّن الماهية المطلقة على هيئته إنّما يأتي في داخله كفراديّ الحركة التي للكينونة الحسّيّة؛ فهو الله الحاضر في - الحال؛ وبذلك إنّما تمرّ كينونته وتمضي في كانية الكينونة<sup>(38)</sup>. والوعي الذي يكون له عنده هذا الحضور الحسّيّ إنّما يكفّ عن رؤيته وسماعه؛ فالوعي كان رآه وسمعه، وهذا الوعي ذاته لا يصير وعياً روحياً إلاّ من جهة أنّه كان رآه وسمعه، أو مثلما قام<sup>(39)</sup> له سابقاً ككيان حسّيّ يقوم له الآن في الروح. - فالوعي من جهة أنّه يراه ويسمعه حسياً ليس إلاّ وعياً في - الحال ما زال لم ينسخ لاتساوي الموضوعيّة ولم يستأنفه في التفكير المحض، وإنّما يعلم ذلك الفرديّ الموضوعيّ كروح ولا يعلم ذاته كروح. إنّ ما هو في - الحال (Das Unmittelbare) يستفيد لحظته السالبة في زوال الكيان الذي في - الحال للمعلوم

(38) In Gewesensein، في ما كان من الكينونة من حيث ماهيتها. سيرسخ هينغل في (1813) Die lehre vom wesen التي ل: Wissenschaft der Logik (1812-1816) هذا المعنى الديالكطقيّ الجليل الذي للماهية في تلازمها والكينونة: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, Wissenschaft der Logik, Die Lehre vom Wesen (1813), Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll; Mit einer Einleitung von Walter Jaeschke, Philosophische Bibliothek; Bd. 376 (Hamburg: F. Meiner, 1992), p. 3, 16-19: «Die Sprache hat im Zeitwort: Sein, das Wesen in der vergangenen Zeit: gewesen, behalten; denn das Wesen ist das vergangene, aber zeitlos vergangene Sein».

«لقد حافظت اللغة في فعل (Sein) على الماهية (Wesen) في زمان الماضي (gewesen)، فالماهية إنّما هي الكينونة الفائتة، لكتها الفائتة بلا زمان». (39) Aufstehen، القيام بدالتي الانتصاب والانبعاث.

مثل ماهية مطلقة؛ فالروح إنما يظلّ الهو في - الحال الذي للحقيق، لكن كالوعي - بالذات الكلّي الذي للجماعة (Die Gemeine)، وهو الوعي الذي يسكنُ إلى جوهره الخاصّ مثلما يكون هذا الجوهر فيه ذاتاً كليّةً، لا الفرديّ لذاته، بل الفرديّ مقترناً بوعي الجماعة، أمّا ما يكون الفرديّ عند هذه الجماعة فإنّما هو الكلّ التامّ الذي لعين الروح.

أمّا الكانئة والتنائي فليسا إلا الصورة الناقصة التي يكون على نحوها ضربُ الحالّة مؤسوطاً أو يوضع كلياً؛ فهذا الضرب لا يُغمَسُ في عنصر التفكير إلا من وجهٍ سطحيّ، فيُحفظ فيه مثل ضربٍ حسّيّ، فلا يُوضع في واحدٍ مع طبيعة التفكير. ولا يكون الارتفاع إلا في التصوّر، فالتصوّر إنّما هو الرّبط التوليفيّ بين الحالّة الحسيّة وكليّتها أو التفكير.

إنّ هذه الصورة التي للتصوّر تقيمُ التعينيّة التي يصير فيها الروح ضمنَ تلك الجماعة التي له واعياً بنفسه. وهي ليست بعدُ الوعي - بالذات الذي لعين الروح المترسّل إلى مفهومه بما هو مفهوم، فالتوسيط ما زال مخروماً. وعليه فما يُعوّزُ ذلك الوصل بين الكينونة والتفكير إنّما هو كون الماهية الروحية ما زالت تشكو من انفصام لا أئتلاف فيه ما بين دنيا وآخرة. والمضمون إنّما هو المضمون الصادق، لكن كلّ لحظاته يكون لها إذ توضع في عنصر التصوّر، طبع كونها لم تُفهم، بل طبع كونها تظاهر كجوانب تامّة قائمة برأسها يتصل بعضها ببعض بشكلٍ برانيّ. ولكي يكسب المضمون الصادق صورته الصادقة عند الوعي يجب [499] أيضاً التكوين الأرفع الذي لهذا الأخير حيث يكون حدسه للجوهر المطلق رُفع إلى المفهوم، فيساوي لنفسه بين وعيه وبين وعيه - بالذات، مثلما حدث هذا بالنسبة إلينا أو في ذاته.

وينبغي أن نتعقّب الفحص عن ذلك المضمون من الوجه

الذي يكون على نحوه في وعيه. - فالرّوح المطلق إنّما هو مضمونٌ، فكذلك يكونُ في الشكل الذي لحقيقته. ولكن ليست حقيقته كونه جوهر الجماعة أو الفي - ذاته الذي للجماعة وحسب، ولا مجرد الخروج على هذه الجوانبيّة للمثول في موضوعية التّصوّر، بل حقيقته أنّ يتصرّف هوأ حاقاً ويتفكّر في ذاته ويكون ذاتاً. تلك هي إذاً الحركة التي يُتمّها في جماعته، أو تلك هي الحياة التي لعين الرّوح. أمّا ما هو هذا الرّوح الظاهر في ذاته ولذاته فلا يُشرّح من جهة أنّ حياته الغنيّة بين الجماعة تُفكّ بشكل من الأشكال، ثمّ تُرجع إلى خيوطها الأولانيّة، ومثاله إرجاعها إلى التّصوّرات التي للجماعة الأولى الناقصة، أو حتّى إلى ما نطق به الإنسان الحاقاً. وما يقوم مقام الأسّ من ذلك الإرجاع إنّما هي غريزة الماضي قبل المفهوم، لكنّه إرجاعٌ يخلط الأصل من جهة ما هو كيانٌ في - الحال للظهور الأوّل بالبساطة التي للمفهوم. وبهذا التفكير لحياة الرّوح وأطراح تصوّر الجماعة وفعلها حيال تصوّره إنّما تنجم إذاً بدل المفهوم البرانيّة البسيطة والفرديّة والضرب التاريخي الذي للظهور في - الحال والذكرى العريّة من الرّوح لشكلٍ فرديّ مضمونٍ فيه كما لكانيته.

[III]. فسّر مفهوم الدين المطلق] - فالرّوح يكون في بادئ

الأمر مضمونٌ وعيه المحض على صورة الجوهر المحض، أو يكون مضمونٌ وعيه المحض. وهذا العنصر الذي للتفكير إنّما هو حركة النزول إلى الكيان أو الفرديّة. والحدّ الذي يتوسّطهما هو وصلهما التوليفي، الوعي بالاستحالة مغايراً أو التّصوّر بما هو كذلك. أمّا الثالث فهو الرجوع من التّصوّر والكون المغاير، أو عنصر الوعي - بالذات نفسه. - هذه اللّحظات ثلاثتها هي التي تمثّل قوام الرّوح؛ أمّا تفكّكه في التّصوّر فإنّما يرجع إلى أنّ يكون على نحوٍ معيّن؛ لكنّ هذه التّعيّنيّة ليست إلّا واحدة من لحظاته. وعليه فحركته المفصّلة إنّما كونه يبسط طبيعته في كلّ لحظة من لحظاته كأن في

أسطقس؛ وما دام كلّ دور من هذه الدوائر يتكَمَّل في ذاته فإنّ هذا التفكّر في ذاته الذي له إنّما هو في ذات الحين المرور في الدور الآخر. أمّا التصرّو فيمثّل الحدّ الأوسط بين التفكير المحض وبين الوعي - بالذات بما هو كذلك، وليس إلّا واحدة من التعيّنيّات؛ لكنّ طبيعته المتمثّلة في كونه الوصل التوليقي إنّما تنبسط - كما بان ذلك - في الوقت نفسه على كلّ هذه العناصر فتكون تعيّناتها المشتركة.

إنّ المضمون ذاته الذي ينبغي تفحصه قد حصل فعلاً - في شطر - كالتصرّو الذي للوعي الشقيّ والوعي المؤمن، - فأما في الوعي الشقيّ فحصل ضمنّ تعيّن المضمون الذي ينتج ابتداءً من الوعي وشوقاً فيه، حيث لا يأتي الرّوح كفايةً ذاته فلا يهدأ له بال، لأنّه ما زال لم يتصرّف مضمونه في ذاته، أو من جهة ما هو جوهره؛ - وأما في الوعي المؤمن فقد عدّ المضمون على العكس مثل الماهية العريّة من الهو، أو بالجوهر مثل المضمون الموضوعي الذي لفعل التصرّو، - وهو تصوّر يُدبر بالجملة أمام الحقيق، فلذلك يكون من دون الإيقان الذي للوعي - بالذات الذي ينفصل عنه من ناحية كعبث المعرفة ومن ناحية أخرى كتعقّل محض. - أمّا وعي الجماعة فيكون له هذا المضمون - على العكس من ذلك - جوهرأ له مثلما يكون المضمون إيقان الجماعة من الرّوح الخاصّ.

[1. الرّوح في باطنه، الثالث] - فالرّوح إذ يُتصرّو أولاً في عنصر التفكير المحض مثل جوهر إنّما يكون عندئذ وفي - الحال الماهية الأزليّة والمضاهية لنفسها والبسيطة، لكنّها الماهية التي ليست لها تلك الدلالة المجردة للماهية، بل التي لها دلالة الرّوح المطلق، إلّا أنّ الرّوح ليس كونه دلالة ولا الباطن، بل كونه الحاق. ولهذا ما كانت الماهية الأزليّة والبسيطة متى تظّل عند التصرّو وعبارة الماهية الأزليّة والبسيطة لتكون روحاً إلّا وفق

اللفظ الخاوي؛ لكنّ الماهية البسيطة ما دامت تجريداً إنّما هي بالفعل السلبي في ذاته عينها (Das Negative an sich selbst)، لاسيّما سالبية التفكير، أو السالبة كما تكون في ذاتها ضمنّ الماهية، أي إنّها الاختلاف المطلق عن الذات، أو محضّ أستحالتها مغايرة. وهي من جهة أنّها ماهية لا تكون إلّا في ذاتها أو بالنسبة إلينا؛ لكن ما دام ذلك الخلوّص على الحصر تجريداً، [501] أو هو السالبة، فالماهية إنّما تكون لذاتها، أو الهو والمفهوم. - وعليه فإنّما هي موضوعية؛ أمّا من جهة أنّ التصوّر يدرك ويقول على التدقيق ضرورة المفهوم التي أفصح عنها للتوّ بما هي حدثان، سنقول إنّ الماهية الأزلية تنتج (Sich erzeugen) كمغاير. لكنّها في هذا الكون المغاير إنّما تكون آبت في - الحال إلى ذاتها؛ فالاختلاف إنّما هو الاختلاف في ذاته، أيّ إنّه لا يكون في - الحال إلّا مختلفاً عن ذاته، فهو إذاً الوحدة الآيبة إلى نفسها.

وعليه تتباين اللحظات الثلاث، لحظة الماهية ولحظة الكون - لذاته الذي هو كون الماهية مغايرة والذي تكون له الماهية، ولحظة الكون - لذاته أو العلم بالذات في الآخر. والماهية لا تحدد إلّا ذاتها في كونها - لذاتها؛ وهي في ذلك الخارج ليست إلّا حذاء ذاتها، والكون - لذاته الذي يطرح ذاته من الماهية إنّما هو علم الماهية بذاتها، الكلمة التي إذا قيلت يخرج من قولها، ثم تتركه خاوياً، لكنّها أيضاً في - الحال كلمة تُسمع فتدرك، وهذا السماع الذاتي للذات (Dieses sich selbst Vernehmen) هو وحده كيان الكلمة. كذلك تتحلّل الاختلافات التي وضعت حالما توضع وتوضع حالما تتحلّل، فالحقّ والحقّ إنّما هما على الحصر تلك الحركة الدورية في الذات.

هذه الحركة في الذات إنّما تعبّر عن الماهية المطلقة من جهة ما هي روح؛ فالماهية المطلقة التي لا تُدرك من جهة ما هي



روحٌ ليست إلا الخلاء المجرد، مثلما أن الروح الذي لا يُدرَك من جهة ما هو تلك الحركة ليس إلا كلمة خاوية. وما دامت لحظات تلك الماهية تُدرَك على خلوصها فإنما هي المفاهيم العارية من السكون التي لا تكون في ذاتها إلا ضدها، فلا تجد سكونها إلا ضمن الكل. أما فعل التصوّر الذي للجماعة فما هو بذلك التفكير الذي يفهم مفهوماً، بل يكون له المضمون من دون ضروريته، فيقحمُ بدل صورة المفهوم الصلات الطبيعية بين الأب والابن في ملكوت الوعي المحض. وما دام تصوّر الجماعة يسلكُ سلوك المتصوّر، فلا ريب أن الماهية تكون له بيّنة، لكن لحظاتها تتفكك من ناحية بسبب ذلك التصوّر التوليفي، فلا يتصل بعضها ببعض من خلال مفهومها الخاص، ومن ناحية أخرى تنسحب تلك الماهية من هذا الموضوع الخالص الذي لها، فلا تتصل به إلا من وجه برّاني؛ فهو إنما يُكشف لها من قبل طرفٍ غريب، فلا تعرف نفسها ولا طبيعة الوعي - بالذات الخالص في فكرة الروح هذه. ومن جهة أنه تجب مجاوزة صورة فعل التصوّر كما هذه الصلات المأخوذة من الطبيعي، وبخاصة مجاوزة أخذ لحظات الحركة التي هي الروح مأخذ جواهر أو ذوات مفردة وراسخة بدل أن تؤخذ مأخذ لحظات مازّة، - فإن هذا التجاوز ينبغي أن ينظر إليه - كما ذكرنا به سابقاً في ما يتعلّق بوجهٍ آخر - على أنه حثّ المفهوم وتدافعه (Ein Drängen)؛ لكنّه من حيث هو غريزةٌ وحسب إنما يجهل نفسه فيلقي المضمون مع الصورة ثم يخفضه - وهو الشيء نفسه - إلى تمثّل تاريخي وقطعي من التراث، فلا يُحفظ في ذلك سوى البراني المحض للإيمان، إذاً مثل شيء ميّتٍ عريٍّ من المعرفة، أما الجواني الذي لعين الإيمان فقد زال، لأنّ هذا الجواني إنما كان يكون المفهوم الذي يعلم ذاته كالمفهوم.

[502]

2. الروح في اغترابه، ملكوت الابن] - ليس الروح المطلق

إذ يُتصوّر في الماهية المحض الماهية الخالصة المجردة، بل هذه إنما تُخفّض في الأكثر من حيث إنها ليست إلا لحظة في الرّوح، إلى عنصر. أما بيان الرّوح في هذا العنصر فيكون له في ذاته وحسب الصورة عينُ النقص الذي للماهية من جهة ما هي ماهية. والماهية إنما هي الماهية المجردة، ولهذه العلة هي سلبية بساطتها، أي آخر؛ كذلك الرّوح في عنصر الماهية إنما يكون صورة الوحدة البسيطة التي تكون لذلك بالجواهر الاستحالة مغايراً. - أو وهو الشيء نفسه: صلة الماهية الأزلية بكونها - لذاتها إنما هي صلة التفكير المحض التي تكون في - الحال بسيطة؛ وعليه فالكون المغاير لا يوضع بما هو كذلك في هذا الحدس البسيط للذات في الآخر، فهذا الكون المغاير إنما هو الاختلاف على النحو الذي لا يكون فيه اختلاف في - الحال ضمن التفكير المحض، اعتراف المحبة حيث لا يتقابل الطرفان من وجهيهما. - والرّوح ذاته الذي قيل في عنصر التفكير المحض إنما هو بالجواهر ألا يكون في داخله وحسب، بل أن يكون روحاً حاقاً، لأن الكون المغاير نفسه يكمن في مفهومه، أعني نسخ المفهوم المحض الذي لا يكون إلا مفكراً.

[503] لما كان عنصر التفكير المحض العنصر المجرد، فهو ذاته الذي يكون في الأكثر المغاير لبساطته، ولذلك يمر في العنصر الأصلي الذي لفعل التصوّر، - العنصر الذي تستفيد فيه لحظات المفهوم المحض كياناً جوهرياً بعضها حيال بعض مثلما تكون ذواتاً لا تكون لها بالإضافة إلى طرف ثالث سبانية الكينونة بعضها إزاء بعض، بل ينفصل بعضها عن بعض إذ تتفكّر في ذاتها، فتقابل.

[أ. العالم] - وعليه فالرّوح الذي لا يكون إلا أزلياً أو مجرداً إنما يتصير لنفسه آخر، أو يلج الكيان وفي - الحال الكيان الذي في - الحال. إنه إذاً يخلق عالماً. وفعل الخلق هذا إنما

هو كلمة التصوّر بالنسبة إلى المفهوم ذاته ووفق الحركة المطلقة التي له، أو بالإضافة إلى أنّ البسيط الذي يُقال كمطلق أو التفكير المحض - بما أنّه المجرد - يكون في الأكثر السلبيّ وعندئذ المتقابل أو الآخر؛ - أو حتّى نقول الشيء عينه مرّة أخرى في شكل مغاير: لما كان الذي يوضع كماهيّة الحالّيّة البسيطة أو الكينونة، لكنّه كحاليّة أو كينونة يعوزه الهو، فإنّه إذاً يكون إذْ يُعدُّ الجوانبيّة طبعاً منفعلاً، أو كينونةً للغير. - وهذه الكينونة للغير إنّما هي في ذات الحين عالمٌ؛ والروح في تعيّن الكينونة للغير إنّما هو القوام الساكن للحظات التي أنّحست أنّفاً في التفكير المحض، فهو إذاً تحلّل كليّتها البسيطة وتشتتّها في الجزئيّة الخاصّة بها.

غير أنّ العالم ليس فقط ذلك الروح الملقى والمشتت خارج ذاته في كلّ الأشياء ونظامها البرانيّ، بل من جهة أنّ الروح هو بالجواهر الهو البسيط، فإنّما هذا الهو حاضر أيضاً بين العالمين؛ إنّهُ الروح الكائن الذي هو الهو الفرديّ الذي يكون الوعيّ فيختلف عن ذاته من جهة ما هو آخر أو عالم. - وهذا الهو الفرديّ كما هو موضوع في أوّل أمره في - الحال ليس بعد روحاً لذاته، فلا يكون إذاً من جهة ما هو روح، ويمكن تسميته بريثاً، لكن لا يسمّى البتّة خيراً. ولا بدّ له كذلك حتّى يكون بالفعل هواً وروحاً أن يصير لنفسه آخر مثلما عرضت الماهيّة الأزليّة نفسها بما هي حركة مضاهاتها لذاتها في كونها المغاير. وما دام ذلك الروح قد تعيّن أولاً ككائن في - الحال، أو تشتت في تكثّر وعيه، فكونه المغاير إنّما هو الممارّة في الذات (Das Insichgehen) التي للعلم بعامة. والكيان الذي في - الحال إنّما ينقلب إلى الفكر، أو الوعي الذي لا يكون إلّا حسياً ينقلب إلى وعي للفكر، أي إنّهُ لما كان الفكر لا محالة الفكر الناتج عن الحالّيّة أو الفكر المقيّد، فليس هو بعلم خالص، بل هو الفكر الذي ينطوي على الكون المغاير،

[504]

وهو إذاً الفكرُ المتضادُّ للحسن والقبیح. والإنسان إنَّما يُتصوَّر على نحو أنَّه قد حدثَ له كشيء غير ضروريٍّ أنْ فقدَ صورةَ التساوي الذاتِيَّ من جرَّاء قطفه من شجرة المعرفة بالحسن والقبیح، فأطردَ من حالة الوعي البريء والطبيعية التي تهب نفسها من دون جهدٍ وجنَّة الحيوان.

[ب. القبیح والحسن] - أمَّا من جهة أنْ تلك الممارَّة في الذات للوعي الكائن تتعيَّن في - الحال مثل الصيرورة اللامتساوية مع ذاتها، فإنَّ القبیح يظهر مثل الكيان الأوَّل الذي للوعي المارُّ في ذاته؛ ولما كانت فكرتا الحسن والقبیح متضادَّتين على الإطلاق، وكان هذا التضادُّ لم يتحلَّل بعدُ، فإنَّ ذلك الوعي لا يكون بالجوهر إلَّا القبیح. ولكن في الوقت نفسه يمثُل أيضاً - بسبب ذلك التضادُّ - الوعي الحسنُ بإزاء هذا الوعي القبیح، كما تمثُل صلةُ كلِّ منهما بالآخر. - وما دامَ الكيان الذي في - الحال ينقلب إلى الفكر، فيمسي الكون - داخل - الذات (Das Insichsein) نفسه في شطرٍ تفكيراً، وتُعيَّن أكثر فأكثر - في شطرٍ آخرٍ - لحظة الاستحالة آخر التي للماهية، فإنَّه بالإمكان طرح هذه الاستحالة قبيحاً (Das Bösewerden) من العالم الكائن، وإلقاؤها بعيداً إلى الخلف في الملكوت الأوَّل للتفكير. وعليه يمكن القول إنَّ الوُلْدَ الأوَّل للنور إذْ يمرُّ في ذاته، إنَّما قد سقط، غير أنْ وُلداً آخرَ نجم في ذات الحين، فحلَّ محلَّه. ومثل هذه الصورة التي ترجع إلى التصوُّر لا إلى المفهوم، ومثاله «أنْ يسقط» وكذلك «الوُلْد»، إنَّما تُسقطُ بالإضافة إلى ذلك لحظات المفهوم فتمسخها تصوِّراً، أو تنقلُ التصوُّر إلى ملكوت الفكر. - وسيان أيضاً أنْ تُضاف كذلك شتى الأشكال الأخرى إلى الفكرة البسيطة للكون المغاير الذي في الماهية الأزلية، وتُنقلُ الممارَّة في الذات إلى هذه الأشكال. لذلك ينبغي أنْ تؤخذ تلك الإضافة في الوقت نفسه مأخذاً حسناً، لأنَّه بذلك إنَّما تعبَّر لحظة الكون المغاير حقَّ

التعبير وفي الحين ذاته عن التنوع أيضاً؛ فلا تعبر عنه كتكثر بعامة، بل أيضاً كتنوع متعين على نحو أن أحد الشطرين، أعني الابن، إنما هو العالم البسيط الذي يعلم نفسه كما هيّة، في حين أن الشطر الآخر هو تخارج الكون - لذاته الذي لا يحيا إلا في التسبيح بالماهيّة؛ وفي هذا الشطر يمكن أن يوضع إذاً من جديد استرجاع الكون - لذاته المتخارج كما الممارّة في الذات التي للقيح. أما من جهة أن الكون المغاير ينقسم إلى شطرين اثنين، فإن عبارة الروح في لحظاته كانت تكون أكثر تقييداً، إذا ما أحصى (Anzahlen) المرء تلك اللحظات كربعيّة، أو حتى كخماسيّة ما دامت الكثرة ذاتها تنقسم بدورها إلى شطرين، أعني قسماً ظلّ حسناً وقسماً صار قبيحاً. - لكنّ تعديد اللحظات يمكن بالجملة أن يُنظر إليه كالذي لا طائل من ورائه، ما دام المختلف نفسه - من ناحية أولى - ليس إلا واحداً، ولاسيما فكرة المختلف التي لا تكون إلا فكرة واحدة، بقدر ما تكون هذا المختلف، أي الثاني حيال الأول؛ أما من ناحية أخرى فلأنّ الفكرة التي تلمّ بالمتكثّر في الواحد، إنّما ينبغي أن تتحلّل ابتداءً بكلّيّتها، فتختلف إلى أكثر من ثلاثة أو أربعة مختلفات، - وهذه الكلّيّة إنّما تظهر حيال التعينيّة المطلقة التي للواحد المجرد ومبدأ العدد، مثل لاتعينيّة قائمة في العلاقة بالعدد ذاته، حتّى إنّ القول لا يمكن أن يكون إلا في التعديد بعامة، لا في ترقيم الاختلافات، وعليه فإنّه من السطحيّ المتهافت تماماً هاهنا أن نفكر في العدد والعدّ، كما كان اختلاف العظم والكثرة في موضوع سابقٍ عارياً من المفهوم والمعنى<sup>(40)</sup>.

(40) قارن بما ذهب إليه نصّ الإستهلال (في هذا الكتاب) في تبين فسادات المعرفة الرياضيّة (الفقرات 42-46)، وبخاصّة فساد البرهنة الرياضيّة من حيث غايّتها ومادّتها. لكنّ رأس الأمر في نقد هيغل لهذا الجنس من المعرفة إنّما =

الحسن والقبیح إنّما تعینا كأختلافی فكرِ كانا قد حصلا. وما دام تقابلُهما لم یُحلَّ بعدُ، فیتصوّران كماهیّتی فكرِ تكون کلّ منهما قائمةً لذاتها قیاماً ذاتیاً، فإنّ الإنسان یكون من هذا الوجه الهو العریّ من الماهیة والأرضیة التي تربطُ کیان ذینك الاختلافین كما تصارعهما. ولكنّ هاتین القوتین الكلّیّین تنتسبان أيضاً إلى الهو، أو: الهو إنّما هو حقیقُهما. وما یحصلُ وفق هذه اللّحظة هو أنّه مثلما لا یكون القبیحُ سوى الممارّة في الذات التي للکیان الطبیعی [506] للروح، كذلك یلجُ الحسنُ - على العکس من ذلك - الحقیق، فیظہر مثل وعی - بالذات کائن. - أما الذي لا یكون مدلولاً علیه بالجملة في الروح المفتکر إلا کالاستحالة آخر للماهیة الإلهیة فإنما یهلّ في هذا الموضع لیدنوّ في نظر فعل التصوّر من تحقّقه؛ وهذا التحقّق إنّما یقوم بالنسبة إلى التصوّر على الاختفاض الذاتی للماهیة الإلهیة التي تتنازل عن تجریدها ولا حقیقِها. - أما الجانب الآخر، أعني

= هو التنبیه الغلیظ على نهافت محاكاة الفلسفة للتمثی الریاضی وأستعارتها لطریقة الریاضیات. أما هذا النقد فیرجع إلى مقالة نسقیة ما أنفکت الهیغلیة ترسخ أركانها مذ دروس إیینا في: *Logik, Metaphysik und Naturphilosophie (1806-1809)* إلى حدّ *Wissenschaft der Logik (1812-1816)* على الأقلّ - بما في ذلك نصّ استهلال *Phänomenologie des Geistes (1807)*، ونعني مقالة الفرق الذي لا نهاية فيه ما بین المفهوم والعدد (الفهم) (Begreifen) والعدّ ((Zählen)): فالحركة التي للمفهوم في الفلسفة لیست شأن عدّ أو تعدید، بل ترقیم لحظات ربّوها إنّما هو مسخّ صورانیّ ینتهي بتشیید رسم ثلاثیّ أو رباعیّ یتعاطى بشكل برّانیّ واعتباطیّ أيّما مضمون اتفق، وذلك هو ما آل إليه تدبیر متفلسفة العصر للثلاثیة الکانطیة، وما ظنّ فيه من بعد ذلك أنّه ثلاثیة الدیالكطیقا عند هیغل. ولذلك لا تكافئ الصورة العددیة - أكانت ثلاثیة أم رباعیة أم خماسیة - البتة أنفاس تعین الفلسفی تعیناً جوائیاً مرسلأ، إنّ هي إلا اختلاق تصوّر مجرد وعریّ من المفهوم یستوَسَل في إكراه التفكير على طلاسَم الأرقام وتراجیف الأعداد، انظر ص 46، السطر 18، وص 47، السطر 11، وص 297، السطر 34، وص 298، السطر 34 في: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, *Wissenschaft der Logik, Die Lehre vom Begriff (1816)*, Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll; Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann, Philosophische Bibliothek; Bd. 377, Wissenschaft der Logik; Bd. 2 (Hamburg: F. Meiner, 1994).

القبیح، فالتصورُ يأخذه مأخذَ الحدوثِ الغريبِ عن الماهيةِ الإلهيةِ؛ وإدراكِ القبیحِ في عينِ هذه الماهيةِ من جهةِ ما هو غضبُها إنما هو المجاهدةُ الأرفعُ والأشدُّ التي يأتيها التصورُ الذي يغالبُ لنفسه، وهي مجاهدةٌ تظلُّ بلا فلاحٍ ما دامتُ تعدمُ المفهومَ.

وعليه فأعترابُ الماهيةِ الإلهيةِ إنما يوضعُ بحسبِ وجههِ المزدوجِ؛ فالهو الذي للروحِ وفكرهُ البسيطُ هما اللَّحظتانِ اللَّتانِ يكونُ الروحُ ذاتهُ وحدتُهُما المطلقةُ؛ أما أعترابُهُ فإنما يرجعُ إلى كونِ اللَّحظتينِ تتفكَّكان، فتكونُ للواحدةِ قيمةً لا تعدلُ التي للأخرى؛ فلذلك هذا اللاتساوي مضاءعَفٌ، فتتجمُ رابطتانِ لحظاتهما المشتركةُ هي تلك التي أشيرُ إليها؛ فأما في لحظةٍ منها فتجري الماهيةُ الإلهيةُ مجرى الجوهريِّ، لكنَّ الكيانَ الطبيعيَّ والهو يجريان مجرى اللاجوهريِّ وما ينبغي نسخُهُ؛ وأما في اللحظةِ الأخرى فيجري الكونُ - لذاته على العكسِ مجرى الجوهريِّ، والإلهيُّ البسيطُ مجرى اللاجوهريِّ. وأما حدُّهما الأوسطُ الذي لا يزالُ خاويًا، فإنما هو الكيانُ بالجملةِ، الشركةُ البسيطةُ التي لكلتا لحظتيِ الرابطتينِ.

[ج. الخلاص والمؤالفة] - تحلُّلُ هذا التقابلِ لا يحصلُ من خلالِ صراعِ الطرفينِ المتصورينِ كماهيتينِ منفصلتينِ وقائمتينِ برأسيهما، فوجوبُ أن تتحلَّلَ في ذاتها كلِّ واحدةٍ من الماهيتينِ في حدِّ ذاتها وبمعيةِ مفهومها إنما يكمنُ في القيامِ الذاتيِّ الذي لهما؛ والصراعُ لا يقعُ إلا حيث يكفُ الطرفانِ عن كونهما هذا الخليطُ من الفكرةِ والكيانِ القائمِ برأسه، فلا يتواجهانِ إلا كفكرةٍ؛ فإنَّ هاتيكِ الماهيتينِ لا تكونانِ بالجواهرِ من حيث هما مفهومانِ متعيَّنانِ إلا في الربطِ المتضادِّ؛ أما من جهةِ أنَّهما قائمتانِ برأسيهما فأيسيتُهُما تكونُ لهما على العكسِ خارجِ التقابلِ؛ وعليه فحركتهما إنما هي الحركةُ الحرَّةُ التي تختصانِ بها. إذاً كما أنَّ حركةَ اثنتينِهما هي الحركةُ في ذاتها، لأنَّه ينبغي أن تتعقَّبَ في

الطرفين نفسيهما، فالذي يبدؤها منهما إنما هو أيضاً الذي يُعيّن من بينهما كالكائن - في - ذاته حيال الآخر. وهذا إنما يتمثل كفعل إرادي؛ لكنّ ضرورةً تخارجه إنما تكمن في المفهوم الذي [507] مفاده أنّ الكائن - في - ذاته الذي لا يُعيّن إلا في التقابل، لا يكون له بذلك قوامٌ صادقٌ؛ - فهذا الذي يجري عنده البسيط لا الكون - لذاته مجرى الماهية، إنما يكون الذي يتخارج بنفسه، ويمضي في الموت، فيؤالف بذلك بين الماهية المطلقة وبين ذاته. وهو إنما يعرض ذاته في هذه الحركة كروح؛ أما الماهية المجردة فأغتربت عن ذاتها، وصار لها كيانٌ طبيعيٌّ وحقيقٌ هوويٌّ؛ وهذا الكون المغاير الذي لها، أو حضورها الحسيّ، إنما يُستردُّ بمعية التغير<sup>(41)</sup> الثاني، فيوضع كمنسوخ وكتليّ؛ بذلك تتصير الماهية في ذلك الحضور الحسيّ لذاتها؛ وكيان الحقيق الذي في - الحال إنما كفّ عن كونه غريباً أو برانياً عنها من جهة أنه كيانٌ منسوخٌ وكتليّ؛ وعليه فذلك الموت إنما هو انبعاثها كروح.

إنّ الحاضر الحاليّ والمنسوخ الذي للماهية الواعية - بذاتها يكون هذه الماهية كوعي - بالذات كتليّ؛ فلذلك هذا المفهوم الذي للهو الفرديّ المنسوخ الذي هو الماهية المطلقة إنما يعبر في - الحال عن تقويم (Die Konstituierung) جماعةٍ تؤوب الآن إلى ذاتها كأن إلى الهو، وهي التي ما انفكت تنزل التصوّر إلى هذا الحين؛ بذلك يمرّ الروح من العنصر الثاني الذي لتعيّنه، أعني فعل التصوّر، إلى الثالث، أي الوعي - بالذات بما هو كذلك. - وإذا تعقّبنا أيضاً كيف يسلك هذا التصوّر في مجراه، لرأينا أنّ أول ما يُعبر عنه هو أنّ الماهية الإلهية تتطبّع الطبيعة البشرية. وفي تلك العبارة إنما قيل بعدد إتهما في ذاتيهما ليستا مفصولتين؛ - كذلك لم يُفصح بل تُضمّن في كون الماهية الإلهية تخارجت منذ

(41) Das Anderswerden، الاستحالة الآخر.



البدء وكيانها مضى في ذاته فصار قبيحاً، كونُ هذا الكيان القبيح في - ذاته ليس شيئاً غريباً عنها؛ وما كان يكون للماهية المطلقة أن تحمل إلا هذا الاسم الخاوي لو كان ثمة على الحقيقة غريباً بالنسبة إليها وسقوطاً انطلاقاً منها؛ - فلحظة الكون ضمنَ الذات<sup>(42)</sup> تمثل بالأحرى اللحظة الجوهرية للهو الذي للروح. - أما أن الكون ضمنَ الذات أي الحقيق رأساً يرجع إلى الماهية ذاتها، هذا الذي هو بالنسبة إلينا المفهومُ ومن جهة ما هو المفهوم، فيظهُر للوعي المتصور كحدثانٍ لا يفهم؛ فالفي - ذاته إنما يتخذ عنده صورة الكينونة السيائية. أما فكرة عدم انفصال هاتيك اللحظتين اللتين تبدوان منفلتين، أي لحظة الماهية المطلقة ولحظة الهو الكائن - لذاته، فتظهر لهذا التصور أيضاً، - لأن المضمون الصادق إنما يمتلكه، لكن من بعد زمن، - في تخارج الماهية الإلهية التي تصير لحماً. وهذا التصور الذي لا يزال من هذا الوجه في - الحال، فلا يكون إذاً روحياً، أو لا يعرف رأساً الشكلَ البشري للماهية إلا كجزئي وليس بعد ككلي، إنما يصير عند ذلك الوعي روحياً في حركة الماهية المتشكلة، أعني الحركة التي تتمثل في تضحية هذه الماهية مرة أخرى بكيانها الذي في - الحال والأوبة إلى الماهية؛ فلا تكون الماهية أولاً الروح إلا من جهة أنها متفكرة في ذاتها. - وعليه فالذي يتصور في ذلك إنما هو تألف الماهية الإلهية مع الآخر بعامة، وعلى التدقيق مع فكرة هذا الآخر، أي مع القبيح. - وعندما يُقال هذا التألف وفق مفهومه على معنى أن هذا هو قوامه، لأن القبيح هو في ذاته عين ما هو الحسن، أو كذلك لأن الماهية الإلهية هي عين ما هي الطبيعة على امتدادها الكامل، مثلما لا تكون الطبيعة إذ تُفصل عن الماهية الإلهية إلا الليس، - فإنه ينبغي أن يُنظر في هذا كنعو غير

[508]

Das Insichsein (42)، الكون - داخل - الذات.

روحي في العبارة يجب عنه بالضرورة كثير من سوء الفهم. - وما دام القبيح عين ما هو الحسن، فلا القبيح قبيح ولا الحسن حسن، بل كلاهما في الأكثر منسوخ، فالقبيح بالجملة هو الكون - لذاته الكائن داخل ذاته، والحسن هو البسيط العري من الهو. ومن جهة أنه يعبر عن كليهما وفق مفهومهما، فإن وحدتهما تصير في الوقت نفسه بيته؛ فالكون - لذاته الكائن داخل ذاته إنما هو العلم البسيط، والبسيط العري من الهو إنما هو كذلك الكون - لذاته المحض الكائن في ذاته. - وعليه فبقدر ما يجب القول إن الحسن والقبيح وفق مفهومهما - أي من جهة أنهما ليسا الحسن والقبيح - هما الشيء نفسه، بقدر ما يلزم القول أيضاً إنهما ليسا الشيء نفسه، بل هما متباينان على الإطلاق، لأن الكون - لذاته البسيط، أو كذلك العلم المحض، إنما هما بنفس الكيفية السالبة المحض، أو الاختلاف المطلق في حد ذاتيهما. - ولا يكمل الكل إلا هاتان القضيتان، فلا بد أن يواجه التقرير الراسخ الذي للقضية الثانية مواجهة معاندة لا تقهر إقرار الأولى وتأكيداها؛ وما دامت القضيتان على حد سواء على حق، فكلتاها كاذبة<sup>(43)</sup> على حد سواء، وكذبهما إنما يرجع إلى اتخاذ صور مجردة مثل «الهو»<sup>(44)</sup> «ليس»<sup>[509]</sup> «الهو» و«المطابقة» و«اللامطابقة» مأخذ الصادق والراسخ والحق ثم الاستناد إليها؛ فلا هذه القضية ولا تلك تستقيم لها الحقيقة، بل الحقيقة إنما هي على التدقيق حركتهما حيث يكون «الهو» البسيط التجريد وبذلك الاختلاف المطلق، أما هذا الاختلاف فيكون من جهة ما هو اختلاف في ذاته مختلفاً عن ذاته، إذا تساوي الذاتي. وتلك هي على الحصر الحال مع الهو<sup>(45)</sup> في الماهية الإلهية والطبيعة بعامة، والطبيعة الإنسانية بخاصة؛ فتلك الماهية الإلهية

(43) Unrecht، على غير حق أي كاذبة.

(44) Dasselbe، على معنى الشيء عينه.

(45) Die Dieselbigkeit، نحتاً لمصدر من الهو.

تكون طبيعةً من جهة أنها ليست ماهيةً، وهذه الطبيعةُ إلهيةٌ بحسب ماهيتها، - والوجهان المجردان كلاهما إنّما يوضعان كما هما على الحقيقة في الرّوح، أعني كمنسوخين، - وضعاً لا يمكن التعبير عنه بواسطة الحكم والـ «هو»<sup>(46)</sup> العرية من الرّوح التي تمثل الواصلة في عين الحكم. - كذلك الطبيعةُ هي ليس خارجَ ماهيتها؛ أمّا هذا اللّيس ذاته فكائنٌ كذلك، فهو التجريدُ المطلق، إذاً التفكير المحض أو الكونُ ضمنَ الذات، وهو مع لحظة تضادّه مع الوحدة الرّوحية إنّما يسمي القبيح. والعسرُ الذي يوجد في هذه المفاهيم إنّما يرجع فقط إلى التمسك الراسخ بـ: «هو»، كما إلى نسيان التفكير حيث تكون اللّحظات مثلما لا تكون، - فلا تكون إلاّ الحركة التي هي الرّوح. - وهذه الوحدة الرّوحية، أو الوحدة التي لا تكون فيها الاختلافات إلاّ كـلحظات أو اختلافاتٍ منسوخة، هي التي صارت عند الوعي المتصوّر في هذا التآلف، وما دامت تلك الوحدة كـليّة الوعي - بالذات فإنّ هذا الوعي قد كفّ عن كونه تصوّرياً، والحركة إنّما آبت إليه.

[3. الرّوحُ على أمثله، ملكوت الرّوح] - وعليه فالرّوح إنّما يكون وُضِعَ في العنصر الثالث، في الوعي - بالذات الكلّي؛ إنّ جماعةً خاصّةً به. وحركة الجماعة بما هي حركة الوعي - بالذات الذي يختلف عن تصوّره إنّما هي إنتاجٌ ما صار في ذاته. والإنسانُ الإلهي الميّت أو الإله البشريّ الميّت، إنّما هما في ذاتيهما الوعي - بالذات؛ وينبغي أن يصيرا إلى ذلك عند هذا الوعي - بالذات. أو: ما دام هذا الوعي - بالذات يمثل أحد جانبي تقابل التصرّور، ولاسيّما القبيح الذي يجري عنده الكيان الطبيعي والكون - لذاته الفرديّ مجرى الماهية، فإنّ ذلك الجانب الذي تصوّر قائماً بذاته، لا كـلحظة، ينبغي أن يرتفع - من جراء

(46) Ist، الواصلة المنطقية بين حرفي الحكم أو القضية المنطقية.

قيامه الذاتي - في ذاته ولذاته إلى الروح، أو ينبغي أن يعرض فيه [510] الحركة التي لعين الروح.

هذا الجانب إنما هو الروح الطبيعي؛ وينبغي للهو أن ينتزع نفسه من هذه الطبيعانية، فيمضي في ذاته، وذلك كان يكون معناه أن يصير قبيحاً. ولكن ذلك الجانب في ذاته قبيح؛ فلذلك يقوم المضي في الذات على إقناع الذات بأن الكيان الطبيعي هو القبيح. وأستقباح العالم كما كونه قبيحاً الكائنات (Das daseienden Bösewerden und Bösessein der Welt) إنما يقعان في الوعي المتصور، مثلما يقع فيه التآلف الكائن الذي للماهية المطلقة؛ أما في الوعي - بالذات بما هو كذلك فلا يقع هذا المتصور وفق الصورة إلا ك لحظة منسوخة، لأن الهو يكون السلبي؛ وهو إذا العلم، - علم يكون في باطن ذاته صنيعاً محضاً للوعي. - ولا بد كذلك أن تكون عبارة لحظة السلبي هذه قائمة في المضمون. وما دامت الماهية في ذاتها قد تألفت بحق مع ذاتها، فأمت وحدة روحية حيث تكون أجزاء التصور أجزاء منسوخة أو لحظات، فإن الذي يعرض في ذلك هو أن كل جزء من التصور يستفيد هاهنا الدلالة المقابلة للتي كانت له من قبل؛ وكل دالة إنما تتكامل بواسطة الأخرى، فلا يكون المضمون مضموناً روحياً إلا بمعية ذلك؛ وما دامت التعينية تكون ضدّها أيضاً، فالوحدة في الكون المغاير، أعني الروحي، إنما قد تمت، مثلما أجمعت من قبل بالنسبة إلينا أو في ذاتها الدلالات المتضادة، فأنسخت بنفسها الصور المجردة للهو وللهو - ليس - الهو كما للمطابقة وللامطابقة.

وعليه فإذا كانت أستحالة الوعي - بالذات الطبيعي باطناً (Das Innerlichwerden) في الوعي المتصور القبيح الكائن، فإن الاستحالة باطناً في عنصر الوعي - بالذات هي التي تكون العلم بالقبيح كشيء يكون في - ذاته في الكيان. إذا هذا العلم هو لا

محالة استقباح<sup>(47)</sup>، لكنّه أستحالة فكرة القبيح وحسب، ولهذه العلة يُعترف به كأول لحظة من المؤالفة. وهذا العلم من جهة ما هو أوبة إلى الذات من حالّية الطبيعة التي قيّدت كقبيح، إنّما هو انصراف عن تلك الطبيعة وفناءً للخطيئة. وليس الكيان الطبيعيّ بما هو كذلك ما يتركه الوعي، بل هذا الكيان من حيث يُعرف في الوقت نفسه كقبيح. وحركة الماضي في الذات التي في - الحال [511] إنّما تكون كذلك مُوسوطة؛ - فهي تفترض نفسها، أو إنّما تكون عمادها الخاصّ؛ فعماد الماضي في الذات إنّما العلة فيه كون الطبيعة قد مضت في ذاتها (Insichgegangen) بعد؛ ولا بدّ للإنسان أن يغور في ذاته (In sich gehen) من جرّاء القبيح، بل القبيح هو ذاته الماضي في الذات. - فلذلك ليست هذه الحركة الأولى نفسها إلّا التي في - الحال، أو هي مفهومها البسيط، لأنّها هي وعمادها الشيء نفسه. إذا الحركة أو الكون المغاير لا بدّ أن يهلاً أيضاً على صورتها الأخصّ.

وعليه فتوسيط التصوّر واجبٌ بالإضافة إلى تلك الحالّية؛ فالعلم بالطبيعة كبالكيان غير الصادق الذي للروح كما هذه الكلّية الصائرة داخل ذاتها (Insich) التي للهو هما في - ذاتهما تألّف الروح مع ذاته. وهذا الفي - ذاته إنّما يستفيد عند الوعي - بالذات الذي لا يفهم مفهوماً صورةً كائنٍ ومتصوّرٍ له. وعليه فالفهم عند هذا الوعي - بالذات ليس تحصيلاً (Ergreifen) لهذا المفهوم الذي يعلم الطبيعيّة المنسوخة كطبيعيّة كلّية، إذا مؤتلفة مع ذاتها، لكنّه تحصيلٌ لذلك التصوّر الذي يرى أنّ الماهية الإلهية قد تألّفت مع كيانها عبر حدوث التخارج الخاصّ بها كما أستحاليتها بشراً الحادثة وموتها. وتحصيل هذا التصوّر إنّما يعبر حينئذ من وجه أكثر تقييداً عمّا كان سُمّي أعلاه في عين التصوّر الانبعاث الروحيّ

(47) على معنى الاستحالة قبيحاً.

أو صيرورةً وعيه - بالذات الفرديّ إلى الوعي - بالذات الكلّيّ أو إلى الجماعة. - موتُ الإنسان الإلهيّ بما هو موتٌ إنّما هو السالبةُ المجرّدةُ والحاصلُ في - الحال الذي للحركة التي لا تنتهي إلّا في الكلّيّة الطبيعيّة. والموت إنّما يخسر تلك الدلالة الطبيعيّة في الوعي - بالذات الرّوحيّ، أو يصير إلى مفهومه الذي أشرنا إليه للتوّ؛ وهو يتحوّل ممّا يعنيه في - الحال ومن لا كينونة هذا الفرد العين إلى كلّيّة الرّوح الذي يحيا بين أهليه (In seiner Gemeine)، فيموت وينبعث بينهم كلّ يوم.

وعليه فهذا الذي ينتمي إلى عنصر التصرّور - وهو أنّ الرّوح المطلق من جهة ما هو روحٌ فرديّ أو بالأحرى جزئيّ، يمثّل في كيانه الطبيعيّة التي للرّوح - إنّما يُنقل في هذا الموضع إلى الوعي - بالذات نفسه والعلم الحافظ لنفسه في كونه المغاير؛ فلذلك لا يموت هذا الوعي - بالذات بشكل حاقٍ مثلما يتصرّور في الجزئيّ كونه قد مات بحقّ، لكنّ جزئيّته تموت في كليّته، أي في علمه الذي هو الماهيّة المؤتلفّة مع ذاتها. بالتالي عنصر التصرّور الذي فات أولاً إنّما يوضع هاهنا كمنسوخ، أو هو قد آب إلى الهو وآل إلى مفهومه؛ وما هو في ذلك العنصر إلّا كائن، إنّما صار إلى الذات. - وبذلك أيضاً لم يعد العنصر الأوّل، التفكير المحض، والرّوح الخالد فيه متعالين عن الوعي المتصرّور ولا عن الهو، بل أوبة الكلّ إلى ذاته إنّما تقوم على احتوائه على اللّحظات جميعها. - أمّا موت الوسيط (Der Mittler) الذي أدركه الهو فإنّما هو نسخ موضوعيّته أو كونه - لذاته الجزئيّ؛ وهذا الكون - لذاته الجزئيّ إنّما صار وعياً - بالذات كليّاً. - ومن ناحية أخرى يكون الكلّيّ بذلك قد صار وعياً - بالذات، والرّوح المحض أو اللاحق الذي للتفكير البسيط قد صار حاقاً. - وموت الوسيط ليس فقط موتاً للدجانب الطبيعيّ الذي لعين الوسيط أو لكونه - لذاته الجزئيّ، فلا يموت فقط الغطاء الذي مات بعدُ وُخلع عن الماهيّة، بل يموت

أيضاً تجريدُ الماهيةِ الإلهيةِ. والوسيط ما دام موته لم يكتملْ بعدُ المؤالفةُ إنّما هو الأحاديُّ الذي يعلم البسيط الذي للتفكير كالماهيةِ في مقابل الحقيق؛ وهذا الحرفُ الذي للهو ما زال لا يملك عينَ القيمةِ مع الماهيةِ؛ فهذه القيمة لا تكون للهو أولاً إلا في الرّوح. وعليه فموتُ هذا التّصوّر ينطوي في الوقت نفسه على موت تجريد الماهيةِ الإلهيةِ التي لم توضعْ كهو. فالموت إنّما هو شعور الوعي الشقيّ بأنّ الله نفسه قد مات. هذه العبارةُ الغليظةُ إنّما هي عبارة العلم بالذات البسيط والأبطنِ وأوبهُ الوعي إلى عمق الليل الذي لـ: أنا = أنا والذي لا يميّز ولا يعلم شيئاً خارجه. إذاً ذلك الشعور هو في واقع الأمر خسرانُ الجوهر كما فقدان مواجهته للوعي؛ لكنّه في الوقت نفسه ذاتيةُ الجوهر الخالصةُ، أو الإيقانُ المحض من الذات نفسها الذي كان يعوزُ الجوهرَ من جهة ما هو الموضوعُ أو الحاليُّ أو الماهيةُ المحض. هذا العلمُ إنّما هو إذاً التروُّحُ (Die Begeistung) الذي به يصير الجوهرُ ذاتاً، وبمعنيته يموتُ تجريدُه وعزُّيه من الحيويّة (Leblosigkeit) [513]، وعليه فهو ما به يصير حاقاً ووعياً - بالذات بسيطاً وكتلياً.

كذا يكون الرّوح روحاً عالمياً بنفسه؛ إنّهُ يعلم ما بنفسه، فما هو بالنسبة إليه موضوعٌ إنّما يكون، أو تصوّره إنّما هو المضمون المطلق الصادق: فهو إنّما يعبر - كما كنّا رأينا - عن الرّوح ذاته. وهو في الوقت نفسه ليس مضمونَ الوعي - بالذات وحسبٍ وليس فقط موضوعاً بالنسبة إلى هذا الوعي - بالذات، بل هو أيضاً الرّوحُ الحاقٌ. وهو يكون ذلك ما جابَ العناصر الثلاثة التي لطبيعته؛ وهذه الحركةُ لاجتيابه ذاته (Durch sich selbst hindurch) هي التي تقيّم الحقيق الذي له، - فالذي يتحرّك إنّما هو الرّوحُ، فهو الذاتُ التي للحركة، وهو كذلك التحركُ ذاته، أو الجوهرُ الذي تجتأبه الذات. ومثلما صار لنا مفهوم الرّوح أيتانَ كنّا دخلنا

الدين، لاسيما كالحركة التي للروح الموقن من ذاته الذي يغفر للقيح فيطرح في الوقت نفسه بساطته الخاصة وثباته الغليظ، أو كالحركة التي يتعرف وفقها المتضاد على الإطلاق على ذاته بما هي الهو هو، فينجم هذا التعرف كالنعم (Das Ja) الذي ما بين دينك الحرفين<sup>(48)</sup>، - فهذا المفهوم هو ما يحدسه الوعي الديني الذي تبدت له الماهية المطلقة والذي ينسخ مباينة الهو الذي له لما يحدسه، وكما يكون هذا الوعي الذات يكون الجوهر، فيكون إذاً هو نفسه الروح ما كان وما دام تلك الحركة.

لكن هذا الجَمْع (Diese Gemeinde) ما زال لم يكتمل في هذا الوعي - بالذات الذي له؛ فمضمونه إنما يكون عنده بالجملة على صورة فعل التصور، وروحيته الحاقّة لا تزال تنطوي على ذلك الانقسام - أي الأوبة من تصوّره - كما كان أثلي به العنصر المحض الذي للتفكير ذاته. هذا الجمع لا يمتلك أيضاً الوعي بما هو هو؛ فهو الوعي - بالذات الروحي الذي لا يكون موضوعاً لذاته بما هو كذلك، أو لا يفتح على الوعي بذاته؛ لكن تكون له من جهة ما هو وعي تصوّرات كنا قد تعقبنا الفحص عنها. - إننا نرى الوعي - بالذات عند منقلبه الأقصى يستحيل لنفسه جوانباً، فيبلغ العلم بالكون ضمن الذات؛ ونراه يتخرّج كيانه الطبيعي، ويستفيد السالبة المحض. أما الدلالة الموجبة، لاسيما التي مفادها أنّ هذه السالبة أو الجوانب المحض التي للعلم إنما هي<sup>514]</sup> أيضاً الماهية التي تعدل ذاتها، - أو أنّ الجوهر يبلغ في ذلك كونه وعياً - بالذات مطلقاً، فإنما هذا شيء مغاير في نظر الوعي الورع<sup>(49)</sup>. وهذا الوعي إنما يدرك هذا الجانب المتمثل في أنّ محض أستحالة العلم باطناً هي في - ذاتها البساطة المطلقة أو

(48) الحرف على معنى الأقصى.

(49) Das andächtige Bewußtsein، بمعنى الوعي الناسك المستدرك.



الجوهر، كأنه تصوّر لشيء لا يوافق من هذا الوجه المفهوم، بل هو امتراس إرضاء وتكفير<sup>(50)</sup> غريبين. أو بعبارة أخرى: كون ذلك العمق الذي للهو المحض العنف الذي به تُجلب الماهية المجردة من تجريدها وتُرفع إلى الهو بمعية القوة التي لهذا الذكر المحض، إنّما هو أمر لا يستقيم لهذا الوعي الورع. - فصنيع الهو إنّما يحفظ بذلك في نظر ذلك الوعي تلك الدلالة السالبة، لأنّ تخارج الجوهر يكون من ناحيته عند ذلك الوعي من قبيل الفي - ذاته الذي لا يحيط به كما لا يفهمه، أو لا يجده بما هو كذلك في الصنيع الذي له. - وما دامت هذه الوحدة بين الماهية والهو قد حصلت في - ذاتها، فإنّ الوعي لا يزال يمتلك أيضاً هذا التصوّر لائتلافه، لكنّ كتصوّر. وهو إنّما يبلغ الكفاية من حيث أنّه يضيف من وجه برانيّ إلى سالبية المحض الدلالة الموجبة التي لاتحاده بالماهية؛ وعليه فكفايته نفسها إنّما تظلّ مشوبة بمقابلة شيء متعال. ولذلك يلج أئتلافه الخاصّ وعيه كقصي، كقصي المستقبل، مثلما تظّهر المؤلفّة التي كان أنجزها الهو الآخر كقصي الكائنة. وكما يكون للإنسان الإلهيّ الفرديّ أب كائن في - ذاته ولا تكون له إلاّ أمّ حاقّ، كذلك يكون أيضاً للإنسان الإلهيّ الكلّيّ، أي الجمع، عمله وعلمه أباً له، في حين تكون له أمّ المحبّة الأبدية التي يشعر بها ذلك الجمع وحسب، من دون أن يحدسها في وعيه كموضوع حاقّ وفي - الحال. ولهذا فائتلافه إنّما يكون في قلبه، لكنّه ما زال منفصلاً مع وعيه، وحقيقته ما زال مقسوم الظهر. أمّا ما يلج وعيه كالفي - ذاته أو وجه التوسيط المحض، فإنّما يكون الائتلاف الذي يقع في المتعالي؛ لكن ما يلجّه كحاضر وكجانب الحاليّة والكيان إنّما يكون العالم الذي ما انفكّ يترقّب تجليّه. والعالم إنّما يكون حقاً مؤتلفاً في - ذاته مع الماهية؛ ويُعلم جيّد

(50) Eine Genugtuung، بمعنى الإرضاء الناجم عن الاستغفار والتكفير.

515] العلم عن الماهية أنها لم تعد تعرف الموضوع من جهة ما هو  
مغترِبٌ عن ذاته، بل من حيث يعدلُ ذاته في المحبة لكن بالنسبة  
إلى الوعي - بالذات ما زال هذا الحاضر الذي في - الحال لا  
يملك شكلَ الروح. والروح الذي للجمع إنما يكون منفصلاً في  
وعيه الذي في - الحال عن وعيه الديني الذي يقول لا محالة إن  
الوعيين في - ذاتيهما ليسا منفصلين، لكنه في - ذاته ما زال لم  
يُحقَّق، أو ما زال كذلك لم يصرُ كوناً - لذاته مطلقاً.



## VIII. العلم المطلق

[I. المضمون البسيط للهو الذي يتبيّن بما هو الكينونة] - ما زال روح الدين الظاهر لم يجاوز وعيه بما هو كذلك، أو - وهو الشيء نفسه - ليس وعيه - بالذات الحاق الموضوع الذي لوعيه؛ فذلك الروح نفسه واللحظات التي تتباين ضمنه، إنما يقع بالجملة في فعل التصوّر وصورة الموضوعيّة. والمضمون الذي لفعل التصوّر إنّما هو الروح المطلق؛ ولم يعد الأمر يجري إلّا مجرى نسخ هذه الصورة البسيطة، أو: لما كانت تلك الصورة تنتمي إلى الوعي بما هو كذلك، فلا بدّ بالأحرى أن تكون حقيقتها قد حصلت فعلاً في التشكّلات التي لعين الوعي. - فلا ينبغي أن يؤخذ ذلك التجاوز لموضوع الوعي مأخذ الأحاديّ الجانب (Das Einseitige) الذي كان الموضوع أتضح على نحوه كأنه آيب إلى الهو، بل أن يُعتبر من وجه أكثر تقييداً حيث كان الموضوع بما هو كذلك بأن للوعي كمضمحلّ متصرّم، كما من حيث يكون تخارج الوعي - بالذات هو الذي يضع بالأحرى الشيئية (Die Dingheit)، فلا تكون لذلك التخارج دلالة سالبة وحسب، بل دلالة موجبة ليس فقط بالنسبة إلينا أو في - ذاته، بل عند الوعي - بالذات نفسه. فسلب الموضوع أو فعل أنتساخه إنّما تكون لهما عند هذا الوعي الدلالة الموجبة، أو هو يعلم من ناحية لئسيّة عين الموضوع من حيث إنه هو نفسه يتخارج، - لأنّ الوعي

في هذا التخارج إنّما يستوضع نفسه كموضوع، أو يضع الموضوع وضعه لنفسه من جرّاء الوحدة اللامنفصلة التي للكون - لذاته. ومن ناحية أخرى تكمن في ذلك اللّحظة الأخرى التي يكون ذلك الوعي وفقها قد نسخ بقدر ما أسترّد ذلك التخارج وتلك الموضوعيّة، فيكون إذاً ضمن كونه المغاير بما هو كذلك لدن ذاته. - تلك هي الحركة التي للوعي، وهذا الوعي إنّما يكون فيها جملة لحظاته. - ولا بدّ له أيضاً أن يسلك حيال الموضوع وفق جملة تعيناته، وأن يكون حصّله على نحوها تعيناً تعيناً. وهذه الجملة (Diese Totalität) التي لتعينات الموضوع إنّما تجعل منه في ذاته ماهيةً روحيةً، وهو إنّما يصير على الحقيقة هذه الماهية بالنسبة إلى الوعي عبر الإحاطة بكلّ من تلك التعينات الفرديّة كأنّ بالهوّ، أو عبر المسلك الروحيّ إزاءها، وهو الذي ذكرناه للتوّ. [517]

وعليه فالموضوع إنّما هو في شطر كينونة في - الحال، أو بالجملة شيء - وهو ما يناظر الوعي الذي في - الحال؛ وفي شطر استحالته لنفسه آخر، إضافته، أو كونه لآخر، وكون - لذاته، التعينيّة - وهو ما يناظر الإدراك الحسيّ، - وفي شطر ماهية أو ككليّ، - وهو ما يناظر الذهن. والموضوع من حيث هو كلّ إنّما هو القياس أو حركة الكليّ عبر التعين إلى الفرديّة، مثلما هو الحركة المعكوسة من الفرديّة عبر الفرديّة من جهة ما هي منسوخة أو عبر التعين إلى الكليّ. - إذاً لا بدّ للوعي أن يعلم الموضوع وفق تلك التعينات ثلاثيتها علمه بذاته. غير أنّ القول في هذا الموضوع ليس في العلم بما هو فهم محض للموضوع؛ بل ينبغي فقط أن يُشرح هذا العلم ضمن صيرورته أو ضمن لحظاته بحسب الجانب الذي ينتمي إلى الوعي من جهة ما هو كذلك، وتُشرح لحظات المفهوم الأصليّ أو العلم المحض على صورة التشكّلات التي للوعي. ولهذه العلة ما زال الموضوع لم يظهر في الوعي بما هو كذلك كالأيسية الروحية كما أفصحنا عنها أعلاه،

وسلوك الوعي بإزاء الموضوع ليس تفحصاً له في تلك الجملة بما هي كذلك، ولا ضمن صورة المفهوم المحض التي لها، بل هو في شطر شكل للوعي، وفي شطر تعديداً لمثل تلك الأشكال التي نجتمعها بأنفسنا والتي لا يمكن أن تُشرح فيها جملة اللحظات التي للموضوع ومسلك الوعي إلا متحللة إلى لحظاتها.

حسبنا عندئذ في ما يتعلّق بهذا الجانب من الإحاطة بالموضوع كما تكون عليه ضمن شكل الوعي أن نذكر بأشكال الوعي الفاتية التي تقدّمت بالفعل. - وعليه فبالنظر إلى الموضوع من جهة ما هو في - الحال وكيونة سيانية، كنا رأينا العقل المعايين يتعقب نفسه فيجدها في هذا الشيء السياني، أي كونه يعي بصنيعه كبصنيع براني، كما لا يعي بالموضوع إلا كموضوع في - الحال. - وكنا رأينا أيضاً قصارى تعينه يُقال في الحكم اللامتناهي بأن الكيونة التي للنا إنما هي شيء. - وبحق شيء حسي وفي - الحال: فمتى يُسمّى الأنا نفساً، فإنما يُتصوّر أيضاً كشيء، لكن كلامرئي وغير ملموس وما إليه، فما هو [518] إذاً في واقع الأمر بكيونة في - الحال ولا ما نظته بشيء ما. - وذلك الحكم إذ يُسمع على علاته إنما يعرى من الروح، أو هو بالأحرى العري من الروح ذاته (Das Geistlose)، لكن بحسب المفهوم الذي لذلك الحكم إنما هو في واقع الأمر الأغنى روحاً، وباطنه هذا الذي ما زال غير حاضر فيه إنما هو ما تقوله للحظتان الأخريان اللتان ينبغي تفحصهما.

إنما الشيء أنا؛ في هذا الحكم اللامتناهي يكون الشيء في واقع الأمر قد نُسخ؛ فهو في ذاته لا شيء؛ ولا تكون له دلالة إلا ضمن إضافة، أي إلا عبر الأنا وصلته بعين الأنا. - هذه اللحظة إنما حصلت للوعي في التعقل المحض والأنوار. فالأشياء نافعة على الإطلاق، ولا تُتفحص إلا من وجه نفاعها. - والوعي - بالذات المتكوّن الذي جاب عالم الروح المغترب عن ذاته إنما

أحدثَ عبرَ تخارجِهِ الشيءَ كذاته، فلذلك ما زال يحفظ ذاته فيه، ويعلمُ اللاقيامَ الذاتِيَّ لعينِ الشيء، أو إنَّ الشيءَ ليس بالجوهرِ إلَّا كينونةً لأجلِ آخَرٍ؛ أو: إذا عبَرنا تماماً عن الإضافة - أي عمّا يقيم وحدَه هاهنا طبيعةَ الموضوع -، فإنَّ الشيءَ يجري عندَ الوعي - بالذاتِ مجرى كائنٍ - لذاته، فيقولُ بالإيقانِ الحسبيِّ حقيقةً مطلقةً، غيرَ أنَّه يقولُ هذا الكونَ - لذاته كِلحظةٍ تَضمحلُّ وحسبُ، وتمرُّ في ضدها، في الكينونة التي تُهملُ لآخَر.

لكن ما زال العلمُ بالشيءِ في هذا الأمرِ غيرَ تامٍّ؛ إذ لا بدَّ ألا يُعلمَ الشيءُ من وجهِ الحالِيَّةِ التي للكينونة والتعيّنيَّةِ وحسبُ، بل لا بدَّ أن يُعلمَ أيضاً من جهةٍ ما هو ماهيةٌ أو باطنٌ، أي من جهةٍ ما هو أَلهُوٌ. وذلكَ إنّما يحضُرُ ضمنَ الوعي - بالذاتِ الأَخلاقيِّ، فهذا الوعي - بالذاتِ إنّما يعلمُ علمَه كالأيسيةِ المطلقةِ، أو يعلمُ الكينونةَ على الإطلاقِ كالإرادةِ المحضِ أو كعلمٍ؛ فليس هو سوى هذه الإرادة والعلم؛ أمّا ما غيرَ ذلك فلا يتصَفُّ إلَّا بكونه لاجوهرِيّاً، أي كونه لا كائناً - في - ذاته، قشرةَ الكونِ الخاويةَ وحسبُ. والوعي الأَخلاقيُّ إنّما يستردُّ كذلك الكيانَ إلى ذاته من حيث إنّه في تصوّره للعالمِ يصرفُ عينَ الكيانِ عن أَلهُو. ولم يعدْ هذا الوعي في النهاية بما هو إيقانٌ أخلاقيُّ هذا الوضع وهذا النِقالَ المتعاقِبينَ للكيانِ وأَلهُو، بل يعلمُ أنّ كيانَه بما هو كذلك إنّما هو ذلك الإيقانِ المحضِ من الذاتِ؛ والعنصرُ [519] الموضوعيُّ الذي يعرض فيه نفسَه ويتعاطاه من حيث يمارسُ ليس سوى علمِ أَلهُو المحضِ بذاته.

تلك هي اللحظات التي يتكوّنُ منها أئتلافُ الرّوحِ مع وعيه الأصليِّ؛ وتلك اللحظات لذاتها إنّما تكونُ فرديةً، ووحدها الرّوحيةُ هي وحدها التي تقيمُ قوّةَ ذلك الائتلافِ. إنّ آخَرَ تلك اللحظات لا بدَّ أن يكونَ تلك الوحدةَ نفسَها، فهو إنّما يصلُ بالفعل في داخله بينها كلّها كما هو بيّنٌ بنفسِه. والرّوحِ الموقنِ من

ذاته في الكيان الذي له لا يكون له من عنصر الكيان غير ذلك العلم بذاته؛ والإفصاح بأن ما يفعله هذا الروح إنما يفعله عن اقتناع بالواجب، هذه اللغة التي له إنما هي صلاحية مراسه. - فالمراس إنما هو الفصم الأول الكائن - في - ذاته لبساطة المفهوم والأوبة من ذلك الفصم. وهذه الحركة الأولى إنما تنقلب إلى الثانية من حيث إن عنصر الاعتراف يستوضع نفسه كعلم بسيط بالواجب إزاء الفرق والانقسام اللذين يكمنان في المراس بما هو كذلك، فيكون من هذا الوجه حقيقة من حديد حيال المراس. لكننا كنا رأينا في الغفران كيف تغفل هذه الغلظة نفسها، فتتخرج. وعليه لا تكون للحقيق هاهنا - من جهة ما هو أيضاً كيان في - الحال - عند الوعي - بالذات إلا دالة كونه علماً محضاً؛ - كذلك الذي ينتصب بحيال (Das sich Gegenüberstehende) إنما يكون بما هو كيان محدد أو إضافة علماً في شطره بهذا ألهو الفردي خالصاً، وفي شطر آخر بالعلم ككلي. وفي ذلك إنما يوضع في الوقت نفسه أن اللحظة الثالثة، أي الكلية أو الماهية، تجري عند كل من المنتصبين بحيال مجرى العلم وحسب؛ أما التقابل الخاوي اللابث بعد فينسخانه في الختام أيضاً، فيكونان العلم الذي للأننا = الأنا، هذا ألهو الفردي الذي يكون في - الحال علماً محضاً أو كلياً.

هذا الائتلاف للوعي مع الوعي - بالذات إنما يلوح عندئذ من حيث يكون أوتي من جانبيين، فمرة في الروح الديني، ومرة أخرى في الوعي ذاته من جهة ما هو كذلك. والجانبان إنما يختلف الواحد منهما عن الآخر من حيث إن الأول يكون ذلك الائتلاف على صورة الكون - في - ذاته، والثاني على صورة الكون - لذاته. وهما كما كانا اعتباراً إنما يقع الواحد منهما أولاً



لعين الأشكال، وفي شطر إلى الجمع بينها حتى من قبل أن يكون الدين قد وهب أيضاً موضوعه شكل الوعي - بالذات الحاق. أما الجمع بين الجانبين فلم يتم شرحه بعد؛ إن هو إلا ما يختم هذه السلسلة من تشكلات الروح؛ فالروح إنما ينتهي فيه إلى العلم بنفسه لا كما يكون في ذاته وحسب، أو وفق المضمون المطلق الذي له، ولا كما يكون لذاته من وجه صورته العريّة من المضمون أو من الوجه الذي للوعي - بالذات، بل كما يكون في ذاته ولذاته.

لكن ذلك الجمع إنما حدث في ذاته بالفعل، لاسيما في الدين أيضاً، أي في أوبة التصور إلى الوعي - بالذات، لكن لا من وجه الصورة الأصلية، لأن الجانب الديني هو جانب ألفي - ذاته الذي يواجه الحركة التي للوعي - بالذات. ولذلك ينتمي الجمع إلى هذا الجانب الآخر الذي هو في التقابل جانب التفكير في الذات الذي يتضمّن إذاً نفسه كما ضده، لا في ذاته أو من وجه كليّ وحسب، بل لذاته أو على نحو رابٍ ومختلف. والمضمون - مثله مثل الجانب الآخر للروح الواعي - بذاته - من حيث هو الجانب الآخر، إنما يكون حاضراً ومفسوراً على تمامه؛ أما الجمع الذي ما زال يُعوزُ كلَّ هذا الأمر فإنما هو الوحدة البسيطة التي للمفهوم. وهذا المفهوم كان هو أيضاً حاضراً عند الجانب الذي للوعي - بالذات نفسه؛ لكنّه مثله مثل ما حصل في الفئات تكون له مثل بقية اللحظات صورة كونه شكلاً جزئياً للوعي. - إنه إذاً هذا الجزء من شكل الروح الموقن من ذاته الذي يلبث في مفهومه وكان سُمّي النفس الجملاء. والنفس الجملاء إنما هي فعلاً علم ذلك الروح بذاته في وحدته المحض والشفيفة، - الوعي - بالذات الذي يعلم ذلك العلم المحض بالكون ضمن الذات المحض كأنه الروح، - ليس حدس الإلهي وحسب، بل الحدس الذاتي الذي لعين الإلهي. - وما دام هذا المفهوم على

تقابل مع تحقُّقه، فإنَّما هو الشكلُ الأحاديُّ الوجهِ الذي كُنَّا رأينا أضمحلَّه في الأبخرةِ الخاويةِ كما رأينا أيضاً تخارجه وحركانه الموجبين. وعبر هذا التحقُّق إنَّما ينتسخُ تقوُّعُ هذا الوعي - [521] بالذاتِ العريِّ من الموضوعِ على ذاته، كما تنتسخُ التعيُّنَةُ التي للمفهومِ حيالِ إفعامه؛ ووعيه - بالذاتِ إنَّما يستفيدُ صورةَ الكلِّيةِ، وما يتبقَّى له هو مفهومُه الصادقُ، أو المفهومُ الذي أُكتسبَ تحقُّقه؛ فالوعي - بالذاتِ هو المفهومُ على الحقيقةِ التي له، لا سيَّما في الوحدةِ مع تخارجه؛ - العلمُ بالعلمِ المحضِ لا كما هيَّةِ مجردةٍ هي الواجبُ، - بل العلمُ به كما هيَّةِ هي التي تكونُ هذا العلمُ وهذا الوعي - بالذاتِ، فتكونُ إذاً في الوقتِ ذاته الموضوعُ الصادقُ، لأنَّ الموضوعِ إنَّما هو أُلَّهُ الكائنُ - لذاته.

أما الإفعامِ الذي لذلكِ المفهومِ فإنَّما كان تعظاه في شطْرِ في الرُّوحِ الموقنِ من ذاته الذي يمارسُ، وفي شطْرِ في الدينِ: فقد كسبَ المفهومُ في الدينِ المضمونَ المطلقَ كمضمونٍ أو على صورةِ التصرُّورِ، أي صورةِ الكونِ المغايرِ بالنسبةِ إلى الوعي؛ لكن الصورةِ في الشكلِ الأوَّلِ هي على العكسِ من ذلك أُلَّهُ ذاته لأنَّها تشتملُ على الرُّوحِ الموقنِ من ذاته الذي يمارسُ، وأُلَّهُ إنَّما يُتِمُّ الحياةَ التي للرُّوحِ المطلقِ. وهذا الشكلُ كما نرى إنَّما هو ذلكِ المفهومُ البسيطُ الذي يُهملُ مع ذلكِ ماهيَّتهِ الأزليَّةِ، فيكونُ هنا أو يجرُحُ (Handelt). والفَضْمُ أو النجمُ إنَّما يكونان له عندَ خلوصِ (An der Reinheit) المفهومِ، فهذا الخلوُّ إنَّما هو التجريدِ المطلقِ أو السالبيَّةِ المطلقةِ. وكذلك ينطوي ذلكِ المفهومِ على عنصرِ حقيقتهِ أو الكينونةِ، فيستقيم له عندَ العلمِ المحضِ ذاته، لأنَّ هذا العلمُ إنَّما هو الحالِيَّةُ البسيطةُ التي هي كينونةٌ وكيانٌ بقدر ما هي ماهيَّةٌ، فأما تلكِ فهي التفكيرُ السلبِيُّ وأما هذه فالتفكيرُ الموجبُ ذاته. وذلكِ الكيانُ إنَّما هو في النهايةِ الكينونةُ المتفكِّرةُ في ذاتها انطلاقاً من العلمِ المحضِ من جهة ما هو كيانٌ

كما هو واجب، أو هو الكينونة القبيحة. - وذلك التمار في -  
الذات إنما يقيم تقابل المفهوم، وبذلك فهو هل العلم المحض  
غير الفاعل وغير الحاق الذي للماهية. لكن هذا الهل الذي له إنما  
هو المشاركة في ذلك الأمر؛ فالعلم المحض الذي للماهية إنما  
تخارج في ذاته عن بساطته، إن هو إلا الفصم أو السالبيّة التي  
هي المفهوم؛ وما دام هذا الفصم الصيرورة لذاتها، فإنما هو  
القبيح؛ وما دام ألفي - ذاته فإنما هو الذي يظل الحسن (Das  
Gutbleibende). - أما ما يحدث الآن أوّلاً في ذاته فإنما يكون  
في الوقت نفسه للوعي ويكون هو ذاته أيضاً مزدوجاً، فيكون  
للعوعي مثلما يكون كونه - لذاته أو صنيعه الخاص. وعليه  
فألهو هو<sup>(1)</sup> الذي وضع بعد في - ذاته إنما يتكرّر الآن كعلم الوعي  
به وكصنيع واع، فكل طرف يتنازل للآخر عن قيمومة التعينية التي  
يهل فيها حيال الآخر. وهذا التنازل إنما هو عين الانصراف عن  
أحادية المفهوم التي كانت أقامت في ذاتها البدء، لكنه يسمي  
مذاك الانصراف الذي له مثلما أن المفهوم الذي تلت عنه هو  
المفهوم الذي له. - وذلك ألفي - ذاته الذي للبدء بما هو ساليّة  
إنما هو كذلك على الحقيقة ألفي - ذاته الموسوط؛ وعليه فهو إنما  
يستوضع نفسه الآن مثلما هو على الحقيقة، والسليبي من حيث هو  
تعينية كل طرف إنما يكون للآخر وفي ذاته ما ينتسخ بنفسه. وأما  
أحد شطري الموضوع<sup>(2)</sup> فهو لاتساوي الكينونة داخل ذاتها ضمن

(1) Dasselbe، بمعنى الشيء نفسه.

(2) وفي طبعة أخرى: شطري التقابل (beiden Teile des Gegensatzes) بدل:  
شطري الموضوع (beiden Teile des Gegenstandes). لكن السياق يرجح العبارة  
المتعلقة بالموضوع، ما دام الأمر يجري في هذا الموضع مجرى تقييد فنومينولوجي  
للموضوع. قارن ص 581 في: Georg Wilhelm Friedrich Hegel, Werke in  
Zwanzig Bänden, 20 vols., Auf der Grundlage der Werke von 1832-1845 neu  
edierte Ausg. Red. Eva Moldenhauer und Karl Markusch Michel, Theorie  
Werkausgabe (Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1969-1971), vol. 3:  
Phänomenologie des Geistes, 1970.

فرديتها (Des insich in seiner Einzelheit-Seins) بإزاء الكلية، -  
وأما الآخر فهو لاتساوي كليته المجردة بإزاء أَلْهُو؛ فأما ذلك  
الشرط فإنما يفنى من جرّاء كونه - لذاته، فيخترج ثم يقرّ بذلك،  
وأما هذا الشرط فيتخلّى عن غلظة كليته المجردة، ويفنى بذلك من  
جرّاء أَلْهُو غير الحيّ الذي له وكليته غير المتحركة، على نحو أنّ  
ذلك الشرط الأوّل يتكامل إذاً عبر لحظة الكلية التي هي الماهية،  
والثاني يتكامل عبر الكلية التي هي أَلْهُو. بهذه الحركة التي للمراس  
إنّما يكون حصل الرّوح - الذي يكون الرّوح ما كان هنا ورفع  
كيانه إلى الفكرة وبذلك في التضادّ المطلق، فأب منه وعلى  
التدقيق عبره وضمّنه - ككليّة محض للعلم هو وعي - بذاته،  
وكوعي - بالذات هو الوحدة البسيطة التي للعلم.

وعليه فالذي كان في الدين مضموناً أو صورةً لتصورٍ آخر،  
يكون هو نفسه في هذا الموضع الفعل الخاصّ للهُو؛ والمفهوم  
إنّما يصله على نحو أنّ المضمون إنّما يكون الفعل الخاصّ للهُو، -  
لأنّ هذا المفهوم - كما نرى - إنّما هو العلم الذي بفعل أَلْهُو  
داخل ذاته كأنّ بكلّ أَيْسِيّة وكيان، العلم بتلك الذات كأنّ  
بالجوهر، وبالجوهر من جهة ما هو هذا العلم بفعله. - أما ما  
زدناه هاهنا فليس في شطرٍ إلّا الجمع للحظات الفردية التي يعرضُ  
كلّ منها في مبدئها الحياة التي لجملّة الرّوح، وفي شطر الحفظ  
على المفهوم ثابتاً في الصورة التي للمفهوم والتي كان يكون  
مضمونها قد حصل (Sich ergeben) ضمن تلك اللحظات، فيكون  
هو نفسه قد حصل في شكلٍ ما للوعي.

[II]. العلم من جهة ما هو أَلْهُو الذي يفهم ذاته بذاته] - هذا [523]

الشكل الأخير للرّوح، الرّوح الذي يعطي لمضمونه التامّ والصادق  
الصورة التي للهو فيحقق بذلك مفهومه مثلما يلبث في هذا التحقّق  
لذّن مفهومه، إنّما هو العلم المطلق؛ فهذا العلم إنّما هو الرّوح  
العالم بنفسه في شكل روح أو العلم الذي يفهم مفهوماً. إنّ

الحقيقة لا تعدلُ فقط في - ذاتها الإيقانَ على التمام، بل يكون لها أيضاً شكلُ الإيقان من الذات، أو إنّما تكون في كيانها أي عند الرّوح العالم، على صورة العلم بالذات. والحقيقة إنّما هي المضمون الذي ما زال لم يضاها في الدين إيقانه. أمّا هذه المضاهاة فترجع إلى أنّ المضمون إنّما أستفادَ شكلَ أُلّهو. بذلك يصير إلى أسطقس الكيان أو صورة الموضوعيّة عند الوعي ما يكون الماهيّة ذاتها، أعني المفهوم. والرّوح المظّهّر للوعي في ذلك الأسطقس، أو - وهو الشيء نفسه هاهنا - أو الحاصل عن الوعي في ذلك الأسطقس، إنّما هو العلم<sup>(3)</sup>.

(3) لعلّ أعسر مواضع الترجمة هو هذا الذي يجتمع فيه «مفهوما» (Das Wissen) و«Die Wissenschaft»). ولقد أثّرنا منذ الإستهلال تقوّل الأوّل كما الثاني على نحو عبارة «العلم» وإنّ كان تقوّلًا مُشكلاً، لكن ما يدفعنا إلى ذلك إنّما هو - مرّة أخرى - دفع الشبهة الإبيستيمولوجية في تملك لغة التفلسف عند هيغل؛ فالتفلسف مع هيغل قد فرغ للتوّ من مسألة المعرفة التي أستوضعتها المثالية النقدية عند كانط (إذ سألت ماذا يمكنني أن أعرف؟ فجعلت من السؤال غرض الميتافيزيقا نفسها) ورسختها أولى أطوار مثالية مقالة العلم عند فيشته (لما تعقّبت الفحص عن أوائل المعرفة والفعل). إذا عزم التفلسف الرئيس عند هيغل إنّما قد خرج تماماً عن مقام نظرية المعرفة (Die Erkenntnistheorie) ليستوضع مقاماً لا عهد للمثاليات الألمانية به (اللّهم إلا على نحو ما توجّسته مثالية فيشته من بعد عرض 1804 وما أشهر به شلنغ أو هيغل في ما قد اشتركا فيه من مقالة «فلسفة الهوية» (Die Identitätsphilosophie)) نعي مقام العلم برأسه من حيث هو المقام الواجب في التفلسف. ولكن ما يجب في تقييد هذا المقام إنّما هو الوقوف على البين الذي يفصل مقام العلم عن مقام المعرفة، وهذا البين الفلسفي هو بالدقّة زاوية النظر التي جاهد هيغل في إفرادها مذ نفده لفلسفات التفكّر جميعها، وهو أيضاً ما نستوسله هاهنا في دفع مقام المعرفة ((Kennen (Erkennen)) عن مقام العلم (Wissen) وإنّ بجمع ما بين العلم على معنى الإحاطة والإلمام وبين العلم على معنى النسق من التعيّنات المظّهرة أظهرًا مرسلًا؛ فليس من رأس الأمر في نسق تشكّل الوعي هاهنا أن يعرف أو ألا يعرف، بل أن يعرف وألا يعرف إنّما هو مجرّد شكل من أشكال تعيّن الوعي. بل رأس الأمر أن تظّل مسارات الربوّ الذاتيّ التي للوعي على رسوخ من أسطقس المفهوم بما هو أسطقس الحقّ الذي «لا يكون حاقًا إلا كنسق» (الأستهلال، الفقرة: [في الذات ما هي]، ص 134 من هذا الكتاب). وتلك هي لازمة العلميّة التي أشهر بها =

وعليه فطبيعة هذا العلم ولحظاته وحركته إنما قد بانّت من وجه أنّه الكون - لذاته المحض الذي للوعي - بالذات؛ إنّهُ الأنا الذي يكون هذا الأنا وليس أنا مغايراً، ويكون في - الحال موسوطةً أو أنا كلياً ومنسوخاً. - فيكون له مضمونٌ يميّزه من ذاته؛ لأنّه السالبيّة المحضُ أو فعل الانفصام، فإنّما هو وعيٌّ. وذلك المضمون إنّما هو في اختلافه ذاته الأنا، إنّ هو إلّا حركة الانتساح الذاتيّ، أو عينُ السالبيّة المحض التي هي أنا. وأنا إنّما يكون فيه من حيث هو مختلفٌ متفكراً في ذاته؛ والمضمون لا يكون مفهوماً إلّا من حيث إنّ أنا يظلّ حذاء ذاته في الكون

= الاستهلال حتّى يتيسّر للفلسفة أن تنتهي عن حبّ المعرفة فتصير إلى العلم الحاقّ (انظر آخر فقرات فاتحة الاستهلال)، وما نسق إظهارات الرّوح إلّا تحقّق لصيرورة الفلسفة علماً. وعليه فليس الرّوح هاهنا مجرد عارف لموضوع «مفصول عن سواه» (إلّا إذا ما ظنّ في ظاهريات الرّوح أنّها نظرية معرفة وفي ذلك فساد!!)، لكنّه روح يعلم ما بنفسه، إذا علم يفهم مفهوماً أو فهماً، وذلك هو كونه - لذاته الخالص، بل كيانه الأخصّ. ولعلّ الحيلة في دفع هذا الخلط الشنيع بين مقامي المعرفة والعلم هي في الوقوف على جنسيّ تدبير الوعي والعلم للحظات التعيّن من حيث رسوخها في الكلّ المفعم كما سبيبن في الفقرة التالية (ص 767 من هذا الكتاب): فلئن كان العلم من جهة ما هو «المفهوم الذي يعلم أنّه مفهوم» يترك للحظات أظهار الوعي عنان الهلّ من قبل أنسباط الكلّ، فإنّ الوعي يسبق فيه الكلّ مثوّل عين اللحظات (وإن سبق الكلّ اللحظات لم يك مفهومًا)، لكنّه لا يفهم هذا الكلّ ما لم تأت تلك اللحظات كفايةً أظهارها، ومعناه أنّه إذا كان يجوز أن يتأوّل درك تعيّن الوعي على أنّه درك المعرفة على سبيل وقوف الوعي على التعيّنات تعيّنًا تعيّنًا، فمحالٌ أن يُسمع المقام الذي للعلم/ المفهوم على عين المعنى إلّا بخلط بين المعرفة والعلم.

وبالجملة فإنّ هذا الموضوع المستصعب من الترجمة - الذي يشترك فيه نصّا الاستهلال والعلم المطلق - ينبغي في تدبيره الاحتراس من أن نأخذ «أن يعلم» (Das Wissen) مأخذ معرفة (Die Kenntns)؛ تُسمع على دلالاتها الوضعيّة؛ فالنظر في شروط إمكان المعرفة على هذا المعنى لم يعد من نازلة التفلسف عند هيغل، بل النازلة كلّ النازلة أن يصير التفلسف إلى العلم الذي بالفعل، وما ظاهريات الرّوح إلّا أوّل أطوار نزول الفلسفة عند مقام العلمية الخلق بها. وليست نازلة الفكر عند هيغل المرور من المعرفة (Die Kenntnis) إلى «أن يعلم» (Das Wissen)، بل رأس النازلة في وجوب الترقّي الفنونولوجيّ من «أن يعلم» إلى العلم من وجوه علميّ (Die Wissenschaft).

المغاير. فليس ذلك المضمون إذا ما بسطناه من وجه أكثر تقييداً سوى الحركة ذاتها التي أفصحنا عنها للتو، لأنه الروح الذي يجتأب نفسه، ويجتأبها فعلاً لذاته كروح من حيث إن له شكلاً المفهوم في موضوعيته.

أما في ما يتعلّق بالكيان الذي لذلك المفهوم، فإن العلم لا يظهر في الزمان والحقيق طالما أنّ الروح لم ينته إلى ذلك الوعي بنفسه (Über sich). فالروح من جهة أنه يعلم ما هو لا يوجد باكراً ولا في أيّ موضع إلّا من بعد إتمام العمل على إلزام تشكّله المنخرم بأن يستمدّ لوعيه شكلاً ماهيته، فيضاهي على هذا النحو وعيه - بذاته بالوعي الذي له. - إنّ الروح الكائن في ذاته ولذاته والمختلف بحسب لحظاته إنّما هو علمٌ كائنٌ - لذاته، إنّه بالجملة فعل الفهم الذي ما زال لم يبلغ من جهة ما هو كذلك الجوهر، أو ليس هو بعد في حد ذاته العلم المطلق.

[524]

أما في الحقيق فالجوهر العالم إنّما يتقدّم هاهنا صورته أو شكّله المفهوميّ، فالجوهر إنّما هو ألفي - ذاته الذي ما زال لم ينم، أو هو الأسّ والمفهوم على بساطتهما غير المتحركة بعد، إذاً الجوانبيّة أو ألهو الذي للروح الذي ليس هنا بعد. وما يكون هنا إنّما هو كالبيسط أو الذي في - الحال الذي ما زال لم ينم، أو هو بالجملة الموضوع الذي للوعي المتصوّر. ولما كان فعل المعرفة الوعيّ الروحيّ الذي لا يكون عنده ما هو في ذاته إلّا من جهة أنه كينونة للهو وكينونة ألهو أو مفهوم، - فإنّه لا يمتلك لهذه العلة في بادئ الأمر إلّا موضوعاً حسيراً يكون الجوهر ووعيه إزاءه أكثر غنى. والتبدّي الذي يكون للجوهر في هذا الوعي إنّما يكون في واقع الأمر تحجّباً، إذ لا يزال الجوهر الكينونة العريّة من ألهو، فلا يتبدّي لذاته إلّا الإيقان من الذات. ولذلك لا يكون من الجوهر ولا ينتمي أولاً إلى الوعي - بالذات إلّا اللحظات المجردة؛ لكن ما دامت تلك اللحظات تزيّد ربواً من جهة ما هي

حركات خالصة، فإنّ الوعي - بالذات يتزيّد ويتعرّزُ إلى أن يكون  
أنتزَع من الوعي الجوهر التام، وأستغرق البنيان الكامل لأسيّاته،  
فيكون - من جهة أنّ هذا المسلك السلبيّ إزاء الموضوعية موجِبُ  
ووضع أيضاً - قد أستحدثه من نفسه، فيعاود في الوقت ذاته  
أستيضاع نفس البنيان للوعي. عندئذٍ تهلُّ اللحظات في المفهوم  
الذي يعلم أنّه مفهومٌ سابقةً لكلّ المفعم الذي صيرورته هي  
الحركة التي لتلك اللحظات. أمّا في الوعي فإنّ الكلّ يكون - على  
العكس - سابقاً للحظات، لكن من وجه غير مفهوم. - والزمان  
إنّما هو المفهوم ذاته الذي يكون هنا، فيتمثّل (Sich vorstellen)  
للوعي كأنه حدسٌ خاوٍ؛ ولهذه العلة يظهر الرّوح بالضرورة في  
الزمان، وهو إنّما يظهر في الزمان طالما لم يُحظ بمفهومه  
الخالص، أي طالما لم يُلغ الزمان. والزمان إنّما هو ألهو المحض  
البرانيّ المحدوس الذي لم يُحظ به ألهو، المفهوم المحدوس  
وحسب؛ وهذا المفهوم ما إن يُحظ بذاته، إنّما ينسخ صورته  
الزمانيّة، فيفهم الحدس، فإذا هو حدسٌ مفهومٌ وحدسٌ يفهم  
مفهومياً. - فلذلك إنّما يظهر الزمان كالقدر والضرورة اللذين للرّوح  
الذي لم يتكتمل في حد ذاته، - ضرورة إثراء الشّركة التي للوعي -  
بالذات في الوعي، ووضع حالية ألفي - ذاته - أي الصورة التي  
يكون عليها الجوهر في الوعي - على حركة، أو على العكس -  
إذا ما أخذ ألفي - ذاته مأخذ الجواني - ضرورة تحقيق وكشف ما  
يكون في أوله جوانياً، - أي طلبته للإيقان من الذات.

[525]

لهذه العلة يلزم القول أنّ لا شيء يُعلم ما لم يك في  
التجربة، أو - كما تجوز أيضاً عبارة الشيء نفسه - ما لم يك  
حاضراً مثل حقيقة محسوسة، وأزل متبدّد على نحو جواني،  
ومقدّس يؤمن به، أو أيّ عبارة أخرى قد تُستعمل من هذا القبيل؛  
فالتجربة إنّما هي كون المضمون - وهو الرّوح - في ذاته جوهرأ،  
إذاً موضوع الوعي. لكنّ هذا الجوهر الذي هو الرّوح إنّما هو



صيرورة الرّوح إلى ما هو في ذاته؛ فما الرّوح بالرّوح الذي في ذاته وعلى الحقيقة إلا من جهة ما هو تلك الصيرورة المتفكّرة في ذاتها. والرّوح إنّما هو في ذاته الحركة التي هي المعرفة، - تحويل ذلك ألّفي - ذاته إلى الذي - لذاته، والجوهر إلى الذات، وموضوع الوعي إلى موضوع الوعي - بالذات، أي كذلك إلى موضوع منسوخ، أو إلى المفهوم. هذه الحركة إنّما هي الدور الأيّب إلى نفسه الذي يفترض مبتدأه، فلا يبلغه إلا عند المنتهى. - وعليه فما دام الرّوح بالضرورة هذا الاختلاف في حدّ ذاته فإنّ الكلّ الذي له يهملُ محدوساً قدّام الوعي - بالذات البسيط الذي له، ولما كان ذلك الكلُّ إذاً المختلّف، فهو مختلّفٌ في مفهومه المحض المحدوس، أي في الزمان وفي المضمون أو في ألّفي - ذاته؛ والجوهر إنّما ينطوي من جهة ما هو ذاتٌ على وجوب يكون في الأوّل باطناً، ألا وهو وجوبٌ أن يعرض في حدّ ذاته كما هو في ذاته، أي كروح. ووحده البيان الموضوعي التام يكون في الوقت ذاته التفكّر الذي للجوهر أو صيرورته إلى ألهو. - فلذلك ليس بوسع الرّوح أن يبلغ تمامه كروح واع - بذاته ما لم يتكتمل في - ذاته وكروح عالم. ولهذه العلة إنّما يقولُ مضمون الدين باكرأ في الزمان ومن قبل أن يقول العلم ما هو الرّوح، لكن وحده العلم هو علم الرّوح بذاته علماً صادقاً.

[526]

أما الحركة التي في إخراجها من نفسه<sup>(4)</sup> صورة علمه بذاته فإنّما هي العمل الذي ينجزه تاريخاً حاقاً. والجماعة الدينية من جهة ما هي في بادئ الأمر جوهر الروح المطلق إنّما تكون الوعي الغليظ الذي يمتلك كياناً بربرياً وفضاً بقدر ما يتغلغل روحه الباطن، فيكون للهو الأصمّ الذي له الاشتغال شديداً على ماهيته ومضمون وعيه الغريب عنه. وهذا الوعي لا يتلقّت قبل نفسه ثم قبل عالمه وحاضره الخاصين، فيكتشفهما كأنهما ملكه، ويكون

(4) Hervorzutreiben، الإخراج على معنى الخراج والانباب.

بذلك قد خطا الخطوة الأولى للنزول من العالم العقليّ أو بالأحرى لاسترواح<sup>(5)</sup> أسطقسه المجرد بألّهو الحاقّ، إلّا من بعد أن يكون قد أنصرفَ عن الرجاء في نسخ الوجود الغريب من وجه برّاني أي غريب، ما دامَ هذا النحو الغريب والمنسوخ إنّما هو الأوبة إلى الوعي - بالذات. فهو يجد بالمشاهدة من ناحية الكيان فكفكرة، فيفهمه، ويجد على العكس الكيان في تفكيره. وما دام ذلك الوعي قد أفصح في بادئ الأمر وعلى نحوٍ مجردٍ عن الوحدة التي في - الحال بين التفكير والكيونة وبين الماهية المجردة وألّهو، فبعث من جديد الماهية النورانية الأولى على نحوٍ أخصّص، لاسيّما كوحدة بين الامتداد والكيونة، - فالامتداد إنّما هو بساطة أشدّ مضاهاةً من النور للتفكير المحض -، وبعث عندئذٍ في الفكر جوهرَ الشروق، فإنّ الرّوح في الوقت ذاته يرجع القهقري فرعاً من تلك الوحدة المجردة ومن هذه الجوهرية العريّة من ألّهو، فيغالبها بالفردانية. لكنّ الرّوح لا يُظهر فكرة عمقه الأخصّص، فيقول الماهية كأنا = أنا، إلّا من بعد أن يكون أخرج تلك الفردانية في الثقافة، وجعل منها بذلك كياناً، وأسّوضعها من خلال كلّ كيان، - ثمّ أنتهى إلى فكرة النفع، فأحاط بالكيان في الحرّية المطلقة كأنّ بالإرادة التي له. لكنّ هذا الأنا = الأنا إنّما هو الحركة المتفكّرة في حدّ ذاتها؛ لأنّه ما دام هذا التساوي من جهة أنّه السالبيّة المطلقة الاختلاف المطلق، فإنّ التساوي الذاتيّ للأنا إنّما يواجه هذا الاختلاف المحض الذي ينبغي - من حيث إنّهُ الاختلاف المحض وفي الوقت نفسه الاختلاف الموضوعيّ الذي عند ألّهو العالم بذاته - أن يُقال كالزمان، على نحو أنّه [527] مثلما قيلت الماهية سابقاً كوحدة التفكير والامتداد، فإنّه كان يكون من اللازم أن تُدرَك كوحدة التفكير والزمان؛ لكنّ الاختلاف

(5) Begeisten، على معنى نفخ الرّوح فيه.

المهمل لنفسه، الزمان الذي يعدم السكون والقيص، إنما يهوي بالأحرى داخل نفسه فينطبق وإياها؛ فالزمان إنما هو السكون الموضوعي للامتداد، في حين يكون الامتداد التساوي المحض مع الذات، الأنا. - أو: أنا ليس فقط ألهو، بل هو تساوي ألهو مع ذاته؛ لكن ذلك التساوي إنما هو الوحدة التامة والتي في - الحال مع الذات، أو هذه الذات إنما هي كذلك الجوهر. والجوهر لذاته رأساً إنما كان يكون الحدس الخالي من المضمون، أو حدس مضمون ما ما كانت لتكون له من جهة ما هو متعين إلا العرضية، فكان يكون عرياً من الضرورة؛ فالجوهر ما كان ليجري مجرى المطلق إلا بقدر ما كان يكون أفكراً أو حدس كالوحدة المطلقة، فكان يكون من اللازم أن يقع كل مضمون وفق تنوعه خارج الجوهر في التفكير الذي لا ينتمي إليه، لأنه ما كان ليكون ذاتاً ولا المنعكس على ذاته (Das Reflektierende über sich) ولا المتفكر في ذاته، أو ما كان ليفهم كروح. إلا أنه إذا كان ينبغي مع ذلك الحديث عن مضمون، فلن يكون ذلك في شطر إلا لإلقائه في الغور الخاوي الذي للمطلق، لكن ذلك المضمون كان يكون في شطر آخر التقيظ بشكل براني من الإدراك الحسي؛ فكان يكون العلم على مظهر أنه قد انتهى إلى أشياء وإلى أختلافه عن نفسه وأختلاف الأشياء المتنوعة من دون أن يفهم المرء كيف ومن أين.

لكن الروح قد تبين لنا أنه ليس فقط لؤذ الوعي - بالذات بجوانيته المحض، ولا مجرد أنغماس عين الوعي - بالذات في الجوهر وليس أختلافه، بل هو هذه الحركة التي للهو الذي يخرج عن ذاته، فينغمس في جوهره، ثم يغادره أيضاً، فيمر من جهة ما هو ذات في ذاته، فيجعل من ذلك الجوهر موضوعاً ومضموناً، مثلما ينسخ ذلك الاختلاف بين الموضوعية والمضمون. ذلك التفكير الأول انطلاقاً من الحالية إنما هو انفراق الذات عن جوهرها، أو هو المفهوم الذي ينفصم، المماراة في الذات

والصيرورة التي للأنا المحض. وما دام ذلك الفرق الصنيع المحض الذي لأنا = أنا، فالمفهوم إنما هو الضرورة ونجم الكيان الذي يكون له الجوهر ماهيته، ويقوم لذاته. لكن قوام الكيان لذاته [528] إنما هو المفهوم الذي وُضع في التعيين، وبذلك أيضاً حركته التي عند ذاته نفسها، حركة النزول في الجوهر البسيط الذي لا يكون ذاتاً إلا من جهة هذه السالبة والحركة. - فلا الأنا يكون له أن يرسخ على صورة الوعي - بالذات بإزاء صورة الجوهرية والموضوعية، كأنه في خيفة من تخارجه؛ فقوة الروح إنما تكمن بالأحرى في كونه يظل ضهيّ ذاته في تخارجه، وألا يضع - من حيث هو الكائن - في - ذاته و - لذاته - الكون - لذاته مثلما الكون - في - ذاته إلا ك لحظة؛ - ولا الأنا بثالث يلقي بالاختلافات في غور المطلق، فيقولها متكافئة في عين الغور، بل إنما العلم يقوم بالأحرى على هذا اللانشاط الظاهر الذي يكتفي بتفحص كيف يتحرك المختلف في حد ذاته فيؤوب إلى وحدته.

III. الروح المفهوم في إياه إلى الحالية الكائنة] - وعليه فالروح قد ختم في العلم حركة تشكّله من حيث يتصف هذا التشكل باختلاف الوعي الذي لا يتعدى. وهو قد كسب الأسطقس المحض الذي لكيانه، أي المفهوم. والمضمون إنما هو بحسب الحرية التي لكيونته ألهو المتخارج أو وحدة العلم بالذات التي في - الحال. والحركة الخالصة التي لذلك التخارج هي التي تقيم - إذ تُتفحص في مضمونها - ضرورة عين المضمون، فالمضمون المتنوع يكون من جهة ما هو متعين، على إضافة، لا في ذاته، وتحيرته إنما أن ينتسخ بنفسه، أو هو السالبة؛ فالضرورة إذاً أو التنوع هما الكينونة الحرة مثلما يكونان ألهو، والمضمون في هذه الصورة ألهوية حيث الكيان هو في - الحال الفكرة، إنما هو المفهوم. بالتالي ما دام الروح قد كسب المفهوم، فإنه يسط الكيان والحركة في هذا الأثير الذي لحياته، فيكون العلم؛ فاللحظات التي

[529] لحركته لم تعدْ تعرضُ في هذا العلم كاشكال متعيّنة للوعي، بل تبيّنُ - من جهة أنّ أختلاف عين الوعي قد آبَ إلى ألهو - كمفاهيم متعيّنة وكالحركة العضويّة المتجذّرة في ذاتها التي لعين المفاهيم. وإذا كانت كلّ لحظة في فنومينولوجيا الرّوح الاختلاف ما بين المعرفة وبين الحقيقة، والحركة التي ينتسحُ فيها هذا الاختلاف، فإنّ العلم لا يشتمل - على العكس - على ذلك الاختلاف ونسخه، بل يجمع - من حيث أنّ للحظة صورة المفهوم - في وحدة هي في - الحال بين الصورة الموضوعيّة التي للحقيقة والصورة التي للهو العالم. فاللحظة لا تهلُّ كمثّل تلك الحركة المتراوحة من الوعي أو التصوّر إلى الوعي - بالذات أو العكس، بل شكل اللحظة الخالص الذي يكون في حلٍّ من ظاهريته في الوعي، أي المفهوم الخالص وربوّه، لا يرتبطُ إلّا بالتعيّنة الخالصة التي لهذا المفهوم. وعلى العكس يناظرُ بالجملة كلّ لحظة مجردة من العلم شكلٌ للرّوح المظهِر. فكما أنّ الرّوح الكائن ليس أثرى من العلم، فليس هو في مضمونه أيضاً بأحسر. أمّا معرفة المفاهيم الخالصة للعلم على تلك الصورة من أشكال الوعي فإنّما تمثّل جانبَ واقع ذلك العلم الذي تفصمُ على نحوه ماهيته، أي المفهوم الذي يوضع داخله في توسيطه البسيط كتفكيرٍ، اللّحظات التي لهذا التوسيط، فتعرضُ من وجهه التقابلِ الباطن.

إنّ العلم ينطوي في حدّ ذاته على هذه الضرورة في الخروج على الصورة التي للمفهوم الخالص ومرورِ المفهوم إلى الوعي. وبحقّ ما يكون الرّوح العالم بنفسه من جهة أنّه على التدقيق يلمُّ بمفهومه، التساوي مع الذات الذي في - الحال، وهذا التساوي إنّما هو في أختلافه الإيقانُ ممّا في - الحال، أو الوعي الحسيّ، - البدء الذي كُنّا أبتدأنا به؛ وهذا الانعتاق للذات من صورة ألهو إنّما هو الحرّيّة والأمنُ الأسنيان اللذان للعلم بالذات.

لكن ما زال ذلك التخرج مخروماً؛ فهو إنّما يعبر عن صلة

الإيقان من الذات بالموضوع الذي ما زال لم يحصل حرّيته التامة من حيث إنه ما انفك على التدقيق ضمن الصلّة. فالعلم لا يعرف ذاته وحسب، بل يعرف سلبيّ ذاته، أو حرفه (Seine Grenze). والعلم بحرف الذات إنّما يعني العلم بالتضحية بها. وهذه التضحية إنّما هي التخارج أين يُبين الرّوح صيرورته إلى الرّوح على صورة الحدّثان الحرّ والعرضيّ، فيحدث ألهو الخالص الذي له كالزمان الذي يقوم خارجه، ويحدث كذلك كينونته كالمكان. وهذه [530] الصيرورة الأخيرة التي له، الطبيعة، إنّما هي صيرورته الحيّة التي في - الحال؛ فالطبيعة، أي الرّوح المتخارج، ليست في كيانها سوى تلك الحركة الأزليّة التي لديمّتها والحركة التي تُقوم الذات.

أما الجانب الآخر الذي لصيرورته، أعني التاريخ، فإنّما هو الصيرورة العليمة والموسّطة لنفسها - الرّوح الذي يتخرّج إلى الزمان (An die Zeit)؛ لكنّ هذا التخارج إنّما هو كذلك تخارج التخارج نفسه؛ والسلبيّ إنّما هو سلبيّ نفسه. وتلك الصيرورة إنّما تعرض حركة متأنية وتعاقباً لأرواح، معرض صور، كل صورة منها إنّما تتحرك إذ تؤتى الشراء التام الذي للرّوح، بقدر بالغ من الأناة، لأنّه ينبغي على التدقيق على ألهو أن يلج تمام ذلك الشراء الذي لجوهره، فيستغرقه. وما دام اكتمال الرّوح يقوم على أن يعلم تمام العلم ما هو وجوهره، فهذا العلم إنّما هو ممارته في ذاته أين يهجر كيانه ويعهد بشكله إلى الذّكر. وهو في ممارته في ذاته إنّما ينغمر في ليل وعيه - بذاته، لكنّ كيانه المتصرّم يُحفظ في ذلك الليل، وهذا الكيان المنسوخ - أي الكيان الفائت، لكن المنبعث من العلم -، إنّما هو الكيان الجديد، عالم جديد وشكل رّوح جديد. في هذا الشكل ينبغي كذلك أن يبدأ الرّوح من عند حالّيته وعلى جبلّته<sup>(6)</sup>، ثمّ يترقى من جديد انطلاقاً منها، فيصير عظيماً

(6) Unbefangen، على سلبته...

كأن كلّ الذي قد فات كان ضاع بالنسبة إليه، وكأنه لم يكن تعلم شيئاً من تجربة الأرواح السابقة؛ لكن الاستذكار<sup>(7)</sup> قد حفظ تلك التجربة، فإنما هو الباطن، بل صورة الجوهر التي هي بالفعل أرفع. وعليه فإذا عاود هذا الروح تكوينه من المبتدأ، فبدا على ظاهر أنه لا يتدبّر إلا بنفسه، فإنه لا يبدأ في الوقت نفسه إلا من درج أعلى. وملكوت الأرواح الذي يتكوّن على هذا النحو في الكيان إنما يمثل تعاقباً يخلف فيه الروح الواحد الآخر، فيستلم كل واحد من الفئات ملكوت العالم. والهدف من ذلك التعاقب إنما هو أنكشاف العمق، وهذا العمق إنما هو المفهوم المطلق؛ عندئذ يصبح ذلك الانكشاف نسخ العمق الذي للمفهوم أو امتداده، السالبيّة التي لهذا الأنا الكائن - في - ذاته والتي هي تخارجه، أو هي الجوهر، - وزمانه الذي يتخارج على نحوه هذا التخارج في حد ذاته، فيكون في امتداده كما في عمقه عند ألهو. والهدف، العلم المطلق، أو الروح الذي يعلم نفسه كروح، إنما سبيله استذكار الأرواح وأسبطنها كما تكون في حد ذاتها وتأتي نظام ملكوتها. فأما حفظ تلك الأرواح بحسب كيانها الحرّ والمظهر في صورة العرضيّة فإنما هو التاريخ، وأما من وجه نظامها المفهوم، فهو علم المعرفة المظّهرة؛ وكلاهما معاً، التاريخ المفهوم، إنما يكونان ذكر الروح المطلق ومحنته<sup>(8)</sup>، حقيق وحقيقّة وإيقان عرشه الذي كان يكون من دونه المتوحد العري من الحياة؛ - إذ فقط

من كأس ذلك الملكوت الذي الأرواح  
يصعد إليه زبّد لاتناهيته<sup>(9)</sup>.

(7) Die Er-Innerung، الاستذكار على معنى الاستبطان أيضاً.

(8) Die Schädelstätte، مصلب المسيح وإذا موضع الوجد والمحنة...

(9) aus dem Kelche dieses Geisterreiches/ schäumt ihm seine Unendlichkeit،

بيتان يختم بهما شلر قصيدته في «الصدقة» (Die Freundschaft).

ضائم





## I

### تقديم هيغل لفنومينولوجيا الرّوح

هذه الضميمة الأولى ترجمةٌ للتقديم الذي نشره هيغل في  
الجريدة العامة للأداب (*Allgemeine Literatur-Zeitung*) في العدد  
94 الصادر في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1807. وقد نشر كذلك في  
جريدة بامبرغ (*Bamberge Zeitung*)، العدد 179 في 28 حزيران/  
يونيو ثم في العدد 190 في 9 تموز/ يوليو 1807. كما نُشر في  
جريدة إينا للأداب (*Jenaesche Allgemeine Literatur-Zeitung*)،  
العدد 82 الصادر في 28 كانون الأوّل/ أكتوبر 1807.

لقد صدر عن دار يوزيف آنتون غوبهاردت للنشر في بامبرغ  
وفورتسبورغ ووُزِع على كلّ المكتبات الجيدة.

نسق العلم لغيورغ فلهلم فردريش هيغل

الجزء الأوّل، فنومينولوجيا الرّوح، 1807، الثمن 6 بفلنغ.

يعرض هذا الجزء المعرفة المتصيرة. إذ ينبغي أن تحلّ  
فنومينولوجيا الرّوح محلّ الشروح النفسية، أو كذلك محلّ  
التفسيرات المجردة لعماد المعرفة. إنّها تتفحص التوطئة للعلم  
انطلاقاً من زاوية نظرٍ بعينها، وبذلك تكون علماً حادثاً ومهماً، بل

علم الفلسفة الأوّل. فهي تنطوي على الأشكال المختلفة التي للروح من جهة ما هي محطات سبيل يتصير الروح عبرها علماً محضاً أو روحاً مطلقاً. ولذلك ما يُتحرى في الأبواب الرئيسية لهذا العلم - التي تنقسم بدورها تقسيمات أخرى - إنّما هو الوعي والوعي - بالذات والعقل المعايين والتمرسُ والروح نفسه من جهة ما هو إتيقيّ ومثقف وأخلاقيّ وبما هو في الختام روح دينيّ في أشكاله المتباينة. إنّ ثراء ظواهر الروح الذي يبدو لأوّل وهلة على أنّه ثراء شواشيّ إنّما يحضّل ضمن نظام علميّ يعرض تلك الظواهر وفق ضرورتها، حيث تتحلّل [الظواهر] الناقصة ثمّ تمرّ في العليا التي هي حقيقتها الدانية. أمّا الحقيقة القاصية فلا تجدها تلك الظواهر أوّلاً إلّا في الدين، ثمّ في العلم بما هو نتاج الكلّ.

في الاستهلال يوضّح واضع الكتاب ما يبدو له على أنّه حاجة الفلسفة بحسب زاوية نظرها الراهنة؛ وزائداً إلى ذلك يخوض في دعاوى وخبطة الصيغ الفلسفيّة التي تجدها الفلسفة راهناً، كما في ما تقتضيه بالجملة الفلسفة ودراستها.

سيشتمل جزء ثانٍ على نسق المنطق من جهة ما هو فلسفة تأمليّة وبابني الفلسفة الآخرين، أي علمي الطبيعة والروح.

## II

### تلويح لمراجعة الطبعة الثانية لفنومينولوجيا الروح

هذه الضميمة الثانية ترجمة لهامش مخطوط هو تلويح من  
تلويحات دروس هيغل في سداسي صائفة 1829 في البرهنة على  
وجود الله. وينتمي هذا الهامش إلى الطور الذي عقد فيه هيغل العزم  
على مراجعة واستصلاح نص فنومينولوجيا الروح بغية إعادة نشره. -

استهلال..

فنومينولوجيا

الجزء الأول على الأصل

(أ) رأس العلم سوق الوعي إلى هذه الزاوية من النظر

(ب) تعيين الموضوع/ الغرض لذاته قُدماً

المنطق، من خلف الوعي

(ج) العمل المخصوص الفائت لا يُعاد - في ما يتعلق

بالكتابة وقتئذٍ -

في الـ[استهلال]، العمل المتعلق بـ: المطلق المجرد -

الذي طغى وقتها.



### III

## جدول تناظر الصفحات (\*)

نشرة شتوتغارت: 1988	نشرة الديوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-	هذه النشرة: 2006	
3	11	9	I	117	استهلال: في علمية المعرفة
6	14	12	VII	121	في أنّ المفهوم أسطقس الحقّ وفي أنّ النسق العلمي شكله الحقّ
7	15	13	VIII	122	في زاوية النظر الراهنة للروح
11	19	16	XV	125	في أنّ المبدأ ليس الكمال، ضدّ الصورة

يتبع

(\*) هذا جدول يضبط تناظر الصفحات بين النشرات التالية:

- نشرة هذه الترجمة: 2006.
- النشرة الأصلية التي أصدرها هيغل عند يوزيف آنتون غوبهاردت في 1807.
- نشرة هوفمايستر الصادرة في شتوتغارت في 1952.
- نشرة ديوان هيغل في عشرين جزءاً الصادرة عن دار زوركانمب، الجزء الثالث، في 1970.
- النشرة النقدية - العلمية التي اعتمدها في هذه الترجمة والصادرة في شتوتغارت في 1988.

نشرة شتوتغارت: 1988	نشرة الديوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-	هذه النشرة: 2006	
13	22	19	XX	129	في المطلق إنما هو ذات
14	23	20	XXI	129	في الذات ما هي
19	29	24	XXIX	134	في أسطقس العلم
21	31	26	XXXII	136	في أن الترقّي في عين ذلك الأسطقس إنما هو فنومينولوجيا الرّوح
24	34	28	XXXVI	138	في تحوّل المتصوّر والمعروف داخل الفكر
26	37	31	XXXIX	141	وفي تحوّل الفكر إلى المفهوم
29	39	33	XLIV	144	في وجه سلبية فنومينولوجيا الرّوح أو كيف تحتوي الكذب
31	41	35	XLVIII	146	في الحقيقة التاريخية والرياضية
34	46	39	LV	151	في طبيعة الحقيقة الفلسفية والطريقة التي لها
37	49	42	LIX	153	في معارضة الصورانية الرّاسمة
43	56	48	LXXI	161	في اقتضاء الإشتغال بالفلسفة

نشرة شتوتغارت: 1988	نشرة الليوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-	هذه النشرة: 2006	
44	56	48	LXXII	162	التفكير السُّماجك في مسلكه السليبيّ
44	57	49	LXXIV	163	في مسلكه الإيجابي، وفي غرضه
50	62	55	LXXXIV	170	في التفلسف الطبيعيّ بما هو رأيٌ سليبٌ وعقريّةٌ
52	65	57	LXXXVIII	172	خاتمةٌ في صلة الكاتب بالجمهور
57	68	63	3	177	مقدمة
69	82	77	22	191	(أ) الوعي
69	82	79	22	191	I. الإيقان الحسيّ، أو الهدا والتظنُّن
79	93	89	38	205	II. الإدراك الحسيّ، أو الشيء والوهم
93	107	108	59	223	III. القوّة والذهن، الظاهرةُ وعالم ما فوق الحسّ
120	137	131	101	257	(ب) الوعي - بالذات
120	137	131	101	257	IV. حقيقة الإيقان من الذات
127	145	141	114	267	1. القيمومة الذاتية التي للوعي-بالذات ولانقيومته؛ الرّئاسة والخدمة



نشرة شوتغارت: 1988	نشرة الديوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-	هذه النشرة: 2006	
136	155	151	129	278	2. حرّية الوصي - بالذات؛ الرواقية، الرئيّة، الوصي الشفقي
138	156	152	131	280	الرواقية
140	159	154	134	283	الرئيّة
144	163	158	140	288	الوصي الشفقي؛ الذاتية الورعة
157	178	173	162	305	(ج) (II) العقل
157	178	175	162	305	V. إسقان العقل وحقيقته
164	185	183	174	314	I. العقل المعايين
166	187	185	177	316	1. معاينة الطبيعة
166	189	185	178	316	الوصف بعامة
167	190	186	179	318	الأمارات المميّزة
169	192	188	183	320	القوانين
173	196	193	189	326	معاينة العضوي
174	196	193	190	326	(أ) صلة عين العضوي باللاعضوي
175	198	195	192	329	(ب) الغاية
178	202	198	198	332	(ج) الجوانبي والبراني
180	203	200	200	334	(II) الجوانبي

نشرة شوتنفارت: 1988	نشرة الديوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-	هذه النشرة: 2006	
182	203	201	203	337	قوانين لحظاته المحض، قوانين الإحاسية وما إليها
186	209	204	208	342	الجوانبي وبرائيه
188	210	205	209	346	ب ب) الجوانبي والبرائبي بما هما شكل
190	217	212	220	349	ج ج) البرائبي نفسه بما هو جوانبي وبرائبي، أو الفكرة العضوية محمولة على اللاعضوي
196	221	216	225	356	العضوي من هذه الجهة؛ جنسه ونوعه وفرديته
201	226	221	234	362	2. معاينة الوعي - بالذات في خلوصه وصلته بالحق البرائبي؛ القوانين المنطقية والنضية
206	233	227	243	369	3. معاينة الوعي - بالذات في صلته بحقيقه الذي في -الحال؛ فيزيونومينا وفريتولوجيا
233	263	255	287	405	II. تحقّق الوعي - بالذات العقلي بمعية ذاته
240	270	262	298	413	1. اللذة والضرورة

نشرة شتوتغارت: 1988	نشرة اللبوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-	هذه النشرة: 2006	
244	275	266	305	419	2. قانون الفواد وجنون المعجب
251	283	274	317	428	3. الفضيلة ومجرى العالم
259	292	283	330	438	III. الفردية التي تكون في نظر نفسها واقعية في ذاتها ولذاتها
261	294	285	333	440	1. مملكة الحيوان الروحية والمخاتلة، أو راس الأمر
277	311	301	358	459	2. العقل المشرع
281	316	306	365	465	3. العقل الممتحن للشرايع
288	324	313	376	473	(ب ب) الروح
288	324	313	376	473	VI. الروح
291	327	317	382	477	I. الروح الحق، الإيقية
292	328	318	383	478	أ. العالم الإيقية، القانون الإنساني والقانون الإلهي، الرجل والمرأة
304	342	330	403	493	ب. الجراسم الإيقية، المعلم الإنساني والإلهي، الخطيئة والقدر

نشرة شتوتغارت: 1988	نشرة الديوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-	هذه النشرة: 2006	
316	355	342	422	507	ج. حالة الحق
320	359	347	429	513	II. الروح المغترب ذاتياً؛ الثقافة
323	362	350	434	517	1. عالم الروح المغترب ذاتياً
323	363	350	435	517	أ. الشقافة وملكوت الحقيق
348	391	376	474	548	ب. الإيمان والتعقل المحض
355	398	383	486	557	2. الأنوار
357	400	385	488	558	أ. مسراع الأنوار للمعتقدات الجمهورية
379	424	407	522	585	ب. حقيقة الأنوار
385	431	414	533	592	3. الحرمة المطلقة والزعب
394	441	423	548	603	III. الروح الموقن من ذاته. الأخلاقية
395	442	424	550	605	أ. الروية الأخلاقية للعالم
405	453	434	565	616	ب. التنتر [والينقال]
415	464	445	581	629	ج. الإيقان الأخلاقي، النفس الجنلاء، الشروغفراته
443	495	473	625	663	(ج ج) الدين

نشرة شتوتغارت: 1988	نشرة اللبوان في عشرين جزءاً: 1970	نشرة هوفمايستر: 1952	نشرة 1807-:	هذه النشرة: 2006	
443	495	473	625	663	VII. الدين
450	503	481	637	672	I. الدين الطبيعي
452	505	483	640	674	أ. الماهية التوراتية
454	507	485	643	676	ب. النبات والحيوان
455	508	486	645	678	ج. صانع الأثر
458	512	490	651	682	II. دينُ الفنِّ
461	515	493	655	686	أ. الأثر الفني المجرد
470	525	502	669	696	ب. الأثر الفني الحي
474	529	506	676	701	ج. الأثر الفني الروحي
488	545	521	699	718	III. الدينُ الظاهرُ
516	575	549	741	755	(د) العلم المطلق
516	575	549	741	755	VIII. العلم المطلق

## ثبت المصطلحات

«Eigentlich gehört zur höchsten Bildung eines Volkes in seiner Sprache alles zu sprechen»<sup>(\*)</sup>

Hegel

Zurückkehren	آب / إرتد
Vorurteil	إبتسار
Erhellen	إتضح
Vollenden	أتم
Werk	أثر
Durchlaufen	إجتاب / إجتياّب
Einseitig	أحادّي الوجه
Entäußern (sich)	إخترج
Unterschied	إختلاف / فزق
Werkzeug	أداة / آلة
Einleiten	أدخل / أولج
Entzweien	إزدوج / إنفصم
Wiederherstellung	إسترجاع
Rücknahme	إستعادة / معاودة
Wahrscheinlichkeit	إستلاحة

(\*) «إنّ أخصّ ما ينتسب إلى الثقافة العليا لشعب ما أن يقول كلّ شيء في

لسانه».

Hinweisen	أشار إلى ..
Ursprung	أصل / معين
Erscheinen	إظْهَرَ؛ إظْهَارٌ
Willkür	إعتباط
Erkennen sich	إعترف نفسه
Anerkennen	إعترف؛ العِزْفَانُ
Vernichten	أعدم / لَيْسَ
Erdichtung	إفتراء
Vereinzeln; Vereinzelung	أفردَ؛ إفراد / إفرادٌ
Aussprechen	أفصح عن .. / نطق
Herstellen	أقام
Zusammenschließen	إقتران / إجتماع / مقايِسة
Übereinstimmen	إقتران / تقارن
Versicherung	إقرار / توكيد
Tilgen	ألغى
Vertilgen	ألغى
Preisgeben	ألغى / ترك / أهمل
Merkmal	أمارة مميزة
Ausdehnung	إنبساط
Entfalten	إنبسط / ترسل
Hervorbringen (sich)	أنتج / تنتج
Erfüllen	أنجز / أفعم
Vollbringen	أنجز / أكمل
Entfliehen	إنفلت
Umschlagen	إنقلب / إرتد
Offenbarkeit	إنكشاف / تبدى
Rückkehr	أوبى / أوب
Versöhnung	إئتلاف
Sitte	إيتوس / سنن إتيقية
Wesenheit	أيسية
Gewissen	إيقان أخلاقي
Glauben	إيمان
Unterscheiden; (sich)	باين / ميز؛ إنفرق
Anfang	بدء

Austauschung	بدالٌ / مبادلةٌ
Einfach (en)	بسيطٌ ؛ تبسطُ
Witz	بصيرةٌ / ذكاءٌ
Erlangen	بلغَ
Darstellen; Darstellung	بينَ ؛ تبيينٌ ؛ بيانٌ
Geschichte	تاريخٌ
Historisch	تاريخيٌ / إخبارٌ
Auseinandertreten (das)	تباعذُ / تنافرُ
Verschiedenheit	تباينٌ / تنوعٌ
Einsehen (das)	تبصرُ
Bewähren	تحقق من ..
Äußern (sich)	تخرجُ
Bestätigung	ترسيخُ / توطيدُ / إثباتٌ
Aufgeben	تركُ / أهملُ
Verstellung	التسترُ / الِيقالُ
Vorstellung	تصوّرُ
Verdopplung	تضاعفُ
Meinen	تظنُّ / تظنُّنُ
Gegensatz	تعارضُ / تقابلُ / مقابلةٌ
Einsicht	تعقلُ
Absonderung	تعينُ / تجزؤُ
Wechselwirkung	تفاعلُ
Reflexion	تفكّرُ / إنعكاسٌ
Überlegung	تفكّر في ..
Ungleichheit	تفاوتُ / لاتساوُ
Zusammenhang	تقارنُ / تعالقُ
Besprechen	تقاوُلُ / مقاوَلَةٌ
Fortschritt	تقدّمُ
Andacht	تقوىُ / تنسكُ / ذكْرُ
Umgestaltung	تقويمُ / إخراجُ
Mannigfaltigkeit	تكثرُ وجوهُ / كثرةٌ
Bilden (sich)	تكوّنُ
Bildung	تكوينُ / ثقافةٌ
Ausbreitung	تمدّدُ / إمتدادٌ



Besitzen	تَمَلَّكَ / تَمَلَّكُ
Widerspruch	تَنَاقُضٌ
Trieb	تَنَزُّعٌ
Verrücktheit	تَهَوُّشٌ
Gewißheit	تَيَقُّنٌ / إِيقَانٌ
Trockne	جَافٌ / جَفِيفٌ
Erfahren	جَزَبٌ / تَعْنَى
Daransetzen (das)	الْجِزَافُ / الْمَجَازِفَةُ
Gemeinde	جَمْعٌ / جَمَاعَةٌ
Überhaupt	بِالْجَمَلَةِ / بِعَامِيَّةٍ / عَلَى الْإِطْلَاقِ
Substanz	جَوْهَرٌ
Wesentlich	جَوْهَرِيٌّ / مَاهُوِيٌّ
Innere; Innerlichkeit	جَوَانِيَّةٌ ؛ جَوَانِيَّةٌ
Bemächtigen (sich)	حَازَ ؛ يَتَحَوِّزُ
Wirklich; Wirklichkeit	حَاقٌ ؛ حَقِيقٌ
Geschehen	حَدَثَانٌ / حَدُوثٌ
Schranke	حَدٌّ / حَرْفٌ
Mitte	حَدٌّ أَوْسَطٌ
Anschauung	حَدْسٌ / مَشَاهِدَةٌ
Bewegung	حَرَكَتٌ / حَرَكَةٌ
Befreien (sich)	حَرَّرَ ؛ كَانَ فِي جِلٍّ مِنْ ..
Gewinnen (das)	حَصَلَ / كَسَبَ ؛ تَحْصِيلٌ / إِسْتِفَادَةٌ
Wahr; Wahrhaft; Wahrheit	حَقٌّ ؛ صَادِقٌ ؛ حَقِيقَةٌ
Realisieren	حَقَّقَ
Verwirklichen	حَقَّقَ / فَعَّلَ
Urteil	حَكْمٌ
Auflösen	حَلٌّ / فَتٌ
Knecht; Knechtschaft	خَادِمٌ ؛ خِدْمَةٌ
Eigen; Eigentum	خَاصٌّ ؛ خَصِيصَةٌ
Eigenschaft	خَاصِيَّةٌ
Äußerung	خُرَاجٌ
Wahnsinn	خَرَقٌ / خَبَلٌ
Schuld	خَطِيئَةٌ
Verwirrung	خَلْبَطَةٌ

Leere; Leerheit	خواء
Gut	خيرٌ / الحسن
Beiheerspielen; Beispiel	دالٌّ؛ مثل
Eintreten	دخل / تولى
Wahrnehmen; Wahrnehmung	درك حسيّ؛ إدراك حسيّ
Anstoß	دفع / رفق
Diesseits und Jenseits	الدينيّ والأخرويّ
Statt; Staatsmacht	دولة؛ سلطة / سلطان الدولة
Dialektik	ديالكطيقا
Subjekt	ذاتٌ؛ ذات / حامل
Verständlichkeit	ذاهنيّة / مذهونيّة
Verstand	ذهن
Fest	راسخ
Entwickeln (sich)	ربا
Verbinden; Verbindung	ربط؛ رابطة
Zurückgehen	رجع القهقريّ
Befriedigung	الرّضوان
Begierde	رغبة
Erheben	رفع
Geist	رُوح
Begeistern; Begeisterung	رُوح، نفس؛ إسترواخ
Herr; Herrschaft	الرئيس؛ الرياسة
Verschwinden	زال / زوال
Menge	زُمرّة
Negativität	ساليّة
Gewalt	سطوة / عنف
Glück	سعادة
Negation	سلب / نفيّ
Negative (das)	السليّ
Verhalten (das)	سلك؛ مسلك
Flüßig; Flüßigkeit	سيالٌ؛ سيالنيّة / سيّلة
Gleichgültig (keit)	سيانيّ / سياننيّة
Verbreiten	شاع / ذاع
Sache; Sache selbst	شأن؛ الأمر برأسه

Geistreich	شديد الزّوح / رَوّاح
Gefühl	شعور
Gestalt (en)	شكل / تشكّل
Ding; Dingheit	شيء؛ شَيْئِيَّة
Werden; (das)	صار / تصيّر؛ تصيّر / صيرورة
Anstrengung	صراط / مجاهدة
Kampf	صراع / جحود
Beschaffenheit	صفة / حال
Machen	صنع / قدّ
Tun	صنّع / عمل
Form; Formalismus	صورة؛ صورائيّة
Entgegensetzen; Entgegensetzung	ضاد / تضادّ
Gegenteil	ضدّ / مقابل / نقيض
Hinzutreten zu	ضمّ إلى
Herumtreiben	طاف / مطاوفة
Gesinnung	طويّة
Leichtsinn	طيش
Schein	ظاهر؛ ظهور
Beobachten; Beobachtung	عابن؛ معاينة
Auslegung	عرض
Erkennen	عرف / معرفة
Vernunft	عقل
Verkehrtheit	عكاس
Umkehren	عكس / قلب
Verhältnis	علاقة / رابطة
Ursache	علّة (أولائيّة)
Grund	علّة / أس / عماد
Wissenschaft (die)	العلم
Wissen	علم / معرفة
Wissenschaftlichkeit (die)	العلميّة
Ichselbst	عين الأنا
Bestimmen; Bestimmtheit	عين؛ تعيّن
Konkret	عيني / متجسّد
Zusammenfallen	غار / تغور

Zweck	غَايَةٌ
Glückseligkeit	غِبْطَةٌ / هِنَاءٌ
Entfremden (sich)	غَرَبَ / إِغْتَرَبَ
Fremd	غَرِيبٌ
Versenken	غَطَّ
Irrtum	غَلْطٌ / ضَلَالٌ
Abgrund	غَوْرٌ / هَوَّةٌ
Unwahrscheinlich	غَيْرُ مَرَجِّحٍ / مَظْنُونٌ فِيهِ
Vergehen (das)	فَاتٌ ؛ فَوَاتٌ
Wirksamkeit	فَاعِلِيَّةٌ
Prüfen	فَحَّصَ / مَحَّصَ
Gehalt	فَحْوَى / قِوَامٌ
Einzelne	الْفَرْدِيُّ / الْفَرْدُ
Furcht	فَرَقٌ
Trennung	فَضَمٌ / فَضْلٌ
Tugend	فَضِيلَةٌ
Wirken	فَعَلَ فِي ..
Tat; tätig	فِعْلَةٌ / فَعَلَ ؛ فَعَالَةٌ
Real	فَعْلِيٌّ
Gedanke	فِكْرَةٌ
Begreifen; Begriff	فَهْمٌ مَفْهُومِيًّا ؛ الْمَفْهُومُ
Unmittelbar; Unmittelbarkeit	فِي - الْحَالِ / الَّذِي بِلَا تَوْسِيطٍ ؛ الْحَالِيَّةُ
Ansich (das)	فِي ذَاتِهِ ؛ الْفِي ذَاتِهِ
Selbständig (keit)	قَائِمٌ بِرَأْسِهِ ؛ قِيَمَوْمَةٌ ذَاتِيَّةٌ
Schlecht	قَبِيحٌ
Macht	قُدْرَةٌ / سُلْطَانٌ
Maß; Maßstab	قِسْطًا
Bestehen (das)	قَوْمَةٌ / قِوَامٌ / دِيمَةٌ
Zerstören	قَوَّضَ
Vergangenheit	كَائِنَةٌ
Zurückdringen	كَبَتَ
Vielheit	كَثْرَةٌ
Ganze	كُلٌّ / جَمَلَةٌ
Allgemeine, Allgemeinheit	كُلِّيٌّ / كَلِّيَّةٌ

Vollführen	كَمَلَ
Gedankending	كوائفُ فِكْر
Anderssein; Anderswerden	الكَوْنُ - آخَرَ؛ التَّصْيِيرُ آخِرُ / التَّغْيِيرُ
Sein für anderes (das)	الكَوْنُ لِمَغَايِرِ
Selbstsein	كَوْنُهُ (ه) ذَاتَهُ
Dasein	كِيَانٌ / اِتْيَاءٌ
Sein	كَيْنُونَةٌ / كَوْنٌ
Unbedingt	لَا قَيْدَ لَهُ
Unbewußt	لَا وَاَعِي
Für sich; Fürsichsein (das)	لِذَاتِهِ؛ الْكَوْنُ - لِذَاتِهِ
Lust	لَذَّةٌ / لَذَاذَةٌ
Haben (das)	أَلَلُّهُ
Nichts	لَيْسَ
Nichtigkeit	لَيْسِيَّةٌ
Übersinnlich	مَا فَوْقَ الْحَسِّ
Vorhanden	مَائِلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ
Wesen	مَاهِيَةٌ
Gemeinwesen	مَاهِيَةٌ مُشْتَرَكَةٌ
Gerade	مُبَاشِرَةٌ
Verschwindend	مُتَزَائِلٌ
Auftreten (das)	مُثَلٌّ / هَلٌّ / هَلٌّ
Fortgang	مَجْرَى
Verlauf	مَجْرَى
Räsonnieren	مَحْكٌ / مِمَاحِكَةٌ
Unvollendet	مَخْرُومٌ
Einbildung	مَخْيَالٌ / مَخْيَلَةٌ
Handeln	مَرَاسٌ
Übergang	مَرُورٌ / تَمَارٌ
Zerreissen	مَزَقٌ
Unabhängig	مُسْتَقِلٌّ / فِي حَلٍّ مِنْ ..
Verunreinigen	مَسَخٌ
Prozeß	مَسْرَى / سَيْرُورَةٌ
Zufall; Zufällig; Zufälligkeit	مَصَادِفَةٌ؛ عَرْضِيٌّ؛ عَرْضٌ
Insichgehen	مُضِيٌّ فِي الذَّاتِ

Rückgang	معاذ
Kenntnis	معرفة
Verkehrte (das)	معكوس / مقلوب
Sinn; sinnlich; Sinnlichkeit	معنى / حس؛ حسي / محسوس؛ حاسة
Bleiben	مكث / لبث / ظل
Fülle	ملاء
Zweideutig	ملتبس
Handlung	ممارسة / تمرس
Ausschließung	منع / طرخ / صد
Wendungspunkt	مُنقلب
Vermittelte	موسوط
Bezogene (das)	الموصول
Objekt	موضوع
Gegenstand	موضوع / ما يُوضع / غرض
Seite	ناحية / جانب
Unvollkommen	ناقص
Zerstreuen	نثر / تناثر؛ تشتت
Ausführung	نجز / إنجاز
Hervortreten	نجم
Entstehen	نجم / بنق
Aufheben (sich)	نسخ؛ إنسخ
Nützlichkeit	نفاع
Durchdringen	نفاذ؛ نفاذ
Beseelen	نفس
Punkt	نكته
Licht; Lichtwesen	نور؛ ماهية نورانية
Art	نوع / نحو
Absicht	نية
Ziel	هدف
Selbst; Selbstheit	(ال) هو؛ هووية
Selbstisch	هُووي
Pflicht	واجب
Gegenüberstehen (sich)	واجه؛ إستواجه
Vorfinden	وجد / لقي بين يديه

Empfindsamkeit	وجدان
Weise	وجه/ ضربت
Notwendigkeit	وجوب/ ضرورة
Existenz	وجود
Vermitteln; Vermittlung	وسط؛ توسط
Medium	وسط
Mittel	وسيلة/ آلة
Beziehen; Beziehung	وصل؛ وصل، إضافة
Setzen (sich)	وضع/ استوضع؛ إتضع
Selbstbewußtsein	وعى - بالذات
Täuschung	وهم
Geben (sich)	يتعطى/ يأتي ...
Gelten	يجري .. مجرى/ يصلح
Zerfallen	ينفث

## المراجع

### I - العربية

#### كتب

ابراهيم، زكريّا. هيجل أو المثاليّة المطلقة. القاهرة: مكتبة مصر، 1970.

ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله. كتاب النجاة. في الحكمة المنطقية والطبيعية والالهية. تنقيح وتقديم ماجد فخري. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1985.

بدوي، عبد الرحمن. حياة هيجل. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.

الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد. آراء أهل المدينة الفاضلة. تقديم وتعليق ألبير نصري نادر. بيروت: دار المشرق، 1985.

— . كتاب الحروف. تحقيق محسن مهدي. بيروت: دار المشرق، [1986].

موراني، أنطوان حميد. هيجل. كتابات الشباب. بيروت: دار الطليعة، 2003.



هيغل، غيورغ فلهلم فرڈريش. علم ظهور العقل. ترجمة مصطفى صفوان. بيروت: دار الطليعة، 1981.

## II - الأجنية

### Books

- Adorno, Theodor W. *Gesammelte Schriften*. Hrsg. von Rolf Tiedemann. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1990.  
[vol. 5: *Drei Studien zu Hegel*].
- Auinger, Thomas. *Das absolute Wissen als Ort der Ver-Einigung. Zur absoluten Wissensdimension des Gewissens und der Religion in Hegels Phänomenologie des Geistes*. Würzburg: Königshausen und Neumann, 2003.
- Beaufort, Jan. *Die drei Schlüsse. Untersuchungen zur Stellung der «Phänomenologie» in Hegels System der Wissenschaft*. Würzburg: Königshausen und Neumann, 1983. (Würzburger Wissenschaftliche Schriften. Epistemata; Bd. 18)
- Becker, Werner. *Hegels Begriff der Dialektik und das Prinzip des Idealismus*. Stuttgart: W. Kohlhammer, 1969.
- Bischoff, Christian Heinrich Ernst. *Darstellung der Gallschen Gehirn - und Schädel - Lehre. Nebst Bemerkungen über diese Lehre von Dr. C. W. Hufenland*. Berlin: L. W. Wittich, 1805.
- Bloch, Ernst. *Subjekt-Objekt. Erläuterungen zu Hegel*. [Frankfurt am Main]: Suhrkamp, [1962]. (Gesamtausgabe; Bd. 8)
- . *Über Methode und System bei Hegel. (Ausgew. von Burghart Schmidt.)*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1970. (Edition Suhrkamp; 413)
- Blöde, Carl August. *D. F. J. Galls Lehre über die Verrichtungen des Gehirns, Nach Dessen zu Dresden gehaltenen Vorlesungen*. Dresden: [n. pb.], 1805.
- Bonsiepen, Wolfgang. *Der Begriff der Negativität in den Jenaer Schriften Hegels*. Bonn: Bouvier, 1977. (Hegel-Studien; Beiheft 16)
- Bourgeois, Bernard. *Hegel. Les actes de l'esprit*. Paris: J. Vrin,

2001. (Bibliothèque d'histoire de la philosophie. Nouvelle série)
- . *L'Idéalisme allemand: Alternatives et progrès*. Paris: J. Vrin, 2000. (Bibliothèque d'histoire de la philosophie)
- Brockard, Hans. *Subjekt. Versuch zur Ontologie bei Hegel*. München; Salzburg: Anton Pustet, 1970. (Epimeleia; Beiträge zur Philosophie; Bd. 17)
- Brown, Johann. *Johann Browns Grundsätze der Arzeneylehre aus dem Lateinischen übersetzt von M. A. Weikard*. Frankfurt: [n. pb.], 1795.
- Bubner, Rüdiger. *Dialektik als Topik*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1990.
- . *Dialektik und Wissenschaft*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1973.
- . *Hegel und Goethe*. Heidelberg: Carl Winter, 1978. (Beihefte zum Euphorion; Heft 12)
- . *Innovationen des Idealismus*. Göttingen: Vandenhoeck und Ruprecht, 1995. (Neu Studien zur Philosophie; Bd. 8)
- . *Zur Sache der Dialektik*. Stuttgart: Reclam, 1980. (Universal-Bibliothek; 9974)
- Châtelet, François. *Hegel*. Paris: Seuil, 1968. (Ecrivains de toujours; 80)
- Diderot, Denis. *Le Neveu de Rameau*. Paris: Flammarion, 1983.
- Dilthey, Wilhelm. *Gesammelte Schriften*. 6. unveränderte Auflage. Stuttgart; Göttingen: B. G. Teubner Verlagsgesellschaft; Vandenhoeck und Ruprecht, 1990.
- vol. 4: *Die Jugendgeschichte Hegels. Und andere Abhandlungen zur Geschichte des deutschen Idealismus*.
- Düsing, Klaus. *Das Problem der Subjektivität in Hegels Logik: Systematische und entwicklungsgeschichtliche Untersuchungen zum Prinzip des Idealismus und zur Dialektik*. Bonn: Bouvier, 1976. (Hegel-Studien; Beiheft 15)
- Eschenmayer, Christoph Adolph Adam von. *Die Philosophie in ihrem Uebergang zur Nichtphilosophie*. Erlangen: [n. pb.], 1803.
- Fichte, Johann Gottlieb. *Fichtes Werke*. Hrsg. von Immanuel Hermann Fichte. Berlin: Walter de Gruyter, 1971.

- vol. 1: *Zur theoretischen Philosophie I.*
- vol. 2: *Zur theoretischen Philosophie II.*
- vol. 4: *Zur Rechts- und Sittenlehre II.*
- vol. 5: *Zur Religionsphilosophie.*
- vol. 8: *Vermischte Schriften und Aufsätze.*

———. *Johann Gottlieb Fichte's Nachgelassene Werke.* Hrsg. von Immanuel Hermann Fichte. Bonn: A. Marcus, 1834-35. 3 vols.

———. *Sonnenklarer Bericht an das Größere Publikum Über das Eigentliche Wesen der Neuesten Philosophie. Ein Versuch, die Leser zum Verstehen zu Zwingen.* Berlin: [In der Realschulbuchlandlung], 1801.

Forster, Michael N. *Hegel's Idea of a Phenomenology of Spirit.* Chicago; London: University of Chicago Press, 1998.

Frank, Manfred (ed.). *Materialen zu Schellings philosophische Anfängen.* Hrsg. von Gerhard Kurz. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1975. (Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 139)

Franklin, Benjamin. *Des Herrn Benjamin Franklin Esq. Briefe von der Elektrizität. Aus dem Engländischen übersetzt, nebst Anmerkungen von J. C. Wilcke.* Leipzig: G. Kieseewetter, 1758.

Fulda, Hans Friedrich. *Das Problem einer Einleitung in Hegels Wissenschaft der Logik.* Frankfurt am Main: Klostermann, 1965. (Philosophische Abhandlungen; Bd. 27)

———. *Materialen zu Hegels «Phänomenologie des Geistes».* Hrsg. Dieter Henrich. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1973. (Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 9)

———, Hans Heinz Hold and Detlev Pätzold. *Perspektiven auf Hegel.* Köln: Jürgen Dinter, 1991. (Dialectica minora; 1)

Gadamer, Hans-Georg. *Hegels Dialektik. Sechs hermeneutische Studien.* 2. Verm. Aufl. Tübingen: J. C. B. Mohr, 1980.

———. *Hegel-Tage Royaumont 1964. Beiträge zur Deutung der «Phänomenologie des Geistes».* Bonn: Bouvier Verlag, 1966. (Hegel-Studien; Beiheft 3)

——— and Jürgen Habermas. *Das Erbe Hegels I: Zwei Reden aus Anlaß des Hegel-Preis.* Frankfurt am Main: Suhrkamp,

1979. (Taschenbuch Wissenschaft; 596)
- , Roman Jakobson and Elmar Holenstein. *Das Erbe Hegels II*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1984. (Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 440)
- Gérard, Gilbert. *Critique et dialectique. L'itinéraire de Hegel à Iéna (1801-1805)*. Bruxelles: Facultés universitaires Saint-Louis, 1982. (Publications des facultés universitaires Saint-Louis; 25)
- Goethe, Johann Wolfgang von. *Faust. 1. Teil*. Offenburg/ Mainz: Lehrmittel-Verlag, 1947. (Klassiker der Weltliteratur)
- . *Goethe's Schriften*. Leipzig: G. J. Göschen, 1787-1790. 8 vols.  
vol 7: *Faust. Ein Fragment*, 1790.
- Görres, Johann Joseph von. *Gesammelte Schriften*. Hrsg. im Auftrage der Görres-Gesellschaft von Wilhelm Schellberg, in Verbindung mit Max Braubach [et al.]. Köln: Gilde-Verlag, 1926. 13 vols.
- . *Glauben und Wissen*. München: [Sulzbach], 1805.
- Guzzoni, Ute, Bernhard Rang and Ludwig Siep (eds.). *Der Idealismus und seine Gegenwart. Festschrift für Werner Marx zum 65. Geburtstag*. Hamburg: F. Meiner, 1976.
- Habermas, Jürgen. *Der philosophische Diskurs der Moderne: Zwölf Vorlesungen*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1985.
- . *Wahrheit und Rechtfertigung: Philosophische Aufsätze*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1999.
- Hackenesch, Christa. *Die Logik der Andersheit. Eine Untersuchung zu Hegels Begriff der Reflexion*. Frankfurt am Main: Athenäum, 1987. (Monographien zur philosophischen Forschung; Bd. 234)
- Haym, Rudolf. *Hegel und seine Zeit. Vorlesungen über Entstehung und Entwicklung, Wesen und Wert der Hegel'schen Philosophie*. Hrsg. von Hans Rosenberg. 2. um unbekannte Dokumente vermehrte Auflage. Leipzig: Wilhelm Heims [Fachbuchhandlung für Philosophie], 1927.
- Hegel, Georg Wilhelm Friedrich. *Briefe Von und an Hegel*. Hrsg. von Johannes Hoffmeister. 3. Durchges Aufl. Hamburg: F. Meiner, 1969-1981. 4 vols. (Philosophische Bibliothek; 235, 238 a/b)

vol. 4, T. 1: *Dokumente und Materialien zur Biographie*. Hrsg. von Friedhelm Nicolin, 1977; 1981, T. 2: *Nachträge zum Briefwechsel*, Register mit biographischem Kommentar.

———. *Differenz des Fichteschen und Schellingschen Systems der Philosophie in Beziehung auf Reinhold's Beyträge zur leichtern Übersicht des Zustands der Philosophie zu Anfang des Neunzehnten Jahrhunderts*. Jena: Akad. Buchhandlung, 1801.

———. *Enzyklopädie der philosophischen Wissenschaften im Grundrisse (1830)*. Neu Hrsg. von Friedhelm Nicolin und Otto Pöggeler. 6 Aufl. Hamburg: F. Meiner, 1959. (Philosophische Bibliothek; 33)

———. *Gesammelte werke*. Hrsg. In Auftrag der Forschungsgemeinschaft. Hamburg: F. Meiner, [1968]-2001. 21 vols.

vol. 2: *Logik, Metaphysik, Naturphilosophie*.

vol. 6: *Jenaer Systementwürfe I. Das System der spekulativen Philosophie*.

vol. 9: *Phänomenologie des Geistes*. Hrsg. von Wolfgang Bonsiepen und Reinhard Heede. Mit Genehmigung der Rheinisch-Westfälischen Akademie der Wissenschaften Düsseldorf. Hamburg: F. Meiner, 1980.

vol. 11: *Wissenschaft der Logik. Das Sein (1812)*.

———. *Hegel's Phenomenology of Spirit*. Translated by A. V. Miller with Analysis of the Text and Foreword by J. N. Findlay. Oxford; New York; Toronto; Melbourne: Oxford University Press, 1977.

———. *Jenaer Kritische Schriften*. Neu Hrsg. von Hans Brockard und Hartmut Buchner. Hamburg: F. Meiner, 1979-1986. 3 vols. (Philosophische Bibliothek; Bd. 319)

vol. 1: *Differenz des Fichteschen und Schellingschen Systems der Philosophie in Beziehung auf Reinhold's Beyträge zur leichtern Übersicht des Zustands der Philosophie zu Anfang des neunzehnten Jahrhunderts, Istes Heft*.

vol. 2: *Über das Wesen der philosophischen Kritik überhaupt, und ihr Verhältnis zum gegenwärtigen Zustand der Philosophie insbesondere; Wie der gemeine Menschenverstand die Philosophie nehme,- dargestellt an den; Werken des Herrn Krug, Verhältnis des Skeptizismus zur Philosophie, Darstellung*

*seiner verschiedenen Modifikationen, und Vergleichung des neuesten mit dem alten; Über die wissenschaftlichen Behandlungsarten des Naturrechts, seine Stelle in der praktischen Philosophie, und sein Verhältnis zu den positiven Rechtswissenschaften*, 1983.

vol. 3: *Glauben und Wissen, oder die Reflexionsphilosophie der Subjektivität, in der Vollständigkeit ihrer Formen, als Kantische, Jacobische und Fichtesche Philosophie*.

———. *Jenaer Systementwürfe I. Das System der spekulativen Philosophie*. Neu Hrsg. Klaus Düsing und Heinz Kimmerle. Hamburg: F. Meiner, 1986. (Philosophische Bibliothek; 331)

———. *Jenaer Systementwürfe II. Logik, Metaphysik, Naturphilosophie*. Neu Hrsg. von Rolf-Peter Horstmann. Hamburg: F. Meiner, 1982. (Philosophische Bibliothek; 332)

———. *Jenaer Systementwürfe III. Naturphilosophie und Philosophie des Geistes (1805-1806)*. Neu Hrsg. von Rolf-Peter Horstmann. Hamburg: F. Meiner, 1987. (Philosophische Bibliothek; 333)

———. *Phänomenologie des Geistes*. Hrsg. von Johannes Hoffmeister. Hamburg: F. Meiner, 1952. (Philosophische Bibliothek; 114)

———. ———. Neu Hrsg. von Hans Friedrich Wessels und Heinrich Clairmont. Mit einer Einleitung von Wolfgang Bonsiepen. Hamburg: F. Meiner, 1988. (Philosophische Bibliothek; 414)

———. *La Phénoménologie de l'esprit*. Traduction de Jean Hyppolite. Paris: Aubier - Montaigne, 1939-1941. 2 vols. (Philosophie de l'esprit. Collection dirigée par L. Lavelle et R. Le Senne)

———. ———. Traduction de Jean-Pierre Lefebvre. Paris: Aubier, 1991.

———. ———. Présentation, traduction et notes par Gwendoline Jarczyk et Pierre-Jean Labarrière. Paris: Gallimard, 1993.

———. *System der Sittlichkeit. [Critik des Fichteschen Naturrechts]*. Mit einer Einleitung von Kurt Rainer Meist. Hrsg. von Horst D. Brandt. Hamburg: F. Meiner, 2002. (Philosophische Bibliothek; 457)

- . *Theologische Jugendschriften nachden Handschriften der Kgl. Bibliothek in Berlin*. Hrsg. von Hermann Nohl. Tübingen: J. C. B. Mohr, 1907.
- . *Werke in Zwanzig Bänden*. Auf der Grundlage der Werke von 1832-1845 neu edierte Ausg. Red. Eva Moldenhauer und Karl Markus Michel. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1969-1971. 20 vols. (Theorie Werkausgabe)  
vol. 1: *Frühe Schriften*, 1971.  
vol. 3: *Phänomenologie des Geistes*, 1970.  
vols. 8-10: *Enzyklopädie der Philosophischen Wissenschaften im Grundrisse. I, II, III*, 1970.
- . *Wissenschaft der Logik. 1. Teil. 1. Band, Die Objective Logik. Die Lehre vom Sein (1832)*. Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll. Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann und Walter Jaeschke. Hamburg: F. Meiner, 1990. (Philosophische Bibliothek; 385)
- . *Wissenschaft der Logik. Das Sein (1812)*. Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll. Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann und Walter Jaeschke. Hamburg: F. Meiner, 1986. (Philosophische Bibliothek; 375, Wissenschaft der Logik; Bd. 1)
- . *Wissenschaft der Logik. Die Lehre vom Begriff (1816)*. Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll. Mit einer Einleitung von Friedrich Hogemann. Hamburg: F. Meiner, 1994. (Philosophische Bibliothek; Bd. 377, Wissenschaft der Logik; Bd. 2)
- . *Wissenschaft der Logik. Die Lehre vom Wesen (1813)*. Neu Hrsg. von Hans-Jürgen Gawoll. Mit einer Einleitung von Walter Jaeschke. Hamburg: F. Meiner, 1992. (Philosophische Bibliothek; 376)
- Heidegger, Martin. *Der deutsche Idealismus (Fichte, Schelling, Hegel) und die philosophische Problemlage der Gegenwart*. Frankfurt am Main: V. Klostermann, 1997. (Gesamtausgabe II; Bd. 28)
- . *Hegel*. Frankfurt am Main: V. Klostermann, 1993. (Gesamtausgabe III; Bd. 68)
- . *Hegels Phänomenologie des Geistes. [Freiburger Vorlesung*

- Wintersemester 1930/31*]. [Hrsg. von Ingtraud Gorland]. Frankfurt am Main: V. Klostermann, 1980. (Gesamtausgabe; Bd. 32)
- Henrich, Dieter. *Fluchtlinien. Philosophische Essays*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1982.
- . *Hegel im Kontext*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1981.
- . *Selbstverhältnisse. Gedanken und Auslegungen zu den Grundlagen der klassischen deutschen Philosophie*. Stuttgart: Reclam, 1993.
- Horstmann, Rolf-Peter (ed.). *Seminar, Dialektik in der Philosophie Hegels*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1978. (Suhrkamp Taschenbücher Wissenschaft; 234)
- . *Wahrheit aus dem Begriff. Eine Einführung in Hegel*. Frankfurt am Main: Anton Hain Verlag, 1990.
- Hösle, Vittorio. *Hegels System. Der Idealismus der Subjektivität und das Problem der Intersubjektivität*. [2. erw. Aufl.]. Hamburg: F. Meiner, 1988.
- Hyppolite, Jean. *Genèse et structure de la phénoménologie de l'esprit de Hegel*. Paris: Aubier, 1946. (Philosophie de l'esprit)
- . *Logique et existence. Essai sur la logique de Hegel*. Paris: Presses Universitaires de France, 1953.
- Jacobi, Friedrich Heinrich. *David Hume über den Glauben, oder Idealismus und Realismus*. Breslau: [n. pb.], 1787.
- . *Ueber die Lehre des Spinoza in Briefen an den Herrn Moses Mendelssohn*. Neue verm. Ausg. Breslau: G. Lowe, 1789.
- Jamme, Christoph and Helmut Schneider (eds.). *Der Weg zum System. Materialien zum jungen Hegel*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1990. (Suhrkamp Taschenbücher Wissenschaft; 763)
- Kant, Immanuel. *Briefwechsel*. Auswahl und Anmerkungen von Otto Schöndörffer. Mit einer Einleitung von Rudolf Malter und Joachim Kopper und einem Nachtrag. 2. erw. Aufl. Hamburg: F. Meiner, 1972. (Philosophische Bibliothek; 52a/b)
- . *Kritik der praktischen Vernunft*. Hrsg. von Wilhelm Weischedel. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974. (Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 56)
- . *Kritik der reinen Vernunft*. Hrsg. von Wilhelm Weischedel.



- Frankfurt am Main: Suhrkamp, [1974]. 2 vols. (Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 55)
- . *Kritik der Urteilskraft*. Hrsg. von Wilhelm Weischedel. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1974. (Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 57)
- . *Werkausgabe*. Hrsg. von Wilhelm Weischedel. Frankfurt am Main: Suhrkamp, [1974]. 12 vols. (Suhrkamp Taschenbuch Wissenschaft; 55)
- vols. 3-4: *Kritik der reinen Vernunft*.
- . *Werke*. Akademie Textausgabe. Unveränderter photomechanischer Abdruck des Textes der von Preussischen Akademie der Wissenschaften 1902 begonnenen Ausgabe. Berlin: Walter de Gruyter, 1968. 9 vols.
- vols. 4: *Kritik der reinen Vernunft*. [1. auflage 1781].
- Kilian, Conrad Joseph. *Entwurf eines System der gesammten Medezin*. Jena: Frommann, 1802.
- Kojève, Alexandre. *Introduction à la lecture de Hegel. Leçons sur la Phénoménologie de l'esprit professées de 1933 à 1939 à l'école des hautes études*. Réunies et publiées par Raymond Queneau. Paris: Gallimard, 1947.
- Koyré, Alexandre. *Etudes d'histoire de la pensée philosophique*. [Paris]: Gallimard, 1971. (Bibliothèque des idées)
- Kroner, Richard. *Von Kant bis Hegel*. Tübingen: J. C. B. Mohr, 1921-1924. 2 vols. (Grundriss der Philosophischen Wissenschaften)
- Krug, Wilhelm Traugott. *Briefe über den neuesten Idealismus. Eine Fortsetzung der Briefe über die Wissenschaftslehre*. Leipzig: In der H. Müller'schen Buchhandlung, 1801. (Aetas Kantiana; 153)
- Labarrière, Pierre-Jean. *Le Discours de l'altérité. Une logique de l'expérience*. Paris: Presses Universitaires de France, 1983. (Philosophie d'aujourd'hui)
- . *La Phénoménologie de l'esprit de Hegel: Introduction à une lecture*. Paris: Aubier - Montaigne, 1979. (Collection analyse et raisons)
- . *Phénoménologie de l'esprit-Hegel*. Paris: Ellipses, 1997. (Collection philo-oeuvres)

- . *Structures et mouvement dialectique dans la phénoménologie de l'esprit de Hegel*. Paris: Aubier - Montaigne, 1968. (Collection Analyse et raisons; 13)
- Lambert, Johann Heinrich. *Joh. Heinrich Lamberts Deutscher Gelehrter Briefwechsel*. Hrsg. von John Bernoulli. Berlin: Bey dem Herausgeber, [1781]-1784. 4 vols.
- . *Neues Organon oder Gedanken über die Erforschung und Bezeichnung des Wahren und dessen Unterscheidung vom Irrthum und Schein*. Leipzig: J. Wendler, 1764. 2 vols.
- Lavater, Johann Caspar. *Pysiognomische Fragmente, zur Beförderung der Menschenkenntniss und Menschenliebe, Erster [-Vierter] Versuch. Mit Vielen Kupfern*. Leipzig: Weidmanns Erben und Reich, 1772.
- . *Von der Physiognomik*. Leipzig: Weidmanns Erben und Reich, 1772.
- Lebrun, Gérard. *La Patience du concept. Essai sur le discours hégélien*. Paris: Gallimard, 1972. (Bibliothèque de philosophie)
- Lichtenberg, Georg Christoph. *Schriften und Briefe*. Hrsg. von Wolfgang Promies. München: [n. pb., 1986]. 4 vols.
- . *Über Physiognomik*. [n. p.: Guttengen], 1778.
- Litt, Theodor. *Hegel. Versuch einer kritischen Erneuerung*. Heidelberg: Quelle & Meyer, 1953.
- Lukács, György. *Der junge Hegel. Über die Beziehungen von Dialektik und Ökonomie*. Frankfurt am Main: Suhrkamp, 1973. 2 vols.
- Malabou, Catherine. *L'Avenir de Hegel. Plasticité, temporalité et dialectique*. Paris: J. Vrin, 1996. (Bibliothèque d'histoire de la philosophie. Nouvelle série)
- Maluschke, Günther. *Kritik und absolute Methode in Hegels Dialektik*. Bonn: Bouvier Verlag, 1974. (Hegel-Studien; Beiheft 13)
- Metzke, Erwin. *Hegels Vorreden. Mit Kommentar zur Einführung in seine Philosophie*. Heidelberg: F. H. Kerle Verlag, 1970.
- Meulen, Jan van der. *Hegel. Die gebrochene Mitte*. Hamburg: F. Meiner, 1958.

- Mure, G. R. G. *A Study of Hegel's Logic*. Oxford: The Clarendon Press, 1950.
- Nancy, Jean-Luc. *Hegel. L'Inquiétude du négatif*. Paris: Hachette, 1997. (Coup double)
- Newton, Isaac. *Philosophiae Naturalis Principia Mathematica. Auctore Issaco Newtono, Equite Aurato*. Editio Ultima, Auctior et Emendator. Amstaelodami: Sumptibus Societatis, 1714.
- Niel, Henri. *De la médiation dans la philosophie de Hegel*. Paris: Aubier - Montaigne, 1945. (Philosophie de l'esprit. Collection dirigée par L. Lavelle et R. Le Senne)
- Philonenko, Alexis. *Lecture de la phénoménologie de Hegel: Préface, introduction*. Paris: J. Vrin, 1993. (Bibliothèque d'histoire de la philosophie)
- Plant, Raymond. *Hegel. Religion et philosophie*. Paris: Seuil, 2000.
- Planty-Bonjour, Guy. *Le Projet hégélien*. Paris: J. Vrin, 1993. (Bibliothèque d'histoire de la philosophie. Nouvelle série)
- Platon. *Timée*. In: *Œuvres complètes I, II*. Traduction de Léon Robin. Paris: Gallimard, [1971]. vol. II. (Bibliothèque de la pléiade)
- Puntel, L. Bruno. *Darstellung, Methode und Struktur. Untersuchungen zur Einheit der systematischen Philosophie G. W. F. Hegels*. Bonn: Bouvier Verlag, 1981. (Hegel-Studien; Beiheft 10)
- Rauch, Leo and David Scherman. *Hegel's Phenomenology of selfconsciousness. Text and Commentary*. New York: State University of New York Press, 1999.
- Reinhold, Karl Leonhard. *Beyträge zur leichtern Uebersicht des Zustandes der Philosophie beym Anfange des 19. Jahrhunderts*. Hamburg: [n. pb.], 1802.
- Rivelaygue, Jacques. *Leçons de métaphysique allemande*. Paris: Bernard Grasset, 1990. (Le Collège de philosophie)  
T. 1: *De Leibniz à Hegel*.
- Rockmore, Tom. *Cognition. An Introduction to Hegel's Phenomenology of Spirit*. Berkeley; Los Angeles; London: University of California Press, 1997.

- Rosenkranz, Karl. *Georg Wilhelm Friedrich Hegel's Leben, Beschrieben durch Karl Rosenkranz Supplement zu Hegel's Werken. Mit Hegel's Bildniss. Gestochen von K. Barth.* Berlin: Duncker und Humblot, 1844.
- Röttges, Heinz. *Der Begriff der Methode in der Philosophie Hegels.* Meisenheim am Glan: Hain, 1976. (Monographien zur philosophischen Forschung; Bd. 148)
- Sarlemijn, Andries. *Hegelsche Dialektik.* Berlin; New York: Walter de Gruyter, 1971.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph. *Erster Entwurf eines Systems der Naturphilosophie. Zum Behuf seiner Vorlesungen.* Jena; Leipzig: [n. pb.], 1799.
- . *Von der Weltseele. Eine Hypothese der höhern Physik zur Erklärung des allgemeinen Organismus.* Hamburg: [n. pb.], 1798.
- . *Philosophie und Religion.* Tübingen: [n. pb.], 1804.
- . *System des transzendentalen Idealismus (1800).* Hrsg. von Ruth-Eva Schulz. Mit einer Einleitung von Walter Schulz. Hamburg: F. Meiner, 1962. (Philosophische Bibliothek; Bd. 254)
- . *Vorlesungen über die Methode des akademischen Studium.* Tübingen: [n. pb.], 1803.
- Schmidt, Friedrich W. *Zum Begriff der Negativität bei Schelling und Hegel.* Stuttgart: J. B. Metzler, 1971.
- Schmidt, Josef. «Geist», «Religion» und «absolutes Wissen». *Ein Kommentar zu den drei gleichnamigen Kapiteln aus Hegels Phänomenologie des Geistes.* Stuttgart; Berlin; Köln: Kohlhammer Verlag, 1997. (Münchener Philosophische Studien; Bd. 13)
- Schulze, Gottlob Ernst. *Kritik der theoretischen Philosophie.* Hamburg: [n. pb.], 1801. 2 vols.
- Shakespeare, William. *Hamlet.* Ed. T. J. B. Spencer. London: Penguin Books, 1980.
- Siep, Ludwig. *Der Weg der Phänomenologie des Geistes. Ein einführender Kommentar zu Hegels «Differenzschrift» und zur «Phänomenologie des Geistes».* Frankfurt am Main: Suhrkamp, 2000. (Hegels Philosophie; Bd. 1)

- Simhon, Ari. *La Préface de la phénoménologie de l'esprit. De la préface de 1807 aux recherches de 1809*. Bruxelles: Ousia, 2003. (Ousia; 48)
- Simon, Joseph. *Das Problem der Sprache bei Hegel*. Stuttgart; Berlin; Köln: W. Kohlhammer, 1966.
- Sophocle. *Théâtre complet*. Traduction préface et notes par Robert Pignarre. Paris: Garnier - Flammarion, 1964.
- Steffens, Henrich. *Beyträge zur innern Naturgeschichte der Erde*. [n. p.]: Freyberg, 1801.
- . *Grundzüge der philosophischen Naturwissenschaft, von Henrich Steffens. Zum Behuf seiner Vorlesungen*. Berlin: Im Verlage der Realschulbuchhandlung, 1806.
- Stern, Robert. *G. W. F. Hegel: Critical Assessments*. London; New York: Routledge, 1993. 4 vols.
- Tillich, Paul. *Vorlesung über Hegel (Frankfurt 1931/32)*. Hrsg. von Erdmann Sturm. Berlin: Walter de Gruyter, 2002.
- Tinland, Olivier. *Maîtrise et servitude*. Paris: Ellipses, 2003.
- Treviranus, Gottfried Reinhold. *Biologie oder Philosophie der lebenden Natur für Naturforscher und Aerzte*. Göttingen: [n. pb.], 1803.
- Vieillard-Baron, Jean-Louis. *Hegel et l'idéalisme allemand*. Paris: J. Vrin, 1999. (Bibliothèque d'histoire de la philosophie. Nouvelle série)
- Wigersma, B. (ed.). *Verhandlungen des dritten Hegelkongresses in Rom*. Tübingen: Haarlem, 1934.
- Willis, Roy. *Mythologies du monde entier*. Paris: Bordas, [1994].
- Winterl, Jacob Joseph. *Darstellung der vier Bestandtheile der anorganischen Natur*. Jena: [n. pb.], 1804.
- Wohlfart, Günter. *Denken der Sprache: Sprache und Kunst bei Vico, Hamann, Humboldt und Hegel*. Freiburg; München: Karl Albert Verlag, 1984. (Alber-Broschur Philosophie)
- . *Der spekulative Satz. Bemerkungen zum Begriff der Spekulation bei Hegel*. Berlin; New York: Walter de Gruyter, 1981.
- Züfle, Manfred. *Prosa der Welt. Die Sprache Hegels*. Einsiedeln: Johannes Verlag, 1968.

## **Periodicals**

*L'Arc*: no. 38, spécial Hegel, 1968

*Archives de Philosophie*: vol. 44, [no. 2], spécial Hegel, 1981.

———. vol. 67, [no. 3], philosophie allemande, 2004.

Arndt, Andreas. «Hegels Begriff der Dialektik im Blick auf Kant.»  
*Hegel-Studien*: vol. 38, 2003.

Baum, Manfred. «Metaphysische Monismus bei Hölderlin und Hegel.» *Hegel-Studien*: vol. 28, 1993.

Bloch, Ernst. «Das Faustmotiv der Phänomenologie des Geistes.»  
*Hegel-Studien*: vol. 1, 1961.

Bubner, Rüdiger. «Problemgeschichte und Systematischer Sinn einer Phänomenologie.» *Hegel-Studien*: vol. 5, 1969.

De Gandillac, Maurice. «Le 'Système' de Hegel à la veille de la 'Phénoménologie'.» *Revue de métaphysique et de morale*: no. 3, 1972.

«La Dialectique. Actes du XIV<sup>e</sup> Congrès des sociétés de philosophie de langue française.» *Les Etudes philosophiques*: no. 3, 1970.

Düsing, Klaus. «Die Bedeutung des antiken Skeptizismus für Hegels Kritik der sinnlichen Gewißheit.» *Hegel-Studien*: vol. 8, 1973.

———. «Hegels Vorlesungen an der Universität Jena. Manuskripte, Nachschriften, Zeugnisse.» *Hegel-Studien*: vol 26, 1991.

———. «Spekulation und Reflexion. Zur Zusammenarbeit Schellings und Hegels in Jena.» *Hegel-Studien*: vol. 5, 1969.

Fulda, Hans Friedrich. «Hegels Begriff des absoluten Geistes.»  
*Hegel-Studien*: vol. 36, 2001.

«Hegel et la «phénoménologie de l'esprit.»» *Magazine littéraire*: no. 293, novembre 1991.

Henrich, Dieter. «Formen der Negation in Hegels Logik.» *Hegel-Jahrbuch*, 1974.

Kimmerle, Heinz. «Dokumente zu Hegels Jenaer Dozententätigkeit (1801-1807).» *Hegel-Studien*: vol. 4, 1967.

———. «Zur Chronologie von Hegels Jenaer Schriften.» *Hegel-Studien*: vol. 4, 1967.

———. «Zur Entwicklung des Hegelschen Denkens in Jena.»  
*Hegel-Studien*: Beiheft 4, 1969.

- Labarrière, Pierre-Jean. «De la raison comme histoire: Une confrontation avec Hegel.» *Archives de philosophie*: vol. 52, 1989.
- . «La Phénoménologie de l'esprit comme discours systématique: Histoire, religion et science.» *Hegel-Studien*: vol. 9, 1974.
- Lécrivain, André. «Phénoménologie de l'esprit et logique.» *Archives de philosophie*: vol. 60, 1997.
- Livet, Pierre. «La Dynamique de la 'phénoménologie de l'esprit'.» *Archives de philosophie*: vol. 44, octobre-décembre 1981.
- Legros, Robert. «Hegel et les pensées de la réconciliation terrestre.» *Les Etudes philosophiques*: no. 3, 1984.
- Nicolin, Freidhelm. «Zum Titelproblem der Phänomenologie des Geistes.» *Hegel-Studien*: vol. 4, 1967.
- Nouveaux mémoires de l'académie royale des sciences et belles lettres. Année 1780*: Berlin 1782.
- Pöggeler, Otto. «Die Komposition der Phänomenologie des Geistes.» *Hegel-Studien*: vol. 3, 1966.
- . «Zur Deutung der Phänomenologie des Geistes.» *Hegel-Studien*: vol. 1, 1961.
- Puntel, L. Bruno. «Hegel heute. Zur 'Phänomenologie des Geistes'.» *Philosophisches Jahrbuch*: vol. 80, 1973.
- Revue philosophique de la France et de l'étranger*: vol. 123, no. 1, spécial Hegel, 1998.
- Revue Tunisienne des études philosophiques*: no. 12, spécial Hegel, 1992.
- Rivelaygue, Jacques. «La Dialectique de Kant à Hegel.» *Les Etudes philosophiques*: no. 3, 1978.
- Schelling, Friedrich Wilhelm Joseph. «Allgemeine Deduction des Dynamischen Proceßes oder der Categorien der Physik.» *Zeitschrift für speculative Physik*: vol. 1, Stück 2, 1800.
- . «Darstellung meines Systems der Philosophie.» *Zeitschrift für speculative Physik*: vol. 2, Heft 2, 1801.
- . «Der Ferneren Darstellungen aus dem System der Philosophie Andrer Theil. Vom Herausgeber.» *Neue Zeitschrift Für Speculative Physik*: vol. 1, Stück 2, 1802.

- . «Fernere Darstellungen aus dem system der Philosophie vom Herausgeber.» *Neue Zeitschrift Für Speculative Physik*: vol. 1, Stück 1, 1802.
- Schüler, Gisela. «Zur Chronologie von Hegels Jugendschriften.» *Hegel-Studien*: vol. 2, 1963.
- Schuhmann, Karl. «Phänomenologie. Eeine Begriffsgeschichtliche Reflexion.» *Husserl-Studies*: vol. 1, no. 1, 1984.
- Stanguennec, André. «Le Dialectique, la dialectique, les dialectiques chez Hegel.» *Revue de métaphysique et de morale*: no. 3, 1977.
- Trede, Johann Heinrich. «Hegels frühe Logik (1801-1803/04). Versuch einer Rekonstruktion.» *Hegel-Studien*: vol. 7, 1972.
- . «Phänomenologie und Logik. Zu den Grundlagen einer Diskussion.» *Hegel-Studien*: vol. 10, 1975.

### **Conferences**

- . *Kant oder Hegel?: Über Formen der Begründung in der Philosophie*. Stuttgarter Hegel-Kongress 1981. Herausgegeben von Dieter Henrich. Stuttgart: Klett-Cotta, 1983. (Veröffentlichungen der Internationalen Hegel-Vereinigung; Bd. 12)





## الفهرس

،224 ،223 ،220 ،219	- أ -
،236 ،233 ،230 ،227	الإتيقيّة: 406 ،410 ،469 ،
،284 ،259-255 ،248	،484 ،480 ،478-476
،314 ،313 ،307 ،285	،495 ،494 ،492 ،488
،347-345 ،330 ،318	،684 ،683 ،508 ،502
،451 ،406 ،356 ،349	702
،587 ،478 ،475 ،452	الإحساس الباطن: 295
،731 ،677 ،668 ،627	الإحساس الخالص: 294
770 ،756	الأخلاق الذاتية: 48
الإدراك الروحي: 677	الأخلاقية: 412 ،477 ،
الإدراك الفكري: 163	،610-609 ،607 ،603
الإرادة: 303 ،470 ،518	،616 ،615 ،614 ،612
610 ،603 ،602	،637 ،628-620 ،618
الإرادة الفردية: 303 ،603	642-640
الإرادة الكلية: 303 ،509	الإدراك الإتيقي: 478
-599 ،597 ،596 ،594	الإدراك الباطن: 313
603	الإدراك الحسي: 38 ،43 ،
أرسطو: 132	،206 ،205 ،47-45
الاستذكار: 774	،215 ،214 ،212-208

- 758 ، 756 ، 716 ، 518
- الإيقان الإيتيقي : 46 ، 461
- الإيقان الأخلاقي : 48 ، 477 ، 477
- 649-641 ، 639-629
- 665 ، 654 ، 652 ، 651
- الإيقان الباطني : 536
- الإيقان الحاق : 698
- الإيقان الحسي : 38 ، 41 ، 43 ، 46 ، 47 ، 74 ، 191-
- 198 ، 200 ، 202 ، 203
- 205 ، 212 ، 220 ، 223
- 236 ، 257 ، 259 ، 284
- 294 ، 406 ، 451 ، 452
- 461 ، 475 ، 568 ، 569
- 574 ، 587 ، 632 ، 668
- 675 ، 758
- الإيقان الذاتي : 631 ، 685
- إيقان العقل : 305
- الإيقان الفردي : 592
- الإيقان الموضوعي : 698
- إيقان الوعي : 73 ، 306
- الإيمان : 47 ، 516 ، 517
- 548 ، 550-552 ، 555
- 557-559 ، 562 ، 564-
- 570 ، 572 ، 573 ، 577-
- 580 ، 583-586 ، 589
- 591 ، 603 ، 664
- أفلاطون : 173 ، 384
- الألوهية : 126
- الأنسا : 131 ، 141 ، 143
- 196-198 ، 258 ، 263
- 266 ، 270 ، 279 ، 281
- 309 ، 315 ، 316 ، 402
- 459 ، 473 ، 508 ، 532
- 535 ، 556 ، 593 ، 649
- 650 ، 662 ، 757 ، 765
- 770 ، 771
- الأنسا البسيط : 273
- الأنسا الخالص : 140 ، 310
- 539 ، 541 ، 548 ، 551
- الأنسا العارف : 164
- الأنسا الكلي : 470
- الأنسا المحض : 265 ، 532
- 675 ، 771
- الأنسا الواعي - بذاته : 639
- أناغساغورس : 159
- الانبعاث الروحي : 748
- الأنثروبولوجيا : 67
- الأنثوية : 505
- الأنوار : 476 ، 516 ، 560
- 564-575 ، 577-583
- 585-588 ، 757
- أوتنغر ، ف. ش. : 15
- الأيسية : 451 ، 466 ، 494

- ب -

باخوس: 201

الباطن: 232-238، 245،

246، 248، 253، 681

البساطة: 159، 160، 486

البيسيكولوجيا: 67، 365،

366، 370، 383، 393

بونزين، فولفغانغ: 12

- ت -

التأملية الفلسفية: 92

التجربة: 19، 29، 53،

123، 188-190، 196،

215، 217، 234، 290،

321، 323، 413، 446،

450، 767

تجربة الوعي: 52، 54

التجريب: 323، 325

التجريد المحض: 158، 485،

587، 601

التجريد المطلق: 729، 746

التحرّر الربيبي: 307

التراجيديا: 706، 713، 718،

التصوّر: 614، 629، 708،

712، 717، 723، 732-

736، 741-744، 746،

748، 755، 772

التظنن: 191، 211، 256،

258، 307، 361

التعقّل: 47، 476، 516،

548، 551، 552، 555-

566، 568، 570-575،

579، 580، 585، 589-

592، 603، 757

التعيّنية: 140، 142، 154،

156، 157، 159، 160،

163، 186، 190، 213،

216-218، 220، 231،

237-240، 282، 283،

310، 320، 321، 326،

327، 342، 344، 346،

351، 353-358، 368،

369، 375، 379، 394،

441، 444، 445، 447،

448، 452، 455، 463،

465، 476، 525، 539،

581، 612، 639، 641،

644، 661، 669، 677،

705، 732، 756، 758

التفكر: 25، 26، 47، 131،

135، 223، 539، 551،

716

التفكير: 26، 87، 129،

140، 158، 285، 364،

365، 396، 520، 541،

- ج -

الجسدية: 700، 701، 718،  
723

الجوهر: 81-83، 122،

124، 129، 134، 135،

137، 140، 142، 143،

145، 158، 159، 164،

406، 412، 436، 458،

468، 469، 474، 477-

479، 484، 489، 490،

497، 499-501، 508،

512-514، 520، 521،

542، 550، 553، 600،

604، 605، 648، 650،

676، 682، 683، 685،

691، 711، 712، 714،

719، 723-725، 727،

733، 750، 752، 766،

768، 770، 774

الجوهر الإتيقي: 407، 409،

411، 412، 414، 460،

463، 465، 468، 470،

472، 474، 478-480،

485، 489، 502، 506-

509، 513، 550، 683،

685، 709

الجوهر الإلهي: 716

546، 548، 549، 551-

553، 559، 568، 577،

589، 614، 769

التفكير الصوري: 162

التفكير اللاتأملي: 167

التفكير المادي: 162

التفكير المحض: 24، 141،

282، 284، 292، 293،

363، 509، 513، 554،

585، 588، 589، 591،

600، 608، 609، 614،

630، 634، 642، 728،

731، 734، 737، 738،

746، 749

التفكير المفهومي: 162، 163

التفكير المماحك: 89، 90،

92، 93، 162، 163

التفلسف: 23-25، 30، 71،

77، 78، 86، 87، 92،

124، 169-171

التقيدية: 124

التوالد العضوي: 338

- ث -

الثقافة: 516-520، 542،

552، 556

ثقافة الأنوار: 91

- الجواهر البسيط: 478، 465،  
521-523، 526، 553
- الجواهر الروحي: 56-58،  
82، 85، 134، 143،  
453، 533، 556
- الجواهر العضوي: 334
- الجواهر الكلبي: 368، 529
- الجواهر المطلق: 27، 496
- ح -
- الحاسة: 16، 17، 608،  
609، 613، 621، 622،  
626، 627، 639
- الحالية: 135، 140، 141،  
403، 480، 484، 495،  
497، 507، 552، 602،  
604، 643، 649، 725-  
727، 729، 730، 732،  
738
- الحدس: 86، 129-131،  
149، 154، 361
- الحدس المكاني: 184
- الحرية العضوية: 327
- الحرية الكلية: 596-598
- الحرية المطلقة: 516، 592-  
594، 597، 599-603،  
631، 637
- الحسن: 520، 522، 524-  
528، 542، 543، 545،  
546، 549، 553، 739،  
741، 744، 745
- الحق: 79-81، 83، 129-  
132، 134، 144، 146،  
151، 168، 173، 179،  
186، 188، 189، 209،  
215، 236، 282، 285،  
459، 472، 476، 500،  
510، 514، 518، 539
- الحق الإلهي: 496، 577،  
709
- الحق الإنساني: 577، 709
- الحق السفلي: 710، 711
- الحق السماوي: 710
- الحقيق: 133، 136، 295-  
297، 299، 315، 328،  
333، 334، 358، 365،  
366-371، 377، 379،  
381، 384، 390، 395-  
397، 403، 409، 412،  
414، 418، 420-426،  
430، 434-439، 441-  
443، 446-451، 453،  
456، 470، 479، 493،  
496، 499، 501، 504

الحقيق الواعي بذاته : 485 ،	507-510 ، 512 ، 514 -
521	516 ، 518-520 ، 524 ،
الحقيقة : 79 ، 80 ، 86 ،	528 ، 533 ، 535 ، 536 ،
121 ، 144 ، 145 ، 151 ،	543 ، 546-549 ، 554 ،
177-179 ، 172 ، 152 ،	556 ، 558 ، 575 ، 579 ،
182 ، 185 ، 285 ، 316 ،	581 ، 589 ، 594 ، 597 ،
323 ، 405 ، 410 ، 438 ،	604 ، 607 ، 610-613 ،
462 ، 496 ، 513 ، 547 ،	615 ، 616 ، 618 ، 619 ،
764 ، 697	621 ، 626 ، 628 ، 630 -
الحقيقة التاريخية : 146	633 ، 636 ، 638 ، 645 ،
الحقيقة الرياضية : 146	651 ، 656 ، 659 ، 665 ،
الحقيقة العملية : 468	666 ، 679 ، 680 ، 683 ،
الحقيقة الفلسفية : 151	393 ، 695 ، 705 ، 710 -
الحقيقة المطلقة : 574	713 ، 716 ، 724 ، 730 ،
الحقيقة النظرية : 468	744 ، 750 ، 759 ، 766
الحلولية : 677 ، 680	الحقيق الإتيقي : 474
- خ -	الحقيق البراني : 514
الخطيئة : 498	الحقيق الحسي : 321 ، 554 ،
الخوف : 276-278	574 ، 575 ، 583
الخيال اللامحاك : 169	الحقيق الخالص : 132 ، 141 ،
- د -	294
الديالكطيقا : 71 ، 108 ،	الحقيق الفردي : 291
168 ، 173 ، 717	الحقيق الكلي : 545
الدين : 549 ، 550 ، 577 ،	الحقيق المتناهي : 574 ، 575
663 ، 666-668 ، 670 ،	الحقيق المطلق : 128 ، 496
719 ، 730 ، 733	الحقيق الموضوعي : 450 ،
	496 ، 515 ، 601 ، 602

- ذ -

روزنكرانس، كارل: 28، 34

الرَّبِيبِيَّة: 23، 44، 46، 49،  
182، 183، 189، 200،  
278، 283، 284، 287،  
293، 312، 510، 513،  
558

الذات: 82، 83، 124،  
129، 132-134، 140،  
169، 284، 287، 390،  
525، 542، 602، 637،  
650، 701، 709، 728،  
770، 735

- ز -

الزمانية: 85

الذات/ الحامل: 163-165،  
452، 454، 458، 514،  
715، 719، 728

- س -

السالبية: 84، 129، 131،  
132، 157، 352، 357،  
440، 441، 445، 447،  
483، 484، 561، 591،  
595، 600، 634، 664،  
677، 735، 761، 765،  
771، 774  
السفسطة: 285

سلطة الدولة: 520، 522-  
527، 529-531، 533،  
534، 536، 538، 541،  
553

السنن الإتيقيّة: 407-409،  
414، 480، 499، 683،  
716

سوفوكلس: 471

سيريس: 201

الذات الكلية: 593

الذاتية: 79

الذاتية الرومنطيقية: 48

الذهن: 38، 43، 223،  
224، 226، 232-234،  
236، 237، 239، 243-  
245، 248، 253-258،  
284، 307، 310، 347-  
680، 475، 406، 347

- ر -

راينهولد، كارل ليونهارد: 18-  
20

الرغبة: 263-265، 277،  
415، 488، 582

الرواقية: 44، 46، 278،  
280-283، 287، 292

509



- السيانِيَّة: 327، 331، 677،  
692
- السيلانية: 689
- السيلانية المطلقة: 326
- ش -
- الشخصية: 509
- الشخصية الحقوقية: 512
- الشخصية العينية: 506
- الشعور المحض: 585
- الشك: 181
- شَلَنغ: 14، 32، 53، 61،  
82، 83
- الشيئية: 208، 273، 274،  
314، 317، 321، 337،  
405، 408، 411، 413،  
416، 589، 692، 755
- الشيئية البسيطة: 407
- الشيئية المحض: 585
- الشيئية الموضوعية: 404
- ص -
- صفوان، مصطفى: 106-108
- الصورانية: 127، 128،  
153، 154، 160
- الصيرورة: 85، 131، 723
- صيرورة الجوهر: 147
- صيرورة الوعي: 75
- ض -
- الضرورة: 417، 419، 421،  
423، 463، 490
- ط -
- الطبع: 373، 502، 510،  
518، 661
- طور إيننا: 14، 25، 27،  
30، 77
- ظ -
- الظاهرة: 232-238، 240،  
248، 250، 253، 255
- الظاهرة الحسية: 349
- الظاهرة العضوية: 339
- الظنن: 313، 314، 396،  
397
- ع -
- العائلة: 480، 481، 485،  
489، 505، 550
- العبادة: 692، 694، 695،  
698
- العبادة المجردة: 693
- العبقرية: 556
- العبقرية الأخلاقية: 648
- العدالة: 491
- العقل: 308، 309، 312-

- علم الفلسفة: 22
- العلم المحض: 68-71، 76، 658، 662، 683، 745، 756، 762-760
- العلم المطلق: 58، 64، 71، 72، 190، 755، 763، 774، 766
- علم معرفة الإنسان: 380
- علم المعرفة المظهرة: 774
- علم المنطق: 13، 63، 67، 70-73
- علم الوعي: 67
- العينية: 169، 173
- غ -
- الغاية: 132، 331، 416، 419، 438، 442، 443، 449، 453، 456، 547، 571، 572، 582، 606، 607، 618، 619، 656
- الغاية الإيتيقية: 501
- الغاية الأخلاقية: 618
- الغاية الكلية: 506
- الغاية المحض: 631
- الغاية المطلقة: 620، 622
- الغائية: 131
- الغبطة: 623، 624
- 315، 320-322، 325، 331، 608، 667-669
- العقل السيد: 460-462، 468
- العقل الغريزي: 323، 324، 327، 329، 330، 378
- العقل الفعال: 428
- العقل المجرد: 314
- العقل المحض: 16، 17، 313
- العقل المشرع: 549
- العقل المطلق: 20
- العقل المعايين: 39، 45، 314، 316، 329، 361، 398-400، 406، 473، 757
- العقل الممتحن: 465
- العلم: 180-182
- علم اظهر الروح: 63، 67، 71
- العلم التألمي: 91، 729
- علم تجربة الوعي: 53، 56، 58، 63، 67، 68، 70، 71، 190
- علم التشريح: 343
- علم التنجيم: 373
- العلم الحاق: 121

668 ، 664 ، 661 ، 657  
 684 ، 680 ، 679 ، 677  
 -703 ، 695 ، 691 ، 686  
 ، 713-711 ، 709 ، 706

غريزة العقل : 326 ، 329

الغضب : 384

الغفران : 759

756 ، 723 ، 716

## - ف -

الفردية الإتيقية : 501

الفردانية : 769

الفردية البسيطة : 458 ، 720

الفردية : 219 ، 258 ، 262

الفردية الجوانية : 373

282 ، 289-296 ، 298-

الفردية الحاقة : 366 ، 706

300 ، 311 ، 312 ، 317

الفردية الخاصة : 605 ، 634

319 ، 327 ، 358 ، 360

الفردية الخالصة : 357 ، 415

361 ، 363 ، 367-370

الفردية الروحية : 383

374 ، 375 ، 377 ، 378

الفردية الساكنة : 687

381-383 ، 387 ، 390

الفردية العرضية : 717

391 ، 398 ، 408 ، 414

الفردية الكلية : 484 ، 546

416-418 ، 420-424

الفردية المتعينة : 367 ، 371 ،

426-439 ، 441 ، 442

374 ، 373

444-449 ، 451 ، 452

الفردية الواعية : 366

456 ، 458 ، 459 ، 466

الفردية الواقعية : 369 ، 440 ،

467 ، 479 ، 480 ، 484

447

485 ، 488-490 ، 492

الفريزنولوجيا : 369 ، 382 ،

493 ، 496 ، 497 ، 499

398 ، 394

501-503 ، 505-508

فسُّلس، هانس - فردريش : 12

511 ، 513 ، 518-520

الفضيلة : 428-434 ، 436 ،

523 ، 524 ، 526 ، 530

437 ، 491 ، 529

532 ، 535 ، 540 ، 556

الفاعل الخالص : 454 ، 458

560 ، 572 ، 573 ، 597

607 ، 631 ، 636 ، 641

642 ، 652 ، 653 ، 655-

القانون الإنساني : 478-480،	فقه الظاهر : 16، 17، 19
484، 488-490، 492-	فقه العلم : 19، 20
495، 499، 502، 504،	فقه المبادئ : 16، 18
505، 515	الفكر التصوري : 164
القانون الباطن : 654	الفكر المحض : 586، 587
قانون الحركة : 242	الفكر المقارن : 445
قانون العائلة : 487	الفلسفة التأملية : 22، 27،
قانون الفرق المحض : 245	29، 30، 57، 144،
قانون الفؤاد : 419-422،	161، 364
424-427، 490	فلسفة الروح : 63، 67، 68،
القانون الكلي : 238	72
القانون المطلق : 711	فلسفة الطبيعة : 63
القبيح : 520، 522، 524-	فلسفة الوعي : 27
528، 542، 543، 545،	الفنومينولوجيا : 15-20، 33،
546، 549، 654، 739،	45، 60، 66، 69
741، 744-746	فنومينولوجيا المطلق : 20
القدر : 374، 664، 665،	فنومينولوجية الوعي : 19، 20،
722	35، 52، 53، 55-58
القناعة الفردية : 606	الفيزيونيومينا : 369، 373،
القوانين المتعينة : 240	379، 380، 383، 397
القوانين المقيدة : 238، 239	فيشته : 19، 20، 53، 83،
القوة : 38، 43، 223، 228-	91
230	
	- ق -
القوة البسيطة : 250	القانون الإلهي : 478، 480،
القوة الكلية : 537	484، 486، 488-490،
القوة المرتدة : 240	492-495، 499، 502-
القيمومة الذاتية : 106، 260،	505، 508، 515

الكلية المطلقة: 424	،267 ،264 ،263 ،261
الكوجيتو: 79	،283 ،282 ،275-272
الكوميديا: 715 ،716 ،718	،365 ،334 ،327 ،307
الكينونة: 83 ،84 ،86 ،87	،432 ،415 ،408-406
،95 ،122 ،129 ،132	595 ،509
،135 ،140 ،141 ،143	القيومة الرواقية: 513
،158 ،165 ،166 ،169	القيومة الشخصية: 506
،185 ،194 ،199 ،208	القيومة المجردة: 509
،233 ،243 ،253 ،258	القيومة المطلقة: 509
،261 ،271 ،274 ،309	- ك -
،314-316 ،319 ،325	كانط، إمانويل: 16 ،17
،331 ،343-345 ،349	79 ،82 ،83 ،91
،350 ،363 ،364 ،369	الكذب: 144 ،145 ،151
،370 ،377 ،381 ،382	كلرْمُونْت، هاينرش: 12
،384 ،385 ،390 ،-395	الكلية: 219 ،258 ،422
،398 ،401-403 ،414	،423 ،428 ،459 ،463
،435 ،440 ،442 ،443	،464 ،467 ،479 ،480
،446 ،447 ،460 ،461	،518 ،540 ،631 ،641
،473 ،480 ،492 ،513	،648 ،653 ،655 ،656
،547 ،568 ،574 ،586	،664 ،679 ،685 ،686
،602 ،604 ،607 ،614	703 ،759
،627 ،630 ،636 ،643	الكلية الحاقة: 536
،644 ،670 ،675 ،711	الكلية الساكنة: 351
،725 ،726 ،728 ،729	الكلية الصورية: 453 ،464
738 ،758 ،769	465 ،469 ،470 ،476
الكينونة الإتيقية: 478 ،481	الكلية المجردة: 492 ،508
الكينونة البرانية: 587	510 ،720

الكيونة البسيطة: 416، 464،

478، 465

الكيونة الحاقة: 628

الكيونة الحسية: 240، 321،

324، 346، 363، 581،

587، 588، 731

الكيونة الروحية: 386، 525

الكيونة الساكنة: 345

الكيونة السيانية: 357،

744

الكيونة الطبيعية: 518

الكيونة العضوية: 346

الكيونة الفردية: 529

الكيونة القبيحة: 762

الكيونة الكلية: 474، 583

الكيونة اللامتكوّنة: 371

الكيونة المتكوّنة: 371

الكيونة المجردة: 74، 478،

602

الكيونة المحسوسة: 211

الكيونة المحض: 192، 195،

220، 483، 484، 588،

589، 676

الكيونة الميتة: 385، 387،

484

الكيونة الواقعة: 478

- ل -

اللاتناهي: 249-252، 254

اللاتناهي البسيط: 251

اللاماهوية: 286

اللامتناهي الحسي: 312

لامبرث، يوهان هاينرش: 16،

17

اللاملكية: 466، 467

اللزدة: 415، 418، 420،

490

اللزدة المتاعية: 417

لشتينبرغ، جورج: 377، 380

اللغة: 531، 532، 534-

536

اللغة التأملية: 102، 103

- م -

المادة: 587

المادة المطلقة: 588

الماهوية: 221، 425

الماهية: 86، 122، 124،

130، 134، 159، 163،

165، 166، 185، 186،

188، 189، 193، 219،

260، 262، 271، 275،

281-283، 288-290،

،735 ،734 : الماهية الأزلية: 739-737	،352 ،349 ،328 ،292 ،377 ،362 ،357 ،356
،692 ،123 : الماهية الإلهية: 703 ،714 ،716 ،718	-419 ،390 ،383 ،378 ،438-436 ،432 ،421
،745-741 ،727 ،721 750 ،748	،477 ،475 ،474 ،470 ،496 ،495 ،485 ،479
313 : الماهية الإمبريقية: 566	،515 ،514 ،500 ،499 ،529 ،524-522 ،517
521 : الماهية الباطنة: 276 ،264 : الماهية البسيطة: 561 ،556 ،456 ،452	،540 ،538 ،536 ،530 ،552 ،550 ،549 ،542 ،559 ،558 ،555 ،553
،699 ،698 ،604 ،577 735	،585 ،580 ،569 ،566 ،594 ،589 ،588 ،586
513 : الماهية التعينية: 716 : الماهية الجوانية: 714 : الماهية الجوهرية: 621 : الماهية الحسية: 628 : الماهية الحق:	،613 ،609 ،608 ،606 ،647 ،638 ،630 ،620 ،688 ،679 ،653 ،650 ،698 ،697 ،695-693 ،713 ،709 ،704 ،700 ،735 ،730 ،729 ،727
586 ،541 : الماهية الخالصة: 506 : الماهية الذاتية الإتيقية: 452 ،406 : الماهية الروحية: 470-468 ،459 ،458	،752-750 ،744 ،736 ،769 ،763 ،759 ،756 ،465 ،461 : الماهية الإتيقية: 502 ،497 ،487 ،478
،489 ،481 ،474 ،473 ،725 ،700 ،521 ،517 732	506 : الماهية الإتيقية الحاقة: 476 : الماهية الإتيقية الكلية: 490
469 : الماهية الروحية الحاقة: 551 : الماهية الساكنة:	الماهية الأخلاقية الخالصة: 626

- 604 ، 591 ، 587-585  
 -663 ، 614 ، 613 ، 605  
 ، 719 ، 708 ، 700 ، 665  
 ، 730 ، 728 ، 727 ، 720  
 ، 744 ، 743 ، 735 ، 731  
 751 ، 747  
 الماهية المقدّسة : 625  
 ، 210  
 ، 280-278 ، 224 ، 216  
 ، 524 ، 473 ، 410 ، 315  
 711 ، 617 ، 539 ، 525  
 الماهية النافية : 486  
 ، 676 ، 674 ، 674  
 ، 696 ، 691 ، 687 ، 683  
 769 ، 698  
 الماهية الواعية : 467 ، 368  
 الماهية الواقعية : 511  
 مبدأ الاختبار : 471  
 مبدأ الانفراد : 505  
 مبدأ التحقيق : 592  
 مبدأ السيورة : 357  
 مبدأ العكس : 430  
 ، 431 ، 365 ، 365  
 ، 683 ، 542 ، 503  
 مبدأ المنفعة : 47  
 ، 607 ، 538 ، 488 ، 488  
 698  
 الماهية الطبيعية : 704  
 الماهية العضوية : 333 ، 326  
 350 ، 349 ، 334  
 الماهية الفردية : 295 ، 292  
 416 ، 413 ، 407  
 الماهية الكاملة : 603  
 الماهية الكلّية : 477 ، 474  
 724 ، 491  
 الماهية المجرّدة : 566 ، 434  
 ، 743 ، 737 ، 661 ، 649  
 769  
 الماهية المحض : 586 ، 207  
 ، 737 ، 693 ، 614 ، 587  
 750  
 الماهية المشتركة : 481-479  
 ، 490 ، 489 ، 486-484  
 ، 508 ، 506-502 ، 492  
 716 ، 521  
 الماهية المشتركة الإتيقية :  
 483  
 الماهية المشتركة الطبيعية : 485  
 الماهية المطلقة : 252 ، 49  
 ، 508 ، 497 ، 479 ، 260  
 ، 550 ، 517 ، 516 ، 510  
 ، 565 ، 561 ، 560 ، 553  
 ، 573 ، 571 ، 568 ، 566  
 ، 581-579 ، 577 ، 576



المعرفة الرياضية: 147، 148	المثالية: 305-309، 311- 313
المعرفة الفرضية: 581، 632 المعرفة العقلية: 92	المثالية الأحادية: 309 المثالية الترנסدنتالية: 53
المعرفة العلمية: 69، 157 المعرفة غير الصادقة: 180، 181	المثالية الخاوية: 312 المثالية الذاتية: 53، 91
المعرفة الفلسفية: 128، 147 المعرفة المحض: 602، 630، 641، 643، 648	المثالية العملية: 559 المثالية النظرية: 559
المعرفة المطلقة: 86، 131، 136 المعرفة الموضوعية: 632	المثالية النقدية: 53، 91 المراس الإتيقي: 498
المعقولة: 126 المفهوم: 86، 87، 97، 121، 122، 142، 143، 156، 161، 168، 172، 186	المطلق: 51، 82، 130- 134، 177-180، 460، 575
مفهوم الأخلاقية: 607 مفهوم الإيمان: 553 مفهوم التعقل: 565 مفهوم الحرية: 282 مفهوم الحق: 224	المعرفة: 177-180، 183، 185-187، 189، 191، 193، 195، 594 المعرفة الإلهية: 130 المعرفة البرانية: 168
المفهوم الخالص: 134، 173 مفهوم الدين: 671 مفهوم الذهن: 245	المعرفة الجوهرية: 124 المعرفة الحاقة: 128، 181 المعرفة الحسية: 154، 192، 206 المعرفة الديالكطيقية: 717
	المعرفة بالذات: 258، 569 المعرفة الذهنية: 692 المعرفة الحسية: 554

- مفهوم الروح : 43، 58، 266، 287، 288، 412، 688
- مفهوم الزمان : 83
- مفهوم العبادة : 693
- مفهوم العضوي : 335، 341، 342
- مفهوم العقل : 306، 313، 319، 403، 473
- مفهوم العلم : 71-73، 75
- مفهوم الغاية : 329
- مفهوم الغاية الذاتية : 335
- المفهوم الغائي : 332-334
- مفهوم الفردية : 440، 450
- مفهوم الفرق : 250
- مفهوم الفعل : 449
- مفهوم الفلسفة : 30
- مفهوم القانون : 240، 320
- مفهوم القوة : 226، 227، 231، 232، 240
- مفهوم الكلّ : 125
- المفهوم المحض : 168، 579، 588، 723، 728
- المفهوم المطلق : 251، 555، 563، 774
- مفهوم المنفعة : 577
- الملكوت السفلي : 486
- الملكيّة : 466، 467، 506، 510
- المنطق : 12، 21، 22، -25، 30، 57، 63، 72، 76، 144، 152
- المنطق الذاتي : 63
- المنطق الموضوعي : 63
- المنفعة : 575، 589، 591، 592، 595
- الموت : 140، 483، 486، 598، 600-602، 743، 750
- المؤتمر الهيجلي الثالث (روما) : 34
- الموضوعية : 382، 452، 515، 663، 692
- الموضوعية الأنطولوجية : 95
- الموهبة : 556
- المتافيزيقا : 12، 16، 17، 21، 22، 25-29، 77، 90
- متافيزيقا الجوهر : 81، 84، 93
- المتافيزيقا الديكارتيّة : 588
- متافيزيقا الذات : 82
- متافيزيقا الذاتية : 81، 84
- الميل : 621، 622

الهو البسيط: 708، 738	- ن -
الهو الحاق: 715	النسيان: 713
الهو الروحي: 548، 679	النظام العضوي: 338، 341-
الهو الصرف: 534	343
الهو الطبيعي: 518	النفس: 558، 679، 760
الهو الفردي: 602، 603،	التقديّة الترنسندناليّة: 18
647، 664، 717، 738،	النيّة: 563، 572، 577،
759	607، 599
الهو الكلّي: 516، 706،	- ه -
724، 730	الهو: 106، 107، 132،
الهو المحض: 84، 533،	164، 165، 474، 508،
591، 645، 652، 659،	511-514، 516، 520،
661، 685	524، 531، 536-542،
الهو المطلق: 633	546-548، 552، 556،
الهوية: 106، 415	559، 568، 593، 597-
الهوية البسيطة: 643	599، 601، 608، 628،
هيوليت، جون: 108	630، 631، 634-636،
هيرنغ، تيودور: 34، 109	639، 642، 644-651،
الهيغليّة: 31، 88، 99،	660، 661، 664، 671،
103	673، 676، 677، 681،
- و -	684، 686، 690، 692-
الواجب: 494، 606، 607،	695، 698، 700، 704،
612، 613، 615، 616،	711، 714، 715، 717-
619، 627، 633، 635،	720، 726، 728، 730،
642، 653، 655، 656،	735، 742، 747، 750،
الواجب المتعيّن: 612	752، 758، 761، 763،
	769، 773

،485 ،483 ،479 ،478  
،497-495 ،492 ،491  
،512 ،509 ،503 ،500  
،528-526 ،519 ،513  
،546 ،540 ،534 ،531  
،556 ،555 ،550 ،548

-564 ،562 ،561 ،558  
،580 ،576 ،573 ،568  
-591 ،588 ،586 ،585  
،602 ،601 ،595 ،593  
،614 ،612 ،610-607  
،623-620 ،617 ،616  
،637 ،633 ،629-627  
،646 ،644 ،640 ،638  
،656 ،655 ،650 ،649  
-667 ،665 ،663 ،659  
،682 ،674 ،672 ،669  
-710 ،708 ،697 ،691  
،725 ،722-720 ،712  
،739 ،731 ،728 ،727  
-755 ،752 ،748 ،747  
،767 ،764 ،759 ،757  
772 ،768

،468 ،461 : الوعي الإتيقي

،507 ،500 ،497-494  
691 ،604

،606 ،516 : الوعي الأخلاقي

،614 ،613 ،611-609

الواجب المحض : 606 ،

،619 ،613 ،612 ،610  
،626 ،625 ،623 ،620  
-633 ،631 ،630 ،628  
،643 ،641-638 ،635  
652

الوعي : 12 ،28 ،31 ،35-

،58-55 ،52-48 ،46  
،76 ،74-68 ،64 ،62  
،126 ،122 ،119 ،95  
،143-141 ،135 ،134  
-182 ،171 ،153 ،152  
،215-209 ،201 ،192  
-223 ،220 ،219 ،217  
،235-232 ،230 ،225  
،265 ،260-253 ،245  
،273 ،272 ،269 ،266  
-283 ،281-277 ،275  
-292 ،290 ،289 ،287  
-314 ،312-305 ،303  
،326 ،324-321 ،318  
،365 ،360 ،333 ،330  
،403 ،402 ،390 ،370  
،412-410 ،406 ،405  
-423 ،420 ،418 ،417  
،435 ،431 ،430 ،428  
-445 ،443-439 ،436  
،476-473 ،469 ،460

،605-603 ،601-599	،626 ،625 ،623 ،621
،617 ،615 ،612 ،610	758 ،646 ،634
،631-628 ،625 ،621	الوعي الأخلاقي الحاق : 618
،649 ،645 ،644 ،636	الوعي - بالذات : 38 ،39
-667 ،665-662 ،650	،73 ،51 ،49 ،45-43
-688 ،686-679 ،675	،129 ،124 ،122 ،82
،700 ،699 ،697 ،693	،146 ،141 ،137-135
،715-713 ،704 ،703	،260-258 ،255-253
-724 ،721 ،719-717	،287-278 ،276-264
،736 ،734-732 ،730	-305 ،298 ،291 ،290
،753 ،751-746 ،743	،362 ،352 ،330 ،310
،765 ،761-757 ،755	،379 ،369 ،366 ،363
772-767	،399 ،388 ،385 ،384
الوعي - بالذات الإتيقي : 470 ،	-405 ،403 ،402 ،400
499 ،496	،419 ،417-409 ،407
الوعي - بالذات الأخلاقي :	،438 ،429 ،428 ،424
،616 ،614 ،613 ،605	-450 ،448 ،446 ،439
،625 ،624 ،622 ،621	-470 ،460 ،459 ،452
758 ،635 ،631-628	،485 ،480-475 ،472
الوعي - بالذات الأخلاقي	،493 ،490 ،489 ،487
الحاق : 615	،502 ،499-496 ،494
الوعي - بالذات الإلهي : 724	،517 ،514-508 ،505
الوعي - بالذات الحاق : 477	،530 ،526-520 ،518
،677 ،598 ،515 ،478	-541 ،538-535 ،532
716 ،714	،554-550 ،548 ،543
الوعي - بالذات الخالص : 585	-564 ،559 ،558 ،556
الوعي - بالذات الديني : 690	،583 ،577 ،568 ،566
	،597-591 ،588-586

- الوعي - بالذات الرواقي : 47 ،  
509
- الوعي - بالذات الروحي :  
751 ، 749
- الوعي - بالذات الشقي : 402 ،  
723 ، 721
- الوعي - بالذات الفردي : 606 ،  
730 ، 689
- الوعي - بالذات الكلّي : 645 ،  
646 ، 648 ، 730 ، 732 ،  
746
- الوعي - بالذات المحض : 693 ،  
الوعي البسيط : 497 ، 545 ،  
546 ، 551 ، 554 ، 560
- الوعي بالفضيلة : 428 ، 429 ،  
432 ، 435
- الوعي الجزئي : 447
- الوعي الحاق : 512 ، 514 ،  
522 ، 527 ، 549 ، 550 ،  
587 ، 589 ، 613 ، 618 ،  
624 ، 630 ، 631 ، 682 ،  
712
- الوعي الحاكم : 656 - 658 ،  
الوعي الحسن : 739
- الوعي الحسي : 136 ، 360 ،  
723 ، 725 ، 729 ، 772
- الوعي الحقيقي : 220
- الوعي الحيواني : 546 ،  
الوعي الخالص : 292 ، 311 ،  
312 ، 459 ، 548 - 553 ،  
557 ، 559 ، 569 ، 588 ،  
589 ، 591 ، 607 - 609 ،  
الوعي الديني : 729 ، 751
- الوعي الذاتي : 46 ، 82 ،  
الوعي الرواقي : 549 ،  
الوعي الروحي : 546 ،  
الوعي الساكن : 544 ، 557 ،  
الوعي الشخصي : 596 ،  
الوعي الشريف : 543 ، 637 ،  
الوعي الشقي : 44 ، 46 ، 47 ،  
278 ، 287 ، 288 ، 292 ،  
293 ، 295 ، 305 ، 513 ،  
550 ، 650 ، 663 ، 721 ،  
726 ، 734
- الوعي الطبيعي : 23 ، 59 ،  
181 ، 183 ، 200 ، 415 ،  
639
- الوعي العملي : 378 ، 410 ،  
الوعي الفاضل : 433 ، 549 ،  
الوعي الفردي : 28 ، 291 ،  
296 ، 297 ، 299 ، 304 ،  
305 ، 410 ، 470 ، 505 ،  
570 ، 595 ، 596 ، 600 ،  
607 ، 619 ، 634 ، 718

،333 ،331 ،329 ،321	الوعي الفعّال : 365
،390 ،365 ،341 ،334	الوعي القبيح : 739
402	الوعي الكلي : 447 ،457 ،
الوعي المفكّر : 283	،647 ،644 ،595 ،560
الوعي المطلق : 28	،691 ،660 ،654 ،653
الوعي الممتحن : 466 ،549	715
الوعي الممزق : 544 ،548 ،	الوعي الكوميدي : 721
601 ،549	الوعي اللامتبدّل : 290 ،291 ،
الوعي المنفصم : 307	297
الوعي الموقن : 638	الوعي المتبدّل : 288
الوعي المؤمن : 554 ،566 ،	الوعي المتصوّر : 747 ،749 ،
،726 ،583-578 ،568	766
734	الوعي المتناهي : 588
الوعي النبيل : 527 ،529 ،	الوعي المتهافت : 591
543 ،542 ،538-533	الوعي المجرد : 649
الوعي الورع : 751 ،752	الوعي المحسوس : 220
الوعي الوضيع : 527 ،531 ،	الوعي المحض : 460 ،514 ،
543 ،542 ،537	،524 ،522 ،517 ،515
الوهم : 221 ،223	،621 ،612 ،611 ،528
- ي -	،694 ،671 ،638 ،635
اليبغية : 469	736
	الوعي المعايين : 315 ،316 ،



آخر ما صدر عن

## المنظمة العربية للترجمة

بيروت - لبنان

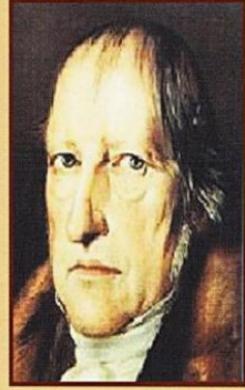
توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

تأليف: إمانويل كُنت ترجمة: غانم هنا	نقد ملكة الحكم
تأليف: أرمان وميشال ماتلار ترجمة: نصر الدين لعباضي والصادق رابح	تاريخ نظريات الاتصال
تأليف: أنتوني غدينز ترجمة: فايز الصباغ	علم الاجتماع
تأليف: بول ريكور ترجمة: جورج زيناتي	الذات عينها كآخر
تأليف: أمبرتو إيكو ترجمة: أحمد الصمعي	السيمائية وفلسفة اللغة
تأليف: كارل بوبر ترجمة: محمد البغدادي	منطق البحث العلمي
تأليف: مايكل ديرتوزوس ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي	ثورة لم تتو
تأليف: بيل أشكروفت وغارث غريفيث وهيلين تيفن ترجمة: شهرت العالم	الرد بالكتابة





## فنومينولوجيا الرّوح



- أصول المعرفة العلمية
- ثقافة علمية معاصرة
- فلسفة
- علوم إنسانية واجتماعية
- تقنيات وعلوم تطبيقية
- آداب وفنون
- لسانيات ومعامج

فنومينولوجيا الرّوح نصٌّ من بين أمهات نصوص الثقافة الغربية الحديثة، لكنّه أيضاً متنٌ فلسفيٌّ فاردٌ بلغت فيه المثاليّة الألمانيّة قصارى ما استطاعت من تفكير فلسفيٍّ في جميع أشكال الوعي الإنسانيّ من سياسة وأخلاق وعلم وتاريخ ودين وأدب وفنّ وفلسفة. ربّ نصّ هو حصيدٌ تفكيرٍ في تاريخ الإنسانيّة نفسها

لقد أثرنا في هذه الترجمة الكاملة لفنومينولوجيا الرّوح أن نقدّم إلى القارئ العربيّ نصّ 1807 على تحثّره وتقلّبه وتصيّرهِ، وألاً نقطع أوصال الجملة الهيغليّة وإنّ تشعبت، وأنّ نبسط حركة تفكير هيغل وإنّ كان لأبسطها «ثقلٌ يُغبي»؛ ففي فنومينولوجيا الرّوح شرع هيغل لأوّل مرّة - إذ بدأ يتمكّن ناصية نسقه في الفلسفة - في أتباع التمشّي الديالكتيكي بما هو الآية على علميّة الفلسفة والحياة الخاصّة للرّوح نفسها. لذلك كلّ كانت فنومينولوجيا الرّوح في ذات الآن رأس النسق الهيغليّ وجزءه الأوّل، بل بيانه في جملة

العامّة والتقنية في أكثر من عشرين بلداً. وهو معروف بعدد من الاكتشافات التي قام بها في مجال نظرية الأوتار الفائقة.

غيورغ فريدرش فلهلم هيغل (1770-1831) من أهمّ فلاسفة المثاليّة الألمانيّة. من آثاره فنومينولوجيا الرّوح (1807)، علم المنطق (1812-1816)، موسوعة العلوم (الفلسفيّة) (1817-1827-1830).

غيورغ فريدرش فلهلم هيغل (1770-1831) من أهمّ فلاسفة المثاليّة الألمانيّة. من آثاره فنومينولوجيا الرّوح (1807)، علم المنطق (1812-1816)، موسوعة العلوم (الفلسفيّة) (1817-1827-1830).

ناجي العونليّ أستاذ فلسفة بالجامعة التونسيّة، متحصّل على الدكتوراه في فلسفة هيغل، له العديد من المقالات والدراسات التي تشتمل على تاريخ الفكر الألمانيّ، وبخاصّة في لحظة الهيغليّة



المنظمة العربية للترجمة

الثمان: ١٥ دولاراً  
أوما يعادلها



9 799953 297933